

بسم الله الرحمن الرحيم



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٠٨٧

بعد مناقشة الطالب محمد عبد الله البشري
في رسالة أوصى أعضاء اللجنة بمشورته في التوثيق
بمقتضى هذا القرار، هذا وليس لأعضاء اللجنة
أية مقترحات بأمر أية تعديلات على الرسالة
أعضاء اللجنة

المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية
جامعة أم القري بمكة المكرمة
مكتبة الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ الإسلامي

أحمد محمد
١٤٠٦/٨/٨

١٤٠٦/٨/٨
١٤٠٦/٨/٨
الطبيب
١٤٠٦/٨/٨

الحياة العلمية في عهد الإمام الفقيه

(١٤٢٢ هـ - ١٤٨٨ هـ / ١٠٣٠ م - ١٠٩٥ م)

رسالة مقدمة لشيخ ورجل الدكتور في التاريخ وهو سلمي

إعداد

سعد عبد الله البشري

١٤٠٦

إشراف

الدكتور محمد السيد

١٠٨٧



١٤٠٥ هـ - ١٤٠٦ هـ

١٩٨٥ م - ١٩٨٦ م



شکر و تقویٰ

الكريمه .

من الله جميل المثوبة ووافر الأجر .

فَنَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللَّهُ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَعَاطَمَدْنَا .



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين ..

أما بعد :-

فأن الحديث عن الاندلس وتاريخها يحمل في طياته الكثير عن معانى
الفخر والاعتزاز بامجاد اولئك المسلمين الذين أرسوا فى الاندلس دعائمها
وطيده من الحضارة والتمدن ، وقواعد راسخة من المثل والاخلاق النبيلة
ويصاحب تلك المعانى المشرفة ألوان شتى من الأسى والألم على ضياع ذلك
الفردوس العظيم وانحسار الاسلام عنه وما رفق ذلك من ابادة مقصوده لتراث
الاندلس وجهود اولئك العلماء الذين علموا جيرانهم من الأوربيين الطريق
الى الانسانية المتحضرة والشخصية المستمدة ..

كل هذه المعانى والأفكار وشتى التصورات عن ذلك القطر الغابر مجده
حملت الباحث على الارتباط بتاريخ الأندلس وحضارته التى لاتزال صورتها
حيه فى نفوسنا تبعث فيها الأمل وتوقد فيها جذوة التفاؤل بقدره الأمل
العربية على الاستمرار فى العطاء الحضارى وأن ارضها لاتزال خصبة
تجود بنوابغ الرجال وتثمر عبقرية الحضارات ..

هذا وكان الباحث قد سبق له ان درس " موضوع الحياه العلميه فى عصر
الخلافة الأمويه فى الأندلس " وحصل بذلك على درجة الماجستير ١٤٠٢ هـ /
١٩٨٢ م . من كلية الشريعة والدراسات الاسلاميه من جامعة أم القـرى
فهاهنا ذلك العطاء السخي للأندلس فى حقول العلم والمعرفة وكافـة
مظاهر النشاط العلمى وما حفل به ذلك العصر من اعلام المعرفة والأدب ،

ومدى ما أسهموا به من جهود فى ازدهار المعارف والعلوم المختلفه ، وظل الباحث بعد ذلك شديد التعلق بالأندلس وتاريخها ودورها الحضارى الانسانى ، ولفت نظره قلة الدراسات العلميه المنصبه على كشف وجوه الابداع والنبوغ العلمى للأندلسيين فى العلوم والمعارف ، وان التاريخ العلمى للأندلس وخاصة عصر الطوائف مازال فى حاجة ماسه لمن يتناوله بالدراسه والبحث والاستقصاء . كما لاحظ الباحث ان الرسائل العلميه التى قدمت الى الجامعات المختلفه عن النشاط العلمى للأندلس كانت منصبه على بعض الجوانب العلميه أو محدوده بعديته من المدن - ومن هذه الرسائل ما أعده كل من :-

- محمود على مكي عن التيارات الثقافيه بين الأندلس والمشرق واثرها فى الحركه العلميه فى الأندلس ، ، رساله دكتوراه .
- وكريم عجيل عن " الحياه العلميه فى بلنسيه منذ الفتح / ٩٢ هـ الى ٣٩٥ هـ رساله ماجستير بجامعة بغداد . ١٩٧٥ م .
- ومحمد عبد الحميد عيسى عن تاريخ التعليم فى الأندلس " رساله دكتوراه عن جامعة الأتونيما بمدريد . ١٩٨٠ م .
- كما لاحظ الباحث ان معظم الرسائل العلميه التى كتبت عن عصر ملوك الطوائف فى الأندلس تدور حول الشعر والأدب ولكنها لم تعالج الحياه العلميه بكافه جوانبها على النحو الذى قمنا به فى رسالتنا . .
- من هذه الرسائل ما أعده كل من :-
- حامد عبد المجيد . عن الشعر العربى فى عهد ملوك الطوائف بالأندلس وهى رساله دكتوراه بكلية الآداب . جامعة القاهره .

قطارِ البحرِ و خلیلِ المصاویر
سید

- عبد العزيز الأهواني . "عن الازجال الأندلسيه . وهى رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة" .

- سعد اسماعيل شلبى . عن البيئه الأندلسيه وأثرها فى الشعر فى عصر

ملوك الطوائف " وهى رسالة دكتوراه . كلية دار العلوم جامعة القاهرة" .

- محمد مجيد رزيق . "عن الشعر فى ظل بنى عباد بالأندلس . وهى رسالة

ماجستير . كلية العلوم - جامعة القاهرة .

كما أعدت رسائل تاريخيه عن ملوك الطوائف مثل ما أعده .

- الأخ الاستاذ يوسف حواله عن بنى عباد فى اشبيلية " رسالة ماجستير بجامعة

أم القرى - كلية الشريعة والدراسات الاسلاميه - وكذلك محمد بن عبود " عن

التاريخ السياسى والاجتماعى لاشبيلية فى عهد د ول الطوائف " دكتوراه من

جامعة ادنبره ١٩٧٨ م . - وأيضاً رجب محمد عن " بنى حمود بمالقه " ماجستير

كلية الآداب - القاهرة - وخالد العضولى عن جمهوريه بنى جهور " رسالة

ماجستير ١٩٥٩ م . . .

هذا وتوجد بعض الدراسات الأخرى عن التاريخ الفكرى الأندلسى

ككتاب " تاريخ الفكر الأندلسى " لآنخل جونتالغ بالنشيا ، والتربيه الإسلاميه

لخوليان ريبيرا " وظهر الاسلام " الجزء الثالث المتعلق بالحياه العقلية

فى الاندلس لأحمد أمين . والعلوم والآداب والفنون على عهد الموحديين

" لمحمد المنونى . وفى الأدب كتاب تاريخ الآداب الاندلسى عصر الطوائف

والمرابطين ل احسان عباس ، والأدب العربى فى الاندلس لعبد العزيز عتيق

" ودراسات فى الأدب الاندلسى لسامى العانى والنقد الأدبى فى الاندلس

لمحمد رضوان . .

هذه هي أهم الدراسات التاريخية المتعلقة بالنشاط العلمى
للأندلس وما يتصل منها أيضاً بتاريخ الأندلس فى عصر ملوك الطوائف . ووضع
مثل هذا دفع الباحث الى مواصلة مهمته فى دراسة الحياة العلمية فى
الأندلس ومحاولة تلمس أزهى العصور الأندلسية فى ميدان العلم
والآداب . فكان اختيار الباحث منصباً على عصر ملوك الطوائف وماتم فيه من
انجازات علمية وادبيه باهره . والحق ان الباحث اقدم على دراسة موضوع الحياة
العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس وهو بين أمل واشفاق ، أمل فى
نجاح مهمته على خير وجه والخروج بنتائج مشرفة فى ذلك ، واشفاق عما قد
يكون من عقبات ومصاعب تحول دون تحقيق الآمال والتطلعات وخاصة ان هذه
الفترة تعتبر فترة شائكة تموج بالاضطرابات والصراعات والقلق ، وتتسم
فى العديد من جوانبها بالغموض الالتباس .

وجدير بالذكر ان ظهور ملوك الطوائف على المسرح السياسى فى الأندلس
فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى يمثل ظاهره سلبية
وايجابية معاً ، سلبية فى ذلك الانقسام والتمزق مما سبب اضعاف الجبهة
الاسلاميه امام القوى النصرانية التى كانت تتوحد للانقضاض على المناطق
الاسلاميه وزاد ممالك النصارى طمعاً فى القضاء على الوجود الإسلامى فى
الأندلس ضعف واستخذاً ملوك الطوائف ودفعهم الجزية لملوك النصارى
ولعل اعظم ماتمخضت عنه هذه الأوضاع السيئه والأحوال المترديه سقوط
مدينة طليطله فى يد الفونس السادس ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م . سقوطاً نهائياً
لم تعد بعده الى حظيرة الاسلام . ونجم أيضاً عن تلك الأوضاع مأساة مدينة
بريشتر ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م . التى استباحها النورمان بمساندة قسوات

فرنسيه وايطاليه ومباركة البابا اسكندر الثانى ، هاتان الحادثتان اللتان عصفتا بالنفوس - وهزتا القلوب نبهت ملوك الطوائف من سباتهم العميق الى أهمية الوحدة الاسلاميه والتكاتف والاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة .

فأذا جئنا الى الظاهره الايجابيه لوجود ملوك الطوائف آنذاك لمسنا ذلك العطاء السخى فى ميدان الحضاره وبالذات حقول العلم والأدب . فقد كان أولئك الملوك يسارعون فى تشجيع العلم والعلماء على البحث والتحصيل والتأليف ، فذبجت بأسماء الكثير من ملوك الطوائف كثير من التأليف والتصانيف فى شتى فروع المعرفة بولا يزال بين ايدينا كثير من تلك الكتب تشهد لهم بما قاموا به من دور فعال فى ازدهار العلوم والآداب .

وبناءً على ماتقدم فقد أبدى الباحث اهتماماً واسعاً بدراسة الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف ، وتلمس ذلك الدور الذى قاموبه خلال ذلك . والحق ان مثل هذه الدراسات الحضاريه تعد من اشق واصعب مايتعرض له الباحثون والدارسون . وذلك راجع الى ضآلة الماده العلميه المتصله بها وخاصة فى الأندلس الذى تعرض لآباده تراثه الفكرى بأساليب وطرق مقصوده إبان الزحف النصرانى على البلاد الاسلاميه فى الأندلس ، فكانت كل مدينه اسلاميه تقع فى أيدى النصارى تتعرض لشتى انواع الاضطهاد والتنكيل المادى والفكرى . ولا ننسى ما قام به النصارى بعد استيلائهم على آخر معقل من معاقل الاسلام فى الأندلس وهى غرناطه ، فقد أحرقت آلاف المخطوطات العربيه فى شتى انواع العلوم . .

هذا وكان على الباحث ان يستعرض ماحوته كتب الطبقات والتراجم ، وان يتنبه خلال جمعه الماده العلميه الى التواريخ المتعلقه بميلاد ووفاة

كل عالم أو أديب ليتسنى لنا اصطفاً من عاصره فترة ملوك الطوائف . ويلاحظ أيضاً أن كتب التراجم الاندليسيه وهى عماد البحث غلب عليها الاهتمام بسير علماء الدين اللغة والأدب ، وما عدا أولئك لانجدلهم ذكراً تقريباً ، وهو مادفع الباحث الى الاستعانة بكتب الطبقات المتخصصة ، وكان أهمها طبقات الامم لصاعد الطليطلى .

وموضوع الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف يمتد من سنة ٤٢٢ هـ / وحتى ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م . وهى السنة التى سقطت فيها مملكة بنى الأفطس ببطلينوس آخر مملكة من ممالك الطوائف ، عدا مملكة بنى هود التى تأخر سقوطها حتى سنة ٥٠٣ / ١١٠٩ م .

وقد قسم الباحث موضوعه الى قسمين :-

القسم الأول : عن عوامل ازدهار الحياه العلميه ومظاهرها فى عصر ملوك الطوائف ويشتمل هذا القسم على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : سقوط الخلافة الامويه وقيام ممالك الطوائف ، ويندرج تحته ثلاث نقاط : الأولى تتعلق بالفتنه التى نشبت بعد مصرع الحاجب عبدالرحمن بن المنصور بن ابي عامر - ودخول الأندلس بعدها فى موجة عارمه من القلاقل والصراع على السلطه حتى سقوط الخلافة سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م .

النقطة الثانية : اثر الفتنيه على الحركه الفكرية وما نجم عنها من آثار سلبية وإيجابية . .

النقطة الثالثة : تتصل بزوال الوحدة السياسيه للأندلس وانقسامها

الى ممالك متعددة تحكمها طوائف من العرب والبربر والصقالبه . .

الفصل الثانى : عوامل رقى الحياه العلميه فى الأندلس فى عصر

الطوائف.

وتندرج تحته نقطتان تتعلقان بأهم العوامل المؤثره فى الرقى العلمى

آنذاك . .

النقطه الأولى : تتعلق بالتطور العلمى للأندلس فى عصر الخلافه ،

وكون هذا التطور والازدهار الذى تم آنذاك كان له أكبر الأثر فى استمرار

وتقوية تيار الحركه العلميه ، اذ أن العلم والمعرفه بناءً يضاف الى

كيانه على طول العصور لبنات جديده من الابداع وما هو افضل ممن

النتائج العلميه . .

النقطه الثانيه : وهى الاهم ، وهى تعدد المراكز الحضاريه فى

الأندلس والمنافسه بينها . وقد عرضنا فى هذا الجانب الى ماتصف

به ملوك الطوائف من سلوك تجاه العلم وأربابه ، ومواقفهم النبيله

فى تشجيع العلماء والأدباء على البحث والتصنيف ، وكيف أن الكثير

من أولئك الملوك كانوا يسارعون فى اجتذاب كبار العلماء الى عواصمهم

حتى انهم كانوا يتفاخرون على بعضهم البعض بما يضمنه بلاط

كل منهم من نوابع العلماء والأدباء . .

الفصل الثالث :- مظاهر النشاط العلمى فى الأندلس فى عصر الطوائف

ويضم ثلاث نقاط :-

الأولى : عن العلاقات العلمية بين المشارقة والأندلسيين ، وكيف ان التيار الثقافى بين الأندلس والاقطار الاسلاميه فى المشرق ظل مستمرا ولكن ليس على قوته فى عصر الاماره والخلافه ، بل اخذ الأندلسيون يتجهون الى الاستقلال ومحاولة بناء كيانهم العلمى بذاتهم وطبعه بطابعهم الأندلسى
الثانيه : تتصل بالكتب والمكتبات وجمع الكتب عند الأندلسيين ، وفيها أشار الباحث الى أهمية الكتاب فى المجتمع الأندلسى وعناية الأندلسيين بالكتب وجمعها ، واهتمامهم البالغ بكل ما يتصل بالكتاب من نسخ وتجليد وتجاره وذكر مشاهير هواة الكتب والوراقين فى ذلك العصر .

الثالثه : عن التعليم فى الاندلس ، وتعرض الباحث فى ذلك الى نظام التعليم فى الأندلس ومراحله وطرقه ومراكزه ، وأشار الى ان الأندلسيين لم يعرفوا المدارس المستقلة التى عرفها المشارقة وذلك فى عصر ملوك الطوائف ، بل كان تدريس العلوم يتم فى المساجد وبعض الاماكن الأخرى كالمنازل ، كما تعرض الباحث الى الحديث عن المرأة الأندلسيه ودورها فى التعليم .

القسم الثانى : (العلوم والآداب فى عصر ملوك الطوائف) . .
وفيه درس الباحث نشاط وازدهار العلوم والآداب وسير العلماء والأدباء ومصنفاتهم مع الالتزام بالأشاره الى المملكة التى ينتسب اليها العالم و
الاديب . وينطوى تحت هذا القسم خمسة فصول :-

الفصل الأول : العلوم الدينيه وتنشعب الى عدد من العلوم هى :-
الفقه - وقد تطرق الباحث الى أهمية هذا العلم ومكانته عند

الاندلسيين وعنايتهم بالدراسات الفقهية على المذهب المالكي ، واشهر فقهاء ذلك العصر ودراساتهم ومصنفاتهم .

الحديث : وفيه أشار الباحث الى منزلته بين العلوم الدينية وعناية الاندلسيين به ، واهتمامهم بكتب الصحاح ، وذكر مشاهير المحدثين وحفاظهم ومصنفاتهم العلمية في دراسته وشرح وتوضيح احاديث النبي صلى الله عليه وسلم . علوم القرآن : وتضم القراءات والتفسير ، وفي هذه العلوم تجلى ابداع الأندلسيين وقد راتهم الواسعة المدهشة في القراءات ، فلان بالغ اذا اشرنا الى الى ان الأندلسيين تصدروا قراء العالم الاسلامي بجهودهم العلمية في القراءات وما انتجوا فيها من روائع التأليف التي تدعوللأعجاب .

علم الكلام : وفيه تحدث الباحث عن علم الكلام عند المسلمين وما يقصد به وموقف الأندلسيين من هذا العلم ، وهل لقي منهم قبولا أو رفضا ؟ كما أشار الى بعض المشتغلين به في الأندلس في عصر الطوائف .

* الفصل الثاني : الحياه الادبيه واللغويه - والحياه الأدبيه تنقسم الى شعر ونثر ، وقد تحدث الباحث عن الشعر في الاندلس وتأثره بالطبيعة ، وعن مواقف بعض الشعراء من اوضاع العصر السياسي ، ثم دور ملوك الطوائف في نهضة الشعر وخاصة ملوك اشبيلية وابرز شعراء ذلك العصر ، كما اشار الباحث الى ذلك اللون من الشعر المسمى "الموشحات" وأول من اخترعها "وتركيب الموشح" وأبرز ناظميه . كما تعرض للزجل وابرز الزجالين آنذاك .

وفي النثر - تحدث الباحث عن النثر الفني وهو أسلوب الربيعيل الديوانييه والاخوانيات وغيرها ، وابرز الكتاب في ممالك الطوائف - ثم تحدث الباحث عن الشق الثاني من النثر ، وهو النثر التأليفى والذي كان يقصد به تأليف كتب

أدب بمفهوم القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى - وأشار الى جهود الأندلسيين فى هذا اللون من الأدب ، وما أسهموا به فى تطور الحركة الأدبية بانتاجهم القيم .

وفيما يتعلق بعلوم اللغة ، فقد افرد لها الباحث مكاناً متسعاً عند حديثه عن الحياة الادبية واللغوية ، وذكر بداية النشاط العلمى فى هذا الحقل واعتماد الأندلسيين على اخوانهم المشارقة ووائل التصانيف اللغوية والنحوية فى الأندلس ، ثم تطور الدراسات اللغوية فى عصر الطوائف ومشاهير علماء اللغة والنحو وانتاجهم العلمى .

الفصل الثالث : العلوم الانسانية وتتفرع الى ثلاثة علوم :

التاريخ : وتحدث فيه الباحث عن اهمية هذا العلم عند الأندلسيين وعنايتهم به واهتمامهم بالتراجم ، ثم الإشارة الى ابرز مؤرخى ذلك العصر وما أسهموا به فى تطور هذا العلم .

الجغرافيا والرحلات الجغرافية : وفيه وضع الباحث مكانة الجغرافيا عند المسلمين ، واعتماد الأندلسيين فى بداية اشتغالهم بالجغرافيا على الدراسات الجغرافية الاغريقية واللاتينية فى الوصف الجغرافى لبلادهم ، مع الإشارة الى مشاهير جغرافى عصر الطوائف وانتاجهم الجغرافى وما أسدوه من جهود فى هذا العلم - كما تطرق الباحث الى الرحلات الجغرافية ، وأشار الى ولع الأندلسيين بالرحلات وما قاموا به فى ذلك العصر .

الفلسفة : وفى هذا العلم تحدث الباحث عن اتصال العرب بالأفكار الأخرى بعد الفتوحات الاسلاميه ، وكيف أثمر هذا الاتصال عن دخول كثير من المعارف

المتعلقه بعلوم الأوائل ومنها الفلسفه - وتعرض الباحث الى مواقف الفقهاء من الفلسفه فى المشرق والأندلس - والى بداية دخول الفلسفه الأندلسى ولماذا ضعف الاشتغال بها ؟ ثم ابرز فلاسفة عصر الطوائف ونتاجهم الفلسفى .

الفصل الرابع : العلوم التطبيقية ، وتنقسم الى علوم مختلفه هى :
الطب والصيدله - وقد تحدث الباحث عن اهمية هذين العلمين فى المجتمع الأندلسى ، وبداية اتصال الأندلسيين بالطب والاشارة الى بعض ماتم فى ذلك ابان عصر الاماره والخلافه . تم فصل الباحث الحديث عن الطب فى عصر الطوائف ومشاهير اطباء ذلك العصر وجهودهم العلميه فى الطب والصيدله .
الفلك والرياضيات - وفى هذين العلمين وضع الباحث خلوا سبانيا قبل الاسلام من هذه الدراسات ، وان قيام الدوله الامويه اتاح الفرصه لنمو الدراسات الفلكيه والرياضيه ، وقوة الصله آنذاك بين الفلك والرياضيات ، وتعرض الباحث بايجاز الى اوضاع الدراسات الفلكيه والرياضيه قبل عصر الطوائف ، ثم تحدث بلسهاب عنها فى عصر الطوائف وبرز الفلكيين والرياضيين ودراساتهم العلميه .
وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن عدد من العلوم البحتة كالكيمياء ، والفيزياء والميكانيكا (علم الحيل) ، والفلاحة ، ووضع جهود الأندلسيين فى هذه العلوم وما قدموه من دراسات حولها وخاصة ما يتعلق بعلم الفلاحة الذى اظهر فيه الاتدلسيون براعة لا نظير لها فى العالم الاسلامى والاقطار الاخرى .

الفصل الخامس : اثر الازدهار العلمى فى الأندلس فى أوربى : —

وهذا الفصل يثبت بما يقطع الشك ذلك الدور العظيم الذى اضطلع به



الاندلسيون فى ازدهار وتطور المعرفة الانسانية ونقلها الى اوربا التى كانت آنذاك تتعثر فى احوال الجهل والتخلف ، وقد تناول الباحث فى هذا الفصل عدة نقاط منها : اتصال الأوربيين الثقافى بالأندلس حتى نهاية عصر الطوائف ثم أشار الى مدرسة طليطله وحركة الترجمة من العربيه الى اللاتينيه ، ثم ملامح التأثير العلمى للأندلس فى العلوم والآداب فى اوربا وكيف ان الأندلس كانت هى منارة الاشعاع العلمى الذى اضاء لأوربا طريقها نحو المدينه والحضاره ليس فى العلوم البحتة فقط وانما ايضا فى الآداب والسلوك والاخلاق .

وأخيرا اختتم الباحث موضوعه بخاتمه تتضمن أهم نتائج البحث . . . ،،،،

((دراسة تحليلية لمصادر البحث))

كان اعتماد الباحث في كتابة هذا البحث يستند الى عدد كبير من كتب الطبقات والتراجم لمختلف العلماء في كافة فروع العلم والمعرفة - وهذا عائد الى ان معظم المؤرخين المسلمين في كتاباتهم التاريخيه يسهبون في الحديث عن الجوانب السياسي والعسكريه - اما الجوانب الحضاريه فأنها تكاد لا تحظى منهم الا باهتمام يسير ولكنهم في ميدان التراجم اظهروا براعة وقد رات واسعه في الحديث عن العلوم والآداب وجميع ألوان النشاط الحضاري المادي منه والفكرى . .

هذا ويمكن تقسيم مصادر البحث الى عدة اقسام ، يأتي في مقدمتها المصادر . وهناك مصادر مخطوطه ومصادر مطبوعه . ثم المراجع فالمقاولات أخيراً . ويجدر بنا أولاً ان نشير الى ان الباحث اعتمد على عدد من المخطوطات يأتي في مقدمتها مايلي :-

(أ) ١ - " الوساد " للطبيب الصيدلى ، عبد الرحمن بن وافد الطليطللى (كان حياً ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م .) والكتاب من جهه يعتبر من أهم ما خلفه لنا ذلك الطبيب فى الأتوية المفرده ، ومن جهه أخرى فهو فى ذاته مثال مشرق على نهضة الطب والصيدله فى عصر ملوك الطوائف . وكان ابن وافد وزيراً فى دولة المامون بن ذى النون ملك طليطله ويتسخلص من محتويات هذا المخطوط مدى ما كان عليه ابن وافد من مهاره فى الطب وقدره فائقه فى معرفة النباتات الطبيه وخصائصها العلاجيّه ، وكان من الأطباء الذين فطنوا الى أهمية

العلاج الطبيعى عن طريق الأغذية والأدوية المفردة ما أمكن . وقد أفاد الباحث من هذا المخطوط عن حديثه عن الطب والصيدله فى عصر ملوك الطوائف . فأشار الى محتويات الكتاب ، وطرق ابن وافد واساليبه العلاجيه كما تعرض الى اقوال العلماء فيه ، وماخلعوا عليه من ضروب الثناء والاطراء لعلمه الواسع فى الطب والصيدله ، وهذا الكتاب القيم يضم خلاصة ماتوصل اليه علم ابن وافد فى النباتات الطبيه وكيفية استخدامها فى علاج الامراض والعلل المختلفه التى تلحق بالانسان سواء تلك الامراض الباطنيه أو الخارجيه المتعلقة بالجلد والشعر وغير ذلك ، وقد اعتمد على هذا الكتاب من أتى بعد ابن وافد من الأطباء ونال اهتمام الأوربيين . .

٢ - "زهرة البستان ونزهة الازهان " للعلامه محمد بن مالك الطغفرى (كان حيا سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) والطغفرى من العلماء المتفنيين الذين برعوا فى معارف عدة ويبدو انه كان ضليعا فى معرفة علم الفلاحة ماهرا فيها ، وكان قد تولى الوزارة لدى الأمير عبد الله بن بلقين ملك غرناطة ، وكان عصره عصرا زاهرا فى مختلف فروع العلم ومنها الفلاحة التى شهدت ظهور اكابر علماء الزراعة والبارعين فيها والذين اعتمد على مصنفاتهم الفلاح الكبير ابن العوام . وقد اشتهر الطغفرى بكتابه القيم الآنف الذكر الذى ضمنه كثيرا من المعارف الزراعيه والارشادات المهمه لمن يقوم على هذا العمل الانسانى الهام . والطغفرى اعتمد فى تأليف كتابه على جهود عدد من العلماء السابقين من الأمم الاخرى كاليونان والفرس ، كما استند الى كثير من اقوال من سبقه من علماء الفلاحة مشارقه واندلسيين . وقد أفاد منه الباحث عند الحديث عن الفلاحة فى الاندلس فى عصر الطوائف ، اذ ان

هذا العلامة يعتبر - كما اشرنا سابقاً - احد كبار علماء الفلاحه ، كما يمثل كتابه زهرة البستان ونزهة الازدهان ، مثالا واضحا ووجها مضيئا لازدهار علم الفلاحه في عصر الطوائف .

٣ - " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك " السفر الرابع للعلامة الجغرافى أحمد بن أنس العذرى (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) . وكان العذرى عالما بالآداب والحديث والفقه والجغرافيا والتاريخ ولكن المصادر الأندلسية التى ترجمت له ، كجذوة المقتبس للحميدى ، وبغية الملتبس للضبي ، لم تشر اليه كعالم جغرافى ، ولم تذكر كتابه الآنف الذكر ولكن هناك علماء آخرون اشاروا الى كتابه كالبكرى فى المسالك والممالك ، والقزوينى فى آثار البلاد .

وقد اطلع الباحث على ذلك الجزء المتبقى من كتاب العذرى الآنف الذكر وافاد منه فى حديثه عن الجغرافيا وازدهار علومها فى عصر الطوائف ، ويبدو من محتويات الكتاب مقدرة العذرى الفائقة فى الكتابه الجغرافيه ، فهو يضيف الى وصفه الجغرافى للمواقع والمدن والمسافات معلومات مهمه عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعيه ، وهذه القطعه المتبقية من كتاب " ترصيع الاخبار " التى اطلع عليها الباحث تعرضت لعوامل التآكل والاهتراء مما مثل حائلا بين الاستفادة من محتوياته جميعا . والجدير بالذكر ان عبد العزيز الأهوانى قام على تحقيق قطعه من كتاب العذرى ، ولا نعلم على وجه القطع هل هى القطعه التى اطلعنا عليها ام انها قطعة اخرى ، ومهما يكن فأن الباحث قد أفاد من تلك القطعه التى تمثل كما اشرنا سابقاً السفر الرابع من كتاب " ترصيع الاخبار " ٤ - " العمل بالاسطرلاب " تأليف أحمد بن عبد العزيز ابن الصفار

(ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) . وابن الصفار هذا من تلاميذ العلامة الكبير مسلم بن أحمد المجريطى الذى أنجب تلاميذاً كباراً فى الرياضيات والفلك ، وكان ابن الصفار وصديقه ابن السمع اشهرهم . وابن الصفار عاش معظم حياته فى عصر الخلافة ، ولكنه قضى بعض حياته فى عصر الطوائف والتجأ الى دانيش قاعة مجاهد العامرى ، وخلف ابن الصفار بعض الكتب فى الفلك من اهمها كتابه المذكور الذى يبدوا انه لقي اهتماماً كبيراً فى العصور الوسطى فقد ترجمه بلاتوتير تينوس الى اللاتينية فى الثلث الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، كما ترجم الى اللغة العبرية ، والكتاب يكشف لنا عن مدى ما وصلت اليه حال الدراسات الفلكية حتى بداية عصر ملوك الطوائف ، ويقدم خلاصة ما انتهى اليه علم ابن الصفار فى الميدان التطبيقى للدراسات الفلكية من خلال العمل بالاسطرلاب . ويتضح لمن يقرأ مخطوط أبى الصفار مدى ما كان يتمتع به من علم واسع ونظر ثاقب وحس علمى رفيع فى التعامل مع تلك الآله الفلكية المهمة ، وقد نشر هذا المخطوط مياس بياكروزا - فى مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد (١) . ، ولكن تبين ان هناك اختلافاً كبير بين مانشره بياكروزا وتلك النسخة التى اطلع عليها الباحث ومهما يكن فأن ماتضمنه الكتاب من معلومات فلكيه تضيئ لنا الطريق لنلمس جهود اولئك العلماء الافذاذ .

(ب) المصـادر :

يأتى فى مقدمة المصادر التى اعتمد عليها الباحث تلك المصادر الاندلسيه التى عاصرت فترة البحث - أو اتت بعده مباشرة وتليها المصادر التاريخيه - المغربيه - أى التى ألفها مؤرخون من المغرب واتصلوا بالاندلس فى حياتهم العلميه وتنقلاتهم . وتأتى بقية المصادر التاريخيه الاسلاميه الأخرى فى المرتبه الثانيه ، ويتصدر قائمه المصادر الاندلسيه مايلى :-

(١) " جذوه المقتبس " للعلامة المحدث المؤرخ محمد بن فتوح الأندلسي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) . والحميدي عاصر فترة ملوك الطوائف في الأندلس ، واخذ عن كثير من العلماء والشيخوخ في الأندلس ، وهو أحد اصداق ابن حزم الظاهري ، وابن عبد البر النمري ، وعنهما اخذ كثيرا من العلوم والمعارف ثم رحل الى المشرق سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م . وبقي فيه حتى وفاته ببغداد ، وتبرز أهمية كتابه في انه عاش الا زدهار العلمي في عصر الطوائف والتقى بعلمائه وشيوخه في كافة حقول العلم ، ولذلك تأتى معلوماته اصدق واوثق المعلومات التي تصور الاوضاع العلمية آنذاك ، ويلمس القارئ لكتاب الجذوه جمال اسلوب الحميدي في تناول من يترجم لهم وصدق حديثه عنهم مع ما الحق بتراجمه من أدب وشعر . هذا الى جانب ما يصوره لنا من خلال بعض التراجم من صور الحياة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي . ويغلب على تراجم الجذوه الاهتمام بعلماء الدين من محدثين وفقهاء وقراء ثم طائفة يسيره من اهل الادب واللغة ، واقل منها عن علماء الرياضيات والطب والفلسفة . وعلى الرغم من هذا فقد كان اعتماد الباحث على ذلك الكتاب كبيرا جدا وخصوصا ما يتعلق بعلماء الدين . .

(٢) " طبقات الامم " للعلامة صاعد بن أحمد الطليطلى (ت ٤٦٣ هـ /

١٠٧٠ م) . وصاعد يعد من علماء عصر الطوائف ، وكتاب المذكور يعد أهم ما صنف عن النواحي العلمية البحتة كالرياضيات والفلك والطب وكذلك الفلسفة والمنطق في عصر الطوائف . وتتضح أهمية الكتاب في ان صاعد الطليطلى التقى بالكثير ممن كتب عنهم في كتابه ، وأخذ عن بعضهم كثيراً من المعارف والعلوم وتحقق من مكانتهم العلمية وما أسهموا به في ازدهار تلك العلوم .

وصاعد الطليطلى صنف كتابه في تاريخ العلوم القديمة عن الامم والشعوب وتناول

فيه دور كل أمة في تطور تلك العلوم والرقى بها وما أسهمت به في ازدهارها — ثم ينتهي الى دور المسلمين في ذلك فيتعرض لعدد كبير من علماء المسلمين في المشرق وما قدموه من دراسات علمية في تلك العلوم ، حتى اذا وصل الى الاندلس وقفنا على معلومات قيمّة عما اضافته الاندلسيون وما قاموا به من دور كبير في دراسة العلوم القديمة ، فيشير الى عدد آخر من العلماء الاندلسيين حسب ما اسعفته به معرفته ومشاهداته . وعلى الرغم من جهده الواسع في ذلك وما قدمه من معلومات مهمة في هذا الصدد ، الا ان صاعداً بلا شك لم يحظ بعدد كبير من علماء الفلك والرياضيات والطب في الاندلس ، وهو ما اعترف به في خاتمة كتابه ، ولكن ذلك لا يقلل من أهمية كتابه ، ولا نبالغ اذا قلنا أنه أهم كتاب في تاريخ العلوم القديمة في الاندلس على وجه الاطلاق .

(٣) " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " للعلامة المؤرخ علي بن بسام

(ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧) ، وهذا الكتاب صنفه ابن بسام في تخليد مآثر قومه

من أدباء وشعراء الاندلس ، بعد أن رأى تهافت الاندلسيين على أدب المشاركة وثقافتهم حتى كادوا ان ينسوا مآثر بلد هم وسير اعلامه . وقد قسم كتابه الذخيرة

الى اربعة اقسام . الأول فى أهل قرطبه وماحولها من وسط الأندلس والثانى للجانب الغربى من الأندلس ، والثالث للجانب الشرقى منه ، والرابع للطارئى على الأندلس .

ولابن بسام فضل عظيم لا ينكر على التاريخ والأدب الأندلسى . فقد احتفظ لنا بالكثير من المعارف والمعلومات التاريخيه عن علماء وأدباء وشعراء الأندلس الذين عاشوا فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى وهننا تبرز أهمية كتابات ابن بسام وقيمتها الرفيعة بالنسبه لموضوع البحث ، ولهذا فقد كان هذا الكتاب فى مقدمة الكتب التى استند اليها الباحث فى كتابه الذخير ، وخاصة مايتعلق بالحياه الادبيه . كما ان الكتاب الذخير قيمة تاريخيه كبيره غابن بسام قد احتفظ لنا بنصوص كثيره للمؤرخ الكبير ابن حيان الذى فقدت كتبه التاريخيه ولم يثبق منها سوى قطع محدود ، ولهذا فأن لابن بسام فضل لا ينكر فى انه تدارك البعض من جهود ابن حيان وكتاباته التاريخيه التى عدا عليها الدهر وطواها الزمان فأنقذها من الضياع والعدم . .

(٤) كتابى قلائد العقيان ومطمح الأنفس ، للمؤرخ الاديب الوزير الفتح بن محمد بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م) . وابن خاقان ولد سنة ٤٨٠ هـ — / ١٠٨٢ م . على ارجح الأقوال ولهذا تبدا أهمية كتابه المذكورين من علماء وأدباء وشعراء الأندلس . وخصوصاً ان كتاب قلائد العقيان ضمنه تراجم أدباء الأندلس فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى والربع الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . وابن خاقان يماثل ابن بسام فى الهدف الذى سعى اليه من تأليف كتابه الذخير ، وهو الغيره على الأدب الأندلسى وسير ادبائه - ، وقد صرح بذلك فى كتابه مطمح الأنفس

ويعتبر هذا الكتاب ، أى مطمح الأنفس من المصادر المهمة فى دراسة المجتمع الأندلسى ودراسة أدبه وتبرز أهمية كتابات ابن خاقان وخصوصاً فى المطمح الى أنه انفرد ببعض المعلومات التى لم يذكرها غيره من اصحاب التراجم وابن خاقان فى كتابيه القلائد والمطمح يتحدث عن الأدب أو الشاعر حديثاً عاماً ولا يركز على جزئياته ويورد له بعض أشعاره . وكتابات ابن خاقان تفتقر الى الدقة والمعلومات التاريخية ، وعلى الرغم من ان ابن خاقان يحكم عاطفته وموقفه الشخصى من المترجم له الا ان كتابيه المذكورين يعدان فى مقدمة ما اعتمد عليه الباحث وخصوصاً ما يتعلق بالنواحى الادبيه . .

(٥) الصله . للعلامه خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصارى المعروف بابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٧٢ م) . وقد ادرك ابن بشكوال عدد ٦ من علماء عصر الطوائف كأبى على بن سكره وابن العربى ، فكتب عنهم وذكر سيرهم وانتاجهم العلمى وما اخذه عنهم من روايات واجازات . فقد كان ابن بشكوال من علماء الحديث والتاريخ ، وصنف فيهما عدد ٦ من الكتب يأتى فى مقدمتها كتابه " الصله " الذى لقى قبولا عظيماً فى عصره وماتلاه . وقد اعتمد ابن بشكوال فى تأليف كتابه على الروايه المتواتره والمراسلات المتبادله بينه وبين العلماء ، والاقتباس عن الكتب السابقه فى التراجم ككتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الغرضى الذى جعل ابن بشكوال كتابه الصله تنميماً له ، وكذلك اقتبس عن الجذوه للحميدى . ويركز ابن بشكوال فى تراجمه على رجال الحديث والفقه والعلوم الدينيه الأخرى وعدد ٦ لا بأس به من أهل الأدب واللغه ، كما انه امدنا بمعلومات نفيسه عن سير وحياة العلماء والادباء التى تصور بوضوح الاوضاع العلميه السائده فى عصر ملوك الطوائف - وقد أفاد منه الباحث فائده جليله

فى تراجم علماء الدين واللغة والادب . .

(٦) " بغية الملتبس " للعلامة أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت ٩٩٥ هـ / م) وكان معدوداً فى علماء الحديث والفقه ، وصنف فيهما عدد ٦ من الكتب ولكن شهرته تعود الى كتابه بغية الملتبس الذى صنفه فى تراجم علماء الفقه والحديث من أهل الأندلس . والضبى حينما ألف كتابه البغية نقل معظم كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، وهو يعتبر ما صنفه تكميلاً ووصلاً لما صنفه الحميدى الذى اعتبر كتابه أفضل ما كتب فى التراجم ، ولكنه أيضاً اضاف الكثير من التراجم الجديدة لعدد من العلماء . ويغلب على كتاب الضبى ذلك الاهتمام الذى لازم ابن الغرضى والحميدى وابن بشكوال ، وهو العناية بتراجم علماء الدين من فقهاء ومحدثين وقراء وبعض أهل الادب وقلما نلمس فى كتابه غير هؤلاء وتبرز أهمية كتاب الضبى فى ابرازه بعض المعلومات الهامة التى لم ترد فى كتاب الجذوة للحميدى ، ولهذا فقد اعتمد الباحث على كتابه بغية الملتبس فى تراجم بعض علماء وادباء عصر الطوائف .

(٧) " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك " للقاضى

عياض بن موسى بن عياضى اليحصبى السببى من أهل المغرب (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) . وكان اجداده نازلين فى بسطه بالاندلس ثم نزلوا المغرب حيث استوطنوا فاس فسبته وبها ولد عياض واخذ علومه عن شيوخها ثم سافر الى الأندلس واخذ عن الكثير من شيوخها من محدثين وفقهاء حتى نبغ فى الحديث التى جانب اللغة والتاريخ والأنساب وصنف كثيراً من الكتب فيها ، ويهمنى منها كتابه ترتيب المدارك الذى صنفه دافعاً عن المذهب المالكى وتخليداً لأعلامه ومآثرهم العلميه . وقد صدر كتابه هذا بفضل عمل أهل المدينه وترجيحه على

غيرهم ، ويورد فى سبيل ذلك أدلة وبراهين كثيرة . ثم يأخذ فى تراجعهم اتباع المذهب المالكي . مبتدئاً بالامام مالك بن أنس ، رحمه الله ، وحياته العلمية تم تلاميذه وانتشار المذهب شرقاً وغرباً ، وهو فى كل ذلك يعرض مصنفاتهم وجهودهم العلمية . ويعتبر هذا الكتاب موسوعة شاملة لا يستغنى عنها أى باحث فى تاريخ المذهب المالكي واتباعه وما انتجوا فيه من مصنفات فقيهيه ، ولهذا فقد اعتمد الباحث عليه فى الحديث عن العلوم الدينية وبعض اهل اللغة والادب . .

(٨) " الغنية " فهرست شيخ القاضى عياض " للقاضى عياض المذكور وقد سبقت الاشارة الى ان القاضى عياض من اعلام المحدثين وانه سافر الى الاندلس واخذ عن محدثيها وفقائها وصحب الكثير منهم فى حياته العلمية ولهذا فقد رأى ان يصنف فى شيخ هؤلاء كتابه " الغنية " ذاكراً لاسمائهم وكل ما اخذه عنهم من روايات واجازات ، وقد ابتدأ فى كتابه ذلك بمن أسمه محمد ثم تلى ذلك ترتيب الاسماء الأخرى على الحروف الهجائية ، وقد ترجم لثمانية وتسعين شخصاً ، ومن بينهم عدد من علماء الأندلس شهدوا عصر الطوائف ، ولهذا فقد كان هذا الكتاب مصدراً جيداً لمعلومات الباحث فيما يتعلق بعلوم الدين وغيرها . .

(٩) " الحلة السيرة " للعلامة محمد بن عبد الله من ابى بكر القضاء المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م . كان من علماء اللغة والتاريخ والحديث والقراءات والأدب ، وكان متطلعاً الى الجاه والمناصب مما كان سبباً فى نهايته المؤلمة اذ انه بعد ان قضى شطراً من حياته فى مدينة بلنسية اضطر للخروج عنها بعد وقوعها فى يد الاسبان ، فسار الى تونس وحل محلاً رفيعاً فى دولة سلطان

تونس . ونظراً لما عرف عنه من اعتداد بالنفس وحدة في لسانه فقد ألب عليه بعض الحاقدين في بلاط السلطان فسعوا به للسلطان وزعموا انه يدبر مؤامره سياسيه ضد السلطان الذي أمر بالقبض عليه ثم قتله واحرق مصنفاته . وكتاب الحلة السيرة من اعظم ما صنفه ابن الأبار من كتب التراجم وقد قسمه على فترات زمنية بحسب القرون من القرن الاول الهجرى الى القرن السابع الهجرى ، وترجم فيه لأهل الادب والشعر من الأمراء وغيرهم من اعلام الأدب والشعر . وكانت الفائده منه عظيمه فيما يتعلق بتراجم المائة الخامسة والرابع الأول من القرن السادس ، اذ تطرق الى اعداد كبيره من ادباء وشعراء الأندلس وأشار الى نماذج من آثارهم الادبيه . .

(١٠) " المعجم " لابن الأبار أيضاً . وكتابه هذا من أهم ما كتب في تراجم علماء الأندلس ، وكان الذى حذاه الى تصنيف هذا الكتاب ما ألفه القاضى عياض فى شيخ استاذه ابي على الصدفى ، فرغب ابن الأبار فى اكمال ما صنفه عياض وابن الباريمدنا بمعلومات دقيقه عن حياة من يترجم له فيذكر تاريخ ميلاده ووفاته وشيوخ وتلاميذه . الإشارة الى البلد الذى نزل به ، وابن الأبار يرتب اسماء من يترجم لهم على حروف المعجم ، ويعد هذا الكتاب فى مقدمة ما اعتمد عليه الباحث ، وخاصة ان ابا على الصدفى الذى صنف الكتاب فى تراجم شيوخه ومؤلفاتهم العلميه معدوداً فى علماء عصر الطوائف ، بل يعتبر من كبار علماء الحديث فى ذلك العصر . وقد تحدث عنه الباحث فى ميدان الحديث فى ذلك العصر . كما تحدث عن شيخ ابي على الصدفى الذين عاصروا فترة ملوك الطوائف ، ومن هنا تتضح أهمية الكتاب لموضوع البحث . ولهذا فقد استند اليه الباحث استناداً كبيراً فى الحديث عن المحدثين والفقهاء والقراء . .

(١١) " تكملة الصلة " لابن الأبار أيضا ، وهذا الكتاب يشتمل على معلومات تاريخية نفيسة ، ويحوى اشارات مهمة جدا عن علماء الأندلس وسيرهم ومصنفاتهم ، ولا يستغنى عنه أى باحث فى تاريخ الحضارة الإسلامية فى الأندلس . وتبدو لنا أهمية الكتاب اكثر اذا علمنا ان مؤلفه ابن الأبار قضى فى تأليفه عشرين سنة وقد قصد به اكمال الصلة لابن بشكوال . ولكن ابن الأبار لم يقتصر على تلك المهمة بل عاد فى الكثير من التراجم الى ما قبل تلك المرحلة . فتقصى تراجم من اغفلهم ابن بشكوال والحميدى وابن الفرضى وقد اعتمد فى تأليف كتابه على من سبقه من اهل التراجم والطبقات . وابن الأبار يمدنا فى عدد من مواضع كتابه بمعلومات دقيقة ومهمة عن خيلة من ترجم لهم من العلماء والادباء توضح لنا حقيقة ما كانت عليه حال العلم والعلماء كما انه ضمن كتابه العديد من الاشارات التاريخية القيمة التى انفرد بها كحديثه عن سوق الوراقين باشبيلية ، ولهذا فكتاب تكملة الصلة يعتبر فى مقدمة ما اعتمد عليه الباحث فى كتابة هذا البحث . . كما ان الباحث اعتمد على بعض الكتب الاخرى لابن الأبار لكنها تقل اهمية عما سبق ذكره ككتاب المقتضب من تحفة القادم . .

(١٢) " المعجب " للمؤرخ الأديب عبد الواحد المراكشى (حيا ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) . والمعلومات التاريخية عنه قليلة جدا ، فهو من مواليد مراكش عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . وتلقى علومه فى فاس ثم رحل الى الأندلس واتصل بملوك وامراء الأندلس آنذاك ثم رحل الى المشرق سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م . حيث التقى بعدد من العلماء هناك ، ويبدو انه ادركته الوفاة بالمشرق لانه انقطعت اخباره بعد ذلك . وكتابه المعجب يعد من أهم ما كتب عن تاريخ الأندلس وخصوصا عن عهد الموحدين . وتبرز أهمية الكتاب فيما اشتمل عليه من معلومات قيمة عن أهل العلم

والأدب ، وكان تأليفه لذلك الكتاب استناداً الى ذاكرته ومحفظة عن تاريخ الأندلس والمغرب ونزولاً عن رغبة احد الوزراء فكان آنذاك لا يملك بين يديه من الكتب ما يسعفه على كتابة مصنفه التاريخي لذلك فهو احياناً يشير الى عدم وثوقه ببعض ماورده بالاضافة الى ذكره انه يجهل اسما بعض الشخصيات التي كتب عنها . ومهما يكن فكتابه يمتاز بقيمة علمية كبيرة لموضوع البحث لانه يمدنا بمعلومات هامة عن عدد من رجال السياسة والعلم والادب في عصر الطوائف كالمعتمد بن عباد ، والمظفر بن الافطس وعلمه الواسع ، ومجاهد العامري ، وكذلك اهل الادب والشعر امثال الشاعر ابن عمار ، وابن زيدون ، والفقيه ابن حزم الظاهري وسعة علمه ومصنفاته والاديب ابن عبدون وشعره وقوة حافظته وغير ذلك وبناءً عليه فقد ركن اليه الباحث في استيفاء العديد من نقاط البحث فيما يتعلق بالعلوم والآداب ، وفيما يتصل بالفيتنة في قرطبة والضالعين فيها . . .

(١٣) " المغرب في حلى المغرب " لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) وهذا الكتاب الذي اعتمد عليه الباحث هو القسم الثالث الخاص بالأندلس المسمى " وشى الطرس في حلى جزيرة الاندلس " والقسمان الآخران يتعلقان بمصر والمغرب ، والكتاب ألفه بالموارثة ستة ادباء على امتداد مائة وخمسة عشر عاماً ، وقد تداولوه بالاضافة والتنقيح ، وكان الذى وضع نواة الكتاب الأديب محمد بن ابراهيم الحجارى - الذى وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطة (سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) . فآكرمه وقربه وطلب منه تأليف كتاب فى تراجم ادباء الاندلس وانتاجهم الادبي فصنف له " المسهب فى غرائب المغرب " ثم نقحه عبد الملك وتابعه ابناؤه بالزيادة والاضافة والتنقيح حتى تم اخراج الكتاب فى صورته النهائية على يد الأديب المؤرخ على بن موسى بن سعيد .

ومنهج ابن سعيد يقوم على ترتيب مواد كتابه على البلاد ، فهو عندما يذكر بلداً من البلاد ان يذكر كوره ويتحدث عنها ويبيدئ بكرسى مملكتها بحسب مالدیه عنها من علوم ومعرفة وما يتعلق بها من خصائص جغرافيه ومعدنيه ، ومن تداولها من الحكام ، ثم يتحدث عن طبقات خمس هي : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء ، وطبقة العلماء ، وطبقة الشعراء ، وطبقة اللفيف - أى من ليس له نظم ولا يحسن اغفاله . وفى هذا الكتاب قسم الاندلس الى غرب ووسط وشرق وافرد لكل منها كتاباً . هذا وكتاب المغرب يعد من اهم ما اعتمد عليه الباحث من كتب التراجم ، وخاصة تلك الكتابات التى كتبها الحجارى وهو العلامة الذى أدرك فى شبابه عصر ملوك الطوائف وماضيه من أهل العلم والادب . . .

وجدير بالذكر ان الباحث اعتمد أيضاً على بعض الكتب الاخرى لابن سعيد ككتاب "المقتطف" و "رايات المبرزين"

(١٤) "البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشى (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) ، والذى يهمننا من موسوعته التاريخيه التى تقع فى أربعة أجزاء . هو الجزء الثالث الذى يشتمل على تاريخ ملوك الطوائف وأحوالهم وسيرهم جميعاً . وكانت حاجة الباحث اليه ماسه فيما يتعلق بأحداث الفتنه وما نجم عنها من نتائج بالاضافه الى ما أمدا بنا به ابن عذارى من معلومات تاريخيه عن كثير من الجوانب السياسيه والعسكريه التى تهمننا فى الفصل الأول من البحث ، هذا الى جانب ما انفرد به ابن عذارى من كتابات تاريخيه عن ملوك الطوائف وما أسهم به من جهد عظيم فى الحفاظ على بعض آثار من سبقه من المؤرخين الذين انقرضت كتبهم ومصنفاتهم ، ومن بينهم العلامة ابن حيان الذى حفظ له ابن عذارى نصوصاً تاريخيه عن ملوك

الطوائف . .

(١٥) " الاحاطه فى اخبار غرناطه " للوزير المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) . كان وزيراً فى دولة بنى الأحمر بغرناطه ولحقته محن وتهم افضت به الى السجن . ومن ثم القتل ، ولكنه كان عالماً جليلاً متفنناً فى علوم مختلفه فكان اديباً شاعراً طبيباً فيلسوفاً مؤرخاً ، وصنف فى ذلك كتباً مختلفه من اشهرها كتاب " الاحاطه " . والكتاب ليس تاريخاً محدد لمدينة غرناطه ، وانما هو موسوعة كبيره لما يتصل بهذه المدينه من أوصاف وأخبار واحداث منذ دخول المسلمين اليها وحتى عصر المؤلف ، وتعرض فى كتابه لمن نزل غرناطه أو عرج عليها من أديب أو عالم أو كاتب أو فيلسوف أو ملك أو أمير ، وذلك على طول تاريخها . وابن الخطيب يسير تقريباً على الترتيب الابجدى لمن يترجم لهم . وقد اعتمد على كتابات من سبقه من المؤرخين واصحاب التراجم . وهو ما أشار اليه فى مقدمة كتابه . ويعد كتاب " الاحاطه فى اخبار غرناطه " من أهم المصادر التى أفاد منها الباحث فى دراسة كثير من الشخصيات العلميه والأدبيه ، بالإضافة الى ان كون غرناطه قاعده مملكة من ممالك الطوائف فقد توفرت عن احوالها السياسيه والعلميه كثير من المعلومات فى ذلك الكتاب والتى اسعفت الباحث فى اتمام بحثه وانجازه . ولا ننسى ان ابن الخطيب احتفظ لنا بنصوص تاريخيه للمؤرخ القدير ابن حيان القرطبى . . .

(١٦) الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصله - لمؤلفه محمد بن محمد

بن عبد الملك الانصارى المراكشى (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) . والكتاب يمثل قاموساً عاماً لرجال الأندلس ومن رحل اليها من المغاربة والمشاركه حتى اواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . ولا ريب ان ابن عبد الملك بـذل

جهداً واسعاً وعظيماً في تأليف هذه الموسوعة الشاملة لعلماء وأدباء أهل الأندلس في مختلف العصور . ويلاحظ في كتابه تفاوت التراجم بين الاقتضاب والايجاز تبعاً لخصائص الشخصيات العلمية والأدبية لا تحظى منه بسطر كامل ، ففي حين ان البعض الآخر قد تحتل ترجمته أكثر من عشر صفحات . كما ان ابن عبد الملك لا يذكر في كثير من تراجم كتابه تاريخ المولد والوفاء . وهي ظاهرة تمثل وجهاً سلبياً للكتاب وابن عبد الملك اشار في مقدمة كتابه الى جهود من سبقه من المؤرخين واصحاب التراجم واعتمد على كتبهم اعتماداً كبيراً في تصنيف كتابه ، وعلى أي حال فالكتاب رغم ما يعتوره من وجوه النقص الا انه من الكتب المهمة التي حظيت باهتمام وعناية الباحث طوال مرحلة البحث . .

(١٧) " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " تأليف أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ٤١٠ هـ / ١٦٣١) وكان المقرئ من مواليد مدينة تلمسان ونشأ وتلقى علومه بها ثم ارتحل الى مدينة فاس فطلب العلم بها حتى برز كعالم كبير ، وفضل الإقامة بها مدة من الزمن ، ثم مال الى ارتحل الى مصر ثم الحجاز ثم الشام حيث نزل دمشق ثم عاد الى مصر ، لكنه مال الى ظروف معينه ان عزم على العوده الى دمشق ، غير أن المنية ادركته بمصر . واما كتابة " نفح الطيب " فهو من أعظم ما ألف عن الأندلس منذ دخول المسلمين اليها وحتى خروجهم منها . واشتمل الكتاب على ذخيره هائلة من المعلومات المتطقه بالتاريخ الأندلسي وحضارته وكان المقرئ يقصد في البدايه من تأليفه ان يقصره على حياة ابن الخطيب الغرناطي ثم رأى من تمام الفائدة ان يكتب عن تاريخ الأندلس وحضارته لتكون الصورة عن ابن الخطيب أجلى وأوضح ، وتبرز جهود المقرئ في كتاباته التاريخيه الأندلسيه - رغم استطراده كثير لفسي

استخدام تلك المادة العلمية فى تصوير الحياه السياسيه والاجتماعيه عن الأندلس والمغرب . وتزداد أهمية الكتاب اذا علمنا ان المقرئ ألف كتابه اعتماداً على كثير من الكتب التاريخيه التى فقدت . وقد قسم المقرئ كتابه الى قسمين : القسم الأول - يتعلق بالأندلس وتاريخها العام . والقسم الثانى - فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب . وكان القسم الأول هو معتمد الباحث وموطن اهتمامه لأنه حفل بالكثير من المعلومات والنصوص الهامه عن تاريخ الأندلس ومنه بطبيعة الحال عصر ملوك الطوائف . ، وقد أسهم الكتاب فى تغطية كثير من نقاط البحث . واستند اليه الباحث فى العديد من الجوانب المتعلقة بتاريخ الأندلس فى عصر ملوك الطوائف ومن ظهر فى بلاطاتهم من اعلام المعرفه والأدب . .

(١٨) ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض - وقد صنفه المقرئ الأنف الذكر اثناء اقامته بمدينة فاس . ورغم ان المقرئ قصر كتابه على ترجمة القاضى عياض الا انه استطرد الى جوانب تاريخيه وحضاريه واسعه للأندلس والمغرب ، ومن مميزات هذا الكتاب انه حفل بالكثير من الأخبار والنصوص المغربيه والاندلسيه التى لانجدها فى " نفح الطيب " ولا فى غيره من الكتب المطبوعه حتى الآن ومنهج المقرئ هذا الكتاب يماثل منهجه فى كتابه نفح الطيب الذى صنفه فى ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، والمغربى ينهج خطة مميزه فى ترجمته لشخصية القاضى عياض فهو يعنى عناية تامه بالتفاصيل ويسعى الى جمع المعلومات عنه وعن اسرته وهل لهم فى العلم والرياسة نبأه ثم يتحدث عن صباه وشبابه وكهولته . ثم يذكر شيوخه وتآليفه وصلته مع أهل عصره . والكتاب حافل بالمعلومات المهمه عن علماء الأندلس وآثارهم العلميه وخامسة ما يتعلق بعصر الطوائف ولهذا فقد افاد منه الباحث فائده جليله فى بحثه . والكتاب فى خمسة اجزاء .

(١٩) " مقدمة ابن خلدون " للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) . وابن خلدون أشهر من أن يعرف ، وتعود شهرته
الحقيقية الى كتابه " المقدمة " والتي صنفها في علم الاجتماع واحوال الدول
والعمران البشرى والعلوم واصنافها والتعليم وطرقه وغير ذلك . وقد افاد
منها الباحث فائده كبيره فيما يتعلق بتاريخ التعليم في الأندلس ، كما افاد
منها فيما يتصل ببعض العلوم ومن اهمها علم الكيمياء وابرز المشتغلين بها
في الأندلس فقد أحتفظ لنا ابن خلدون بمعلومات مهمه لا نجد ها في الكتب
الأخرى وخاصة تلك الرسائل العلميه في الكيمياء التي بعث بها ابو بكر بن
يشرون الى صديقه ابن السمح . .

(٢٠) هذا وقد اعتمد الباحث على كثير من كتب الطبقات والتراجم
العامه ، ومن بينها كتاب " عيون الأنباء " في طبقات الأدباء " لابن أبي اصيبعه
(ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) . ويعتبر هذا الكتاب موسوعة حافله في تراجم اطباء
العالم منذ عصر اليونان وحتى عصر المؤلف . والذي يهم الباحث منه الجزء
المتعلق باطباء الأندلس وخصوصاً أولئك الذين عاشوا عصر ملوك الطوائف
وعلى الرغم من أن أبي اصيبعه يعتمد في كتابة هذا الجزء على ما كتبه صاعد
الطليطلى في كتابه طبقات الأمم ، الا أنه امدنا بمعلومات مهمه عن بعض اطباء
الأندلس لم يتطرق اليها صاعد . وعلى هذا فقد اعتمد الباحث على هذا
الكتاب اعتماداً كبيراً في رسم صورته جليه عن تاريخ الطب والاطباء في عصر
الطوائف . .

(٢١) " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ /
١٢٨٢ م) . ويعد هذا الكتاب من أهم . بل لا نغالي اذا قلنا - أنه اهم

ماصنف من كتب التراجم العامه حتى منتصف القرن السابع تقريباً . وقد رتب ابن خلكان على حروف المعجم ليتسنى الرجوع الى تراجمه بسهولة ويسر وابتدأ بذكر من أول أسمه الهمزة ويشير الى انه لم يذكر فيه احداً من الصحابه أو التابعين رضى الله عنهم ، سوى جماعة قليلة يرى ضرورة التعريف بهم وكذلك الخلفاء اكتفاءً بما كتب عنهم من الكتب ، وعمد الى تراجم من كان له شهرة من الناس وهو فى ذلك حريص على ذكر مولد ووفاة من يتوهم لهم مع ذكر مايتعلق بذلك من شعر أو نادره أو واقعه ، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير من تراجم رجال الاندلس فى السياسة والعلم والأدب ولهذا فقد استمد منه الباحث الكثير من المعلومات المهمة المتعلقة بملوك وامراء وعلماء الاندلس فى عصر الطوائف . وأخيراً فهذه أهم المصادر التى اعتمد عليها الباحث فى كتابة موضوعه عن " الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف فى الاندلس " وهناك حشد كبير من المصادر الاخرى التى افاد منها الباحث واسهمت فى انجاز هذا البحث والخروج به على الصورة المطلوبه ، وسيجد ها القارئ مثبته فى آخر الرساله .

ج - المراجع:

على الرغم من ان المصادر اسهمت بالقدر الأعظم والنصيب الأوفر فى
انجاز البحث الا ان الباحث لم يستغن ايضا عن الدراسات الحديثه حول موضوعه
فرجع الى قائمه طويله من المراجع العربيه والاجنبيه ، ويأتى فى مقدمته
الكتب المصنفه فى حضارة الأندلس وتاريخها الفكرى ، ككتاب " تاريخ الفكر
الأندلسى " لأنخل جنثالت بالنشيا ، تعريب حسين مؤنس . والكتاب المذكور من
أهمها كتب عن التاريخ العلمى والادبى للأندلس ، على الرغم من ان مؤلفه
غفل الكثير من المعلومات الهامه عن تاريخ العلم فى الأندلس ، وفات عليه
ذكر كثير من اعلام المعرفه وهذا عائد الى محاولته تغطية العصر الاسلامى
كله فى الأندلس . .

وهناك كتاب " التربية الإسلامية في الأندلس " لخوليان ريبيرا ، وفيه فصول
ممتعة عن جوانب التعليم في الأندلس والنظم التعليمية المتبعة آنذاك ، كما
انه تضمن معلومات قيمة عن الكتب والمكتبات في الأندلس ، وعاد الباحث إلى
كتاب " حضارة العرب في الأندلس " لليفي بروفنسال الذي كتب فيه فصلاً مهمه
عن الوان النشاط الحضاري المادي والفكري للمسلمين في الأندلس . وافاد
الباحث من كتاب " الاسلام في اسبانيا " للطفي عبد البديع ، والكتاب رغم صغر
حجمه الا انه كبير الفائدة عظيم النفع . وافاد الباحث ايضاً من كتب الحضارة
الاسلامية العامة ككتاب " حضارة العرب " لغوستاف لوبون الذي التزم بالصدق
والنزاهة في اغلب كتاباته عن الحضارة الاسلامية ، وكذلك كتاب " شمس العرب
تسطع على الغرب " للكاتب الالمانيه زيغريد هونكه التي اندفعت الى تأليف

ذلك الكتاب بمنزلة الاعجاب والاحلال لدور العرب في تقدم الحضارة الانسانية . كما افاد الباحث من كتاب " تراث الاسلام لآرنولد وآخرين ، وهو الكتاب الذي ضم فصولاً مختلفه عن العلوم الاسلاميه وتطورها كالطب والصيدله والرياضيات والكيمياء ، وكتاب " اثر الثقافه الاسلاميه في تكوين الانسانيه " لروبرت بريفالت ، وكتاب " العلوم في الاسلام " لسيد حسين نصر . ولا تفوتني الاشاره الى اعتماد الباحث على عدد من المراجع المتعلقة بتاريخ الأدب الأندلسي ككتاب " تاريخ الادب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين " ل احسان عباس وكتاب " في الأدب الأندلسي " لجودت الركابي ، و " الادب الأندلسي " لأحمد هيكل ، وكتاب " دراسات في الادب الأندلسي " لسامي العاني ، و " الادب - الاندلسي بين التأثير والتأثير " لمحمد رجب بيومي ، و " ديوان الموشحات " لمحمد زكريا . .

وفيما يتعلق بالجوانب السياسيه في البحث فقد افاد الباحث من كتب مختلفه ، منها كتاب " دول الطوائف " لمحمد عنان - وكتاب " التاريخ الأندلسي " لعبد الرحمن الحجي ، وكتاب ملوك الطوائف - لرينهارت دوزي - ترجمة كامل كيلاني . وكتاب " اشبيلية في القرن الخامس الهجري " لصالح خالص . .

ومن المراجع الأجنبية غير المترجمه مايلي :-

- (1) Titus Burckhardt : Moorish Culture in Spain. Translated by Alisa Jaffa.
- (2) Jan Real : The Moors in Spain and Portugal.
- (3) S.M. Imamuddin: Muslim Spain, 711 -1492. A.d.
- (4) S. P. Scott : History of the Moorish Empire in Europe. Vol. III.

وهناك مجموعة من المقالات يأتي في مقدمتها :-

مقال : حسين مؤنس : الجغرافيه والجغرافيون فى الأندلس ،
مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمديره ، العدد الثالث

ج ٧ - ٨ - سنة ١٩٥٥ م .

مقال : رامون منندث بيدال : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحيه
والاسلام ، مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمديره ج ١ .
مقال : عباس الجراوي : اثر الأندلس فى اوربا فى مجال التفهم
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر . العدد الأول ١٩٨١ م
مقال : عبد المجيد التركي - موقف ابن حزم الاصولي- من منطق
ارسطو منشور فى كتاب اعمال ندوة الفكر العربى والثقافه
اليونانيه ، منشورات كلية الآداب بالرباط . سلسلة ندوات
ومناظرات رقم ٥ - ١٩٨٠ م .

مقال : جمال محرز : التصوير فى الأندلس بالمجله التاريخيه المصريه
المجلدان (٩ - ١٠ ، ١٩٦٠ م - ١٩٦٢ م) .

هذا وفى الختام نود ان نشير الى اننا قد اثبتنا فى آخر البحث قائمه
بكل مارجع اليه الباحث من المصادر والمراجع العربيه والأجنيبيه والمقالات فى
سبيل اخراج هذا البحث بالصوره التى هو عليها . . وبالله التوفيق ،،،،،

الفقه الإسلامي

عوامل ازدهار الحياة العالمية ومظاهرها
في عصر ملوك الطوائف

(الفصل الأول)

(سقوط الخلافة الاموية وقيام ممالك الطوائف)
~~~~~

- \* الفتنه وسقوط الخلافة الأموية .
  - \* اثر الفتنه على الحركة الفكرية .
  - \* زوال وحدة الأندلس وقيام ممالك الطوائف .
-

( ١ ) الفتنة وسقوط الخلافة الاموية  
=====

كان تقلد عبدالرحمن بن محمد بن ابي عامر لشئون الدولة بعد وفاة اخيه المظفر عبد الملك ايذاً ببدء مرحلة سياسية جديدة في الاندلس، فان اباه المنصور ومن بعده المظفر كانا على جانب من الالتزام بتقاليد المحجابه مراعيان للخليفة حقه وحرمة بالرغم من سيطرتهم على مقاليد الحكم والتصرف في شئون الدولة . وهذه الصفات المذكورة افتقدتها عبدالرحمن الذي عرف عنه قصر النظر وسوء التدبير وسرعة التهور في معالجة الامور فسارع حين توليه الى الخليفة هشام المغلوب على امره وطلب منه ان يوليه ولاية العهد من بعده ، مما فتح عليه باباً واسعاً من الفتن والفتن انتت بمصرعه على ايدي خصومه من بنى امية الثائرين على نفوذ العامريين في الدولة وتمكن زعيم هؤلاء الثور محمد بن هشام بن عبد الجبار من قتل عبدالرحمن وخلع هشام المؤيد ومن ثم تسلمه لسدة الامر بتوليه الخلافة وتلقيبه نفسه بالمهدي (٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م) ، ولكنه لم ينعم بحاله اذ ثار عليه هشام بن سليمان ابن عبدالرحمن الناصر بجموع البربر لكن الاخير لقي مصرعه على يد المهدي (١) في الاسر .

وجدير بالذكر ان تشير الى ان البربر لعبوا دوراً هاماً في هذه الفتنة فنحن نعلم ان العامريين كانوا شديدي الاعتماد على هذا العنصر الذي عظمت شوكته وقوى عوده في دولة بنى عامر، ولما آلت الامور الى ما ذكرنا فمن

---

( ١ ) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٧ - ١٨) - المراكشى : المعجب (ص ٦٤ - ٦٥) - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ (ص ٧٠) وما بعدها ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس (ص ٦٦ - ٦٧) - المقرئ : نفح الطيب ج ١ (ص ٤٢٤) وما بعدها - السيد عبدالعزیز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (ص ٣٤٣) وما بعدها - عبدالكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس (ص ٢٠١) وما بعدها - محمد عنان : دولة الاسلام في الاندلس (الخلافة الاموية والدولة العامرية) (ص ٦٤٤ - ٦٤٥) .

الطبيعى ان خصوم العامريين خصوم للبربر ايضا وهو ما يفسر موقف المهدي محمد بن هشام من البربر وماسلكه معهم من مسالك الثأر والانتقام الداميين<sup>(١)</sup>.

ولما أحاق بالبربر سوء العذاب من المهدي وانصاره ولوا وجوههم نحو منافسه وعدوه هشام بن سليمان الآنف الذكر، غير ان الامر لم يتم لهم بنجاح فسارعوا الى موالة سليمان بن الحكم الذى لم يرعارا فى طلب عون النصارى ومساندتهم وسار بهم مع انصاره الى قرطبة حيث دارت معركة شرسة بينهم وبين اهل قرطبة بزعامه المهدي، وتعرف هذه المعركة بوقعة قنتيش وانتهت بهزيمة ساحقة للقرطبيين و مقتل الاف منهم من بينهم كثير من العلماء واخيار الناس وعامتهم وفر المهدي الى طليطلة<sup>(٢)</sup>.

ويشير ابن حيان الى عموم مصاب اهل قرطبة بقوله (كان بعض الظفراء يقول : من كل طبقة اخذت وقعة قنتيش حتى من اهل الباطل)<sup>(٣)</sup>.

ومما ينبىء الانسان من صور التخاذل والضعف اللذين نخرا فى كيان السلطة الاسلامية فى الاندلس ولينتهيا بها الى الفناء والزوال ما كان يسلكه كثير من حكامها وبالاخص فى هذه الفترة العصيبة وماتبعتها من عصر الانقسام وتصدع الجبهة الاسلامية من الارتقاء فى احضان ملوك النصارى واستعانتهم بهم فى نزاعاتهم العسكرية والسياسية ولعل سلوك سليمان بن الحكم ثم خصمه المهدي محمد بن هشام فيه اثبات لما اشرنا اليه وهى ظاهرة سنجد ههنا واضحة وجلية فى ميدان العمل السياسى والعسكرى لملوك الطوائف.

(١) انظر، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٧٨ - ٨١)، المقرئ : نفح

الطيب ج ٦ (ص ٤٢٧).

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١، ج ١ (ص ٤٣)، الحميدى : الجذوة

(ص ١٨)، المراكشى : المعجب (ص ٦٥)، ابن عذارى : البيان

(ص ٨٣)، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين (ص ٣٥٠ -

٣٥١)، محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس (الخلافه والعامرية)

(ص ٦٤٦ - ٦٤٧).

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق ١، ج ١ (ص ٤٤).

وكان سليمان الملقب بالمستعين واتباعه من البربر قد دخلوا بعد تلك الواقعة الى قرطبة، ولكن الامر لم يستقر له فما لبث ان زحف اليها المهدي بقوات من النصارى حيث اصطدم الفريقان فى موضع يعرف بعقبسة البقرسنة ( ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م ) وانجلى المعركة عن هزيمة سليمان وانصاره ودخل المهدي قرطبة ليخرج منها ثانية مقاتلا لخصومه من البربر الذين ساحوا فى انحاء البلاد يسلبون وينهبون ثم اتجهوا الى الجزيرة الخضراء فاتبعهم المهدي بقواته ومن يسانده من النصارى والتقى الطرفان فى وادى آره حيث هزم فيها وفر الى قرطبة مع ثلثة من اصحابه الناجين فتبعهم المستعين والبربر وحصروا قرطبة . وعند ما ضاقت بالمهدي السبل عمد الى المكر وذلك باخراجه الخليفة هشام المؤيد ومبايعته وحث الناس على ذلك ونصب نفسه حاجبا للخليفة، ولكن ذلك لم يجده شيئا فقد تفاقم الخطب داخل المدينة وتباحث رجال القصر من الفتيان فى الامر ورأوا ان يقضوا على اصل الفتنة ومثيرها وهو المهدي، وكان يتزعم هؤلاء الفتيان واضح الصقلي الذى استطاع قتل المهدي وتنصيب نفسه حاجبا للخليفة هشام وبذلك انتهى حكم المهدي الذى دام تسعة اشهر .<sup>(٢)</sup>

ويشير ابن عذارى الى سيرة المهدي بقوله : ( . . . ) وهو مع هذا كله فى انهماك وانتهاك، مظاهرا بالفسق وشرب الخمر ومضيقا على اهل قرطبة

- 
- ( ١ ) وادى آره من احواز مريله الى الجنوب الغربى من الاندلس وتبعد مريله عن مالقه ستين كلم غربا . انظر الحميرى : الروض المعطار ( ص ٥٣٤ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ج ١ ، ق ١ ( ص ٤٤ - ٤٥ ) ، الحميدى : الجذوة ( ص ١٨ - ١٩ ) ، الضبي : البغية ( ص ٢٢ - ٢٣ ) ، المراكشى : المعجب ( ص ٦٥ - ٦٦ ) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ ( ص ٩٤ - ٩٥ ) وما بعدها المقري : النفع ج ١ ( ص ٤٢٨ ) ، وانظر ابن الكردبوس : تاريخ المقري الاندلس ( ص ٦٧ - ٦٨ ) ، عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ( ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ) ، محمد عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ( الخلافة الاموية والدولة العامية ) ( ص ٦٤٨ ) .



(١) ومفترسا للتجار . . .

وهكذا نرى ان هذا الامير المغامر الذى زرع الفتنة وأجج نارها كيف عم بلاؤه الاندلس ولم يسلم منه عامة الناس من اهالى قرطبة، فان جميع ما كان فيه من ترف ومتع ولهو كان مصدرة شقاء الناس وظلم التجار واستنزاف حقوقهم واموالهم . ولا نعجب فى سرعة زوال سلطانه ومقتله فان سلوكه المنحرف قد قاده الى الفشل وذهب ريعه .

وفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م دخل المستعين ومن معه من البربر مدينة قرطبة، وكان بصحبته اثنان من العلويين هما القاسم بن حمود واخوه على بن حمود ويرجعان بنسبهما الى ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على بن ابي طالب .<sup>(٢)</sup>

ولما كان الخليفة هشام محاصرا بقرطبة مع المهدي وعند ما احس بالخذلان والضعف عهد الى على بن حمود بولاية عهده واوصى اليه بالخلافة من بعده رجاء ان يلم به شعث ماتفرق ويجمع به كل ماند من انصر آبائه او ممن يوالى الخلافة القرشية وعهد اليه باخذ ثاره ممن يعتسب

(١) البيان المغرب ج ٣ (ص ٩٩) ، وفيه انظر بالتفصيل احداث الفتنة وسيرها وما اصاب قرطبة من جراء ذلك من تدهور واضطراب سياسى واجتماعى كبيرين .

(٢) شكك المواعيني فى كتابه المخطوط (ريحان الالباب، ورقة ١٣٩ ب) فى صحة نسبهم بقوله (وثار كل وال فى مكات وانتزى فى موضعه وظهر القاسم بن حمود ويزعم انه من ولد فاطمة) والحق انه بذلك قد جانب الصواب فان نسبهم الى على بن ابي طالب صحيح وحق . كما انه جانب الحقيقة باشارته الى ان القاسم هو الذى ثارا ولا قبيل اخيه على والصحيح ان عليا ثار قبل اخيه القاسم وتولى الاخير بعد وفاته مقاليد الامور فى قرطبة كما سيأتى توضيحه .

(١)  
عليه .

ولا يعلم على وجه التحديد كيف كانت نهاية هشام المؤيد ، ولكن يقال ان المستعين لدى دخوله قرطبة احضره ووبخه بسبب نكته لما اتفقا عليه من تسليم الخلافة للمستعين ومبايعته له بالخلافة واعتذر عنه هشام بانـه مغلوب على امره ثم غاب خبره عن الناس فلا يعلم اقـتله سليمان المستعين ام انه فر خارج قرطبة .<sup>(٢)</sup>

وبعد ان استقر الحال بالمستعين اخذ يولى قواده ورجاله البلدان والمدن المختلفة فولى على بن حمود سبتة وطنجة ، واخاه القاسم الجزيرة الخضراء . ولما رأى على بن حمود سوء الاحوال واضطراب الامر فى الاندلس داخله الطمع فى الاستيلاء على مقاليد الامور فى الدولة خاصة بعد استناده على رسالة هشام المؤيد التى تنص على توليته العهد من بعده وهكذا فقد استنفر انصاره ومواليه من البربر حيث كون منهم جيشا زحف به الى مالقه فاحتلها ومنها توجه الى قرطبة ، فخرج اليه المستعين بجيشه وانتهت المعركة باند حار الاخير واتباعه ووقوعه هو وبعض من اهله فـفى الاسر ، حيث اتهمهم على بن حمود بقتل الخليفة هشام المؤيد فقتلوا جميعا .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٣٧ - ٣٨) ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٠) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١١٤) ، محمد عنان : مرجع سبق ذكره (ص ٦٥٣) .
- (٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٣٧) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١١٣) ، المقرئ : النفح ج ١ (ص ٤٢٩) .
- (٣) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٣٨ - ٤١ - ٤٢) ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٠) ، المراكشى : المعجب (ص ٦٧ - ٦٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١١٤) وما بعدها ، المقرئ : النفح ج ١ ، (ص ٤٢٠) ، السيد عبد العزيز سالم : مرجع سبق ذكره (ص ٣٥٦ - ٣٥٧) ، محمد عنان : مرجع سبق ذكره (ص ٦٥٨ - ٦٥٩) .

وهكذا نستشف تردى الاوضاع وشيوع الاضطراب والقلاقل من خلال الدراسة العميقة لسلوك اولئك المغامرين او الطامحين لسدة الامر، ونجد من بين مايلفت النظر فى سير اولئك الثوار انعدام الوفاء والصدق بينهم وبين اتباعهم، وهو انعكاس صادق لمرآة الاوضاع السياسية آنذاك . ونضرب مثلاً على ذلك موقف الفتى واضح من مولاة المهدي والذي دبر عملية اغتياله والقضاء عليه، وكذلك نلمس ذلك فى موقف على بن حمود من الخليفة المستعين وهو - اى الخليفة - الذى ولاه بنفسه على سبته و طنجة، وكذلك كان مقتل على بن حمود على ايدى اتباعه كما سوف نرى . ولكن منطوق الصراع والمغامرة السياسية لا يؤمن بالمثل والاخلاق والمبادئ، وقد اشار المؤرخ الكبير ابن حيان الى هذا المثل الاخير بقوله :

(قدمه على مدينة سبته . رأيا ذهل عنه ونبذها الى عند له مكاشح شريك فى الدعوى والقراية، فتلقفها على تلقف الاكياس المقبلين، ودب لمغبونه سليمان من مثلها الضراء دبيب الحنق الموتور، حتى هجم عليه وسلبه ملكه وحول دولته ومزق عترته، وكانت غلطة سليمان التى لم يستقلها هو ولا من بعده واذا اراد الله شيئا امضاه) <sup>(١)</sup> .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٣٨)، وقد نقل هذا النص بتحريف ابن عذارى فى كتابه البيان ج ٣ (ص ١١٤) .

### العلويون يتقلدون الخلافة في قرطبة

دخل على بن حمود قرطبة بعد انتصاره على المستعين وأعلن نفسه خليفة على المسلمين ، ولكن الزمان لم يصفو له فقد قتله اتباعه من الصقالبة بالحمام سنة ٤٠٢ هـ ليتولى اخوه القاسم الامر من بعده . وقد عرف هذا بحسن السيرة ووداعة النفس فامن الناس في عهده الا انه في سنة ٤١٢ هـ ثار عليه ابن اخيه يحيى بن على بن حمود بمالقه ففر القاسم الى اشبيلية ودخل يحيى قرطبة ومالط يسيرا حتى غادرها بعد سماعه مقدم عمه اليه بجيش كبير من البربر سنة ٤١٣ هـ . واستقر القاسم بقرطبة شهورا مضطرب الحال مع اهل قرطبة الذين انتهزوا خروجه في بعض شأنه فاوعدوا ابواب مدينتهم في وجهه ومن معه من البربر فحاصروهم قرابة شهرين حتى خرج اليهم اهل قرطبة فانفض عنه اتباعه وتوجه الى اشبيلية حيث كان فيها ابنه محمد والحسن ولكن الاشبيليين اخرجوهما من مدينتهم وقد موا على حكمها ثلاثة من اعيان المدينة ، وهم ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ومحمد بن يريم الالهاني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزنهدى وكان الثلاثة يعملون شراكة في تدبير البلد وسياسته حتى غلب محمد بن اسماعيل على صاحبيه واستبد بالامر وانتهى الامر بالقاسم بن حمود الى وقوعه اسيرا بيد ابن اخيه يحيى بن على ، ثم بوفاته لدى ادريس بن على لتكون خاتمة الموت خنقا سنة ٤٣١ هـ .<sup>(١)</sup>

( ١ ) الحميدى : الجذوة (ص ٢٢-٢٣-٢٤) ، الضبي : البغية (ص ٢٧-٢٨-٢٩) ، المراكشى : المعجب (ص ٧٧-٧٨-٧٩) ، ابن عذارى البيان ج ٣ (ص ٢٢، ٢٤) ، المقرئ : النفح (ج ١ ص ٤٣١-٤٣٢) وانظر محمد عنان : دولة الاسلام في الاندلس (ص ٦٦٣-٦٦٤) .

بنو أمية ومحاولاتهم استعادة الخلافة  
 ~~~~~

الخليفة عبد الرحمن بن هشام
" المستظهر "

كان لموقف القرطبيين الساخط من القاسم بن حمود دلالة واضحة على مابلغته حالهم و اوضاعهم السياسية من ضعف وانحطاط ترتب عليه كثير من الفتن والعاسى الجمة التى لم تسلم منها دار فى قرطبة تقريبا . ولهذا نرى اهلها يسارعون حثيثا الى عقد اتفاق يخص على ان يرد امر الخلافة - باعتبار مدينتهم هى مركز الخلافة - الى بنى أمية ، واختاروا من هؤلاء ثلاث شخصيات هم : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، وهو اخو المهدي مشعل الفتنة وسليمان بن المرتضى ، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام . واستقر اختيارهم على الخليفة من بين هؤلاء على عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار فبايعوه بالخلافة وتلقب بالمستظهر سنة ٤١٤ هـ / ١٣١٤ م . وقد حضر اجتماع المبايعه مؤرخنا الكبير ابن حيان و وصفه كما رآه ^(١) .

وكان المستظهر موصوفا بالادب والبلاغة ، وانه لم يكن فى اهل بيته من يدانيه منزلة سواء فى الادب او السياسة ^(٢) .

ورغم ماكان عليه المستظهر من تلك الاوصاف الا انه عرف عنه الوان من الظلم والتعسف ضد الرعية (لايقع بيده درهم الا من صباية مستغل جوف

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٤٨) ومابعدها ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٥ - ٢٦) ، المراكشى : المعجب (ص ٤٧) ومابعدها ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٣٦) ، المقرئ : النفح ج ١ (ص ٤٣٥ - ٤٣٦) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٤) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٤٨ ، ٥٥) ، الحميدى : الجذوة (ص ٢٦) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٣٦) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٣ .

المدينة او نهب مغلول ممن تقلقل عنها ، يقيم منه رمقه ، ويفرق جملة على من
تكنفه من جنده و دائرته ويتطرق الى مايقبح من ظلم رعيته ، فلم يلبث الامر
ان تغرى به فسقك دمه ، وانحسم الامل فى دولته^(١).

وهكذا يلص المتتبع لتلك الاحداث الناجمة عن الفتنة ماكانت عليه
اوضاع الاندلس عامة و العاصمة قرطبة على وجه خاص من تصدع وانهيار فى
الكيان المعنوى للرعية ، وانعدام للثقة فى كفاءة حكامهم و رعاتهم ، وكان
احداث الفتنة قد ولدت لدى اولئك الناس صورة قاتمة لمن يتولى امرهم من
الخلفاء الذين لم يكن لاحدهم من المزايا والاستعدادات المناسب لتسلم
مهام القيادة ، فافتقدوا الشخصية القوية المحنكة التى تستطيع ان تجبر
الصدع البين فى الكيان السياسى للدولة وتعيد الثقة للرعايا . . هذا الى
جانب ماكان للعصبية البغيضة من اثر فى اذكاء روح الفتنة بين العرب
والبربر . وهو السبب الهام الذى ادى الى مقتل الخليفة المستظهر . كما
ان بريق السلطة وزخرفها دفع الطامعين الى ذلك الصراع المرير من اجل
الوصول الى ذلك الشأن من غير نظر فى العواقب او افصاح للمجال لمن
تتوفر فيهم صفات الزعامة وشروطها . حتى نجد احدهم وهو امية بن
عبد الرحمن بن هشام الذى ثار على آخر خليفة اموى يطلب من اهل قرطبة
ان يبائعوه بالخلافة بدلا من المعتمد فقالوا له (انا نخاف عليك فى هذا
اليوم القتل لما نرى من انقلاب الناس عليكم ، فقال : لهم امية بايعونى انتم
اليوم واقتلونى غدا ، حرصا منه على الخلافة^(٢)).

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٥١-٥٢) ، مما نقله عن ابن
حيان ، وانظر سبب مقتله وكيفية حصول ذلك فى نفس المصدر والجزء
(ص ٥٣) وما بعدها .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٥٠-١٥١) .

الخليفة محمد بن عبد الرحمن المستكفي

كان اهل قرطبة قد نالوا درسا قاسيا مرا من تسلط البربر وطغيانهم ابان الاحداث المؤلمة فى عهد المهدي وسليمان المستعين ومن أثنى بعدهم من بنى حمود ولكنهم تمكنوا من طرد البربر ودحرهم عن مدينتهم ولما تسلم المستظهر مقاليد الحكم غفل او نسي هذه الشاعر الكامنة فى نفوس رعيته واستقبل اعيانا من البربر اكرم مثواهم وانزلهم دار ملكه مـ اسخط القرطبيين واحنقهم فاحاطوا بقصره وقتلوا ضيوفه من البربر، وشعر المستظهر آنذاك بخطورة موقفه فاستخفى فى موضع فى القصر . وهنا يظهر ابن عمه محمد بن عبد الرحمن ويتسلم مقاليد الحكم بدلا منه بمبايعة اهل قرطبة ويتلقب بالمستكفي ويؤتى للخليفة الجديد بالمستظهر فى حالة يرثى لها مرتاعا فزعا فيأمر بقتله .^(١)

ولعل ما اشرنا اليه من مطابقة حال هؤلاء الخلفاء بما هم عليه من الاوضاع السيئة وان هيبة الخلافة قد زالت بغير رجعة، وان هؤلاء الخلفاء ليسوا بخلفاء الاعلى انفسهم فقط، يشبهه ما ذكرناه من سيرهم الى جانب ماأورده ابن حيان عن مدة خلافة المستظهر بقوله (سبعة واربعين يوما، لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمت عليه جماعة، ولا تجاوزت دعوته قرطبة)^(٢) .

ولم يكن المستكفي بالذى ترضى سيرته مع نفسه فكيف بها مع الناس فقد تضافر المؤرخون ممن تطرقوا لسيرته على وصفه بالتخلف والبلادة والعجز وسؤال التدبير حتى اشار اليه احدهم بانه لم يكن له رأى فيما ورد وصدر وانما

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ (ص ٥٣ - ٥٤ - ٥٥) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٣٨ - ١٣٩) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٦ وما بعدها) .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق ١ ، ج ١ (ص ٥٥) .

(١) كان بلية بعثه الله على اهل بلده .

كما انه لم يهتم بما فيه صلاح دولته ورعيته فقد كان همه وشاغله
(٢) لا يتعدى بطنه وفرجه .

الخليفة هشام بن محمد (المعتد بالله)

من الطبيعي وهذه سيرة الخليفة المستكفي ان لا يقوى شأنه ولا يصمد حكمه امام رياح التغيير التي كانت تعصف بعاصمة الاندلس وتياراتها المتقلبة بين عشية وضحاها . فقد خلعه اهل قرطبة بعد ان قضى في خلافته البائسة ستة عشر شهرا ، وعادت قرطبة الى حوزة علي بن علي بن حمود . الا ان اهل قرطبة خلعوا طاعته سنة ١٧٤ هـ / ٢٦٠ م واعادوا النظر في اعادة الخلافة الى بني امية ، وكان يتزعم سياستهم الوزير ابن الحزم جمهور من محمد بن جهور، ولما تدارسوا امرهم بينهم عمدوا الى مبايعة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر فبايعوه سنة ١٨٤ هـ / ٢٧٠ م وكان آنذاك مقيما بالبونت^(٣) لدى حاكمها محمد بن عبد الله بن قاسم

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٤١) ، وفيه تفصيل لسيرته وقبحها وانظرا ايضا الحميدى : جذوة (ص ٢٧) ، المراكشى : المعجب (ص ٨٥ - ٨٦) ، محمد عنان : دولة الاسلام في الاندلس (الخلافة العامرية) (ث ٦٦٧) ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (ص ٣٦١) .

(٢) لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٣ .

(٣) البونت : امانة صغيرة بالقرب من شنتمرية الشرق ، وتقع في وسط الطريق بين قسطلونة وقونقه ، على مقربة من نهر طوريه (محمد عنان : دول الطوائف ص ٢٦٠) ، وسوف نتحدث عنها كاحدى ممالك الطوائف التي قامت بعد زوال الخلافة الاموية .

وعلى الرغم من مبايعته بالخلافة الا انه لم يدخل قرطبة الا سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م بسبب ترده وانغماسه فى بعض الاحداث هناك، وتلقب فى خلافته بالمعتد بالله، ولكن أنى لها ان يثبت شأنه ويستقر حاله وقد تمرس كل منغمس فى الفتنة بالتمرد والعصيان و انتهى به الحال الى ان خلعه الجند وازالوا سلطانه سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م^(١).

ويشير المراكشى الى مدى مالحق هذا الخليفة البائس من ويسلات وتكبات وشقاء فانه اخرج واخرجن نساؤه معه من القصر حاسرات عن اوجهن حافيات الى الجامع على هيئة سبايا، وان ذلك الخليفة اقام ومعه نساؤه على هذا الوضع اياما يتصدق عليهم الناس بالطعام والشراب حتى خرج باهله يجول فى انحاء الاندلس، واستقر به النوى فى كنف ابن هود فى سرقسطه حيث توفي فيها سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م^(٢).

ولكن هل يعود اهل قرطبة فيسندون الامر الى اى من بنى امية ؟ الحق ان الناس فى قرطبة قد استمروا علقم الاحداث وهان عليهم ان يخلعوا ويبايعوا فى وقت واحد حتى يققوا على الخليفة القوى المحنك القوى فى غير عنف واللين فى غير ضعف، ولكن اوضاعهم لم تسمح بذلك وكان الزمن آلى الاياتى بامثال خلفاء العصر الذهبى مع تقديرنا التام لسنة التطور السياسى والاجتماعى للمجتمع الاندلسى . وحينئذ لم يعودوا يثقون باحد من اهل هذا البيت الغابر مجده، البائس حاضره، فنادوا فــــى الاسواق والمحافل والمجالس العامة بان لا يبقى بقرطبة احد من الامويين

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٢٧ - ٢٨) ، المراكشى : المعجب (ص ٨٧ - ٨٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٤٥) ، وهو الذى حدد سنة خلعه ، وانظر سبب ذلك (ص ١٤٦) ، وكذلك المقرئ : النفح ، ج ١ ، (ص ٤٣٨) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٦٨ - ٦٦٩) .
(٢) المعجب (ص ٨٨ - ٨٩) ، وابن الاثير : الكامل ج ٧ ، (ص ٢٩٠) ، وانظر تفصيل هذه الاحداث فى البيان المغرب ج ٣ (ص ١٥١) وما بعدها .

ولايأويهم احد^(١) . ومن هنا غار امل الناس في الخلافة وتبددت احلامهم في عودة امثال الناصر والمستنصر والمنصور وبرز الى السطح المغامرون والطامعون يقتطعون من هذا الكيان السياسى كل على قدر بأسه وقوته وماضيه ففى الجاه والثراء والسلطان .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٩٠) ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ (ص ١٥٢) ، محمد عنان ، دولة الاسلام في الاندلس (الخلافة والعامرية) (ص ٦٦٩) ، السيد عبدالعزيز سالم : مرجع سابق (ص ٣٦٣) .

عوامل سقوط الخلافة الاموية

من الحق علينا ان نشير فى ختام هذا الموضوع الى اهم العوامل —
والاسباب التى ادت الى انهيار الخلافة الاموية وزوالها ، فمن المعروف ان
المجتمع الاندلسى كان يتألف من عناصر مختلفة عرب وبربر وصقالبة ، ومولدون
ويهود ، ونصارى وغيرهم . وكانت كل هذه الفئات تفضل العيش والحياة فى
محيط خاص بها ، فيلاحظ الدارس للتاريخ الاندلسى ان العنصر الغالب على
مدينة قرطبة هم العرب ، والعنصر الغالب على اشبيلية وطليطلة هم
المولدون ، والعنصر الغالب على غرناطة وقرمونة و مالقه هم البربر .^(١)

بل ان جغرافية الاندلس وماتميزت به من امتداد سلاسل جبالها من
المشرق او الشمال الشرقى الى الغرب او الجنوب الغربى قد شكل حواجزا
ودروبا يصعب اجتيازها آنذاك ، واصبحت الاندلس بذلك اشبه باقاليم منفصلة
وهو ما ساعد اهلها على النزعة الانفصالية والثورات الداخلية .^(٢)

ومن بين تلك العوامل مواقف الخلفاء من العنصر العربى ، فقد كانت
سياستهم منذ بداية دولتهم على يد عبد الرحمن الداخل هى اقصاء العنصر
العربى واضعافه والاعتماد على العناصر الاخرى مثل الصقالبة والموالى
وتوليتهم المناصب والقيادات الهامة فى الدولة .

ولما تولى الخلافة عبد الرحمن الناصر سلك هذا الطريق وحدث ان هزم
هزيمة مروعة فى معركة الخندق سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م وكان السبب فى ذلك

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين و اثارهم فى الاندلس
(ص ٣٦٤) ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى
(ص ٢٣) .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق (ص ٣٩٤) ، ج ٢ ، وانظر سعد
شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٢٦) .

تخاذل الجند العربى الذى فعل ذلك انتقاما من الخليفة لتقريبه الصقالبة وفتيانهم وفي ذلك يقول مؤلف مجهول (واستمد بغير الكفاة واغـاظ الاحرار فى اقامة الانـزال ، كـجـدة الحـيرى واصحابه الاوغاد فقلده عـسكره وفوض اليه جليل اموره والجأ اكابر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند امره ونهيه)^(١) .

ولما اتى المنصور بن ابي عامر تابع الامويين فى اقضاء العرب واقصى معهم الصقالبة ولم يستبق منهم غير عدد قليل ، واعتمد بالدرجة الاولى على البربر حتى انه استدعى من قبائلهم اعدادا كبيرة فجندهم فى دولته واحلهم محل العرب فى المراتب والمناصب .^(٢)

فلم تكـد الاحوال ان تضطرب بعد مقتل عبد الرحمن حتى ظهرت بوادر الثورة والغضب المكبوتة من هذه القوى الثلاث فزالت دولة بنى امية سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م ، وتمكن العنصر العربى من الاستيلاء على معظم مدن الاندلس وقواعدها الكبيرة ، فى حين نال البربر بعض الامارات فى جنوبى نهر الوادى الكبير ، وتمكن الفتيان العامريون من بسط نفوذهم على معظم البلاد الشرقية .^(٣)

كما ان من بين عوامل انهيار الخلافة الاموية ما جبل عليه بعض خلفائهم من عنف وشدة فى سياسة رعاياهم ، فان هذا الاسلوب الذى سلكه عبد الرحمن الداخل ضد العنصر اليمنى دفع زعيمهم ابا الصباح بن يحيى اليـحصـبى الى الثورة على الدولة الاموية ، ولم تنطفئ تلك الثورة بمقتل ابي الصباح بل زادت تـأجـجا . فقد شار من بعده حيوة بن ملاس الحضرمى

(١) اخبار مجموعة (ص ١٥٥) .

(٢) الامير عبد الله التبيان (ص ١٦) ، المقرئ : النسخ (ج ١ ، ص ٣٩٧)

وانظر جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ (ص ٤٩٦) ،

محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢) .

(٣) محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٢ - ١٣ - ١٤) .

وعبد الغافر اليحصبي في اشبيلية ولم يستطع عبد الرحمن اخمادها الا بصعوبة^(١)
وغير هذه كثير من الامثلة .

وعليه فان سياسة الرفق واللين و الحكمة في استخدام القوة هي
خير سياسة لدوام الملك واستمالة الرعية و اكتساب حبها وثقتها ، وقد اشار
ابن خلدون الى ان الملك اذا كان قاهرا متسلطا عم الخوف و الفزع رعيته
وادى ذلك الى اضرارهم المكر له والغش في النصيحة فلا يصدقوا في
مواطن الشدة معه فتفسد الاحوال و تضطرب الاوضاع ، واذا كان رفيقا عادلا
رحيما اكتسب ثقتهم و مودتهم و صفت له سرائرهم فاخلصوا له و صدقوا معه
في كل حال .^(٢)

ويمكن ان نضيف الى تفسير ضعف الدولة الاموية وسقوطها هو التطور
السياسي و الاجتماعي للاندلس ، فان خضوع كثير من المدن الاندلسية
الكبرى لسيادة قرطبة لم يعد ممكنا بعد ان تطورت الاوضاع الاجتماعية
ونشأ فيها كثير من الفئات الارستقراطية المحلية التي تعمقت جذورها
في الوسط الاجتماعي لكل من تلك المدن والتي اتسعت بدورها ونمت نمووا
سريعا بحيث ان السيطرة عليها غدت في حاجة الى سلطان قوى نافذ
وخليفة حازم ، ولكن مع الاسف فان تلك الفترة كانت باوضاعها المتردية
واحوالها المظعظة تهيئ تلك المدن والقواعد الاندلسية للون آخر من
الوان السياسة والادارة ، فكان طبيعيا استقلال تلك المدن واصرارها على
ادارة شئونها بنفسها .^(٣)

-
- (١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة (ص ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨) .
(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ١٨٨ - ١٨٩) .
(٣) صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري (ص ٢٣) .

ومن بين التفسيرات لسقوط الخلافة الاموية ضعف اعتقاد المسلمين في الاندلس بصحة خلافة بنى امية، بعكس العباسيين الذين هم ارسخ قدما في الخلافة لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا التفسير قال به جورجى زيدان^(١)، ومع تقديرنا لرأيه الا انه جانب الصواب فى شىء منه على الاقل فان بنى امية وبنى العباس يعودون جميعا الى قريش والمسلمون يعلمون ان الخلافة فى قريش سواء كانت لهذا ام ذاك من تلك القبيلة ولكن ما حدث فى الاندلس يخالف ما قاله ذلك الكاتب، فالقرطبيون بذلوا محاولات كثيرة ومتكررة لاعادة الامر لبنى امية، لكن الامر لم يستقم لمن كانوا يبايعونه من الخلفاء، فقد كانوا ضعافا غير محنكين لم تتوفر فيهم اصول القيادة وشروطها، وهو ما زاد النار اشتعالا وعمق الصراع السياسى والاجتماعى فى الاندلس لينتهى الحال باقصاء بنى امية عن سدة الامر لتفادى الفتن والقلاقل واوكل الامر لبنى جمهور الذى اسس زعيمهم ابو الحزم حكومة تشبه فى نظامها نظام مجلس الشورى لتستقر فى عهده الاوضاع ويتنفس الناس الصعداء باختفاء تلك الفتنة المدلّمة، وهكذا نلّمس ان سقوط العنصر الاموى لم يكن عن ضعف اعتقاد بصحة خلافتهم، وانما الامر عائد الى مجموعة من العوامل اشرنا اليها آنفا .

(١) تاريخ التمدن الاسلامى، ج ٢ (ص ٤٩٦) .

(٢) اثر الفتنة على الحركة الفكرية

يدرك من يطالع بامعان تاريخ هذه الفترة العصبية ان المجتمع الاندلسي قد اصاب اصابة بالغة في وحدته وتماسكه ، وان الكثير من ابنائه بل الآلاف منهم التهمته نار هذه الفتنة وقضت عليه سواء كان من مباشريها او ممن ناله شرارها الطائش ، وقد احسن ابن بسام بقوله في اهل قرطبة وما حولها ممن عانى نار هذه الفتنة وأذاه قتلها (اصبحوا طرائد سيوف وجلاء حتوف ، وقد خلعهم لين العيش على خشنه واسلمتهم غفلات الزمان الى محنه ، يلوذون بآفاق هذه الجزيرة المنكوبة ، لواذ الماء باقطار الزجاجة المصبوبة فكانوا كما وصف الملك الضليل :

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كوكب^(١)

وفي هذا الوضع تميزت فئتان عن الجميع ، فئة تمثل بعض الفقهاء ممن كانوا يتزلفون الى ذوى الشأن ، فيقدمون لكل حادثة فتوى ، وينسجون الذرائع في سبيل رضا من يتقربون اليهم من الحكام . والفئة الاخرى هم الشعراء الذين لم يكن لهم من التطلعات الا الحصول على دراهم معدودة او صلة مجزية بغض النظر عن مراعاة القيم والمبادئ ، فتحول الفن الجميل بسلوكهم هذا الى تجارة وتكسب شأنهم شأن صنوف التجار من عطارين وبزازين وغيرهم ، وفي وضع كهذا اعتزل الغيورون على دينهم وقيمهم ، وصنف اقتحم منهم ذلك الخضم وصاح فيهم بكلمة الحق فكان جزاؤه السجن او الموت ، وهناك من ارتضى منهم الفرار بجلده عن حماة الفتنة وآثامها الى المدن الاخرى .^(٢)

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٩ - ١٠) .
 (٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٥٨ - ٥٩) ، وانظر حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات بمدريد ج ٩ - ١٠ (ص ٩٥٨ - ٢٥٩) ، جودت الركابي في الادب الاندلسي (ص ١٦١ - ١٦٢) .

ولعل من اقصى ما لحق ذوى العلم والمعرفة من وراء هذه الاحداث المؤلمة هو الهلاك والقتل ، فقد قتل مئات من العلماء والادباء وخسـر بهلاكهم العلم اتباعا مخلصين ، ومن بين هؤلاء ما اشار اليه ابن حبان من انه هلك فى وقعة قنتيش من المؤدبين اكثر من ستين مؤدبا ، مما حـرم تلاميذهم من مواصلة تعليمهم او تعطيلهم لفترة طويلة^(١) .

وفى تلك الوقعة ايضا (ذهب فيها من الخيار وائمة المساجد والمؤذنين خلق عظيم)^(٢) .

ونعثر على اسم العلامة الفقيه المحدث ابوالوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضى بين اسماء الشهداء من العلماء آنذاك ، وابن الفرضى هو صاحب كتاب " تاريخ علماء الاندلس " وكان من ضحايا الهجوم البربرى الذى تعرضت له قرطبة سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م . ومن الطريف ان نشير الى انه قد حدث عن نفسه بانه تعلق باستار الكعبة وسأل الله الشهادة ثم داخله فزع من القتل فهم بان يستقيل ربه عن ذلك الدعاء ويدعوه بالامان لنفسه الا انه استحى ولم يرجع فى ذلك . يقول ابو محمد بن حزم (اخبرنى من رآه بين القتلى ، ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف وهو فى آخر رمق لا يكلم احد فى سبيل الله ، والله اعلم بمن يكلم فى سبيله ، الا جاء يوم القيامة وجرحه يثغيب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد فى ذلك . قال ، ثم قضى نحبه على اشر ذلك)^(٣) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٤٣ - ٤٤) .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٨) .

(٣) الحميدى : الجذوة (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) ، الضبى : البغية (ص ٣٣٤ -

وفى وقعة قنتيش فقد العلامة محمد بن عبد السلام التدميرى الذى وصفه ابن حيان بالورع والعبادة والتفنى فى العلوم والآداب .^(١)

وفى معركة عقبة البقر استشهد الفقيه القاضى محمد بن عيسى المعروف بابن البريلى من اهل تطيله ، وكان قاضيا وعرف عنه العلم والصلاح والشجاعة ، وكان يرى باجتهاده ان ينظم الى اتباع المهدي محمد بن هشام فلقى حتفه فى تلك المعركة التى انكسر فيها المهدي .^(٢)

وانضم الى قافلة شهداء تلك الفتنة الاديب محمد بن احمد بن يحيى المعروف بابن الفضال القرطبي ، وكان موصوفا بالنباهة والذكاء ، ولقى مصرعه فى عقبة البقر ايضا .^(٣)

وكان لكثير من هؤلاء العلماء مواقف واضحة ومحددة من تلك الاحداث وكانوا يرون من خلال الاوضاع وسير الاحداث وحسب مايملى على احدهم اجتهاده ان يتخذ له موقعا يشارك به فى معالجة الامر واصلاحه بحسب فهمه ونظره لذلك ، ومن هؤلاء غير ماتقدم الفقيه محمد بن سعيد اللـه السرى الذى رأى ان البربر هم عنصر الفتنة ووقودها ، ولذا فانه عند اقتحام هؤلاء مدينة قرطبة كان ابن السرى شاهرا سيفه ومستقبلا لهم وهو يقول : الى يا حطب النار ، طوبى لى ان كنت من قتلاكم ، حتى قتلوه يوم الاثنين السادس من شوال سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م .^(٤)

ولم يميز البربر فى هجومهم على قرطبة بين رجال ونساء واطفال وعجزة بل كانوا يقتحمون المنازل ويهاجمون قاطنيها بغير تمييز . ومن

-
- (١) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ (ص ٤٨٨) .
 (٢) ابن بشكوال : الصلاة ج ٢ (ص ٤٨٨) ، وتطيله مدينة فى الشمال الغربى لسرقسطة بينهما ٧٨ كلم . انظر الحميرى : الروض العطار (ص ١٣٣) .
 (٣) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء (ص ٤٨٩) .
 (٤) ابن بشكوال : ج ٢ (ص ٤٨٩ - ٤٩٠) .

المؤسف ان نجد ان من بين تلك المنازل منزل العلامة الفقيه المحدث محمد ابن قاسم بن محمد الاموى القرطبي الذى وصفه ابن بشكوال فقال (كان حافظا للفقه ، ذا كرا للاخبار والشواهد ، بصيرا بالعقود والوثائق ، وكان حليما اديبا ، ظريفا جميل المشاركة لآخوانه ، حسن الاخلاق سمحا ، قضاء^(١) للحوائج) .

وعند ما هاجم البربر داره وقف مناضلا مستبسلا يذود عن اهله وولده حتى قتل بداخل منزله ، وكان ذلك يوم الاثنين ٦ شوال سنة ٤٠٣ هـ /^(٢)
١٠١٢ م .

واخيرا فلو تتبعنا من استشهد فى احداث الفتنة من العلماء لطال بنا الحديث ، ولكن ما اشرنا اليه فيه كفاية ودلالة واضحة وعميقة على مدى عمق المأساة التى حلت بعلماء قرطبة ومدى ماتمخضت عنه تلك الفتنة من ويلات وكوارث ، وفيه ايضا دلالة على ان كثيرا من العلماء كان لهم مشاركة فى تلك الاحداث ، وكانت تلك المشاركة وليدة اجتهاد ومبدأ اعتنقه هذا العالم او ذاك ظانا صحة رأيه وفهمه مجتهدا فى ذلك ، وهؤلاء العلماء كان سلوكهم سلوكا ايجابيا بعكس من شارك فى تلك الفتنة من ذوى المطامع والمتكسبين بدماء الناس ، وعليه فان تلك الفئة من العلماء اسهمت فى صنع بعض الاحداث وآثرت المشاركة فيها . وهناك فئة من العلماء ارتضت العزلة والابتعاد عن خضم الاحداث حتى اذا سكنت الاوضاع عادت الى الظهور واخيرا فهناك فئة ثالثة رأت من الافضل والاسلم ان تغادر هذه المدينة المنكوبة الى غيرها من مدن الاندلس الاخرى ليتسنى لها مواصلة مشوارها العلمى وحياتها الفكرية وهؤلاء الذين غادروا قرطبة لعبوا دورا جيدا فى

(١) الصلة ، ج ٢ (ص ٤٩١) .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٤٩١) .

نهضة العلوم والآداب في مراكز العلم المختلفة في عصر ملوك الطوائف فخرجهم هذا يعد ظاهرة ايجابية بالنسبة لتلك المدن ، فقد كانوا بمثابة مشاعل علم اضاءت تلك المناطق والاصقاع التي حلوا بها فافادوا اهلها وبشوا فيهم معارفهم وعلومهم المختلفة ، ووجد فيهم ملوك الطوائف مفاخرها ومناقبها سامية لممالكهم فاکرموا نزلهم واغدقوا عليهم الصلات حثا لهم على العلم والتعليم ، ومنحوهم كافة التسهيلات التي كفلت لهم الانصراف للعلم والبحث في وجوه المعرفة المختلفة ، فازدهرت اثر ذلك الحركة العلمية واتت اكلها وكان لها شأن عظيم .^(١)

وكان ابو عامر بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) ممن قاسى اهوال الفتنة وعركته رحاها بثغالها ، ولكنه رغم ذلك لم يهن عليه مفارقة قرطبة ، بل بقي حبس ترابها مشاهدا لاحداثها معاينا لحوالها في تلك الفترة فرأى ما حل بها من خراب وتدمير ونهب وقتل وما ادى اليه ذلك من هجرة اصحابه واخوانه عن قرطبة فنفاها في شعره وبكى ماضيها التليد فقال :

ما في الطلول من الاحبة مخـ	فمن الذي عن حالها نستخبر
لا تسألن سوى الفراق فانـ	ينيبك عنهم انجدوا ام اغوروا
جار الزمان عليهم فتفرقوا	في كل ناحية وباد الاكـ
جرت الخطوب على محل ديارهم	وعليهم فتغيرت و تغـ
فلمثل قرطبة يقل بكاء من	بيكى بعين دمعها يتفجر
الى قوله :	

حزنى على سرواتها ورواتها	وثقاتها وحماتها يتكرـ
نفسى على آلائها وصفائها	وبهائها وسنائها تتحسر
كبدى على علمائها ، حكمائها	ادبائها ، ظرفائها تتفطر ^(٢)

(١) انظر خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ٢١٥) ،

احمد هيكل : الادب الاندلسي (ص ٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

وتمدنا كتب التراجم والتاريخ باسماء كثيرة لعلماء وادباء هجروا قرطبة الى غيرها من المدن والقواعد الاندلسية الاخرى طلبا للامان والسلامة، ولينصرفوا الى واجبهم الحضارى الفعال فى تنوير العقول وتعليم الناس ونشر المعرفة بينهم . من هؤلاء العلامة الفقيه المشهور ابو محمد على بن حزم الذى غادر قرطبة مسقط رأسه بعد الهجوم البربرى عليها والذى امتد ليشمل بيوت آل حزم القاطنين فى بلاط مغيث - وقد لحقهم من وراء ذلك اذى وضرر شديدين - فاسرع ابن حزم يشد رحاله عن المدينة سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م حيث اتجه الى المرية فاقام بها فترة من الزمن كان خلالها يتابع اخبار مدينته المنكوبة ويساءل من مربها عن مستجدات الامور وما من شك ان ماضى بنى امية وامجادهم الغابرة وما حل بهم بعد ذلك كان يثير فيه الحزن ويبعث فى نفسه الاسى ، ولم ذلك ؟ فقد كان هو وآبائاه من مواليهم وتولوا فى حكوماتهم المتعاقبة مناصبا رفيعة، بل ان ابن حزم نفسه تولى الوزارة للمستظهر السابق الذكر، ولعل اهتمامه ببنى امية ومناصرته لهم بلسانه وقلبه منحت خصومه فرصة للنيل منه فاتهموه بالدعوة للامويين واعادة الخلافة اليهم، فسجنه خيران امير المرية شهورا ثم اطلق سراحه فاتجه الى اشبيلية ليغادرها بعد شهر الى بلنسية عندما ظهر بها الخليفة المرتضى (١) .

ومع ان ابن حزم نفى عن نفسه تهمة الدعوة لبنى امية وانها ليست الا افرازا ولدها فقد خصومه فاننا لا يمكن ان نصدق تماما ، فقد كان شديد المناصرة لبنى امية طامحا الى عودة الامر اليهم وانه فعل شيئا من ذلك ودعا

(١) ابن حزم : طوق الحمامة (ص ١١٧ - ١١٨) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٣٩ - ٢٤٠) ، وانظر رسائل ابن حزم الاندلسى تحقيق احسان عباس ج ٢ ، (ص ٢٤٤) وما بعدها ، عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى (ص ٦٩ - ٧٠) ، عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمى (ص ٤٠ - ٤١) .

اليه . وليس هناك من دليل على ذلك سوى انطلاقه بعد اقامته في اشبيلية بضع شهور الى بلنسية لاشي^١ وانما ليكون بجوار الخليفة المرتضى مشيرا له وناصحا له . بل اننا نجد ابن حزم يتولى الوزارة لعدد من الخلفاء^(١) بعد ذلك ومنهم الخليفة المستظهر والخليفة المعتد آخر خليفة اموي . وهذا دليل على الرغبة العميقة المتأصلة في نفس ابن حزم في بقاء هذا العنصر على سدة الخلافة وتعصبه لهم وسعيه لتمكينهم .

ومن بين العلماء المهاجرين عن قرطبة العلامة هشام بن غالب بن هشام الغافقي القرطبي (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م) . وكان من اهل العلم والتفنن في المعارف المختلفة ، ميالا في الفقه الى المذهب الظاهري وعرف بحسن المحاضرة وطلاقة المجلس ، ولما وقعت الفتنة خرج الى غرناطة ثم انتقل منها الى اشبيلية ، وفيها امضى بقية عمره مشغلا بالعلم منصرفا اليه^(٢) .

كما ان العلامة ابا الحسن علي بن الخلف بن بطال البكري (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) شهد احداث تلك الفتنة وخشى على نفسه واهله فرحل الى بلنسية ، وكان متمكنا من علم الحديث حافظا له فصنف فيه كتابا في شرح صحيح البخاري . هذا الى جانب براعته في الفقه حتى انـه^(٣) تولى قضاء لورقه .

وخرج العلامة احمد بن يحيى بن احمد بن سميح (ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م) عن قرطبة آنذاك وقصد طليطلة حيث تولى القضاء بطليبره وسار في

-
- (١) عبد اللطيف شرارة : ابن حزم ، رائد الفكر العلمي (ص ٤٤ - ٤٦) .
 (٢) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٦٥٢) .
 (٣) ابن فرحون : الديباج المذهب (ص ٢٠٤) ، ولورقه من اعمال مرسية بغرب الاندلس . الحميري : الروض (ص ٥١٢) .

الناس سيرة عادلة حسنة، وكان موصوفاً بالعلم والمشاركة في علوم مختلفة في الحديث والفقه والأدب والطب، هذا إلى جانب ما كان عليه من صلاح وتقوى وورع^(١). ولعل ما كان عليه من صفات أخلاقية تفسر لنا سبب خروجه عن قرطبة ومفارقة لحدائشها المؤلمة ومحاولة عدم الانغماس في فتنها. فقد كان ينزع نحو العزلة والابتعاد عن مخالطة الناس ومد اختلهم^(٢).

وكان ابن سميح فوق هذا حريصاً على تجنب ما قد يكون من حرام أو شبهات في العطاء والمال والرزق حتى أنه اشترى بستاناً له يختلف إليه بين آونة وأخرى ليعمل به ويأكل من محصوله^(٣).

ولجأ العلامة عبد العزيز اللخمي الأشبيلي إلى الفرار عن قرطبة ومأكل بها من فتن حيث أنزوى في ضيعة له بمدينة شذونة، وكان يتولى على تلك السواحي أحد أمراء البربر الذي عرف قدر هذا العالم فقرّب إليه وأكرم نزله وفي بلاط هذه الإمارة نشأ ابنه الأديب أبو مروان عبد الملك الذي كان له شأن في بلاط قرطبة لدى حاكمها الفتح بن المعتمد^(٤).

ويشير ابن حيان إلى أحد أصحابه من العلماء وهو الكاتب أبو أمية ابن هاشم القرطبي في معرض حديثه عن مرور شانجة بن غرسية ملك قشتالة بتطيله أيام منذر بن يحيى أمير سرقسطة. وقد أشار ابن حيان إلى أن أبا أمية خرج عن قرطبة أيام الفتنة واستوطن تطيله وأنه كان من ذوي النباهة والفضل^(٥).

-
- (١) ابن بشكوال: الصلة ج ٢ (ص ٥٦-٥٧)، وطلبيره إلى الشمال من طليطلة بينهما سبعون ميلاً. الحميري: الروض (ص ٣٩٥).
 (٢) ابن بشكوال: نفس المصدر والجزء والصفحة.
 (٣) ابن بشكوال: الصلة ج ٢ (ص ٥٨).
 (٤) ابن بسام: الذخيرة ق ٢، ج ٢ (ص ٥٣٣) وما بعدها.
 (٥) ابن بسام: الذخيرة ق ١، ج ١ (ص ١٨٣).

والى جانب هجرة العلماء عن قرطبة وما كان لذلك من ظاهرة ايجابية على سير الحركة العلمية وانتشار نشاطها وامتداد تأثيرها الى مناطق بعيدة جدا عن مركز الخلافة ومترامية الاطراف فى انحاء الاندلس المختلفة نجد بعد ذلك بعدا آخر كان له اعظم الاثر فى انتشار المعرفة ووصولها الى انحاء الاندلس . وهذا البعد العميق الاثر يمثل فى تفرق كثير من الكتب بين الناس حتى قال القاضى صاعد فى ذلك (واضطرتهم الفتنة - اى اهل قرطبة - الى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب، وسائر المتاع . فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس)^(١) .

وهذه الكتب القيمة هى كتب خلفاء بنى امية، ولكن اكثرها كان للخليفة الحكم المستنصر وهو الخليفة العالم المغرم بالمعرفة العاشق للكتب ونفائسها حتى وصف بانه لم يسمع فى تاريخ الاسلام بخليفة ساواه فى اقتناء الكتب وجمعها وايثارها على ماسواها^(٢) .

وبالاضافة الى مكتبة الحكم التى نهبت كان هناك مكتبات كثيرة لعدد من الوزراء والعلماء والوجهاء ومنهم الوزير العالم ابو المطرف عبد الرحمن بن فطيس الذى بيعت كتبه فى الفتنة فى مدة عام كامل بما قيمته اربعون ألف دينار قاسمية^(٣) .

(١) طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠) ، وانظر عن ذلك خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢١٥) .

(٢) ابن الابار : الحلة السيرة ج ١ (ص ٢٠١) وعن كثرة ماحوته مكتبته من الكتب وتعداد ذلك انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب (ص ١٠) وابن خلدون : العبر ج ٤ (ص ١٤٦) ، والمقرئ : النفع ج ١ (ص ٣٨٧ - ٣٩٥) .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١ (ص ٣١٠) .
والدينار القاسمى نسبة الى الامام القاسم بن حمود العلوى الذى حكم قرطبة من سنة ٤٠٨ هـ الى سنة ٤١٢ هـ (١٠١٧/١٠٢١ م) ،
خلال الفتنة . الحميدى : الجذوة (ص ٢٢) وانظر ايضا :

ويذكر قبل ذلك عن العلامة الحافظ عمر بن عبد الله الذهلي الزهراوي (٤٥٤ هـ) الذي عزم ابا الفتنه على مغادرة مدينته المنكوبة فشد ثمانية احمال من كتبه بقصد السفر فلم يتم له ذلك حتى هاجمه البربر ونهبوها (١).

ونذكر مما تقدم وهي امثلة للتوضيح فقط لا الحصر كثرة ما تبعد وتفرق من الكتب في ايدي الناس الذين نشروها بدورهم في مختلف الاصقاع، والتي كانت بانتشارها ذلك اشبه ما تكون بانتشار اشعة الشمس في كل كورة ومدينة وبلدة مما كان له اعمق الاثر في نشر المعارف والعلوم وتيسير الاطلاع على مصادرها، وهي التي كانت حبيسة دار الخليفة او الوزير وغيرهم من القادرين على اقتناء تلك المقادير الضخمة من المصنفات، وهذا بلا شك ظاهرة مفيدة على الاقل فيما يختص بالحركة العلمية وتوسع اطار النشاط العلمي وامتداده الى خارج مركز الخلافة وعاصمة الدولة الغابرة. وما من شك انها رسخت في نفوس الراغبين في المعرفة الاهتمام والعناية بتلك الكتب سواء في صورة المتاجرة بها وصيانتها بما يدخل في علم الوراقة اوفى الاهتمام بمحتوياتها كما هو عند العلماء وطلبة العلم.

واخيرا فهناك ايضا مظهر ايجابي نجم عن الفتنة وهو ان الدراسات الفلسفية التي كانت محظورة في عهد المنصور بن ابي عامر وكان ذلك رغبة منه في اظهار نفسه كحامي للشريعة والسنة من مثل هذه الدراسات، ومن جهة اخرى تقبيلها لسيرة سلفه الخليفة الحكم الذي كان شغوفاً بمثل تلك الدراسات والعلوم، ولهذا فقد سكن نشاط المهتمين بتلك العلوم وتكتموا

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٢ (ص ١١٢٧ - ١١٢٨) ، وانظر عن هذه الظاهرة، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين (ص ٥٦) ، خوليان ريبيرا : المرجع السابق (ص ١٥٦) ، سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس (ص ٨٧ - ٨٨) (رسالة ماجستير لم تنشر) .

على ما يعرفونه عنها في عصره . و ما كادت الفتنة تطل برأسها لينشغل بها
 الخلفاء فيما بينهم حتى خلا الجولس علماء الفلسفة والمنطق والمهتمين بها
 فانصرفوا لدراستها وتمكنوا من الحصول على كثير من كتبها فيما بيع وانتهب
 من الكتب فيما نجا من ايدي المنصور ورجاله اثناء محاولته احراقها والقضاء
 عليها في اول حكمه ، و اظهر الناس ما كان لديهم من كتب الفلسفة والمنطق^(١)
 وهو امر بلا شك اسهم في ازدهار الدراسات الفلسفية في عصر ملوك الطوائف .

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠) .

(٣) زوال وحدة الاندلس وقيام ممالك الطوائف

رأينا سابقا تدهور الاوضاع السياسية للدولة الاموية بعد مقتـل عبد الرحمن شنجول وكيف انتهت تلك الاحداث بزوال الخلافة الاموية على آخر خلفائها وهو المعتد بالله سنة ٢٢٤هـ / ١٠٣٠ م .

وجد ير بالذكر ان نشير الى ان وحدة الاندلس السياسية قد تفككت قبل ذلك التاريخ وان ملوك الطوائف او بعضهم ظهر قبل ذلك بسنوات عديدة . ومن المـؤلم تصورنا ذلك الصرح الشامخ الذى بناه رجال احكموا بناءه امثال عبد الرحمن الداخل والواسط والثالث والمنصور بن ابي عامر ولكنه خلال بضع سنوات ينهار بشكل تعاقبت فيه الاحداث وتتالت فيه الخطوب استجابة لسنة الحياة كما قال تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس)^(١) وهذه السنة الالهية تمثلت فى حال تلك الدولة التى كانت ترهب جيرانها وتفرض على ملوك النصارى هيبتها واحترامها ولكن قوتها وعزتها اخذت فى التلاشى والضعف فدخلتها عوامل الانحلال والتفكك وافتقدت الرجـل السياسى الماهر المحنك ، ولم يتم القرن الرابع الهجرى الا وهى تخوض غمرات الفتن وتدخل مرحلة الاحتضار الذى اعقبه الفناء ، وغدت الاندلس بعد ذلك غنيمة ونهباً للطامعين ، الذين اقتطعوا جسد ها الى اشلاء ممزقة تنبىء بسوء الطالع وظلام العاقبة وسوء المصير ، واضحت الاندلس بعد ذلك دويلات وامارات صغيرة ، وادعى كل حاكم من هؤلاء المنتزعين انه ملك مقتدر ، بل انهم جميعا تلقبوا بالقاب تدل على سعة الملك وعظم الشأن ، وهى لاتتم حقيقة عن حالهم وسلطانهم الحقيقى ، وقد قال ابن رشيـق يصف حالهم بقوله :

(١) آل عمران آية (١٤٠)

مما يزهدنى فى ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد^(١)

ولعل اوضح صورة لحال الاندلس بعد الفتنة و ظهور ملوك الطوائف
ماسطره المؤرخ الكبير ابن الخطيب حيث قال :

(وذهب اهل الاندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق الى
حيث لم يذهب كثير من اهل الاقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطبة
المجاورة لعباد الصليب، ليس لاحد هم فى الخلافة ارث، ولا فى الامارة
سبب، ولا فى الفروسية نسب، ولا فى شروط الامامة مكتسب، اقتطعوا الاقطار
واقسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والامصار، وجندوا الجنود، وقد موا
القضاة، وانتحلوا الالقاب، وكتبت عنهم الكتاب الاعلام، وانشد هم الشعراء
ودونت باسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بابوابهم
العلماء، وتوسلت اليهم الفضلاء، وهم مابين مجبوب وبربرى مجلوب، ومجنند
غير محبوب، وغفل ليس فى السراة بمحسوب، فامنهم من يرضى ان يسمى ثائرا
ولاحزب الحق مغائرا، وقصارى احد هم يقول " اقيم على ما بيدى، حقيقى
يتعين من يستحق الخروج به اليه، ولو جاء عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه
ولا لقي خيرا لديه، ولكنهم استوفوا فى ذلك آجالا و اعمارا، وخلفوا آثارا وان
كانوا لم يبالوا اغترارا^(٢) .

ولابن حزم الفقيه الظاهرى رأى فى ملوك الطوائف وحال الاندلس فى
عهد هم فهو يقول : (فضيحة لم يقع فى العالم الى يومنا مثلها اربعة
رجال فى مسافة ثلاثة ايام فى مثلها كلهم يتسمى بامير المؤمنين و يخطب لهم

(١) المراكشى : العجب (ص ١٠٥) ، وانظر ايضا : المعاوى : ريجان
الالباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ ب) ، وكذلك ابن خلدون : المقدمة
(ص ٢٢٩) ، عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٢ -
٣٣٣) .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (ص ١٤٤) .

بها في زمن واحد وهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم
ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن ادريس بن علي بن
حمود بمالقه، وادريس بن يحيى بن علي بن حمود ببشتر^(١) .

وهكذا نلاحظ ان عصر ملوك الطوائف كان الوارث لتركه الخلافة
وما كانت تتضمنه من امجاد وانحطاط على حد سواء، وان خيرات ذلك العهد
الغابر قد توزعت طوائف وفئات من كل جنس ودين، فقد تفرقت دولته
الاندلس ايدى سبأ، وقام على انقاضها زعامات متعددة ومختلفة فيما بينها
وهو ما قسم الوحدة السياسية التي كانت تربط بين اقطار الاندلس واطرافه
وفي ظل هذه الاوضاع ظهر اليهود على المسرح السياسى وخاصة في مملكة
غرناطة وتمكن النصارى من فرض الجزية على ملوك الاندلس الذين خنعوا في
ذل لهم ودفعوا لهم الجزية وفقدوا بذلك عزتهم ومنعتهم^(٢) .

ويلاحظ الناظر الى الخريطة السياسية للاندلس عقب سقوط الخلافة
الاموية الى ست مناطق رئيسية : الاولى منطقة العاصمة قرطبة
وما حولها من المدن والبلاد الوسطى، والثانية منطقة طليطلة، والثالثة
اشبيلية وغربى الاندلس وما حولها من البلاد الى المحيط الاطلسى، والرابعة
غرناطة وريه والفرنثيرة، والخامسة منطقة شرقى الاندلس بما فيها بلنسية
وما يحيط بها شمالا وجنوبا، والسادسة منطقة سرقسطه والشغل الاعلى
هذا الى ما هنالك من المدن الاخرى التي استقلت بنفسها كإمارات صغيرة
ثم زالت بضمها واخضاعها لإمارات وممالك اقوى منها^(٣) .

-
- (١) رسائل ابن حزم : تحقيق احسان عباس ج ٢ (ص ٩٧) .
(٢) المقرئ : النفج ج ١ (ص ٤٣٨) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية
(ص ٢٥١) ، صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجرى
(ص ٢٣ - ٢٤) .
(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٧) .

وبناء على اختلاف عناصر المجتمع الاندلسي ، وتعدد طوائفه من
 عرب وبربر وصقالبة وغير ذلك فقد كان لذلك اثره في اختلاف اجناس القيادات
 السياسية من مملكة لاخرى ، ويمكن على هذا ان نقسم اولئك الملوك والامراء
 الى اربع فئات : اولها : فئة العرب . ثانيها : فئة البربر . ثالثها : فئة
 الغتيان العامريين . رابعها : موالى الامويين .

اولا : العرب .

(١) بنو عباد اللخميون فى اشبيلية وما انضم اليها من شرقى الوادى الكبير حتى المحيط الاطلسى غربا ، ومؤسس دولتهم القاضى محمد بن اسماعيل ابن عباد اللخمى ^(١) . وهو من قدمه اهل اشبيلية مع صاحبيه للنظر فى تدبير شئون مدينتهم لما ضاقوا بحكم العلويين واوصدوا فى وجوه القاسم بن حمود باب مدينتهم ولم يلبث ابن عباد ان انفرد بالامر واستبد بالسياسة فى اشبيلية ^(٢) .

جدّ محمد بن اسماعيل فى بناء قواعد دولته وتقوية كيانه وتوسيع حدودها على حساب جيرانه من بنى حمود وفقد فى حروبه هذه ابنه اسماعيل كما انه قاتل بنى الافطس وكان النصر فيها سجالا بينه وبين خصومه ^(٣) .

وخلف محمد بن اسماعيل ابنه عباد الملقب بالمعتضد سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ، وعرف عنه شدة البأس والسطوة وجرأته فى سفك الدماء حتى وصفه ابن حيان بقوله (اسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراضى العار ، ومدرك الاوتار وذو الانباء البديعة ، والحوادث الشنيعة ، والوقائع المبيرة ، والهمم العلية

-
- (١) انظر فى اصل بنى عباد مبدأ امرهم وتفصيل سيرهم ، ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ، ج ١ (ص ١٤) ، ومابعدها ، ابن خاقان : المطمح (ص ١٦٩-١٧٠) ومابعدها ، المواعينى : ريحان الالباب (مخطوط) (ورقة ١٣٩ ب ، ورقة ١٤٠ أ) ، ابن الابار : الحلية ج ٢ (ص ٣٤) ومابعدها ، المراكشى المعجب (ص ١٣٨) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٩٤) ومابعدها ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ (ص ١٥٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٣١) ومابعدها ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ١١٨) ، محمد بن عبود : التاريخ السياسى والاجتماعى لاشبيلية (ص ٤٤) ومابعدها .
- (٢) الحميدى : جذوة (ص ٢٣-٢٤) ، ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ، ج ١ ، (ص ١٦) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٩٦) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٣٤) .
- (٣) المراكشى : المعجب (ص ١٤٠-١٤١) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٣٥-٣٦) .

والسطوة الابية^(١) .

وجريا على سنة الصراع بين ملوك ذلك العصر فقد انخرط المعتضد في سلكهم واقتفى اثرهم فقاتل ابن الافطس الذى سارع لاعانة احمد بن يحيى صاحب لبلة (الى الغرب من اشبيلية) عند ماهاجمته قوات المعتضد ودارت بين الطرفين معركة انكسر فيها ابن الافطس اولا ثم عاود الهجوم على قوات خصمه واستطاع ان ينزل بها الهزيمة^(٢) .

وسوف نشير الى شىء من هذه الاحداث عند ذكر مملكة بطليوس ولم يتوقف الصراع العسكرى بين تلك المملكتين الا بعد ان عقد بينهما صلح بمساعى ابى الوليد بن جهور سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١ م^(٣) .

وكان السلام الذى بسط ظلاله بين بنى عباد وبنى الافطس دافعا قويا الى انصراف المعتضد نحو مطامعه وصراعه مع القوى والامارات الاخرى فسقطت في يده لبلة ووليه وشلطيش وشلب وشتنمية الغرب والجزيرة الخضراء والاخيرة اخذها بعد حصاره للقاسم بن محمد سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م .

فاما لبلة فقد حاصرها واخذ في تحطيم مزارعها حتى نزل له اميرها ناصر الدولة فتح بن خلف وسلمه اياها سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣ م ، واما وليه فقد تمكن من اسقاط حاكمها عبد العزيز البكرى الذى سلمه اياها على ان يكون اميرا على جزيرة شلطيس ووافق المعتضد على ذلك الا انه مالبت ان ضايقه وحاصره في جزيرته حتى سلمها هي ايضا ، وكان مصير شلب ايضا كسابقاتها

(١) الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٢٤) ، وانظر وصفا لسيرته لدى المواعيني

ريحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٣٩ ب .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢، ج ١ (ص ٣٣-٣٤) ، ابن عذارى

البيان ج ٣ (ص ٢١٠-٢١١) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤١-٤٢) .

من المدن فقد استمر المعتضد في مهاجمتها وقطع المؤنة عنها حتى اقتحمها سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦١ م وكان يحكمها آنذاك عيسى بن محمد بن بنى مزين (١) ومن قبل ذلك اسقط حاكم شنتمرين سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م .

واصطدم المعتضد بخصومه من البربر وخاصة بنى برزال الحاكمين بقرمونه - الى الشرق من اشبيلية - ولم يزل يقاتلهم ويفنى اراقتهم ومحاصيلهم حتى استسلم حاكمها عزيز بن محمد الزناتى سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م . (٢)

وتمكن المعتضد من اسقاط امارات البربر في رنده ومورو وشذ ونه واركش، (٣) وبلغ من شطوة المعتضد وجراته في اجتثاث السيادة البربرية من حوله ان قال فيه الشاطبي : (ولما كثر البربر بالاندلس ارسل الله عليهم المعتضد بن عباد فافناهم بالسيف) . (٤)

وهكذا بيد ولنا ان الفترة التي قضاها المعتضد في حكمه كانت فترة صراع عسكري وتطاحن مستمر مع جيرانه ، وقد استطاع من خلال ذلك ان يوسع مملكته ويقضى على كثير من الزعامات التي كانت تهدده وتسعى للنيل منه في شكل تحالفات مع الممالك الاخرى ، ورغم هذه الحروب الطويلة والاستبسال في قتال الخصوم وتحطيم عروشهم الا اننا نقف على حقيقة مؤلمة وهى ان هذا

(١) ابن عذارى : البيان ج ٣ ، (ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٢ - ٤٣ - ٤٤) ، وكل هذه الامارات الى الغرب من مملكة اشبيلية ما عدا الجزيرة الخضراء فهى الى الجنوب منها .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٣١٢) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٧) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٣٨ - ٣٩ - ٤٠) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢١٤) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٤٥ - ٤٦ - ٤٧) ، وهذه الامارات الى الجنوب من اشبيلية . انظر الخريطة رقم

(٤) كتاب الجمان فى مختصر اخبار الزمان (مخطوط) (ص ٤١٤) .

الملك القوى على اخوانه فى الدين كان يبدو ضعيفا متهاكاً امام خصومه من النصارى وخاصة فرناند والاول الذى فرض على المعتضد الجزية ومن قبله ابن ذى النون وابن هود وغيرهم من الحكام فى صورة تنم عن مأساة العصر وتردى حكامه وانقاسهم على انفسهم^(١).

خلف المعتضد على الحكم ابنه المعتمد الذى كان اسلم من ابيه عهدا واكل بطشا منه ، ويغلب على سيرته اهتمامه بالادب والشعر والمعارف وتشجيعه لاهلها ، وهو ماسنشير اليه فيما يأتى .

وكان عمر المعتمد عند توليه الحكم ثلاثا وثلاثين عاما ، واول ما استهل به حكمه هو سعيه الى الاستيلاء على مدينة قرطبة بعد سماعه تحركات المأمون صاحب طليطلة وطمعه فيها ، وذلك سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م ، وتم للمعتمد الاستيلاء على قرطبة ، غير ان المأمون دبر خطة جريئة فى الاستيلاء عليها وتمكن تابعه ابن عكاشة من دخولها وقتل سراج الدولة بن المعتمد ، حاكمها فدخلها المأمون سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م . ولكنه لم يهنأ بذلك فقد لحقته المرض فغادرها الى طليطلة وتوفى بعد وصوله ، وسارع المعتمد الى مهاجمة قرطبة واستطاع دخولها واخذ بثأر ابنه من ابن عكاشة^(٢).

هذا وقد جانب الشاطبى الصواب عند ما ذكر ان المأمون بن ذى النون بنى له قصرا بقرطبة سماه بقصر المأمون^(٣) ، والحق ان المأمون لم يتمكن من

-
- (١) انظر عن ذلك : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٢٤٨) وما بعدها ، الناصرى : الاستقصاء ج ٢ (ص ٣٣) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٨) ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (ص ١٣١) ، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص ١٦٣ - ١٦٤) .
- (٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٢٦٨) وما بعدها ، ابن الاثير الكامل ج ٧ (ص ٢٩١ - ٢٩٢) ، بطرس البستاني : ادباء العرب ، ج ٣ ، (ص ١٤٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٦١) .
- (٣) كتاب الجمان فى مختصر اخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٤١٣ .

ذلك اذ انه بدخوله قرطبة داهمه المرض وخرج منها مريضا الى عاصمته طليطلة ليتوفى بها كما اشرنا الى ذلك وهو في هذا يفتقر الى الوقت كما ان المؤرخين لم يشيروا الى بناءه لشيء من هذا الا في عاصمته طليطلة التي استطاع ان ينشئ فيها كثيرا من البنيان الفخمة الرائعة .

ولم يخلو عصر المعتمد من الصراع العسكرى مع جيرانه من البربر وغيرهم فقد استولى على جيان سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م وخشى امير غرناطة عبد الله بن بلقين من نفوذ المعتمد فراسل الفونسو السادس ملك قشتاله وعقد معه معاهدة تحالف مقابل ان يدفع له الجزية ، وكان من اثر ذلك ان شعر عبد الله بقوة تحالفه ذلك فهاجم بقوة من النصارى ممتلكات ابن عباد ، فسارع الاخير الى عقد معاهدة تحالف مع ملك النصارى على ان يهاجما جميعا مملكة غرناطة فتكون هى للمعتمد وذخايرها للفونس ، ولكن لم ينجح مشروعهما وكل ما فعله الفونس ان هاجمت بعض قواته بسائط غرناطة وعاشت فيها^(١) .

وفى حياة المعتمد برز خطر النصارى بشكل كبير وخاصة بعد سقوط طليطلة رغم حصانتها التي قال عنها ابن الشياط (وهى مدينة عظيمة اشد المدن حصانة واثبتتها منعة وابقاها مع الضيق والمحصرة)^(٢)

ولكن رغم ذلك تمكن الفونس السادس من دخولها بعد حصار طويل سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م وكان هذا فاتحة البلاء على المسلمين بالاندلس ونذير زوالهم ، وقد زاد سقوط طليطلة الفونس غرورا وخطرة فاخذ يتهدد ملوك المسلمين ويتوعدهم بسحق ممالكهم . وسارع المعتمد بالنزول عن بعض حصونه له مع دفع الجزية ايضا وذلك ليكون فى مأمن وسلام من سطوته

(١) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٦٣) .

(٢) نص جديد لابن الشياط، تحقيق احمد مختار العبادى (ص ١٤٨) .

ولكن مع ذلك لم يقنع الفونس فارسل من قبله جماعة على رأسهم يهودى يدعى ابن شاليب لاستلام الجزية المقررة، وابدى اليهودى شكه فى صحة الدراهم وانها مزيفة مما اغضب المعتمد فقتله هو ورفاقه، ثم بعث الى ملوك الطوائف يستشيرهم فى الاستنجاد بزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين فوافقوه على ذلك، والتقى جند الاندلس باخوانهم المرابطين وساروا صفا واحدا للقاء جموع النصارى وحقوا بهم هزيمة ساحقة فى معركة الزلاقة سنة (١) ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م .

ولاحظ يوسف بن تاشفين عند اجتماعه بملوك الطوائف ما هم عليه من انقسام وخلاف فغادر الاندلس الى المغرب وهو يبيت النية على توحيد الاندلس وضمها الى مملكته . وعبر يوسف الى الاندلس مرة اخرى سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م للقضاء على نفوذ النصارى فى حصن لبيط وترك بعد ذلك جمعا من قواته لحماية مرسيه وبلنسية وعاد الى المغرب . (٢)

وفى سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩١م عبر يوسف الى الاندلس عازما على اسقاط ملوكها وتوحيدها تحت حكمه فاستهل ذلك بالاستيلاء على غرناطة ثم توجه المرابطون الى قرطبة فدخلوها سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ثم حاصروا اشبيلية وتم لهم دخولها بعد دفاع مستميت وقاتل شديد ابدى فيه المعتمد من ضروب الشجاعة والغذاء شيئا كثيرا ولكنه لم يستطع مقاومة جموع المرابطين الكيفة ووقع فى الاسر واخذ هو واهله وبعث بهم الى

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٢٥٣-٢٥٤)، الناصرى : الاستقصاء ج ٢ (ص ٣٧-٣٨) وما بعدها، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٧٣) وما بعدها، بطرس البستاني : ادباء العرب ج ٣ (ص ١٤٧) سعد شلبى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٣٦-٣٧) .
(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٣٣٤-٣٣٥) وما بعدها، حصن لبيط الى الجنوب الغربى من الاندلس . انظر الخريطة . رقم (٢)

المغرب حيث انزلوا اخيرا مدينة اغمات وبذلك انتهت دولة بني عباد فى اشبيلية وقرطبة^(١).

(٢) بنو هود الجذاميون فى سرقسطة (الشجر الاعلى) :

كان يتولى حكم هذه المنطقة اسرة بنى تجيب مع بزوغ الفتنة، ثم مالبث ان انتقلت السيادة الى اسرة بنى هود بعد مقتل المنذر بن يحيى التجيبى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م . ومؤسس هذه الدولة سليمان بن محمد بن هود الجذامى الملقب بالمستعين بالله (٤٣١ - ٤٣٨ هـ / ١٠٣١ - ١٠٤٦ م)^(٢).

ومملكة بنى هود تعتبر من اعظم ممالك الطوائف من حيث سعتها وموقعها بين دول اسبانيا النصرانية فى الشمال، وهذه المملكة اقـدم الممالك التى استقلت عن الخلافة، فان انعزالها فى الشمال الشرقى للجزيرة وبعد ها عن بقية الممالك الاسلامية جعلها اكثر الممالك تسليحا وقوة واعتمادا على ذاتها^(٣).

وكان يطلق على هذه المملكة قبل زوال الخلافة ولاية الشجر الاعلى وتشمل مدينة سرقسطة واعمالها، وتطيله ووشقه وبريشتر ولارده وافراغه

(١) عبدالله بن بلقين : التبيان (ص ١٧٠ - ١٧١)، ابن بسام : الذخيرة ق ٢، ج ١ (ص ٥٢) وما بعد ها، المراكشى : المعجب (ص ٢٠٦) وما بعد ها، ابن الاثير : الكامل ج ٨ (ص ١٥٥)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٣٤٩) وما بعد ها، بطرس البستاني : ادباء العرب ج ٣ (ص ١٤٨).

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٧٩) وما بعد ها، عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٥)، وانظر بالتفصيل عن هذه المملكة البيان ج ٣ (ص ٢٢١)، وما بعد ها وكذلك محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦٤) وما بعد ها.

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦٤ - ٢٦٥)، عبد الرحمن الحجى المرجع السابق (ص ٣٥٥ - ٣٥٦).

وطركونة وطرطوشة^(١) .

وقسم سليمان قبل وفاته المملكة على ابناؤه الخمسة وجعلها خمس ممالك لكل منهم مملكة وهو ما ادى بالتالى الى قيام صراع عنيف بينهم وتمكن احد هم وهو المقتدر ان يتغلب على ثلاثة منهم وطال صراعه مع اخيه الرابع حسام الدولة يوسف^(٢) .

وفى ايام المقتدر وقعت كارثة مدينة برشتر سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣ م ، حيث هاجمها النورمانديون فى قوة تزيد على اربعين الف مقاتل ، وبعد حصار طويل و مرير تمكنوا من دخولها ووقعوا باهلها قتلا واسرا ونهبوا وسبوا النساء وغدروا بالاهاالى بعد ان اعطوهم الامان على انفسهم ووقع فى ايديهم كثير من النساء حتى قيل انه كان نصيب قائد هم الف وخمسمائة جارية وقيل ان ضحايا القتل والسبي مائة الف نسمة (وكان الخطب فى هذه النازلة اعظم من ان يوصف او يتقصى)^(٣) .

ويمدنا ابن عذارى باعداد اخرى عن حال السبي وماغنمه زعيم النورماندين حيث اشار الى انه وقع فى سهمه اربعة آلاف جارية اباكار، وما من^(٤)

(١) المراكشى : المعجب (ص ١٠٦ - ١٠٧) ، وانظر محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٦٥) .

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢٢٢) ، احسان عباس : المرجع السابق (ص ١٥) ، وانظر تفصيل ذلك النزاع فى محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٢) ومابعدها .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ١٨١) ومابعدها ، وفى تلك الصفحات انظر تفاصيل تلك الحملة النورماندية و مالحق اهاالى برشتر من الوان العذاب فقد كانت هذه الكارثة من اعنف ما نزل بالمسلمين آنذاك بل كانت مأساة العصر ، وانظر ايضا : ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢٢٥) ومابعدها ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٤) . ومابعدها .

(٤) انظر البيان ج ٣ (ص ٢٢٥) .

شك ان هول هذه الحادثة ومانتج عنها من احساس مؤلم عميق ادى الى تصوير نتائجها بما يتناسب مع تصويرها المهول ووقعها الدامى الذى استغز المشاعر والاحاسيس، ومنح المؤرخين توقعات هائلة فاعطوا محصلتها اكثر من الحقيقة، وهذا الحميرى يقول انهم - اى النورمانديين - اختاروا من ابطار الجوارى واهل الحسن منهم خمسة آلاف جارية فاهدوهم الى صاحب القسطنطينية^(١). وهكذا نجد انفسنا مترددين فى قبول ما اورده ابن حيان وهو ما اشرنا اليه اولا من الاعداد وذلك لان ابن حيان نفسه يورد الخبر هكذا (زعموا انه صار لاكبر رؤسائهم . . . الخ) وفى النص الآخر يقول : (وتحدث ايضا انه اصيب فى هذا القتل والسبى مائة الف نسمة . . .)^(٢).

وكان المقتدر قد تقاعس عن الذود عنها - اى بربرشتر - لانها كانت فى املك اخيه يوسف . ونظرا لما لحقه من لوم المسلمين واخذهم عليه التقصير فى نجدتها، فقد عزم على استردادها من النورمانديين الذين ابقوا فيها عند رحيلهم عنها بضعة آلاف من الجند لحمايتها واستقر بها من رجالهم ونسائهم الكثير . ولما ادرك المسلمون عزم المقتدر على قتال النورمانديين سارعوا الى مساعدته فانضم اليه خمسمائة مقاتل من مملكة المعتمد، وتمكن المقتدر بعد قتال وحاصر من السيطرة على المدينة بعد ان قتل من النورمانديين الف فارس وخمسة آلاف راجل وسبى منهم خمسة آلاف سبية^(٣).

-
- (١) الروض المعطار (ص ٩٠) .
 (٢) انظر النصين فى ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ١٨١) .
 (٣) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢٢٧)، الحميرى : الروض المعطار (ص ٩١)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٨-٢٧٩)، عبد الرحمن الحجى، التاريخ الاندلسى (ص ٣٥٩) وما بعدها .

والى جانب ذلك تمكن المقتدر من توسيع مملكته وذلك بالاستيلاء على مدينة طرطوشة وكانت منذ عهد الفتنة بيد بعض الفتيان العامريين ، وهو ما كان سببا فى طمع المقتدر فى تلك المدينة التى تعتبر منفذا لمملكته على البحر الى جانب طركونة ، وكان آخر من تولاها من الفتيان الفتى نبيل الذى قامت ضده ثورة شعبية فزحف اليها المقتدر واستولى عليها سنة (١) ٤٥٢هـ / ١٠٦٠ م .

وتمكن المقتدر فى عملية التوسع العسكرى من بسط نفوذه على دانية واسقط حكومة على بن مجاهد بعد قتال طويل واضطر على الى تسليم المدينة اليه والخروج منها حيث سار الى سرقسطة فمنحه المقتدر اقطاعا يعيش عليه . (٢)

ورغم ما تمتع به المقتدر من قوة و مقدرة على جيرانه الا انه لم يسلم من الاستخذاء للنصارى كعادة ملوك عصره فكان يدفع الجزية لملكهم ، وتقادم اليه احد العلماء يؤنبه على ذلك ويذكره بان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وان عليه الايدى الجزية بل يضعها فى تجنيد الجند وتسليح الشعب فما كان منه الا ان قتله . (٣)

ووقع المقتدر فيما وقع فيه ابوه سليمان فقد قسم مملكته بين ابنيه يوسف المؤمن واخيه المنذر مما كان له اكبر الاثر فى قيام حرب اهلية بين الاخوين اللذين استعانوا فى قتالهما بالنصارى ، وكان يقاتل فى

-
- (١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٥٠) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) .
 (٢) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء (ص ٢٢٨) .
 (٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٢٨ - ٢٢٩) ، وانظر تفاصيل علاقاته السياسية والعسكرية مع النصارى ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١) .

صف المؤتمن القارس القشتالي السيد القمبيطور، في حين استعان المنذر بملكي ارغونه وبرشلونة^(١).

وبعد وفاة المؤتمن الذي حكم اربع سنوات خلفه ابنه احمد الملقب بالمستعين، الذي حاول في عهده الفونس ان يستولى على سرقسطه بعد احتلاله طليطله لكن سماعه نبأ وصول المرابطين الى الاندلس جعله يفك^(٢) الحصار عن سرقسطة ويتجه حيث جموع المسلمين سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م.

وطلب المستعين معاونة المرابطين على دفع النصارى عنه فاستجابوا له وبعثوا اليه بقوة تتألف من الف فارس وستة آلاف راجل، وكان ملك ارغونة محاصرا لوشقة وهي ثانی مدينة في مملكة سرقسطة. ولكنها صمدت في وجهه مدة طويلة حتى اذا دارت المعركة بين المستعين وملك ارغونة انتهت بهزيمة المستعين يأس اهل وشقة من النصر فسلموا المدينة^(٣) بعد ذلك للنصارى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م.

وعند ما تم للمرابطين اسقاط عروش ملوك الطوائف شعرا المستعين بخطرهم فاستنجد بالسيد القمبيطور الا انه مالبث ان عاد فطلب عون المرابطين سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م، وتصدى لجيوش ملك ارغونة الفونس المحارب قرب تطيلة يوم الاثنين اول رجب سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م حيث سقط المستعين شهيدا ليخلفه ابنه ابو مروان عبد الملك الذي خضعت في عهده سرقسطة^(٤) لحكم المرابطين.

(١) عبد الرحمن الحجى: التاريخ الاندلسى، (ص ٣٥٦)، وانظر تفصيل ذلك الصراع او الحرب الاهلية في محمد عنان: دول الطوائف (ص ٢٨٤) وما بعدها.

(٢) محمد عنان: المرجع السابق (ص ٢٨٦ - ٢٨٧)، وانظر عن سيرة المستعين وصفاته الشخصية ابن الاثير: الكامل ج ٨ (ص ١٥٧).

(٣) محمد عنان: دول الطوائف (ص ٢٨٨ - ٢٨٩).

(٤) عبد الرحمن الحجى: التاريخ الاندلسى (ص ٣٥٧)، محمد عنان: دول الطوائف (ص ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٣) بنو القاسم الفهريون في البونت :

اسس هذه الامارة عبد الله بن قاسم منذ بداية الفتنة ولما توفي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م خلفه ابنه محمد بن عبد الله بن قاسم ، وهؤلاء يرجعون في نسبهم الى قريش . ولم يكن سلطانهم مكينا فقد سلكوا طريق ملوك عصرهم بدفع الجزية للنصارى . ولما برز خطر السيد القمبيطور كانوا يتحاشونه بدفع عشرة آلاف دينار وكان حاكمها آنذاك عبد الله بن محمد الفهرى . واستمروا على هذه الحال حتى سقطت دولتهم فى ايدي المرابطين سنة ٩٧٤ هـ / ١١٠٣ م .^(٢)

وكانت امارة البونت ملجأ لعدد من امراء بنى امية بحكم علاقتهم القبلية مع حكامها الفهريين الذين كانوا يؤيدون لعودة الخلافة الاموية فضم بلاطهم من بنى امية الخليفة المرتضى الذى قتل فى المعركة الدائرة بين جيشه وانصاره وبين البربر بقيادة زاوى بن زيرى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م والى البوننت لجأ هشام بن محمد اخو المرتضى وهو الذى بويع بالخلافة وتلقب بالمعتد بالله ولبث بعدها فى البونت سنتين وسبعة اشهر ثم سار بعدها الى قرطبة حيث بقي فى خلافته هناك سنتين اسقط فيها اخيرا عن الحكم سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م .^(٣)

-
- (١) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢١٥) .
 (٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦١ - ٢٦٢) ، احسان عباس تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٦) .
 (٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٤) بنو حمود العلويون :

سبقت الإشارة الى نشاطهم السياسى اثناء الفتنة . وقد مر بنا الحديث عن على بن حمود وكيف انه دخل قرطبة وقتل المستعين واعلن نفسه خليفة . ثم قتل فتولى اخوه القاسم من بعده . لكن ابن اخيه يحيى بن على ثار عليه بمالقه و دخل قرطبة سنة ١٣٤ هـ / ١٠٢٢ م وامتد سلطانه الى الجزيرة الخضراء ، لكن نفوذه لم يستمر بقرطبة فقد قتل سنة ٢٧٤ هـ / ١٠٣٥ م وبويع اخوه ادريس بعده وكان بسببة بشرط ان ينصب ابن اخيه حسن على سببة بدلا منه ، وخلال هذه الفترة دار صراع بين بنى حمود انفسهم وبين بنى عباد باشبيليه وبعد موت ادريس بويع حسن بن يحيى بالخلافة فى مالقه ولكنه مالبت ان مات مسموما ، وكان ادريس بن يحيى قد اعتقل بعد وفاة اخيه على يد احد اعوان نجا الصقلبي خادم حسن بن يحيى وكان نجا بعد هذه الاحداث قد طمع فى تولي السلطان وازالة وجود بنى حمود الا ان الامر انتهى بمقتله ، واخرج ادريس من السجن وبويع بالخلافة وكان موصوفا بجميل الاخلاق وحسن السيرة ورد المظالم ولكن تلك الفتن لم تبقه فى الحكم فقد تولى محمد بن ادريس بدلا منه وبويع بالخلافة بمالقه وهو ابن عم ادريس المذكور ، ولعب البربر دورا فى تصاعد الصراع بين بنى حمود فخاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء يطمعونه فى الخلافة فسارع اليهم الا ان الحال لم يستقر به اذ انقض عنه البربر وتولى بعده ابنه القاسم بن محمد ، وبقي محمد بن ادريس بمالقة حتى مات سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م وهنا يتولى بعده ادريس بن يحيى الذى أقصى عن الحكم اولا فاستولى على مالقه بمساعدة العامة .^(١)

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٠ - ٣٦) ، الضبى : البغية (ص ٢٩ - ٤٢) ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٨٨ - ٢٨٩) ، النباهي : تاريخ قضاة الاندلس (ص ٩٠ - ٩١) ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ (ص ١٨٥) .

وهكذا نلمس من خلال استعراض الحكم الحمودى كثافة الصـراع
 والتهافت على السلطة وان صراعهم كان يشمل السيطرة على ثلاث مدن
 وهى مالقة وسبته والجزيرة الخضراء ولم يتمكن اى منهم من اقامة دولة قوية
 صامدة فى وجه التيارات المتصارعة ولذا زال ملكهم بسرعة و تلاشى نفوذهم
 بظهور زعماء اقوى منهم كبنى عباد فى اشبيلية الذين استولوا على الجزيرة
 الخضراء .

ثانيا : البربر .(١) بنو مناد الصنهاجيون فى غرناطة ومالقة :

يعود نسب هذه الاسرة البربرية الى قبيلة صنهاجة . وكانت هذه القبيلة متحالفة مع الفاطميين فى قتالهم ضد الامويين الذين يناصرونهم خصومهم التقليديين قبائل زناتة . وفى عهد المنصور بن ابي عامر استطاع ان يستميل قلوب كثير من البربر الى جانبه حتى شجعهم على القدوم الى الاندلس قد خلتها قبائل من صنهاجة يتزعمهم زاوى بن زيرى حيث اكرمهم المنصور وقرب منازلهم ، وصاروا له عضدا وسندا فى ارساء قواعد دولته وبعد وفاة المنصور سار ابنه المظفر وعبد الرحمن على هذه السياسة حتى اذا ثارت الفتنة بعد مقتل الاخير لعب البربر دورا هاما فيها ووقفوا بجانب سليمان المستعين الذى نجح فى القضاء على خصمه المهدي كما اشرنا ثم كافأ البربر على مساندتهم له بتوليتهم بعض المدن والولايات فاقطع صنهاجة وفى مقدمتهم زاوى ورجاله ولاية البيرة (غرناطة) فاقاموا بها وينوا فيها مدينة غرناطة^(١) .

ويشير الامير عبد الله حفيد باديس الى ان اهل البيرة هم الذين عرضوا على صنهاجة حكم بلدهم مقابل ان يكفلوا لهم حمايتهم والذود عنهم^(٢) .

وقد مر معنا عند الحديث عن امارة البونت كيف ان زاوى بن زيرى هزم جيوش الخليفة المرتضى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ولكن نراه رغم انتصاره على جموع اهل الاندلس لم يطمئن الى تقلب الايام فنصح قومه بالرحيل عن الاندلس الى افريقيا خشية ان يتحالف عليهم الاندلسيون وخصومهم زناتة

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢١) وما بعدها ، الطاهر احمد

مكي : دراسات اندلسية (ص ١٦) وما بعدها .

(٢) التبيان (ص ١٨) .

فبستأصلونهم ، ولكن قومه رفضوا الرحيل فرحل هو واسرته وبعضا من قومه الى القيروان ، وبقي قومه الآخرين في غرناطة وكان يتزعمهم ابن اخيه حبوس بن ماكن الذى نعمت غرناطة في عهده بالامن والاستقرار ، وخلفه بعد وفاته ابنه باديس الذى وصف بانه اقوى ملوك البربر . وقد استطاع باديس ان يسقط حكم خيران العامرى سنة ٤٢٩ هـ وتمكن من مد نفوذه وتوسيع مملكته الى القسم الغربى من اراضى مملكة المريه المتاخمة لبلادهم ، كما انه اسقط حكم العلويين في مالقه وكان يحكمها محمد بن ادريس فاستولى عليها واخرجه منها^(١) .

وكان باديس ومن قبله والده حبوس قد عهدا في تدبير الوزارة الى اسرة يهودية كان اولها اسماعيل بن نغزالي ، وبعد وفاته خلفه ابنه يوسف وفي عهد يوسف تعاظم شأن اليهود في غرناطة ولعبوا دورا في الحياة السياسية والاجتماعية حتى ان يوسف حاول تدبير مؤامرة يسقط فيها حكم باديس ويسلم الامارة لابن صماد امير المريه . وهذا بالاضافة الى مطاعنه في الاسلام ، وقد رد عليه ابن حزم . واخيرا بعد ان ضاق الحال باهالى المدينة واجبح غضبهم ابو اسحاق الالبيرى باشعاره الحماسية قامت الثورة على اليهود وقتل يوسف بن اسماعيل واستأصل الناس شأفة اليهود في غرناطة ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، وكانت الثورة سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م^(٢) .

وخلف باديس على حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بلقين الذى ازال حكمه المرابطون بعد ذلك وكان عبد الله خلال حكمه على غرناطة قد دخل في حرب مع ابن عباد كما اشرنا الى ذلك عند الحديث عن بنى عباد في اشبيلية ولكن ذلك الصراع انتهى الى صلح ومهادنة بين الطرفين سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢٥) ومابعدها ، احسان عباس :

تاريخ الادب الاندلسي (ص ١٣) .

(٢) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٩) ومابعدها ، (ص ٨٤) ،

ومابعدها ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٣٣) ومابعدها .

ولم تمض بعد ذلك سوى اسابيع حتى سقطت طليطلة ، ومن بعدها وقعت معركة الزلاقة ضد النصارى ، حتى اذا قرر المرابطون الاستيلاء على الاندلس كانت غرناطة فاتحة ذلك المشروع ، حيث اخرج عنها عبد الله ونفى بأسرته الى اغمات وتحدث عن احداث عصره وسيرته فى كتابه "التبيان" (١) .

(٢) بنو الافطس ، ملوك بطليوس :

كانت هذه المملكة تمتد من غرب مملكة طليطلة عند مثلث نهريانه غربا حتى المحيط الاطلسى ، وتشمل اراضى البرتغال كلها تقريبا حتى مدينة باجه فى الجنوب . (٢)

واول ملوكها عبد الله بن مسلمة المكناس الذى خلف مولاة سابور العامرى فى حكم بطليوس واستبد بسياستها وتديرها وتلقب بالمنصور ، وقد ناضل دون سلطانه وحرص على ترسيخ حكمه فى تلك المدينة ، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد الذى سار على سياسة ابيه فى الدفاع عن الدولة وحفظ سيادتها ودخل من اجل ذلك فى قتال مرير وطويل مع المعتضد ، ومن تلك الوقائع ما هزم فيها المعتضد كالموقعة التى نشبت بينهما سنة ٤٣٩ هـ ، وفى موقعة اخرى حدثت سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م هزم فيها ابن الافطس هزيمة شنيعة وانتهى الامر بعقد صلح بينهما ، وقد اشرنا الى ذلك عند حديثنا عن المعتضد بن عباد . (٣)

وكان ابن الافطس شهما أبيا ولو لقي من يماثله على تلك السجاياء وعلى ما فى نفسه من تطلع للوحدة والاتحاد بين المسلمين لما ضعف حال ملوك

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٤٢) وما بعدها . وانظر تفصيل ذلك فى الشبان ، ص ١٥٤ وما بعدها .

(٢) انظر محمد عنان : دول الطوائف (ص ٨٢-٨٣) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ، ج ٢ (ص ٦٤١-٦٤٢) ، ابن الاثير :

الكامل ج ٧ (ص ٢٩٢) .

الطوائف وادوا الجزية لملوك النصارى ، ولكن تفكك هؤلاء الملوك وحبهم للترف وايثارهم للسلامة والدعة دفعتهم الى ظلم رعييتهم بجمع الاموال ثم توجيهها للعدو .

وماكان لابن الافطس ان يدفع الجزية لفرديناند الاول الا بعد ان أخذ في تدمير بلاد ابن الافطس وتخريبها وخشى الاخير ان يتمادى هذا الملك النصراني فيعم بضرره الاهالى فأثر الاذعان للامر الواقع ودفع الجزية له على مضض .^(١)

وفى عهد محمد بن الافطس الملقب بالمظفر سقطت مدينة قلمرية فى يد ملك قشتاله فرناندو سنة ١٠٦٣ هـ / ١٠٦٣ م وبعد ها بفترة قصيرة توفى محمد فخلفه ابنه يحيى الذى لم يستمر طويلا فى الحكم فقد نازعه اخوه عمر على الحكم حتى اذا توفى يحيى تقلد عمر الحكم سنة ١٠٦٤ هـ / ١٠٦٤ م ، وتلقب بالمتوكل على الله ، وقد نعمت الدولة فى عهده بالسلام والرخاء وسار على سجية ابيه المظفر فى كراهية دفع الجزية للنصارى فقد كانت نفسه الابية تمنعه من ذلك . فقد بعث اليه الفونسو بعد سقوط طليطله خطابا يتهدد به ويتوعده ويأمره فيه بارسال ما عليه من الاموال ، لكن المتوكل رد عليه فى أنفة وابعبرسالة تفيض عزة وشموخا وان ليس بينه وبين الفونسو الا السيف فكان ماهو معروف من الاستنجاد بالمرابطين .^(٢)

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى (ص ١٣) .
 (٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٨٦) وما بعدها ، وقلمرية فى الغرب من الاندلس وتدخل الان ضمن دولة البرتغال . انظر الخريطة . رقم (٢)

(٣) دولة بنى رزين ، امراء السهلة (شنتتمرية الشرق) :

وتقع هذه الامارة فى جنوب الشجر الاعلى ، عند منابع نهر خالون ومؤسس هذه الامارة هذيل بن عبد الملك بعد الفتنة ، وهذا الشائر لم يكن فى سيرته مايحمد من الخلال والسجايا ، ولم يحتفظ له التاريخ بصفة ايجابية تستحق الذكر ، وكل ما عرف عنه هو انهماكه فى الملذات والترف والاسراف فى ذلك وقد اسعده الحظ فكان بعيدا عن المنازعات وحرص على ان يحتفظ بعلاقات طيبة مع جيرانه ، ولكنه كان فى نفسه هو جبارا سفاكا للدماء ، فظا حتى قيل انه قتل امه بيده .^(١)

وخلفه فى الحكم ابن جبر الدولة عبد الملك الذى حكم ستين سنة وقد ذمه ابن حيان وهزا به ووسمه بصفات مقذعة ، و اشار اليه ابن بسام كقارض للشعر غير بارع فيه ، وكان حسام الدولة هذا سادرا فى غيه خانعا للنصارى فكان يدفع لهم الجزية ، ورغم ذلك فقد استولى على حصن مريبطر من صاحبه ابن لبون وحاول الاستيلاء على بلنسية لكن السيد القمبيطور اوقع بجيشه فاضطر للكف عنها ، وخلفه على الحكم ابنه حسام الدولة ويحمى الذى لم يكن له من الفخر بين ملوك عصره سوى القرد الذى اهداه له الفونس مقابل ما اعطاه من اموال وتحف وهدايا مختلفة وقد زال حكمه على يد المرابطين .^(٢)

- (١) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ، ج ١ (ص ١١٠-١١١) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٣٠٩) وما بعدها ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٥٧ ، لكنه سمي ذلك الحاكم هذيل والصحيح ما اشرنا اليه آنفا .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ، ج ١ (ص ١١٢-١١٣) ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٣٠٩-٣١٠-٣١١) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٥٦) وما بعدها . ويذكر المراكشى عبد الملك فى كتابه الذيل والتكملة ان عبد الملك بن هذيل كان من البارعين فى النظم والنثر وان ديوان شعره مشهورا بين الناس . انظر ق ١ ، ج ٥ (ص ٥٢) .

(٤) بنو ذى النون فى طليطلة :

يعود النشاط السياسى الذى مارسه بنو ذى النون فى الاندلس الى ايام الامير محمد بن عبدالرحمن . فقد كان جد هم ذو النون سليمان واليا على حصن اقليش بالشغر الاعلى ، وكانت ولايته تلك مكافأة لبعض الخدمات التى اسداها لبعض اتباع الامير محمد ، وتداول هذه الولاية ابناؤه من بعده ، وعند ما تولى المنصور امر الدولة ، التحق المضراس عبدالرحمن بن ذى النون وابنه اسماعيل بخدمته ، واستمر فى ذلك حتى شارت نار الفتنة فاقر سليمان المستعين المضراس على حكم اقليش ، ولم يلبث ان توفى ليخلفه ابنه اسماعيل الذى اخذ فى توسيع نفوذه ، فاستولى على قلعة قونقصة بعد وفاة اميرها واضح العامرى ، وعلت مكانة اسماعيل لدى المستعين وخاصة اذا تذكرنا ان للبربر دور فى اعتلائه سدة الحكم ، فمنحه هذا الوزارة وسماه ناصر الدولة ولكن تتابع الاحداث المؤلمة التى عصفت بقرطبة دفعت باسماعيل الى اعلان انفصاله عن قرطبة .^(١)

ويلقى ابن حيان باللوم والتقريع على هذا الامير وانه هو الذى استن سنة الانفصال عن الخلافة والخروج على الجماعة (فاقتدى به من بعده ، واموا فى الخلاف نهجه ، فصار جرثومة النفاق ، واول من استن سنة العصيان والشقاق ، ومنه تفجر ينبوع الفتن والمحن)^(٢) .

ولكن كيف تم لبنى ذى النون الاستيلاء على طليطلة ؟

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٤٢ - ١٤٣) ، وفيها انظر وصفا واضحا لسيرة هذا الامير وما كان عليه من نزعات سياسية وقسم اخلاقية .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٤٣) .

الحق انه كان يحكمها آنذاك قاضيها ابو بكر يعيش بن محمد الاسدي
بالاشتراك مع جماعة من الفضلاء من اهل العلم ، ولكن مالبث ان وقع الخلاف
بينهم لم يبقى في تسيير شئون هذه المدينة عبد الرحمن بن متيويه الذي توفي
بعد ذلك بقليل ليتولى ابنه عبد الملك فاساء السيرة مع اهل المدينة فخلعوه
ثم ولوا غيره ليخلعوه مرة اخرى حتى اذا ضاقوا بحالهم بعثوا الى عبد الرحمن
ابن ذي النون يطلبون اليه تولية امر مدينتهم فارسل اليهم ابنه اسماعيل
الذي استولى عليها واصبحت منذ ذلك الوقت دار مملكتهم^(١) .

وهكذا نلص نمو هذه الدولة وتوسعها شيئا فشيئا حتي اصبحت في
اوج قوتها تمتد الى مشارف الاندلس الشمالية الوسطى . وغربا حتى شرقى
مملكة بطليوس من قوريه وترجاله نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية
الشرق ، حيث تقع في الناحية الجنوبية الغربية مملكة بنى هود في الشغر
الاعلى ، وتمتد شمالا شرقا وراء نهر تاجه ، وجنوبا غربا متاخمة لحدود مملكة
قرطبة عند مدينتي المعدن والمدور^(٢) .

وعند ما توفي اسماعيل خلفه على الحكم ابنه الملقب بالمأمون وسار هذا
على خطى والده في الاعتماد على ما يشبه الهيئة الاستشارية تتضمن
بعض الوزراء منهم ابو بكر بن الحديدى ، والحاج بن محقور ، وابن لبون
وابن سعيد بن الفرغ ، ورغم استناده الى مشورتهم وخاصة ابن الحديدى^(٣)
الا انه كان يقابل نصحتهم بعض الاوقات بنفور وعصبية .

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٦ - ٢٧٧) ، وانظر الشاطبى
كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٤ ، وقد
جانب الصواب في الاشارة الى تجمع البربر عليه بقرطبة ، محمد عنان
دول الطوائف (ص ٩٧) .

(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٥) ، انظر الخريطة . رقم (٢)

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٤٥ - ١٤٦) ، وانظر ابن
عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٧) ، محمد عنان : دول الطوائف
(ص ٩٨) .

ويعتبر عصر المأمون هذا هو العصر الزاهى فى تاريخ هذه المملكة غير انه مع ذلك لم يسلم من النزاع مع جيرانه من الملوك امثال ابن هود فى سرقسطة، وابن عباد فى اشبيلية، وفى بداية حكمه نشبت الحرب بينه وبين ابن هود احمد بن سليمان بسبب التنافس على امتلاك وادى الحجارة وقد تمكن الاخير فى النهاية من الاستيلاء عليه، مما دفع ابن ذى النون الى طلب النجدة من ملك قشتالة فرناند والاول فارسلى اليه قوة من الجند عاث بها فى اراضى ابن هود ود مر محاصيلها للزراعة^(١).

واننا لنعجب اذا تصفحنا تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية بين هاتين المملكتين . وكيف انهما كانتا تجدان غضاظة او عارا فى الاستعانة بالنصارى لتحطيم كل منهما الاخرى ، وقد وجد ملوك النصارى فى صراعهما ما يحقق لهم سرعة الاجهاز على الوجود الاسلامى باضعاف زعاماته السياسية ولاننسى ان كثيرا من القوات التى يرسلها ملوك النصارى لاي منهم كانت تسلك طريقة التخريب والتدمير للشروات الزراعية التى هى عصب الحياة آنذاك ، وهذا بلاشك عامل مهم فى تيسير السبيل نحو القضاء على القوى الاسلامية بشل طاقاتها الاقتصادية ، وهى ظاهرة سنلمسها فى كثير من الوقائع التى كانت بين المسلمين والنصارى ، وقد سار عليها هؤلاء حتى لدى حصارهم لآخر معقل من معاقل الاسلام وهى غرناطة .

وظل القتال دائرا بين سليمان بن هود وخصمه المأمون بن اسماعيل على تلك الحالة التى وصفناها حتى اذا مات ابن هود سكنت الحرب بينهما وتنفس المأمون الصعداء^(٢) ، وكان هذا الصراع يشمل الفترة من سنة ٤٣٥ هـ الى ٤٣٨ هـ (١٠٤٣ / ١٠٤٦ م) .

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٧ - ٢٧٨) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٩) .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١) ، وانظر محمد عنان : دول الطوائف (ص ٩٩) .

ولعل ما يؤكد ما اشرنا اليه من استغلال النصارى لهذه الاوضاع ما اورده ابن عذارى من ان اهل طليطلة لما اشتد بهم الحال من جراء الحرب المشتعلة بينهم وبين ابن هود وحليفة فرناند بعثوا الى الاخير وقد يلتبس منه الكف عن الاعتداءات على بلادهم ، ولكنه طلب مقابيل ذلك مبلغا من المال يعجزون عنه ، فقالوا له لو نقد ر على مثل هذا المبلغ لاستدعينا به البربر لينصرونا عليكم ، فقال فرناند وكلمة خطيرة تكشف ابعاد السياسة التي سار عليها ملوك النصارى حيث قال :

(ان استدعاكم البربر ، فامر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ولا تقدر ان عليه مع عدوتهم لكم ، ونحن قد صعدنا اليكم مانبا الى من اتانا منكم ، فانما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في اول امركم فقد سكنتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الان عليكم برداءكم فارحلوا الى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في سكتناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم او يحكم الله بيننا وبينكم)^(١) .

وكان للمأمون محاولات توسعية لزيادة رقعة بلاده ، وقد اشرنا الى دخوله قرطبة بعد استيلاء ابن عكاشة عليها عند الحديث عن علاقات المعتمد مع بنى ذى النون ، ونجح ايضا في الاستيلاء على مدينة بلنسية^(٢) وضمها الى دولته وكان عليها صهره عبد الملك بن عبد العزيز العامري .

ولم يكن صراع المأمون مع ابن هود فقط بل كان في منازعات عسكرية مع ابن الافطس ، وكذلك المعتمد ملك اشبيلية^(٣) .

(١) البيان : ج ٣ (ص ٢٨٢) . الصحيح (ان استدعاكم . . .)

(٢) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠١ - ١٠٢) .

(٣) انظر تفصيل ذلك ، ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ٢٨٣) .

استمر المأمون في الحكم ثلاثة وثلاثين عاما حكم فيها مملكة واسعة ورغم ما اكتنف سيرته من نزاع عسكري مع جيرانه الا ان دولته شهدت رخاء وازدهارا خاصة بعد زوال خطر بني هود عنه وتمكن المأمون من جمع ثروات ضخمة سخرها في انشاء وبناء كثير من القصور والبنائات الرائعة، ومنها مجلسه الشهير "المكرم" الذي امتد حته الشعراء ووصفوه في اشعارهم^(١).

وقد جانب الشاطبي الصواب عندما اشار الى انه بنى له قصرا بقرطبة اسماه "المأمون"^(٢) وهذا كلام يخالف الحقيقة فان مبانيه الجميلة وقصوره الرائعة كانت في دار مملكته طليطلة، ولم يكن وجوده فترة قصيرة بقرطبة يسمح له بمثل ذلك فضلا عن ان المصادر لم تشر الى ان له مشروعات معمارية بقرطبة.

خلف المأمون بعد وفاته حفيده يحيى الملقب بالقادر الذي لم يكن في مستوى الاحداث الدائرة في عصره من حيث التصرف والمعالجة . ولم يملك الشخصية القادرة المحنكة التي يزن بها الامور ويضع من خلالها الحلول المناسبة والحاسمة . وكان جده المأمون قد قسم الشئون السياسية والادارية بين رجلين من وزرائه، فابن الفرج فيما يتعلق بالقيادات العسكرية والشئون السلطانية والديوانية، وابو بكر يحيى بن سعيد الحديدي فيما يتصل بالشئون المالية وامور الرعية وابداء الرأي والمشورة، واخذ المأمون قبل وفاته العهد على ابن الحديدي ان يخلص في الرأي والمشورة لحفيده يحيى القادر، غير ان الاخير ما لبث ان خلع الحديدي عن منصبه بل وسهل لخصومه ممن كانوا في السجن ابان حكم المأمون - الوصول الى ابــــن

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة، ق ٤، ج ١ (ص ١٤٥) وما بعد هـ

محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٢) كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان (مخطوط) (ص ٤١٣) .
المخطوط مرقم .

(١)
الحديدي والقضاء عليه سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م .

وكان مقتل ابن الحديدي فاتحة بلاء وشؤم على القادر ، فقد ثار عليه ابو بكر بن عبد العزيز في بلنسية و اخذ الفونسو يشتط في مطالبه من الاموال والحصون ، فسعى اليه القادر بجزية كبيرة لارضائه ، واخيرا ثار عليه اهل طليطلة ففر الى احد حصونه وارسلوا الى المتوكل صاحب بطليوس يعرضون عليه حكم مد ينتهم فسار اليها سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م واقام بها فترة من الزمن ، لكن القادر مالبث ان استنجد بالفونسو وذكره بايام الجوار عندما لجأ الى طليطلة اثناء الصراع بينه وبين اخوته شانجة وغرسيه ، وهو ماذفع الفونسو لتجده ضد المتوكل الذي خرج من طليطلة ليدخلها (٢)
القادر بعد صدام مع اهلها سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م .

غير ان الفونسو كان يضم في نفسه الاستيلاء على طليطلة فاخذ يستغل ظروف اهلها ، وانقسامهم على انفسهم ، الى جانب ضعف القادر فشرع في شن حملاته على اراضي طليطلة بحجة معاونة القادر على خصومه حتى اذا كانت سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م كرس حملاته العسكرية لتعزيز غايته واهدافه فاخذ في اضعافها اقتصاديا وشن على طليطلة موجات من التدمير والتخريب (ينتسف مراقبها ، ويعقد جالية اهلها ثناياها ومضايقها ، يأسر ويقتل ، ويحرق ويمثل ، وسمى السعير ، وتفاقم الامر ، وانكرت الموارد والمصادر وبلغت القلوب الحناجر) (٣) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٥١-١٥٢) ، الامير عبد الله التبيان (ص ٧٧) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٧) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي (ص ٢٠) ، وانظر ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس (ص ٨١) ويسمى الحديدي بالحريري وهو خطأ انظر نفس الصفحة ج رقم ٢ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٥٧-١٦٣) ، ابن الكردبوس : المصدر السابق (ص ٨٣) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٠٧-١٠٨-١٠٩) ، احسان عباس : المرجع السابق (ص ٢٠) (٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٦٤) .

وبعد ان ثبت لديه انهيار قواها الاقتصادية والزراعية ضرب حولها الحصار سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م وطال ذلك وعمل اهلها على اطالة امده لعل امله ان يضعف في دخولها واسقاطها ، وكذلك ماكانوا يأملونه من نجدة المسلمين لهم واغاثتهم ، ولكن لم يحدث من ذلك شيء فقد كان ملوك المسلمين آنذاك ابعد مايكون عن الوحدة والاتحاد امام اعدائهم فقد كان المعتمد يرسل الجزية للفونس مقابل ان يكف عن اطماعه ، وابن هود مشغولا في حربه مع ملك ارغونه وامراء برشلونة ، والممالك الشرقية والجنوبية تبعد بشكل كبير عن طليطلة ولاستطيع ايصال نجداتها اليها على وجه السرعة .^(١)

والملك الوحيد الذي حاول نجدة طليطلة هو المتوكل الذي كان بدوره هذا اقرب الملوك لنصرة الاسلام ووحدة المسلمين ، فقد ارسل ابنه في جيش قوى لمدافعة الفونسو لكنه لم يستطع لتفوق النصارى في العسك^(٢) والعدة ، كما ان المتوكل كانت له معارك مع الفونسو الذي انتزع منه قورية .

ولما رأى اهالى طليطلة ان لا فائدة ارسلوا الى الفونس وفدا يعرض عليه الجزية فرفضها وصمم على احتلال المدينة ، وبعد حصار تسعة اشهر وفي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م تمكن الفونسو من دخولها بعد ان وعد القادر بملك بلنسية ، وكتب بينه وبين اهلها وثيقة تعهد فيها بالامان لاهالى في انفسهم واموالهم ، مع احتفاظهم بحرية ممارسة شعائر دينهم ، واحترام مساجدهم ، ولكنه بعد ان دخل المدينة نقض معاهدته وغير مسجدها

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١١١) ، عبد الرحمن الحجى :

التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٢) .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ١١١-١١٢) ، وقوريه كانت من

املاك ابن الافطس . انظر الحميرى : الروض (ص ٤٨٥) .

الجامع الى كنيسة^(١) .

وكانت نهاية القادر يحيى ان قتل على يد ابن جحاف قاضى بلنسية
فى الوقت الذى كان فيه المرابطون يتابعون مشروعهم فى توحيد الجزيرة
تحت حكم قائدهم ابن تاشفين^(٢) .

-
- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٦٧) ، ابن
الكرديبوس : تاريخ الاندلس (ص ٨٤) ، ابن الاثير : الكامل
ج ٨ (ص ١٣٨) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة
٢٧٥ ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١١١) وما بعدها ، احسان
عباس : المرجع السابق (ص ٢٢ - ٢٣) ، عبد الرحمن الحجى
التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٤) .
(٢) انظر محمد عنان : المرجع السابق (ص ٣٢٧) وما بعدها .

ثالثا : الفتيان العامريون في المريه - مرسية - بلنسية - دانية والجزائر:

كان اشهر هؤلاء الفتيان مجاهد بن يوسف العامري المستولى على دانية والجزائر الشرقية بعد حصول الفتنة بمقتل موله عبد الرحمن بن المنصور ويذكر انه كان متوليا على الجزائر الثلاثة فلما علم بوقوع الفتنة انطلق الى دانية فاستولى عليها^(١) واشتهر مجاهد بحبه للعلم والعلماء والادباء كما وصف بجميل الاخلاق يشوبها احيانا ابتذال وضة^(٢).

وهناك من المؤرخين من يذكر ان مجاهداً غادر قرطبة عند مقتل الخليفة محمد المهدي فملك طرطوشة ثم سار عنها الى دانية^(٣).

كما ان الحميدي يذكر ان مجاهداً خرج عن قرطبة بعد زوال نفوذ العامريين حيث اتجه الى الجزائر فملكها ثم سار الى سردانية غازيا^(٤).

ومهما يكن فان مجاهداً حكم بعد الفتنة مدينة دانية والجزائر الشرقية سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ومن اهم احداث عصره غزوه لجزيرة سردانية حيث تمكن من الاستيلاء عليها ، ثم لم يصفو له الحال لتعدد الجند واختلاف اهوائهم عليه ثم تكالب النصارى على حربه في شكل حملات صليبية من جنوة وبيزنطة مع مساندة اهالي الجزيرة من النصارى لهم ، هذا بالاضافة الى سوء الاحوال المناخية التي صاحبت معركته مع القوى البحرية النصرانية ، فكان لكل ذلك اثر حاسم في انكسار قواته البحرية امام اعدائه سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م فتحطمت كثير من سفنه بسبب العواصف الشديدة التي قذفت بها على الشواطئ مما اجبر مجاهد على مغادرة الجزيرة الى دانية ، وكان قائده

-
- (١) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٥٥) .
 (٢) انظر مثلاً : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٣-٢٤) ، ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٥٦) ، المراكشي : العجب (ص ١١٠) .
 (٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٨٩) نقلاً عن ابن خلدون .
 (٤) جذوة المقتبس (ص ٣٥٣) .

البحرى المدعو خروب قد نهاه عن الدخول فى احد المواقع ويدعى هذا المكان كاليارى فلم يستمع لنصحه ومشورته فتحطم اسطوله وهزم^(١).

ويشير ابن الاثير الى ان مجاهدا غزا سردينية سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤ م ثم عاد الى الاندلس ليجهبز مائة وعشرين مركبا وشحنها بالف فرس وفتح سردينية سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤ م وغنم منها غنائم وفيرة، ثم قاتله الفرنجة فى آخر هذه السنة فاخرجوه عنها^(٢).

واصيب مجاهد فى اهله وولده واخاه فى تلك المعركة حيث وقعوا فى الاسر لدى النصارى، ومكث ابنه على اسيرا لديهم عشر سنوات، حتى تمكن ابوه من اقتكاكه بغدية كبيرة، فلما حضر لديه عينه وليا للعهد واثنى عشر وجود مجاهد فى دانية شارك فى بعض الاحداث العسكرية فقد انضم لجيش الاندلسيين الذى قاتل البربر بقيادة زاوى من زيرى الصنهاجى وكان الفتيان العامريون قد بايعوا الخليفة عبد الرحمن بن محمد الاموى بالخلافة ولقبوه بالمرتضى، وساروا معه لقتال البربر فهزم جيش الخليفة الذى قتل فى المعركة سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨ م^(٣).

وتمكن مجاهد من الاستيلاء على بلنسية بعد وفاة مظفر ومبارك وشورة اهالى بلنسية على لبيب صاحب طرطوشة الذى اقتسم حكم بلنسية مع مجاهد لكن سخط البلنسيين عليه جعله يفر عن مدينتهم ليدخلها مجاهد، وبعد سنتين من حكمها تخلى عنها لعبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠ م^(٤).

-
- (١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٥٣)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩١)
١٩٢-١٩٣ .
(٢) الكامل ج ٧ (ص ٢٩٣) .
(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩٦) .
(٤) محمد عنان : نفس المرجع والصفحة .

وعند ما قتل زهير العامري حاكم المريه في صدامه العسكري مع باديس بن حبوس استولى عبد العزيز صاحب بلنسية على المريه واعما لها ومرسيه واوريو له وشعر مجاهد بتوسع مملكة جاره وخشى خطره فعزم على قتاله حيث التقى الطرفان وهزم مجاهد آنثد^(١).

وخلف مجاهد على دانية ابنه على الذي دخل في صراع مع اخيه حسن الذي كان ساخطا على ولايته للعهد من دونه فعزم على التخلص منه وازالته عن سدة العرش، ولجأ الى زوج اخته المعتضد بن عباد ليسانده في مؤامره تلك، لكن محاولته باءت بالفشل واضطر حسن الى الفرار الى صهره الثاني عبد الملك بن عبد العزيز حيث بقي هنالك في بلنسية حتى توفى^(٢).

وفيما يتصل بالجزائر ويقصد بها ميورقه ومنورقه ويابسه فقد كان متوليا عليها ابان حكم مجاهد قائد بحري يدعى الاغلب . وبعد وفاة مجاهد استأذن ابنه على في الحج فولى عليها سليمان مشكيان واستمر في ولايتها حتى توفي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٣٠ م بعد ان حكمها خمس سنوات، فولى على مكانه عبد الله المرتضى الذي بقي في حكمها طويلا . وعند ما سقطت دانية في يد ابن هود ، اعلن المرتضى استقلاله بحكمها ، وخلفه بعد وفاته سليمان بن مبشر ليخلفه عليها ابنه ابو الربيع سليمان وفي عهده سقطت ميورقه في يد الاسطول النصراني سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ولكن المرابطين استردوها سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م^(٣).

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ١٦٧ - ١٩١) ، عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المريه (ص ٧٢ - ٧٣) ، محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٩٧) ، المريه ومرسيه واوريو له الى الجنوب الشرقي للاندلس انظر الخريطة رقم (٢)

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٣ (ص ١٥٧ - ١٥٨) .
(٣) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٢) ، وهذه الجزائر الى الشرق من الاندلس في البحر الابيض المتوسط . انظر الخريطة . رقم (٢)

ولعللى بن مجاهد اياذ بيضاء فقد ساهم فى انقاذ اخوانه المصريين
ابان المجاعة التى اجتاحت مصر فبعث بمركب كبير ملىء بالاغذية والحبوب الى
مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فاعاد اليه هذا المركب مليئاً
بالتحف والمجوهرات، وكان بين الاثنين رسائل ودية وصداقة^(١).

وكانت نهاية الدولة المجاهدية باستيلاء ابن هود على دانيية
واستسلام على بعد حصار عجز عن مقاومته، فأثر السلام وسلم المدينة لابن
هود مقابل ان يخرج منها هو وولده واهله بالامان، فوافق المقتدر^(٢)
وزال بذلك سلطانه.

(٢) الفتيان مظفر ومبارك فى "بلنسية" :

كان هذان الفتیان يتوليان وكالة الساقية فى هذه المدينة ايام ولاية
عبد الرحمن بن يسار عليها، ثم مالبث مبارك بعد تغير الاحوال ان تولى
امارة بلنسية بالاشتراك مع صديقه مظفر، وكانا يحكمان معا وينظران فى
تصريف شئون المدينة سوياً (ولحق بهم لاول امرهم من موالى المسلمين و من
اجناس الصقل والافرنجة والبشكنش عشيرتهم، وداموا على الركوب حتى تلاحق
ببلنسية ونواحيها جماعة من هؤلاء الاصناف، فوارس برزوا فى البسالقة
والثقاف، وانفتح على المسلمين ببلد الاندلس باب شديد فى ابا^(٣)قصة
العبيد اذ نزع اليهم كل شريد طريد، وكل عاق مشاق . . .) .

ولم يسلم مبارك - وكان اقوى تدبيراً وسياسة من مظفر - من الصراع مع

-
- (١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٢٨) .
(٢) الامير عبد الله : البيان (ص ٧٧-٧٨) ، ابن عذارى : نفس المصدر
والجزء (ص ١٥٨) ، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٠٨) .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ١٤-١٥-١٦) .

جيرانه اذ نراه فى نزاع مع منذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة قبل ظهور بنى هود ، وكان المنذر طامعا فى الاستيلاء على طرطوشة من الفتى لبيب الذى سارع فى طلب العون من مبارك فكانت الحرب بينهما حيث انهزم فيها المنذر وعاد خائبا الى مملكته^(١) .

وتوفى مظفر قبل صاحبه مبارك ، لكن الاخير لحق به من جراء سقططة سقطها حصانه فوق احدى القناطر فهوى مبارك على خشبة ناتئة وسقط فوقه حصانه مما ادى الى مصرعه ، ويذكر ابن عذارى ان الناس طلبوا منه الترفق بحالهم عندما طلب منهم مبالغاً ضخمة فدعى على نفسه بقوله (اللهم ان كنت لا تريد انفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلا تؤخر عقوبتى الساعة)^(٢) فحصل له ما ذكرنا وليس ذلك على الله ببعيد ، وهو قاصم الجبارين ومهلك الظالمين ، وكما عانى الناس فى هذه الفترة من امثال مبارك هذا من الذين استغلوا قوتهم وسلطانهم فى قهر الناس واستلابهم اموالهم و ثرواتهم بغير وجه حق .

وقد مر معنا الاشارة الى دور صاحب طرطوشة لبيب فى حكم بلنسيه مع مجاهد ثم تولى الاخير حكمها بنفسه حتى تسليمه المدينة الى عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن المنصور وخلفه على حكمها ابنه عبد الملك الذى زال سلطانه عنها على يد المأمون بن ذى النون .

(٣) خيران العامرى فى المريه :

كان خيران قد شارك غيره من الفتيان فى احداث الفتنة واعانوا جميعهم على اعادة الامر الى هشام المؤيد ، ولكن خصومهم من البربر كانوا اكثر سيطرة على الاحداث فبعد دخول المستعين قرطبة كما تقدم ذكره

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ١٤ - ١٥ - ١٦) .

(٢) البيان ، ج ٣ (ص ١٦٣) .

خاف الفتیان عاقبة ذلك ففروا خارجها ، وكان منهم خيران الذى سار الى اوربوله واستولى عليها ، ومنها وشب على مرسية ، ثم على المرية ، وكان عليها افلح الصقلبي فقتله خيران وأخذ المدينة منه سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م . ولكن خيران اتفق مع بقية الفتیان العامريين على اختيار زعيم لهم من بنى عامر وتم اختيار عبد العزيز بن عبد الرحمن ، وتمت بيعته فى شاطبه سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م لكن خيران اختلف معه بعد ذلك ، وخرج عليه وبايع محمد بن عبد الملك بن المنصور الذى وفد على مرسية ، لكنه اختلف معه ايضا فخرج الاخير عن مرسية .^(١)

وحكم خيران المرية وبسط سلطانه عليها ، وادخل عليها كثيرا من ضروب الاصلاح والتحصين فدمر اسوارها وبنى بها كثيرا من المنشآت المعمارية واهتم بتوسيع جامع المرية وحفر آبارها .^(٢)

وبعد وفاة خيران تولى صاحبه زهير العامرى مكانه . ودخل هذا فى حروب مع باديس بن حبوس بمشورة وزيره العالم الكاتب احمد بن عباس فقتل زهير فى حروبه تلك وقبض على وزيره ابن عباس وقتل ايضا ، وهنأ عمه اهل المرية الى مراسلة عبد العزيز بن عبد الرحمن الذى دخل المرية وولى عليها صهره ابا يحيى معن بن صراح التجيبى .^(٣)

غير ان معن بن صراح مالبث ان استقل بحكم المرية سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م وكان والده من كبار القواد فى حكومة المنصور بن ابي عامر ، ولما توفي معن خلفه ابنه محمد معز الدولة ، وتلقب بالمعتصم بالله ، وكان حال

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٤٩ - ٢٥٠) ، محمد غسان دول الطوائف (ص ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١) ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المرية الاسلامية (ص ٥٩ - ٦٠ - ٦٦) .
 (٢) السيد عبد العزيز : تاريخ مدينة المرية (ص ٦٠ - ٦١) .
 (٣) ابن عذارى : البيان ج ٣ ، (ص ١٦٦ - ١٦٧) ، السيد عبد العزيز المرجع السابق (ص ٦٨) ، (ص ٧٢) .

البلاد فى عهده على درجة طيبة من الرخاء والامن والاستقرار، وعرف بشغفه العظيم بالعلوم والآداب وامتد حكمه الى اكثر من اربعين سنة حيث دخل المرابطون بلادهم وحاصروا عاصمته حتى سقطت، وكان آنذاك على فراش الموت ^(١).

وفىما يتصل بمرسيه التى كانت تحت حكم زهير العامرى، فقد كان عليها نائبه ابو بكر احمد بن اسحاق بن طاهر، وكان موصوفا بالبراعة فى الادب والشعر مما كان له اكبر الاثر فى نشاط سوق العلوم و المعارف فى تلك المدينة . ولما توفى خلفه ابنه محمد، وكان على مفوال ابيه فيما تقدم ولما سقط حكم عبد الملك العامرى فى بلنسيه باستيلاء المأمون عليها سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م اعلن محمد استقلاله، لكن الحال لم تصفوله فقد امتدت الى مرسيه اطماع المعتمد بتأييد من وزيره ابن عمار الذى سار على رأس حملة عسكرية لمحاصرة مرسيه بالتعاون مع ملك برشلونه النصرانى غير انه لم ينجح فى محاولته فارتد ليعود اليها ثانية ولكن بقيادة عبد الرحمن بن رشيق الذى حاصرها حتى سقطت سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م ودخلت على املك المعتمد بن عباد ^(٢).

-
- (١) ابن عذارى : البيان، ج ٣ (ص ١٦٧-١٦٨)، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٩٣-٢٩٤)، الذهبي : تاريخ الاسلام- مخطوط ج ١٢ ورقة ٤٣ب، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥، وانظر محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٦٤) وما بعدها السيد عبدالعزيز : المرجع السابق (ص ٧٤، ٨٢).
- (٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٢٤-٢٥-٢٦)، محمد عنان : المرجع السابق (ص ١٧٩) وما بعدها.

رابعاً : موالى بنى امية .

د ولقبني جهور في قرطبة :

عندما اعلن اهل قرطبة موقفهم من بنى امية وقرروا سحب الثقة منهم في تولي امرهم عمدوا الى عرض سياسة مدبنتهم و تدبير شئونهم على الشيخ محمد بن جهور، وكان من وزراء الدولة العامرية موصوفا بالحكمة والعقل متزها عن الوقوع في احداث الفتنة و تدنيس يده في دماءها ، وبعد الحاج من اهل قرطبة قبل تولي امر ادارة شئونهم وتصريف سياستها ، واشترط مقابل موافقته اشتراك محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن ابني عمه في المشورة والرأى^(١) .

سار ابن جهور على نهج متميز في تدبير شئون قرطبة والنظر في سياستها ومعالجة امور الرعية فهو اولا لم يدع اماراة او ملك و لم يتسم بشيء من ذلك بل كان يرى انه في خدمة الرعية حتى يأتي من يستحق حكم المدينة (ورتب البوابين والحشم على ابواب تلك القصور على ما كانت عليه ايام الدولة ولم يتحول عن داره اليها ، وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدي رجال رتبهم لذلك ، وهو المشرف عليه ، وصير اهل الاسواق جندا ، وجعل ارزاقهم رؤوس اموال تكون بايديهم محصلة عليهم يأخذون ربحها فقط ورؤوس الاموال باقية محفوظة ، يؤخذون بها ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم ، وامرهم بتفرقة في الدكاكين ، وفي البيوت حتى اذا دهم امر في ليل او نهار كان سلاح كل واحد معه . . .)^(٢)

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٦٠٢) .
 (٢) الحميدى : الجذوة (ص ٢٨) وانظر ما يتضمن هذا المعنى : ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٦٠٢) وما بعدها ، ابن خاقان المطمح (ص ١٨٠-١٨١) وما بعدها ، ابن الابار : الحلة السيرة ج ٢ (ص ٣٠) وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ (ص ٢٩٠) =

وعلى هذا فان سياسة ابن جهور كانت سياسة حكيمة عادلة، صلح بها حال الرعية بعد الفتن والقتل، وكان اذا ارابه امر عمد الى مشورة الجماعة، واذا حصل لديه من المال شيء لم يأخذه بل يشهد على مقداره ويسلمه لغيره من الجماعة لتفريقه على مستحقه، وكان الى جانب ذلك عفيفا صالحا جميل السيرة، حميد الاخلاق فى نفسه ومع الناس .^(١)

وهكذا يلحظ الدارس للتاريخ الاسلامى الاندلسى مدى ما عادت به سياسة الشورى على الرعية من وفور الامن والاستقرار الذى قام عليه ازدهار ورخاء ورقى، وهو ما افتقده الناس ايام الفوضى والقتل، وهذه الحكومة بلا شك تعتبر نموذجا وضاء ورائعا فى التاريخ السياسى الاسلامى، اذ انها قامت على حكم الجماعة، ومبدأ تطبيق نظام الشورى الاسلامى، فكانت من انجح بل لانغالى انها انجح الحكومات التى قامت فى الاندلس لو امتد بها عمر وسارت على ذلك المنهج السياسى الاسلامى . وتعتبر حدثا غريباً بين تلك المعالِك الاندلسية التى قامت على الحكم الفردى المطلق البغيض الذى ادى الى قهر الرعية واستنزاف اموالهم فى سبيل اشباع رغبات حكامهم وتوفير الاجواء المترفة لهم على حساب الرعية وعرقها، هذا بالاضافة الى ظلم الناس بجمع الاموال الضخمة لملوك النصارى كجزية يكفون بها عن استلاب اولئك الملوك عروشهم .

يقول ابن حيان فى وصف نتائج الحكم الشورى فى قرطبة (واستمر ابن جهور فى تدبير قرطبة، فانجح سعيه بصلاحها، ولم شعشها فى المدة

= المراكشى : المعجب (ص ٩٠) وما بعد ها، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٤، كامل الكيلانى : ملوك الطوائف (ص ٩ - ١٢)، عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص ٣٢٣)، خالد الصوفى : جمهورية بنى جهور (ص ٥٠) وما بعد ها .
(١) ابن يسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٦٠٢ - ٦٠٣) .

القريبة واشمر الثمرة الزكية، ودب دبيب الشفاء فى السقام، فنعش منها الرقات والحفها رداء الامن . . فرخت الاسعار، وصاح الرخاء بالناس ان هلموا فلبوه من كل صقع، فظهر تزايد الناس بقرطبة من اول تدبير لها حتى ملأوا المساجد والافنية، وسمت اثمان الدور بها، والابتناء لخرابها الفاشى^(١) اخذا بالهويناء فاتصل البنيان بها، وغلت الدور وحركوا الاسواق . .)

هذا قول ابن حيان المؤرخ الصادق الذى لا ينقص من شهادته انه عمل لديه فى وظيفة كتابية فان ابا الحزم قد توفى قبل ابن حيان، وكان باستطاعة الاخير وقد انطلق من قيود وظيفته، وتخلص من مراقبة رئيسه ومتابعته ان يكتب ماشاء له ان يكتب، ولكنه عرف حسن تلك السياسة وعظمتها فى رقى احوال الرعية وانقاذهم من الظلم والظلام، وقد اشار ابن حيان فى معرض حديثه عن تلك الحكومة الى انه لولا ما اوصاه به ابو الحزم من كتمان اعماله وافعاله الخيرية لزاد فى الثناء على سيرته ولكنه اجابه الى ذلك فاكفى بما اشار اليه .

وخلف ابا الحزم فى متابعة الاشراف على سياسة قرطبة ابنه ابو الوليد الذى سار على نهج ابيه وحرص على اعادة الحقوق لاصحابها وكانت احوال الناس فى قرطبة تزداد نتيجة لتلك السياسة رخاء وازدهارا وتطورا فى مناحى الحياة المختلفة، حتى عجب الناس من شمول الامن والاستقرار فى صورة لم تتوفر اثناء وجود الشرطة ورجالها قبل عصر الفتنة^(٢)، رغم ما كان للشرطة من هيبة وجلال فى قلوب الناس، ولكنها السياسة العادية والطمأنينة النفسية التى حلت فى قلوب الناس واستشعارهم مسئولية المشاركة فى الحفاظ على مدينتهم وامنها وسلامتها .

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٦٠٣-٦٠٤) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ٦٠٥-٦٠٦) .

ولكن الخطأ الذى لا يخلو منه انسان وقع فيه ابو الوليد اذ انه قسم شئون الحكم فى الرعية بين ابنيه عبد الرحمن وعبد الملك، ولكن الاخير وهو الاصغر استطاع ان ينفرد بالسياسة، وكان يعاونه فى تدبير شئون السياسة الوزير ابراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء وكان المعتضد يتابع احوال قرطبة طامعا فيها راغبا فى القضاء على حكومتها، وبالاخص على الوزير النابه ابن السقاء الذى استطاع ان يدير شئون تلك المدينة بحنكة بالغة مما دفع المعتضد الى زرع الفتنة بينه وبين عبد الملك فسارع الاخير الى قتل وزيره ظنا منه انه يدبر مؤامرة لاختد الحكم والتخلص منه (١).

وفى عهد عبد الملك طمع المأمون صاحب طليطلة فى الاستيلاء على قرطبة، فسار اليها بجيش فاستنجد عبد الملك بالمعتمد من عباد الذى ارسل اليه قوة من الجند نزلت بربضها الشرقى، ولما يأس المأمون من حصول مراده رحل عنها الى بلاده، وماكاد ان يغيب عن الانظار، حتى سارع الجيش الاشبيلي فحاصر قصر قرطبة، وتم لهم القبض عليه وعلى اخوته واسرته وابيه الوليد بن جهور، وكان فى حالة صحية سيئة، حيث سجنوا بجزيرة شلطيـش (٢).

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٦٠٧-٦٠٨-٦٠٩)، محمد

عنان : دول الطوائف (ص ٢٦) .

(٢) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٦١٠-٦١١)، محمد

عنان : المرجع السابق (ص ٢٨-٢٩) وجزيرة شلطيـش فى الجنوب الغربى لمملكة اشبيلية وقد استولى عليها المعتضد كما مر معنا آنفا .

مواقف بعض العلماء من تحطم الوحدة السياسية للاندلس :

واخيرا هؤلاء هم ملوك وامراء الطوائف، وهناك امارات صغيرة قامت فى بعض انحاء الاندلس، لكنها ما لبثت ان انضمت بالقوة الى امارات وممالك اقوى منها، وفى جانب آخر هنالك امراء قاموا فى بعض المناطق، ولكنهم كانوا من الضعف بحيث لم يؤثروا فى الاحداث بشيء يذكر، وكان الصراع العسكرى كما رأينا ديدن ملوك الطوائف، فقلما نسمع عن ملك منهم عاش فى مملكته آمنا مستقر الحال، بل كان تاريخ تلك الممالك مطبوعا بمسحة عسكرية قتالية فيما بينها . وهى بلا شك ظاهرة طبيعية لانهم انفسهم كانوا ثائرين مغامرين طامعين، فمن العسير ان نطالبهم بالسلام فيما بينهم ولأنهم انشأوا ممالكهم على مبدأ الاغتصاب والسلب والقتل والتدمير، ولو اننا نظرنا الى مواقفهم تجاه القوى النصرانية لملئنا العجب من استخذائهم لملوك النصارى وتهافتهم على كسب رضاهم حفاظا على عروشهم من الضياع فكانوا يؤدون الجزية لملوك النصارى . يقول ابن بسام فى ذلك : (وكانت طوائف الروم مدة ملوك الطوائف بافقنا قد كلب دأؤهم بكل اقليم فلاطفوهم بالاحتيال، واستنزلوهم بالاموال، فلم يزل دأبهم الازعان والانقياد ودأب النصارى التسلط والاعناد، حتى استصفوا الطريف والتلاد، واتى على الظاهر والباطن النفاذ، بما كانوا ضربوا على انفسهم من الضريبة الى ما يتبعها من هديات ونفقات)^(١) .

ومن المضحك ان نجد كثيرا من الشعراء يزينون لهم هذا السلوك المشين الذى يعتبر خيانة كبيرة للامة والوطن حتى قال حسان المصيصى يمدح المعتمد ويهون عليه تلك الاتاة :

(١) الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٢٤٨) .

ولم تطودون المسلمين ذخيرة
تحيل في فك الاسارى وانما
تهين كرام المنفسات لتكرما
تعاقد كفارا لتطلق مسلما

وفي ذلك قال ابو بكر الداني :

في نصره الدين لا اعدت نصرته
تنيلهم نعماً في طيها نقم
تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع
سيستضربها من كان ينتفع^(١)

الى آخر هذا الهذيان والتدليس في محاولة لاخفاء الذل والحقارة
عن اصحابها .

وبعكس هؤلاء المرجفين كان هنالك علماء مخلصين وادباء بالحسنى
مستمسكين اعلنوا سخطهم واستياءهم لهذا الامر، فقد ذكر ان ابن هود لما
طلب من رعيته جمع اموالا طائلة كجزية لملك النصارى - سار منهم - اى من
الرعية - وقد الى احد العلماء الصالحين فاخبروه بذلك ، فغضب وسار الى
ابن هود فوعظه واغلظ له في القول حمية للمسلمين والاسلام ، فاغتاظ ابن
هود وقال في نفسه احتقرنا هذا حتى خاطبنا بهذا الكلام فان تركناه
تجاسر علينا غيره ثم امر بقتله^(٢) .

ونجد خلال دراستنا لتاريخ ملوك الطوائف مواقف مشرفة لبعض
المخلصين والغيورين للاسلام والمسلمين ، نلمس ذلك في سيرة المتوكل امير
بطليوس الذى رفض فى اباء وشم تهديدات الفونسو له وطلبه بعض قلاع
وحصونه واداء الجزية ، فرد عليه المتوكل برسالة قتلته عن الشجاعة والانفـ
وعزة الاسلام وختمها بالاشارة الى ان الامر لى المسلمين بين حالين اما
نصر مؤزر يعلى الله به شأن المسلمين او شهادة غالية توصل الى رضـ

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٢٤٨ - ٢٤٩) .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ (ص ٢٢٩) .

رب العالمين . وان ليس غير السيف جوابا آخر^(١) .

وكان الوضع السياسى لاندلس مصدر الم للمتوكل الذى كان متطلعا الى لم شمل المسلمين وتوحيد سياستهم ، فندب العلامة الفقيه قاضى عاصمته بطليوس ابا الوليد سليمان بن خلف الباجى ، ليطوف بعواصم الاندلس ويتصل بملوكها فيعظهم ويبين لهم طريق الرشاد فى التصك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله جميعا ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، واتم ابو الوليد مهمته ولم يدخر وسعا فى سعيه نحو جمع كلمة المسلمين وجبر صدعهم .^(٢)

وكان الباجى اول وصوله لاندلس من المشرق عائدا من رحلته العلمية ، قد هاله ماشاهده من اوضاع المسلمين وتفرق شملهم ف (رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك اهل الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الاسباب فقام مقام مؤمن آل فرعون ، لو صادف اسماعا واعية ، بل نفخ فى عظام نخرة وعكف على اطلال دائرة ، بيد انه كلما وفد على ملك منهم فى ظاهر امره لقيه بالترحيب ، واجزل حظه بالتأس والتقريب ، وهو فى الباطن يستجمل نزعتهم ويستثقل طلعتهم ، وما كان افطن الفقيه رحمه الله بامورهم ، واعلم به بتدبيرهم لكنه كان يرجو حالا تثوب ومذنبا يتوب)^(٣) .

وفى سيرة ابي الوليد بن جهور ما ينم عن صلاح سيرته وتطلعه الى وحدة المسلمين ونبذ الفرقة عنهم ، وقد كان له دور فى ذلك ، فقد سعى فى الصلح بين المعتمد وابنه الافطس على اثر الحرب التى كانت متصلة بينهما والتى فنى فيها كثير من الارواح والاموال مما لو وجه الى تقوية

(١) عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق (ص ٩١) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٩٥ - ٩٦) .

الجبهة الاسلامية لما تجاسر النصارى على عدوانهم وفرضهم الاتاوات على
حكام المسلمين^(١) .

وسوف نشير الى دور بعض الشعراء والادباء الذين لم يفرهم
زخرف الدنيا عن قول الحقيقة والدعوة في صراحة الى التنبيه الى الاخطار
المحدقة بالمسلمين . ومن هؤلاء الشعراء الشهيد ابو حفص الهوزنى
وابو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيرى ، والسميسر خلف بن فرج الالبيرى
وقد لقي الاول منهم مصرعه لقوله كلمة الحق لدى المعتضد وهو ماسوف نشير
اليه عند الحديث عن الشعر .

كما ان العلامة ابا بكر محمد بن احمد بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
سعى آنذاك بين ملوك الطوائف في ازالة الفرقة وتقريب وجهات النظر
ومحاولة رأب الصدع^(٢) .

وغير هؤلاء كثير من العلماء والادباء الذين لم يركنوا الى الدعوة
والخنوع والتزلف الى الحكام وتقييل الارض بين ايديهم ، بل راعوا امانة
العلم والمعرفة وتحلوا باخلاق العلماء الصادقين فكشفوا الكثير من الزيف
والضلال الذى سلكه ملوك عصرهم وبينوا لهم حكم الشرع فى ذلك تحدوهم
الحمية وعزة دينهم ، وانهم على الحق ولا بد ان العاقبة للمتقين^(٣) .

ولكن رغم هذه المساعي والجهود المخلصة فان ملوك الطوائف بما
جبلوا عليه من حرص وانانية فى احتفاظ كل منهم بحياته الناعمة المترفة
وعكوفه على الملذات الهاهم جميعا عن واجبهم امام الله ثم امام وطنهم

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤١ - ٤٢) .
(٢) المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ٣٧ - ٣٨) .
(٣) انظر عبدالرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى (ص ٣٣٦) وما بعدها .

ولم يعطوا لتلك المصاعى الخيرة اهتماما ولا القوا اليها بالا ، حتى ايقظتهم من سباتهم النكبة العظمى وهى سقوط طليطلة فى يد الفونس ملك النصارى وكأنما كانوا فى نوم عميق ، حتى اذا وقعت الطامة تمللوا من سباتهم واخذوا يتلمسون حقيقة وضعهم المزرى امام عدوهم الطامع المتغطرس ، وكان من اثر ذلك اتفاقهم فيما بينهم على الاستنجاد باخوانهم المسلمين فى بلاد المغرب ، فاستجاب قائد هم يوسف بن تاشفين لهم بعزيمة ماضية ورغبة صادقة فى نصرة الاسلام ، وعبر يوسف الى الاندلس حيث سافر بجيش بمساندة اهل الاندلس الى سهل الزلاقة ليلتقوا بجيوش الفونس وانزلوا بها هزيمة ساحقة سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م وتبع هذه الحادثة بسنوات دخول المرابطين الاندلس لتوحيدها والقضاء على التشرذم والتفكك واعادة الوحدة السياسية للاندلس بعد ان افتقدوا فترة طويلة^(١).

ولكن رغم هذا التمزق فى الكيان السياسى للاندلس فى عصر ملوك الطوائف الا ان هناك حقيقة هامة ترتبط بهؤلاء الملوك وهى انهم كانوا اكثر عظمة وقوة فى ميادين العلم والادب ، وكانوا بحق قادة قد يرين فى مسيرة الحضارة الاسلامية فى الاندلس ، وما من شك انه كان لتعدد بلاطاتهم واختلاف ميولهم العلمية والادبية اثر كبير فى نشاط المعرفة والعلوم المختلفة فتميز البعض فى النهوض بالدراسات اللغوية ، والبعض الآخر فى الادب ، والشعر ، وآخرون فى العلوم البحتة الى ما هنالك من فروع العلم . بل ان اكثر هؤلاء الملوك كانوا بحق علماء يشار اليهم بالبنان ، وسوف نفصل الحديث عن هذه الظاهرة فى الفصل الثانى .

(١) انظر عبد الرحمن الحجى ، المرجع السابق (ص ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩) ، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨) .

(الفصل الثاني)

(عوامل رقي الحياة العلمي في الأندلس في القرن الخامس الهجري)

- * التطور العلمي للأندلس في عصر الخلافة (القرن الرابع الهجري) .
 - * تعدد المراكز الحضارية في الأندلس والمنافسة بينهما .
-

التطور العلمى لاندلس فى عصر الخلافة^(١)
(القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)
~~~~~

من الملاحظ عند دراسة التأثيرات الحضارية فى تاريخ الشعوب والامم ان أيا من الحضارات الكبيرة المؤثرة فى غيرها من الحضارات قد سبق تأثيرها وفعاليتها القوية جهد عظيم ونشاط واسع فى بناء تلك الحضارة وتقوية دعائمها والرقى باحوالها الى درجة كافية من النضج والعطاء السخى للانسان ، وعندئذ يكون لها قوة التغيير وعمق التأثير فى غيرها من الحضارات التى لم تبلغ قوتها وحيويتها .

ونحن عند دراستنا للحضارة الاسلامية فى الاندلس يتبين لنا ان حالها مر بمثل تلك المراحل ، فقد اعقب استقرار احوال المسلمين فى اسبانيا فى عصر الامارة<sup>(٢)</sup> الاتجاه نحو مناحى الحضارة المختلفة من نظم حكم واقتصاد وتجارة وثقافة وفكر وغير ذلك ، حتى اذا جاء عصر الخلافة شهد تحولا واضحا فى مسيرة الحركة الحضارية وعلى وجه التخصيص الجانب العلمى منها اذ انها وجدت المناخ الملائم والتربة الخصبة للنماء السريع . وكان ذلك عائدا الى عوامل عدة من اهمها ما اولاه الخلفاء ، وفى مقدمتهم الخليفة الحكم المستنصر من جهود ومساع عظيمة لدفع عجلة النشاط العلمى فى

( ١ ) سبق للباحث ان درس هذا الموضوع فى شىء من التفصيل فى رسالته التى نال بها درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى من جامعة ام القرى سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . وموضوعها " الحياة العلمية فى الاندلس فى عصر الخلافة " ( لم تنشر ) .

( ٢ ) شهدت الاندلس فى عصر الامارة بداية ازدهار العلوم والآداب . وكان عصر الامير عبدالرحمن الاوسط عصرا زاهيا فى مختلف ميادين الحضارة ومنها بطبيعة الحال ميدان العلم والمعرفة ، اذ كان الامير نفسه معتنيا بعلوم الاوائل شغوبا بالفلسفة حتى شبه بالمأمون العباسى فى ذلك ، وعرف عنه تشجيعه للعلماء واکرامه لهم وعقده كثيرا من مجالس العلم والادب والمناظرات بين يديه .

انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، رسالة ماجستير لم تطبع ( ص ٥٤ ) .

الاندلس . هذا ومن الانصاف ان نشير - فى هذا الصدد - الى دور ابيه  
 الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى عمل على تهيئة الاجواء المناسبة لازدهار  
 العلوم والمعارف ، فعصره قد شهد حالة من الاستقرار السياسى وشيوع الامن  
 والسلام فى المجتمع الاندلسى ، فاتجه الناس الى تحسين احوالهم المختلفة  
 ومتابعة مسيرتهم الحضارية بمختلف عناصرها ومن بينها العلوم والآداب ، وكان  
 العلماء آنذاك يرحلون للقاء بعضهم البعض والاخذ عن البارزين منهم علوم  
 الدين والادب والتاريخ وغير ذلك من العلوم ، وكانت العاصمة قرطبة تمثل  
 قطب الرحى فى ذلك النشاط ، ومهوى افئدة العلماء وطلاب المعرفة . وكانت  
 كمركز للخلافة تشهد ورود العلماء والادباء على بلاط الخلافة فينالون من  
 الخليفة ووزرائه كل تكريم وتشجيع ، ولهذا لانعجب ان ألف كثير من الكتب  
 باسم الخليفة او باسم وزير من وزرائه مما هو لموسى فى حركة التأليف العلمى  
 آنذاك .

ولم تكن عناية الخليفة الناصر بالعلوم والآداب مقتصرة على كونه محبا  
 لذلك ، بل كان هو نفسه يتمتع بقدر لا بأس به من المواهب الادبية والشعرية .

كما ينسب الى الخليفة الناصر اجادته للانشاء وكتابة النثر الجميل .  
 هذا ولاتفوتنا الاشارة الى مدى اهتمامه البالغ بمصادر المعرفة  
 فقد سعى الى جمع الوان الكتب ونفائسها حتى بلغ هذا الامر الامبراطور  
 البيزنطى ارمانوس فبعث اليه بكتابين احدهما فى الطب ، وهو كتاب  
 ديسقوريدس فى النبات مصورا وباللغة الاغريقية والاخر كتاب هروشيـش  
 باللاتينية فى التاريخ <sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى  
 الاندلس ( ص ٦٦ ) وما بعدها .  
 ديسقوريدس : عالم نباتى يونانى من اهل مدينة عين زربة - لا يعلم  
 تاريخ مولده ووفاته ويظهر انه بعد ابقراط وكان عظيم الاهتمام =

وتولى بعد الناصر ابنه الحكم المستنصر الذى كانت خلافته ايدانا بعهد جديد فى الاندلس من الناحية الفكرية ، والخليفة الحكم يعتبر بلامبالغة اعظم حكام الاندلس علما وادبا وتأثيرا على مجرى الحركة العلمية فى الاندلس على امتداد عصورها ، وهذا ليس فيه مبالغة ، فقد كان شغوفًا بالعلوم والمعارف عظيم الالتصاق بها ، جماعا للكتب مهتما بها الى درجة عظيمة . وكان كثير القراءة فى فروع المعرفة حتى اكسبه ذلك شخصية علمية متألفة وفكرا نيرا ورأيا نقديا صائبا ، وهو ما دفع العلماء الى اعتبار اقواله وآرائه العلمية حجة لديهم .

وبناء عليه فان هذا الخليفة العالم قد أحدث فى عصره ثورة علمية واسعة النطاق سلك فى قيامها طرقا واساليباً مختلفة من ابرزها اهتمامه البالغ بتشجيع العلماء والادباء على البحث والتحصيل والتصنيف حتى قال المواعيني ( وفى ايامه كثر العلماء ، وادلوا بما عندهم ، والفت التواليف

= بالادوية المفردة والف فيها كتابه المشهور الذى عول عليه من بعده ( القفطى : اخبار العلماء ص ١٢٦ ) وعين زرية من الثغور الشامية الحميرى : الروض ( ص ٤٢٢ ) .

هروشيش : بول اوروسيوس ، اصله من اقليم براكارا فى مقاطعة جليقية فى الشمال الغربى من اسبانيا ، ويحتمل ان يكون قد ولد فيما بين سنتى ٣٧٥ و ٣٨٠ بعد الميلاد ، درس اللاهوت حتى تخرج قسيسا وقد صنف كتابه هذا بناء على رغبة القديس اوغسطين الذى تأثر لسقوط روما فى يد القوط الغربيين سنة ٤١٠ م وكان الوثنيون يعززون سقوطها لاعتناق الامبراطورية الرومانية للمسيحية فكان اوغسطين يهدف من وراء استعراضا و رسيوس لاحداث التاريخ ان المسيحية لاشان لها بالكوارث وكان لهذا الكتاب اثر بالغ فى اواخر العصور القديمة وطوال العصور الوسطى ، والكتاب مطبوع باللغة العربية اعتمادا على الترجمة التى ظهرت فى عصر الخليفة الناصر الاندلسى فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، وقد حققه د . عبد الرحمن بدوى ( وهذا من مقدمة الكتاب ) .

وصنفت التصانيف ) .

والى جانب ذلك عمد الى توفير الكتب من شتى حقول المعرفة وسعى فى جمع نفائسها وبلغ من شدة عنايته وحرصه على جمعها انه ( لم يسمع فى الاسلام بخليفة بلغ مبلغه فى اقتناء الكتب والدواوين وايثارها والتهم بها ) ، وكان من نتائج ذلك ان ضمت مكتبته الضخمة مايزيد على اربعمائة الف مجلد فى مختلف فروع المعرفة .

ومن ناحية اخرى كان للحكم جهود واضحة ملموسة فى تعليم شعبه وتشقيقه ، فقد امتدت يده حانية مواسية للفئات الفقيرة المتطلعة الى التعليم فيسر السبل امامها لتعليم اولادها وافتتح سبعة وعشرين مكتبا ، ثلاث منها الحقها بجامع قرطبة ، والباقي فرقه على ارباض قرطبة لتعليم الاطفال والتلاميذ وخصص لتلك المهمة عددا وافرا من العلماء والفقهاء ، واجرى عليهم المرتبات واوصاهم بالاخلاص فى عملهم .

وكان لحرص الحكم على ان ينال كل فرد من رعيته حقه فى التعليم ان امر بحبس حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين واولاد الضعفاء والفقراء<sup>(١)</sup> .

وعندما مات الحكم المستنصر وفى خلافة ابنه هشام وثب المنصور محمد ابن ابي عامر على سدة الامر وسيطر على مقاليد الامور فى الدولة ، وكانت نشأة المنصور نشأة علمية حيث كان فى شبابه احد طلبة العلم وهو ما يفسر لنا متابعة الاهتمام بالعلوم والمعارف عند توليه سياسة الدولة الاموية بعد وفاة

( ١ ) انظر عن شخصية الحكم المستنصر العلمية وجهوده فى تشجيع العلم والعلماء : سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ٧١ - ٧٨ ) .

المستنصر، وعلى الرغم من اقدامه على احراق واخفاء كتب الفلسفة فان بقية فروع العلم والمعرفة ظلت على حالها من الازدهار .

ومما يدل على عناية المنصور بالعلم ما ذكر من انه كان له فى كل اسبوع مجلس يجتمع فيه كبار العلماء والادباء ، فيأخذون فى التناظر فيما بينهم وتبادل مسائل العلم ومناقشتها بين يدي المنصور الذى لم يكن يشغله عن ذلك سوى جهاده ضد النصارى .

وكان المظفر بن المنصور خكيما فى قيادته وسياسته مع رعيته ، فعاش الناس فى عهده فى رخاء وتطور ، حتى عدوا ايامه وكأنها اعياد<sup>(١)</sup> .

وبهذا يتبين لنا مدى ما اسهم به اولئك الخلفاء والحكام من ايجاد بيضاء على الحركة العلمية وما قدموه من جهود عظيمة ومساع حميدة نتج عنها نهضة علمية زاهرة وغدت قرطبة فى عهدهم منارا للعلم وكعبة للمعرفة يؤمها آلاف العلماء وطلاب العلم ينهلون من المجالس العلمية وحلقات العلم اعذب المعارف وارقاها ، ولا غربة فى ذلك فقد ( كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وام القرى ، وقرارة اهل الفضل والتقوى ، ووطن اولى العلم والنهى وقلبا لقاليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاسلام ، وحضرة الامام ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمره الخواطر ، وبحر درر القرائح ، ومن افقها طلعت نجوم الارض وعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها انتشأت التأليفات الرائقة<sup>(٢)</sup> وصنفت التصنيفات الفائقة . . . ) .

( ١ ) عن شخصية المنصور بن ابي عامر وابنه المظفر ودورهما فى تشجيع العلم والعلماء . انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ٧٩ - ٨٧ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ١ ( ص ٣٣ - ٣٤ ) .

ومما يؤكد لنا عظمة ذلك العصر وسعة ما حواه من ارباب العلوم والمعارف انه كان بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية ، فى كل واحدة منها منبر وفقه مقلس ، وكان عليه مدار الفتيا فى الاحكام والشرايع ، والقالس عند اهـ الاندلس من لبس القنسوة ولم يكن يلبسها الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحفظ المدونة <sup>(١)</sup> .

ويلاحظ الدارس للحركة العلمية فى عصر الخلافة نشاط الرحلات العلمية بين الاندلس والمشرق وذلك فى سبيل تحصيل العلوم والمعارف ولقاء اكابر علماء المسلمين فى المشرق والاخذ عنهم ، ونقل كتبهم ومصنفاتهم الى الاندلس وبثها فى اقطارها وبين علمائها . وبناء على هذا فقلما نرى عالما من الاندلس لم يرتحل الى المشرق ويأخذ عن علمائه اللهم الا عددا قليلا . وما من شك انه كان للبعض اغراضا مختلفة ليس لها بالعلم صلة كالحج والتجارة والسياحة وهذا لا يعنى التقليل من اخلاصهم للعلم فقد كانوا يرون من المفيد الجمع بين تلك الاهداف وبين لقاء العلماء وتحصيل العلم ، ولهذا قال المقدسى فيهم ( يحبون العلم واهله ، ويكثرون التجارات والتغرب ) .

وكان من اثر تلك الرحلات العلمية ان ازدهرت الحياة العلمية فى الانلس ، فقد عاد اولئك العلماء الراحلين بعلم اثرى ومعرفة اوسع وامتلات الاندلس بالآلاف الكتب والمصنفات فى مختلف فروع العلم والمعرفة ، واخذ الانلسيون فى تلقى تلك العلوم من افواه العلماء ومن بطون الكتب الواردة عليهم فازداد النشاط العلمى بصورة سريعة ومتنامية حتى وجدنا بعض العلماء الاندلسيين وقد تألقوا وابدعوا فصنفوا بانفسهم مصنفات قيمة ومنها عـدداً لا بأس به فى نقد بعض الانتاج العلمى للمشاركة ، وهى ظاهرة تدل على

---

( ١ ) المقري : نفع الطب ( ص ٢٠٢ ) .

نمو الشخصية العلمية الاندلسية وتحقيق ذاتها<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلق بالعناية بالكتب وجمعها اظهر الاندلسيون في عصر الخلافة ولعا شديدا بجمع الكتب والتنقيب عن نفائسها ونوادرها ، حتى قيل انهم اشد الناس اعتناء بذلك وصار ذلك من سمات النبيل والفضيل والرياسة لديهم ، ولو كان جامعها وشاريها لا يقرأ ولا يكتب .

وظهر في المجتمع الاندلسي من هواة جمع الكتب - عدا من ذكرنا من الخلفاء - عدد من الوزراء والعلماء ، اشتهروا بمكتباتهم الضخمة التي تحوى اعدادا كثيرة من نفائس الكتب ونوادير المصنفات امثال الوزير ابو الطرف عبد الرحمن بن فطيس ( ت ٤٠٢ هـ / ١١١١ م ) ، والعلامة محمد بن يحيى الغافقي ( ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ) ، واحمد بن عباس ، واحمد بن محمد الاموى ( ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ) ، وسلمة بن سعيد ( ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ) وغير هؤلاء<sup>(٢)</sup> كبير .

ونظرا للنشاط العلمى الكبير فى مختلف جوانب العلم ، فقد ظهر اعلام كبار فى فروع المعرفة المختلفة ، ففى علوم الدين برز عدد من العلماء كىحيى بن لبابة ( ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م ) الذى نال كتابه فى الفقه المسمى " المنتخب " ثناء ابن حزم الذى قال فيه انه لم ير لمالكى ( كتابا انبل منه فى جمع روايات المذهب ، وتأليفها ، وشرح مستغلقها ، وتفريع وجوهها ) واشتهر ايضا سميه يحيى بن عبدالله الليثى الذى ذاع صيته بمجالسه العلمية الحافلة فى قرطبة ، ومحمد بن عمر المعروف بابن الفخار الذى كان يفخر بأن

( ١ ) انظر كبرهان على ذلك المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ١٦٨ ) وما بعدها .  
( ٢ ) عن الكتب والمكتبات فى عصر الخلافة انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس . الفصل الثالث  
( ص ١١٤ - ١٣٢ ) .



بانه أَسْتَفْتَى فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ . وابن عبد البر النمرى حافظ الاندلس وعالمها الكبير ، وصديقه ابن حزم الظاهري الذى ملأ ذكره المشرق والمغرب ، وفى الحديث برز محمد بن عبد الملك بن ايمن وصاحبه قاسم بن اصبح البيانى ، وعبد الله بن محمد بن على اللخمى ، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن فطيس ، وفى علوم القرآن احمد بن محمد الطلمنكى وابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، ومكى بن ابى طالب ، وعبد الرحمن بن مروان الانصارى ، ومحمد بن عبد الله المرى <sup>(١)</sup> .

وفىما يتصل بالحياة الادبية واللغوية ، فقد نال هذا اللون من الدراسات العلمية جهدا واسعا وعميقا ، ومن اعلامه الاديب احمد بن محمد بن عبدربه الذى لا يزال كتابه العقد يحتل مكانة عالية بين كتب الادب العربى ويعد من روائعه واركانه واصوله كما يعتبر مرآة لثقافة الاندلسيين فى الادب .

وفى مقدمة الادباء فى ذلك العصر ابو على اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالى ، وقد ارتحل من المشرق الى الاندلس ، حيث حظى بمكانة عالية فى كنف الخليفة الناصر وابنه المستنصر ، ومن تأليفه النفيسة كتاب " الامالى " .

ويأتى الاديب صاعد بن الحسن الربعى من المشرق الى الاندلس ليحل ضيفا على المنصور العامرى ويصنف له كتابه " الفصوص " ، وهو من امتع الكتب الادبية .

واشتهر بالادب ايضا احمد بن عبد الملك بن شهيد صاحب كتاب

---

( ١ ) عن العلوم الدينية ونشاطها فى عصر الخلافة ، انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، القسم الثانى الفصل الاول (ص ١٥٧ - ٢١٣) .

## التوابع والزوابع .

وذاع صيت ابن حزم الظاهري بكتابه الادبي الجميل " طوق الحمامة " والذى لقي قبولا واستحسانا فى الادب العربى واللاتينى على حد سواء .

واذا تعرضنا للشعر والشعراء وجدنا ذلك العصر حافلا بقطاع حلة الشعر امثال يوسف بن هارون الرمادى الكندى الذى امتدحه النقاد فقالوا ( فتح الشعر بكنده وختم بكنده ، يعنون امرىء القيس والمتنبى ، ويوسف بن هارون ) . وتألق آنذاك الشاعر محمد بن هانىء الاندلسى الذى وصف بانه لدى أهل الاندلس كالمتنبى بالمشرق ، ووصف معاصره احمد بن دراج القسطلى بذلك الوصف وعد من فحول الشعراء .

وفى ميدان النحو واللغة قدم ابو على القالى الآنف الذكر جهودا عظيمة لتطور تلك الدراسات ، فقد نقل معه الى الاندلس كتب اللغة لاصحابه من المشاركة ، بالاضافة الى تأليفه البارعة ككتاب " البارع فى اللغة " و"المقصود والممدود" و"فعلت وافعلت" وغيرها .

ولمع اسم ابن القوطية محمد بن عمر فى اللغة حتى نال ثناء ابيه على القالى والى جانب هؤلاء احرز تمام بن غالب التيانى شهرة واسعة فى هذا الميدان وصنف فيه كتابا قيما<sup>(١)</sup> .

وفى العلوم الانسانية شهدت هذه الفترة علماء بارزين يأتى فى مقدمتهم آل الرازى الذين قدموا فى التاريخ والجغرافيا دراسات علمية فذة

---

( ١ ) عن الحياة الادبية واللغوية فى عصر الخلافة ، انظر سعد البشورى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، القسم الثانى الفصل الثانى ( ص ٢١٥ - ٢٨٦ ) .

وكان اولهم اشتغالا بذلك محمد بن موسى الذى نال مكانة كريمة لدى الامير محمد بن عبدالرحمن ، ولكن ابنه احمد كان ابرع منه فصنف كتباً فى التاريخ والجغرافيا ، ضاعت جميعها ، ولم يتبق لنا منها سوى نصوص محدودة .

وخلف احمد ابنه عيسى الذى تفوق فى التاريخ فصنف للمنصور العامرى كتاباً فى " الوزارة والوزراء " ، وكتاباً آخر فى " الحجاب " .

ومن حق ذلك العصر ان يفخر بمؤرخه العظيم الشاب آنذاك ابومروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الذى يقف بكل ثقة فى صف كبار مؤرخى الاسلام كابن الاثير والمسعودى .

ولابن حزم الفقيه مشاركة جادة فى التاريخ وذلك بكتابه الرائع " جمهرة انساب العرب " ينم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة وشاملة بالانساب .

وفى الجغرافيا نلحظ ان من سبق ذكرهم فى التاريخ وخاصة ابناء الرازى وابن حيان كان لهم مشاركة طيبة فى هذا العلم الذى لا ينفصل عن التاريخ وذلك كمسرح لاحدائه .

ومن جغرافى ذلك العصر الزاهر العلامة محمد بن يوسف الـوراق الذى صنف كتاباً فى " مسالك افريقية وممالكها " للحكم المستنصر .

وعلا ذكر العلامة احمد بن عمر بن انس العذرى كجغرافى عظيم فى الدراسات الحديثة وان لم يشر اليه معاصروه كعالم جغرافى ، ولكن من اتى بعده كالبكرى فى الاندلس ، والقزوينى زكريا بن محمد فى المشرق ، حيث اعتمدا على كتابه الرائع " نظام المرجان فى المسالك والممالك " .

كما كان لاحمد بن سعيد بن ابي الفياض مساهمة قيمة فى الدراسات الجغرافية حيث الف كتاب " العبر " وكتاباً عن " الطرق والانهار " وللأسف فقد ضاعا ونشر ميخائيل الغزيرى قطعة من الاول على انها للرازى .

وفى الرحلات الجغرافية شهد ذلك العصر محاولات ناجحة لكشف الغموض عن بعض المناطق المجهولة فيما وراء المحيط الاطلسى فاندفع بعض المغامرين لمحاولة اكتشافها واشباع رغبتهم فى التطلع الى ماينتهى اليه المحيط الاطلسى " بحر الظلمات " ، وقد قادهم ذلك الى اكتشاف بعض الجزر ، واسهمت محاولتهم تلك فى الحث على الرحلات الاوروبية فيما بعد .

وعلى المستوى الفردى ذاع صيت الرحالة اليهودى التاجر ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى الذى رحل الى المانيا ، وبلاد الصقالبة ، واعتمد البكرى على بعض اقواله الجغرافية والتي نالت اهتمام كثير من المستشرقين امثال كرنك ، وروزف ، وجورج ياكوب وغيرهم .

وشهدت الفلسفة فى ذلك العصر نجاحا لا بأس به ، وكان الحكماء المستنصر من كبار مشجعيها بما جلبه من كتب الفلسفة والمنطق ( فكثير تحرك الناس فى زمانه الى قراءة كتب الاوائل ، وتعلم مذاهبهم ) .

وفى عصر الخلافة دخلت الى الاندلس رسائل اخوان الصفا ، والتي تعتبر من اعظم الدراسات الفلسفية فى العصور الوسطى . وقد ادخلها الفيلسوف الاندلسى عمر بن احمد الكرمانى ، الذى جمع الى مهارته فى الطب براعته فى الفلسفة والمنطق .

ومن بين فلاسفة ذلك العصر ، ابو عبد الله محمد بن الحسن الكتانى الذى نال ثناء الفيلسوف الكبير ابن حزم ، وقد درس الاخير على يده وامتدح بعض مصنغاته ورسائله الفلسفية .

وبرز آنذاك الفيلسوف المخضرم سعيد بن محمد بن البغوشى والذى عاش فترة من عمره فى ذلك العصر وامتد به العمر حتى شهد عصر ملوك الطوائف وكان موصوفا بالفلسفة والبراعة فيها .

ولابن حزم مكانة رفيعة بين فلاسفة الاندلس، وذلك لما عرف عنه من اقوال وآراء فلسفية صائبة، يأتي في مقدمتها حديثه عن نظرية المعرفة وطرقها<sup>(١)</sup>.

وفي حقل العلوم التجريبية برز عدد من العلماء البارعين، ففي الطب تمكن الاندلسيون من احداث تغيير جذري في المسيرة العلمية الطبية حيث كان الطب في البداية يعتمد على بعض كتب النصارى كالأبريشم، التي مرحلة راقية من التجارب والممارسة العملية الناجحة، وكان ذلك نابعا من التطور الواضح في هذا الميدان. وما وصل اليه الاطباء آنذاك من علم واسع ونظر دقيق في مسائل الطب، وما من شك انه كان لاطلاعهم على كتب المشاركة اكبر الاثر في ازدهار الطب لديهم.

ومن بين اهم الكتب الطبية التي لقيت من الاندلسيين استحسانا وقبولا كتاب النبات لديسقوريدس، ولكن هذا لم يمنعهم من نقده وتتبع مابه من نقص فاضافوا الى الكتاب مافاته من ضروب النباتات والاعشاب التي غفل عنها ديسقوريدس.

ولاعجب ان يظهر في ذلك العصر انبغ اطباء الاندلس، بل لانغالى اذا قلنا انبغ اطباء الاسلام في الجراحة الطبية، وهو الطبيب العظيم خلف ابن عباس الزهراوى الذى ترك لنا مصنفا قيما ونادرا في الطب والجراحة وهو كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف". ويكفى ان نشير اليه بما ذكره عنه العالم الاسباني آنخل بالثيا حيث قال: (اما الجزء الثلاثون من كتاب

---

(١) انظر عن العلوم الانسانية في عصر الخلافة سعد البشرى: الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس، القسم الثانى، الفصل الثالث (ص ٢٨٨ - ٣٤٨).

الزهرأوى الذى نشر فى اللاتينية باسم الجراحة ، فقد كان اهم واذيع كتاب فى تاريخ الطب كله ، وقد ارتفع به الزهرأوى فى اعين الناس الى طبقة ابقراط وجالينوس) .

والى جانب الزهرأوى يقف الطبيب القرطبى عريب بن سعد الذى صنف كتابا نفيسا فى طب الاطفال ، وهو كتاب " خلق الجنين وتدير الحبالى والمولود " ، وقد صنفه باسم الخليفة الحكم المستنصر .

ونال هذا الكتاب ثناء العلماء من الاطباء المعنيين بطب الاطفال فوصف بانه اهم ماكتب فى طب الاطفال فى اية لغة حتى القرن العاشر الميلادى .

واشتهر آنذاك الطبيب الصيدلى سليمان بن جلجل الذى ( كان طبيبا فاضلا ، خبيرا بالمعالجات حسن التصرف فى صناعة الطب ، وكان فى ايام هشام المؤيد بالله وخدمه بالطب ، وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة ) .

ومن بين مصنفات ابن جلجل الذائعة الصيت كتابه فى " طبقات الاطباء " ، وهو الكتاب الذى لزال بين ايدينا ، والكتاب مطبوع ، بتحقيق فؤاد سيد ، وطبع بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

وهناك اطباء آخرون امثال الاخوان احمد وعمر ابنى يوسف الحرانى ومحمد بن عبدون الجبلى ، وابو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرمانى وغيرهم كثير .

وفىما يتصل بنشاط علوم الرياضيات والفلك ، فقد ابدى الاندلسيون مقدرات كبيرة فى خوض لججها والتبحر فى مسائلها ، وجدير بالذكر ان هناك علاقة وثيقة بين علمى الرياضيات والفلك ، وهو ما يفسر لنا ظاهرة الجمع

بين البراعة فيها لدى كثير من علماء الاندلس، وكلما نجد عالما في الرياضيات من الاندلسيين وليس له المام بالفلك والعكس صحيح ايضا، ويأتى في مقدمة البارعين في الرياضيات والفلك، العلامة مسلمة بن احمد الجريطى الذى كان يمثل بتألقه العلمى ونشاطه الواسع فى تلك العلوم مدرسة علمية راقية فى تخريج الرياضيين والفلكيين، فالى هذه المدرسة ينتسب كثير من العلماء وعلى ايدى تلاميذه ايضا نبغ الكثير منهم، فقد كان مسلمة امام الرياضيين فى عصره بل اعلم من كان قبله بالفلك على حد قول صاعد الطليطلى .

ومن تلاميذ مسلمة المشهورين العلامة اصبع بن محمد بن السموح المهرى، وكان متضلعا فى الرياضيات والفلك، وله فيهما تأليف قيمة .

وصديقه ابن الصفار، احمد بن عبد الله من تلاميذ المجريطى وكان ماهرا فى تلك العلوم، وصنف فى الفلك زيجا على مذهب السند هند، كما صنف كتابا فى العمل بالاسطرلاب . والكتاب لحسن الحظ سلم من الضياع ونشره مياس بياكروزا فى مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، وقد ترجم الى اللاتينية والعبرية .

وفى الكيمياء اظهر الاندلسيون استعدادا طيبا لفهم مسائل ذلك العلم واستيعاب نتائج التجارب العلمية، وكان لمسلمة المجريطى الأنف الذكر نشاط واضح فى ازدهار الكيمياء وتطورها، فقد ألف فيها كتابه " رتبة الحكيم " وضمنه كثيرا من تجاربه وآرائه العلمية، ولكن اسلوب المجريطى فى ذلك الكتاب يشوبه الغموض والرمز وهو ما اشار اليه ابن خلدون .

وذكر القلقشندى ذلك الكتاب، وعده من اهم ما صنفه المسلمون فى الكيمياء .

ويكفى المجريطى فخرا ما قام به من تجارب علمية لعل اهمها تجربته

حول ملاحظة مايطرأ على اوزان المواد الكيماوية التحليلية ، فقد ذكر انه اخذ ربع رطل من الزئبق الرجراج الخالي من الشوائب ، وجعله فى آنيسة زجاج تم وضعها داخل اناء آخر ، ووضع ذلك على نار هادئة لمدة اربعين يوما ، ثم اخرج ذلك الاناء بعد تلك المدة ، ونظر فى الزئبق فوجده قد تحول الى مسحوق احمر ، ثم وزنه بعد ذلك فلاحظ احتفاظه بوزنه الاصلى بلا زيادة او نقصان .

وبهذه التجربة العلمية اعتبر المجريطى استاذ عالمى الكيمياء بريسلى ولا فوزيه وان تلك التجربة تعتبر اساسا لما قام به هذان العالمان فيما بعد من دراسات وبحوث علمية فى الكيمياء .

ويورد ابن خلدون نصا لابن بشرون تلميذ المجريطى ينم عن براءة ابن بشرون فى هذا العلم على الرغم من افتقارنا الى دراساته الكيمائية <sup>(١)</sup> .

ومن خلال هذا الاستعراض السريع للحركة العلمية فى عصر الخلافة وتطورها ، يتضح لدارس هذا الجانب الحضارى ، مدى ماكان لهذا النشاط العظيم من تأثير عميق فى سير الحركة العلمية فى عصر ملوك الطوائف باعتبار ان هذا النضوج العلمى قد آتى ثماره اليا نعة فى عصره وماتلاه من عصور ، وان الحركة الفكرية اذا توفرت لها عوامل النهوض والتطور فانهى سوف تنمو اكثر فاكثر حسب الرصيد العلمى المتنامى بالتجربة والبحث ، وان كل تقدم وازدهار يفتح باب الابداع والتجديد والتطوير .

---

( ١ ) انظر بالتفصيل عن العلوم التطبيقية فى عصر الخلافة سعد البشورى الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، القسم الثانى الفصل الرابع (ص ٣٥٠ - ٤٢٤) .



وكان كثير من اولئك العلماء الذين استعرضنا جهودهم مخضرمين شهدوا كلا العصرين ، فافادوا من عصر الخلافة ما كان يتسم به من استقرار للاحوال السياسية والاجتماعية وما كان عليه خلفاؤه من اهتمام بالعلم وتشجيع لاهله ، فلما زال ذلك العصر ، وتغيرت تلك الاحوال شهدت قصور ملوك الطوائف ازدهارا علميا واسعا ، اذ كنه عوامل المنافسة وحرص اولئك الملوك على التسابق نحو الفخار العظمى والاعتزاز بما يحويه بلاط كل منهم من علماء وادباء .

كما ان من اهم ما يتسم به عصر الخلافة من تفوق علمي ، وكان له اثره في عصر الطوائف ما حوته مكتبات الخلفاء والوزراء والعلماء وكثير من افراد الرعية من كتب ومصنفات ، تفرقت جميعها في مدن الاندلس المختلفة وكانت بمثابة اشعاع عم الاندلس جميعها فحدث ذلك نشاطا علميا واسعا بعد ان كانت قرطبة حاضرة الخلافة تتميز بذلك على ما عداها من مدن الاندلس الاخرى ، ولندع المؤرخ صاعد يحدثنا عن ذلك اذ يقول ( واضطرتهم - اى اهل قرطبة - الفتنة الى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع ، فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة ، وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس . . . )<sup>(١)</sup>

وبهذا يتضح لنا مدى ما كان لعصر الخلافة من اثر علمي عميق فى عصر ملوك الطوائف فلوان احدنا تصور ان الحركة العلمية فى عصر الخلافة كانت خاملة ضعيفة لكان من الصعب بل من المستحيل ان نرى ازدهارا وتطورا فى النشاط العظمى فى عصر الطوائف ، خاصة ان الفترة التى استغرقتها

هذا العصر كان لا يتجاوز تقريبا ستين سنة ، وهذه المدة الزمنية لو قطعنا  
بعدم تأثير الحركة العلمية لعصر الخلافة في عصر الطوائف - لا تكفى لبناء  
هذا الصرح العلمى الشامخ الذى بلغ فى عصر ملوك الطوائف اوج ازدهاره  
واقصى عطائه - ولعل فى ذلك حسنة سجلها التاريخ لاولئك الملوك  
الغابريين .

### تعدد المراكز الحضارية فى الاندلس

ان تعدد المراكز الحضارية فى الاندلس فى القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - بتعدد الحكومات والزعامات السياسية آنذاك - التى اصطلح على تسمية اصحابها بملوك الطوائف ، قد احدث تفاعلا حضاريا واضحا فى تلك البيئات السياسية ، ونجم عن تلك الاوضاع نزعات عميقة نحو الظهور بمظهر القيادة والزعامة فى الجانبين السياسى والحضارى ومايهمنا فى هذا البحث هو دراسة الجانب الحضارى ، وبالذات مايتعلق منه بالعلم والمعرفة .

وجدير بالذكر ان ملوك الطوائف ، او بعضهم على وجه صحيح ، قد اسدوا للعلوم والمعارف ايا د بيضاء تذكر فتشكر ، فعلى الرغم من التمسق السياسى فى تلك الفترة ، ووقوع الاندلس ضحية ممزقة بين اولئك الملوك والامراء وما صاحبه من ضعف وتخاذل امام الزحف النصرانى من الشمال والذى هدد الوجود الاسلامى فى ذلك القطر ، وانذر بسوء الاحوال وظلام المال ، اقول برغم ذلك فان اولئك الملوك الضعاف سياسيا وعسكريا امام عدوهم المشترك كانوا فى الجانب الحضارى رعاة وحماة للعلم والفكر ، فشهد عصرهم ابهى واجمل الآثار العلمية والادبية .

ومما لاشك فيه انه كان للنزاع السياسى والصراع العسكرى بين تلك الممالك والامارات اثر فى تولد الوان من السلوك الحضارى الذى يستهدف الظهور بمظهر الفخامة والعظمة والتألق فى شتى ميادين الحضارة لما يلمسونه فى ذلك من تميز لبعضهم على بعض ، وسوف تشهد على صحة ذلك براهينا وادلة تؤكد ما اشرنا اليه .

وظاهرة المنافسة بين اولئك الملوك بينة واضحة ، نلمسها من خلال

دراستنا لسيرهم ومواقفهم تجاه ارباب العلم والمعرفة ، بالاضافة لدراستنا لحياة كثير من العلماء والادباء الذين توزعوا على قصور اولئك الملوك وتفرقوا في تلك المراكز الحضارية حسب اعتقاد كل منهم بافضلية بلاط على بلاط آخر من حيث التكريم والتشجيع .

وكان اولئك الملوك - او البعض منهم على الاصح - حريصين على ان تضم بلاطاتهم اكبر عدد من العلماء النابغين في شتى حقول المعرفة بل وجدنا البعض منهم من يسعى جاهدا في اجتذاب مالدى منافسيه من علماء وادباء ، كما فعل المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بابن الارقم وزير المعتصم بن صادق صاحب المريه ، وكاتبه الخاص، ولكن المعتمد لم ينجح في محاولته لوفاء ابن الارقم لصاحبه <sup>(١)</sup> .

وبلغ من شغف المعتمد بتقريب العلماء وملازمتهم بلاطه محاولته اجتذاب الشاعرين الادبيين ابو العرب الزبيرى من صقلية ، وابو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى من القيروان ، وارسل لكل منهما رسالة يستدعيه الى بلاطه ومعها خمسمائة دينار <sup>(٢)</sup> .

ولم يكن هذا الامر موقوفا على المعتمد بل كان غيره من ملوك الطوائف على شاكلته امثال بنى الافطس فى بطليوس، وبنى هود فى سرقسطة ، وبنى ذى النون فى طليطلة ، ومجاهد العامرى فى دانية .

( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ) ، جودت الركابى : فى الادب الاندلسى ( ص ٦٤ ) .

( ٢ ) انظر عن الاول ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ( ص ٣٣٣ ) ، وعن الثانى : ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ( ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ) ، الذهبى تاريخ الاسلام ( مخطوط ) ورقة ٧٠ أ .

وقد لفتت هذه الظاهرة انظار المؤرخين ، فاشادوا بها ، و اشاروا بالفضل الى اصحابها ، فهذا ابن خاقان يقول فى وصف سيرة ابي عبيد البكرى الجغرافى المشهور ( وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادى العقل للكرى والآذان للبشرى )<sup>(١)</sup> .

ويصف الحجارى الاديب عبد الملك بن غصن الحجارى فيقول ( كان ملوك الطوائف يتهادونه تهادى الرياحان يوم السباسب ، ويلحفونه اثواب الكرامة من كل جانب )<sup>(٢)</sup> .

ولما قدم الاديب على بن عبد الغنى الحصرى الآنف الذكر الاندلسى فى عصر ملوك الطوائف والادب والعلم قد نفق سوقهما ( تهادته ملوك الطوائف تهادى الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار فى الانس المقيم )<sup>(٣)</sup> .

من خلال هذه النصوص يتبين لنا ان اولئك الملوك كانوا مسارعين فى اجتذاب العلماء الى عواصمهم ، متنافسين فى تقريب النابغين منهم ، وكانوا يحيطونهم بضروب التكريم والوان التشجيع المادى والمعنوى ، ولئن وصمهم التاريخ بالتخاذل والضعف السياسى والعسكرى فانه امين على حفظ آثارهم العظيمة وآثارهم الكريمة فى ميادين العلم والمعرفة والارتقاء بها قمم الازدهار وذروة التطور ، وهو امر تشهد بصحته وحقيقته كتب التاريخ والتراجم والسير .

( ١ ) قلائد العقيان ( ص ١٩٩ ) .

( ٢ ) ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ( ص ٣٣ ) ( نقلا عن الحجارى فى كتاب المسهب الذى بنى عليه تأليف كتاب المغرب فى حلى المغرب ) .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ) .

وكان من اثر ذلك التنافس العميق بين اولئك الملوك ان غلب على كل بلاط من بلاطاتهم لون من ألوان المعرفة والادب والفن الرفيع، وتميز كل منهم بميزة خاصة ( فامتاز صاحب بطليوس بالعلم الغزير، وامتاز ابن ذى النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة انداده فى الموسيقى، واختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبز ابن طاهر صاحب مرسية اقرانه بالنثر الجميل المسجوع، اما الشعر فكان امرا مشتركا بينهم جميعا، يلقي منهم كل رعاية، ولكن عناية بنى عباد اصحاب اشبيلية الجميلة به كانت اعظم واشمل <sup>(١)</sup> .

وهناك ملاحظة على هذا النص، وهوان بنى ذى النون وان تميزوا بالبذخ فى ميدان العمارة والبناء والتشييد الا انهم وخصوصا المأمون من بينهم كانت له ايداد بيضاء على الحركة العلمية، فشهد بلاطه وعاصمته مملكته اعدادا كبيرة من العلماء وخاصة اولئك المتخصصين فى العلوم البحتة كالرياضيات والفلك والطب الى جانب الفلسفة والمنطق، فخرج من طليطلة اعلام بارزون فيها، بل اننا وجدنا تلك المدينة تتفوق على غيرها من المدن فى تخريج علماء الفلك والرياضيات والزراعة وغيرها من العلوم التطبيقية وهذا يؤكد دور بنى ذى النون فى الحركة العلمية، فلم تكن جهودهم قاصرة على الناحية العمرانية فقط .

ولا براز دور ملوك الطوائف فى الحركة العلمية وازدهارها وجب علينا دراسة دور كل اسرة من تلك الاسر الملوكية وموقفها من نشاط العلوم والآداب ومدى اسهامها فى ذلك النشاط العلمى الكبير، وبطبيعة الحال

---

( ١ ) الطاهر احمد، دراسات اندلسية (ص. ٦)، خوليان ريبيرا: التربية الاسلامية فى اسبانيا (ص ١٢٩ - ١٣٠) .

سيكون تركيزنا على أولئك الملوك أو تلك الأسر التي لعبت فعلا دورا فعالا في ذلك الميدان ، وماعدا تلك الأسر الحاكمة فلا يهمننا امرها فان وجودها آنذاك كان هامشيا على الجانب الحضارى .

#### بنو عباد باشبيلية وقرطبة

تعتبر اسرة بنى عباد اللخمييه التي حكمت اشبيلية وقرطبة من اعظم الاسر الحاكمة آنذاك ، والتي قدمت للحركة العلمية جهودا موفقة وعظيمة ولايضاح هذا الدور الكبير الذى لعبته وقامت به فى ذلك النشاط وجببت الاشارة الى ماكان يتمتع به حكامها من صفات وسمات علمية وادبية رسخت فى انفسهم جذور الاهتمام العلمى ، والرغبة الشديدة فى تشييد صرح فكبرى شامخ سلكوا فى بنائه طرقا حكيمة من التشجيع والتكريم ، والعطاء السخى لارباب المعرفة والادب فاذا تناولنا سيرة مؤسس هذه المملكة وهو القاضى محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمى ( ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤٢ م ) ، وجدناه على قدر كبير من العلم والادب ، وصفه الحميدى فقال ( كان له فى العلم والادب باع ، ولذوى المعارف عنده لها سوق وارتفاع ، وكذلك عند جميع آله ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء فى صنعة الشعر ، وحوك البلاغة والرسائل ، بسطا لهم ، واقامة لهممهم لما فى طبعه من ذلك )<sup>(١)</sup> .

( ١ ) جذوة المقتبس ( ص ٨١ ) ، وانظر مايقارب هذا الوصف فى ابن بسام الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٣ ) ، النباهى بتاريخ قضاة الاندلس ( ص ٩٤ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ( ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ) ، سعد شلى البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر ( ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ) ، صلاح خالص اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ( ص ١٤٠ ) .

ويلاحظ من خلال هذا النص، ان القاضي محمد كان يشاطر شعراء بلاطه فنون الشعر، رغبة منه في الرقي بهذه الصناعة، وتشجيعا لاهلها وقد حاز لزناده افكارهم، وكان هذا الاهتمام والعناية نابعا من ميوله هو وما كان عليه من ادب رفيع، وشغف شديد بالشعر وتعلق به .

وبناء عليه فان بلاط بني عباد خلال حكم القاضي محمد، قد شهد نشاطا ادبيا وشعريا سيكون نواة لنهضة ادبية رائعة بعد ذلك .

واذا انتقلنا الى المعتضد ابن القاضي محمد ( ت ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م )  
الفيحاء متصفا بالادب الواسع وقرض الشعر البديع، والاهتمام العميق بالعلماء  
والادباء وتشجيعهم واکرامهم .<sup>(١)</sup>

ووصفه ابن حيان بالمهارة في قرض الشعر، والبراعة في نظمه، مع المام  
بالادب وفنونه وان له في الادب مآثورات كتبها الادباء وتناقلوها عنه .<sup>(٢)</sup>

ويستفاد مما اشار اليه ابن بسام حول براعة المعتضد في الادب انه  
قد قرض من الشعر قدرا لا بأس به جمعه في ديوان ابن اخيه اسماعيل، وقد  
فقد هذا الديوان ولم يصلنا .<sup>(٣)</sup>

وكان للمعتضد في قصره ديوان للشعراء مرتبين فيه حسب قدراتهم  
وبراعتهم في الشعر، ولما وفد ابن عمار الى بلاط المعتضد انشده قصيدته

---

( ١ ) الحميدى : الجذوة ( ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ) ، ابن عذارى : البيان  
المغرب، ج ٣ ( ص ٢٨٤ ) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٥  
( ص ٩٠ ) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف  
والمرابطين ( ص ٧٦ ) ، جودة الركابي : في الادب الاندلسي ( ص ٩٢ )  
آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ٨٧ ) ، صلاح خالص :  
مرجع سابق ( ص ١٤٠ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ ( ص ٢٨ - ٢٩ ) ، نقلا عن ابن حيان  
وكذلك ابن الابار : الحلة السيرة، ج ٢ ( ص ٤٢ ) نقلا عن ابن حيان .

( ٣ ) الذخيرة : ق ٢، ج ١ ( ص ٢٩ ) ، وانظر نماذج من شعره ( ص ٣٠ - ٣٢ ) .



المشهورة التي يقول مطلعها :

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

ونالت هذه القصيدة اعجاب واستحسان المعتضد الذي امر له بصلصة  
سنية وان يلحق بديوان الشعراء<sup>(١)</sup>.

ويظهر انه كان للشعراء يوم مخصوص يفدون فيه على المعتضد ، ربما  
كان يوم الاثنين ، وكان في بلاط المعتضد كرسى مخصوص لالقاء الشعر بين يديه<sup>(٢)</sup>.

وعرف عن المعتضد اهتمامه بالبحث والتصنيف الادبي ، فكان مشجعاً  
للادباء على هذا اللون من النشاط العلمي والادبي ، فصنفت باسمه كثير من  
الكتب ، ومع الاسف فان اكثرها لم يخرج الى الناس ، او انها فقدت بزوال ملك  
بنى عباد ونهب خزائنهم ومما ظهر وشاع من تلك الكتب ، ما الفه الاعظم  
الشتنمرى الاديب المشهور كشرح الاشعار الستة ، وشرح الحماسة<sup>(٣)</sup>.

كما الف الاديب محمد بن شرف القيرواني كتابه " اباكار الافكار " باسم  
المعتضد وبعث به اليه ، وكان من قبل قد جعله باسم الامير باديس بن حبوس  
صاحب غرناطة ، الا انه صرفه الى المعتضد فبعث اليه هذا بصلصة سنية<sup>(٤)</sup>.

- 
- ( ١ ) المراكشى : المعجب ( ص ١٧٣ - ١٧٤ ) .  
( ٢ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ( ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ) ، جودت الركابي : فى  
الادب الاندلسي ( ص ٩٢ ) .  
( ٣ ) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ( ص ٢٨٤ ) ، نقلا عن ابن القطان فيما  
نقله عن تاريخه المفقود والشتنمرى نسبة الى شنتمريه الغرب ، فى  
الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار ( ص ٣٤٧ ) .  
( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٧٧ ) ، احسان عباس : تاريخ  
الادب الاندلسي ( ص ٧٧ ) .

ومن الغريب ان ابن شرف لم يلحق ببلاط المعتضد ، خوفا من وشاية يسعى بها حقوقه او حسود فيبطش به المعتضد الذى كان جريئا فى سفك دماء خصومه واعداة ، واكتفى بارساله ذلك الكتاب الى المعتضد ، وحاول الاخير اجتذابه واغرائه بالنزول لديه فبعث اليه برسالة يثنى فيها على علمه وادبه حتى قال ( وقد كان لى نزاع اليك وحرص عليك ، وتصور للانسان <sup>(١)</sup> لولا من جلالك الغش فى بعض النصيحة . . . ) .

وفى بلاط المعتضد نبغ الاديب البارع ابو عامر بن مسلمة ، وصنف للمعتضد كتابا فى الادب يشتمل على شعر ونثر سماه " حديقة الارتياح فى حقيقة الراح " ( دل على كثرة روايته ، وجودة عنايته الى غير ذلك من نظمته <sup>(٢)</sup> ونثره ) .

وصنف للمعتضد ايضا الاديب الوزير ابو الوليد اسماعيل بن حبيب ( ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ) كتابا اسماه " البديع فى فصل الربيع " واهداه اليه (٣) وقد جمع فى كتابه اشعار اهل الاندلس خاصة ومن بينها مقطوعات شعرية له .

ولعل من دلائل اهتمام المعتضد بالعلم والادب ، واكرامه لاهله حرصه على الايتولى الوزارة لديه الامن كان من هؤلاء المذكورين ، يدلنا على ذلك ما اشتمل عليه بلاطه من الوزراء المتمكنين فى الادب والعلم ، فهذا ابن زيدون الذى تنقل فى شبابه بين ملوك عصره حتى استدعاه المعتضد الى بلاطه ، وانزله منزلة الاصفياء ، واعلى مكانته بين رجال دولته ، وكان يعتمد

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٨٠ - ١٨١ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٠٥ - ١٠٦ ) .  
 ( ٣ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ) ، سعد شلى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر ( ص ٧٦ ) .

(١) عليه في سفاراته مع ملوك عصره .

وبلغ من اعتماد المعتضد على ابن زيدون ان اوكل اليه كثيرا من مهمات الامور في دولته والتصرف في شئونها ( والقي بيده مقاليد ملكه وزمامه واستكفى به نقضه وابرامه )<sup>(٢)</sup> .

ونال الوزارة لدى المعتضد الاديب الكاتب البليغ ابو عبدالله محمد ابن احمد البزلياني وخدم بعلمه وادبه دولة المعتضد .<sup>(٣)</sup>

وكان المعتضد مهتما بنشر المعرفة فعين العلامة المقرئ فرج بن حديده مقرئا بمسجد والدته - اى والدته المعتضد - وصرف له راتبا شهريا ونفقة من الاحباس، فلزم الاقراء بذلك المسجد حتى وفاته ( ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م )<sup>(٤)</sup> .

وبناء على ذلك يتضح لنا مدى ما كان يتصف به المعتضد من اهتمامات واسعة بالعلم والادب، وما قدمه للعلماء والادباء من ضروب التشجيع والتكريم وحرصه الشديد على ان يشتمل بلاطه على اعلام الفكر في عصره ، ولهذا قال الحميدى ( وعلى كل حال فلاهل العلم والادب بهذا البيت الجليل سوق نافقة ، ولهم في ذلك همة عالية )<sup>(٥)</sup> .

ولكن شهرة البيت العبادى وذياع صيته في عالم الادب، كانت منوطه

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٣٣٩ ) ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ( ص ٩٠ ) .  
 ( ٢ ) ابن خاقان : القلائد ( ص ٧٣ ) .  
 ( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٦٢٤ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٦٢ - ٤٦٣ ) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ، ( ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ) .  
 ( ٥ ) الجذوة ( ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ) .

بالمك الجليل الشاعر المعتمد بن عباد ( ٤٣١ - ٤٨٨ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٥ م )  
الذى اشتهر بالادب شهرته كملك عظيم من ملوك عصره ، وقد نال هـذا  
الملك مكانة عظيمة فى ميدان الادب والشعر على وجه الخصوص .

فقد كان له باع طويل فى الادب ، ومهارة فائقة فى قول الشعر ونظمه  
( وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صدر مثله عن جعل الشعر صناعه  
واتخذ به ضاعة لكان رائعا معجبا ، ونادرا مستغربا ، فما ظنك برجـل  
لا يجد الاراثيا ، ولا يجد الا عابثا ، وهو مع ذلك يرمى فيصيب ، ويهـمى فيصوب )  
(١)

ويبدو ان المعتمد بن عباد قد اكتسب هذه الشهرة بعد طـول  
مدارسة للادب ومطالعة لكتبه ومصنفاته الى جانب رغبته العميقة فى صقل  
موهبة الشعرية وتقوية ملكته الادبية ، وهو امر يتضح لنا من خلال دراسة  
ادبه وشعره وآرائه النقدية فيهما .

وقد بلغ من مهارته فى الشعر واجادته فى نظمه ان عد اشعر ملوك  
الاندلس وابدعهم شعرا<sup>(٢)</sup> .

وقد اكسبه حبه للادب واهتمامه بالشعر نظرا عميقا ، ونقدا صحيحا  
لما يسمعه منه ، فيذكر انه مدحه الشاعر عبد الجليل بن وهـيون المرسى بقصيدة  
فيها تسعون بيتا فاجازه بتسعين دينارا ، فيها دينار مقروض ، فلم يعرف  
السبب فى ذلك ، حتى اعاد النظر فى قصيدته فاذا هو قد خالف العروض  
الطويل فى بيت الى العروض الكامل ، فعرف حينئذ السبب<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤١ - ٤٢ ) .

( ٢ ) ابن الابرار : الحلة ، ج ٢ ( ص ٥٥ ) .

( ٣ ) السلفى : معجم السفر ( ص ١٩ ) ، وانظر ما يتضمن الاشارة الى نقده

الشعرى : المقرئ ، النفح ، ج ٤ ( ص ٢٦١ - ٢٦٢ ) .

والحق ان شخصية المعتمد الادبية ومهارته فى نظم الشعر، قد نالت ثناء المؤرخين واعجابهم فلايكاد من يتناول سيرته وحياته من ان يشير الى شخصيته الادبية ومقطوعات من شعره البديع .<sup>(١)</sup>

ونجد فى شعر المعتمد ماينم عن المامه الثقافى فى علوم كالفلـك والجغرافيا ، فقد روى انه وقفت بجواره جارية لتحجب عنه الشمس فقال :

|                               |                                            |
|-------------------------------|--------------------------------------------|
| قامت لتحجب ضوء الشمس قامت بها | عن ناظرى حجبت عن ناظرالغير                 |
| علما لعمرك منها انها قمر      | هل تحجب الشمس الاصفحة القمر <sup>(٢)</sup> |

ولاريب انه كان لشخصية المعتمد الادبية اثر عظيم وبالف على الحياة الادبية من حوله فقد كان شديد الرغبة ، عظيم العناية فى اجتذاب العلماء والادباء الى بلاطه حريصا على اكرامهم واستدعائهم من بلدان بعيدة حتى اجتمع لديه من اهل العلم والادب مالم يجتمع لغيره من ملوك عصره ، وغدا بلاطه حافلا باعداد كبيرة من الادباء والشعراء كانوا يمثلون آنذاك اساطين الاب والشعر، وكانوا يلقون فى بلاط المعتمد كل مظاهر الحفاوة والرعاية .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) انظر فى ذلك : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٤١ - ٤٢) ، ابن خاقان : القلائد (ص ٣٢ ، ٤) ، المواعينى : ربحان الالباب (مخطوط) ورقة ١٤٠ ، أ ، السلفى : معجم السفر (ص ١٩) ، ابن البار : الحلة السيرة ، ج ٢ (ص ٥٥ - ٧٠ - ٧١) ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، (ص ١١٥) ، الذهبي : تاريخ الاسلام (مخطوط) ورقة ٧٠ ، ب ، الحنبلى شذرات الذهب ج ٣ (ص ٣٨٦) ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ (ص ٢٤٧ - ٢٥٥) ، لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٤ ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٢٦٤) ، فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا (ص ٦٥) .
- (٢) سعد شلى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر (ص ٣٦٢ - ٣٦٣) .
- (٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ١٢) ، ابن خاقان : قلائد (ص ٤) ، المراكشى : المعجب (ص ١٤٩) ومابعدها ، ابن البار : الحلة ، ج ٢ ، (ص ٥٥) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ (ص ٢٤) ، الذهبي =

ولندع احد المؤرخين يصف الحالة الادبية فى بلاطه فيقول : ( كانت  
حضرتة ملقى الرجال وموسم الشعراء ، وقبله الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى انه  
لم يجتمع بباب احد من ملوك عصره من اعيان الشعراء وافاضل الادباء  
ما كان يجتمع ببابه ، ويشتمل عليه حاشيته وجنابه )<sup>(١)</sup> .

ووصف بلاطه ابن خاقان فقال ( اصبحت حضرتة ميدانا لرهان الازهان  
وغاية لرمى هدف البيان . . . فاصبح عصره اجمل عصر ، وغدا مصره اكمل  
مصر ، تسفح فيه ديم الكرم ، ويفصح فيه لسانا سيف وقلم )<sup>(٢)</sup> .

ومما يذكر عن سيرته فى اختيار وزرائه ، انه كان لا يستوزر الا من كان  
متحليا بالادب ناظما للشعر ، فكان بلاطه على هذه الحال منتدى للادب  
والشعر على الدوام<sup>(٣)</sup> .

ومن الغريب ان المعتمد بعد زوال ملكه ونفيه الى اغمات لم يتخلل  
عن اكرام الادباء والشعراء فكان كثير منهم يزوره زيارة وفاء وتقدير ، والبعض  
الآخر يزوره طمعا فى سخائه وعطاءه حتى قال فيهم :

|                             |                                          |
|-----------------------------|------------------------------------------|
| شعراء طنجة كلهم والمغرب     | ذهبوا من الاغراب ابعد مذهب               |
| سألوا العسير من الاسير وانه | بسؤالهم لاحق فاعجب واعجب                 |
| لولا الحياء وعزة لخميمة     | طى الحشانا غاهم فى المطلب <sup>(٤)</sup> |

= تاريخ الاسلام ( مخطوط ) ورقة ٧٠ ، ايضا كتابه العبر ، ج ٣ ( ص ٣٢١ )  
المقرى : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٥٥ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر  
الاندلسى ( ص ٨٨ - ٨٩ ) .

Dozy: Spanish Islam., P, 670

- ( ١ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ( ص ٢٤ ) عن ابن القطاع السعدى  
فى كتابه " لمح الملح " .
- ( ٢ ) قلائد العقيان ( ص ٤ ) .
- ( ٣ ) المراكشى : المعجب ( ص ١٥٤ - ١٥٥ ) .
- ( ٤ ) ابن البار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ٦٧ ) .

وكان ابن اللبانة وابن حمديس، وابو بحر عبد الصمد من اكثر الشعراء  
وفاء له فظلوا كثيرا ما يترددون عليه للسلام والاطمئنان على حاله حتى وفاته<sup>(١)</sup>.

والاول منهم كان اكثر مودة ومحبة لبني عباد حتى صنف في تاريخهم  
ودولتهم كتابين هما " نظم السلوك في وعظ الملوك "، والثاني " الاعتماد في  
اخبار بني عباد<sup>(٢)</sup> " .

وعلى الرغم من احتلال الادب والشعر المنزلة الاولى في بلاط بني  
عباد الا ان هذا لم يمنعهم من تشجيع بقية اهل العلم والمعرفة، فقد كان  
تكرمهم لهم لا يعرف حدودا ولا قيودا، فكان المعتمد عظيم التقدير لاهل  
العلم مسارعا في تفقد احوالهم ورعاية حقوقهم، فعندما مات العلامة  
احمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن الحذاء مشى المعتمد في جنازته  
راجلا<sup>(٣)</sup>.

وحدث ايضا ان التقى المعتمد بالفقيه المحدث محمد بن الفرج  
المعروف بابن الطلاع فنزل المعتمد عن دابته احتراما له وتوقيرا لعلمه، فوعظه  
ابن الطلاع واغلظ له في النصيحة<sup>(٤)</sup>.

ولما سقطت قرطبة في يد المعتمد لم ينس زيارة كبار علمائها فقصد  
دار العالم محمد بن عتاب بن محسن الفقيه المشهور (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م)

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٦٦-٦٧)، ابن الخطيب :  
الاحاطة، ج ٢ (ص ١١٥-١١٦)، ابن الاثير : الكامل، ج ٨ ،  
(ص ١٥٦-١٧٧)، المقرئ : النفح، ج ٤ (ص ٢٤٧) .  
(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٦١-٦٢)، المقرئ : النفح  
ج ٤ (ص ٢٥٥) .  
(٣) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ٦٢-٦٣) .  
(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ١٦٥) .

حيث زاره وتفقد احواله <sup>(١)</sup> .

وللمعتمد مواقف كثيرة فى اكرام الشعراء وبذل نفيس الصلات وسنى الجوائز لهم على ماينظمونه من اشعار ، وقد سبقت الاشارة الى مكافأته للشاعر عبد الجليل بن وهبون ومثله ايضا ما وهبه للشاعر ابو العرب الصقلى فقد منحه على بعض شعره مبلغا كبيرا من دنانير الفضة وتحفة غالية فى صورة جمل من العنبر مرصع بنفيس الجوهر <sup>(٢)</sup> .

وفى بلاط المعتمد نال الطبيب الاديب ابو العلاء زهر بن عبد الملك منزلة عالية ، وكان المعتمد قد بلغه علم ابى العلاء ، وسعة معارفه فى الطب فاغراه بالنزول لديه فاستجاب له ابو العلاء <sup>(٣)</sup> .

وحاز الفقيه عبد الله بن محمد المعافى مكانة سامية لدى المعتمد حتى قال فيه ابن خاقان ( كان باشبيلية بدرا فى فلكها ، وصدر فى مجلس ملكها ، واصطفاه معتمد بنى عباد ، واصطفاه المأمون لابن ابى دؤاد ، وولاه الولايات الشريفة ، وبوأه المراتب المنيفة ) <sup>(٤)</sup> .

وبلغت عناية المعتمد بالعلوم والآداب واكرامه لاهلها اسماع الناس فى بلدان بعيدة فقدم عليه العلامة عيسى بن ابراهيم بن عيسى الدينورى بكتاب صنفه له فى معنى التاريخ يروى فيه عن جده ، وما فى كتبه من الروايات <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٥٦ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٣٠١ - ٣٠٢ ) ، المقرئ : النفح ج ٤ ( ص ٢٦٠ - ٢٦١ ) ، وانظر ايضا اكرامه للاديب ابو المطرف عبد الرحمن بن فاخر السرقسطى فى ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ( ص ٢٥١ - ٢٥٢ ) ، وكذلك لابی العرب الصقلى فى ابن البار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٧٠٣ ) ، الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ١٥٥ ) .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ٢ ( ص ٢٢٠ ) .

( ٤ ) مطمح الانفس ( ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ) .

( ٥ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٤١ ) .



بل ان الحصرى القيروانى قصده فى منفاه ، وقد صنف له كتاب  
 " المستحسن من الاشعار " ، فلما طلع المعتمد على الكتاب ، اعطاه مامعه من  
 المال<sup>(١)</sup> .

وللمعتمد مجالس ادبية كثيرة تتم عن شغفه بالادب والشعر ومشاركته  
 لغيره من الشعراء تشجيعا لهم ورغبة فى الوصول الى محاسن الشعر  
 وبديعه ، فيذكر انه عرضت عليه بزة للصيد ، فاستحث الشعراء على وصفها  
 فقال ابن وهبون :

للصيد قبلك سنة مأثورة      لكنها بك ابداع الاشياء  
 تمضى البزة وكلما امضيتها      عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسن المعتمد ما نظم ابن وهبون واجزل صلته<sup>(٢)</sup> .  
 ولما قدم ابن حمديس عليه فى اشبيلية استدعاه وامره بفتح النافذة  
 فاذا بكبير زجاج والنار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحهما تارة ويسد هما  
 اخرى ، ثم سد احدهما ، وفتح الاخر ، فحين تأملهما ابن حمديس قال له  
 المعتمد اجز : انظرهما فى الظلام قد نجما

فقال ابن حمديس : كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال المعتمد : يفتح عينيه ثم يطبقها

فقال ابن حمديس : فعل امرىء فى جفونه رمد

فقال المعتمد : فابتزه الدهر نور واحدة

فقال ابن حمديس : وهل نجا من صروفه احد

( ١ ) المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٤٧ ) ، وانظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١

( ص ٦٦ - ٦٧ ) .

( ٢ ) المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٦٠ ) .

وهنا طرب المعتمد ، واشنى على ابن حمديس ، فاسنى جائزته واعلى  
مكانته (١) .

واشتهر فى الادب من ابناء المعتمد ابنه الراضى يزيد الذى عرف عنه  
عنايته بالعلم والادب وشغفه بالمطالعة والدراسة لكتبه حتى وصفه ابن اللبانة  
بانه عالم بالشرعيات عارف بالطبيعيات ، ماهر فى التاريخ والانساب والاداب وانه  
شاعر بنى عباد بعد ابيه المعتمد (٢) .

واخيرا فان مذكرناه عن بنى عباد ، وما اتصف به كل منهم من صفات  
ادبية رائعة ومالعبته تلك الاسرة العربية العريقة من دور فعال فى ازدهار  
دولة الادب ونهوض الشعر فى اشبيلية وقرطبة ، ليؤكد لنا مكانة بنى عباد فى  
تاريخ الحياة العلمية وخاصة مايتعلق منها بالحركة الادبية ، وما من شك  
ان اهتمامهم وعنايتهم بالادب والشعر ، قد اثمر وآتى اكله فصنفت التصانيف  
وأولفت باسماء اولئك الملوك روائع من التأليف ولمع فى بلاطهم ادباء  
بارعون وشعراء ماهرون ، لا يزال بعض انتاجهم وثمرات قرائحهم ماثلا بين  
ايدينا ، ولا نبالغ اذا وصفنا ذلك البلاط بانه قد ضم اشهر شعراء ذلك  
العصر كابن اللبانة ، وابن حمديس ، وابن وهبون ، وابن زيدون ، وابن عمار  
الى جانب طائفة كبيرة من العلماء فى ميادين العلم المختلفة سنشير اليهم  
لدى حديثنا عن نشاط العلوم والآداب ، وبهذا ( تقدم لنا اسرة بنى عباد  
مثلا واضحا للدور الذى يمكن ان تقوم به اسرة ارستقراطية فى الحياة الادبية  
وللاهمية التى يحتلها الادب ، وعلى وجه الخصوص الشعر فى حياتها ، ومن  
المؤكد ان التقاليد الطمية التى توارثتها هذه الاسرة ساعدت على احلال  
الادب لديها هذا المحل ، واعطائه هذه الاهمية (٣) .

( ١ ) المقرئ : النفج ج ٤ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ) .

( ٢ ) ابن الابار : الحله السيرا ، ج ٢ ( ص ٧٠ - ٧١ ) .

( ٣ ) صلاح خالص ، اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ( ص ١٣٨ ) .

بنو هود فى سرقسطة  
 ~~~~~

تعود شهرة هذه الاسرة الى اهتماماتها العميقة بالعلوم البحتة والفلسفة ، فقد غلب على بلاطهم هذا اللون من المعارف والعلوم ، ولا عجب فى ذلك اذا وقفنا على حقيقة ما كان عليه ملوك هذه الاسرة من صفات علمية رائعة ، ونبوغ واسع فى ميدان العلوم الرياضية والفلكية .

وبناء على ذلك فان ذوى الاهتمامات الادبية لم يجدوا مكانا رحبا وواسعا فى بلاط بنى هود ، وهو امر ادى الى قلة الواردين عليهم من الشعراء ، خاصة اذا علمنا ان بنى هود لم ينساقوا الى تبديد ثرواتهم لمن اتاهم مادحا من الشعراء ، بل عرفوا بقبض ايديهم عنهم ، الا فى حالات نادرة للبارعين منهم فقط .

واول النابغين فى هذه الاسرة الملك المقتدر بن هود (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) الذى قال فيه ابو الوليد الشقندى - مفتخرا بعلماء الاندلس امام علماء المغرب - (وهل لكم فى علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان فى ذلك آية)^(٢) .

وعرف المقتدر ببراعته وتفوقه فى الرياضيات والفلك حتى اشتهر بذلك فى الاوساط العلمية آنذاك .^(٣) وقد نسبت للمقتدر دراسات علمية صنفها فى

-
- (١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف (ص ٧٥-٧٦)
 انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٢٢) .
 (٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٩٣) .
 (٣) خوليان ريبيرا : التجربة الاسلامية فى اسبانيا ، انخل بالنشيا : مرجع سابق (ص ٤٥٤) ، احسان عباس : مرجع سابق (ص ٧٥-٧٦) ، محمد عفان : دول الطوائف (ص ٤٣٦) .

Scott : History of the Moorish Empire in Europe, Vol,III,P. 430 -- Anwar : Muslim Spain, Its History and Culture. P. 349 - Jan Read:The Moors in Spain and Portugal, p, 132.

(١) الفلسفة والرياضيات .

ويبدو ان المقتدر غرس في ابنه المؤتمن (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) الميول العلمية لهذه العلوم ، فقد ذاع صيته العلمي في حقل الدراسات الرياضية ووصفه الامير عبد الله بقوله (كان المؤتمن رجلا عالما ، قد طالع الكتب مع ما كان عنده من الآثار . . .)^(٢)

ونتج عن براعة المؤتمن في دراسة الرياضيات والاهتمام بها ان صنف فيها كتابين هما " الاستكمال " و " المناظر " .^(٣)

وذكر ابن خلدون والبغدادى ان له كتابا باسم " الاستهلاك " ولا نعلم على وجه القطع هل هو نفس كتاب " الاستكمال " مع تحريف في الاسم ، او كتاب آخر للمؤتمن .^(٤)

ويبدو ان مصنفات المؤتمن كانت ذات قيمة علمية رفيعة بين علماء ذلك العصر ، وما بعده ، وهو ما دفع العلامة اليهودى موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي (٥٥٩ - ٦٠٠ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٤ م) الى دراسة كتابه الاستكمال دراسة عميقة ، ثم وضع له شرحا وافيا لمسائله وقال : (انه جدير بان يدرس بنفس العناية التى تدرس بها كتابات اقليدس ، وكتاب المجسطى لبطليموس) .^(٥)

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٨٣) نقلا عن R.M.Pidal:Lespana

(٢) التبيان (ص ٧٨) .

de Lcid, P. 282.

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ (ص ٤٤١) ، احسان عباس : تاريخ الادب

الاندلسى عصر الطوائف (ص ٧٥ - ٧٦) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر

الاندلسى (ص ٤٥٤) .

(٤) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ (ص ١٦٣) طبعة ١٢٨٤ هـ ، وكذلك

هدية العارفين ، ج ٢ (ص ٥٥١) .

(٥) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥٤ - ٤٥٥) .

وكان لاهتمامات المؤتمر العلمية اثر في دفع عجلة النشاط العلمى والتصنيف، فكان عدد من العلماء يتطلعون الى كسب رضاه واعجابه بما يصنفوه من كتب، فصنف له العلامة الاديب العروضي نصر بن عيسى بن نصر كتابا^(١) فى العروض، ويبدو ان له علاقة بالموسيقى والالحن، وهى من العلوم التى حظيت بالعناية لدى بنى هود .

وخلف المؤتمر ابنه المستعين (ت ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م) الذى كان معدودا فى المهتمين بالحركة العلمية وتشجيعها واکرام اهلها، فصنف له الطبيب اليهودى، يونس بن اسحق بن بکلارش، كتابه القيم " المستعين " فى الادوية المفردة، ويطلق عليه ايضا كتاب " المجدولة " فى الادوية المفردة^(٢) لانه وضعه مجدولا - اى على جداول .

ومما يُسرله ان هذا الكتاب، قد نجا من عوائد الدهر ويد الضياع حيث توجد منه نسخ متعددة فى بعض المكتبات الاوربية^(٣) .

ويشير الدكتور عبد الرحمن بدوى الى ان هذا الكتاب قد حظى بدراسة قام بها العالم الفرنسى رينو^(٤)

ومن ابناء هذه الاسرة العلماء، ابو محمد بن هود الجذامى، الذى كان ماهرا فى الاداب، بارعا فى فنونها، ولما اضطرب الحال فى مملكتهم - اى بنى هود - تحول الى غيرها من عواصم ملوك الطوائف حتى حل ضيفا

-
- (١) ابن البار : تكملة الصلة، ج ٢ (ص ٧٤٦) .
 - (٢) ابن ابى اصيبه، عيون الانباء (ص ٥٠١)، عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٤)، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢٢٨) .
 - (٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى اسبانيا (ص ٢٢٨) .
 - (٤) دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٣٤) .

لدى المتوكل من الافطس فولاه مدينة الاشبونة^(١) .

كما برز ابو عامر بن المستعين فى علوم الدين من فقه وحديث ، واخذ
عن العلماء ، واخذوا عنه ايضا^(٢) .

وبناء عليه فان ملوك سرقسطة لعبوا دورا هاما فى نشاط لون من الوان
المطرف ، وهى العلوم البحتة اولا بجهودهم هم كعلماء قد يرون وثانيا بالتأثير
فى غيرهم من العلماء ذوى العناية بهذا الجانب من العلوم ، فنشطت تلك
العلوم نشاطا كبيرا وازدهرت فى بلاطهم ، وظهر فى مملكتهم وعاصمتهم علماء
بارزون . وكانوا يلقبون من بنى هود كل رعاية وتشجيع ، فالمقتدر نفسه كان
حريصا على ان يحيط نفسه بنخبة بارزة من العلماء والفلاسفة سواء كانوا
مسلمين ام يهود^(٣) .

والمؤتمن ابنه (كان خير خلف عن ابيه ، حاميا لملكه مجاهدا لعدوه
مألغا للادباء والعلماء والشعراء)^(٤) .

وعلى الرغم من عناية هؤلاء الملوك بالرياضيات والفلك والفلسفة
والموسيقى الا ان عطفهم شمل اهل العلم والمعرفة جميعهم ، فكانوا
ينزلونهم منازل الحفاوة والتقدير ، فيذكر انه لما عاد الفقيه المشهور ابو الوليد
الباجى الى الاندلس من رحلته العلمية فى المشرق ، سارع المقتدر الى
استدعائه الى بلاطه ، حيث حل مكرما مقربا . وهناك صنف ابو الوليد كثيرا من

(١) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ (ص ١٦٥) .

(٢) ابن الابار : المعجم (ص ٣١٢) .

(٣) Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, p.132.

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ (ص ٤٣٧) .

كتبه وتصانيفه الفقهية وغيرها ، وكان المقتدر يفاخر بوجود ابى الوليد فى بلاطه ملوك عصره ، وكيف انه آثره على غيره ^(١) .

وكان المقتدر مسارعا لاجتذاب العلماء والادباء البارعين ، باذلا ضروب العطاء لهم ، يغريهم بالصلات والمراتب العالية فى سبيل تواجدهم فى بلاطه ، فلما كان العلامة ابو عمر يوسف بن جعفر الباجى يتنقل بين ملوك ذلك العصر استدعاه المقتدر فاجابه الباجى ، حيث احله منزلة سامية ورفع قدره بين علماء بلاطه . وبعد اقامة طيبة فى تلك الربوع غادر ابو عمر سرقسطة وقد خلف فيها اجمل ذكرياته بين اخوانه ، فقال من جملة ابيات :

سلام على صفحات الكرم	على الغرر الفارجات الغمم
فلا انس لانس ذاك الحيا	وتلك المعالى وتلك الشيم ^(٢)

وابرز من ظهر فى تلك المملكة من الاعلام الوزير الكاتب ابو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى ، وكان ابوه يوسف يعمل لدى بنى هود ، ويقوم ببعض الاعباء فى دولتهم ، الا ان ابنه حسداى كان اذيع صيتا منه ، فقد برز فى علوم الاوائل والفلسفة ، واتقن علوم العربية ، وبلغ مرتبة رفيعة فى ^(٣) البلاغة . ونال بذلك الوزارة لدى بنى هود .

وقد اثنى عليه صاعد ، وكان صديقا له فقال عنه (فارقه سنة ٤٥٨ هـ وهو خارق حجه وان امتد به الاجل ، واتصلت به العناية فسيوفى على صناعة

(١) ابن خاقان : القلائد (ص ١٩٧) .

(٢) ابن خاقان : نفس المصدر (ص ١٠٦) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، (ص ٤٠٥) .

(٣) ابن بسم : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٤٥٧ - ٤٥٨) ، ابن خاقان القلائد (ص ١٩١ - ١٩٢) ، أنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١٢٢)

الفلسفة ، ويستوعب فنون الحكمة ، هذا وهو بعد فتى لم يبلغ الاشد الا ان الله
يخص بفضله من يشاء^(١) .

وفى بلاط بنى هود لمع اسم الطبيب الرياضى الفلكى الفيلسوف ابوالحكم
عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن على ، وكان صديقا لابي الفضل حسـداى
ويبدو انه كانت بينهما دراسات ومشاركات علمية^(٢) .

وكان ابوالحكم يمثل وجهها مشرقا لازدهار تلك العلوم التى وجدت لها
سوقا نافقة لدى بنى هود ، واليه ينسب ادخال رسائل اخوان الصفا الى
الاندلس كما سيأتى ذكره عند الحديث عن العلوم .
كما ظهر فى تلك المملكة الفيلسوف الشهير ابو بكر محمد بن باجـه
التجيبى المعروف بابن باجه ، وكان الى جانب تضلعه فى الفلسفة رياضيا
فلكيا موسيقيا^(٣) .

والى مملكة سرقسطه ينتسب العلامة المفكر السياسى ابو بكر الطرطوشى
نسبة الى طرطوشة ثغر سرقسطة وهو مؤلف كتاب "سراج الملوك"^(٤) .

وفى سرقسطة لمع نجم العلامة الرياضى والفلكى عبد الله بن احمد
السرقسطى ، وكان يوصف بانه من المتضلعين فى الهندسة ، وكان يعلم
الرياضيات للتلاميذ فى مجلس خصصه لذلك فى بلده^(٥) .

واشتهر بعلوم الموسيقى والفلسفة ابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم

-
- (١) طبقات الامم (ص ١١٧ - ١١٨) .
(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٤ - ٩٥) ، ابن ابى اصبيعه ، عيون الانباء
(ص ٤٨٤ - ٤٨٥) .
(٣) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٢٢) .
(٤) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٩٤) .
(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٧) .

المعروف بالحمار السرقسطى ، وله تأليف فى الفلسفة والموسيقى ^(١) .

وخدم بنى هود بالطب الطبيب اليهودى يونس بن بكلاش، وكان معروفا بتمكنه العميق فى الطب الى جانب مهارته فى معرفة النباتات الطبية والصيدلة ^(٢) .

هذا وكان العلماء يلقون من هذه الاسرة الحاكمة كل رعاية وتشجيع وتكريم ، ليس فقط فى بلاطهم بل ان رعايتهم لهم امتدت الى حياتهم الخاصة فقد روى ان المستعين كان مكرما للعلماء محسنا لهم ، فقد كان يعود الفقيه خلف بن محمد العبدري اثناء مرضه ، ويستمع الى شكواه ويجيب مطالبه ^(٣) .

واخيرا يتبين لنا ماكانت عليه هذه الاسرة من سمات وخلال علمية رفيعة قد مّوا من خلالها ، وبانفسهم كعلماء للعلم اجل الخدمات واروع النتائج ودفعتهم تلك الخصال والمواهب العلمية الى تنشيط الحركة العلمية فى ميدان العلوم البحتة ، فظهر فى بلاطهم ومملكتهم كثير من نوابغ العلماء الرياضيين والفلكيين والفلاسفة ، فكانت فى مملكتهم بحق اعظم المدارس العلمية التى اخرجت عشرات من العلماء ، ولم يكن ينافسها فى ذلك سوى مملكة طليطلة .

(١) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٢) .

(٢) ابن أبى اصيبعة، عيون الانباء (ص ٥٠١) .

(٣) ابن الابار : التكملة ، ج ١ (ص ٢٩٨) .

بنو الافطس في بطليوس
 ~~~~~

لعبت هذه الاسرة دورا عظيما في ازدهار الحركة العلمية في مملكتها وكان لملوكها فضل لا ينكر على نشاط العلوم والاداب، ولا عجب في ذلك فقد كان عدد من هؤلاء الملوك علماء بارزون بل ولهم مصنفات علمية قيمة .

يأتى في مقدمة ملوك هذه الاسرة من حيث المكانة العلمية ونضج الشخصية الملك الاديب العالم المظفر ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الايفطس ( ت ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ) وهو كما وصفه ابن بسام ( اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق المترجم بـ "التذكرة" ، والمشتهر باسمه ايضا بـ " كتاب المظفر " في خمسين مجلدة ويشتمل على علوم وفنون من مغاز وسير ، ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الادب ، ابقاه في الناس خالدا . . . . )<sup>(١)</sup>

وكان هذا الملك شديد العناية بالمعارف ، حريصا على نشرها ، ساعيا في ازدهارها ، وقد سلك في سبيل هذه الغاية سبلا ناجحة ، فكان يعقد في بلاطه مجالس العلم والمذاكرة والمناظرة ، ويأخذ مع العلماء في مدارس

---

( ١ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٦٤٠ - ٦٤١ ) ، وفيما يتضمن هذا الوصف انظر :

ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩٣ ) ، المقرئ : نفح الطيب ج ٣ ( ص ١٩٤ ) ، ( ص ٣٨٠ - ٣٨١ ) ج ١ ( ص ٤٤٢ ) ، الطاهر احمد دراسات اندلسية ( ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف ( ص ٧٢ ) ، محمد عنان : دول الطوائف ( ص ٤٢٩ )

Scott:History of the Moorish Empire in Europe.

Vol. 111. P. 340 - 458.

S.M. Imamuddin : Muslim Spain , p. 144.

الادب والفنون ، والمعارف المختلفة احياء للعلوم وتنويرا للاذهان <sup>(١)</sup> .

وقد اشار ابن بسام الى المظفر ووصف سيرته العلمية ، وانه غير  
معدود في الشعراء والكتاب فيفرد له فصلا في كتابه الذخيرة ، ولوانه صنفه  
في طبقات العلماء لكان له القدر المعلى والحظ الاوفى <sup>(٢)</sup> .

وبلغ من نضوج فكره وسمو ثقافته الادبية ، واطلاعه الواسع العميق على  
محاسن الشعر وبدائعها انه كان ينكر على شعراء زمانه شعرهم ، ويحط من  
غرورهم بقوله ( من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي او شعر المعري فليسكت  
لا يرضى بدون ذلك ) <sup>(٣)</sup> .

ورغم مهارته في الشعر الا انه قال يوما : والله ما يمنعني من اظهار  
الشعر الا كوني لا اقول مثل قول ابى العشائر ابن حمدان :

اقرأت منه ما تخط يد الوغى والبعض تشكك والاسنة تنقط

وقول ابى فراس ابن عمه :

وجررنا العوالى فى مقام  
كان الخيل تعلم من عليها  
تحدث عنه ربات الحجال  
ففى بعض على بعض تعالى

فاين هذا من قولى :

انفت من المدام لان عقلى  
ولم ارتح الى روض وزهر  
اعز على من انس المدام  
ولكن للحمائل والحمام  
اذا لم املك الشهوات قهرا  
فلم ابغى الشفوف على الانام

( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٣٨٠ - ٣٨١ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ  
الفكر الاندلسى ( ص ١١٨ ) .

( ٢ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٦٤٠ - ٦٤١ ) .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٦٤١ ) .

وبالإضافة الى ماسلكه المظفر من اساليب فى تطوير الحركة الادبية فى مملكته بتشجيعه العلماء والادباء ، وحثهم على البحث والتصنيف والتأليف فقد سعى لتكريس النشاط العلمى والادبى بتوفير نفائس المصنفات وجمع نوادر الكتب فى مختلف وجوه المعرفة ، حتى اصبح له مكتبة عظيمة تتم عملاً<sup>(١)</sup> وصل اليه المظفر من معرفة وعلم غزيرين .

ومن الغريب ان المظفر الذى انجز هذه الاعمال العظيمة ، كان مشغولا بحروبه وصراعه المستمر مع منافسه وخصمه المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ورغم ماتحملة المظفر من جراء ذلك من تضحيات كبيرة ومعاناة شديدة الا انه كان نجما لامعا فى سماء العلم فعاشت ذكراه خالدة كعالم وحام للعلوم والمعارف واهلها .

ونظرا لتشجيع المظفر للعلماء على التصنيف والتأليف فقد اشار بالنشيا الى ان العلامة الاديب الفقيه المؤرخ عمر بن عبد البر النمري ( ٣٦٨ - ٤٦٣ هـ ٩٣٨ - ١٠٧٠ م ) اهدى كتابه الادبى الممتع "زينة المجالس" فى ثلاثة مجلدات الى المظفر ملك بطليوس .<sup>(٢)</sup>

ولكن بالنشيا جانب الصواب فى تسمية المؤلف وكتابه ، فاسم المؤلف حقيقة ابو عمر يوسف بن عبد البر ، واسم كتابه هو "بهجة المجالس وانس المجالس وشذ الذهن والهاجس" ، وهذا الكتاب لا زال بين ايدينا لحسن الحظ .<sup>(٣)</sup>

وصنف له الاديب الفيلسوف الطبيب محمد بن سليمان الرعيني الكفيف ( ت ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ) رسالة ادبية ، وهى الرسالة المهرجانية واسمها

( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩٣ ) ، المقرئ : النفع ، ج ٣ ،

( ص ٣٨٠ - ٣٨١ ) .

( ٢ ) تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١١٨ ) .

( ٣ ) الكتاب مطبوع بتحقيق محمد مرسى ، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت .

" القلم وحلى الكرم" بعث بها الى الملك المظفر بن الافطس، ووصفت هذه الرسالة بالقيمة والابداع.<sup>(١)</sup>

وفى سيرة المظفر العلمية ، واهتماماته الادبية يقول ابن شرف القيروانى  
من قصيدة له :

اقمت للعلم منارا وما  
فما نداماك سوى اهله  
مميزك ميزان عقول السورى

اظن فى الدنيا لعلم منار  
وكلهم بين ندامى العقار  
وفهمك العدل لكل عيار<sup>(٢)</sup>

وفى عهد ابنه المتوكل (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م) استمر ازدهار الحركة العلمية والادبية، وذلك بفضل ما كان يتمتع به الملك الجديد من خصائص صفات ادبية، فقد كان اديبا شاعرا، محبا للعلماء والادباء، مشجعا لهم على الدرس والتحصيل والتأليف.

وبلغ من الحضارة المزدهرة والرقى العلمى فى بلاط المتوكل ان وصفت  
ايامه وايام ابيه من قبله بانها كانت كالاعيان والمواسم السعيدة وان بلاطهما  
فى بطليوس كان ملجأ وملأذا اوى اليه كل ذى علم وادب .<sup>(٣)</sup>

وقد حفظ لنا ابن بسام وابن الأبار مقطوعات نثرية وشعرية للمتوكل - تنم  
عما كان عليه من براعة أدبية وشعرية .<sup>(٤)</sup>

(١) ابن الأبار : تكملة الصلاة، ج ١ (ص ٣٨٧) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٦٤٣ ) .

(٣) ابن خاقان : القائد (ص ٣٧) ، المراكشي : المعجب (ص ١١١) -

١١٢)، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٣٦٤)، الطاهر احمد :  
دراسات اندلسية (ص ٢٧٢-٢٧٣)، احسان عباس : تاريخ الادب  
الاندلسي في عصر الطوائف (ص ٧٢) .

(٤) انظر الذخيرة، ق ٢، ج ٢ (ص ٦٤٦) وما بعدها، الحلة السـيـراء  
ج ٢ (ص ١٠٤) وما بعدها .

وجمع المتوكل الى مهارته الادبية والشعرية اجادته للغة ومعرفته علومها ، فقد روى المراكشي الانصارى انه اطلع على بطاقة بخط ابى على الغسانى ادرجها فى ذكر المعانيث ماورد من المقصور على فعل من كتاب ابى على القالى فى " المقصور والممدود " ونصها : ( وروى بعضهم : المؤمن يأكل فى معا واحدة والكافر يأكل فى سبعة امعاء ، فقال معا واحدة فأنت وقال سبعة بالتاء فذكر ، جمع بين اللغتين ، افادنيه المتوكل على الله ايده الله انتهت )<sup>(١)</sup> .

ونلمس من هذا النص انه كانت تتم بين يدى المتوكل مدارس واشتغال بقضايا العلم والادب ، وكان المتوكل نفسه يشارك العلماء فى ابداء الرأى والتوصل الى تفسير لبعض المسائل العلمية والادبية .

وكان مثله فى ذلك مثل اى عالم بارز ، فابو على الغسانى العلامة المذكور كان من كبار علماء الدين واللغة والادب ، ومع ذلك فقد افاده المتوكل واعانه على فهم ماغض من تلك المسألة اللغوية .

وكان المتوكل فى مملكته وحاضرتة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية محط حال العلماء وقبلة لذوى المعارف يترددون عليها باستمرار دون انقطاع لما ينالونه فى بلاطهما من ضروب التكريم والرعاية ، وكان المعتمد اكثر شاعرية ، فى حين كان المتوكل اكثر ادبا وكتابة<sup>(٢)</sup> .

وفى دولة بنى الافطس ظهر كثير من الاعلام وارباب المعرفة ، مثل الوزير الكاتب ابو محمد عبد المجيد بن عبدون الذى ذاع صيته بقصيدته<sup>(٣)</sup> الرثائية فى بنى الافطس وسلطانهم الغابر .

( ١ ) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ( ص ٤٦٦ ) .

( ٢ ) المقرئ : النفع ، ج ٤ ( ص ٤٦٧ ) .

( ٣ ) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٦٦٨ ) وقصيدته المشهورة ( ص ٧٢١ ) ومابعدها .

واحمل الاديب ابو عبد الله محمد بن ايمن مكانة سامقة في بلاط المتوكل ووصفه ابن بسام، فقال : اعجوبة الدهر، وفريد العصر، وفارس ميدان النظم والنثر، اشتهر في حملة الاقلام، اشتهار البدر في السماء، وتلاعب بفرائيب الكلام، تلاعب الافعال بالاسماء<sup>(١)</sup>.

وممن لمع نجمه في بلاط المتوكل من الاعلام الاديب ابو المطرف ابن الدباغ، الذي حل في بلاط المعتمد اولا، ثم مالبت ان خرج عن اشبيلية الى بطليوس، فانزله المتوكل منزلة رفيعة تنم عن علمه وادبه<sup>(٢)</sup>.

وبلغت اسماع المتوكل ما كان عليه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الملك ابن قزمان من بلاغة وبيان فعينه لديه وزيرا كاتباً، فكان احد اعلام بلاط بني الافطس<sup>(٣)</sup>.

ولمع في بلاطهم ايضا بنو القبطورنه ابو بكر عبد العزيز، وابو محمد طلحة وابو الحسن محمد ابنا سعيد البطليوسي، وكانوا جميعهم في الصدارة من الادب والشعر البديع<sup>(٤)</sup>.

وتولى منهم الوزارة والكتابة لدى المتوكل ابو بكر، وابو الحسن<sup>(٥)</sup>.

ومن شعراء بني الافطس الشاعر ابو محمد عبد الله بن سارة (ت ١٧٥ هـ / ١١٢٣ م) وقد اشتهر باجادته للهجاء، وحسن الوصف للازهار والثمار<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ٢ (ص ٦٥٢) .  
 (٢) ابن خاقان : القلائد (ص ١١٠-١١١) .  
 (٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ٢ (ص ٧٧٤)، ابن خاقان : القلائد (ص ٢١٩٥)، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٣٦٧) .  
 (٤) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٧٥٣-٧٥٤) .  
 (٥) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٢٨)، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص ١٢٠-١٢١) .  
 (٦) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ٢ (ص ٨٣٤)، آنخل بالنشيا : مرجع سبق ذكره (ص ١٢١) .

ومن بطليوس ظهر نجم العلامة الفيلسوف اللغوى الاديب ابو محمد  
عبدالله بن حسين البطليوسى ( ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ) وسوف نشير اليه لدى  
الحديث عن اللغة والفلسفة .

وهكذا نلاحظ مدى اسهام بنى الافطس فى دفع عجلة العلم—  
والآداب فى مملكتهم ، وانهم لم يكونوا باقل اهتمام وعناية بالعلم والآداب من  
خصومهم بنى عباد ، بل اننا وجدنا بينهم من يصح ان يطلق عليه عالم—  
قدير ، كالمك المظفر صاحب الموسوعة الادبية الشهيرة ، كما ان ذلك يصح على  
ابنه المتوكلى فقد كان هو نفسه عالما واديبا بارزا ، ولاشك ان هذه المواهب  
قادتهم الى نشر المعرفة وازدهارها ، فشجعوا العلماء والآدباء ووفروا لهم  
كافة السبل التى تيسر لهم الانصراف نحو تحصيل العلوم والآداب والتأليف  
فيهما :



بنو ذى النون فى طليطلة  
 ~~~~~

اول ملوك هذه الاسرة هو اسماعيل بن المضراس بن ذى النون
 (ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) ولم يكن متحليا بما كان عليه ملوك عصره من خصال
 وصفات علمية وادبية ، بل على العكس من ذلك فقد وصفه ابن بسام بقوله (لم
 يرغب فى صنيعه ، ولا سارع الى حسنه ، ولا جاد بمعروف ، فما اعملت اليه مطية
 ولا حملت احدا نحوه ناقة ، ولا عرج عليه اديب ولا شاعر ، ولا امتدحه ناظم
 ولاناشر ...)^(١)

ولم تزد هر حال العلوم فى بلاطهم الا فى عهد ابنه المأمون يحيى
 (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) الذى كان على جانب من العلم والمعرفة اكتسبها
 من مجالسة اهل العلم والادب ، وتقريبهم اليه ، فاجتمع فى بلاطه عدد من
 الادباء والعلماء ، منهم محمد بن شرف القيروانى ، وعبد الله بن خليفة
 المصرى ، وابو الفضل البغدادى ، وكان لديه من الوزراء والكتاب ، ابو عيسى
 ابن لبون ، وابو محمد بن سفيان ، وابو عامر بن الفرج ، وابو المطرف بن
 مثنى^(٢) .

ولعل تواجد مثل اولئك العلماء الاغراب عن الاندلس فى بلاط
 المأمون فيه دلالة واضحة الى ماتمتع به المأمون من سمعة علمية عالية بين
 العلماء والادباء ، فتسارعوا من اقصى البلدان الى بلاطه ، حيث عمروه ادبا
 وعلماء وثقافة .

ومن دلائل تشجيع المأمون للعلم والمعرفة ، ما ألفه له العلماء من

(١) الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٤٣) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ٤ (ص ١٢ - ١٣) نقلا عن الحجارى فى
 المسهب .

مصنفات ، فهذا العلامة ابراهيم بن وزمر الحجارى يصنف له كتابا اسمه
 " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار ^(١) .

وصنف الاديب عبد الرحمن بن فتوح باسم المأمون كتابه " الاغراب فى
 رقائق الآداب ^(٢) .

بل ان المؤرخ العظيم ابن حيان مؤرخ هذا العصر، اهدى اليه كتابه
 المسمى " المتين " حيث قال فى مقدمته (وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسى
 وخجأه لولدى ، والضم بفوائده الجملة على من تنكب احماذى به الى ذمى
 ومنقصتى ، طويت على ذلك كشحا واوجبه عزما ، الى ان رأيت زفافه الى
 ذى خبطة سنية اتتنى على بعد الدار، اكرم خاطب واسنى ذى همة الامير
 المؤئل الامارة المأمون ذى المجدين ، الكريم الطرفين ، يحيى —
 ذى النون ^(٣)) .

والحق ان بلاطبنى ذى النون قد اشتمل على اعداد كبيرة من
 العلماء فى حقول العلم المختلفة وخاصة النابغين منهم فى ميدان العلوم
 التطبيقية كالرياضيات والفلك والطب والزراعة .

وقد سبقت الاشارة الى بعض الاسماء التى ضمها بلاط المأمون ومنهم
 الوزير الحكيم عبد الله بن خليفة القرطبى الذى ارتحل الى المشرق ، وعاد
 عالما كبيرا وذاع صيته فى الطب، ولدى عودته الى وطنه ظل متنقلا بين
 ملوك الطوائف، حتى اجتذبه المأمون ورغبه فى الإقامة لديه واعلى منزلته
 بين علماء بلاطه ^(٤) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٢) ، احسان عباس : مرجع
 سابق (ص ٧٤ - ٧٥) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٧٠) .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٥٧٨) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٣٤٢) .

ومن اشهر علماء بلاط بنى ذى النون العلامة الفلكى الرياضى العظيم
ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بابن الزرقال والذى وصف بانه
اعلم اهل زمانه بالفلك^(١) .

وفى ذلك البلاط عاش الطبيب الصيدلى الكبير عبد الرحمن بن وافد
الذى يعتبر من كبار الصيادلة المسلمين^(٢) .

وفى بلاط المأمون عاش العلامة الزراعى ابن بصال ، الذى عمل للمأمون
حديقة نباتية على نهر التاجه ، وصنف للمأمون كتابا فى الزراعة اسماه "القصـد
والبيان"^(٣) .

وممن ينتسب الى طليطلة العلامة الفيلسوف الطبيب الرياضى ابو عثمان
سعيد بن البغوتش (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) الذى خدم فى بلاط المأمون
واوكلت اليه بعض شئون الدولة^(٤) .

وفى مملكة طليطلة عاش العلامة الرياضى الفيلسوف ابو الوليد ابـن
الوقشى ، وكذلك ابو جعفر احمد بن خميس العلامة الرياضى الفلكى الطبيب^(٥) .

ويظهر ان طليطلة نالت سمعة كبيرة فى ازدهار العلوم البحتة
وتدريسها فقد خرج العلامة ابراهيم بن لب التجيبى من بلده قلعة ايوب
ليستقر فى طليطلة ويتخذ له مجلسا بها لتدريس الرياضيات والهندسة والفلك^(٦) .

-
- (١) صاعد : طبقات الامم (ص ١٠٠) .
(٢) صاعد : المصدر نفسه (ص ١١٠) .
(٣) المقنع فى الفلاحة لابن حجاج ، مقدمة المحقق .
(٤) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٠ - ١١١) .
(٥) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٩) .
(٦) صاعد : المصدر السابق (ص ٩٩) . وقلة ايوب الى الشمال الشرقى
لمدينة طليطلة . انظر الخريطة رقم (٢) . والحميرى : العروض
المعطار (ص ٤٦٩) .

هذه امثلة على ما اشرنا اليه عن لون الدراسات العلمية التي ازدهرت في طليطلة واشتهرت بها هذه المملكة شهرة واسعة على ماعداها في كثرة علمائها ، ويجد المطلع على كتاب القاضي صاعدا امثلة اخرى كثيرة تؤكد مكانة هذه المملكة في خدمة تلك العلوم .

وهذا بلا شك يوضح لنا ما كان يتمتع به ملوك بني ذى النون ، وخصوصا المأمون من مرونة وتسامح ازاء مثل هذه الدراسات وتوفير المناخ العلمى الحر لنشاطها ، فوجد علماءها الفرصة متاحة لدراسة تلك العلوم وتدريسها ونشرها وبثها بين تلاميذهم ، ولم ينافس طليطلة في ذلك الا جهود بني هود الانفى الذكر .

والى جانب هؤلاء العلماء عاش كثير من الادباء والشعراء امثال ابو الفضل محمد بن عبدالواحد البغدادى الذى انزله المأمون منزلا كريما فى بلاطه، بل شمله برعايته بعد وفاته فى رعاية ابنائه واهله .^(١)

كذلك عاش فى بلاط بني ذى النون محمد بن شرف القيروانى الذى استقر به الحال فى بلاطهم بعد تردد طويل على ملوك الطوائف .^(٢)

ولمع اسم الشاعر ابن ارفع رأس فى بلاط المأمون ، وكان مشهورا بنظم الموشحات البديعة .^(٣)

وفى بلاط طليطلة لمع اسم المؤرخ العظيم صاعد بن احمد الطليطلى وكان موصوفا بالتفنن فى علوم مختلفة فقد كان فقيها ، مؤرخا ، اديبا ، فلكيا

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ٨٩ - ٩٠) ، ابن بشكوال : الصلة

ج ٢ (ص ٥٩٨) ، المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ١١ - ١٢ - ١٣) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ (ص ١٦٩ - ١٧٠) .

(٣) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٠٦) .

رياضيا ، ومن اهم اسهاماته العلمية تصنيفه لكتابه القيم " طبقات الامم " الذى اشتمل على احصاء مختصر للتراث العلمى العالمى ، وخصص جانبا منه لعلماء الاندلس فى العلوم البحتة ، وحفظ لنا بذلك ثروة علمية نفيسة ، وسجلا خالدا عن نشاط اولئك العلماء ، وما اسدوه من انجازات علمية رائعة ^(١) .

واخيرا يتضح بعد هذا الاستعراض لدور بنى ذى النون فى نشاط الحركة العلمية انهم - وخاصة المأمون - قد لعبوا دورا جادا فى ازدهار الحركة العلمية ، وخاصة مايتعلق منها بالعلوم البحتة ، ولايزال بين ايدينا حتى يومنا هذا جانبا لا بأس به من انتاجهم العلمى القيم .

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر (بدون تاريخ للطبعة) وقد اعتمد عليه الباحث كثيرا فيما يتعلق بعلوم الاوائل ومنها العلوم البحتة .

بنو صمادح في المريه
 ~~~~~

تعتبر هذه الاسرة العربية العريقة من اعظم الاسر التي خدمت الادب والشعر على وجه الخصوص، وعلى الرغم من صغر مملكتهم، وضآلة حجمها الا ان ملوكها اسهموا بدور فعال في ازدهار الادب والشعر، واول ملوك هذه الاسرة المعتمد بالله محمد بن معن بن صمادح التجيبى (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) كان متحليا بالادب ناظما للشعر، محبا لاهله، مقربا لهم، وكان بلاطه منتدى للعلماء والادباء، يتنارسون العلم بين يديه، ويتناظرون في شتى مسائله<sup>(١)</sup>.

وصف ابن الابار سيرته فقال ( كان المعتمد ساكن الطائر، مأموون الجانب حصيف العقل، معنيا بالدين، واقامة الشرع، يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث، ولزم حضرته فحول الشعراء... )<sup>(٢)</sup>.

والمعتمد نفسه كان عارفا بعلوم الدين، فقد كان يروى عن ابيه معن عن جده مختصره في غريب القرآن المستخرج من تفسير الطبرى، وقد حدث به عنه ابراهيم بن اسود الغسانى<sup>(٣)</sup>.

وبالاضافة الى ذلك، فقد كان ادبيا شاعرا، اورد له صاحب الحلة

---

(١) ابن خاقان : القلائد (ص ٤٨-٤٩)، ابن الابار : الحلة السيرة (ص ٨٢-٨٣)، ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ١٩٦)، الاصفهاني خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٨٦)، ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج ٥ (ص ٤٠-٤١)، آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره (ص ١١٠)، احسان عباس : مرجع سبق ذكره (ص ٧١-٧٢).

Scott: History of the Moorish Empire in Europe. Voll III, P. 430

(٢) الحلة السيرة، ج ٢ (ص ٨٢-٨٣).  
 (٣) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٤٠١).

(١) السيرة مقاطع من شعره تنم عن مهارته واجادته في نظمه .

وكانت شخصية المعتصم تتسم بالمسالمة والهدوء مع جيرانه ، فلم يؤثر عنه انه كان محاربا لجيرانه ، طامعا في ممتلكاتهم كغيره من ملوك الطوائف ، وقد اكسبه ذلك انصرافا تاما نحو حياة الادب والمعرفة ، وانعكس هذا الحال من السلام والدعة على المناخ الاجتماعي لمملكته او امارته ، فكانت محط رحال اهل الادب والعلم ينشدون في ظلها غاياتهم ومراميمهم ، فرحل اليها عدد كبير من العلماء والادباء والشعراء ، ولقوا في بلاط المعتصم كل تكريم وحفاوة .

ونحن نعجب من ابن الابار الذي نسب اليه قلة الجود (٣) ، ففي الوقت الذي كان بلاطه مزهوا بكبار العلماء والادباء والشعراء في ذلك العصر ، وكيف يقال مثل هذا الوصف في شخصيته وابن خاقان يصف دولته بانها ( كانت مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ) (٤) .

وهذا ابن بسام حين تعرض لسيرة الشاعر عبد الجليل بن وهب — الذي كان يزور المريه كل عام قال فيه ( حدثني غير واحد انه اجتاز بالمريه في بعض رحله الشرقية وملكها يومئذ قبله الآمال ، وقطبرحى الآمال ، ومرمى جمار المدائح ، ابو يحيى بن صمادح ، فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملته وافرة من عرض دنياه . . . . ) (٥) .

- 
- ( ١ ) الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ٨٤ ) وما بعدها .  
 ( ٢ ) ابن خاقان : القلائد ( ص ٤٨ - ٤٩ ) ، ابن الابار : الحلة ، ج ٢ ( ص ٨٢ ، ٨٣ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ( ص ٤ ) ، آنخل بالنشيا تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١١٠ ) .  
 ( ٣ ) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ٨٣ ) .  
 ( ٤ ) القلائد ( ص ٤٨ - ٤٩ ) .  
 ( ٥ ) الذخيرة ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤٧٥ ) ، وانظر امثلة تدل على سخائه وكرمه في ابن خاقان القلائد ( ص ٤٩ ) ، المقرئ : النفح ج ٤ ، ص ٩ ) ، آنخل بالنشيا : مرجع سبق ذكره ( ص ١١ - ١١١ ) .

وبالرغم من اعراض ابن وهبون عن اغراء ابن صمادح الا ان مقام به  
الاخير من سلوك تجاه الشاعر وما بذله له من عطاء ، فيه اوضح برهان على  
ما تميزت به شخصيته من كرم وسخاء ، وهو امر ينافي ما وسمه به ابن البار .

وفى بلاط المعتصم عاش كثير من الادباء والشعراء البارزين امثال  
الوزير الاديب عبد العزيز بن الارقم الذى ضرب اروع الامثلة على وفائه  
للمعتصم واحتفاظه بصحبته عندما حاول المعتصم اغراءه بالنزول لديه .<sup>(١)</sup>

وممن عاش فى بلاط المعتصم الشاعر ابو عبد الله محمد بن حداد ( ت :  
٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ) الذى ذاعت شهرته بقصائده فى مدح المعتصم ، وكان  
مقتصرا عليه دون سواء زمانا طويلا<sup>(٢)</sup> . ويذكر آ نخل بالنشيا ان الشاعر ابى  
الحداد مالبث ان خرج عن المرية بعد ان ساءت علاقته مع المعتصم ، لانه  
بلغه ان شاعره رماه فى شعره بالبخل<sup>(٣)</sup> . ولكننا سنثبت العلة الحقيقية  
وراء خروج ابن الحداد عن المرية عند حديثنا عنه فى الشعر .

والى بلاط المرية لجأ ابو عبد الله محمد بن معمر المالقى - وكان  
مشهورا بعلوم اللغة - فحل لدى المعتصم مكانا ساميا ، ومقاما رفيعا<sup>(٤)</sup> .

ومن اشهر ماضيه بلاطه من الشعراء ابو عبد الله محمد بن عبادة القزاز  
وكان امام اهل عصره فى نظم الموشحات .<sup>(٥)</sup>

كما لجأ الشاعر خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسويسرى الى المرية  
وكان من الشعراء النابيين ، وله اشعار هجا فيها ملوك عصره ، وذمهم

- 
- ( ١ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ) .
  - ( ٢ ) ابن خاقان : المطمح ( ص ٣٣٦ ) .
  - ( ٣ ) تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١١٢ ) .
  - ( ٤ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ٣٩٧ ) .
  - ( ٥ ) محمد عنان : دول الطوائف ( ص ١٦٨ ) .



لتخاذ لهم وانقسامهم امام عدوهم المشترك من النصارى <sup>(١)</sup>.

وقد حظى بلاط المعتصم ببعض العلماء الذين صنفوا له بعض الكتب فهذا الاديب قاسم بن ايوب الطائي الف له كتابا اسمه " بستان الكتابـة وريحانة الخطابة " وكان ذلك نزولا عند رغبة المعتصم <sup>(٢)</sup>.

ولم يكن اهتمام بن صادق قاصرا على الادباء والشعراء بل شمل ايضا العلماء الاخرين فى كافة فروع المعرفة ، فقد نال الجغرافى الكبير ابو عبيد البكرى منزلة رفيعة فى بلاط المعتصم <sup>(٣)</sup>.

كما وجد الحكيم الفيلسوف الشاعر ابو الفضل جعفر بن محمد بن شرف البرجى ( ٤٤٤ - ٥٣٤ هـ / ١٠٥٢ - ١١٣٩ م ) وفى بلاط المعتصم ماحقق له الشهرة والمنزلة السامية . وكان متضلعا فى الادب ، ماهرا فى الشعر ، وصنف كتابين فى الحكم والامثال احدهما شعرا والاخر نثرا ، تنم عن فكر قويم ونظر ثاقب وفلسفة سامية <sup>(٤)</sup>.

وعاش فى المرية عدد قليل من علماء الرياضيات والطب منهم الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب ، وكان متضلعا فى الهندسة والفلك والمنطق <sup>(٥)</sup>.

والعلامة ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني ( ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ) وكان ماهرا فى الهندسة والفلك الى جانب مشاركته فى الادب واللغة وعلوم الدين والتاريخ والانساب <sup>(٦)</sup>.

- 
- ( ١ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١١٢ - ١١٣ ) .
  - ( ٢ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ( ص ٥٤٤ ) .
  - ( ٣ ) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٨٦ ) .
  - ( ٤ ) آنخل بالنشيا : المرجع السابق ( ص ١١٠ - ١١١ - ١١٢ ) .
  - ( ٥ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٨ ) .
  - ( ٦ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٦ ) .

وخلف المعتصم بعد وفاته عدد من الابناء ، كانوا موصوفين جميعهم  
بالادب وقول الشعر واشهرهم رفيع الدولة الذى وصف ببراعته فى الشعر  
الا ان خموله وعزلته اضعفت ذكره بين شعراء عصره <sup>(١)</sup> .

واخته ام الكرام بنت المعتصم كانت شاعرة ايضا ، ولها نظم ينم عن  
مهارتها فى ذلك <sup>(٢)</sup> .

وبهذا يتبين لنا مدى ما أساده بنوصمادح من جهود طيبة فى  
اذكاء شعلة النشاط الادبى فى امارتهم الصغيرة ، والتى حفلت بعدد من  
مشاهير الادباء والشعراء والعلماء ، فكان لهذه الامارة دورها المجيد فى  
دفع عجلة الحركة الادبية وازدهارها فى ذلك القطر الشرقى من الاندلس .

---

( ١ ) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ٩٢ ) وانظر بعدها مقاطعا  
من شعره .

( ٢ ) آنخل بالنشيا : مرجع سبق ذكره ( ص ١١٤ ) .

وكان مجاهد مسارعا في تكريم العلماء راغبا في رعايتهم وتشجيعهم  
على العلم والمعرفة ، باذلا لهم بسخاء كل ضروب التكريم والتعظيم في سبيل  
الرقى بالمعارف .<sup>(٢)</sup>

وبناء على تكريمه لهم فقد (امه جملة العلماء وأنسوا بمكانه ، وخيموا  
 فى ظل سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة  
 وحلبة ظاهرة) (٣) ..

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٥٢) ، ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ ،  
(ص ٢٣) ، ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٣٧ - ٤٣٨) .  
(٢) الحميدى : الجذوة (ص ٣٥٢ - ٣٥٣) ، الضى : بغية الملتمس  
(ص ٤٧٢) ، ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٠١) ، ابن عذارى :  
البيان المغرب، ج ٣ (ص ١٥٦) ، المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ١٩٠) ،  
لطف الله : صحائف الاخبار (مخطوط) ورقة ٢٧٥ .  
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٢٢ - ٢٣) .

وكان مجاهد رغم اكرامه لاهل العلم والادب، الا انه كان لبراعته فى اللغة ومعرفته باسرارها اللغوية شديد النقد لما يلقيه الشعراء من القصائد فلا يزال يتعقب كل لفظة ومقطع بالنقد، والتجريح بالسرقة، حتى لا تكاد تسلم منه قافية، فلم يجد الشعراء لديه منالافقل اقبالهم عليه <sup>(١)</sup>.

وتعود شهرة مجاهد الى اهتماماته العظيمة بالدراسات القرآنية واللغوية، حتى اصطبغ بلاطه بهذه السمة، فرحل اليه القراء واللغويون ووجدوا فى بلاطه كل تكريم <sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك فقد نشطت الدراسات القرآنية فى دانية، وظهر فى بلاط ملكها من العلماء القراء ما تفخر به على سائر المدن، كالعلامة الكبير ابو عمرو الدانى الذى كان من اقطاب القراء، وعلى مصنفاته عول العلماء جيلا بعد جيل <sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على عناية مجاهد بالدراسات اللغوية ايضا، حرصه الشديد على دفع العلماء للتصنيف فيها وبذله المال فى سبيل ذلك ومحاولته اكتساب الشهرة كحام للعلم ومكرما لاهله. وحدث ان طلب من العالم اللغوى تمام بن غالب ان يجعل كتابه الذى صنفه فى اللغة مطرزا باسمه ولكن مؤلفه رفض ذلك واعاد الى مجاهد ما بعثه اليه من دنانير وكسوة وقال ( كتاب الفته لله وللعلم اصرفه الى اسم ملك، لا يكون هذا ابدا ) مما اعلى شأن هذا العالم فى عين مجاهد، وقد اثنى الحجارى على هاتين الشخصيتين وقال ( هكذا ينبغي ان تكون الملوك، وكذا يجب ان تكون العلماء ) <sup>(٤)</sup>.

- 
- ( ١ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحات .  
 ( ٢ ) ابن بسام : المصدر السابق ق ٣ ، ج ١ ( ص ٢٣ ) .  
 ( ٣ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٤٣٧ - ٤٣٨ ) .  
 ( ٤ ) ابن سعيد : المغرب، ج ١ ( ص ١٦٦ ) وانظر هذه القصة فى الحميدى الجذوة ( ص ١٨٣ ) ، الذهى : العبر، ج ٣ ( ص ٢٨٥ - ١٨٦ ) .

ولمجاهد صنف ابن سيده كتابيه المخصص والمحكم . وكان مجاهد قد عزم على ان يصنف بنفسه معجما كاملا فى اللغة ، ولكن نظرا لانشغاله باعماله السياسية والعسكرية ، فقد كلف ابن سيده بذلك فصنف كتابيه المذكورين .<sup>(١)</sup>

وابن سيده هذا يعتبر بلا مبالغه اشهر من اخرجته الاندلس فى ميدان علوم اللغة وكان الى جانب ذلك ماهرا فى المنطق وله فيه تصنيف .<sup>(٢)</sup>

وفى بلاط مجاهد عاش الفقيه المحدث المؤرخ الكبير ابن عبد البر النمري حافظ الاندلس ، ومؤلف التمهيد فى فقه الحديث ، والاستذكار ، واسد الغابة وبهجة المجالس ، وغيرها .<sup>(٣)</sup>

والى دانية لجأ العلامة الرياضى الفلكى ابوالقاسم احمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار ، وهناك عاش ينشر علمه ويعلم تلامذته حتى وافته المنية .<sup>(٤)</sup>

وكان ابو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر قد رحل الى المشرق حيث التقى هنالك بعدد من الاطباء اخذ عنهم الطب ونقل ما اكتسبه من معارف ليعود بعد ذلك الى وطنه وقد اصبح طبيبيا لامعا واستوطن مدينة دانية ، واشتهر بها وذاع صيته فى الاندلس .<sup>(٥)</sup>

وخدم بالطب مجاهدا العامرى وابنه عليا الطبيب اليهودى اسحق بن قسطار ، وكان طبيبيا بارعا وعلى جانب من المعرفة بالفلسفة والمنطق .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) انظر : مقدمة ابن سيده فى كتابه المحكم ج ١ ( ص ٦ ) ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط الاولى .

( ٢ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١٠٣ ) .

( ٣ ) المقرئ : النفع ، ج ٣ ( ص ١٦٩ - ١٧٠ ) .

( ٤ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٣ - ٩٤ ) .

( ٥ ) صاعد : نفس المصدر ( ص ١١١ ) .

( ٦ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٢٣ - ٢٤ ) .

ومن اهم ما ذكر عن مجاهد من انجازات علمية ما كان عليه من ولع شديد واهتمام كبير بجمع الكتب، والسعى في اجتلابها من مختلف المدن والاقطار، باذلا في ذلك كثيرا من الاموال حتى اجتمع منها لديه خزائن عظيمة، وكان يقضى بعض وقته في مطالعتها، والعكوف على قراءتها<sup>(١)</sup>.

وعن الهيدى من مناقبه وخصاله الحميدة تقديمه للوزير الكاتب ابي العباس احمد بن رشيق واستناده عليه في كثير من اموره، وقد عينه مجاهد حاكما على جزيرة ميورقة، ونظرا لما كان يتمتع به ابن رشيق من علم وادب فقد كان بلاطه هناك حافلا بالعلماء والادباء، وهو الذى آوى ابن حزم الظاهري حين ضاقته الاندلس، وبين يدي ابن رشيق جرت المناظرات بين ابن حزم وابى الوليد الباجي في الفقه وعلوم الدين<sup>(٢)</sup>.

وخلف مجاهدا على مملكته ابنه على الملقب باقبال الدولة، وسار على طريقة ابيه في تشجيع العلماء والادباء، وحثهم على التأليف والتصنيف، غير ان ذلك كان (تطبعا لا طبعا)<sup>(٣)</sup>.

ومن اشهر الاحداث العلمية التى وقعت فى عصر اقبال الدولة ماتتج عن تسامحه، وبذله الحرية الفكرية بدرجة كبيرة، دفعت احد المولدين ممن يعود الى اصل نصرانى بشكنسى والذى نشأ فى بلاط مجاهد ويدعى احد بن غرسيه الى كتابة رسالة ادبية تاريخية فى تفضيل العجم على العرب وجهها لصديقه الشاعر ابن الحداد الوادى آشى، لانه قصر مدائحه على المعتمد بن صمادح دون مجاهد وابنه على<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ١١٧) .  
 (٢) ابن الابار : الحلة السيرة، ج ٢ (ص ١٢٨)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٩٨)، احسان عباس : المرجع السابق (ص ٧٣-٧٤) .  
 (٣) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٠١) .  
 (٤) محمد عنان : دول الطوائف (ص ٢٠٤) .

والرسالة تفيض بالحق والغل والكراهية للعرب ، وتصفهم بالتخلف  
والوضاعة والدناءة في حين ترفع من شأن العجم ، وتعلی من اقدارهم  
وتصفهم بالتحضر والتمدن والرقى ، وانهم اهل الغروسية والشجاعة والجیوش  
الظافرة ، وقد رد على ابن غرسية عدد من العلماء سنشير اليهم عنـد  
الحديث عن الادب .

بنو حمود  
 ~~~~~

ينسب لهذه الاسرة التي حكمت بعض المدن كاشبيلية وقرطبة ومالقة
 والجزيرة الخضراء بعض الاهتمامات الادبية ، فظهر في اماراتهم المختلفة
 بغض الادباء والشعراء نذكر منهم الشاعر الطبيب الفيلسوف محمد بن
 سليمان بن الحناط ، وكان بارعا في علوم وآداب مختلفة وانتهى به الحال
 الى الاستقرار في كنف الامير محمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء (١) .

وفي دولة علي بن حمود بمالقة برز ابو جعفر بن اللمائي الذي وصف
 بانه احداثة الكتاب والبارعين في الآداب ، وان له انشاءات بديعة في
 بلاط الدولة الحمودية (٢) .

وكان الاديب ابو عبد الله بن السراج الملقب معدودا في شعراء بني
 حمود ، فقد مدحهم كثيرا بقصائده كما كان بارعا في الغزل والنسيب (٣) .

ومن علماء تلك الدولة الحمودية بمالقة العلامة الفقيه ابو علي الحسن
 ابن حسون الذي وصفبانه من ائمة العلماء ، وقد ولي القضاء على مالقة في
 حكم العالي بن يحيى بن حمود (٤) .

وفي بني حمود قال الشاعر عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني قصيدته
 المشهورة الذائعة الصيت ومطلعها :
 البرق لائح من اندرين
 ذرفت عيناك بالما المعين (٥)

-
- (١) القفطي : المحدثون من الشعراء (ص ٣٥٩ - ٣٦٠) .
 (٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٦١٧) ، ابن سعيد : المغرب
 ج ١ (ص ٤٤٦) .
 (٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٨٧٠ - ٨٧١) .
 (٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ٤٣٠) .
 (٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ (ص ٧٩١) ، والاشبوني نسبة الى
 اشبونة وهي عاصمة البرتغال الحالية لشبونة ، وانظر الخريطة رقم (٢) .

بنو زيرى فى غرناطة
 ~~~~~

لم يقدم بنو مناد من البربر فى غرناطة شيئا مهما للحركة العلمية والادبية فقد كانت هذه الاسرة تفتقد الى رهاقة الحس الادبى والذوق الرفيع الذى كان يتمتع به غيرها من الاسر الآنفة الذكر، هذا بالاضافة الى ما اتصف به حكام غرناطة من بخل و تقتير، فكدسوا الاموال والذخائر التى استولى عليها المرابطون فيما بعد ، وعلى امتداد نصف قرن ( وفى بلد يرتوى بالشعر ويتغذى بالغناء ، بقيت طوال القرن الحادى عشر الميلادى خارج المرابط التى يتردد عليها الشعراء ، ولم يحدث ابدا ان ايا من كبار الشعراء خارجها فكر ان يرتحل اليها ليمدح عبثا امراءها البربر ووزرائها اليهود ، وامام الشعراء المقيمون فيها فكان عليهم اما ان يخضعوا كما صنع المنفلت ابو احمد عبدالعزيز بن خير، وينظمون الشعر فى مدح اليهود ، ويتعرضوا لمقاسم المؤرخين وسخطهم او ان يهاجروا كما فعل السمسير )<sup>(١)</sup> .

ونضيف الى هذين الصنفين من الشعراء صنفا آخر وقف ضد التيارات السياسى الذى كان يشكله اليهود المسيطرون على مقاليد السياسة ، وكان زعيم هذا الاتجاه الشاعر الثائر ابو اسحاق الالبيرى الذى اشعل بقصيدته الثائرة ضد اليهود حماس المسلمين وحميتهم فاقوعوا باليهود وقتلوا كبيرهم وزير باديس بن حبوس وقضوا على نفوذ اليهود فى تلك الدولة<sup>(٢)</sup> .

- 
- ( ١ ) غرسيه غوميس: مع شعراء الاندلس والمنتخبى ( ص ٩١ - ٩٢ ) .  
 ( ٢ ) سنفضل الحديث عن هذه الوقعة عند الحديث عن الشعر، والالبيرى نسبة الى البيرة فى الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : العروض المعطار ( ص ٢٨ ) ، وانظر الخريطة رقم ( ٢ ) .

ولا يعنى هذا انه لم يبرز من تلك المدينة علماء وادباء قديرون او انه لم يلتجئ اليها عدد منهم بعد الفتنة ولكن الذى نقصده موقف اولئك الامراء البربر من الحركة العلمية .

وتولى الملك فى الدولة اولا حبوس بن ماكسن ( ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م ) ثم خلفه ابنه باديس ( ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م ) الذى كان اشهرهم جميعا وخلفه حفيده الامير عبد الله الذى اوقع به المرابطون ( ٤٧٣ هـ / ١٠٩٠ م ) .

وابرز من ظهر فى بلاط بنى مناد فى غرناطة وزيرهم اليهودى اسماعيل ابن نغزاله الذى كان بارعا فى الادب والشعر ماهرا فى الكتابة والانشاء وكان فى خلال كتابته لدى حبوس ثم ابنه باديس شديد الالتزام بالتقاليد الاسلامية فى الكتابة فكان يفتتح رسائله بالبسملة والتحميد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وجمع الى ذلك مهارة واسعة فى علوم الاوائل كالرياضيات والفلك والطب ، مع عنايته بالكتب وجمعها ، وكان قبل وفاته قد علم ابنه يوسف واعنى بتربيته ونشأته علميا وادبيا فاحضر لذلك طائفة من العلماء والادباء الذين اخلصوا فى تعليمه وتثقيفه ، فلما توفي اسماعيل اتخذ باديس ابنه يوسف وزيرا له <sup>(١)</sup> .

ومن بين شعراء غرناطة الذين خرجوا عنها الشاعر خلف بن فرج اللببى المعروف بالسميزر الذى كره المقام فى تلك الدولة ، ونقم على البربر الذين سيطروا على شئون الحياة فى غرناطة فقال :

|                            |                                          |
|----------------------------|------------------------------------------|
| رأيت آدم فى نومي فقلت له   | ابا البرية ان الناس قد حكموا             |
| ان البرابر نسل منك قال اذا | حواء طالقة ان صح ما زعموا <sup>(٢)</sup> |

( ١ ) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ( ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ) عن ابن حيان .  
 ( ٢ ) المقرئ : النفع ، ج ٣ ( ص ٤١٢ ) ، غرسه غوس : مع شعراء الاندلس ( ص ٩١ - ٩٢ ) .

والامير عبد الله آخر امير على هذه الامارة ( كان قد حاز حظا وافرا من البلاغة والمعرفة شاعرا ، جيد الشعر ، مطبوعه ، حسن الخط ، وكانت بغرناطة ربعة مصحف بخطه في نهاية الصنعة والاتقان <sup>(١)</sup> .

وذاع صيت الامير عبد الله بما كتبه من مذكرات اسماها بكتاب "التبيان" ولحسن الحظ انها لا تزال محفوظة وقد طبعت بتحقيق ليفي بروفنسال بدار المعارف بمصر ، وقد كتبها الامير عبد الله في منفاه باغمات ، وفيها وصف <sup>(٢)</sup> الاوضاع السياسية والعسكرية في عصره في الاندلس .

---

( ١ ) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ( ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ) .  
( ٢ ) التبيان : عن مقدمة المحقق ( ص ٨ ) .

بنو القاسم في البوننت  
 ~~~~~

لاتسعننا المادة التاريخية بشيء واضح عن بلاط بني القاسم بقلعة البوننت، وعن مدى اهتمامهم بالادباء والعلماء والشعراء، الا ان ابن حزم اثنى في رسالته التي فيها في فضل اهل الاندلس على الامير محمد بن عبد الله بن قاسم، ووصف بلاطه بانه (المجلس الحافل باصناف الآداب، والآهل بانواع العلوم، والقصر المعمور بانواع الفضائل)^(١).

وكان محمد بن عبد الله الملقب بيمين الدولة معتنيا بالعلم واخذه عن العلماء، ومن بينهم العلامة على بن ابراهيم التبريزي، فقد قرأ عليه^(٢) الاقناع للسيرافي.

ووصفه المراكشي الانصارى بنباهة البيت وشدة العناية بالعلم والمعرفة.^(٣)

ويكفي من البراهين على ان بلاطهم كان يضم عددا من مشاهير العلم والادب وجود العلامة الشهير ابو محمد بن حزم، الذي كان ولا يزال من اشهر من انجبهته الاندلس في علوم الدين.

(١) المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ١٥٩) ، نقلا عن ابن حزم في رسالته التي صنفها في فضل الاندلس .

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٣٨٨) .

(٣) الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ٢٣٩) .

ابن طاہر فی مرسئہ

كان يحكم مرسية من قبل زهير العامري ابو بكر احمد بن اسحاق بن طاهر، وكان يتمتع بعلم وادب غزيرين ، فاجتمع لديه كثير من الادباء^(١).

ولما توفي أبو بكر خلفه ابنه محمد الذي كان اعظم منه علما وادبـا
وبرع في الكتابة والانشاء براعة عظيمة ، وكان اسلوبه في النثر اسلوبا جميلا
بديعا ، وفي ذلك صنف ابن بسام كتابه (سلك الجواهر من ترسيل ابن
طاهر) .^(٢)

والى جانب تلك الصفات الادبية الفائقة التى اتسمت بها شخصية ابن طاهر، فقد كان سخيا كريما على العلماء والادباء، فاقبل عليه كثير منهم ومن بينهم الشاعر الكبير ابن عمار قبل التحاقه ببلاط المعتمد، وقد قدر لهذا الشاعر بعد ان تألق فى دولة المعتمد ان ينزع ابن طاهر من مرسيه ويقضى على سلطانه وكان بين الاثنين نوادر ادبية .^(٣)

واخيرا هؤلاء هم ابرز ملوك الطوائف ، وهذه صفاتهم وسيرهم وحياتهم ومواقفهم اتجاه العلم والادب ، وما من شك بعد هذه الدراسة والعرض ان يتضح لنا مدى ما اسهموا به من جهود عظيمة ومساهمات كبيرة في سبيل ازدهار الحركة العلمية والادبية فقد كان بينهم العلماء والادباء الكبار الذين قدموا لنا مصنفات رائعة في العلم والادب كما لم ينسوا تشجيع العلماء والادباء في اوطانهم فقامت على اثر ذلك حركة علمية زاهرة لم يكن لها مثيلا من قبل ومن بعد فكان عصرهم عصر العلم والادب ، ولعل نشاطهم العلمي يشفع لهم امام التاريخ ما كانوا عليه من شقاق وخلاف .

(١) محمد عنان : دول الطوائف (ص ١٢٦) .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٤ - ٢٥) ، ابن الابرار : الحلة السيرة ، ج ٢ (ص ١١٨ - ١١٩) ، وانظر رسائله واشعاره في الذخيرة ق ٣ ، ج ١ (ص ٢٨) وما بعدها .

(٣) ابن الأبار : الحلة، ج ٢ (ص ١١٨ - ١١٩).

(الفصل الثالث)

(مظاهر النشاط العلمى فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى)

- * العلاقات العلمية بين المشرق والأندلسيين .
 - * المكتبات وجمع الكتب .
 - * التعليم فى الأندلس .
-

العلاقات العلمية بين المشارقة والاندلسيين

- * مقدمة في الرحلة العلمية في الاسلام
- * رحلات الاندلسيين الى المشرق
- * الرحلات العلمية في عصر ملوك الطوائف وابرز العلماء
المرتحلين الى هناك
- * الاشارة الى ارتحال عدد من العلماء المشارقة الى الاندلس
- * النضوج العلمي للاندلس

مقدمة فى الرحلة العلمية فى الاسلام
 ~~~~~

ان موضوع العلاقات العلمية بين الاندلس والمشرق يأتى فى مقدمة  
 المواضيع الهامة الجديدة بالدراسة والبحث ، ذلك ان هذا الجانب من  
 النشاط العلمى كان سببا قويا وعاملا فعلا فى بناء الكيان العلمى للاندلس  
 وتطور حضارته الزاهرة .

وجدى بنا ان نشير بادىء الامر الى منزلة الرحلة العلمية فى تاريخ  
 الفكر الاسلامى ، فلقد اولى الاسلام عناية عظيمة بهذا اللون من الوان التحصيل  
 العلمى ، قال تعالى : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا فى  
 الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( وقل رب زدنى  
 علما )<sup>(٢)</sup> .

وعن كثير بن قيس قال : جاء رجل من اهل المدينة الى ابي الدرداء  
 بدمشق يسأله عن حديث بلغه يحدث به ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ، فقال له ابو الدرداء ما جاء بك تجارة ؟ قال : لا . قال ولا جئت  
 طالب حاجة ؟ قال : لا ، قال وما جئت تطلب الا هذا الحديث ؟ قال : لا .  
 قال : فابشر ان كنت صادقا ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقول : ( ما من رجل يخرج من بيته ليطلب علما الا وضعت له الملائكة اجنحتها  
 رضا بما يطلب ، والاسلك الله به طريقا الى الجنة ، وان العالم ليستغفر له  
 من فى السموات والارض ، حتى الحيتان فى البحر )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) سورة التوبة : آية ١٢٢

( ٢ ) سورة طه : آية ١١٤

( ٣ ) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ( ص ٨١ - ٨٢ ) .



وقال عليه السلام : ( اطلبوا العلم ولو بالصين )<sup>(١)</sup> .

وعن الشعبي رحمه الله قال : ( لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت ان سفره لا يضيع )<sup>(٢)</sup> .

وعن جعفر الطيالسي قال : سمعت يحيى بن معين يقول : ( اربعة لا تؤنس منهم رشداً وذكر منهم رجلا يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث )<sup>(٣)</sup> .

وهذا ابن خلدون يعقد في مقدمته الشهيرة فصلا تحت عنوان ( فى ان الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعلم ) . وفيه اشارة الى انه على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، وان الرحلة ضرورة لا بد منها فى طلب العلم والمعرفة وتحصيلها والظفر بالكمال والرفعة بقاء كبار العلماء والشيوخ والاقتباس منهم<sup>(٤)</sup> .

وبناء على ما تقدم يلحظ الدارس للتاريخ والفكر الاسلامى قوة العلاقة بين الاسلام والعلم ، ومدى ما اولاه هذا الدين من عناية فائقة بالمعرفة فقد رسم قواعدا ومناهجا فى سبيل تحصيل المعرفة واكتسابها والاستزادة من العلم .

لهذا نرى علماء الاسلام فى كافة اقطارهم ، ومن بينهم علماء الاندلس يسارعون فى اكتساب المعارف والعلوم المختلفة ، وما من شك انهم لقوا خلال

( ١ ) الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ ( ص ٨ ) ، ج ١ ، وهذا الحديث اخرج ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث انس ، وقال البيهقى متنه مشهور واسانيده ضعيفة .

( ٢ ) البغدادى : نفس المصدر ( ص ٩٦ ) .

( ٣ ) البغدادى : المصدر السابق ( ص ٨٩ ) ، عبد الفتاح ابو غدة : صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ( ص ٢٠ ) .

( ٤ ) مقدمة ابن خلدون ( ص ٥٤١ ) .

رحلتهم البعيدة ضروبا من التعب والمشقة . فان المسافة بين الاندلس والمشرق ليست بالقصيرة وخاصة مع طبيعة الحياة وظروفها القاسية آنذاك . ولكن الحرص على العلم والسعى في تحصيله قد هون عليهم تلك المعاناة والالام .

ومن الحق ان نشير الى ان الرحلة العلمية لم تكن قاصرة على اهل الحديث والفقه او علوم الدين بشكل عام . بل امتدت مرامي واهداف تلك الرحلات الى جميع المعارف والعلوم ، فالاسلام يحث على ذلك لانه قد جمع في تشريعاته بين الدين والدنيا . واوجد بينهما توازنا دقيقا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سلك طريقا يطلب فيه علما . . . الى آخر الحديث ) . ولا ريب ان لفظ علم هنا واسع شامل ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما معناه ( اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ، صدقة جارية ، او ولد صالح يدعوه ، او علم ينتفع به ) .

ويلاحظ انه قال علم ، وهو ما يدل على العموم وليس على الخصوص ، فلو ترك المرء بعده كتابا يدرس او نظرية في الفيزياء او الكيمياء انتفع بها المسلمون لحصل المقصود بالحديث ، وهكذا يلاحظ الدارس ان الاسلام وسع قاعدة الاهتمام العلمى فى شتى حقول المعرفة وليس فقط علوم الدين .

وعلى كل حال فقد كان علماء المسلمين يرتحلون فى طلب العلم بين مراكز العلم فى الدولة الاسلامية من حدود الصين شرقا الى الاندلس غربا فبخارى ونيسابور وبغداد ، ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وصنعاء والقاهرة والقىروان وقرطبة كانت آنذاك عواصم الحضارة الاسلامية ، وكانت تبعا لذلك مقصد العلماء وقبلة طلاب المعرفة .

### رحلات الاندلسيين العلمية الى المشرق

منذ ان دخل الاسلام الى اسبانيا ، واستقر الفاتحون بها — بدأ الاهتمام بترسيخ دعائم العقيدة الجديدة في نفوس اهل البلاد . وشعر الفاتحون بالحاجة الماسة الى التعمق في قضايا التشريع الاسلامي وما يتعلق منها بمعاملة تلك الطوائف من اهل الذمة ، صحيح انه كان مع الفاتحين بعضا من التابعين الفقهاء ، لكن هؤلاء كانوا من القلة بحيث ان طاقتهم ومجهودهم العلمي لن يشمل تلك المساحة الشاسعة المفتوحة ، هذا بالاضافة الى ما يتعلق بالدراسات اللغوية والنحوية وعلاقتها بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ورغبة الاندلسيين في تعميق معارفهم في علوم اللسان ، واخيرا طموح الاندلسيين للحاق بركب اخوانهم المشاركة الذين سبقوهم الى طرق ميادين العلوم والمعارف المختلفة واحراز مكانتهم الحضارية الراقية .

ومن هنا بدأ التفكير في الاستعانة بالمشاركة ، فرموا بابصارهم نحو المشرق وشد كثير منهم رحاله اليه للقاء علمائه وفقهائه ، ومن بينهم شيوخ وعلماء المدينة ممن جاؤوا مصادر الفكر الاسلامي واصله الاولى فاخذوا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم الكرام .

وبناء عليه فقد كان هناك تيار علمي زاخر بين المشرق والاندلس . ويتمثل هذا في افواج العلماء الذاهبة والآية بين القطرين ، حتى شبه نشاطهم ذلك بحركة سير النمل في الذهاب والاياب .

وكان الارتحال الى المشرق ولقاء علمائه في مختلف وجوه العلم ينم عن الرغبة في تحقيق النضوج العلمي ، وترسيخ جذور الشخصية العلمية المتفوقة وعلى العكس من ذلك كان اكتفاء العالم بلقاء علماء بلده والاقتصار عليهم

دون الرحلة الى غيرهم من كبار علماء ذلك العصر، فيه اشارة الى ضيق الافق العلمى وضعف التطلع والطموح الى الافضل والاحسن .

والرحلة فى طلب العلم من اهم السمات البارزة التى يوليها المؤرخون واهل التراجم لمن يترجموا لهم من العلماء والادباء ، ويلحظ الدارس لكثير من سير العلماء عظم الاشادة برحلاتهم العلمية فى سبيل تحصيل العلوم ولقاء المشايخ ، حتى ان بعض العلماء كان يفخر بكثرة شيوخه واساتذته <sup>(١)</sup> .

ولهذا كان يعاب العالم الذى ليس له رحلة ويوصف بالانقباض عن اهل زمانه من العلماء واهل المعرفة ، وخصوصا فى العصور الاولى للحياة العلمية فى الاندلس، وقد سبقت الاشارة الى قول يحيى بن معين انه لا يؤنس من اربعة رشدا وعد منهم الرجل الذى لا يرتحل فى طلب العلم .

وفى فجر الحياة العلمية فى الاندلس ارتحل علماء الدين الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها مركز العلم ، والمنبع الثرى لعلوم الدين ، واتجه دارسو اللغة والنحو والادب الى البصرة والكوفة ليتلقوا علومها على ايدى فحول العلماء من الكوفيين والبصريين ، ولما اتسع مجال النشاط العلمى فى الاندلس، قصد الراغبون فى دراسة الرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها الى بغداد ودمشق وغيرها من مراكز الدراسات العلمية البحتة .

وكان سير الرحلات العلمية يتم على وجهين ، الاول عن طريق البحر الى القيروان ثم منها الى الاسكندرية ومن هنا تتشعب اتجاهاتهم بحسب رغباتهم العلمية . والثانى يتم عن طريق البر باجتياز مضيق جبل طارق نحو المغرب

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس ( ص ٩٣ ) وما بعدها ، رسالة ماجستير ( لم تنشر ) .

ومنه الى القيروان ، وكانت تمثل آنذاك مركزا علميا نشطا ومنها الى مصر حيث مدينة الاسكندرية والفسطاط ، والقاهرة بعد ذلك ، وكانت مدينة القاهرة عاصمة من عواصم العلم والمعرفة ، ومن مصر تتشعب افواج العلماء ففريق يتجه الى الحجاز ، وهم علماء الدين ، وفريق آخر يتجه الى العراق وهم بقية العلماء فى اللغة والنحو والادب والطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك . . . وقد كانت بغداد آنذاك حاضرة من حواضر المدينة الاسلامية بل كانت مركز الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى بما اجتمع فيها من جهاذة العلم والمعرفة فى كل علم ، وكانت مجمعا علميا زاهرا بما اجتمع فيها من الاطباء والفلاسفة والادباء على مختلف مشاربهم وجنسياتهم كالعرب والفرس والهنود والسريريان وغيرهم .

ولهذا حظيت بغداد باهتمام كبير من علماء الاندلس ، وقلما نرى من الراحلين الى المشرق فى هذا العصر من لا يعرج على بغداد ويلتقى بعلمائها ، ولا يعنى قولنا انها كانت مقصد العلماء من غير الفقهاء والمحدثين انها لم تضم بين جنباتها علماء الدين ، بل شهدت الكثير منهم وكانت موطنها لآلاف العلماء من المحدثين والفقهاء ، ولكننا نعنى ان الحجاز وخصوصا فى القرن الثانى الهجرى كانت تتزعم تقريبا الدراسات الدينية .

اما بعد ذلك فقد شهدت بغداد حركة نشطة فى هذه العلوم فرحل اليها كثير من محدثى وفقهاء الاندلس ، مع استمرار الصبغة العلمية والفلسفية غالبية على بغداد .

وجدير بالذكر ان العالم الاسلامى آنذاك كان يمثل ثقافة وكيان فكرى واحد لا يختلف فالاسلام ساوى بين المسلمين جميعهم ، ومنحهم الاخوة والمساواة ، وازال ما بين الناس من فوارق وحواجز ، ورغم ما كان هناك من

تعدد الزعامات السياسية فى العالم الاسلامى كالعباسيين فى المشرق والفاطميين فى مصر، والامويين فى الاندلس، الا ان ذلك لم يمنع من حرية الانتقال والترحال بين الاقطار الاسلامية<sup>(١)</sup>. فلم تكن هناك انظمة او قواعـد تحد من الانتقال بين قطر الى آخر وهو مايسر للعلماء وطلبة العلمـ ان يحصلوا على المعارف والعلوم التى ينشدونها فى اى جزء من العالم الاسلامى، ولذا يلحظ الدارس لهذا الجانب من النشاط العلمى ارتحال عدد كبير من العلماء من الاندلس وحتى بلاد ماوراء النهر، والعكس صحيح ايضا فى انتقال بعض علماء المشرق الى الاندلس بعد ان ضاق بهم الحال او طلبا لوضع اجتماعى افضل مما هم عليه فى موطنهم .

---

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الاندلس ( ص ٩٣ ) رسالة ماجستير لم تنشر.

الرحلات العلمية بين الاندلس والمشرق  
في عصر ملوك الطوائف  
م

ما من شك أنه كان لهذه الرحلات العلمية أبعد الاثر في نهوض العلوم والآداب في الاندلس، ويتجلى هذا الاثر في عصرى الامارة والخلافة بصفة خاصة، فما ان نبلغ عصر ملوك الطوائف حتى يضعف هذا التأثير ويخف تياره وهو امر عائد الى ما بلغت الحركة العلمية في الاندلس في هذا العصر من رقى وتطور . فقد بلغت هذه الحركة العلمية الذروة والوج وقتذاك ، واخذ كثير من العلماء يرسخ بسلوكه العلمى قاعدة الاستقلال والاعتماد على الذات ومحاولة لفت الانظار الى ان فى الاندلس من العلم والمعرفة ما يغنى عن السعى الى المشرق ، او على الاقل محاولة التخفيف من الاعتماد على علماء المشرق بعد ان تغيرت الاوضاع فى الاندلس وازدهرت فيها الحضارة والفكر والعلم والادب ، وهذا يفسر لنا كيف تألق فى هذا العصر عالمان وقيهان اندلسيان ليس على مستوى الاندلس فحسب بل على مستوى العالم الاسلامى وهما ابن حزم الظاهرى ، وابن عبد البر النمري ، رغم انهما لم يرحلا الى المشرق ويأخذا عن علمائه .

ورغم ما تقدم الا ان الاندلسيين وخاصة علماء الدين ظلوا على اتصال بالمشرق ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة الفقيه ابو الوليد سليمان بن خلف الباجى ( ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ) الذى دخل بغداد واقام بها ثلاث سنين يأخذ العلم عن فقهاء ومحدثيها كابى الطيب الطبرى ، وابى اسحاق الشيرازى والصيمرى . واقام بالموصل حيث لقي هناك ابا جعفر السمانى واخذ عنه علم الكلام ، وما زال يأخذ عن العلماء والفقهاء ومن اشهرهم غير السابقين الخطيب البغدادى الذى اخذ بدوره عن ابى الوليد ، وقد مكث على هذا الحال ما يقارب ثلاثة عشر سنة ثم عاد الى وطنه ، وقد تضرع فى

### (١) الحديث والفقه وعلم الكلام .

وكان ابو الوليد في اثناء رحلته في المشرق في غاية العوز وضيق العيش والحرمان حتى قال ابن بسام فيه ( دخل بغداد والحرمان قد كساه سراويل ، ورماه بطير ابابيل ) . .<sup>(٢)</sup>

ومما يذكر عنه من الوان الصبر والجلد في سبيل تحصيل العلوم انه كان يقوم بحراسة الدروب ببغداد مقابل اجر يعينه على ظروف عيشه . وحدث عنه اصحابه انه كان يأتي الى حلقات العلم وفي يده اثر المطرقة اذ كان يضرب ورق الذهب للغزل ، ولكنه بعد ان عاد الى الاندلس وطار ذكره بالعلم علت حاله وعظمت منزلته بين الرؤساء والملوك<sup>(٣)</sup> .

وكان لابي الوليد دور لا يستهان به في ازدهار الدراسات الفقهية وعلوم الدين بشكل عام ، كما انه ناضل عن المذهب المالكي امام نده القوي ابن حزم الظاهري ، وكان لهما مناظرات علمية اشتهرت في اوساط العلم وذاعت بين العلماء ، وخلف لنا ابو الوليد غير ذلك عددا من المصنفات سنشير اليها عند الحديث عن علوم الدين .

وجدير بالذكر ان نشير الى نقطة هامة في رحلة ابي الوليد وهي ان علامة المشرق وحافظه الخطيب البغدادي لم يمنعه علمه وسعة معرفته ان يأخذ ايضا عن ابي الوليد بعض علومه ومعارفه ، وهو ما اشرنا اليه آنفا وفيه اشارة ضمنية الى مكانة ابي الوليد وعلمه .

وارتحل الى المشرق ايضا من علماء الاندلس ابو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ( ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٨ م ) ، وكان آنذاك شابا

---

( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ( ص ٧١ - ٧٢ ) ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ١ ( ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ) .  
 ( ٢ ) الذخيرة ، ج ٢ ، ج ١ ( ص ٩٨ - ٩٩ ) .  
 ( ٣ ) عياض : ترتيب المدارك ، ج ٣ ( ص ٨٠٤ ) ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ١ ( ٢٠٣ - ٢٠٤ ) ، المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٧١ - ٧٢ ) ، الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٣ ( ص ٣٤٥ ) .



يافعاء، ورافقه في رحلته والده الذى حرص على ان ينال ابنه مزيدا من العلم والمعرفة بلقاء علماء مصر والشام والعراق ، وقد اكتسب ابو بكر كثيرا من العلم في رحلته المذكورة ، وعاد الى بلاده بعد ان مهر في الفقه والحديث وعلوم القرآن<sup>(١)</sup> .

ومما يذكر عن رحلته العلمية واقامته في المشرق انه كان يحفظ خلال اقامته في العراق في كل يوم سبع عشرة ورقة<sup>(٢)</sup> .

وقد بلغ من تحصيل ابى بكر للعلم والمعرفة وسعة ما اخذه عن علماء وفقهاء المشرق ان قال ( كل من رحل لم يأت بمثل ما اتيت به من العلم الا الباجى )<sup>(٣)</sup> .

ولما عاد ابو بكر الى الاندلس قصده العلماء وطلبة العلم ، واخذوا عنه كثيرا من علومه ومعارفه ، وتمكن ابن العربى من ايجاد روح نشطة في ميدان الدراسات الدينية ، وزادت شهرة مجالسه العلمية وخصوصا مجلسه الذى املى فيه كتابه القبس فى شرح موطأ مالك بن انس ، وكان هذا المجلس يشهد اقبالا منقطع النظير من علماء وطلبة قرطبة وغيرها من مدن الاندلس<sup>(٤)</sup> الاخرى .

---

( ١ ) عياض : الغنية ( ص ٦٦ - ٦٧ ) ، ابن فرحون : الديباج ( ص ٨٢١ ) ، ( طبعة المكتبة العلمية ) ، المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٢٩ - ٣٠ ) ويذكر ابن خلدون ان يوسف بن تاشفين بعث بعبد الله بن العربى وابنه ابا بكر الى الخليفة المستظهر ليطلب منه الموافقة على توليته - اى ابن تاشفين على ماتحت يده من بلاد المغرب والاندلس وان ابا بكر حصل على عهد الخلافة العباسية ليوسف بن تاشفين على ماتحت يده من البلاد ، انظر المقدمة ( ص ٢٢٩ ) ، وكذلك احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ( ص ١٠٣ ) وما بعدها .

( ٢ ) الضي : بغية الملتص ( ص ٩٣ ) .

( ٣ ) المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٢٩ ) .

( ٤ ) الضي : البغية ( ص ٩٣ ) .

ومن اعلام الراحلين الى المشرق فى هذا العصر العلامة عبد الله بن  
مهد التجيبى السرقسطى ( ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ) ، رحل الى مصر والحجاز  
والعراق والشام ، وكتب علوما كثيرة ، واخذ عن اعلام المشرق علوم الديــــن  
ولمع نجمه فى تلك العلوم حتى طلب اليه شيخه ابو الوليد الباجى ان يخرج  
صحيح البخارى لما عرف عنه من البراعة فى علم الحديث مع اجادة اللغة <sup>(١)</sup> .

والى المشرق ايضا اتجه العلامة الاديب المحدث الشاعر ابو حفص  
عمر بن الحسن الهوزنى ، وكان موصوفا بالعلم والادب ( تضيق عن فخره  
الآفاق ، وتهادى عجائب ذكره الشام والعراق ) <sup>(٢)</sup> .

والتقى ابو حفص بعدد من العلماء والفقهاء وروى فى رحلته تلك كتاب  
الترمذى فى الحديث ونقله عند اياه الى الاندلس <sup>(٣)</sup> .  
واخذ العلامة احمد بن سعيد بن د نيل القرطبي ( ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ) عن  
ابى محمد بن ابى زيد القيروانى مختصره فى المدونه وغير ذلك من تصانيفه وادخلها الاندلس <sup>(٤)</sup>  
ومن اشهر العلماء الراحلين من حيث ابعاد رحلته وتنقلاته العلامة  
الحسن بن ابراهيم بن محمد الجذامى المالقي ، الذى خرج من بلده فسمع  
بالاسكندرية ثم رحل عنها الى مكة فسمع بها ومنها اتجه الى بغداد فسمع  
من شيوخها ثم قصد اصبهان ودخل خراسان ثم نيسابور واقام بها ، وكان  
عالما بارعا فى الحديث والادب واللغة <sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن البار : المعجم ( ص ٢١٢ - ٢١٣ ) .  
( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، ق ١ ( ص ٨٢ ) .  
( ٣ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة .  
( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٤٩ - ٥٠ ) .  
( ٥ ) الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ( ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ) .  
ويذكر الحميدى ان العلامة عطية بن سعيد بن عبد الله ( ت ٤٠٩ هـ /  
١٠١٨ م ) طاف بلاد المشرق سياحة ، وانتظمها سماعا ، وبلغ الى  
ماوراء النهر ، ثم عاد الى نيسابور واقام بها مدة . انظر جذوة  
المقتبس ( ص ٣١٩ - ٣٢٠ ) .

واشتهر العلامة محمد بن احمد بن ابراهيم الخزر جي الجيانسى المعروف بالبغدادى ، لطول اقامته بها اثناء رحلته الى المشرق ، وقد لقي فى بغداد كثيرا من الفقهاء منهم على بن محمد الطبرى ، واخذ عنه مصنفاته وادخلها الى الاندلس ومنها كتاب احكام القرآن وكتاب الرد على احمد بن حنبل<sup>(١)</sup> .

وفىما يتصل بعلوم اللغة والنحو ، فقد ارتحل عبد الله بن حمود الزبيدى الى المشرق حيث صحب ابا على الفارسى فى مقامه وسفره واكثر من الاخذ عنه حتى روى ان ابا على خرج لصلاة الفجر يوما ، ففوجىء بخروج عبد الله بن حمود من مذود كان لدابة ابيه على خارج منزله ، وكان عبد الله قد قضى ليلته فيه ليكر فى حضور مجلس ابيه على قبل حضور الطلبة ، فارتاع منه ابو على وقال : ويحك من تكون ؟ قال : انا عبد الله بن حمود الاندلسى ، فقال : الى كم تتبعنى ؟ والله ما على وجه الارض انحى منك<sup>(٢)</sup> .

وظل عبد الله يتلقى علومه فى المشرق ، ثم شد رحاله الى وطنه الاندلس عن طريق البحر ، ولما لم يبق بينه وبين الاندلس سوى يوم او يومين غرقت المراكب وهلك من فيها ، ومن بينهم عبد الله وغرق معه كثير من كتبه التى جلبها من العراق<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ق ١ ( ص ٢٦٢ ) .

( ٢ ) القفطى : انباه الرواه ، ج ٢ ( ص ١٨ - ١٩ ) ، وابو على : هو الحسن ابن احمد الفارسى ( ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ) ، وكان معدودا من ائمة العربية واقام لدى سيف الدولة الحمدانى ثم عاد الى فارس فصحب عضد الدولة البويهى وله كتب عديدة منها الايضاح . ( الزركلى : الاعلام ، ج ٢ ( ص ١٢٩ ) .

( ٣ ) القفطى : نفس المصدر والجزء ( ص ١١٩ ) ، ج رقم ٥ .

وفى ميدان العلوم البحتة رحل الى المشرق العلامة الرياضى عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ) حيث قصد حران فدرس بها الهندسة والطب ، وجلب معه الى الاندلس رسائل اخوان الصفا<sup>(١)</sup> .

ويعتبر نقل الكرمانى لرسائل اخوان الصفا الى الاندلس خطوة عظيمة فى دفع تيار الدراسات الفلسفية فى الاندلس ، وتوسيع دائرة البحث فيها .

ويذكر العلامة الفلكى محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط انه رأى خلال رحلته الى مصر كتابا فى عمل الاسطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظير له فى قيمته وعلو قدره من تأليف جابر بن حيان<sup>(٢)</sup> .

وما من شك ان ابن سعيد قد افاد من اطلاعه على ذلك الكتاب والنظر فى محتوياته وان كنا نشك فى نسبة الكتاب الى جابر بن حيان لانه لم يرد ما ييشير الى براعته فى الفلك ومهارته فيه ، فقد كان علمه الذى اشتهر به هو الكيمياء .

وفى هذا العصر دخل كتاب القانون لابن سينا الى الاندلس . فقد جلب تاجر عراقى نسخة من ذلك الكتاب جميلة الخط ، زاهية التجليد واتحف بها الطبيب ابى العلاء زهر ( ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ) تقربا منه وكسبا لمودته كطبيب لامع ، ولكن ابا العلاء مالبث بعد تأمل الكتاب ان ذممه والقى به ولم يحتفظ به بين كتبه ، بل اخذ فى تقطيع اوراقه الى قطع يكتب

- 
- ( ١ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٤ ) ، القفطى : اخبار العلماء ( ص ١٦٢ )  
احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ( ص ٥٨ ) ، ماهر حمادة :  
المكتبات فى الاسلام ( ص ١٩١ ) .  
( ٢ ) القفطى : اخبار العلماء ( ص ١١١ ) ، لانعلم تاريخ وفاته وانما ذكره  
صاعد ولقيه . انظر ابن البار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩٢ ) .

فيها أسماء الادوية لمرضاه<sup>(١)</sup> .

وجدير بالذكر ان نشير الى انه الى جانب ارتحال الاندلسيين الى المشرق فقد شهد الاندلس ايضا موجة معاكسة من ارتحال المشاركة الى الاندلس ، وقد عقد المقرئ فصلا في كتابه نفح الطيب لمن دخل الاندلس من اهل المشرق قال فيه : ( اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ، ومنهم من اتخذها وطنا ، وصيرها سكنا ، الى ان وافته منيته ، ومنهم من عاد الى المشرق بعد ان قضيت<sup>(٢)</sup> بالاندلس امنيته ) .

ومن اشهر القادمين الى الاندلس قبل هذا العصر الذي ندرسه ابو على القالى الذى اسهم بدور فعال في نشاط الدراسات اللغوية والادبية سواء بعلمه الواسع وبراعته في تلك العلوم او بالكتب اللغوية والادبية التى ادخلها معه الاندلس .

وفي عصر ملوك الطوائف قدم الاندلس عدد من العلماء ، وكان هؤلاء العلماء يرمون من وراء ارتحالهم الى الاندلس نيل ما يطمحون اليه من منازل رفيعة في بلاطات ملوك الطوائف ، او قد يكون مرد ذلك الى اضطرابات سياسية واجتماعية في مواطنهم الاصلية فشدوا رحالهم الى غيرها من الاقطار حيث الاستقرار والامان .

ويأتى فى مقدمة هؤلاء العلامة الحافظ ابو زكريا عبد الرحيم بن نصر التميمي ( ٣٨٢ - ٤٧١ هـ / ٩٢٢ - ١٠٧٨ م ) سمع من علماء وفقهاء كثيرين من مختلف البلدان ثم رحل الى الاندلس ، وكتب بها عن شيوخها ، وكان يحدث عن مئات من اهل الحديث ، وذكره ابن عساكر فى تاريخه ، وأشار الى سماعه فيما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان . وحل بدمشق فترة

( ١ ) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٥١٢ - ٥١٨ ) .

( ٢ ) نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٥ ) .

٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م ) ، فاستقدمه الى بلاطه واحله منزلة سامية .<sup>(١)</sup>

وكان المعز بن باديس امير الدولة الصنهاجية بالقيروان قد ابدى معارضته لنفوذ اتباع الفاطميين والشيعة في القيروان وماهم عليه من مذهب مخالف لاهل السنة فوقع بالكثير من الشيعة وقطع ذكر ملوك الفاطميين والدعاء لهم على المنابر واحل محله الدعاء لبنى العباس سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وكذلك غير ضرب السكة وازال اسماء الفاطميين عنها واحل محلها آيات قرآنية وكان ذلك في سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م .<sup>(٢)</sup>

ونظرا لتلك الخطوة السياسية التي سلكها المعز بن باديس فقد رأى ان يوفد رسولا للخليفة القائم يطلعه على ما اتخذه من سياسة ضد الفاطميين ورغبته في اقامة علاقات طيبة مع الخلافة العباسية . ولم ير الخليفة في بلاطه من الرجال الاكفاء غير ابي الفضل فطلب اليه التجهز في السفارة بينه وبين المعز بن باديس ، فسار ابو الفضل مستترا متخفيا عن عيون الفاطميين في الشام ثم دخل مصر واقام بها فترة من الزمن ثم خرج عنها فسيى التجار وعلم بامره والى الاسكندرية فانفذ فى اثره جماعة من الجند لكنه فاتهم ، وتمكن من الدخول الى بلاد المعز ثم القيروان ( ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ) حيث استقبله المعز استقبالا كريما بعد ان ثبت لديه صدق قوله وحقيقة امره ، وقد نال ابو الفضل درجة عالية فى بلاط المعز حتى اذا صرف المعز الخطبة الى الفاطميين بمصر ونفذ روابط المودة والموالة للعباسيين سنة ( ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م )<sup>(٣)</sup> خرج ابو الفضل الى مدينة سوسة ومازال يتردد بين تلك الجهات ورافق بلقين بن محمد بن حماد صاحب القطعة ثم سأم المكوث بافريقية فشد رحاله الى الاندلس عن طريق البحر فنزل دانية ، ورغب مجاهد العامرى فى نزوله لديه غير انه انطلق الى بلنسية فوجه اليه المأمون ملك

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٨٧ - ٨٨ ) .

( ٢ ) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ( ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ) .

( ٣ ) هكذا يقول ابن بسام والحقيقة التى لاتقبل الشك ان المعز لم يعهد علاقته مع الفاطميين ، وانظر فى هذا الصدد ، عبد العزيز الميمنى ( المعز بن بارس والفاطميون - مقال بمجلة الزهراء ج ٣١ ١٣٤٣ هـ ) . . . .

طليطلة رسالة يطلب فيها قدومه عليه فلبى ذلك وآثر الإقامة في كنف المأمون الذي اعلی مقامه واکرم نزلہ وكان وصوله الى طليطلة سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م .  
ويعد ابو الفضل هذا اول من ادخل كتاب يتيمة الدهر للشعالبي الى الاندلس .<sup>(١)</sup>

والى الاندلس رحل العلامة نصر بن الحسن بن الاشعث الشاشي ( ولد ٤٠٦هـ / ١٠١٥ م ) نزيل سمرقند وحدث في الاندلس بكتاب صحيح مسلم ، وسمع من علماء الاندلس احمد بن عمر بن انس وغيره من العلماء<sup>(٢)</sup> والمشايخ .

اما الداخولون الى الاندلس من الشعراء فكثيرون منهم محمد بن شرف القيرواني ( ت ٥٣٤هـ / ١١٣٩ م ) الذي حل في بلاط المأمون ملك طليطلة وكذلك الشاعر الاعمى علي بن عبد الغني الحصري الذي ورد ذكره عند الحديث عن المعتمد في منفاه باغمات ، ومنهم الشاعر ابو العرب الصقلي الذي كان احد شعراء المعتمد ، ومثله ايضا مواطنه عبد الجبار بن حمديس

- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٨٨ - ٨٩ ) .  
يتضح ان تاريخ وصول ابي الفضل الى القيروان كما يقول ابن بسام وهو ( ٤٣٩هـ / ١٠٤٧ م ) يتناقض مع تاريخ قطع المعز الخطبة للفاطمين وهو سنة ( ٤٤٠هـ / ١٠٤٨ م ) وتغييره للسكة المضروبة عليها اسماءهم سنة ( ٤٤١هـ / ١٠٤٩ م ) . والحق ان ذلك عائد الى الاختلاف الكبير في تحديد تاريخ انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية فابن الاثير في الكامل يشير الى انه في سنة ٤٣٥هـ اظهر المعز الدعاء لبني العباس ج ٨ ( ص ٣٩ ) ، وكذلك يشير النويري ( انظر تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيفص ٣٤١ ) وفي نفس الصفحة رقم ٧٣ يذكر المحقق ان الاستاذ لين بول حدد ذلك التاريخ بسنة ٤٣٨هـ معتمدا في ذلك على آخر عملة نقدية وجدت تحمل اسم الخليفة الفاطمي في مدينة المنصورية . ومن هنا يتبين ان التاريخ الذي حدده ابن بسام لوصول ابي الفضل للقيروان يتناسب مع ما اشار اليه ابن الاثير والنويري ولين بول .  
( ٢ ) الضي : البغية ( ص ٤٧٦ ) .

الصقلي ( ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ) ، الذى كان من اشهر شعراء بلاط المعتمد ، وكل هؤلاء سنتحدث عنهم فى الفصل الخاص بالادب .

هذا ومن الحق ان نقول انه كان للعلاقات العلمية بين المشرق والاندلس اثر كبير فى ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها ، فقد كان اولئك العلماء الراحلين الى المشرق او المشاركة الراحلين الى الاندلس يحملون معهم كثيرا من العلوم والمعارف المختلفة الى جانب اعداد كبيرة من المصنفات والتأليف فى شتى فروع المعرفة ، ولقد كان لهذا اللون من النشاط العلمى ثمرتان مباركتان ، هما ما يحمله العالم فى صدره من علم ومعرفة ، وما ينقله معه الى الاندلس من كتب قيمة ، وقد لخص الاستاذ ماهر حمادة نتائج هذه الرحلات العلمية فى قوله : ( كانت البلاد الاسلامية وحدة ثقافية واحدة رغم التجزئة السياسية التى اصابتها وجعلت منها عددا كبيرا من الدويلات الهزيلة المنقسمة ، وكانت الافكار والكتب والبضائع والاشخاص تنتقل بحرية تامة ، والطلب ان انتقال الكتب كان يتم من الشرق الى الغرب اى الى الاندلس حيث ان الشرق كان - فى عصوره الاولى على الاقل - متقدما على الاندلس فى التأليف )<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) المكتبات فى الاسلام ( ص ١٩١ ) .



وهذا الشعور والاحساس الصادق والمخلص للوطن واهله وانتاجهم العلمى والادبى كان اوضح رد فعل ضد الممارسات العلمية التقليديّة للمشاركة، وقد سبق ابن بسام الى هذه الخطوة الوطنية الصادقة الاديب ابو عمر احمد بن فرج الجيانى الذى صنف كتابا فى محاسن اهل زمانه فى وطنه سماه " كتاب الحقائق " ولم يضمه الا اشعار واداب اهل الاندلس .<sup>(٢)</sup>

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٣ ) ، واحمد بن فرج مات مسجوناً بامر الحكم المستنصر انظر الحميدى : الجذوة ( ص ١٠٤ ) .

وهذه النزعة الوطنية نجدها واضحة ايضا لدى العلامة الكبير ابن حزم الظاهري ( ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) الذي صنف رسالة في فضل الاندلس تعرض فيها الى ذكر علماء وطنه ومصنفاتهم وقارن ذلك بعلماء المشرق ومصنفاتهم وانتهى فيها الى تفوق علماء الاندلس وبراعتهم في شتى حقول المعرفة فهم لا يقلون شأنًا ودرجة عن اخوانهم من المشاركة ، وقد ضمنها المقرئ كتابه  
(١) نفع الطيب .

فاذا جئنا لبحث وجوه المماثلة والتقليد للمشاركة وجدناها واضحة جلية في ميداني الدراسات الادبية والدينية .

ففيما يتصل بالادب من الحق ان نذكر ان هذا ليس من قبيل التقليد الاعمى الذي لا يميز بين الصواب والخطأ والحسن والقبيح ، وانما هذا عائد الى ان الادب العربي بشكل عام يستند في كيانه الى حضارة واحدة ففى المشرق والمغرب ، فلولم نجد في هذا الميدان تقليدا مقصودا لوجدنا بالتاكيد تشابها ملحوظا .  
(٢)

كما تبرز هذه الظاهرة ايضا في حقل الدراسات الدينية كالتحديث والفقه وعلوم القرآن الكريم ، حيث نجد خلالها كثيرا من ملامح التشابه والتماثل بين الدراسات الاندلسية والمشرقية ، وما من شك ان هذا راجع الى وحدة المصدر ، وهو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمادام ان المصدر واحد لدى المشاركة والانديسين فمن الطبيعي ان تكون النتائج والغايات متشابهة ومتقاربة .  
(٣)

ولكن رغم معرفة الاسباب السابقة الا ان البعض من الكتاب والمحدثين

( ١ ) ج ٣ ، ( ص ١٥٦ - ١٧٩ ) .

( ٢ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ( ص ٣٩ - ٤٠ ) .

( ٣ ) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢٧ - ٢٨ ) .

لج في ذكر هذه الظاهرة ورمى باللائمة على الاندلسيين كيف انهم لم يأتوا  
بابداع وخلق جديد في الادب وسائر ألوان الفكر<sup>(١)</sup>.

وقد تصدى محمد رجب البيومي لهؤلاء فقال : ( انى اعجب لبعض  
الباحثين لماذا يجعلون نتائج الاندلس يقف وحده امام نتائج بغداد فسى  
اخصب عهودها الزاهرة ، ولا يحاولون ذلك مع ادب كادب مصر فى عهد الولاة  
وابن طولون والفواطم ، او ادب الشام فى عهد بنى حمدان او ادب ماوراء  
النهر من بلاد فارس وخراسان لماذا تقف الاندلس وحدها موقف المضاهاة  
والمقارنة وهى بعيد اقليم لا يختلف عن غيره من الاقاليم ، ثم الا يكون ذلك  
دليلا على سمو الادب الاندلسى وازدهاره اذ استطاع ان يبلغ ما لم يبلغه  
ادب مصر او الشام او ماوراء النهر ، حيث لا يقف نتائج اقليم منها امام ادب  
بغداد<sup>(٢)</sup> .

وقد كتب المؤرخ ابن حزم رسالته الآنف الذكر فى فضل علماء وطنه ونفاضة  
انتاجهم العلمى الذى ندر نظيرها فى اقطار المشرق كفارس ومصر واليمن  
والشام ، ورغم ان شهادة ابن حزم مجروحة لانه شهد لقومه الا ان ما وصلنا من  
تأليفهم التى ذكرها فى رسالته تؤكد حقيقة ما وصلت اليه الاوضاع العلمىة  
والادبية فى الاندلس من رقى وازدهار وتألق ، كما تبعت على الطمانينة  
بصدق كلام ابن حزم وانه لم يغال فى وصف لمستوى الحياة العلمىة فى  
وطنه .

( ١ ) انظر مثلا : سامى العانى : دراسات فى الادب الاندلسى ( ص ٢٤١ )  
احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ ) ، احسان  
عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة ( ص ٣٩ - ٤٠ ) ،  
عبد الكريم التواتى : مأساة انهيار الوجود العربى فى الاندلس  
( ص ٦٧٧ ) .

( ٢ ) الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير ( ص ٣٨ - ٣٩ ) .

وفي عصر ملوك الطوائف شهدت الاندلس ابهى عصورها العلمية على وجه الاطلاق ، ونلمس في آثار علماء ذلك العصر مسحة من النبوغ والتفوق تؤكد النضوج العلمي للاندلس واكتمال نمو الشخصية العلمية القادرة على ابراز ذاتها في الميدان الفكري والمعتك العلمي . واذا كانت هذه الظاهرة قد اطلت برأسها في عصر الخلافة وخاصة في عهد الخليفة العالم الحكم المستنصر الا انها ظهرت بصورة قوية وفعالة في عصر ملوك الطوائف . ومن دلائل ذلك اننا وجدنا علماء اندلسيين اخذ عنهم اهل المشرق علومهم وهي ظاهرة متميزة في تاريخ العلاقات العلمية بين المشرق والاندلس ، فمن هؤلاء العلامة عبد الوهاب بن احمد ( ت بعد ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) ، فقد رحل الى المشرق ، وحدث عن شيخه ابراهيم بن محمد الافليلى الاندلسي<sup>(١)</sup> وسمع منه الخطيب البغدادي ، واخرج عنه في غير موضع من تأليفه .

وارتحل العلامة محمد بن فتوح الازدي الحميدي ( ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ) الى العراق فاستوطن بغداد فافاد واستفاد ، وقال فيه ابن ماكولا ( صديقنا ابو عبد الله الحميدي ، من اهل العلم والفضل ، ورد بغداد وسمع اصحاب الدارقطني ، وابن شاهين وغيرهم ، وسمع منه خلق كثير . . . )<sup>(٢)</sup> .

وكان ابو الوليد الباجي الذي مر ذكره في المرتحلين الى المشرق كان رغم طلبه العلم في المشرق قد حدث عددا من العلماء واخذوا عنه ومنهم حافظ المشرق الخطيب البغدادي .

وتتجلى لنا نزعة الاندلسيين نحو المساواة بالمشاركة والوقوف اندادا لهم في سيرة العلامة الفقيه عيسى بن ابراهيم القيسي<sup>الطلبيري</sup>

- 
- ( ١ ) الحميدي : الجذوة ( ص ٣١٧ ) .  
 ( ٢ ) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ( ص ١٥٦ ) ، وابن ماكولا : هو على بن هبة الله بن علي ( ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م ) كان من العلماء الحفاظ ، واصله من اصبهان وسافر الى عدد من الاقطار في طلب العلم ومن كتبه الاكمال . الزركلي : الاعلام ، ج ٥ ( ص ٣٠ ) .

( ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م ) الذى ارتحل الى المشرق ودخل بغداد وناظر فيها عددا من العلماء والفقهاء<sup>(١)</sup>.

وفى هذا اشارة هامة الى المستوى الرفيع الذى بلغه علماء الاندلس وانهم فى ذلك العصر اصبحوا اهلا لئن يردوا بعض افضال المشرق عليهم فيرحلون لا لاخذ العلم فقط وانما لتقدمه ايضا لاساتذتهم بالاس واندادهم اليوم .

وحتى الداخلين من المشاركة الى الاندلس فوجئوا بالازدهار الطمى للاندلسيين فلم يتمالك بعضهم نفسه حتى اخذ عنهم كثيرا من العلوم ، ولعل اول من هاله هذا الامر الاديب اللغوى ابو على القالى الذى دخل الاندلس سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، فقد كان هذا العالم المشرقى يحمل فكرة خاطئة عن علم اهل الاندلس ، فبعد دخوله القيروان واقامته بها فترة من الزمن خرج عنها فلاحظ انه كلما بعدت اوطان من يمر بهم عن القيروان كلما كان ادعى الى قلة فهمهم وقصور علمهم ، حتى قال ( ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبليهم ، فساحتاج الى ترجمان بهذه الاوطان )<sup>(٢)</sup>.

ولكن القالى بعد دخوله الاندلس واجتماعه باهلها من العلماء والادباء تكشفت امامه الحقائق وظهر له سوء ظنه وانه كان واهما فى تفكيره ، يقول ابن بسام ( فبلغنى انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق فى ذكائهم ، ويتغنى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم : " ان علمى علم رواية ، وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم ان صحت " هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات ) .

( ١ ) ابن بشكوال : اصلة ، ج ٢ ( ص ٤٤٠ ) .

( ٢ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ١٠٨ - ١٠٩ ) رسالة ماجستير لم تنشر .

فاذا كان هذا فى القرن الرابع الهجرى اى عصر الخلافة ، فما بالناس  
بعض ملوك الطوائف الذى فاق ذلك العصر علما وادبا وحضارة زاهرة ، وبالتالى  
نتنظر من علمائه وادبائه تفوقا ونبوغا اكثر ممن سبقهم فى عصر الخلافة .

وعندما دخل العلامة الحافظ عبد الرحيم بن احمد التميمي البخارى  
( ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ) الى الاندلس ودش لكثرة علمائه ووفور علومهم ———  
ومعارفهم فى علم الحديث والفقه ، ولقى نفسه مرغما على الاخذ عنهم والسماع  
على البارزين فيهم ، مع ان المقرئ قطع انه لم يدخل الاندلس مشرقى احفظ منه  
للحديث (١) .

والحافظ السلفى احمد بن محمد بن احمد ( ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ) رغم  
تضلعه فى الحديث ومهارته فيه الا انه اوصى صديقه على بن ابراهيم بن يوسف  
الانصارى ان يأخذ له اجازات عدد من علماء وشيوخ الاندلس سنة ٥١٢ هـ ،  
كابن عتاب ، وابى بحر ، وابن طريف وابن ابى تليد وابن جحدر  
بشاطبه ، وخليص ببلنسية (٢) .

وفى ذلك دلالة على تطلع المشاركة الى الاندلس واعترافهم بقدرها  
العلمى وتألق علمائها فى العلم .

وحدث ان كان شخص يدعى ابن المعلم الطنجى يفاخر ابا الوليد  
الشقندى ( ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م ) من اهل الاندلس ، ويزعم ان المغرب اوسع  
علما وارقى فكرا من الاندلس ، فكتب الشقندى رسالة فى فضل الاندلس وما كان  
بها من اهل العلم والفكر حتى اذا قارب ختام رسالته خاطب ابن المعلم بقوله  
( وانا احكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الفقيه الرئيس ابى بكر بن زهر ، وذلك  
انى كنت يوما بين يديه ، فدخل علينا رجل اعجمى من فضلاء خراسان ، وكان  
ابن زهر يكرمه فقلت له : ما تقول فى علماء الاندلس وكتابتهم وشعرائهم ؟ فقال

( ١ ) نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٦٤ ) .

( ٢ ) اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر ( ص ٨٥ - ٨٦ ) .

كبرت ، فلم افهم قصده ، واستبردت ما اتى به ، وفهم منى ابو بكر ابن زهر  
انى نظرتة نظرة المستبرد المنكر ، فقال لى : اقرأت شعر المتنبي ؟ قلت نعم  
وحفظت جميعه ، قال : فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم  
فذكرنى بقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق

فاعذرت للخراسانى - وقلت له والله كبرت فى عينى بقدر ما صغرت  
نفسى عندى ، حين لم افهم قصدك <sup>(١)</sup> .

واخيرا فهذه مؤشرات وظواهر لها دلالات هامة فى مسيرة الحياة  
العلمية فى الاندلس ، فهى توضح لنا بجلاء معالم وملاح الطموح العلمى  
للاندلسيين ، ونزعة الكثير منهم خاصة خلال هذا العصر نحو ترسيخ قواعد  
الاستقلال العلمى للشخصية الاندلسية ، ومحاولة تثبيت الاطار المتميز لها  
فى خضم العلاقات العلمية بين وطنهم والمشرق ، والسعى الى فك قيود  
التهاافت على الفكر المشرقى وذلك بلغت الانظار الى قيمة آثار الاندلسيين  
ونفاست انتاجهم وانهم لا يقلون عن اخوانهم المشاركة فى الحضارة والعلوم  
والآداب ، ان لم يتفوقوا عليهم فى بعضها كالدراست النحوية والقراءات  
والموشحات ، والمتتبع لتاريخ الفكر الاندلسى يلمس خلال هذا العصر وماتلاه  
من عصور ظاهرة هجرة العلماء الاندلسيين الى المشرق ليس لآخذ العلم  
بل لاعطائه وبذله ، ولدينا ما يؤكد ذلك من الاسماء . فغير ما ذكرنا فى  
هذا العصر سوف يرحل للمشرق بعد ذلك علماء اجلاء نشروا علومهم فى  
ربوع المشرق واخذ عنهم علماءه ، فهذا ابن مالك الجيانى ( ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م )

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس  
( ص ١٠٩ - ١١٠ ) رسالة ماجستير لم تنشر .

صاحب الالفية هاجر الى الشام وبث علومه هناك<sup>(١)</sup>، ومثله الشاطبي ( ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م )، صاحب القراءات الذى لا تزال بعض قصائده فى القراءات مطلبا هاما لمن يتعلم القراءات<sup>(٢)</sup>، وهذا ابن البيطار المالقي ( ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م ) عالم النباتات وشيخ ابن ابى اصيبعه يهاجر الى المشرق معلما ومدرسا<sup>(٣)</sup> ولا ننسى ابو حيان الفرياني ( ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م ) الذى ارتحل الى المشرق فحل بمصر واهله كل طالب علم فى اللغة والتفسير<sup>(٤)</sup>، ومن قبلهم الطبيب ابن المظفر ( ٥٤٩ هـ / ١٠٥٤ م ) الذى انشأ مارستانا لملكشاه السلجوقي يحمل على الجمال<sup>(٥)</sup>.

ولا يعنى قولنا هذا ان الاندلس استقلت استقلال تاما عن المشرق واكتفت ببناء كيائها الحضارى بالاعتماد فقط على ابنائها، بل ظل الاتصال العلمى بينهما مستمرا، رغم ان تياره ضعف منذ عصر ملوك الطوائف، وهو امر طبيعى . فالاندلس فى هذه الفترة تختلف فى وضعها العلمى عن الفترات السابقة، فبعد ان قضت الاندلس ما يقارب ثلاثة قرون فى الاخذ عن المشرق والاعتماد عليه نراها بعد هذه المدة قد احست بالنضوج الحضارى، ورأت ان تلتفت الى نفسها بتعميق معالم شخصيتها العلمية وابرار ذاتها بين بقية الاقطار الاسلامية، حتى وجدنا فى عصر ملوك الطوائف علماء طبقت شهرتهم الافاق، اخذوا علومهم ومعارفهم عن علماء وطنهم فلم يرتحلوا الى المشرق ورغم ذلك فقد يزوا كثيرا من العلماء والفقهاء سواء فى الاندلس او المشرق، فمن هؤلاء ابن حزم المؤرخ الفقيه الاديب الفيلسوف الذائع الصيت الذى لا تزال

( ١ ) المقرئ : النفح، ج ٢ ( ص ٢٢٢ ) وما بعدها .

( ٢ ) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ٤٠٦ ) .

( ٣ ) آنخل بالنثيا : نفس المرجع ( ص ٤٧٩ ) .

( ٤ ) آنخل بالنثيا : المرجع السابق ( ص ١٨٧ ) .

( ٥ ) المقرئ : نفح الطيب، ج ٢ ( ص ١٣٣ ) .



بعض آثاره بين ايدينا تشهد بنبوغه وتألقه العلمى ، ومثله صديقه ابن عبد  
البر النمري حافظ الاندلس الذى نحتفظ بعدد من مصنفاته القيمة مثل  
الاستيعاب ، وبهجة المجالس ، والتمهيد وغيرها من كنوز المعرفة .

ولاشك بعد ذلك فى ان الاندلس بلغت ما ارادته لنفسها من  
الازدهار والتفوق وبناء صرح متميز له طابعه الخاص الذى يستمد معالمه  
وخطوطه من الروح الاندلسية الصادقة .

المكتبات وجمع الكتب  
مكتبات وجمع الكتب

اولا :

- \* مكانة الكتافى المجتمع الاندلسى
- \* قرطبة واشتهار اهلها بالعناية بالكتب وجمعها
- \* اشبيلية وسوق كتبها
- \* المدن الاخرى التى عنت بهذا النشاط العلمى
- \* مشاهير هواة الكتب وجمعها

ثانيا :

- \* الوراقة والوراقون
- \* تألق الاندلسيين فى هذا اللون من النشاط العلمى
- والاشارة الى ابرز الوراقين والنساخين
- \* التجليد وزخرفة الكتاب

نظرة المجتمع الاندلسي للكتب  
 ~~~~~

من الطبيعي وقد شهدت الاندلس في هذا العصر ازهى وازهر عصورها العلمية ان يكون للكتاب - وهو مصدر المعرفة - ارقى منزلة واعظم مكانة في قلوب اهل العلم بمختلف مشاربهم وميولهم الفكرية ، فنال الكتاب كـثـيراً من الاهتمام والعناية ، ليس في السعى الى تملكه بل في كل ما يتصل بشئونه الفنية كالنسخ المتقن ، والخط البديع ، والتجليد الفاخر ، الى غير ذلك من فنون الوراقة .

وكان هذا الاهتمام بالكتاب او الكتب ، والمنافسة في جمعها وانشاء المكتبات القيمة امراً شائعاً بين الاندلسيين جميعهم ، الا انه كان بالاندلس مدن اشتهر اهلها بالعناية التامة بالكتب واقتنائها وبذل غالى الاثمان في سبيل تحقيق تلك الغاية ، منهم اهل قرطبة الذين ذاع صيتهم بالشغف للكتب ونفائسها ، والظفر بنوادرها ، حتى عدوا اشد الناس اعتناءً بالكتب وان مسلكهم هذا اصبح يمثل اشارة واضحة للجاء والرياسة والتبذل في المجتمع ، حتى ان البعض منهم ممن لا يتمتع بالعلم وليس له سابقة في المعرفة كان يسعى الى اقتناء الكتب ، وانشاء المكتبات الكبيرة في منازلهم ليقال ان لدى فلان خزانة كتب ، او ان هذا الكتاب او ذاك لا يملكه سواه ، او ان الكتاب الذي بخط فلان قد ظفر به .^(١)

(١) المقرئ : النفح ، ج ١ (ص ٤٦٢ - ٤٦٣) ، نقلاً عن ابن سعيد عن والده ، سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي (ص ٩٧) ، ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس (ص ٦٥) ، عبدالرحمن الحجى : التاريخ الاندلسي (ص ٣١٧) ، عبدالجليل الراشد : التقدم الفكرى عند اهل الاندلس (مقال بمجلة المؤرخ العربى) العدد الثالث عشر (ص) ، ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام (ص ٩٨) .

ولم يكن هذا النشاط العلمى المتعلق بالكتب فى قرطبة قاصرا على عصر الخلافة ، عندما كانت قرطبة حاضرة السلطة السياسية وقطب رحى النشاط العلمى فى الاندلس ، بل ان قرطبة احتفظت بمكانتها العظيمة فى هذا الحقل واستمرت فى اداء رسالتها العلمية على الوجه الاكمل فى عصر ملوك الطوائف ، ومما يبرهن على هذا الامر المناظرة التى دارت بين العالمين ابن زهر الاشبيلى ، وابن رشد القرطبى فى حضرة سلطان الموحدى يعقوب المنصور ، وكان كل منهما يسعى الى تفضيل مدينته على مدينته الأخرى ، ففضل ابن زهر مدينته اشبيلية على قرطبة فانبرى ابن رشد قائلاً ما ادرى ماتقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية^(١) .

ويتضح لنا من خلال هذا الحوار الذى دار بين هذين العالمين ان مدينة قرطبة ظلت فيما يتصل بالعلم على درجة رفيعة ومستوى راقى ليس فقط فى عصر الاوج العلمى ، وهو عصر الطوائف بل امتد الى عصر الموحدى ، ويبدو ان ابن رشد بالغ فى الحط من مكانة اشبيلية ودورها فى الازدهار العلمى ، فقد كانت هى الاخرى من ازهى المدن واعلاها شأنًا فى الحياة العلمية .

وقد شهدت قرطبة كثيرا من الوان العناية البالغة بالكتب ، وكان سوق كتبها يشهد وفود الكثير من محبى الكتب والباحثين عن نفائسها . ويروى موسى بن سعيد قصة وقعت لاحد اصدقائه ويدعى الحضرمى الذى قال (اقم مرة بقرطبة ، ولازم سوق كتبها مدة اترقب فيها وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيد وتفسير مليح ، ففرحت به اشد الفرح

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ (ص ١٥٥) ، ليفى بروفنسال : مرجع سبق ذكره (ص ٦٥) .

فجعلت ازيد في ثمنه ، فيرجع الى المنادى بالزيادة على ، الى ان بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا ، ارني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه السى مالا يساوى قال : فاراني شخصا عليه لباس رياسة ، فدوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده ، قال : فقال لى : لست بفقيه ولا ادرى مافيه ، ولكننى اقممت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلدة ، وبقي فيها موضع يتسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه ، والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير ، قال الحضرمى فاحرجنى وحظنى على ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لاعنده اسنان ، وانا الذى اعلم مافى هذا الكتاب (١) واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه) .

وفى هذا النص اشارات هامة ، ويأتى اولها فى الدلالة الواضحة على ما كان يحظى به العلماء واصحاب خزائن الكتب من جاه وقد ررفيع فى المجتمع القرطبي ، فان انشاء خزائن الكتب آنذاك كان من سمات الشخصية المرموقة اجتماعيا . هذا الى مافيه من اشارة الى ما بلغه حال الكتاب من تفنن فى اخراجه على اجمل صورة فى خطه البديع وتجليده الفاخر ، بالاضافة الى ذلك يكشف النص عن ملامح اجتماعية طريقة للمجتمع الاندلسى مثل

(١) المقرئ : النفع ، ج ١ (ص ٤٦٣) .

استشهدنا بهذه القصة التى حكاها موسى بن سعيد والد المؤرخ والجغرافى الكبير على بن موسى المشهور بابن سعيد ، وقد حكاها موسى عن احد علماء قرطبة ويدعى الحضرمى ويبدو ان هذه الحكاية وقعت فى القرن السادس او السابع الهجرى لان موسى عاش شطرا من حياته فى القرن السادس والشطرا الاخر فى القرن السابع وروى هذه الحكاية عن الحضرمى الذى يبدو انه من اصدقائه ، وتم هذه القصة عن الحال التى كانت عليها الاوضاع العلمية بقرطبة واهتمام اهلها بالكتب . انظر المقرئ : النفع ، ج ١ (ص ٤٧٣) .

حال كثير من اهل العلم ومعاناتهم الاجتماعية فى تحصيل العلم من جهة
ومكابدتهم لظروف المعيشة من جهة اخرى ، فى حين ان هناك طائفة
اخرى ميسورة الحال ، وتنعم بعيش رغد هائى ، ولا يهتمها من اقتناء الكتب
الا التظاهر بالمعرفة . وما من شك ان هذا حال طلبة العلم فى كل زمان
ومكان .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان قرطبة الاسلامية عرفت من الكتب
وخزائنها وهواة جمع الكتب اكثر مما تعرفه اسبانيا حاليا ، وخاصة فى سرقسطة
وبلنسية على الرغم من كونها تعدان الان من كبريات المدن الاسبانية
المعاصرة ^(١) .

ولم تكن قرطبة وحدها فى ميدان الاهتمام بالكتب وجمعها ، بل
نافستها مدن اخرى فى هذا النشاط العلمى ، وخاصة اذا تذكرنا عامل
المنافسة الشديد بين ملوك الطوائف فى تشجيع العلم والعلماء فى حواضرهم
حتى غدت تلك العواصم منارات وضاءة بالعلم والمعرفة .

ومن تلك المدن اشبيلية عاصمة بنى عباد التى شهدت فى عهدهم
نهضة علمية جبارة امتدت الى جميع نواحي المعرفة ، ومنها بطبيعة الحال
العناية بالكتب وانشاء خزائنها ، فكان فى اشبيلية سوق خاص بالكتب تباع فيه
جميع الكتب فى شتى حقول العلم ، ويرد اليه العلماء والادباء بحثا عن
نفائس التأليف ونوادير التصانيف ، هذا الى كثرة ما حوته من الوراقين حتى
نسب اليهم احد شوارعها الكبيرة فسمى بشارع الوراقين ^(٢) .

ويمكن ان نضيف الى قرطبة واشبيلية عواصم ملوك الطوائف الاخرى

(١) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٢١٣) .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ (ص ٤٦٣) ، خوليان ريبيرا : مرجع سبق
ذكره (ص ٢١٩) ، اعتماد القصيرى : فن التجليد عند المسلمين
(ص ٣١) .

كطليطلة ، وبطليوس ، ودانية ، والمريه ، وغرناطة ، وسرقسطة ، وكذلك مدينتي بلنسية ومالقه وغيرها من المدن التي اشتهرت بهذا اللون من الاهتمام العلمي ، فكانت تلك العواصم والمدن تزخر بمئات العلماء وطلاب المعرفة ومحبي الكتب وهواة اقتنائها ، وسيتبين لنا ذلك من خلال بعض التراجم التي سنتعرض لها .

وقمين بالذكر ان نشير الى ان هذا اللون من النشاط العلمي لم يكن محصورا على المسلمين ، فقد اثر المسلمون في كثير من اهل الذمة فعكف هؤلاء على جمع نفائس الكتب العربية واقتناء نوادرها في كل علم حتى ضج من ذلك مطران قرطبة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فقال (ان جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم ، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة)^(١) .

هذا ما حدث في القرن الثالث الهجري والحياة العلمية آنذاك لاتزال ترتقى الى الاعلى ، فما بالناس بالوضع في القرن الخامس الهجري وهو عصر بلوغ الذروة العلمية . لاشك ان التأثير كان اكبر ، ولا ادل على ذلك من وجود كثير من اسماء علماء مسيحيين ويهود شاركوا في ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر .

(١) روبرت بريغالت : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية (ص ١٤) ، وفيما يتعلق بهذا المعنى انظر محمد رجب البيومي : الادب الاندلسي بين التأثير والتأثير (ص ١٣ - ١٤) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس (ص ٢٠٨) .

مشاهير هواة الكتب واصحاب المكتبات
 ~~~~~

يأتى فى مقدمة هؤلاء بلا شك عدد من ملوك الطوائف، وبعض وزرائهم وعلمائهم، فقد كان بنو عباد فى اشبيلية وقرطبة، والمظفر ملك بطليوس وبنو هود فى سرقسطة، والمأمون فى طليطلة، ومجاهد فى دانية ممن اشتهروا باقتناء خزائن عظيمة من الكتب<sup>(١)</sup>.

فبنو عباد مثلا كان لاهتمامهم العميقة ولعلمهم الشديد بالشعراثر فى انصرافهم الى جمع الكتب واقتناء نفائسها وخاصة مايتعلق منها بالادب والشعر، هذا الى جانب ماتجمع لديهم من كتب كثيرة مختلفة صنفها لهم علماء دولتهم وادباء بلاطهم فكانوا يملكون مكتبة عامرة بالكتب.

واشتهر من بنى عباد باقتناء الكتب شرف الدولة ابن المعتمد الذى وصفه ابن اللبانة بقوله : ( حريص على طلب الادب ، مسارع فى اقتناء الكتب<sup>(٢)</sup> )  
 مشاير على نسخ الداوين ) .

وكان المظفر ملك بطليوس فى مقدمة ملوك عصره علما وادبا ، وهو الذى ذاع صيته بما صنفه من موسوعة ادبية ضخمة سماها "المظفرى" ، ومن غير شك فقد كان يملك خزانة كتب كبيرة ساعدته على تأليف كتابه المذكور الذى ينم عن سعة اطلاع، وعرفه واسعة بالادب .

وكان المقتدر ملك سرقسطة ، ومن بعده ابنه المؤتمن ، ثم ابنه المستعين يملكون ايضا خزانة عظيمة من الكتب القيمة ، وخاصة مايتعلق منها بطوم الاوائل ، كالطب والرياضيات والفلك ، فسقد كان المقتدر وابنه المؤتمن من علماء الرياضيات، ولهما فيها تصانيف رفيعة لايمكن ان يقوموا بتأليفها

( ١ ) S.M.Imamuddin: Muslim Spain , P. 144.

( ٢ ) المقرئ : نفح الطيب، ج ٤ ( ص ٩٦ ) نقلا عن ابن اللبانه .



الا اذا توافرت لديهم مصادر المعرفة فى حقل الرياضيات ، وقد اشرنا سابقا الى دورهما فى النهضة العلمية .

وعرف عن المأمون بن ذى النون ملك طليطلة ، اهتمامه بالكتب وسعيه فى اقتنائها ، وقد دفعه شغفه بها الى انتهاب مكتبة العلامة عبد الله بن حيان الاروشى ( ت ٤٨٧ هـ ) نزيل بلنسية ويحدثنا الضبى نقلا عن ابن علقمة فى تاريخه ( ان ابن ذى النون صاحب بلنسية اخذ كتب الاروشى من داره وسيقه الى قصره ذلك مائة عدل وثلاثة واربعون عدلا من اعدال الحماليين ، يقدر كل عدل منها بعشرة ارباع ، وقيل انه كان قد اخفى منها (١) نحو الثلث ) .

وبلا ريب فان ما جمعه المأمون من الكتب يفوق ما ذكر عن هذه الحادثة فقد كان المأمون محبا للكتب ، مجدا فى اقتنائها ، ولا ادل على ذلك من ان المؤرخ العظيم ابن حيان اهدى اليه كتابه " المتين " (٢) .

وهناك علماء كثيرون فى شتى فروع العلم اهتموا تلك الفرصة ، واستغلوا تلك النزعة العلمية لدى المأمون فاهدوه مؤلفاتهم (٣) .

وكان مجاهد العامرى محبا للكتب ساعيا فى اقتنائها حتى ( جمع من دفاتر العلوم خزائن جمعة ) (٤) .

واشتهر فى هذا النشاط من الوزراء ، احمد بن عباس الانصارى ( ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ) وزير زهير العامرى امير المريه وكان هذا الوزير كاتباً حسن الخط ، بليغا واسع الادب ، ماهرا فى الشعر ، شاركا فى الفقه

( ١ ) بغية الملتبس ( ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٥٧٨ ) .

( ٣ ) انظر ذلك فيما سبق لدى الحديث عن بنى ذى النون ودورهم فى ازدهار الحياة العلمية .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٢٣ ) .

وغير ذلك من العلوم والاداب، ولكن شهرته تعود الى ما جمعه من الكتب ونفائسها، ومساعيه الجادة في اقتناء نوادرها مهما كلفه ذلك من جهد ومال مع محافظته التامة عليها وصيانتها فقد جند لذلك فئة من الوراقين الذين عنوا بها وسعوا في تصحيح خطوطها وتجميلها بفاخر التجليد، فاجتمع لديه اثر ذلك خزانة كتب عظيمة لم تجتمع لغيره من اهل عصره<sup>(١)</sup>.

ويحكى احد وراقيه انه احصى ما في خزانته من الكتب فكانت اربعمائة الف مجلد، هذا غير الكرايس والاوراق التي لم تجلد فلم يستطع عدّها<sup>(٢)</sup> لكثرتها.

ولاشك انه اذا صح ما قيل عن محتويات هذه المكتبة فاننا لانجد لها مثيلا في التاريخ الاندلسي الا ما ذكر عن مكتبة الخليفة العالم الحكم المستنصر، مع تحفظنا امام هذه الارقام الفخمة العدد التي توحى بشيء من الشك والتردد في قبولها.

واشتهر ابن التغريلة اليهودي وزير حبوس بن ماكسن امير غرناطة بجمع الكتب والولع باقتنائها، وكان في خدمته كثير من النساخ ينسخون لــــه التلمود، والمشنا وغيرها من كتب اليهود ويهديها الى تلاميذه، وبني جلدته من اليهود في الاندلس وخارجها<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٤٦٤-٤٦٥)، المراكشي الذيل والتكملة، ج ١ (ص ٢٧٧)، ابن الخطيب : الاحاطة، ج ١، (ص ٢٥٩-٢٦٠)، المقرئ : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٥٣٥).
- (٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ٢ (ص ٤٦٥)، المقرئ : نفح الطيب ج ٣ (ص ٥٣٥)، كامل كيلاني : ملوك الطوائف (ص ٤٧)، محمد عنان : دول الطوائف (ص ٤٣٧).

Dozy: Spanis Islam, P. 610-S.M. Imamuddin: Mulism

Spain, P. 144.

- (٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية (ص ٦٦).

ولم يكن هذا الاهتمام مقتصرًا على الطبقة الأرستقراطية في المجتمع  
الاندلسي ، بل كان شائعًا بين أفرادها بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ، ومن  
هؤلاء العلامة الأديب محمد بن يحيى الغافقي القرطبي ، ويعرف بابن  
الموصل ( ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ) وصفه ابن الأبار فقال : ( كان أديبا كاتبًا  
جماعًا لدفاتر العلم من لدن صباه ، منتقيا لكرائمها ، بصيرا بخيارها ، عارفا  
بخطوطها ، يحتكم إليه في ذلك ، مؤثرا لها على كل لدة اجتمع منها عند ه  
مالم يجتمع مثله لاحد بالاندلس بعد الحكم الخليفة )<sup>(١)</sup> .

وكان من اثر عناية الغافقي بكتبه ومعرفته العميقة بأشكال خطوطها  
وسعيه الدائب للظفر بنوادير الكتب التي كتبها اعيان الخطاطين وبارعيهم  
ان اصبحت لديه مكتبة كبيرة حافلة بالوان الكتب النفيسة ، كاصلاح المنطق  
بخط ابي علي القالي ، والغريب المصنف اصل ابي علي ، ونوادير ابي  
الاعرابي بخط ابي موسى الحامض ، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني  
بخط ابن ملول الدمشقي ، وقد بيعت كلها بعد وفاته ، ودفع في شرائها  
اغلى الاثمان حتى قومت الورقة في بعضها بربع مثقال<sup>(٢)</sup> .

ومادفع في تلك الكتب والاوراق من غالى الاثمان فيه دلالة وبرهان  
واضح على مدى ماكان للكتب من منزلة عظيمة في نفوس الاندلسيين ، وحرصهم

( ١ ) تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣١٧ ) .

( ٢ ) ابن الأبار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٨٧ ) .

والمثقال ، وزنه من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير ، اى ان  
ربع المثقال المذكور اعلاه يساوى ماوزنه من الذهب الخالص ثمانمائة  
عشر حبة من الشعير ، وبما ان الدينار يزن اثنتين وسبعين حبة من  
الشعير فربع المثقال بالتالى يساوى ١/٤ دينار . انظر ابن خلدون  
المقدمة ( ص ٣٦٣ ) وكذلك الاب انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم  
النميات ( ص ١٠٧ ) والتهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ٢ ،  
( ص ٣٠١ ) .

الشديد على تتبع نوادر التصانيف وخاصة تلك التي تحظى بمميزات قيمة كجمال الخط، وحسن التجليد .

وكان ابو عبيد البكري - الذى استقر فى بلاط المعتصم بالمرية - يعد من مفاخر الاندلس علما وادبا واشتهر بولعه الشديد بالكتب والتهمم بها وصيانتها حتى كان يمسكها فى سباني الشرب حفظا وتقديرا لما بها من العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>.

والسببية شىء اشبه بالمناديل من القماس الرقيق الغالى، وسبنيات الشرب اغلاها وارقها، وكان الناس يدخرونها للمناسبات والولائم ومجالس الشرب، وما من شك ان رجلا يبلغ به شغفه بالكتب مبلغ ان يصون كل كتاب فى سبنيه لابد ان يكون مغرما بها عظيم الاحتفاء بها<sup>(٢)</sup>.

وعرف عن الفقيه المحدث هشام بن عبد الله المعروف بابن الصابونى القرطبي، انه كان ( دؤوبا على النسخ، جماعة للكتب، جيد الخط )<sup>(٣)</sup>.

وقد سبقت الاشارة الى ما وقع للعلامة عبد الله بن حيان بن فرحون الاروشى نزيل بلنسية، مع المأمون ملك طليطله الذى انتهب كتبه، وكان ابن حيان المذكور من اعظم اهل عصره شغفا بالكتب وجمعها واقتنائها، وكان قد اخفى من كتبه قبل ان ينتهبها المأمون نحو الثلث<sup>(٤)</sup>.

وعالم آخر من علماء قرطبة، وهو عمر بن عبيد الله الذهلى ( ت ٤٥٤ هـ ) قد جمع من الكتب عددا وافرا، ولما حدثت الفتنة بقرطبة خشى على نفسه فسعى الى الخروج عن قرطبة فشد من كتبه ثمانية احمال، ولكنه لم يبدأ رحلة

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ ( ص ٢٨٧ )، ابن البار : الحلة السيرا

ج ٢ ( ص ١٨٥ - ١٨٦ ) .

( ٢ ) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ( مقال بمجلة

معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد، ج ٧، ٨ ( ص ٣١٩ - ٣٢٠ ) .

( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة، ج ٢ ( ص ٦٥٠ ) .

( ٤ ) الضى : بغية الملتص ( ص ٣٤٤ ) .

الخروج حتى بادرت البربر فنهبت كتبه جميعها<sup>(١)</sup>.

وممن لمع نجمه في هذا الميدان ابراهيم بن عبيد الله المعروف بالنواله وصفه الحجارى صاحب المسهب ( ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ) فاشنى عليه وعلى علمه وادبه ، وذكر انه استعان بخزائن كتبه العظيمة في تصنيف كتابه المسهب<sup>(٢)</sup>.

وهناك اعلام آخرون نسب اليهم جمع الكتب والعناية بها امثال العلاء بن ابي المغيرة القرطبي ( ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ) الذى ( ذكر انه جمع من الكتب الغربية ما لم يجمعه احد )<sup>(٣)</sup>.

والعلامة عبد الرحمن بن احمد التجيبي ، المعروف بابن المشاط الطليطلى ( ت ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ) ( جمع كتباً في غير ما فن من العلم )<sup>(٤)</sup>.

كما ان الاديب محمد بن احمد بن عون المعافرى القرطبي ( ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ) كان معتنياً بالعلم ، نابها في الفقه جمع كثيراً من الكتب وبذل في سبيل ذلك جهوداً واسعة في البحث عن نفائسها<sup>(٥)</sup>.

وكان هؤلاء العلماء حريصين اشد الحرص على ما جمعه من الكتب ، ولما نرى من كان يتهاون في حفظها او صيانتها ، حتى ان كثيراً منهم كانوا يجدون في انفسهم حرجاً اذا ما طلب من احدهم كتاباً من كتبه ، وقد عبر عن ذلك الفقيه المحدث الاديب محمد بن الفرج الصواف الطليطلى ( ت ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ م ) بقوله :

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ) .  
 ( ٢ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٧١ ) سنتحدث عن الحجارى وكتابه المسهب عند التعرض للتاريخ ودراساته .  
 ( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٣٤٥ ) .  
 ( ٥ ) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ( ص ٥٧١ ) .

يا مستعير كتابي انه علق  
فانت في سعة ان كنت تنسخه  
بمهجتي وكذاك الكتب بالمهج  
وانت من حبسه في اعظم الحرج<sup>(١)</sup>

ويلاحظ ان بعض العلماء كان يوقف ماله من الكتب على طلبة العلم  
وهي طريقة بلا شك من اعظم الخطوات الايجابية تأثيرا على الحركة العلمية  
كما انها من اكثر الاعمال مثوبة واطيبها ذكرا للانسان ، فمن هؤلاء العلامة  
محمد بن عيسى التجيبي الطليطلي ( ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ) ، فقد اوقف كتبه  
على طلبة العلم الذين بالعدوة<sup>(٢)</sup> .

وهذا الفقيه الكبير سليمان بن خلف الباجي ( ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨١ م ) ،  
يهدي مكتبته الى خطيب المسجد الجامع في اشبيلية ابي الحكم بن الحجاج  
اللمخي<sup>(٣)</sup> .

والى جانب من ذكرنا من هواة الكتب وجامعيها ، كان هناك بعض  
العلماء الذين لم يلتفتوا الى هذه الناحية ولم يرغبوا في جمع الكتب ، وانشاء  
المكتبات ايمانا منهم بان كثيرا من جامعيها لا يفقهون ما فيها جميعها  
ولا يحظى الكتاب الواحد في الخزانة العظيمة باكثر من نظرات محدودة ، فهو  
مجرد منظر فقط . فالعلامة عبد الله بن مالك القرطبي ( ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م )  
كان من العلماء المشار اليهم بالعلم والفهم ، رغم انه لم يكن لديه من الكتب  
سوى فقه معاني النحاس ، ومختصره للمدونة ، وعدد ضئيل من الكتب . ( وكان  
كلما ذكر عنده المكثرون من الكتب ، وجمع الدواوين يقول : والله لا موتن واننا  
اجهل كثيرا مما في كتبي هذه ، فماذا اصنع بالاكثر منها )<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ٨٥ - ٨٦ ) .  
( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٥٥٨ ) .  
( ٣ ) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ( ص ٢٢١ ) ، نقلا عن ابن  
الابرار في التكملة ، الترجمة ( ١٦٢٦ ) طبعة مدريد .  
( ٤ ) ابن فرحون : الديباج المذهب ( ص ١٤٠ ) ( طبعة المكتبة العلمية ) .

واخيرا فان هذا اللون من النشاط العلمى المتمثل فى الاهتمام  
 الواسع بالكتاب، والسعى فى اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات، وبذل الكثير  
 من المساعى فى سبيل تحقيق تلك الرغبة السامية سواء لدى الملوك فى هذا  
 العصر او العلماء اوبقية افراد المجتمع الاندلسى ، يعد بحق صفحة مشرقة  
 فى تاريخ الفكر الاندلسى ، ويجعل الاندلسيين فى الصدارة بين ارقصى  
 الشعوب آنذاك .

## الوراقنة والوراقون

### اولا : صناعة الورق فى الاندلس .

كان للانندلس اسهام فعال فى تطور صناعة الورق وانتقاله الى سائر انحاء اوربىا . فقد قامت مدينة شاطبة بدور كبير فى تلك الصناعة الحضارية الهامة ، وكان بها مصانع كبيرة للورق فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، ولكن مدينة طليطلة ما لبثت ان اخذت عنها هذا الدور العظيم وكان ذلك فى عصر ملوك الطوائف ، ومما يؤكد هذا انه لا يزال بين ايدينا وثائق محفوظة كتبت على هذا الورق ويعود تاريخها الى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى .<sup>(١)</sup>

بل اننا نذهب الى ابعد من ذلك فنقول انه عثر فى مكتبة الاسكوريال على مخطوطة مكتوبة سنة ( ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ) على ورق مصنوع من القطن<sup>(٢)</sup> وهى تدل دلالة قاطعة على ان العرب اول من احل الورق محل الرق .

وفى هذا البرهان الواضح رد على من قال بتأخر صناعة الورق فى الاندلس ، ومن قال بهذا الرأى جلال مظهر الذى يؤرخ دخول صناعة الورق الى الاندلس فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى<sup>(٣)</sup> والحق ما اشرنا اليه لتضافر البراهين التاريخية على ذلك .

- 
- ( ١ ) عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى ( ص ٣٨ ) ، وانظر ايضا : محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ( ص ٢٦٠ ) ، ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ( ص ٧٤ ) .
- ( ٢ ) غوستاف لوبون : حضارة العرب ( ص ٤٨٢ ) .
- ( ٣ ) حضارة الاسلام ( ص ٣٨٥ ) .



وكان لبراعة الاندلسيين من اهل شاطبة فى صناعة الورق ، وتفوقهم فى ذلك ان صدره الى كافة نواحي الاندلس ، وهو ما اشار اليه ياقوت الحموى الذى اثنى على مدينة شاطبة وما اخرجته من العلماء ثم ذكر انه يصنع بها الورق الجيد ويحمل منها الى سائر الاندلس .<sup>(١)</sup>

ولم يقتصر الامر على الاندلس فقط بل امتد تأثير الصناعة الاندلسية الى المشرق فصدر كثير منه الى مدن المشرق وهو ما اشار اليه الجغرافى الانريسي .<sup>(٢)</sup>

وسارع الاوربيون الى اقتباس صناعة الورق من شاطبة ، فنقلوا طررق صناعته الى قطالونيا وبروفنس وتريويزووباد وا<sup>(٣)</sup>

وقد اخذت قشتالة صناعة الورق عن الاندلسيين فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، فتسرب منها الى فرنسا وايطاليـا وانجلترا والمانيا ، ولكن الورق الاندلسى ظل محتفظا بمكانته الفنية ، بل كان يفوق الورق الاوروبى رونقا وبهاء وقابلية للزخرفة اللامعة الواضحة .<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) معجم البلدان ، ج ٣ ( ص ٣٠٩ ) .  
 ( ٢ ) عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ( ص ٣٨ ) ، نقلا عن الادريسي ولم يشر الى مصدر المعلومة .  
 ( ٣ ) روبرت بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ( ص ١٧٣ ) وانظر شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ( ص ٢٥٣ ) .  
 ( ٤ ) سيدىو : تاريخ العرب العام ( ص ٤٢٥ ) .

### ثانيا : الوراقنة والوراقون .

كان من الطبعى ان يصطحب الكتاب فى رحلته نحو ايدى العلماء وطلاب المعرفة كثيرا من العمليات الفنية سواء فى خطه او نسخه او تجليده وزخرفته ، بل وفى تجارته ايضا . وكان القائمون على الاهتمام بهذه الشؤون الفنية للكتاب يطلق عليهم الوراقون ، جمع وراق ، هذا فضلا عن بيع الورق وسائر ادوات الكتابة كالأقلام والحبر وما الى ذلك <sup>(١)</sup> .

وما من شك ان هذه الفئة كان لها فضل عظيم وجهد كريم فى ازدهار الحركة العلمية وذلك بجهد ها الواسع فى نشر الكتاب العربى الاسلامى وصيانته وحفظه . ويأتى بطبيعة الحال وراقو الاندلس فى الطليعة وقد اثنى عليهم المقدسى ووصفهم بانهم امهر الوراقين واحذقهم فى هذا العمل ، ووصف خطوطهم بانها مدورة <sup>(٢)</sup> .

وعدا بن غالب من فضائل الاندلسيين ومناقبهم الحميدة اختراعهم للخطوط الخاصة بهم <sup>(٣)</sup> .

هذا وقد نال القرآن الكريم من اولئك الوراقين اهتماما عظيما ، وشهد من كثير منهم عناية فائقة سواء فى نسخه وخطه او فى تجليده وزخرفته ، ولا تزال فى بعض دور الكتب فى تونس والجزائر والمغرب نسخ عديدة من القرآن الكريم مكتوبة بخط اندلسى لبعض وراقى الاندلس ، ويذكر ابن الخطيب ان الامير عبد الله امير غرناطة كان بديع الخط وخلف ضمن ذخائره قطعة من القرآن الكريم ( بخطه فى نهاية الصنعة والاتقان ) <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) عمر كحالة : مقدمات ومباحث ( ص ٢١٥ ) .

( ٢ ) احسن التقاسيم ( ص ٣٩ ) .

( ٣ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ١٥١ - ١٥٢ ) نقلا عن ابن غالب .

( ٤ ) الاحاطة ، ج ٣ ( ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ) .

واذا تصفحنا كتب التاريخ والتراجم الاندلسية وجدنا اعدادا كبيرة من النساخ والخطاطين الذين عكفوا على نسخ وكتابة القرآن الكريم حتى اشتهروا بذلك ، ويكفى ان نشير الى انه ( كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها )<sup>(١)</sup> .

وينسب الى الوراق محمد بن اسماعيل بن محمد المعروف بحبيش القرطبي مهارته الفائقة في كتابة المصاحف حتى انه كان يكتب المصحف في جمعتين او نحوهما ، وكان ابوه اسماعيل متوليا قضاء اشيلية للمستنصر ، وبناء عليه فان ابنه محمد من المحتمل ان يلحق بعصر الطوائف .

وكان سليمان بن محمد المعروف بابن الشيخ القرطبي ( ت حوالي ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ) خطاطا بديع الخط فكتب بخطه مصاحف كثيرة ، واستمر على ذلك من اول نشأته بقرطبة وحتى وفاته بطليطلة بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

ويشير ابن سعيد الى ان الخط الاندلسي الذي رآه في مصاحف ابن غطوس ( ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ) بشرقي الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة للاندلسيين ، لها حسن فائق ورونق وبهاء يأسر الالباب ، وترتيب يشهد لمن كتبها بقوة الصبر والجلد والاتقان<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) المراكشي : المعجب ( ص ٥٢ ) نقلا عن ابن فياض في تاريخه المفقود .  
 ( ٢ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٧٣ ) .  
 ( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ١٩٨ - ١٩٩ ) .  
 ( ٤ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ١٥١ - ١٥٢ ) ، وابن غطوس المذكور هو محمد بن عبد الله بن محمد الانصاري كان امام النساخين وكتب الف نسخة من القرآن الكريم ( ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ص ٥٩٣ ) .  
 وقد ذكر ابن الابار انه خلف اباه في هذه الصناعة ، ووالده على ذلك يكون قريبا الى عصر الطوائف لان محمدا كانت وفاته ٦١٠ هـ اي مايزيد على قرن من الزمن من عصر ملوك الطوائف .

وينسب الى بعض الوراقين عنايتهم ايضا بمصادر السنة الشريفــــة  
كالوراق محمد بن محمد بن بشير المعافى القرطبي ( ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ) فقد  
كتب بيده صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله .<sup>(١)</sup>

والعلامة محمد بن خلف بن مسعود المعروف بابن السقاط القرطبي  
( ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ) كتب بيده صحيح البخارى وغيره ، وصنع الحبر من  
ماء زمزم ، وعرف بجمال خطه وسرعته فى الكتابة .<sup>(٢)</sup>

ونسب الى الوراق محمد بن على بن احمد من اصحاب ابى الوليد  
الباجى كتابة صحيح البخارى رحمه الله مرات عديدة .<sup>(٣)</sup>

واهتم بهذا الجانب ايضا صالح بن عبد الملك بن سعيد الاوسى  
المالقى فنسخ كتباً كثيرة ، ثم فقد يده اليمنى فصار يكتب بيده اليسرى  
وقد رأى الضبي سنن الترمذى فى اربعة اسفار بخط يده اليسرى .<sup>(٤)</sup>

وكان اصحاب خزائن الكتب والمكتبات يجند احدهم لديه طائفة من  
النساخ يعطون فى النسخ والتجليد وصيانة الكتب ، فالوزير احمد بن عباس  
وزير زهير صاحب المرية اشتهر بمكتبته العظيمة التى حوت اربعمائة الف  
مجلد ، حرص على صيانة كتبه والعناية بها فوظف لديه مجموعة من الوراقين  
ينسخون له ويعارضون بين النسخ ، ويجلدون الكتب افخر تجليد حتى انه  
لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع لديه من عين وورق ودفاتر وخرق

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : اصله ، ج ٢ ( ص ٥٥٥ ) .  
( ٢ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٥٥٨ - ٥٥٩ ) .  
( ٣ ) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ( ص ٥٣٤ ) .  
( ٤ ) بغية الملتبس ( ص ٣١٩ ) . كان هذا العلامة من اصحاب ابى بكر بن  
العربى ( ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٨ م ) وهى قرينة توضح لنا  
انه عاش فى عصر الطوائف وما بعده .

وغير ذلك<sup>(١)</sup> .

ونتيجة لهذا النشاط الذى مارسه الوراقون لحساب ابن عباس فقد اثرى الكثير منهم وعلا شأنهم من وراء ما كان يخصه لهم من رواتب ومكافآت جزيلة<sup>(٢)</sup> .

والنسخ يمثل كبرى مهام الوراق ، وكانت هذه المهمة تحتاج الى براعة ومهارة فى الخط الى جانب الدقة والضبط فى النقل والمقابلة بين الكتاب ومانسخ عنه ، فهذا محمد بن عبد الله بن معمر القرطبي ( ت ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ) كان من اعلم الناس بالكتب وعللها ، وامهرهم فى معرفة خطوطها ، وكان يقابل كتب المنصور وولده ، وفى عصر ملوك الطوائف انتقل الى كنف مجاهد العامري حيث واصل اداء مهماته العلمية<sup>(٣)</sup> .

واشتهر محمد بن سعيد الغساني الملقب بالمهارة فى الخط والبراعة فى معرفة الخطوط وتمييزها مع ما اتصف به من دقة واتقان<sup>(٤)</sup> .

وفرج بن هبء الانصارى الذى كان حيا سنة ( ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م ) ، وصف بالبراعة فى الخط ، والاتقان والضبط لما ينقل ، حتى تنافس العلماء فيما يكتبه من الكتب<sup>(٥)</sup> .

وعبد الرحمن بن محمد بن عباس الانصارى المعروف بابن الحصار الطليطلى ( ت ٤٣٨ هـ ) كان خطاطا ، جيد الضبط ، وكانت اكثر كتبه بخطه

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر والجزء والصفحات .  
 ( ٣ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٨٤ ) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ) .  
 ( ٤ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٥١٧ ) . يفهم من ذكر شيوخه واهل عصره انه قضى شطرا من عمره فى عصر ملوك الطوائف . انظر نفس الصفحة .  
 ( ٥ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ( ص ٥٣٨ ) .

وعرف بقوة الصبر والجلد على النسخ ، حتى ذكر انه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه في يوم واحد ، وانه كتب في مرة من غير انقطاع خمسة عشر سطرا<sup>(١)</sup> .

وعلى طريقة ابن الحصار كان سالم بن احمد القرطبي ( ت ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ) ، بارعا في الخط شديد التحمل والصبر على النسخ ، يبدى فى ذلك قدرات عظيمة نادرة<sup>(٢)</sup> .

ولعل من غرائب الدهر وعبره ان نجدا اميرا امويا من سلالة الاسرة الاموية الغابرة بالاندلس يتخذ صناعة الوراقة مصدر عيش له ، وهو محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن هشام بن عبد الرحمن الاوسط ( حيا سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م ) وكان موصوفا بجودة الخط وجماله ، وانه كتب وخط كثيرا من الكتب واسترزق بالوراقة ، ويذكر المراكشي الانصارى انه وقف على نسختين بخطه من مصنف ابن وكيع " فى سرقات المتنبي " وغيرها<sup>(٣)</sup> .

والنسخ اذا كان لحساب شخص آخر او خزانة من خزائن الكتب فهو على طريقتين : الاولى ان ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه ، وبعد فراغه يعرض تلك النسخة على غيره للتأكد من صحة النقل وضبطه . والثانية ان يملئ شخص على عدد من النساخ مايراد نسخه للحصول على نسخة نسخ منه ، وبعد الفراغ تجرى عملية المقابلة بين النسخ لمعرفة ما قد يكون فى بعضهما من اخطاء وتصحيحها<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٣٣٠ - ٣٣١ ) . وابن عبيد المذكور قد يكون القاسم بن سلام ( ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م ) كان من اعلام الفقهاء والادب ، وصنف اكثر من عشرين كتابا فى القرآن والفقه ومنها غريب الحديث . انظر الانبارى : نزهة الالباء ( ص ١٣٦ ) وما بعدها .
- ( ٢ ) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ١ - ٢ ) .
- ( ٣ ) الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، ( ص ١ - ٢ ) .
- ( ٤ ) ماهر حمادة : مرجع سبق ذكره ( ص ١٧٥ - ١٧٦ ) .

وجدير بالذكر ان مدينة بلنسية ذاع صيتها بكثرة ما اخرجته — من كبار الوراقين والمشتغلين بالوراقة . فكانت بحق مركز اشعاع لهذا النشاط الحضارى الهام ، وهى بذلك قد قدمت للعلم والمعرفة اجل الخدمات فى سبيل المحافظة على الكتاب وصيانه وتجميله ، ومن ابرع وراقبيها خلف بن عمر البلنسى ( ت بعد ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) اصله من شقر ، وكان موصوفاً بالبراعة والمهارة ودقة الضبط فيما يكتبه وينسخه من الكتب ، حتى دفع كثير من الناس اثمانا غالية فيما يكتبه من الكتب لنفاستها وجمال خطوطها وصحتها <sup>(١)</sup> .

ومن بلنسية ايضا محمد بن على بن عطية ( ت حدود ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ) ( كان انيق الوراقة رائقها ، وتوارث الناس التناقص فيما كتب الى اليوم ، وكم حام كثير من الوراقين على سلوك طريقته فلم يدركوها ) <sup>(٢)</sup> .

وكان على هذه الصفات من البراعة والاتقان فى الخط ودقة النسخ — احمد بن عبدالعزيز بن الفضل ابلنسى ( ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م ) <sup>(٣)</sup> .

وفى بلنسية قضى عبدالله بن الفضل اللخمى ( ت بعد ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م ) <sup>(٤)</sup> شطرا من حياته وكان ماهرا فى الخط ، بارعا فى النسخ ، بديع الوراقة .

والى بلنسية هاجر العلامة الوراق محمد بن سليمان بن سيدراى الكلابى ( ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ) من قلعة ايوب ، وقد خرج من بلده المذكور بعد ان تغلب العدو عليه بعد وقعة كتندة ( ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ) ( فكان يبيع الكتب فى دكان له ، وكان ابوه ايضا وراقا ) ، وتوفى بعد ان تجاوز

( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٢٩٧ ) .

( ٢ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ٤٥٦ ) .

( ٣ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٧٨ ) .

( ٤ ) ابن الابار : نفس المصدر ، ج ٢ ( ص ٨٠٧ ) .

(١)  
 عمره ثمانين سنة .

والى مدينة غرناطة توجه الشاعر الاديب الوراق عبد الله بن صارة  
 الشنتريني ( ت ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ) . وكان قليل الحظ فى بلوغ امانيه  
 والوصول الى مراكز الجاه لدى ملوك عصره ، حتى اضطر اخيرا الى الاشتغال  
 بالوراقة ، وكان يجيدها ويتقنها الا انه كان ملوء القلب بأسا وحرمانا فقال  
 فيها :

|                                 |                           |
|---------------------------------|---------------------------|
| اوراقها وثمارها الحرمان         | اما الوراقة فهي ايكه حرفة |
| (٢)<br>تكسو العراة وجسمها عريان | شبهت صاحبها بصاحب ابرة    |

وقد سبقت الاشارة الى الوزير اليهودى ابن النغريله وزير حبوس بن  
 ماكسن امير غرناطة انه كان لديه طائفة من الوراقين ينسخون له كتب اليهود  
 ويجلدونها ثم يبعث بها الى اليهود فى الاندلس والمشرق وهو ما ادى الى  
 ازدهار الدراسات العبرية .<sup>(٣)</sup>

وشاركت النساء فى هذا النشاط العلمى ، فكان منهن الخطاطات  
 البارعات ، وقد سبقت الاشارة الى طائفة النساء اللاتى كن يكتبن فى  
 الرىض الشرقى لقرطبة ، وانهن كن يكتبن القرآن الكريم بالخط الكوفى .

واشتهرت من بين نساء ذلك العصر فاطمة بنت زكريا بن عبد الله  
 الشبلارى ( ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م ) فقد كانت بارعة فى الخط ، ضابطة لما

- 
- ( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٨٠ - ٤٨١ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ١٣٥ ) ، ابن الابار : تكملة  
 الصلة ، ج ٢ ( ص ٨١٦ - ٨١٧ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣  
 ( ص ٩٣ - ٩٥ ) ، ابن الخطيب : الاخاطة ، ج ٣ ( ص ٤٣٩ - ٤٤٠ )  
 الكنتى : عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ١٤٧ ) .  
 ( ٣ ) الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٦٦ ) .



تنسخه من الكتب ، وكتبت في حياتها الطويلة التي بلغت ما يقارب تسعين سنة  
(١) كتبها كثيرة .

وكانت طونة بنت عبدالعزيز بن موسى ( ت ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م ) إحدى  
(٢) فقيهاً النساء ، وكانت مع ذلك بديعة الخط ، حسنة الكتابة .

ويمكن ان نضيف اليهن تجاوزا الادبية صفية بنت عبد الله الريـ  
( ت ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ) كانت جميلة الخط ، مشهورة بذلك وحدث ان علـ  
خطها إحدى صديقاتها فقالت :

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| وعائبة خطي فقلت لها اقصرى | فسوف اريك الدر في نظم اسطرى  |
| وناديت كفى كى تجود بخطها  | وقريت اقلامى ورقى ومحـ       |
| فخطت بابيات ثلاث نظمتهـ   | ليبد وبها خطي فقلت لها انظري |

ومع علمنا بان هذه الخطاطة توفيت قبيل دخول عصر الطوائف بخمس  
سنوات الا انها تعطينا فكرة عن الاهتمام بالخط في الاوساط النسائية .

وفي ميدان التجليد وزخرفة الكتاب ورسومه ، ارتقى الاندلسيون درجة  
رفيعة في هذا الفن ، وابدوا من المهارة والاتقان في تجليد الكتب والعناية  
بشكلها الخارجى شيئا عظيما ، وكان هذا النشاط الفنى يزيد الكتاب قيمة  
وجمالا ونفاسة ، كما يرفع شأنه لدى هواة جمع الكتب ومحبيها ، فـ  
الوراقون حريصين بالاضافة الى جمال خط الكتاب والعناية بصحة نسخه  
ان يكون فى اجمل صورة وابهى حلة ليطابق مظهره الانيق الفاخر ما يحتوى  
بداخله من علم نفيس .

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٦٩٤ ) .

( ٢ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٦٩٦ ) .

( ٣ ) الحميدى : الجذوة ( ص ٤١٢ ) .

وقد سبقت الإشارة الى قصة الحضرمي الذي خرج في طلب كتاب له في سوق الوراقين بقرطبة وكيف انه عثر على الكتاب بخط مليح وتجليد فاخر.

ولم يقتصر الامر على التجليد فقط بل امتد الى العناية بزخرفة الكتاب وما يتعلق بحاجته الى التوضيح بالتصوير، ولعل اول اشارة نعثر عليها في هذا الميدان ما يحكى عن الاديب الشاعر حسان بن مالك بن ابي عبدة (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)، من انه دخل يوما على المنصور بن ابي عامر وبين يديه كتاب ابي السرى، وهو يبدي استحسانه وتعجبه منه، فخرج حسان عازما على ان يصنف للمنصور كتابا احسن واجمل من ذلك الكتاب، فعكف على تأليف كتابه ربعة وعقيل ( وفرغ منه تأليفا ونسخا وتصويرا، وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وراه اياه فسر به ووصله عليه )<sup>(١)</sup>.

ويشير الاستاذ جمال محرز الى ان مكتبة ابن فرجون بغرناطة كانت مليئة بالكتب المصورة، وكان ابن فرجون يقوم بنفسه بالرسم والتصوير.<sup>(٢)</sup>

وقد نالت مدينة مالقة قصب السبق في صناعة الجلود عامة، وتجليد الكتب تجليدا فاخرا، فاسهمت بدور فعال في تطور هذا اللون من فنون الكتاب حتى بلغ تجليد الكتاب في الاندلس من وراء اسهام هذه المدينة العظيمة درجة رفيعة ليس في الاندلس فقط وانما على مستوى العالم الاسلامي.<sup>(٣)</sup>

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ١٩٦) .  
(٢) التصوير الاسلامي في الاندلس ( مقال بالمجلة التاريخية المصرية ج ٩ - ١٠ ، سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٢ م ) (ص ٣٤) ، لم يشر الى تاريخ مولد ابن فرجون او وفاته .

(٣) احمد شلبي : التربية الاسلامية (ص ١٦٩ - ١٧٠) نقلا عن  
The Islamic Book في كتابيهما Adolf Grohmann Thomas  
Arnold

وانظر ايضا ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام (ص ١٨٣) .

ورغم هذه الجهود العظيمة فى زخرفة الكتاب وتجليده ، وما يتعلق بمهمات الفنية فى الاندلس الا انه لم يصلنا مع مزيد الاسف شىء من الكتب التى تحوى على نماذج من التجليد الفاخر والزخرفة الرفيعة ليتسنى دراستها ومعرفة قيمتها الفنية ، ولكن يذكر ان الـ *Alocla* اشار الى ان هناك مخطوطات محلاة بالذهب والفضة والجواهر قدرت بمبلغ عشرة آلاف ريال<sup>(١)</sup> .

واخيرا فان الكتاب العربى الاسلامى حظى فى الاندلس بمكانة رفيعة ومنزلة سامية لا نظير لها فى كثير من الاقطار الاسلامية ، فقد كان الاندلسيون شديدى العناية بالكتاب علما وفنا ، فكان فيهم من عنى بداخله وما يحتويه من معرفة وعلم مفيد وهم العلماء وكان منهم من عنى بخطه وشكله ومظهره وتجارته وهؤلاء هم الوراقون الذين اسدوا للحضارة الاسلامية الاندلسية جهودا عظيمة تمثلت فى المحافظة على كثير من الوان الانتاج العلمى الاندلسى ولنا ان نتصور الوضع كيف يكون لو لم توجد طائفة الوراقين ، شىء طبيعى ان يصاب كثير من التراث العربى والاسلامى بافدح الخسائر بضياع كثير من اصوله ومخطوطاته ، فلقد حفظ لنا الوراقون عن طريق النسخ والتجليد الفاخر عددا كبيرا من الكتب كفل لها الحفظ والبقاء ونجاها من يد الضياع واستطاعوا باعمالهم الجليلة تلك ان يبرهنوا على انهم كانوا حراسا امناء على التراث العلمى والادبى للمسلمين .

وهناك عدد من الظواهر العلمية التى يمكن استنتاجها عن طريق ما اوردناه من تراجم لبعض الوراقين ، ومنها ما وصف به البعض من انه كان يتنافس فيما يكتب من الكتب ، مثل هذه الاشارات التى لاحظناها فى سير

( ١ ) اعتماد القصيرى : فن التجليد عند المسلمين ( ص ٣٠ - ٣١ ) .

عدد من الوراقين تدلنا على ان الاندلسيين سواء كانوا علماء او طلاب قد بلغوا فى تذوقهم الجمالى للخطوط شوطا كبيرا لدرجة انهم كانوا يسارعون لاقتناء الكتب التى يكتبها امهر الخطاطين ، وانهم كانوا يدفعون فى سبيل الحصول عليها الاثمان الغالية ، وهذا بلا شك يعطينا صورة واضحة لما وصلت اليه الحياة العلمية فى المجتمع الاندلسى .

كما ان هناك ظاهرة تستحق الاعجاب ، وهى تفوق النساء فى هذا الميدان وبروز عدد كبير منهن كخطاطات وناسخات ماهرات وان كنا لم نشر الا الى اسماء محدودة منهن الا ان الاندلس اخرجت الكثير منهن ، ممن جمعن الى العلم والمعرفة البراعة فى الخط والكتابة الحسنة لكثير من الكتب .

كما يلاحظ الدارس لموضوع الوراقة تركيز كثير من الوراقين فى بلنسيه ولا يعرف على وجه التحديد السبب فى ذلك ، ولعل السبب كما يبدو يعود الى هجرة الكثير منهم من الشجر الاعلى اى من سرقسطة ، نتيجة للظروف السياسية والعسكرية والصراع المتواصل بين المسلمين والنصارى فكانت بلنسيه فى الشرق تمثل ملجأ مناسباً لاستقرار الكثير منهم واقامته بههنا وممارسة مهنته الفنية هنالك .

## التعليم

- \* نظامه
- \* مراحله
- \* طرقه
- \* مراكزه ( اماكنه )
- \* المرأة والتعليم

جدير بنا ان نشير الى الجانب التعليمى فى النشاط العلمى فى عصر الطوائف ، ذلك ان اهل الاندلس لم يبلغوا ما بلغوه الا بما ساروا عليه من مناهج وطرق تعليمية اسهمت فى بناء الكيان العلمى الشامخ للاندلس واوصلت الاندلسيين الى مدارج رفيعة فى حقول المعرفة المختلفة .

وقد عنى الاندلسيون بتعليم انفسهم وابنائهم وحرصوا اشد الحرص على مكافحة الجهل والتخلف والبطالة بينهم حتى وصفهم المقرئ بقوله : ( واما حال اهل الاندلس فى فنون العلوم فتحقيق الانصاف فى شأنهم فى هذا الباب انهم احرص الناس على التميز ، فالجاهل الذى لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة . . . وهم يقرأون لان يعلموا لا لان يأخذوا جاريا ، فالعالم منهم يارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذى يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى يعلم . . . ) (١)

وحتى ابناء الطبقات الفقيرة نالوا اهتماما وعناية من قبل بعض الحكام الذين يسروا لهم طلب العلم وتحصيل المعارف ، فعينوا لتدريس ابنائهم الفقراء معلمين ومربين واغدقوا عليهم رواتب باهظة لدفعهم الى الجهد والاخلاص فى التعليم . (٢)

واهتم الملوك والامراء بتعليم ابنائهم وتنشئتهم نشأة خاصة تليق بما ينتظرهم من اعباء ومسئوليات سياسية مستقبلا ، فاستقدموا لتعليمهم كبار العلماء والمؤدبين ، وهذا الامير عبد الله ملك غرناطة يحدثنا فى مذكراته

( ١ ) نفح الطيب ، ج ١ ( ص ٢٢٠ - ٢٢١ ) .  
 ( ٢ ) انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٩ )  
 محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ( ص ٢٦٢ ) ، هـ . ج  
 ولز ، معالم تاريخ الانسانية ، ج ٣ ( ص ٨٣ ) ، سامى العائلى :  
 دراسات فى الادب الاندلسى ( ص ٩٥ ) .

عن هذه الناحية التعليمية فيقول : ( وقد كنا معشراهل بيت المملكة نرى من أكد ما نتأدب به من اعمال السياسة فى طلب الرياسة ، والسعى لها بكل الوجوه ، واحضار الاذهان . . . ولما كان المظفر جدنا رضى الله عنه قد اوتى من الدهاء والتمييز لحوال الزمان مالا خفاء به ، وانه من أكد ما يجب لــــه النظر فى ترشيح احد بنيه للولاية بعده ، وان ذلك لا يتم الا بتمرينــــه واعمال فى جميع خدمته ، كى يتدرب ولا يخفى عليه من امور الدولة ما يحتاج اليه فى نفسه كنت من وفقه الله لبره والانصياع لوصيته فامر باخراجى من المكتب الى التصرف بين يديه وقال لى - نضر الله وجهه - " معك من الكتابــــة وتلاوة القرآن مايكفيك وهذا اولى ما تتعلم ، فعليك باحضار ذهنك لجميع ما يكون منى وما ينقضى فى دولتى ايام هذه الفتن ، فان الزمان اشر ، والايام اقصر من ان تدرك ، تعلم كل شىء يعنى به الملوك لابنائهم" (١) .

وعلى هذا فقد كان العلم مشاعا بين الناس جميعهم ، متيسرا للفقراء منهم ، فكان الشعب الاندلسى شعبا متعلما مثقفا حتى ندر ان يرى المرء طفلة او طفلا بلغ الثامنة عشرة ولم يتزود بالعلم الكافى على الاقل لتأهيله للقراءة والكتابة (٢) .

وفى الوقت الذى لم يكن فى اوربا غير قلة بسيطة من الرهبان ممن تعرف القراءة والكتابة كان كل فرد فى الاندلس تقريبا يقرأ ويكتب ويلم ولو بقدر من الوان المعرفة (٣) .

( ١ ) البيان ( ص ١١ - ١٢ ) .

( ٢ ) جلال مظهر : علوم المسلمين ( ص ٨١ ) .

( ٣ ) روم لاندو : الاسلام والغرب ( ص ١٧٨ ) ، محمد عثمان : المرأة العربية فى الاندلس ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث عشر ( ص ١٠٦ ) .

### نظام التعليم

كان نظام التعليم عند المسلمين يستمد روحه من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولهذا لانعجب اذا رأينا الاندلسيين وقد اعطوا هذا الجانب اهتماما وعناية بالغتين ، فقد كان القرآن الكريم هو صلب التعليم الأولي ويضيفون اليه تعلم اللغة العربية ، ودراسة الادب والشعر مع العناية بالخط والكتابة ، وهذا النظام التعليمي ادى الى توسيع دائرة الاهتمام العلمي مع ترسيخ معرفتهم بتلك العلوم منذ البداية ، وكان له ابعد الاثر في صقل مواهب المتعلمين وتقوية ملكاتهم الادبية فيما بعد .<sup>(١)</sup>

وقد امدنا الفقيه المؤرخ الشهير ابن العربي ( ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ) بنص قيم يوضح لنا المنهج التعليمي الذي سار عليه ابان نشأته العلمية وهو مايعتبر تقريبا السمة العامة للنظام التعليمي الاندلسي ، ويشير ابن العربي في ذلك النص الى الطريقة التعليمية او النظام الدراسي الذي وضعه والده له ، فكانت بدايته بطبيعة الحال مع القرآن الكريم فدرسه واخذ في حفظه وتم له ذلك وهو في التاسعة ، ثم عين له ابوه ثلاثة من المعلمين احدهم لتدريسه القراءات والثاني لتدريسه اللغة العربية ، والثالث لتعليمه الحساب او العدد ومايتصل بذلك من علم الفلك . ويذكر ابن العربي انه لم يتم العام السادس عشر حتى اتقن عشرة من احرف القرآن ومايتصل بها من تجويده الى جانب وقوفه على قسط جيد من اللغة العربية ، وتمكن اخيرا من فهم كثير من مسائل الحساب والجبر والفرائض ومعها كتاب اقليدس الى جانب المامه بشيء من علم الفلك ، وقد كان اولئك المعلمون يتعاقبون على تدريسه من صلاة الصبح حتى العصر كل فيما يخصه .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ) ، أحمد أمين : طهر الاسلام ج ٣ ( ص ٨ - ٩ ) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ( ص ٦٣ ) .

( ٢ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس ( ص ٤٥٠ - ٤٥١ ) .



هذه صورة واضحة لمنهج تعليمي اتبعه احد التلاميذ الاندلسيين وهو منهج بلا شك - رغم مايكتنفه من مشقة وجهد عسير متتابع - وخصوصاً اذا تذكرنا الفترة الزمنية - اقول رغم ذلك فانه يعد من افضل المناهج واقواها في بناء الكيان العلمي للفرد وتنشئته نشأة علمية حازمة تجعله اقوى واقدر على تحصيل العلوم والمعارف وتزرع في نفسه الجلد والصبر في سبيل تحقيق ذلك .

ولكن ابن العربي الذي سار على ذلك النهج كانت له آراء نقدية في مجال التربية والتعليم ، وكانت رحلاته واسفاره العلمية ولقاءه العلماء في مختلف الاقطار ، ومشاهدته لطرائق ومناهج التعليم في تلك البلدان قد كونت له آراء ونظرات علمية متميزة ، ففيما يتعلق بهذا الجانب نجد ابن العربي قد تناول نظام الاندلسيين في التعليم بنقده اللاذع فاشار الى ان تعليم الطفل القرآن الكريم في بداية حياته الدراسية خطأ كبير ، لانه يقرأ ما لا يفهم ويدرس ما لا يدركه فهمه ، ودعا الى البدء بتعليم اللغة العربية والشعر على سائر العلوم ، لان الشعر ديوان العرب ، ثم ينتقل منه الى تعلم الحساب وفهم مسائله ، ثم ينتقل منه الى قراءة القرآن ودراسته ، اذ انه عند ذلك يتيسر للتلميذ فهم القرآن وادراك معانيه ، ثم بعد ذلك ينظر في اصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه <sup>(١)</sup> .

وقد اثنى ابن خلدون على هذه الطريقة غير انه استصعب تطبيقها وممارستها في الواقع لان احوال الناس وعاداتهم تنافي تأخير قراءة القرآن وتعلمه ، فهم حريصون على تقديمه لنيل المثوبة والتفاؤل ببركته في هـذا الطور من النشأة . وخشية من ان يحدث للصبي اذا - ما اخر دراسة القرآن - من العوائق ما يصرفه عن العلم فيفوته تعلم القرآن وحفظه لانه ما دام تحسنت

( ١ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٥٣٩ ) .

نظر والديه ومسئوليتهما كان اسهل انقيادا وطاعة حتى اذا كبر وشب فربما قادته ظروف عيشه الى اللهو والبطالة . ولو كان هناك يقين باستمرار الصبي في تحصيل العلم ومتابعة التعليم لكنت طريقة ابن العربي احسن ما يؤخذ به في المشرق والمغرب .<sup>(١)</sup>

وهناك من اعلام الاندلس من شارك بتجاربه وآرائه العلمية فى الالاء بما هو افضل فى نظام التعليم ، كابى الوليد الباجى الذى اكد على صلاحية النظام التقليدى لوطنه فحرص على ان يحفظ التلميذ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، ومعرفة ما كان منه صحيحا او غير صحيح ، ودراسة اصول الفقه الذى يعين على فهم احكام القرآن والسنة ، كما اوصى بـ<sup>(٢)</sup> ان يتدرب تدريبا سليما على اصول النظر والمناقشة والنقد السليم لمسائل العلم .

ومن هنا يتضح لنا الاجماع السائد على اهمية دراسة القرآن الكريم فى بداية حياة الشخص ، ومحاولة زرع الاهتمام بهذا المصدر الصافى ليكون سلوكا وعملا الى جانب كونه علما ومعرفة ، وقد يكون هذا من اسباب تعميق الاهتمام بالدراسات الدينية مستقبلا لدى التلاميذ وهو ما يفسر لنا سعة النشاط العلمى فى هذه الدراسات .

### مراحل التعليم .

وفيما يتصل بمراحل التعليم ، فقد كان يمر تقريبا بثلاث مراحل :

الاولى : يحفظ فيها التلميذ القرآن الكريم ، والقراءة وبعض العلوم الاخرى .

( ١ ) المقدمة ( ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ) .

( ٢ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ( ص ٢٣٣ ) ( نقل عن

جودة عبدالرحمن ، وصية القاضى ، ابى الوليد الباجى ص ١٢ ) .

الثانية : يتلقى فيها دروسه وعلومه بشكل اوسع واشمل ، حيث اصبح بمقدوره تلقى شروح القرآن وقراءاته ، وشروح الحديث وما يتصل بالفقه بالاضافة الى بعض العلوم الانسانية والعقلية .

الثالثة : يتجه فيها التلميذ الى التركيز على ما يميل اليه من علوم  
اي انها مرحلة تخصص في علم من العلوم التي درسها بشكل عام في المرحلة  
الثانية .<sup>(١)</sup>

#### طرق التعليم .

ومن اشهر طرق التعليم في ميدانى العلوم الدينية والادبية ، طريقة الاقراء وفيها يعمد الشيخ الى القراءة او ينوب عنه احد الطلبة ، وبقية الحاضرين يكتبون ، وهو خلال ذلك يصحح ويشرح . فمثلا العلامة احمد بن عثمان بن سعيد الاموى الداني ( ت ٤٧١ هـ / ١٠٧١ م ) اقرأ الناس القرآن<sup>(٢)</sup> بالروايات .

وقرى<sup>(٣)</sup> على العلامة عبد الله بن سعيد الشنتجيالى القرطبي ( ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م ) صحيح مسلم فى اسبوع بجامع قرطبة فى موعدين طويلين ، الغداة والعشية .

كما ان العلامة احمد بن عبد الله التميمي القرطبي ( ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م ) يروى عنه ابو الحسن بن مغيث يقوله : ( كنت اختلف اليه لاقرأ عليه من كتب الارب هنالك فدخلت معه يوما الى الجامع فى اول الوقت ، فقال لى : اذهب الى موضعى فانتظرنى فان على قضاء حاجة . قال فتوارى عنى وانا انظر اليه فدخل موضعا خفيا من الجامع وتوارى فيه وهو يحسب ان عيني ليست واقفة

( ١ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ( ص ٢١١ - ٢١٢ ) .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٦٥ ) .

( ٣ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٢٧٣ ) .

عليه ، فرأيته يكثر الركوع والسجود ولا يفتر عن ذلك الى ان قرب وقت الصلاة فخرج الى موضع انتظاري له ، فقلت له ياسيدى : عسى انقضت الحاجة قال : انقضت ان شاء الله ، اقرأ<sup>(١)</sup> .

ومن طرق التعليم ايضا الاملاء ، وهو ان يتخذ العالم له مجلسا يضم طلبة العلم ثم يحدّثهم من ذاكرته بما يحفظه من علم ومعرفة وطلبتـه يكتبون ذلك عنه ويسجلون فى اوراقهم<sup>(٢)</sup> .

ومن اشهر مجالس الاملاء مجلس الحافظ عبد الرحمن بن فطيس ( ت ٤٠٢ هـ / ١١١١ م ) حدث عنه من حضر مجلسه انه كان يملئ على الناس الحديثين يديه مستمل يسمع الناس ممن بعد مكانه عن الشيخ<sup>(٣)</sup> .

ومن جمع بين هاتين الطريقتين الاقرء والاملاء العلامة عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطلى ( ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ) فقد كان عالما بالحديث والتفسير والادب ، وكان له مجلس حافل يقرأ عليه فيه التفسير ويتناوله بالشرح والايضاح ويدعم اقواله بكثير من الاحاديث الشريفة<sup>(٤)</sup> .

كما ان المناظرة العلمية من طرق التعليم ، وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم او حديثا من الاحاديث ، ثم يلقي الاسئلة حول ذلك الموضوع ، فالعلامة عبد الله بن احمد بن عثمان الطليطلى ( ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ) كان يبدأ فى المناظرة بذكر الله عز وجل والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة ، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذى كانوا يناظرون عليه فيه<sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٦٤ ) .
  - ( ٢ ) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ( ص ١٦١ ) .
  - ( ٣ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ١ ( ص ٣١٠ ) .
  - ( ٤ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٢٨٦ ) .
  - ( ٥ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٢٦٢ ) .

والعلامة فرج بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم اليحصبي الطليطلسي  
( ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ) كان فقيها محدثا ( نوظر عليه في المسائل ، وكان  
(١)  
حفيل المجلس ) .

وجدير بالذكر ان نشير الى انه كانت هنالك مناظرات علمية حرة  
اي انها لا تتقيد بحلقات العلم او مجالس الدرس في الجوامع والمساجد ، بل  
تجرى غالبا بين شخصين . وكان لهذه المناظرات دور كبير في اذكاء  
روح الاهتمام بالعلم ومحاولة الوصول الى خير الحقائق واصح الآراء العلمية  
ومن اشهر هذه المناظرات في هذا العصر ما كان يجري بين العلامة الفقيه  
الظاهري ابن حزم وبين معاصره الفقيه سليمان بن خلف الباجي .

وكان ابن حزم الظاهري شديد الوطأة في مناظراته العلمية ، حاد  
اللسان في جدله ونقاشه ، وكانت حياته القاسية ، وتكالب الظروف السياسية  
والاجتماعية ضده لها دور في تشكيل نفسيته القلقة ، وحنقه على خصومه من  
فقهاء المالكية الذين تضامنوا على محاربته وتحطيم مذهبه ووصفه بالخروج  
والانحراف عن جادة الصواب فاحرقت كتبه وطورد من مدينة الى مدينة (٢) .

واخذ ابن حزم في الترحال حتى حل بميورة ولكنه لم يسلم في تلك  
الجزيرة من نير خصومه ، فقد التقى به هناك الفقيه المشهور ابو الوليد الباجي  
ودارت بين الاثنين مناظرات كثيرة ، تجليا فيها ذانك العالمان وابدعا  
فيما اتيا به من ادلة وبراهين ، وكان الظفر والنجاح في تلك المناظرات  
سجالا بينهما . ويبدو ان الباجي الحق بخصمه كثيرا من العنت من وراء تلك  
المناظرات فخرج ابن حزم عن جزيرة ميورة الى حيث لا يوجد من يحط من

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ( ص ٤٦١ ) .

( ٢ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ( ص ٢٢٨ ) ، الذهبي : تذكرة  
الحفاظ ، ج ٣ ( ص ١١٥٣ ) .

شأن مذهبه<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من ذلك فان ابن حزم اثنى على ابي الوليد ووصفه بانـه  
من كبار علماء المذهب المالكي<sup>(٢)</sup> .

ومن ضمن اقوال ذينك العالمين ان ابا الوليد خاطب ابن حزم بقوله  
( انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة  
الذهب ، وطلبته وانا أسهر بقنديل بائت السوق ، فقال ابن حزم : هـذا  
الكلام عليك لالك ، لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال ، رجاء  
تبديلها بمثل حالي ، وانا طلبته في حين ماتعلمه وماذكرته ، فلم ارج به  
الا علو القدر العلمي في الدنيا والاخرة ، فافحمه )<sup>(٣)</sup> .

قال عبدالفتاح ابو غدة : والذي اراه اقرب الى الصواب هو اعتذار  
الباجي ، فقد قال الامام الشافعي - رضى الله عنه - وقوله الفصل " لا تستشر  
من ليس في بيته دقيق ، لانه مدله العقل "<sup>(٤)</sup> .

ويرز ايضا في المناظرات من العلماء ابو بكر بن العربي الذي ناظر  
عددا من العلماء منهم احمد بن محمد بن ورد التميمي ( ت . ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م )  
وحدث ان تناظرا ليلة بحضرة بعض الفقهاء ، فكنا يثيران العجب والدهشة  
ما اوتيا من علم ونباهة وذكاء ، يتحدث ابن العربي فيظن السامع انـه  
ما ترك شيئا الا اتى به ، ثم يجيبه ابن ورد بابدع جواب فينسى السامع  
ما سمع قبله<sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن البار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩١ ) ، الداودي : طبقات  
المفسرين ، ج ١ ( ص ٢٠٥ ) .  
( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٩٦ ) .  
( ٣ ) المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٧٧ ) .  
( ٤ ) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ( ص ٤٨ ) .  
( ٥ ) الداودي : طبقات المفسرين ، ج ١ ( ص ٨٤ - ٨٥ ) .

كما ناظر ابن العربي الفقيه المجتهد عبدالرحمن بن قاسم الشعبي الملقى ، وكان من ابرع علماء وقته معرفة بالفقه ومسائله ، وجرت بينه وبين ابى بكر بن العربي لدى اجتيازه ماله فى احدى اسفاره مناظرات علمية رائعة فى ضروب من المعرفة تنم عن قدرات كبيرة لدى الطرفين .<sup>(١)</sup>

وكانت هذه المناظرات وكثير منها تحظى بتشجيع الملوك والامراء وتجرى بين ايديهم وخاصة لدى بنى عباد فى اشبيلية الذين عنوا بالادب والشعر ، وبنى الافطس فى بطليوس وخاصة فى عهد المظفر صاحب الاهتمامات العلمية والادبية ومؤلف الموسوعة المشهورة باسمه ، وكذلك فى طليطلة فى بلاط المأمون الذى عنى بالعلوم العقلية ، ومثله بنو هود فى سرقسطة وخاصة فى عهدى المقتدر العالم الطبيعى وابنه المؤمن العالم الرياضى ، ولا ننسى بلاط المعتصم بن صمادح الذى كان يشهد الوانا من المناظرات بين يدي المعتصم وهو ما اشرنا اليه سابقا لدى حديثنا عن ملوك الطوائف ودورهم فى ازدهار العلوم والآداب ، وكان المتناظرون من العلماء يحظون بضروب من الاكرام والرعاية من اولئك الملوك والامراء .

ومن طرق التعليم ايضا الاجازة .

( ومعنى الاجازة فى كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذى يسقاه المال من الماشية والحرث يقال منه : استجزت فلانا فاجازينى اذا سقاك ماء لارضك ولماشيتك . . . كذلك طالب العلم يسأل العالم ان يجيزه علمه فيجيزه اياه والطالب مستجيز والعالم مجيز )<sup>(٢)</sup> .

- 
- ( ١ ) النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ( ص ١٠٧ ) .  
 ( ٢ ) ابن الخطيب البغدادي : الكفاية فى علم الرواية ( ص ٣١٢ ) ، ابن الصلاح : علوم الحديث ( ص ٤٥ ) .

وللاجازة انواع كثيرة ، اولها ان يجيز لمعين في معين ، كقوله  
 " اجزت لك الكتاب الفلاني او ما اشتملت عليه فهرستي هذه " ، وهي اعلى  
 انواع الاجازة .

ثانيها : ان يجيز لمعين في غير معين مثل ان يقول : " اجزت لك  
 اولكم جميع مسموعاتي او جميع مروياتي " .

ثالثها : ان يجيز لغير معين بوصف العموم مثل ان يقول : " اجزت  
 للمسلمين او اجزت لكل احد او اجزت لمن ادرك زمانى ، وقد اجاز العلامة  
 ابو محمد بن سعيد الاندلسى لكل من دخل قرطبة من طلبة العلم <sup>(١)</sup> . ومثله  
 القاضى الفقيه ابن رشد الذى اجاز علمه وكتبه لجميع المسلمين سنة ٥٢٠ هـ .<sup>(٢)</sup>

رابعها : الاجازة للمجهول او بالمجهول . مثل ان يقول اجزت لمحمد بن  
 خالد الدمشقى ، وهناك طائفة كبيرة من الناس تشترك فى هذا الاسم والنسب  
 ثم لا يعين المجاز له منهم ، وهى اجازة فاسدة .

خامسها : الاجازة للمعدوم وللطفل الصغير وقد اختلف فى جوازها  
 ومثال ان يقول اجزت لمن يولد لفلان ، فان اشرك المعدوم على الموجود  
 كان اقرب للجواز من الاول ، وان عينها على المعدوم فقط فقد اختلف فيها  
 واجازها الخطيب البغدادى ، وكذلك اجازها للطفل الصغير .

سادسها : اجازة مالم يتعلمه او يحصله المجيز بعد ليرويه المجاز  
 له اذا سمعه المجيز بعد ذلك . وقد روى عن ابي الوليد يونس بن مغيث  
 القرطبى انه سئل الاجازة بجميع مارواه الى تاريخها وما يرويه بعد ذلك  
 فامتنع من ذلك ، فغضب السائل فقال له بعض اصحابه : يا هذا اعطيك  
 مالم يأخذ ، هذا محال . قال عياض : وهذا هو الصحيح .

( ١ ) ابن الصلاح : علوم الحديث ( ص ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ ) .

( ٢ ) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ( ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ) .



سابعا : اجازة المجاز مثل ان يقول الشيخ " اجزت لك مجازاتي " او اجزت لك رواية ما اجيزلى روايته ، واختلف فى صحتها والارجح قبولها<sup>(١)</sup>.

وهناك شروط للاجازة . منها ما اشترطه الامام مالك بن انس ، رحمه الله تعالى ، وهى ان يكون الفرع مطابقا للاصل ، وبالتالي ان يكون المجيز عالما بما يخبر به ثقة فى دينه وروايته ، والثالث ان يكون المستجيز من اهل العلم فلا يضع العلم الا عند اهله<sup>(٢)</sup> .

وقد تقدم الاجازة على وجهين شفوية او تحريرية . والشفوية اقـدم عهدا واول من منحها ابو هريرة الى بشر بن مهتك ، حيث قال : كتبت عن ابى هريرة كتابا ، فلما اردت ان افارقه قلت يا ابا هريرة انى كتبت عنك كتابا فارويه عنك ؟ قال نعم اروه عنى . اما الاجازة التحريرية ففيها يوضح الشيخ ما يجيزه للطالب او يجيزه باطلاق ، وهنا يحدد الشيخ تاريخ مولده ووطنه واسماء شيوخه ، وما يجب ان يروى عنه عامة<sup>(٣)</sup> .

والاجازة اصلا وضعت كضمان لعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم وكانت مع الحديث ثم انتقلت الى العلوم الاخرى ، ولكن مع تغير الاحوال وتطور الزمان فقدت هذه الغاية السامية واصبحت اشبه بالفوضى والعشوائية والمجاملة دون ان تعنى مهارة حاملها فى العلم او تفوقه فيه ، ولهذا لم يرتضيها كثير من العلماء ، حتى قال ابو ذر الهروى : " لو صحت الاجازة لبطلت الرحلة<sup>(٤)</sup> " .

- 
- ( ١ ) ابن الصلاح : علوم الحديث ( ص ١٣٧ ) وما بعدها .  
 ( ٢ ) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ( ص ١٥ ) .  
 ( ٣ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ( ص ٤١٤ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٢٠٢ ) .

والف ابو العباس وليد بن بكر السرقسطى ( ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ) كتابا سماه " الوجازة فى صحة القول بالاجازة " وضمن كتابه المذكور اشارات واضحة الى بعض الاجازات الفاسدة التى لا يركن اليها ولا يلتفت اليها <sup>(١)</sup> .

### الحفظ كظاهرة فى التاريخ التعليمى الاندلسى .

ومن الظواهر العلمية التى يدعش لها الدارس فى التعليم الاندلسى ظاهرة الحفظ التى اشتهر بها عدد كبير من العلماء والفقهاء الاندلسيين ومامن شك انها نابعة اصلا من المنهج التعليمى الذى التزموا به منذ نشأتهم . فالطفل كان يحفظ القرآن الكريم وعددا كبيرا من الاحاديث فى سن لا تتعدى الخامسة عشرة . هذا الى ما كان يتمتع به اولئك العلماء من استعداد ذهنى و قدرة على الاستيعاب ، ويلحظ الدارس لسيرهم انه هم كانوا يرون فى شرب البلاذر فائدة كبرى فى تنشيط وتقوية الذاكرة ، فالعلامة عبد الله بن ابراهيم الكتامى ( توفى حوالى ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ) كان يشربه باستمرار ويقال انه انتفع به ، ولكنه لم ينج من آثاره الجانبية فقد اورثه متاعب نفسية واضطرابات عصبية <sup>(٢)</sup> .

وممن لمع اسمه فى الحفظ عبد الله بن عيسى الشيبانى ( ت. ٥٣ هـ / ١١٣٥ م ) كان يحفظ صحيح البخارى وسنن ابي داود ، واخذ قبل وفاته بمدة فى حفظ صحيح مسلم <sup>(٣)</sup> .

والعلامة عبد الله بن محمد بن مالك ( ت. ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) كان حافظا لكتاب معانى القرآن للنحاس ، وقد قرأه على تلميذه محمد بن فرح الفقيه <sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ( ص ٢٦ ) ، خوليان ربييرا : التربية الاسلامية فى الاندلس ( ص ١٤٩ ) .  
 ( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٢٩٩ ) .  
 ( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٢٩٦ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٣٠٣ ) .

وحفظ الفقيه عبد الرحمن بن قاسم (٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) موطأ مالك ومدونة سحنون . (١)

ويشير المراكشي في قصة رواها للقاء تم بين الطبيب ابي مروان عبد الملك بن زاهر (٢٥٥ هـ / ١١٣٠ م) والاديب الشاعر عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) وفيها يثنى ابو مروان على ابن عبدون ويصفه بانه امام الاندلس واديبها ، وان ايسر محفوظاته كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني . (٢)

وهكذا يتبين لنا مدى ما تمتع به عدد من علماء الاندلس من قدرات واسعة على الحفظ، ولو اننا تصفحنا بعضا من تلك الكتب التي حفظها البعض كصحيح البخارى وسنن ابي داود ، والاغانى لابي الفرج الاصفهاني لهالنا ما نسمعه عن اولئك الاعلام ، ولكن الاخلاص في طلب العلم والرغبة الصادقة فيه هونت عليهم كثيرا من الوان المشقة والنصب .

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن طرق التعليم عند الاندلسيين ان نشير الى ان الاندلسيين اهتموا الى الكشف عن الطريقة العلمية الحديثة في تعليم العميان ، وهي الطريقة التي يطلق عليها طريقة "برايل" ، فقد كان الاندلسيون في عصر ملوك الطوائف يستخدمونها في تعليم الاطفال الاكفأ ، والى هذه الطريقة يشير ابن حزم الاندلسي فيقول ( واجب على المكلف بيان الحق ونصره باقصى ما يقدر عليه ، ولقد اخبرني مؤدبي احمد بن محمد بن عبد الوارث - رحمه الله - ان اباة صور لوالد كان له ولد اعمى اكمه ، حروف الهجاء

(١) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١٠٨ .

(٢) المعجب (ص ١٣٥) ، وانظر قصة اللقاء المذكورة (ص ١٣١) وما بعد ها .

اجراما من قير ثم المسه اياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه ، ثم المسه  
تراكيبها وقيام الاشياء منها حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في  
نفسه ، ورفع بذلك عنه غصة عظيمة). (١)

وهكذا يتبين لنا ان الاندلسيين كان لهم قصب السبق في اكتشاف هذه  
الطريقة التعليمية الهامة التي لا يستغنى عنها طائفة ليست بالقليلة في كل  
مجتمع من المجتمعات الانسانية .

---

(١) عبد اللطيف شراره : ابن حزم رائد الفكر العلمى ، ص ٨٠ ، (نقلا عن  
ابن حزم فى التقريب لحد المنطق ، ص ١٩٢) .

### "اماكن التعليم"

مما يستوقف الدارسين لتاريخ الاندلس وحضارتها ، عدم وجود المدارس في ذلك القطر ، رغم ما بلغه الاندلسيون من تقوق ورقى علمى ، ولم تظهر المدارس في الاندلس الا فى عصور متأخرة ، وبالدات ابا ن حكم بنى الاحمر فى غرناطة .

وما من شك ان المسجد عند المسلمين كان يوءدى رسالة اكبر مما يتصور البعض من انه عبادة فقط ، فهو الى جانب ذلك مركز اشعاع علمى للمجتمع ومنا ر هدى للناس ، وظل المسجد على هذا الحال حتى ظهرت المدارس فى المشرق فحجبت عن المسجد هنالك لونا من الوان نشاطه الدينى والفكرى ، واما الاندلسيون فقد ظلوا على التزامهم بوظيفة المسجد الاولى وكونه موضعا للعبادة والعلم ايضا ، وهو ما اشار اليه المقرئ بقوله : ( ليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم فى المساجد باجرة ) .<sup>(١)</sup>

(١) نفح الطبيب ، ج ١ ( ص ٢٢٠ ) . ويذكر ناجى معروف ان المدارس المستقلة فى الاسلام نشأت قبل المدرسة المشهورة المعروفة بالنظامية التى أنشأها الوزير نظام الملك ببغداد سنة ( ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م ) واورد نصوصا هامة تثبت ذلك منها ما اشار اليه السبكى من المدارس التى عرفت قبل نظام الملك مثل تلك المدرسة المعروفة بالمدرسة البيهقية بنيسابور ، والمدرسة السعدية بنيسابور ايضا والتى بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود الغزنوى ، وهناك مدرسة ثالثة بنيسابور بناها اسماعيل ابن على بن المشنى الواعظ ومدرسة رابعة بنيسابور بنيت للاستاذ ابنى اسحق الاسفرايينى ، كما ان محمد بن الحسن بن فورك ( ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ) نسب اليه بناء مدرسة بنيسابور .

وفى مصر بنى الحاكم بامر الله دار العلم بالقاهرة ولما زالت الخلافة الفاطمية انشأ صلاح الدين ( ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ ) =

وما اشار اليه ابن فرحون في معرض ترجمته لابي على الصدفى (ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م) من انه لما عاد الى الاندلس سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) استقر بمدرسة مرسية، فرحل اليه الناس . (١) وهذه مسألة لاتصمد للنقد ، فان المؤرخين الذين ترجموا لابي على كابن بشكوال وابن البار وغيرهم لم يسيروا الى تلك المدرسة بتاتا ، في حين ان ابن فرحون الذى توفى

---

== مدارس لتدريس المذهب الشافعى والمالكي وذلك اقتداء بنور الدين زنكى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) ، الذى بنى بدمشق وحلب مدارس للشافعية والحنفية وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمصر ، واول المدارس بمصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع المذكور ثم اقتدى به اولاده فى انشاء المدارس فى مصر والشام ، ويذكر ان من اوائل المدارس بالشام ما بناه الامير صا در بن عبد الله للحنفية فقد اسس لهم مدرسة (٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م) ، كما اسس رشأ بن نظيف المقرئ بدمشق " دار القرآن " فى حدود سنة اربعمئة هجرية (١٠٠٩ م) . وتبع تلك المدارس كثير من المدارس فى المشرق وقد تتبع تاريخها ونظمها الاستاذ ناجى معروف وخصص لها عددا من ابحاثه وكتبه (وانظر ناجى معروف : نشأة المدارس المستقلة فى الاسلام ، مطبعة الازهر بغداد ، ١٣٨٥ هـ (ص ٥-٩) ، وكذلك علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى ، مطبعة الارشاد بغداد ، ١٣٩٣ هـ (ص ٤ ، ٥ ، ٦) وما بعدها ، وانظر ايضا عن المدارس ما بعد النظامية المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومنكة (ص ١٣١) وما بعدها .

(١) الديباج المذهب ، ج ١ (ص ٣٣١) .

( ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ) قال بذلك رغم الفارق الزمني الكبير بينه وبين عصر ابي على ، ولهذا لا يبنى على كلامه ، وبالتالي فان مرسيه لم تشهد على ارضها في ذلك العصر قيام مدرسة من المدارس .

والحق ان المدارس ظهرت بصورة قاطعة لا تقبل الشك في القرنين السابع والثامن الهجريين كمدرسة صحن البرتقال بمالقه ، وكان من بين من درس بها الفقيه محمد بن يوسف الطنجالي ( ت ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ) . كما انشئ بمالقة مدرسة اخرى على يد العلامة الصوفي محمد بن محمد بن عبد الرحيم ( عاش فيما بين ٦٧٨ و ٧٥٤ هـ ) وشهد هذا اللون من المؤسسات العلمية نهضة رائعة في عهد السلطان محمد بن محمد بن يوسف من بني الاحمر الذي حكم في الفترة ما بين ( ٦٧١ - ٧٠١ هـ / ١٢٧٢ - ١٣٠١ م ) .

وبناء على ماتقدم فان المسجد او الجامع ظل هو المكان الرئيسي لتلقى العلوم والمعارف في الفترة موضوع البحث ، وحتى في العصور التي شهدت قيام بعض المدارس في الاندلس ، فان تلك المدارس رغم ممارستها لوظيفتها السامية في التعليم والتثقيف الا ان المسجد او الجامع بقي يؤمه افواج العلماء وطلبة العلم لتلقى دروسهم فيه والتماس البركة في اجوائه القدسية .

وكان جامع قرطبة الشهير يمثل احد مراكز الاشعاع العلمي الباهر ، ولم تتزعزع مكانته بعد زوال الخلافة الاموية فقد ظل يؤدي رسالته العلمية على خير وجه ، وكان تاريخه العريق ، وما اضفاها الحكام الامويون عليه من ضروب التشييد والاصلاح والتزيين قد جعل منه اشهر جامع في الاندلس على وجه الاطلاق ، وكان يمثل لدى الاندلسيين معلما من معالم حضارتهم الزاهرة ولهذا فقد شهد هذا الجامع في تاريخه التعليمي عشرات الالاف من العلماء

( ١ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس ( ص ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ ) .

وطلبة العلم الذين لم تنقطع صلتهم به حتى سقوط قرطبة فى يد النصارى  
وفى جامع قرطبة كانت تعقد مجالس العلم المشهورة ، ومنها مجلس العلامة  
الاديب عبد الملك بن زيادة الله السعدى التميمى ( ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) ،  
الذى كان يزدحم بمئات العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه علومه ، ولمـا  
رأى كثرتهم ذات يوم اشد :

انى اذا احتوشتنى الف مجرة      يكتبن حدثنى طورا واخبرنى  
نادت بعقرتى الاقلام معلنة      هذى المفاخر لا قعبان من لبن<sup>(١)</sup>

ولم يكن جامع قرطبة يؤدى رسالته العلمية وحده ، بل كان يشاركه  
فى ذلك بقية الجوامع فى مختلف المدن الاندلسية الاخرى ، وخصوصا  
ماكان منها فى عواصم ملوك الطوائف كبطليوس ، وطليلة ، ودانية ، وغرناطة  
وسرقسطة ، وبلنسية ، كانت كلها تؤدى رسالتها العلمية بامانة ودقـة  
ونشاط كبير ، وفى تلك المساجد والجامع كان العلماء يعقدون مجالسهم  
العلمية وحلقاتهم الدراسية ويجرون فيها المناظرات العلمية فى شتى  
فروع المعرفة المختلفة والتى كانت يشهد لها آلاف الطلبة بمختلف ميولهم  
وتخصصاتهم العلمية .

وكان بكثير من المساجد والجامع مكاتب لتعليم الاطفال وتربيتهم  
ويقوم على اداء هذه المهمة المعلمون او المؤدبون ، وقد ظهر المكتب فى  
الاندلس فى فترة مبكرة ، فالزبيدى يذكر ان الغازى بن قيس ( ت ١٩٩ هـ /  
٨١٤ م ) كان يمارس مهنة التأديب فى الفترة التى دخل فيها عبدالرحمن  
الداخل الى الاندلس سنة ( ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) السحيدى : جذوة المقتبس ( ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ) .

( ٢ ) طبقات النحويين ، ص



والمكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الاطفال ، ويكون مهيباً بطبيعة الحال لتلقى العلم والتربية السليمة من قبل المؤدبين ، وقد يكون المكتب غرفة فى منزل ، او حانوتا يكثرى ، او فناء او غير ذلك ، ومن اشهر المكاتب فى الاندلس ما امر بتشييده الخليفة الحكم المستنصر ، وهى سبعة وعشرين مكتبا منها ثلاثة تلحق بالمسجد الجامع بقرطبة ، والباقي فرقةا على ارباضها وعين لها المعلمين والمؤدبين .<sup>(١)</sup>

ورغم انحصار التعليم فى المساجد والجوامع الا ان هناك كثير من حلقات العلم وندوات الدرس كانت تنعقد فى مواضع اخرى ، فقد عرفت البيوت والمنازل كثيرا من حلقات الدرس ، كما تلقى طلبة الطب كثيرا من دراساتهم وتجاربهم فى اماكن اخرى غير المساجد ، كما ان الاهتمام بالفلسفة لدى البعض دفعتهم الى قراءة كتبها وتدارس مسائلها فى مواضع خاصة غير المساجد .<sup>(٢)</sup>

كما ان من المفيد ان نشير الى ان علوما اخرى كالفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم البحتة كانت حلقاتها الدراسية تتم فى اماكن اخرى تسمح باجراء بعض التجارب العلمية وتحتاج الى ممارسة نشاط حر لا يتلاءم مع مكانة المسجد ومنزلته ، وهذا يقودنا الى الاعتقاد فى وجود مثل تلك المواضع التى تجرى فيها الدراسات العلمية البحتة .

وفى ميدان العلوم الدينية ، نرى احد العلماء وهو فرج بن ابى الحكم ابن عبد الرحمن اليحصبى ( ت ٤٤٨ هـ ) يحبس داره على طلبة السنة .<sup>(٣)</sup>

وكان للعلامة على بن محمد بن هذيل ضيعة يخرج لتفقد ها ، فيصحبه

( ١ ) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٤٠ - ٢٤١ ) .

( ٢ ) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس ( ص ١٤٥ ) .

( ٣ ) ارسلان : الحلل السندسية ، ج ١ ( ص ٢٢ ) .

اليها كثير من طلابه ، وما ان يجلس بها حتى يتدارس معهم العلم ( فمن قارىء ومن سامع وهو منشراح لذلك طويل الاحتمال على فرط ملا زمتهم ليلا ونهارا )<sup>(١)</sup> .

وشهد عدد من منازل العلماء نشاطا علميا جيدا ، فقد قرأ العلامة طاهر بن خلف بن خيرة على ابي على رياضة المتعلمين لابي نعيم بمنزل ابي داود المقرئ وفرغ من ذلك سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م )<sup>(٢)</sup> .

ومن رواية العلامة زاوى بن مناد الصنهاجى ( ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ) ،<sup>(٣)</sup> ما قرئ على ابي على وهو يسمع بمنزله فى مرسيه سنة ( ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ) .

والاديب محمد بن خليل ( القرنين الخامس والسادس الهجريين ) سمع مقامات الحريرى من العلامة ابي الحجاج القضاعى بالمرية ، وفى هانوت بيباب الزيادين منها<sup>(٤)</sup> .

وبناء على ماتقدم يتبين لنا ان النشاط العلمى لم يكن محصورا فى ابهاء المساجد والجوامع بل تسرب ذلك النشاط الى كثير من المواضع سواء فى المنازل او فى بعض الحوانيت ، او فى بستان من البساتين او غير ذلك من الاماكن التى يرتاح اليها الاستاذ وطلبته ويتحقق فيها العلم والفهم .

---

( ١ ) الذهبى : معرفة القراء الكبار ، ج ٢ ( ص ٤١٧ ) ( ادرك هذا العلامة اواخر عصر ملوك الطوائف ثم ارتحل الى المشرق ومات به ) . انظر : نفس المصدر والجزء والصفحة وما بعدها .

( ٢ ) ابن الابار : المعجم ( ص ٩٥ ) .

( ٣ ) ابن الابار : نفس المصدر ( ص ٩٢ - ٩٣ ) .

( ٤ ) ابن الابار : نفس المصدر ، ج ٢ ( ص ٤٩٥ ) .

### المرأة والتعليم

لم تكن المرأة الاندلسية بمنأى عن ساحة النشاط العلمى فى المجتمع الاندلسى ، فقد تلقت المرأة نصيبا وافرا من العلم والمعرفة ، والاندلسيون لم يفرقوا فى التعليم بين الرجل والمرأة او الصبى والصبية ، بل رأوا من حسن التربية ان تفقه المرأة دينها وتأخذ بشىء من الادب ، وفى عصر ملوك الطوائف اُغلقت المرأة عناية كبيرة ، وكانت بعض النساء تقوم على تعليم بنات جنسها فقد كان لحزم المعلم من اهل قرطبة ابنة تقوم بالتدريس والتعليم ومن الطبيعى ان من تعلمهم هن النساء ، وكان ابوها واخوها يعلمان التلاميذ ، وكان بيتهم اشبه بالمدرسة . ويظهر انه كان واسعا بحيث يستوعب ثلاث مجموعات ، مجموعتين من التلاميذ ، ومجموعة من الفتيات .

والاديبه مريم بنت ابى يعقوب الفصولى ( كانت حية بعد . . ٤٥٠ هـ / ١٠٠٩ م ) كانت تعلم النساء وتعطينهن دروسا فى الادب مع الالتزام بالصون والعفاف ، وكانت باشبيلية .<sup>(٢)</sup>

كما ان العلامة المقرئ عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ ( ت ٤٤٤ هـ ١٠٥٢ م ) اقرأ بمدينة المريـه احدى النساء الماهرات فى القراءات وتدعى ریحانة فقرأت عليه القرآن بها ، وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ ، ويشير لها بقضيب بيده الى المواقف ، فامتلا حروف السبعة عليه ، وطلبتة الاجازة فرفض ولكنه كتبها لها فيما بعد .<sup>(٣)</sup>

ومن اشهر معلمات النساء العروضية مولاة عبد الرحمن بن غلبون

- 
- ( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٢٨١ ) ولم يذكر ما يدل على عصرهم ولكنه على كل حال يعطى فكرة من دور المرأة التعليمى .  
 ( ٢ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ٤١٢ ) ، ابن بشكوال : الصلة ج ١ ، ( ص ٦٩٤ ) .  
 ( ٣ ) الضبى : بغية الملتص ( ص ٣٩٩ ) .

(ت تقريبا ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) من بلنسية، وكانت قد اخذت علومها من مولاها، فبرعت في النحو واللغة والعروض، حتى قال ابو داود سليمان بن نجاح : اخذت عنها العروض، وقرأت عليها النوادر لابي علي القاسمي (١) والكمال للمبرد، وكانت تحفظ الكتابين عن ظهر قلب.

وكان الاديب محمد بن الكتاني متفنا في علوم مختلفة، وكان يشتري القيان والجواري الحسان، ثم يقوم بتعليمهن وتدريسهن مختلف انواع العلوم، حتى اذا برعن فيها باعهن باثمان باهظة، يقول في احدي رسائله لاحد اصحابه : ( . . . في ملكي الان اربع روميات كن بالامس جاهلات وهن الان عالمات حكيما منطقيات فلسفيات هندسيا موسيقاويات واسطرلابيات، معدلات نجوميات نحويات عروضيات ادبيات خطاطات تدل على ذلك لمن جهلهن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن وغريبه وغير ذلك من فنونه وعلوم العرب من الانواء والاعاريض والانحاء وكتب المنطق والهندسة وسائر انواع الفلسفة وهن يتعاطين اعراب كل ما ينسخنه ويضبطنه فهما لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه . . . ) (٢)

ورغم ان الكتاني كان مبالغاً في تسطير تلك الاوصاف الا انه يلوح لنا صدق بعض ما وصفه اذا علمنا ان امير السهلة ابن رزين اشترى منه احدي قيان بثلاثة آلاف دينار (٣).

وبناء عليه فان المرأة الاندلسية نالت نصيباً طيباً من التعليم، فظهر بين نساء الاندلس فقيهاً واديبات وشاعرات، وسوف نشير الى بعضهن لى حديثنا عن العلوم والاداب والفقيهات منهن نذكرها في الفقه، والادبيات

(١) المقرئ : نفح الطيب، ج ٤ (ص ١٧١).

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٣١٩ - ٣٢٠).

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ٣، ج ١ (ص ٣٢٠).

فى الالب؁ والشاعرة فى الشعر . . . الخ

واخيرا فان ميدان التعليم فى الاندلس كان قناة هامة من قنوات النشاط العلمى الكبير؁ وكانت آثاره التربوية تنعكس بجلاء على كثير من العلماء والادباء؁ فغرس فى نفوسهم كثيرا من الصفات العلمية الجادة التى دفعتهم الى مزيد من التحصيل واكتساب العلوم والاداب وكان عصر ملوك الطوائف قد شهد بعضا من آراء العلماء الذين نادوا بتصحيح نظام التعليم وادخال تعديل جديد عليه يختلف عن نظامه السابق؁ ولكن النظام التعليمى الاندلسى بقى على حاله لمطابقته لواقع حياة الناس وعاداتهم واحوالهم؁ ومع ذلك فقد اثمر هذا النظام ثماره الياقة الطيبة وكمن عالم مشهور او حافظ كبير اظهرته تلك الكتابيب الصغيرة وزرعت فى نفسه الهمة العليا والرغبة الصادقة فى تحصيل المعارف والصبر على شداؤها حتى ظهر فى الاندلس اعلام كبار لا تزال بعض آثارهم تحتل الصدارة فى المكتبة الاسلامية .

القسم الثاني

العلوم والآداب في عصر ملوك الطوائف

( ٢٦٣ )

## الفصل الاول

العلوم الدينية

- \* الفقه
- \* الحديث
- \* علوم القرآن (القراءات والتفسير)
- \* علم الكلام





( اهمية علم الفقه عند المسلمين )

نظرا لارتباط هذا العلم بالدين الاسلامي وعمق اتصاله بمصادر الكريمة المتمثلة في كتاب الله عز وجل والسنة المطهرة، فقد نال من المسلمين عناية بالغة . فتوفر كثير من الفقهاء على دراسة هذا العلم وتيسير قواعده وتوضيح تعاليمه للمسلمين لتكون ايسر فهما واسهل معرفة لاذهانهم فيستقيم به سلوكهم ومعاملاتهم الدينية والدنيوية . وتنظم به احوالهم وعلاقاتهم .

وظهرت المذاهب الفقهية في ديار الاسلام فكان اشهرها المذهب المالكي، نسبة الى مالك بن انس امام دار الهجرة، والمذهب الشافعي نسبة للإمام محمد بن ادريس الشافعي، والمذهب الحنبلي نسبة للإمام احمد بن حنبل والمذهب الحنفي نسبة للإمام ابي حنيفة النعمان بن ثابت الى جانب بعض المذاهب الاخرى التي لم تصمد بمرور الزمن وتغير الاحوال فكان في الاندلس مذهب الازاعي<sup>(١)</sup> الذي ادخله اليها بعض اتباع الازاعي كصعصعة بن سلام (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م)<sup>(٢)</sup>، وكان هذا المذهب هو المذهب السائد في بلاد الشام، ولكن لم يلبث ان ضعف شأنه بموت العارفين به

(١) نسبة الى الامام عبدالرحمن بن عمر بن محمد، والازاعي نسبة الى الازاع بطن من حمير، ولد ببعلبك سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) ونشأ بالبقيع ثم نقلته امه الى بيروت، فدرس الحديث والفقه وبرع فيهما فكان امام اهل الشام في ذلك وكانت وفاته سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م . بلبنان ابن زيد الموصلي : محاسن المساعي (ص ٥٧-٥٩)، ابن قتيبة المعارف (ص ٢١٧)، الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ١ (ص ١٢٨) .  
الا ان الاخير خالف الاثنين المتقدمين بقوله ان اصل الازاعي من سبي السند، ولكن الصحيح ما اشرنا اليه .  
(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس (ص ٢٠٣) .

ولم يبق منه سوى ما يوجد فى كتب الخلاف<sup>(١)</sup> .  
 دخول المذهب المالكى الأندلس وانتشاره فيها .  
 وكان للرحلات العلمية التى قام بها الأندلسيون فى فجر الحضارة  
 الأندلسية اثر بالغ فى نقل المذهب المالكى الى الأندلس ، وينسب ادخاله  
 اليها الى فقيهين جليلين هما زياد بن عبد الرحمن بن شبطون ( ت ١٩٩ هـ  
 ٨٠٤ م ) والغازى بن قيس ( ت ١٩٩ هـ / ٨٠٤ م ) وكلاهما رحلا الى المشرق  
 وقابلا الامام مالك بن انس واستمعا اليه واخذوا عنه علمه ومعرفته فى الفقه  
 ولما عادوا الى الأندلس نشرهما حملاهما من علوم وآراء فقهية .

ويبدو ان زيادا كان له الاثر الاكبر فى انتشار المذهب المالكى  
 وتعريف الناس به اكثر من معاصره الغازى ، الذى كان بدوره احفظ لموطأ  
 مالك من زياد المذكور .

واخذ المذهب المالكى بعد ذلك ينتشر على ايدى الفقهاء واتباع  
 الامام مالك من اهل الأندلس ومما زاد فى هذا الانتشار ما اشار به ابن  
 حزم على حد رأيه من ان المذهب المالكى انتشر بالرياسة والسلطان ذلك  
 ان يحيى بن يحيى الليثى احد الدارسين من الأندلسيين على يد الامام  
 مالك ، بلغ منزلة سامية فى الدولة الاموية ، حتى كان الامويون يستشيرونه  
 فى تعيين القضاة ، فكان لا يشير الا باصحابه من المالكيين ، والناس حريصة  
 على بلوغ المناصب والمراتب فسارعت الى دراسة المذهب المالكى والالتزام به  
 للظفر بالجاه والمنزلة فى الدولة الاموية .

ويضاف الى عوامل انتشار المذهب المالكى فى الأندلس ما يذكر ان كثيرا  
 من طلبة العلم الراحلين الى المدينة المنورة حيث الامام مالك ، كانوا  
 يحملون معهم الى امامهم اخبار وطنهم وسير حكامه ، فبلغت اخبار سيرة

( ١ ) الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ( ص ١٨٢ ) .

الامير هشام التقى العادل اسماع الامام مالك فاثنى عليه وقال : (وددت ان الله زين موسمنا به ) ، وماليث ان انتقل هذا الثناء الى الامير هشام الذى سربه وارتاح اليه فمال من حينه الى مذهب الامام مالك واخذ فى بثه ونشره .<sup>(١)</sup>

وعليه فقد ساد المذهب المالكي الاندلس ، وعم جميع اقطارها — وشاع فى جميع حلقات العلم والوان الدراسات الفقهية ، الا ان ذلك لم يمنع دخول بعض المذاهب الفقهية الاخرى الى الاندلس ، ولكنها لم تكن من القوة بحيث تجارى المذهب المالكي او تنافسه على مكانته ، فكان هناك فقهاء فى الاندلس يتبعون مذاهب اخرى ، كالمذهب الظاهرى واشهر اصحابه الامام الظاهرى ابو محمد على بن حزم الفقيه المشهور ، والمذهب الحنفى ويمثله بعض الفقهاء كعيسى بن محمد بن هارون النسفى الذى قدم اشبيلية تاجرا سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م . ومثله الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن خالد السرفى الذى دخل الاندلس سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ووصف بسعة الرواية عن علماء العراق من الاحناف وغيرهم .<sup>(٢)</sup>

وهناك اتباع المذهب الشافعى امثال زيد بن حبيب القضاء — الاسكندرانى الذى دخل الاندلس سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . والخليل بن احمد بن عبد الله البستى الذى دخلها سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م . وكلاهما<sup>(٣)</sup>

( ١ ) انظر فى تفصيل دخول وانتشار المذهب المالكي فى الاندلس سعاد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس . رسالة ماجستير لم تطبع ( ص ٣٢ ) وما بعدها .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ( ص ٤٤١ ) .

( ٣ ) ابن بشكوال : نفس المصدر والجزء ( ص ٣٥٤ ) + .

( ٤ ) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ( ص ١٩٢ ) .

( ٥ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ١ ( ص ١٨١ - ١٨٢ ) .

قدما من المشرق وبثا علومهما بين طلبة العلم في الاندلس، ونقــــــــــــــــــــلا  
آراء مذهبهما الى تلك الآفاق .

بل وجد في الاندلس من يحفظ مذهب ابي الحسن الاشعري ويجيد  
فهمه، فقد روى ان الفقيه محمد بن خلف بن موسى الانصارى القرطــــــــــــــــــــبى  
(ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) كان حافظا لكتب الاصول والاعتقادات واقفا على  
مذهب ابي الحسن الاشعري واصحابه .<sup>(١)</sup>

ويلاحظ ان الاندلسيين اعتمدوا في بداية دراساتهم الفقهية  
على المصادر الرئيسية في الفقه المالكي وخاصة موطأ مالك، ومدونــــــــــــــــــــة  
سحنون، والواضحة لابن حبيب، والعتبية للعتبي .<sup>(٢)</sup>  
مكانة الفقه والفقهاء عند الأندلسيين  
وجدير بالذكر ان الفقه قد حظى بتقدير واجلال الاندلسيين فله  
عندهم (رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم الا مذهب مالك، وخواصــــــــــــــــــــهم  
يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به محاضر ملوكهم ذوى الهمم فى  
العلوم، وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان المثلثين كانوا يسمون الامير  
العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه) .

- 
- (١) ابن الابار : تكملة الصلة، ج ١ (ص ٤٣٩ - ٤٤٠) .  
(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في الاندلس (ص ٢٩٨) .  
موطأ مالك، اى مالك بن انس امام المدينة، اما سحنون فهو عبد السلام  
ابن سعيد التنوخى القيروانى (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) والمدونــــــــــــــــــــة  
المنسوبة اليه اخذها عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك، وابن حبيب  
هو عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩هـ / ٨٥٣م) من اهل الاندلس  
وكبار فقهاء الف كتابه المذكور فى الحديث والفقه، والعتبي تلميذ  
عبد الملك الآنف الذكر وصنف كتابا سمي باسمه .  
انظر فى تراجمهم ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٥)، الحميدى :  
الجدوة (ص ٢٨٢)، المقرئ : النفع، ج ٣ (ص ١٧١) .

وكان الفقيه فى المجتمع الاندلسى يتمتع بتوقير الناس واحترامهم فيكرم فى معاملته وحياته الخاصة والعامة ، وبلغ من سمو منزلة الفقيه وتألق مكانته ان صفته كانت تطلق على النحوى واللغوى ، لانها ارفع السمات وارقى الصفات العلمية لدى الناس .<sup>(١)</sup>

وقد نشطت حركة الدراسات الفقهية فى الاندلس فظهر آلاى الفقهاء ومن بينهم عدد لا يقلون بحال عن كبار فقهاء المشرق ، ويتضح لنا ذلك اذا علمنا انه كان فى قرطبة وحدها ثلاثة آلاى مقلس ، وكان لا يتقلس عندهم<sup>(٢)</sup> الا من صلح للفتيا .

وقد جانب الطرطوشى الصواب عند وصف علماء الاندلس بالجهل وقلة العلم وذلك حينما طلب منه تلميذه ابو بكر بن العربى ان يعود الى الاندلس - وكان الطرطوشى مقيما فى مصر - فاجابه بانه لا يحب ان يعود الى بلد غلب عليه كثرة الجهل وقلة العقل<sup>(٣)</sup> .

فكيف يتفق كلام الطرطوشى هذا مع ماوصلت اليه الحركة العلمية فى

---

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ١٥٩ ) وما بعدها .

( ٢ ) المراكشى : المعجب ( ص ٥٢٠ ) ، مؤلف مجهول : كتاب فى ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها ( مخطوط ) ( ص ٣٧ ) .

( ٣ ) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ( ص ٢٩٨ ) ، نقلا عن الطالبى : آراء ابى بكر بن العربى الكلامية ( ص ٥٨ ) .

والطرطوشى هو ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى ، كان من اصحاب ابى الوليد الباجى ، وارتحل الى المشرق فدخل الشام والعراق ثم حل بمصر وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦ م .

ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٤٢٤ ) .

عصر ملوك الطوائف وخاصة ميدان الدراسات الفقهية الذى ظهر فيه امثال الفقيه المشهور ابن حزم الظاهري وابن عبد البر النمري ، وابن العربي الآنف الذكر وغيرهم من الفقهاء الذين خلدوا اسمائهم بما خلدوه من روائع الانتاج فى ذلك العلم . وهذا المقرئ يشير الى ان من الكتب المعتمدة لدى فقهاء الاندلس كتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى ، وكتابى "النهاية" و"مختصر المستصفى" لابي الوليد بن رشد ، والاخر منها كتاب جليل معظم لدى الفقهاء ، وكتاب "المنتقى" للباجى<sup>(١)</sup> .

وقد عاش ابن رشد والباجى فى عصر ملوك الطوائف وكفى بهـذا دليلا على رقى الدراسات الفقهية وتآلق فقهاء ذلك العصر .

ولعل من عوامل ازدهار الدراسات الفقهية واقبال كثير من الطلاب على دراسة الفقه وتعلم مسائله ما كانوا يأملونه من تولى الوظائف العامة الدينية والمدنية ، فقد كانت وظائف المشاورين والقضاة والكتّاب وخطباء المساجد وغيرها وفقا على الفقهاء تقريبا<sup>(٢)</sup> .

مشاهير فقهاء عصر ملوك الطوائف وانتاجهم العلمى هذا وقد حفل هذا العصر باعداد كبيرة من الفقهاء تقتصر على ابرزهم وما قدموه من انتاج فقهى ، فيأتى فى مقدمتهم العلامة الفقيه على بن احمد بن سعيد بن حزم ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٣ م ) ، ويتضح لنا من خلال تاريخ ميلاده انه عاصر فترة الخلافة فقهى فى قرطبة شبابه وتلقى فيها العلم عن شيوخه امثال احمد بن الجصور ، ويحيى بن مسعود ، ويوسف ابن عبد الله القاضى ، وعبد الله بن ربيع التميمى ، وابى عمرا الطلمنكى وسواهم<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) نفح الطيب، ج ٣ (ص ١٨٠-١٨١) .

( ٢ ) خوليان ريبيرا : المرجع السابق (ص ٦٨) .

( ٣ ) الذهبى : تذكرة الحفاظ، ج ٣ (ص ١١٤٦) .

ولما سقطت الخلافة اخذ ابن حزم فى التنقل من مدينة الى اخرى  
فقد خرج من قرطبة الى المريه حيث مملكة خيران العامرى فظل بهازمنا  
حتى دبرت ضده مكيدة دخل على اثرها السجن ، ولكن خيران اطلقه وامره  
بالخروج من المريه فسار الى بلنسية .<sup>(١)</sup>

ويشير ابن حيان الى حالة ابن حزم فى التنقل والترحال بقوله : ( كان  
يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه ، على استرسال فى طباعه ، ومـذل  
باسراره . . . حتى استهدف الى فقهاء وقته ، فتمالاًوا على بغضه ، ورد واقوله  
 واجمعوا على تضليله وشدعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهـوا  
عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قريبهم ويسيرونه  
عن بلادهم الى ان انتهوا به الى منقطع اثره بترية بلدة من بادية لبله ، وبها  
توفى رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) .<sup>(٢)</sup>

وهكذا نرى ان ابن حزم لم يستقر فى عصر ملوك الطوائف فى مملكة  
من ممالكهم ، بل كانت حياته وما التزمه من مذهب فقهى معارض للمذهب  
المالكي تضطره الى التنقل والترحال بسبب ما جبل عليه من معارضة للتقليد  
المذهبي لفقهاء الاندلس ، فلم يجد ترحيبا فى بلاطات ملوك الطوائف ، بل  
لعب الفقهاء دورا فى تشويه فكره والاستنقاص من شخصه لدى الملوك ، فكـره  
هؤلاء نزوله لديهم ، بل تعدى الامران امر المعتمد بن عباد باحراق عدد من  
كتبه وتمزيقها ، فعبر ابن حزم عن تلك الحادثة الاليمة بقوله :

( ١ ) ابن حزم : طوق الحمامة ( ص ١١٨ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ١ ( ص ١٦٧ ) . ( نقلا عن نصوص

تاريخية لابن حيان ) .

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى  
يسير معى حيث استقلت ركائبى  
دعونى من احراق رق وكاغــــد  
تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى  
وينزل ان انزل ويدفن فى قبرى  
وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى<sup>(١)</sup>

ولم يكن ارتحاله فقط الى ما ذكرنا من المدن بل ارتحل الــــى  
البونت ، ثم لجأ الى ميورقة وهناك جرت المناظرات بينه وبين ابى الوليد  
الباجى . وخرج عنها الى اشبيلية ولم يحمد مقامه فى ظل بنى عباد فاتجه  
اخيرا الى لبله وهناك عكف على نشر مذهبه وتأليف كتبه .<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

وكانت شهرة ابن حزم عائدة الى اعتناقه للمذهب الظاهرى . وكان فى  
بداية نشاطه العلمى مائلا الى المذهب الشافعى ولكنه مالبت ان انصرف عنه  
الى المذهب الظاهرى الذى ينسب اصلا الى الفقيه المشرقى داود بن على  
الاصفهانى .<sup>(٤)</sup> فعمل على تنقيحه وصياغته فى منهج فقهى متميز له قواعده  
واصوله ، ثم عمل على نشره مجتهدا فى ذلك والى فيه كثيرا من الكتب .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٧١ ) ( نقلا عن ابن  
حيان ) وانظر ايضا نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٦٩ ) .  
( ٢ ) بلدة صغيرة فى الجنوب الغربى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار  
(ص ٥٠٧ - ٥٠٨ ) .

( ٣ ) عبدالحليم عويس : ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى  
والحضارى (ص ٧٣ - ٧٤ ) .

( ٤ ) ابوسليمان داود بن على بن داود بن خلف الاصفهانى . اول من  
سلك القول بالظاهر والغى الرأى والقياس ، وكان موصوفا بالعلم  
والصلاح توفى سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م . ابن النديم : الفهرست (ص ٣٠٣) .

( ٥ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ١٦٧ - ١٦٨ ) ، المراكشى  
المعجب (ص ٩٤ ) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ٣٥٥ ) .



ومذهب ابن حزم الظاهري يعتمد فيه على قبول مانص عليه في القرآن الكريم واورد فيه حديث موثوق على ظاهر معناه الا ان يكون هناك ضرورة من عقل او حس تدعو الى صرف المعنى عن ظاهره والى الاخذ بالتأويل<sup>(١)</sup>.

ويشير ابن حزم الى منهجه الفقهي بقوله : ( واعلموا ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سرتحتة ، كل برهان لا مسامحة فيــــه واتهموا كل من يدعو ان يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتف من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع اخص الناس به من زوجة او ابنة او ابن عم او صاحب على شىء من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعى الناس كلهم اليه )<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لخروج ابن حزم على التيار الفقهي العام في الاندلس فقد جوبه بكفاح مرير من قبل فقهاء المالكية فتألبوا عليه وتصدى له عدد منهم بالمناظرات والنقاش، وزاد الامر حرجا ان ابن حزم كان شديد الوطأة في جدله ونقاشه ، حاد اللسان في مناظراته العلمية ، حتى وصف لسانه بانــــه وسيف الحجاج شقيقان<sup>(٣)</sup>.

- 
- ( ١ ) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ( ص ٥٩٦ ) ، قدرى طوقان : العلوم عند العرب ( ص ١٨٤ ) .
- ( ٢ ) الفصل في الملل والنحل ، ج ٢ ( ص ١١٦ ) ، وللإطلاع أكثر على المذهب الظاهري انظر محمد ابو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره وسعيد الافغانى ، ابن حزم الاندلسى ورسالته فى المفاضلة بين الصحابة ( ص ٦١ ) وما بعدها ، عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمى ( ص ٧٢ ) وما بعدها ، عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى ( ص ٨٥ ) وما بعدها .
- ( ٣ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ( ص ٣٢٨ ) ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ( ص ١١٥٣ - ١١٥٤ ) .

وقد اكثر العلماء في الحديث عن حدة لسان ابن حزم وقسوته فـلى تناول مواقف خصومه . والحق اننا لو امعنا النظر في موقف ابن حزم وحالته المعنوية وتردى نفسيته امام معارضيهِ الذين تألبوا وتضافروا على تحطيم فكره ومذهبه . هذا بالاضافة الى مواقف الملوك منه ، واحراق كتبه ومصنفاته لعذرناه بعض الشيء فيما اتصف به .

وفيما يتعلق بنشاطه في ميدان الفقه وما قدم فيه من انتاج علمي فقد الف كثيرا من الكتب، منها كتابه " الايصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الاحكام على ما اوجبه القرآن والسنة والاجماع " ، اورد فيه اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين في مسائل الفقه ، كما الف كتابا اخرى ككتاب الاحكام في اصول الاحكام ، وكتاب " الاجماع ومسائله على ابواب الفقه <sup>(١)</sup> والكتابان الاخيران مطبوعان كما اشار الى ذلك عبد الحليم عويس في كتابه ابن حزم الاندلسي عندما استعرض مصنفاته المطبوعة والمفقودة .

وصنف ايضا كتابا في الفقه على مذهبه واجتهاده في مجلد ، ثم شرحه واطلق عليه المحلي في ثمان مجلدات <sup>(٢)</sup> .

ويذكر ابن حيان ان له من الكتب ايضا كتاب " التلخيص والتخليص " في المسائل النظرية وفروعها التي لانص عليها في الكتاب ولا في الحديث ، وكتاب " منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف " ، وكتاب " كشف

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٣٠٨-٣٠٩) ، الضبي : البيغة (ص ٤١٥) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٤١٥-٤١٦) ، كتاب الايصال منه قطعة بدار الكتب المصرية ، انظر الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، (ص ١٧١) ج رقم ٤ .  
 (٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ (ص ١١٤٧) ، وهذا الكتاب مطبوع انظر سعيد الافغانى : ابن حزم الاندلسي (ص ٥٨) .

الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس<sup>(١)</sup> .

واشار السلفى فى معرض حديثه عن كتب ابن حزم ان كتاب الايصال يقع فى اربعين مجلداً<sup>(٢)</sup>، وهذا بلا ريب يدلنا على عظم المجهود المبذول فى تصنيفه، والى ما كان يتمتع به ابن حزم من علم واسع ومعرفة عميقة ومصنفات ابن حزم فى الفقه الظاهرى كثيرة جداً ومن بينها رسائل عديدة وكتيبات كثيرة، ولكننا اشرنا الى ابرزها . ومما لاشك فيه ان هذا الانتاج الفقهي يدل دلالة واضحة على منزلة ابن حزم وجلالة قدره رغم ماناله على ايدي معاصريه من اذى وضيق، وصدق ابن حيان حيث قال : (ويا لبدائع هذا الحبر على بن حزم وغرره، ما اوضحها على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك فليس ببديع فيما اضيع منه، فازهد الناس فى عالم اهله...<sup>(٣)</sup>).

وفى بلاط مجاهد العامرى بدائية ثم بلاط بنى الافطس فى بطليوس<sup>(٤)</sup> برز العلامة الفقيه ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٣٦٢ - ٤٦٠هـ/ ٩٧٢ - ١٠٦٧م) كانت نشأته العلمية فى قرطبة حيث اخذ علمه

- 
- (١) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ١٧١)، نقلا عن ابن حيان .  
وعن اماكن وجود مالم يطبع من هذه الكتب انظر بروكلمان : تاريخ الادب العربى . وعبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى (ص ١١٧) ومابعدها، وقد قسم عبد الحليم فى كتابه المذكور مؤلفات ابن حزم الى قسمين مانفذ منها وماهو موجود منها سواء كان مخطوطا ومطبوعا .  
(٢) معجم السفر (اخبار وتراجم اندلسية) تحقيق احسان عباس (ص ٥٣) .  
(٣) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ (ص ١٧٢) نقلا عن ابن حيان .  
(٤) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٠٧ - ٤٠٨)، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ (ص ٦٧٩)، الذهبى : سير اعلام النبلاء، ج ١٨ (ص ١٥٨) .

عن كثير من العلماء والفقهاء امثال خلف بن القاسم ، وعبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر ، وابن الغرضي الازدي ، والطلمنكي وغيرهم<sup>(١)</sup> .

وكان ابن عبد البر مائلا الى المذهب الشافعي ، ورغم ذلك فقد قدم لنا كثيرا من روائع انتاجه ودراسته الفقهية على المذهب المالكي ، فصنف في ذلك كتابه " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد " في سبعين جزءا ، وقد امتدحه ابن حزم الظاهري وذكر انه ليس له نظير في فقه الحديث<sup>(٢)</sup> .

كما صنف كتابا اسماه " الاستذكار لمذاهب علماء الامصار في شرح ماتضمنه الموطأ من معاني الرأي والاثار " وهذا الكتاب اختصار لكتاب<sup>(٣)</sup> الاول كما يقول ابن حزم .

وصنف في مجال الفتيا كتابه الكبير " الكافي " وضمنه كثيرا من المسائل والآراء الفقهية التي لا يستغنى عنها من تصدر للفتيا ، وقد ادرك ابن عبد البر حاجة اهل عصره الى من يجمع لهم آراء واقوال من سبقهم من ائمة الفقه واعلام الفتيا وفي مقدمتهم امام المذهب مالك بن انس واصحابه واتباعه فصنف لهم ذلك الكتاب الهام ، وقد نال هذا الكتاب ثناء ابن حزم و اشار الى ما احتواه من مسائل الفقه مما لا يستغنى عنه فقهاء المذهب ، وان الناس في

( ١ ) الحميدى : الجذوة ( ص ٣٦٨ ) .

( ٢ ) الحميدى : نفس المصدر ( ص ٣٦٨ ) ، وتوجد منه نسخة خطية بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار الكتب المصرية كما يقول مرسى الخولى في تحقيقه لكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر .

( ٣ ) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه ( ص ٨٦ ) ، المقرئ : النسخ ، ج ٣ ( ص ١٦٩ - ١٧٠ ) ، وتوجد من كتاب الاستذكار اجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ( مرسى الخولى ، مقدمته على كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر ) .

ذلك العصر قد استغنوا به عن غيره من الكتب المطولة ، ويقع هذا الكتاب فى خمسة عشر جزءاً<sup>(١)</sup> .

ولابن عبد البر كتاب فى "اختلاف اصحاب مالك بن انس ، واختلاف رواياتهم عنه" ويشتمل على اربعة وعشرين جزءاً<sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ الناظر فى مصنفاته كثرة عدد اجزائها ، ويبدو انه كان يسلك فى تصنيفه لتلك الكتب مسلك المتأنى المترىث ، بحيث لم يكن يحمل نفسه مشقة الاخراج السريع لتأليفه وما يترتب على ذلك من نصب ومشقة ، وما ينجم عنه ايضا من هفوات لا يخلو منها اى عمل عجل ، فكان يعمل على فترات متقطعة بحيث ينجز فى كل فترة جزءاً من انتاجه العلمى وبناءً عليه فلا يكتمل اى من كتبه الا باجزاء كثيرة متعددة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يلاحظ ان عمره المديد الذى بلغ ما يقارب قرنا من الزمان - حيث توفى عن ٩٨ عاماً - كان له اكبر الاثر فى رسوخ مكانته العلمية وتضلعه فى السوان متعددة من المعرفة ، فلم يكن فقيها فقط بل كان ادبياً شاعراً مؤرخاً نساباً فائزاً بعلمه الواسع المكتبة العربية .

وكانت تصانيفه تلاقى من اهل عصره ومن اتى بعدهم كل اجلال وتقدير وتحظى بعناية اهل العلم حتى اصبحت متداولة فى شتى الاقطار وهو

---

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٠) ، نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل علماء الاندلس ، الحميدى : جذوة المقتبس (ص ٣٦٨) ويوجد من هذا الكتاب نسخ مخطوطة فى الفاتيكان والمدينة المنورة (مرسى الخولى : مقدمته على بهجة المجالس) .

(٢) الحميدى : الجذوة (ص ٣٦٨) .

مايؤكداه الحميدى بقوله ( والف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه )<sup>(١)</sup> .

وهذا ابن خير الاشبيلي يورد عددا من كتب ابن عبد البر النمرى ضمن ما اخذه عن شيوخه<sup>(٢)</sup> ، وهو مايؤكد عظم قدرها وجلالتها ، بل ان كتب ذلك العالم الجليل لاتزال تجد الاقبال من علماء هذا العصر الحديث والاستحسان منهم .

وفى هذا العصر الحافل باهل العلم برز العلامة الفقيه ابوالوليد سليمان بن خلف الباجى القرطبى ( ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ) وكان معدودا بين علماء بلاط بنى هود فى سرقسطة . وكان المقتدر يفخر بوجوده فى بلاطه وبين علماء مملكته ، ويعتز بذك على غيره من ملوك الطوائف<sup>(٣)</sup> .

وكان الباجى فقيها محدثا عظيم المنزلة بين علماء عصره ، وكان قد اخذ العلم عن علماء وطنه ثم شد رحاله الى المشرق حيث اقام ببغداد ثلاث سنوات يدرس الفقه ويكتب الحديث ، وظل مواظبا على هذا الحال من تلقى العلم وتحصيل المعرفة وامتدت اقامته فى المشرق عموما ثلاثة عشر سنة ثم عاد الى وطنه اعمق معرفة وارسخ علما ، واخذ فى نشر علومه فقصدته<sup>(٤)</sup> الفقهاء وطلبة العلم من كل حدب وصوب .

وجدير بالذكر ان هذا الفقيه قد ضرب فى سيرته العلمية اروع الامثلة فى الصبر والجلد على تحصيل العلوم والمعارف . اذ على الرغم من حالته

( ١ ) جذوة المقتبس ( ص ٣٦٧ ) ، وحول مايتضمنه هذا المعنى انظر ابن

سعيد ، المغرب ، ج ٢ ( ص ٤٠٨ ) .

( ٢ ) فهرسة مارواه عن شيوخه ( ص ٨٦ ) .

( ٣ ) ابن خاقان : قلائد العقيان ( ص ١٩٦ - ١٩٧ ) ، الاصفهاني

الخريدة ، ج ٢ ( ص ٤٩٩ - ٥٠٠ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٩٤ - ٩٥ ) ، عياض : ترتيب

المدايك ، ج ٤ ( ص ٨٠٢ - ٨٠٨ ) ، ابن خاقان : قلائد العقيان

( ص ١٩٦ - ١٩٧ ) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ) ،

الضبي : بغية الملتص ( ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ) ، ابن فرحون : الديباج

المذهب ( ص ١٢٠ - ١٢١ ) .

البائسة وقلة ما بيده الا انه لازم حلقات العلم ومجالسه فقد كان يخرج الى  
اصحابه وتلاميذه وفي يده اثر المطرقة<sup>(١)</sup> .

بل اننا نراه ابان رحلته الى المشرق واستقراره في بغداد يلجأ  
لسد حاجته بتنصيب نفسه حارسا على درب من دروب بغداد ، وليدفع عن  
نفسه بذلك غائلة الفقر<sup>(٢)</sup> .

وكان الباجي مؤمنا بما تعلم مخلصا في الانتفاع بعلمه ونفع غيره به  
وقد هاله ما رأى عليه ملوك عصره من شقاق وخلاف ونزاع فسعى الى اصلاح  
بينهم والعمل على لم شعثهم والتمسك بحبل الله<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من انشغاله بهذه المساعي الحميدة ، ومواظبته على  
التدريس والتعليم وكثرة مناظراته العلمية مع علماء عصره امثال ابن حزم  
الظاهري ، الا انه كان ذا باع طويل في التأليف والتصنيف ، فكان متعدد  
النشاط ، خصب الذهن ، علما من اعلام عصره .

واقرله العلماء بالمنزلة الرفيعة والقدر الجليل ، ومن بينهم خصمه  
ابن حزم الذي ذكر انه لم يكن لاتباع المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل  
ابي الوليد الباجي ، وكان الاخير قد ناظره بجزيرة ميورقه ، فاضعف من  
شأن مذهبه ، وبين تهافته مما كان سببا في احراق كتبه ، ولكن ابن حزم رغم  
ذلك لم يجحد منزلته او يفض من شأنه<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ( ص ٧٦ - ٧٧ ) .

( ٢ ) المقرئ : نفس المصدر والجزء ( ص ٧٦ ) .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٩٥ - ٩٦ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٩٦ ) وعبد الوهاب المذكور هو  
عبد الوهاب بن علي بن نصر التغلبي كان من كبار فقهاء المذهب  
المالكي في المشرق ورحل الى مصر وصنف كتابه " المعونة " و" التلقين " .  
وتوفي بمصر سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م .

وامتدحه ابو علي بن سكره ، وجزم انه لم ير مثله ومثل مجلسه فـلى جلالته وعلمه و اشار الى انه - اى ابو علي - عندما كان فى بغداد قدم ابـن لابي الوليد يكنى ابو القاسم ، فسارا معا الى مجلس قاضى القضاة الشاشى فعرف ابو علي الشاشى على ابي القاسم ووصفه بانه ابن شيخ الاندلس ، فقال الشاشى لعله ابن الباجى ، فقال ابن سكره نعم فرحب به وقرب مجلسه .<sup>(١)</sup>

وذكره ابو نصر بن ماكولا فقيه المشرق فقال ( فقيه متكلم شاعر ، اديب سمع بالعراق ودرس الكلام ، وصنف ، وكان جليلا رفيع القدر والخطر . )<sup>(٢)</sup>

وكان لابي الوليد مصنفات قيمة ، فمنها فى الفقه كتابين فى شرح الموطأ ويدعى كتابه الاول فى ذلك بـ "الاستيفاء" ثم انتخب منه فوائدا سماها "المنتقى" فى سبع مجلدات ، ويعتبر هذا الكتاب احسن مصنف فى مذهب مالك لانه افاض فى شرح احاديث الموطأ وفك غامضها ، وله ايضا " احكام الفصول فى احكام الاصول " و "الايماء" و "مختصر المختصر" فى مسائل المدونة و "الاشارة فى اصول الفقه" و "الحدود" و "السراج فى الخلاف" وغير ذلك .<sup>(٣)</sup>

وفى مملكة بنى عباد بقرطبة نشأ العلامة الكبير الفقيه محمد بن احمد ابن احمد بن رشد ( ٤٥٠ - ٥٢٠ هـ / ١٠٥٨ - ١١٢٦ م ) ، وتألق ابـن رشد فى الفقه وعلت منزلته بين فقهاء عصره لما كان عليه من معرفة واسعة بهذا العلم وبراعة تامة فى فهم مسائله حتى وصفه الضبى بقوله ( كان اوحـد

- 
- ( ١ ) المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٦٧ - ٦٨ ) .  
 ( ٢ ) الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ ( ص ٢٠٤ ) ، وانظر ما يتضمنه هذا المعنى : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ( ص ١١٤ ) السيوطى : طبقات المفسرين ( ص ٥٢ - ٥٣ ) .  
 ( ٣ ) المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٦٩ ) ، وانظر ايضا ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه ( ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ) ، السيوطى : طبقات المفسرين ( ص ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ ) ، الداودى : طبقات المفسرين ، ج ١ ( ص ٢٠٢ ) ( ٢٠٣ ) ، حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ( ص ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ) .



زمانه في طريقة الفقه<sup>(١)</sup> .

وبلغ ابن رشد من تضلعه في الفقه ومهارته فيه انه اذ صعبت مسألة من مسائل الفقه او اشكل حلها فزع اليه في توضيحها وكشف غامضها ، فكان بحق عميد فقهاء عصره ونجمهم المتألق ، واليه شددت الرحال لآخذ العلم عنه والتفقه على يديه<sup>(٢)</sup> .

ومما يضاف الى سيرة هذا الفقيه الجليل ما كان عليه من حسن الخلق والتحلي باخلاق العلماء الصالحين ، من ورع وحياء ونزاهة واستقامة ، مع كرم وبر بالناس واغاثة المحتاجين منهم<sup>(٣)</sup> .

وقد التحق ابن رشد بوظائف الدولة فتولى منصب قضاء الجماعة بقرطبة ، ثم استعفى من هذا المنصب ، وتفرغ لنشر العلم والتأليف ، فصنف كتباً قيمة في الفقه وفي غيره من العلوم . فمن مؤلفاته الفقهية " البيان والتحصيل في شرح كتاب العتبي المستخرج من الاسعة " في عشرين مجلداً و "المقدمات" و "تهذيب كتاب الطحاوي مشكل الآثار" و "كتاب في اختصاص الكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن اسحاق بن يحيى" وغير ذلك<sup>(٤)</sup> .

وقد امتدح العلماء مصنفات ابن رشد ، حتى قيل انه لم يسبق الى تأليف مثلها ، وان كتابي البيان والتحصيل والمقدمات ليس في المذهب

( ١ ) بغية الملتبس ( ص ٥١ ) .

( ٢ ) عياض : الغنية ( ص ٥٤ ) .

( ٣ ) عياض : نفس المصدر والصفحة ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٥٧٧ ) ،

النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ( ص ٩٨ - ٩٩ ) ، ابن القاضي

جذوة الاقتباس ، ق ١ ، ( ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ) .

( ٤ ) عياض : الغنية ( ص ٥٤ ) ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ق ١ ( ص

٢٥٥ ) ، البغدادي : هدية العارفين ، ج ٢ ( ص ٨٥ ) .

المالكي نظير لهما<sup>(١)</sup> .

وممن حضر دروسه العلمية وحلقات درسه العلامة المؤرخ ان بشكوال مؤلف كتاب الصلة في تراجم علماء الاندلس ، وقد اشار الى مؤلفات ابن رشد وقال (سمعنا عليه بعضها واجاز لنا سائرها)<sup>(٢)</sup> .

وفي بلاط بني عباد باشبيلية نشأ العلامة ابو بكر محمد بن عبد الله ابن محمد بن العربي المعافري (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٨ م) وكان والده وزيرا في الدولة العبادية فلما زال سلطانها توجه بابنه الى المشرق (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) للترؤد بالعلم ولقاء العلماء ، وكان ابو بكر خلال ذلك مخلصا في طلب العلم ساعيا في اكتسابه شديد الصبر والجلد في سبيل ذلك ، ثم عاد الى وطنه سنة (٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) حيث اتجه الى نشر علومه ومعارفه<sup>(٣)</sup> .

ويتجلى نبوغ ابي بكر مبكرا فهو يقول عن نشأته (و حذقت القرآن ابن تسع سنين ، ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ستة عشر وقد قرأت من الاحرف نحو امان عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنست في العربية والشعر واللغة ، ثم رحل بي ابي الى المشرق ...) (٤)

وقد ادرك ابن العربي مدى ما اكتسبه من العلم والمعرفة وسعة تحصيله العلمي ، وعرف معرفة الواثق بنفسه لا المغرور بها مابلغه من درجة

(١) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ق ١ (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٢) الصلة ، ج ٢ (ص ٥٧٧) .

(٣) عياض : الغنية (ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨) ، ابن خاقان : المطمح (ص ٢٩٧

٢٩٨ - ٢٩٩) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٥٩٠ - ٥٩١) ، ابن

فرحون : الديباج ، ط / المكتبة العلمية (ص ٢٨١) وما بعدها ،

النباهي : تاريخ قضاة الاندلس (ص ١٠٥ - ١٠٦) ، المقرئ : النفح

ج ٢ (ص ٢٩ - ٣٠) .

(٤) المقرئ : النفح ، ج ٢ (ص ٤٣) .

رفيعة بين العائدين الى وطنهم اثر رحلاتهم العلمية الى المشرق فكان  
يذكر ان كل من ارتحل الى المشرق لم يأت بمثل ما اتى به من علم سوى  
الباجي .<sup>(١)</sup>

واشتهر ابو بكر بحبه للعلم وشغفه الشديد بمطالعة كتبه بلا كلل  
ولاملل ، حتى انه كان ينام والكتب عن يمينه ويساره ، وكانت له ثياب واسعة  
طويلة يلبسها ليلا وينام فيها اذا غلبه النوم ، فاذا استيقظ في اى ساعة  
من الليل مد يده الى كتاب فيقرأه ، والمصباح مضاء لا يطفأ ابداً .<sup>(٢)</sup>

ونظرا لعلو مكانته في الفقه فقد ولى القضاء ، فكان عادلا منصفا  
متحررا للحق في احكامه ، شديدا على اهل الباطل ، صارما في معاملتهم  
والاخذ على ايديهم بما يمليه الحق مما كان له الاثر في نمورج العداوة من  
بعض الاشخاص الذين كادوا له وسعوا في التضيق عليه و نهب كتبه وامواله  
فواجه كل ذلك بقلب صابر وعزيمة لاتلين وانصرف عن القضاء فتفرغ للعلم  
وصنف فيه كتباً نفيسة .<sup>(٣)</sup>

وقد صنف ابو بكر في الفقه كتباً عديدة منها كتاب " القبس فـى  
شرح موطأ مالك بن انس " و " ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك " و " الانصاف  
فى مسائل الخلاف " فى عشرين مجلداً .<sup>(٤)</sup>

ويشير الضبى فى معرض كلامه عن مصنفات ابن العربى ، انه قضى

- 
- ( ١ ) المقرئ : نفس المصدر والجزء ( ص ٢٩ ) .  
( ٢ ) الضبى : بغية الملتص ( ص ٩٤ ) .  
( ٣ ) النباهى : المصدر السابق ( ص ١٠٥ - ١٠٦ ) ، نقلا عن ابن الزبير فى  
كتابه الصلاة ، وانظر المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٢٩ - ٣٠ ) وللتوسع فى  
ترجمته انظر ج ٢ ( ص ٢٥ - ٤٣ ) .  
( ٤ ) المقرئ : النفح ، ج ٢ ( ص ٣٥ - ٣٦ ) ، وانظر كذلك البغدادى :  
هدية العارفين ، ج ٢ ( ص ٩٠ ) .

عدة مجالس علمية في قرطبة لاملأ كتابه " القبس في شرح موطأ مالك بن انس" على طلبه العلم ، فاخذه الكثير عنه ومنهم شيوخ الضبي<sup>(١)</sup> .

وحفل هذا العصر بعدد وافر آخر من الفقهاء الا انهم اقل منزلة ممن سبق ذكرهم ويأتى في مقدمة هؤلاء العلامة الفقيه خلف مولى يوسف بن بهلول المعروف بالبربلى نسبة الى قرية من عمل بلنسية (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) وقد تمكن خلف بسعة علمه ووقور معارفه في الفقه من تولى منصب مفتى بلنسية في عهد اميرها عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن المنصور العامري (٤١١-٤٥٢م) وهذا المنصب لا يتولاه الا من رسخ قدمه في الفقه واستوعب مسائله واحكامه ، ولاغرو في ذلك فقد كان خلف فقيها حافظا للمسائل ، وصنف مختصرا للمدونة ، وصف بالاهمية وانه جمع فيه احوال وآراء اصحاب الامام مالك بن انس فكان عظيم الفائدة كبير القيمة<sup>(٢)</sup> .

ولعل من شواهد علمه وسعة معارفه ما ناله كتابه المذكور من تقدير وثناء من العلماء ، وما كان له من منزلة رفيعة بين طلبه العلم الذين سارعوا في اقتنائه لما له من فائدة جلية وخاصة في ميدان المناظرة العلمية .

ويبلغ من اهمية كتاب البربلى ان وصلت منه نسخة الى صقلية فتناقص الفقهاء في اقتنائها وشرائها ، ولما شاهدوا العلامة عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي (ت ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م) حاله ما حواه ذلك الكتاب من العلم الغزير فسعى الى شرائه فلم يتيسر له ثمنه مما اضطره الى بيع بعض اثاث داره واشترى ذلك الكتاب<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) البغية (ص ٩٣) .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ (ص ١٦٩) ، عياض : ترتيب المدارك، ج ٤

(ص ٨٢٩) .

( ٣ ) ابن فرحون : الديباج المذهب (ص ١١٣-١١٤) .

ولا غرابة فيما وصف به هذا الكتاب وما ناله من تقريظ العلماء ، فقد قال  
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ( من اراد ان يكون فقيها من ليلته فعليه  
بكتاب البريلى )<sup>(١)</sup> .

وفى مملكة بنى عباد بقرطبة نبغ العلامة محمد بن عتاب بن محسن  
القرطبي ( ت ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ) وكان موصوفا بالعلم والحفظ الواسع لعدد من  
العلوم ، ولكنه برع اكثر فى علوم الدين ومن بينها الفقه ، حتى انه قدم  
للشورى وهو ابن احدى وثلاثين سنة ، فتهيب ذلك تهيب العلماء الاتقياء<sup>(٢)</sup> .

وكان المعتمد بن عباد يجله ويعرف منزلته فزاره فى داره بقرطبة  
عندما استولى عليها ، ولما توفى شهد جنازته ومشى فيها راجلا على قدميه<sup>(٣)</sup> .

وفى مملكة بنى عباد ايضا لمع نجم الفقيه ابو القاسم حاتم بن محمد بن  
عبد الرحمن التميمي العروف بابن الطرابلسي ، من اهل قرطبة ( ت ٤٦٩ هـ /  
١٠٧٦ م ) واصله من طرابلس الشام اخذ علومه ومعارفه بوطنه الاندلس ثم  
رحل الى المشرق ( ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ) وتنقل بين مراكز العلم المختلفة  
هناك ، يلتقى بالعلماء والفقهاء ويأخذ عنهم ويسمع عليهم علوم الحديث  
والفقه ثم انصرف الى الاندلس ، وقد اكتسب علما واسعا ، وجلس للتدريس حيث  
انجفل اليه الكثير من طلبة العلم<sup>(٤)</sup> .

ومما يلفت النظر فى سير هؤلاء العلماء مدى اخلاصهم واجتهادهم فى  
طلب العلم ونشره . وقد مر بنا فى سيرة ابى الوليد الباجي كيفانه وظف

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ١٦٩ ) .  
( ٢ ) عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ( ص ٨١٠ - ٨١١ ) ، ابن بشكوال : الصلة  
ج ٢ ( ص ٥٤٤ ) ، ابن فرحون : الديباج ( ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ) .  
( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٤٥٦ ) وانظرها مش الاصل الذى كتبه  
ابن بشكوال نفسه .  
( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ، ( ص ١٥٧ - ١٥٨ ) .

نفسه حارسا لاحد دروب بغداد فى سبيل تحصيل مايقم اوده ، وكذ لك ماروى عن ابى بكر بن العربى من مواظبة على مطالعة كتبه باستمرار حتى انه لم يكن يطفى مصباحه ليلا لرغبته فى دوام مطالعته لما بين يديه من كتبه خلال الليل .

وكان الكثير من هؤلاء الفقهاء لا يقعه عن تحصيل العلم واكتساب المعرفة وبشها كبر او وهن بل كأنهم مع ذلك يزدادون قوة وجلدا على نيل العلم ونشره ، فهذا الفقيه - اى حاتم بن محمد - لم يزل جادا عاملا على التزود بالمعرفة ساعيا فى تعليم طلابه حتى قال فيه ابو الحسن بن مغيث ( لم يزل مثابرا على حمل العلم وبشه ، والقعود لاسماعه والصبر على ذلك مع كبر السن ، وانهداد القوة )<sup>(١)</sup> .

وكان الفقيه محمد بن عبد الله البكرى المعروف بابن ميقل المرسى ( ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م ) من اعلام امارة بنى طاهر ، وذاع صيته بالتمكن فى الفقه وحفظه التام لمذهب الامام مالك ، مع براعته فى فهم مسائله وقضاياه الفقهية حتى عد من بين من يحتج بقوله ورأيه<sup>(٢)</sup> .

ويمثله الفقيه احمد بن سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب التجيبى الباجى ( ت ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ) وكان من اعلام وفقهاء مملكة سرقسطة وكان قد خلف اباه فى حلقة العلمية بعد وفاته ووصف بالعلم والفهم فى الفقه ، وان له تواليفا قيمة فى ذلك<sup>(٣)</sup> .

وكان للنساء دور كبير فى نشاط هذا العلم ، فقد امدتنا كتب التراجم

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ( ص ١٥٨ - ١٥٩ ) .

( ٢ ) عياض : المدارك ، ج ٤ ( ص ٧٥١ ) .

( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٧١ ) .

بعدد من اسماء الفقيهات اللاتي اسهمن في ازدهار الفقه وتعليمه لبنات  
جنسهن ، ومنهن الفقيهة طونة بنت عبد العزيز بن موسى ( ت ٥٠٦ هـ /  
١١١٢ م ) والتي اخذت علومها عن الحافظ ابي عمر بن عبد البر النمري  
وقرأت بعض مصنفاته الفقهية ، كما اخذت عن الفقيه احمد بن عمر بن  
انس العذري ، ووصفت بالدين و العلم و جلالة القدر .<sup>(١)</sup>

كما ان خديجة بنت جعفر بن نصير بن الثمار التميمي ، حدثت عن زوجها الفقيه عبد الله بن اسد بموطأ القعنبي <sup>(٢)</sup> قراءة عليه بلفظها في اصله وقيدت فيه سماعها بخطها في عام ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م . وقد حبست كثيرا من كتبها على ابنتها ، ورأى بعضها ابن بشكوال <sup>(٣)</sup> .

ومن فقيهاً النساء راضية مولاة عبد الرحمن بن محمد الناصر، وتدعى بنجم (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣١م) حجت مع زوجها لبيب الفتى، وكانا في رحلتها يأخذان عن العلماء، ويقيدان ما يسمعهن منهم، وروى عنها أبو محمد بن خنيزج وقال: عندي بعض كتبها<sup>(٤)</sup>.

واخيرا فهؤلاء هم ابرز الفقهاء في عصر ملوك الطوائف، وهناك الكثير منهم ممن لا يستوعبهم البحث، بل تحتاج سيرهم وتراجمهم الى مجلدات

(١) ابن بشكوال : الصلاة، ج ٢ (ص ٦٩٦-٦٩٧) .

(۲) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب (ت ۲۲۱هـ / ۸۳۵م) مدني سكن البصرة وروى عن مالك بن انس ووصف بالسعلم والفقه . ابن عبد البر:

الانتقاء (ص ٦١) .

(٣) الصلاة ج ٢ (ص ٦٩٣) .

(٤) ابن بشكوال : الصلاة، ج ٢ (ص ٦٩٣ - ٦٩٤) .

(١) طويلة، هذا الى جانب مانهجنائه في دراستنا من محاولة التركيز على  
ابرز العلماء واسعهم نشاطا في ميادين العلم المختلفة .

وبعد هذا العرض ينتهي الباحث الى حقيقة هامة وهي ان الدراسات  
الفقهية في هذا العصر رغم الاضطرابات السياسية الا انها ظلت سائرة  
مزدهرة ومن غير شك ان عصر الخلافة كان له اثر كبير في ترسية دعائم  
الحركة العلمية وتغذيتها بنوابغ العلماء الذين شهدوا كلا العصرين كالفقيه  
ابن حزم وصديقه ابن عبد البر النمرى ولم يرض علينا عصر ملوك الطوائف  
بامثالهم، فكان حاقلا بالعديد من كبار الفقهاء امثال ابي الوليد الباجي  
ومحمد بن احمد بن رشد، وابن العربي وغيرهم . وهؤلاء العلماء قد  
اسهموا في نشاط تلك الدراسات و اضافوا الكثير من انتاجهم الى المكتبة  
الفقهية، وعملوا طوال حياتهم على ان يكون لهم دور فعال، وجهد واضح  
لموس في تراث هذه الامة وفكرها وهو ماخلدته كتب التاريخ والتراجم  
فاشادت بهم واسبغت عليهم الثناء العاطر لجهودهم الموفقة .

- 
- (١) انظر مثلاً : ترجمة عبد الرحمن بن احمد في ابن الصلح لابن بشكوال، ج ١  
(ص ٣٢٦) ، و ترجمة محمد بن عيسى السلمي في ابن جذوة الاقتباس للقاضي  
الاقتباس، ق ١ (ص ٢٥٣) ، و ترجمة ابن حمد بن التغلبي في عياض :  
لعياض (ص ٤٦) ، و ترجمة اصبع بن محمد في ابن الصلح لابن بشكوال .  
ج ١ (ص ١٠٩) ، و ترجمة احمد بن محمد في ابن الصلح لابن بشكوال .  
ج ١ (ص ٦٥) ، و ترجمة احمد بن محمد بن القطان في الصلح .  
لابن بشكوال، ج ١ (ص ٦٢) ، و ترجمة يونس بن محمد بن مغيث في المعجم .  
لابن الأبار (ص ٣٣٢) ، و ترجمة عبيد الله بن محمد بن مالك في  
الصلح لابن بشكوال، ج ١ (ص ٣٠٣) ، و ترجمة ابن السكوك :  
شجرة النور الزكية لمخلوف، ج ١ (ص ١٣٤) ، و تاريخ الاسلام  
للذهبي، ج ١٢ (مخطوط) ورقة ٤٧ ب .



( الحديث ث )

- \* منزلة علم الحديث عند المسلمين واهتمامهم به ..
- \* صبر علماء الحديث على تحصيله وطلبه ..
- \* عناية الأئندلسيين بكتب الصحاح والسنن ..
- \* ابرز علماء الحديث وانتاجهم العلمى ..

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

( منزلة علم الحديث عند المسلمين واهتمامهم به )

نال هذا العلم من المسلمين عناية عظيمة قلما نالها علم آخر . وكان هذا عائدا الى مصدره الشريف وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعنى علماء المسلمين بالحديث والتحري عن صحته ووضع قواعد واسس لمعرفة صحيحه من زائفه . واستعانوا بالتاريخ والتراجم فى دراسة احوال الرواة ومدى توفر عوامل الثقة والأمانة فيهم ليتسنى الوقوف على سلامة الحديث من ضعفه حتى قال سفيان الثوري ( لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ )<sup>(١)</sup> .

وجدير بالذكر ان للمشاركة دورا فعالا فى ازدهار هذا العلم ، ودفع عجلة نشاطه فى الاندلس . وكان للرحلات التى قام بها الاندلسيون ابعدا الاثر فى نقل كثير من معارف المشاركة ومصنفاتهم الى الاندلس ، وهذا بالتالى وسع دائرة البحث والدراسة فى هذا العلم وعمق نشاطه فى الاندلس .

( صبر علماء الحديث على تحصيله وطلبه )

وما من شك ان علماء الحديث كانوا فى الصدارة من حيث الصبر والجلد على العلم والاستهانة بالمشاق والمتاعب فى رحلاتهم التى يبتغون من وراءها لقاء العلماء وسماع الحديث من افواههم . وتحفل كتب التراجم والطبقات بمعلومات مثيرة عن صبر اولئك العلماء على تحصيل العلم . فمن اشهر ما تعرض له الراحلون فى طلب الحديث ما وقع لبقى بن مخلد ( ٢٧٦هـ / ٨٨٩م ) عند ما رحل الى المشرق على قدميه لمقابلة الامام أحمد بن حنبل

( ١ ) ابن الصلاح : علوم الحديث ( ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ) .

وصادف ان كان وصوله متزامنا مع محنة الامام أحمد وقد أمر بملازمة بيته وعدم الخروج للتدريس . فكان بقى يأتى الى داره فى هيئة فقير سائل وكأنه يسأل حازه فيخرج اليه الامام أحمد فيحدثه بالحديثين والثلاثة حتى زالت محنته فلازم حلقاته العلمية<sup>(١)</sup> .

وقد سبقت الاشارة الى اضطرار ابي الوليد الباجى الى القيام بالحراسة على درب من دروب بغداد ليلا وكان يستغل ضوء سراجيه فى قراءة الكتب ومطالعتها<sup>(٢)</sup> . ( عناية الاندلسيين بكتب الصحاح والسنن )

والجدير بالذكر ان علماء الحديث من الاندلسيين تناولوا كتب الصحاح والسنن المشهورة وأولوها عناية واهتماما بالغين فدروها وشرحوها وعلقوا عليها . فاذا تناولنا صحيح البخارى وجدنا بين علماء الأندلس من يحفظه عن ظهر قلب مع فهمه الواسع باحاديثه . فهذا احمد بن محمد بن مغيث الصدق الطليطلى ( ت ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م ) . كان حافظا لصحيح البخارى عالما به عارفا برجاله<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) الغليمى : المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام احمد . ج ١ ص ٢٦٠ .

( ٢ ) الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٠٩ .

( ٣ ) البخارى هو : محمد بن اسماعيل الجعفى مولا هم ( ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ ) البخارى الحافظ الكبير صاحب الجامع الصحيح رحل فى طلب الحديث الى كثير من البلاد والف كتابه العظيم الذى قال فيه ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ( ابن خلكان

وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٨٨ ) .

( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٦١ .

كما ان العلامة المحدث محمد بن هاشم الهاشمي من سرقة عاصمة  
بنى هود . كان يقرأ من حفظة صحيح البخارى على طلبة العلم بين صلاة  
المغرب والعشاء . وهو فى ذلك حافظا للسند دقيقا فى سرده لا يخل  
بشيء منه .<sup>(١)</sup>

ومن سرقة ايضا العلامة عبد الله بن عيسى الشيباني ( ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م )  
وصف بالحفظ والاتقان لصحيح البخارى وسنن ابى داود . وانه وضع شرحا  
وتعليقا على صحيح مسلم لم يتمه<sup>(٢)</sup> ولم تقف همه الا ندى لسيين على حفظ صحيح  
البخارى . بل كانوا شديدي العناية بشرحه وتوضيحه وتبيان ما يلحق  
ببعض احاديثه من غموض والتباس . فمن اهم شراح صحيح البخارى العلامة  
المحدث على بن خلف من عبد الملك ابن بطال المعروف بابن اللوام  
( ت ٤٩٩ هـ / ١٠٥٧ م ) من اعلام دولة بن جمهور بقرطبة . وكان عاكفاً  
على دراسة صحيح البخارى . فوضع فيه شرحا يقع فى عدة اسفار تناقلته  
العلماء وتداولوه بينهم لجلالة قدره .<sup>(٣)</sup>

وصنف العلامة المحدث على بن خلف البكرى من اعلام مملكة بنى عباد  
بقرطبة ( ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨٣ م ) . شرحا لصحيح البخارى . نال استحسان  
العلماء وحاز اعجابهم لنفاسته وقيمته العلمية الرفيعة فتناقصوا فى اقتنائه .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ابن بشكوال : نفس المصدر ج ٢ ص ٥٥٢ - من اصحاب ابى على

الصدفى ( ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ) .

( ٢ ) ابن بشكوال : نفس المصدر ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٢١٤ .

( ٤ ) عياض : ترتيب الملاك ج ٤ . ص ٨٢٧ .

ولكلا العالمين محمد بن علي بن ابراهيم الاموى من مملكة بنى ذى النون  
بطليلة ( ت ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ) ومحمد بن سعيد المري من اهل المريسة  
( ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ) شرحا على صحيح البخارى .<sup>(١)</sup>

والعلامة جابر من غالب بن سليم الجذامى من مملكة بنى عباد باشيلية  
( ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ) وصف بالعناية الفائقة بعلوم الحديث واحاطتـه  
بفهمها . وصنف فى شرح صحيح البخارى كتابا سماه ( ترتيب الطرر ) . يتم  
عن براعته ومهارته فى الحديث .<sup>(٢)</sup>

وللعلامة المحدث الكبير المهلب بن احمد بن ابى صفرة من امارة المرية  
( ت ٤٣٥ / ١٠٤٣ م ) كتاب فى شرح صحيح البخارى وصف بالاهمية والقيمة  
العلمية الكبيرة .<sup>(٣)</sup>

وبهذا يتبين لنا مدى عناية اولئك العلماء بمصادر الحديث الشريف  
وما بذلوه من جهود كبيرة فى دراسته وشرحه وتبيان ما يحويه من احكام  
وآراء تشريعية الى جانب نشاطهم فى نشر الاحاديث الكريمة التى حواها  
صحيح البخارى الذى اعتبره المسلمون المصدر الموثوق للتشريعات بعد  
القرآن الكريم .

ولم يكن صحيح مسلم باقل اهمية من حيث العناية والاهتمام من قبل  
اولئك العلماء بل ( كثرت عناية علماء المغرب به واكتبوا عليه واجمعوا على

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

( ٢ ) ابن الابار : تكملة الصلاة ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

( ٣ ) الذهبي : العبر ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

تفضيله على كتاب صحيح البخارى من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه  
واكثر ما وقع له فى التراجم (١) .

ونظرا لاهتمام المغاربة والاندلسيين بصحيح مسلم فقد صنف العلامة  
محمد بن على بن عمر التميمي المازري ( ت ٣٢٤ هـ / ١١٤١ م ) . من اهل  
صقلية . كتابا فى شرح احاديث صحيح مسلم يعتبر من اوائل شروحات هذا  
الكتاب وسماه المعلم بفوائد مسلم . ثم اكمله العلامة القاضى عياض وسماه  
اكمال المعلم . واخيرا اضاف العلامة النووى اليه شروحا أخرى (٢) .

وللعلامة عبد الله بن عيسى الشيبانى من مملكته بنى هود بسرقة  
( ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ) عناية بالغة بصحيح مسلم . حتى حفظه وصنف  
فى شرحه كتابا لم يتمه . وعلاوة على ذلك فقد كان حافظا لصحيح البخارى  
وسنن ابى داود (٣) .

والف العلامة المحدث عبد الله بن احمد بن سعيد من مملكة بنى عباد  
باشبيلية ( ت ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ) كتب مختلفة فى الحديث وعلومه . ومن

(١) ابن خلدون : المقدمة . ص ٤٤٣ . ومسلم . هو مسلم بن الحجاج  
النيسابورى القشيري ( ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ) احد الائمة الحفاظ واعلام  
الحديث ارتحل الى عدد من الاقطار فى طلب العلم وكان يقول  
عن كتابه صنف هذا السنن من ثلثمائة الف حديث مسموعة ( انظر  
ابن خلكانه وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٩٤ ) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٣ ، وانظر محمد الشاذلى النيفر :

المازري الفقيه المتكلم وكتاب المعلم ص ٨٢ وما بعد ها .

(٣) ابن بشكوال . الصلة ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

بينها كتاب " المنهاج في رجال مسلم من الحجاج " (١).

ويمثله في هذا التصنيف ما ألفه أحمد بن طاهر بن علي الخزرجي  
من اهل دانية ( ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ) عن رجال صحيح مسلم بن الحجاج .  
وهكذا نلمس مدى اهتمام علماء الحديث من الاندلسيين بكتب الصحاح  
وما اضافوه من اضافات علمية مهمة ، مهدت الطريق امام المتطلعين لدراسة  
احاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك القطر . ووضحت سبيل  
الادراك لكثير من الاحاديث التي تشوبها الوان من الغموض والالتباس  
فبينوا مقاصدها واجلوا عنها ما قد يعيق فهمها ومعرفتها .

ولم يتوقف اهتمام الاندلسيين على كتابي البخاري ومسلم بل درسوا  
السنن الاربعة المشهورة . فالعلامة ابو الحسن رزين بن بمعوية العبدري  
( ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ) من مملكة بنى هود بسرقة صنف كتابا في جمع  
ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ و سنن النسائي والترمذي وابي داود  
وسماه تجريد الصحاح . وقد لقي هذا الكتاب في اوساط اهل الحديث  
منزلة سامقة وحاز اعجاب العلماء وتناءهم في المشرق والمغرب على حد  
سواء (٣) . ( ابرز علماء الحديث ونتاجهم العلمي )

وفي هذا العصر برز الكثير من علماء الحديث سنتقتصر الحديث عن  
ابرزهم من حيث النشاط العلمي فياتي في مقدمة هؤلاء العلامة المحدث

(١) ابن بشكوال الصلة ج ١ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ج ١ ص ٤٤٠ .

(٣) ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ص ١٢٣ - المقرئ : النفخ

ج ٣ ص ١٨٠ وانظر ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

المهلي بن احمد بن اسيد ابن ابي صفرة الاسدي من اهل السرية ( ت ٤٣٥  
٤٣٠ م ) وقد وصف هذا العالم بالمعرفة والذكاء والفهم في علوم الدين عامة  
ولكنه تميز برسوخه في الحديث حتى قال فيه العلامة ابو عمرو بن الحذاء ( كان  
اذهن من لقيته وافصحهم وافهمهم ) ( ١ ) .

وينسب الى هذا العالم الكبير انه احيا العمل بصحيح البخارى ولفت  
انظار العلماء لاهميته وتناوله بالدراسة والبحث . . ولم يتوان هو عن  
اداء هذه المهمة فقد توفر على تدريسه وشرحه لطلبة العلم . ووضع مصنفاً  
قيماً في ذلك واختصره في مصنف سماه . . التصحيح في اختصار الصحيح " وعلق  
عليه تعليقات مفيدة اخذها عنه العلماء وطلبة العلم . ( ٢ )

واختصر هذا الشرح تلميذه محمد بن خلف بن المرابط الصدفي  
( ٣ ) ( ٤٨٥ هـ / ١٠٨٢ م ) و اضاف اليه اضافات قيمة .

وتألف العلامة الكبير ابو الوليد سليمان الباجي ( ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ -  
١٠١٢ م - ١٠٨١ م ) من مملكة بني هود بسرقة في علم الحديث وقد سبقت  
الاشارة الى ارتحاله الى المشرق واقامته به ثلاثة عشر سنة ولقاءه

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٢٦ .

( ٢ ) عياض : ترتيب المدارك ج ٤ ص ٧٥١-٧٥٢ - الذهبي : العبر  
ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥ ابن فرحون : الد . يبا ج مطبعة المكتبة  
العلمية ص ٣٤٨ . ابن الخطيب الاحاطة ج ٣ ص ٣٠٣ - الحنبلي  
شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٨-٢٥٦ حاجي خليفة كشف الظنون -

ج ١ ص ٥٤٥ .

( ٣ ) حاجي خليفة ، كشف الظنون ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .



اعلام الفقه والحديث هناك ومنهم ابو ذر الهروي <sup>(١)</sup> .

وعاد الباجي الى الاندلس مملؤ الوطاب فقها وحديثا ، فكان احـد  
حفاظ الحديث المشهورين وصفه تلميذه ابو على بن سكره بقوله ( ما رأيت  
مثله ، وما رأيت على سمته وهيئة وتوقيع مجلسه ، وقال هو أحد ائمة المسلمين <sup>(٢)</sup> .  
ولا بى الوليد عدد من الكتب فى علم الحديث منها " التعديل والتجريح  
فيم روى عنه البخارى فى الصحيح . وكتاب الاستيفاء فى الفقه والحديث  
وكتاب " الجرح والتعديل <sup>(٣)</sup> .

ونظرا لعلو منزلة الباجي العلمية وذو عحيته : كاحد اقطاب المذهب  
المالكي فقد رأى فيه الفقهاء خير نصير لهم على خصمهم اللدود ابن حزم  
الظاهرى فدارت بين الاثنين مناظرات علمية مشهورة تقلص على اثرها نشاط  
ابن حزم الظاهرى ودفعه ذلك الى اعتزال الناس <sup>(٤)</sup> .

وللعلامة الحافظ ابن عبد البر النمري ( ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) من  
مملكة دانية اهتمامات واسعة بالحديث فقد كان ماهرا بالحديث بارعا فى  
علوم عارفا باحواله متنا وسندا حتى قال فيه ابن الوليد الباجي ( لم يكن  
بالاندلس مثلى ابى عمر فى الحديث ) <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

( ٢ ) ابن بشكوال الصلاة ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

( ٣ ) الدادوى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وانظر بـقية  
مصنفاته فيما يلى تلك الصفحة .

( ٤ ) انظر علم الفقه فقد سبقت الاشارة الى هذه المناظرات .

( ٥ ) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٢٨ .

وله فى هذا المضمار د راسات قيمة . فقد صنف فى الحديث كتاب  
التقصى لحديث الموطأ وكتاب " الكنى فى رجال الحديث . . و " كتاب " —  
الشواهد فى اثبات خبر الواحد " وكتاب الانباء على قبائل الرواه فى  
اسماء رجال الحديث <sup>(١)</sup> ، كما انه اختصر تاريخ احمد بن سعيد المنتجيلي  
الذى صنفه فى تاريخ الرجال وما قيل فيهم من جرح او تعديل <sup>(٢)</sup> .

ولابن حزم ( ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) صديقه مشاركة عظيمة فى ازدهار  
علوم الحديث ، فقد صنف كتاب الجامع فى صحيح الحديث . . وكتاب " شرح  
حديث الموطأ والكلام على مسائله " و " ترتيب مسند يقي بن مخلد " و " اجوبة من  
صحيح البخارى وكتاب " هم السنن " وغيرها <sup>(٣)</sup> .  
وكان الحافظ ابو على الحسين - محمد بن احمد الغسائى ( ٤٢٧ هـ /  
٤٩٨ هـ / ١٠٣٥ م / ١١٠٤ م ) من اعلام مملكة بنى عباد فى قرطبة ( من  
جهايزة المحدثين " وكبار العلماء المسندين . وعنى بالحديث وكتبه  
ور وايتة وضبطة رجل الناس اليه ، وعولوا فى الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد  
الجامع بقرطبة وسمع منه اعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلتها <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) الذهبى : المصدر السابق ج ٣ ص ١١٢٩ - ١١٣٠ .

( ٢ ) الحميدى : الجذوة ص ١٢٥ .

( ٣ ) عبد الحليم عويس : ابن حزم الظاهرى ص ١١٢ وانظر بقية مصنفاته  
فى نفس الصفحة وما يليها .

( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ وانظر ما يتضمنه هذا المعنى

القاضى : عياض الغنية ص ٢٠١ - ابن عطية : الفهرس ص ٥٦ - ٥٧ —

ابن الابار : المعجم ص ٧٩ - ٨٠ ابن خلكاه : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨٠ .

ويشير القاضي عياض الى ان افراد ابى على الصد في امامة الحديث في  
الاندلس لم يكن الا بعد وفاة ابى على الغساني الذي كان يعتبر اخر المسندين  
وكبير حفاظ الحديث .<sup>(١)</sup>

وكان ابو علي حريصا في نشر علمه بين الناس ساعيا في تحقيق ذلك  
مع جميل الاخلاق وحسن السيرة . فانجفل اليه طلبة العلم والراغبون في  
دراسة الحديث وعلومه ، وكان بين الدارسين عليه عدد من العلماء الكبار  
ومنهم الحافظ ابو علي الصد في ، والفقيه المفسر ابن عطية الذي التقى به  
في غرناطة ( ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م ) فاستجازه وسمع منه . ثم التقى به مرة أخرى  
واقام لديهم نحواً من شهر وقرأ عليه موطأ مالك بن أنس .<sup>(٢)</sup>

وفيما يتعلق بانتاجه العلمي فقد صحح بعض الكتب المصنف في الحديث  
كما ألف كتابه الشهير على الصحيحين المسمى بـ " تقييد المهمل " وتسمى  
المشكل " ضبط فيه كل لفظ مبهم يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين ولم يدخر  
جهداً في توضيح ما غمض في ذلك ، ووصف هذا الكتاب بعظم الفائدة وجلالة  
القدر .<sup>(٣)</sup>

وخلف اباً علي في امامة الحديث في الاندلس تلميذه وصديقه الحافظ  
ابو علي الحسين بن محمد بن خيرة الصد في ( ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ) أصله  
من مدينة سرقطة ونشأ فيها واخذ عن علمائها امثال ابى الوليد الباجي . ثم

( ١ ) ابن الأبار : المعجم ص ٧٩ - ٨٠ .

( ٢ ) ابن عطية : الفهرس ، ص ٥٦ - ٥٧ .

( ٣ ) عياض : الغنية ص ٢٠٢ - ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ١٤٣ - ٢٤٤ —

الضبي بغية الملتص ص ٢٦٥ - ٢٦٦ - ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٨٠ .

انتقل الى المرية وبلفسية . حيث التقى بعلمائها امثال العذرى وابن سعدون ، ثم شد رجاله الى المشرق فسمع على كبار العلماء والمحدثين فى مصر ومكة والعراق والشام <sup>(١)</sup> .

ويذكر القاضى عياض انه صنف فى شيوخه كتابه " المعجم " حيث تحدث عن ابي على وحياته وسيرته العلمية ثم اشار الى شيوخه واخبارهم ، وهم نحو مائتى شيخ <sup>(٢)</sup> .

كما ان ابن الاثير اكمل ذلك الكتاب فصنف كتابه " المعجم " ذكر فيه تلاميذ ابي على ومعاصريه ممن شاركوه العلم واخذوا عنه واخذ عنهم <sup>(٣)</sup> .

وقصد ابو على مرسية بعد عودته الى الاندلس واستوطنها فبث علومه ومعارفه بجامعها وقصده الناس يدرسون عليه وياخذون عنه وطارصيته بالعلم والتمكن فى الحديث وعلومه ولا غرو فى ذلك فقد ( كان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلمه واسماء رجاله ونقلته . يبصر المعدلين منهم والمجرهين ) <sup>(٤)</sup> .

ومن دلائل براعته وتضلعه فى حفظ الصحيحين ما اشار اليه القاضى عياض من ان ابا على قال لبعض تلاميذه خذ الصحيح فاذكر اى متن شئت منه اذكر لك سنده او اى سنده شئت اذكر لك متنه <sup>(٥)</sup> .

(١) عياض : الغنية ص ١٩٤ .

(٢) الغنية ، ص ١٩٤ .

(٣) المعجم ص ١ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٥) ابن فرحون : الديباج ، ص ١٠٥ - المقرئ - نفح الطيب ج ٢ ص ٩٢ .

( ٣٠١ )

وكان جل اهتمامه منصبا على العناية بصحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى فكان حافظا عالما بمشونها واسانيدها . عارفا برواتها . وكتب بيده نسخه من صحيح البخارى ونسخه من صحيح مسلم ايضا .<sup>(١)</sup>

وكتب اليه المحدث المفسر ابن عطية يستجيزه جميع روايته ، فكتب اليه بذلك ثم لقيه بمرسية ، وقرأ عليه كتاب الترمذى رحمه الله .<sup>(٢)</sup>

كما ان ابن بشكوال نال منه - اى من ابي على الصدفى - اجازة ما رواه بخطه . ووصفه بقوله ( هو اجل من كتب الينا من شيوخنا من لم ألقه ) .<sup>(٣)</sup>

وبرز فى عصر ملوك الطوائف فى مملكة غرناطة العلامة المحدث أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب المحاربى الغرناطى ( ٤٤١ هـ - ٥١٨ هـ / - ١٠٤٩ م - ١١٢٤ م ) . وكان معدودا من حفاظ الحديث الكبار . العارفين بطرقه وعلمه . واسماء رجاله ونقلته . عميق الفهم فى مسائله . حافظا لمؤنه ومعانيه .<sup>(٤)</sup>

وكان شديد العناية بالعلم فى جميع اوقاته ، حتى روى انه ربما يوقظ ابنه عبد الحق فى الليلة مرتين ليدون معلومة او يسجل فائدة علمية تتعلق بكتابه الذى الفه فى التفسير .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٤٦ .

( ٢ ) الفهرس ÷ ص ٧٤ - ٧٥ .

( ٣ ) الصلة ، ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٤٥٧ .

( ٥ ) الضبي : بغية الملمس . ص ٤٤١ .

وهذا يعطينا دلالة واضحة على ما كان يوليه أولئك العلماء من عناية واهتمام بتأليفهم حتى تظهر في صورة رفيعة وعلى اكمل حال من الاحاطة والشمول والدقة والفائدة .

ومما تجدر الاشارة اليه ما عرف عن العلامة غالب بن عبد الرحمن من توفره على دراسة صحيح البخارى لاهتمامه بتدريسه لطلبة العلم . وقد ابدى فى ذلك صبرا وجلدا حتى ذكر أحد العلماء انه كرر قراءة وتدريس صحيح البخارى سبعمئة مرة .<sup>(١)</sup>

وربما كانت اصابة ذلك العلامة الكبير والمحدث الجليل بالعمى آخر عمره<sup>(٢)</sup> فيه ما ينم عن حياته الحافلة بالدراسة وتحصيل العلم والاطلاع الواسع على مصادر المعرفة فى الحديث وغيره من علوم الدين .

وفى اواخر عصر ملوك الطوائف ظهر بعض العلماء الكبار فى الحديث منهم العلامة المحدث ابو القاسم احمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي ( ٤٦٥ / ٥٤٠ هـ / ١٠٧٢ - ١١٤٥ م ) من اهل المرية - كان من المتمكنين فى الفقه والحديث الى جانب معرفته بالاصول وعلم التفسير .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ الكتيبى - عيون التواريخ

ج ١٢ ص ١٦٨ .

( ٢ ) انظر ابن بشكوال : الصلاة ج ٢ ص ٤٥٨ والداودى : طبقات

المفسرين ج ٢ ص ٢٧ .

( ٣ ) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٤١ - الداودى : طبقات

المفسرين ج ١ ص ٨٥ .

وكان والده من اهل القيروان ورد الاندلس وحل بمدينة المرية فاستوطنها وطاب له المقام وفيها نشأ ابنه احمد ( فكان عالمها المنظور اليه . وهبها المجمع عليه مع التحقيق ودقة النظر ولطف الاستنباط وتوقد الذهن <sup>(١)</sup> ) .

ومن الطريف ان ابا القاسم واخاه- عبد الملك كانا في بداية حياتهما مشغولين بالتجارة والتصرف فيها . ثم ما لبثا ان انصرفا الى العلم ومطالعة الكتب فدرس ابو القاسم على علماء المرية ثم اتجه الى قرطبه فلقى علماء الاعلام . ثم رحل الى سلجاسة ( ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ) لسمع صحيح البخاري عن المحدث بكار بن زهون . وانتهاز فرصة ورود ابي علي الغساني على المرية للاستشفاء فسمع منه وقرأ عليه الحديث ، ثم ارتحل الى قرطبه فسمع من ابي علي هناك الموطأ وصحيح البخاري <sup>(٢)</sup> .

وقعد ابو القاسم لتدريس الحديث بجامعة المرية . حيث كان يلقي دروسه عن صحيح البخاري ومسلم على طلبة العلم . وخص يوم الخميس من كل اسبوع لتدريس التفسير <sup>(٣)</sup> .

وصنف ابو القاسم كتابا على المدونه ، وله عدة رسائل تتضمن مسائل واجوبة مدونه عنه . كما انه صنف في شرح صحيح البخاري كتابا كبيرا يدل

( ١ ) ابن الابار . المعجم ص ٢٠ ، ٢١ .

( ٢ ) ابن الابار : المعجم ص ٢١ - ٢٢ .

( ٣ ) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٤١ - الداودي : طبقات

المفسرين ، ج ١ ص ٨٦ .

على سعة علمه ، ورسوخ فهمه في الحديث وعلومه .<sup>(١)</sup>

وكان صديقه ابوبكر بن العربي من اشبيليه مشاركاً في دراسة الحديث ونشاط علومه ، وقد سبقت الاشارة الى رحلته العلمية الى المشرق واخذه العلم من كبار علمائه . وعودته بعد ذلك الى وطنه بعلم كثير ومعارف واسعة حتى قيل انه لم يدخل احد قبله بلده اشبيلية بعلم مثله ممن رحل الى المشرق .<sup>(٢)</sup>

وصفه ابن بشكوال بقوله ( الامام العالم الحافظ المستجير ختام علماء الاندلس )<sup>(٣)</sup> ولا ين العربي تصانيف في الحديث وعلومه تشهد له بطول الباع في هذا العلم ، فمنها كتاب " النيرين في الصحيحين " وكتاب " مشكل القرآن والسنة " وكتاب في الكلام على مشكل حديث الثُّبَّات والحجاب " وكتاب " حديث الافك " وشرح حديث جابر في الشفاعة " وشرح حديث ام زرع " وكتاب عارضة الأحوذى في شرح الترمذى .<sup>(٤)</sup>

وكفى ابن العربي شرقاً ان قال فيه الجبخارى انه لو لم ينسب الى مدينة اشبيلية الا ابن العربي لكفاها فخراً ومجداً يرتد عنه الطرف وهو حسير .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) الضبني : بغية الملتبس ، ص ١٦٧ - ابن الاثير : المعجم ص ٢٢٠ .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

( ٣ ) نفس المصدر والجزء ص ٥٩٠ .

( ٤ ) المقرئ : فطح الطيب ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ - وانظر سيرة هذا العالم

في مقدمة محقق كتاب ابن العربي (العواصم من القواصم )

( ٥ ) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ نقلاً عن الجارى .



وهناك علماء آخرون أقل قدراً ممن ذكرنا ، منهم العلامة المحدث  
عبد الله بن أحمد بن سعيد الأشبيلي ( ٤٤٤ هـ - ٥٢٢ هـ / ١٠٥٢ - ١١٢٨ م )  
من اعلام مملكة بن عباد . كان من حفاظ الحديث الماهرين في معرفته منسأً  
وسنداً . بارعاً في احوال الرواة المعدلين منهم والمجرحين .<sup>(١)</sup>

ولهذا العلامة مشاركة جيدة في نشاط الدراسات المتعلقة بالحديث  
وعلمه منها كتاب " الاقليد في بيان الاسانيد " . وكتاب " تاج الحلية وسراج  
البغية في معرفة اسانيد الموطأ وكتاب " لسان البيان عما في كتاب ابن نصر  
الكلاباذي من الاغفال والنقصان " . . . وكتاب . . المنهاج في رجال مسلم  
من الحجاج " .<sup>(٢)</sup>

ويلاحظ في كتابه الثالث ظاهرة علمية حميدة تتجلى في كثير من انتاج  
الاندلسيين العلمى ، وهى ظاهرة النقد والاضافة والتصويب لما صنفه علماء  
المشرق في مختلف فروع المعرفة ، وذلك ان الاندلسيين لم يكتفوا بقراءة ودراسة  
مصنفات المشاركة بل تناولوها بعين البصيرة والنقد العلمى الثاقب . فأضافوا  
الكثير الى تلك الدراسات ونقدوا البعض منها واكدوا بذلك قدرتهم على  
اثبات ذاتهم وقدراتهم العلمية الشخصية .

واللعامة أحمد بن طاهر من مملكة دانية ( ٤٦٧ - ٥٣٢ هـ / ١٠٧٤ م  
١١٣٧ م ) تصنيف على موطأ الامام مالك سماه " الايماء " ضاهى به كتاب اطراف

---

( ١ ) ابن بشكوال : الصلحج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ . وانظر الضبي

البغية ص ٣٤٠ .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلحج ١ ص ٢٩٣ .

الصحيحين لابي مسعود الدمشقي وعرضه على استاذه ابي على الصدفي فاستحسنه و اشار عليه بالتوسع فيه فاضاف اليه زيادات علمية أخرى<sup>(١)</sup>.

والعلامة المحدث القاسم بن الفتح بن احمد من مملكة سرقسطة ( ٣٨٨ هـ - ٤٥١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٥٩ م ) كان بارعا في الحديث ماهرا في علومه ، وله فيه تأليف عديدة اكثرها رسائل ، وكان قد شرع في جمع الحديث في كتاب اسماء " الاستيعاب " . ولكن اجله حال دون اكماله<sup>(٢)</sup>.

وكان لهؤلاء العلماء صفات رفيعة في سيرهم العلمية ، من ابرزها ما ابداه الكثير منهم من الصبر والجلد والاخلاص للعلم ونشره ، فهذا العلامة المحدث أحمد بن عبد الله بن جابر الازدي من مملكة بن عباد باشبيلية ( ٤٤٧ هـ - ٥٣٦ / ١٠٥٥ - ١١٤١ م ) ضرب المثل الاعلى في اخلاصة وتفريغه للعلم حيث لازم التدريس في مسجد ابن تقي باشبيلية ما يقارب ستين سنة ، لم يخرج منه الا الصلاة الجمعة او المنزل الملاصق للمسجد والى ما يضطر اليه الانسان وارتحل اليه طلبة العلم باعداد كبيرة للأخذ والسماع عليه<sup>(٣)</sup>.

واخيرا فهؤلاء هم اشهر المحدثين في عصر ملوك الطوائف ، وقد يكون هناك من يماثلهم او يتفوق عليهم ولكن كتب التاريخ والتراجم لم تمدنا الا بسير من ذكرنا من هؤلاء ، او انها بخلت علينا بالحديث عن غيرهم من الأعلام فاكثفت بالاشارة الى اخذهم دون بسط القول في حياتهم

( ١ ) ابن البارقي - تكلمة الصلاة ، ج ١ ص ٤٤ - ابن فرحون : الديباج ص ٤٥ .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

( ٣ ) المراكشي : الذيل والتكملة ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

العلمية<sup>(١)</sup>.

وزبدة القول ان ميدان الحديث في هذه الفترة وجد من يعنى به  
وبعلومه فازدهر ازدهارا كبيرا ، ولا يزال بين ايدينا كثير من ذلك الانتاج  
النفيس لعلماء هذا العصر .

ومن الحق ان نشير الى ان الاندلسيين لم ينقطعوا عن الاتصال  
باخوانهم المشاركة أذ رأوا ان الرحلة من كمال الشخصية العلمية ، وان لقاء  
العلماء فيه توسيع لآطار المعرفة وترسيخ لها ، ولكنهم مع ذلك لم يغفلوا  
عن محاولة تأكيد دروهم الفكرى والسعى الى تثبيت بصماتهم على تيار الحركة  
العلمية فى بلادهم ، فقد اخذوا عن المشاركة كثيرا من انتاجهم ولكنهم  
درسوه وعرضوه على ميزان النقد وروح التمحيص فصححوا وعدلوا وأضافوا  
شيئا كثيرا الى المكتبة الاسلامية ، ومن يلقي نظره سريعة على المكتبة الدينية  
ومايتصل بالحديث منها على وجه التخصيص ليقف بحق على عظيم ما أسداه  
امثال ابن حزم وابن عبد البر وابن العربى وابن رشد والبايجي .

---

(١) انظر مثلا : ابن الابار : المعجم ص ١١٨ - ١١٩ - الضبى : البغية  
ص ٧٣ - التنبكتى : نيل الابتهاج ص ١٣٠ - ١٣١ - ابن بسام الذخيرة  
ق ٢ ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ السلفى : معجم السفر ص ٥٧ - ابن سعيّد  
المغرب ج ١ ص ١٥٩ - ابن بشكوال الصلة ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ - ابن  
القاضى جذوة الاقتباس ق ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . الذهبى : تاريخ الاسلام ،  
ج ١٢ لخطوط ورقة ٥٩ أ .

( ٣٠٨ )

( علوم القرآن )

---

### القراءات :-

معنى القراءات ، بداية اشتغال الأندلسيين  
بالقراءات ..  
نشاط علم القراءات في عصر الطوائف وأشهر القراء  
ومصنفاتهم .

### التفسير :-

بداية الاهتمام بهذا العلم في الأندلس ، مشاهير  
المفسرين وكتبهم في عصر ملوك الطوائف .

---

## ( معنى القراءات )

جدير بنا ان نوضح معنى القراءات قبل ان نتحدث عن نشاط دراستها في الأندلس فقد روى ان الصحابة رضى الله عنهم رووا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة فى بعض الفاظها وكيفيات الحروف فى ادائها . ثم تناقلها الناس واشتهرت ، الى ان استقرت منها سبع طرق معينة . وتوارث نقلها ايضا باءائها ونسبت الى من اشتهر بروايتها ، واصبحت تلك الطرق السبع / والقراءات السبع اصولا للقراءة بين المسلمين وذاعت بينهم .<sup>(١)</sup>

والقراءات التى يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الائمة انما هى جزء من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان رضى الله عنه الذى اجمع الصحابة رضى الله عنهم ومن اتى بعدهم عليه ونبذ ما عداه .<sup>(٢)</sup>

والقراء السبعة الذين اشتهرت قراءاتهم بين المسلمين هم نافع المدنى<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٣٧ .

( ٢ ) مكى بن أبى طالب ، الابانه عن معانى القراءات ص ٢١ - ٢٢ .

( ٣ ) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم - امام اهل المدينة وعليه استندوا

فى قراءاتهم ( ١٦٩٩ / ٧٨٥ م ) ابن الباذر شلاقناع ج ١ ص ٥٥ -

وانظر ابن الجزري : تحبير التيسير ص ١٣ - ١٤ .

وعاصم بن ابي النجود<sup>(١)</sup> وابو عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن كثير<sup>(٣)</sup>، وعبد الله بن عامر<sup>(٤)</sup>، وحمزة بن حبيب<sup>(٥)</sup> وعلى بن حمزة الكسائي<sup>(٦)</sup>.

وعلم القراءات من العلوم التي تجلى فيها تفوق الاندلسيين واحرزوا فيها نتائج رائعة فاقوا بها غيرهم من علماء الاقطار الاسلامية الأخرى<sup>(٧)</sup>.  
(بداية اشتغال الاندلسيين بالقراءات)  
ولعل اول اتصال للاندلسيين بعلوم القراءات في المشرق ما تم فـى رحله العلامة الغازي بن قيس ( ت ١٩٩ هـ / ٨٠٤ م ) الذي نسب اليه ادخال موطأ مالك الى الأندلس . وقراءة نافع بن ابي نعيم<sup>(٨)</sup>.

- ( ١ ) من القراء السبعة كان ضريرا من اهل الكوفة تصدر للاقراء بعد وفاة ابي عبد الرحمن السلمي ( ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ) . ابن الباذش الاقناع ج ١ ص ١١٥ . الجزرى : تحبير التيسير ص ١٥ ) .
- ( ٢ ) عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان كان اعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن وتتبع حروف القرآن تتبعا استحق بها الامامه ( ابن الباذش ، الاقناع ، ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ ) .
- ( ٣ ) عبد الله بن كثير المكي الدارى - والد اري بطن من لخم ولد بمكة ( ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ) وتوفى ( ١٢٠ هـ / ٧٣٧ ) ( ابن الباذش : الاقناع ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ )
- ( ٤ ) عبد الله بن عامر اليحصبي قاضى دمشق فى ايام الوليد بن عبد الملك ، من التابعين سمع من ابي الدرداء ومعاوية بن ابي سفيان ( ابن الباذش ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ ) .
- ( ٥ ) حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفى الزيات . احكم القراءة وسنة السنة وذاع صيته فى القراءات والفرائض . توفى ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م ) . ابن الباذش ج ١ ص ١٢٥ ١٢٦ - ابن الجزرى . تحبير التيسير ص ١٦ .
- ( ٦ ) على بن حمزة بن عبد الله الكوفى - كان صادقا واسع العلم بالقرآن والعربية وكان عمدة اهل الكوفة فى النحو . توفى فى خلافة هارون الرشيد ( ابن الباذش : الاقناع ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ - ابن الجزرى : المصدر السابق ص ١٦ .
- ( ٧ ) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .
- ( ٨ ) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٧ .

وبناء عليه فان جهود الغازى تعتبر فاتحه النشاط العلمى فى هذا الحقل الهام من الدراسات القرآنية وجدير بالذكر ان نشير الى ما ذكره المقدسى من ان قراءة نافع هى القراءة المنتشرة فى الاندلس . مما ينم عن غلبتها على ما سواها من القراءات .<sup>(١)</sup>

وحظيت القراءات فى العصر التالى لعصر الامارة وهو عصر الخلافة بمزيد من الاهتمام والعناية - وكان الخلفاء والامراء حريصون على تقريب القراء والافادة من علمهم وفى تنشأة ابنائهم وتربيتهم التربية الدينية الصالحة فالخليفة المستنصر رحب بمقدم العلامة على بن محمد الانطاكى ( ٢٩٩-٣٧٧ م ٩٠٠-٩٨٧ م ) الذى دخل الاندلس سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ ) وافاد الحكم وسواه من علمه .

كما ان المنصور بن ابي عمار عين العلامة المقرئ احمد بن على الربعى ( ت ٤١٠ هـ / ١٠١٠ م ) مؤدباً لابنه عبد الرحمن .<sup>(٢)</sup>

وجدى بالذكر ان نشير الى ان معظم القراء الذين سنشير اليهم فى عصر ملوك الطوائف عاصروا ايضا فترة الخلافة .

( نشاط علم القراءات فى عصر الطوائف فواشهر المقرئين ومصنفاتهم ) وفى عصر ملوك الطوائف شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطا

باهرا وتالق فى هذه الفترة كبار علماء القراءات الاندلسيين . ويأتى فى مقدمتهم العالم الشهير ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبى الدانى

( ١ ) احسن التقاسيم ص ٢٣٦ .

( ٢ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس

( رسالة ماجستير لم تطبع ) .

من بلاط مجاهد العارى اميردانية - ( ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ) ويعتبر  
الدانى احد مفاخر الاندلس . ومن يشار اليه بالبنان اذا ما ذكر اقطابها  
فى علوم القرآن . فقد كان واسع المعرفة بالقراءات . عارفا بدقائقها بارعا  
فى فهم اسرارها ، يدل على ذلك ما خلفه بعد وفاته من مصنفات وتآليف قيمه  
وكان حريصا على ان يكون علم القراءات وقواعده ميسورا لمأخذ . سهل المجال  
ليتسنى فهمه وتعلمه . فنظم فى علم القراءات ارجوزة ليحفظها الطلبة ومن  
له رغبة فى دراسة هذا العلم .<sup>(١)</sup>

وعرف الدانى بنشاطه الجم فى تدريس القراءات وتعليمها حتى بين  
النساء . فيروى الصبى ابن ابا الحسن نجبة بن يحيى قال : اخبرنى من  
اثقه ان ابا عمرو المقرئ اقربا للمريه مدة - وكانت ريحانه تقرأ عليه القرآن بها  
كانت تقعد خلف ستر فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده الى المواقف . فأكملت  
السبع عليه وطالبته بالاجازة فامتنع وقرأت عليه خارج السبع روايات .<sup>(٢)</sup>  
والحق ان الدانى اكتسب منزلة سامية بين علماء عصره ومن اتى بعدهم  
ونال من الشناء ما هو جدير به ، حتى عد فريده عصره فى القراءات ، وانه لم  
يدانيه احد فى حفظه وتحقيقه ومعرفته بالقراءات ومعانيها وطرقها ، فكان العلماء  
من بعد معالة على كتبه ومصنفاته .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) الحميدى : جذوة المقتبس ص ٣٠٥ - الضبي : بغية الملتبس ص ٤١١  
٤١٢ - القفطى انباه الرواه ج ٢ ص ٣٤١ - ابن فرحون : الديباج ، مطبعة  
دار الكتب العلمية ص ١٨٨ ، الحميرى الروض المعطار ص ٦٧ - السيد  
عبد العزيز سالم : قرطيه حاضرة الخلافة ، ج ٢ ص ١٩٨ - لطفى عبد البديع  
الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .  
( ٢ ) بغية الملتبس ص ٤١١ - ٤١٢ .  
( ٣ ) الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ( ص ١١٢٠ - ١١٢١ ) ابن الجزرى : تحبير  
التيسير ، ( ص ٩ ) .



واشار اليه خوليان ربيرا فقال ( تعددت تأليفه فيها ، وعول الناس عليها وارسلت بما عداها الى زايا النسيان <sup>(١)</sup> ) .

ومن مؤلفات أبي عمرو . جامع البيان فى القراءات السبع . وهو من اعظم كتبه ويشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريقة ، حتى قيل انه جمع فيه كل ما يعلمه فى هذا العلم <sup>(٢)</sup> ، وله كتاب التحديد فى معرفة التجويد " و التلخيص لاصول قراءة نافع بن عبد الرحمن " و " الارجوزة المبنية على اسماء القراء والرواة ، واصل القراءات " وعقد الديانات بالتجويد والدلالات <sup>(٣)</sup> وكتاب التيسير فى القراءات " و " طبقات القراء فى اربعة اسفار " ضم فيه المقرئين من الصحابة والتابعين ومن اثنى بعدهم الى عصره على حروف المعجم . <sup>(٤)</sup> ولا ريب ان ابا عمرو بهذا الجهد العلمى الكبير قد احتل منزلة فريده ليس فى وطنه الاندلس فقط وانما ايضا خارجها . فكان بلا مبالغة فريده فى القراءات <sup>(٥)</sup> .

والى جانب أبي عمرو الدانى برز الفقيه المقرئ مكى بن ابي طالب حموش بن حمود بن مختار القيس من اعلام دولة بنى جهور بقرطبه ( ٣٥٥ - ٤٣٧ هـ ) ٩٦٥ م - ١٠٤٥ ) . وكان مكى قد وفد الى الاندلس ( ٣٩٣ - ١٠٠٢ م ) حيث رحب به الحاجب عبد الملك بن المنصور ، وعينه لتدريس القرآن وعلومه بجامع الزهراء . ولما سقطت الدولة العامرية . استدعاه الخليفة المهدي

( ١ ) التربية الاسلامية ص ٦٥ .

( ٢ ) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٥٣٨ .

( ٣ ) ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٤٠ - ٤١ .

( ٤ ) ابن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٧٢ - وانظر مصنفاته الاخرى فى ابن الجزرى غاية النهاية ج ١ ص ٥٥٥ والد اودى طبقات المفسرين ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

( ٥ ) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٤٥ .

محمد بن هشام الى قرطبه . حيث تبوأ منزلة كريمة بين علماء قرطبة آنذاك  
واخذ فى نشر علومه وتدرّس طلبه العلم فى جامع قرطبة . فاشتهرت مجالسة  
العلمية وعظم شأنه .<sup>(١)</sup>

وصفه احد اصحابه فقال ( كان نفعه الله من اهل التبحر فى علوم القرآن  
والعربية ، حسن الفهم والخلق - جيد الدين والعقل . كثير التأليف فى  
علوم القرآن ، محسنا فى ذلك مجودا للقراءات السبع - عالما بمعانيها )<sup>(٢)</sup> .

ولمكى مصنفات كثيرة منها " كتاب الهداية الى بلوغ النهاية . وكتاب "  
تفسير اعراب القرآن . . وكتاب " التبصرة فى القراءات السبع . وكتاب " البيان  
عن وجوه القراءات فى كتابه التبصره " وصف بغزارة الفائدة<sup>(٣)</sup> وقد عد ابن خلكان  
من مصنفاته فى القراءات ما يقارب عشرين كتابا اثم قال : ( وله فى القراءات  
واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ، ولولا خوف التطويل لاستوعبت  
ذكرها )<sup>(٤)</sup> . .

وأدرك العلامة المقرئ ابو عمر احمد بن محمد الطلمنكى<sup>(٥)</sup> من اعلام دولة

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ - القفطى : انباه الرواه  
ج ٣ ص ٣١٣ وما بعدها - ابن فرحون : الديباج - مطبعة دار الكتب  
العلمية بيروت ص ٣٤٦ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤  
الانبارى : نزهة الالباء ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٣١ .

( ٣ ) عياض : ترتيب المدارك ج ٤، ص ٧٢٧ - ٧٢٨ - الانبارى : نزهة الالباء  
ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

( ٤ ) وفيات الاعيان ج ٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ .

( ٥ ) نسبة الى طلمنكة مدينة بشغرا لا ندلس من املاك بنى ذى النون ( الحميرى  
الروض المطعار ص ١٢٨ ) .

بنى جهور ( ٣٤٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٥١ - ١٠٣٧ م ) عصر ملوك الطوائف  
 وكان قد ارتحل الى المشرق فأخذ عن علمائه وقراءه ثم عاد الى الاندلس فاستقر  
 بقرطبه . وكان معدودا في ائمة القراء . قائما على دراسة القرآن الكريم  
 ماهرا في قراءاته . بارعا في فهم معانيه وناسخه ومنسوخه وكل ما يتعلق  
 بعلومه . وصنف في ذلك تصانيف تنم عن سعة علمه واحاطته بتلك العلوم  
 ورسوخ فهمه فيها<sup>(١)</sup> .

ومن تأليف الطلمنكي " الدليل الى معرفة الجليل . . . مائة جزء وكتابه  
 في " تفسير القرآن " والوصول الى معرفة الاصول " و " البيان في اعراب القرآن  
 وغير ذلك<sup>(٢)</sup> .

ومن مملكته اشبيلية برز العلامة المقرئ محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي  
 ( ٣٩٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٠١ / ١٠٨٣ م ) وقد وصف ابن شريح الرعيني بانه  
 من كبار المقرئين وخيارهم . مع الثقة والامانة في الرواية والعلم<sup>(٣)</sup> .

وكان ابن شريح الرعيني كريم المنزلة عظيم الجاه لدى المعتضد ملك  
 اشبيلية . وكان يأمر به ويوزرته في شهر رمضان ، والى هذا يشير الضبي  
 بقوله ( اخبرني المقرئ ابو الحسن نجية بن يحيى بن خلف بن نجية وقرأت

( ١ ) عياض : ترتيب المدارك ج ٤ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ - ابن بشكوال : الصلاة ،

ج ١ ، ص ٤٥٠ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٣٩٠ . الصفدي :  
 الوافي بالوفيات ج ٨ ص ٣٢ - ٣٣ - الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ ،  
 ص ٣٠٩ - ابن الجزري : غارة النهاية ج ١ ، ص ٢٠٠ .

( ٢ ) ابن فرحون : الديباج ، ص ٣٩٠ .

( ٣ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ٢ ، ص ٥٥٣ - الضبي : بغية الملتزم ص ٨١ .

عليه في دارة بحضرة مراکش - حرست - حزب " وما أبرئ نفسي <sup>(١)</sup> في سورة يوسف . " فلما انتهيت من سورة الرعد الى قوله " كذلك يضرب الله الامثال <sup>(٢)</sup> " وقفت عليه فرفع راسه الى وقال لي : اخبرني شريح عمن ابنيه محمد بن شريح انه صلى بالمعتضد ذات ليلة في شهر رمضان . فقرأ هذه السورة . ووقف فلما كان يوم آخر وجه عنه المعتضد وقال له : والله ما فهمت قط الآية التي قرأت بها البارحة في سورة الرعد الا من قراءتك . كنت اجعل الحسنى صفة للامثال فجزاك الله خيرا ووجه اليه بكسوة ومركوب حسن والف دينار وجارية <sup>(٣)</sup> .

وفي هذا دليل واضح على ما كان يتمتع به العلماء من رعاية الملوك واکرامهم . ومن جهة اخرى فيه اشارة الى اهتمام الملوك انفسهم بالعلم ورغبتهم في التعلم على احسن وجه ، ولا عجب ان يظهر من بينهم علماء اجلاء . كالمظفر والمقتدر ومجاهد وأدباء كالمعتضد وابنه المعتمد . ولا بن شريح مؤلفاته قيمة نذكرها " الكافي في القراءات السبع " عن القراء السبعة المشهورين " والتذكرة في القراءات السبع <sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) سورة يوسف . آية رقم ٥٣ .

( ٢ ) سورة الرعد آية رقم ١٧ .

( ٣ ) بغية الملتبس ص ٨١ .

( ٤ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ٢ ص ٥٥٣ .

ويذكر ابن خير ان من كتبه التي افاد منها في دراسته وتعلمه كتاب قراءة يعقوب بن اسحق الحضرمي . . وكتاب " رواية الادغام الكبير لابي عمرو بن العلاء " وهما من تأليف المقرئ محمد بن شريح<sup>(١)</sup>.

ولهذا العلامة الجليل ابن يدعى شريح ( ٤٥١ - ٥٣٧ هـ / ١٠٥٩ م ١١٤٢ م ) أخذ عن ابيه معارفه الواسعة في القراءات واكتسب منه كثيراً من علمه . فنال منزلة كبيرة بين قراء عصره . والف في القراءات ( تواليف تدل على معرفته وتقدمه في صناعة الإقراء<sup>(٢)</sup> ) .

ومن مصنفاته كتاب " توجيه حروف قرأ بها يعقوب بن اسحاق الحضرمي لم يقرأ بها احد من الائمة السبعة المشهورين " وكتاب " نهاية الاتقان في تجويد تلاوة القرآن . . وكتاب " حصر جميع الآي المختلف في عددها بين أهل الامصار المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة على ترتيب سور القرآن . وتوجيه الحجة لاختلافهم في ذلك وترجييمها " وكتاب " الانتصاف من الحافظ ابي عمرو الداني المقرئ رحمه الله في رده ترقيق راء مريم وقرية<sup>(٣)</sup> " .

وهذه التصانيف تدل على احاطة شاملة بالقراءات وفهم عميق بدقائقها وتفاصيلها ، كما ان فيها اشارة الى رسوخ عنصر المشاركة العلمية في تطوير

( ١ ) فهرست مارواه عن شيوخه ص ٣٤ - ٣٥ .

( ٢ ) الضبي : البغية . ص ٣١٨ .

( ٣ ) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه . ص ٣٨ وما بعده ، انظر

القاضي عياض : الغنية ، ص ٢١٣ .

مناهجها وطرقها وكشف الوان الالتباس عن بعض الجوانب التى التزم بها  
 بعض القراء السابقين وهو ما يمثل فى المصنف الاول والاخير لمحمد بن شريح .  
 كما ذاع صيت العلامة ابو داود سليمان بن ابي القاسم نجاح ( ٤١٠ -  
 ٤٩٦ هـ / ١٠١٩م - ١١٠٢م ) من مملكة دانية . وكان من تلاميذ المقرئ  
 ابي عمرو الداني . وقد أخذ عنه كثيرا من علومه كما درس على يد الحافظ  
 ابن عبد البر النمري . وايى العباس العذري . وعدا ابو داود من جلة المقرئين  
 وافاضلهم . فقد كان ماهرا فى علوم القرآن ، عارفا بقراءاته وروياتها وطرقها  
 ووجوهها المختلفة الى جانب اسهامه الكبير فى ميدان التأليف العلمى فى  
 هذه المعلوم الكريمة . وقد افاد الناس كثيرا فأخذوا عنه القراءات والتفسير .<sup>(١)</sup>  
 وصنف ابو داود من الكتب " البيان الجامع لعلوم القرآن . فى ثلاثمائة  
 جزء . . " والتبيين لهجاء التنزيل " فى ست مجلدات . وكتاب " الرجـز  
 المسمى بالاعتماد " الذى عارض فيه شيخه ابا عمرو الداني فى اصول القراءات  
 وعقود الديانة " عشرة أجزاء " وعدد ابيات هذه الارجوزة ثمانية عشر ألف بيت  
 واربعمئة واربعين بيتا . وله كتاب عن قوله تعالى " حافظوا على الصلوات  
 والصلاة الوسطى " فى مجلد " وغير ذلك من المصنفات .<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ - الضبي : البغية ص  
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ابن الابار : المعجم ، ص ٣١٥ - الذهبى : معرفة  
 القراء الكبار ج ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ - الداودى طبقات المفسرين ، ج ١  
 ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

( ٢ ) الذهبى : معرفة القراء الكبار ج ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ الجزرى غاية  
 النهاية ج ١ ص ٣١٧ الداودى طبقات المفسرين ، ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

واحتمل ابو داود مكانه عالية بين علماء عصره . واعترفوا له بالعلم والمعرفة والفضل مما دفع احدهم وهو ابن عياد الى تأليف كتاب فى سيرته ومناقبــــة تناقله الناس بالرضا والاستحسان .<sup>(١)</sup>

وممن أسهم فى نشاط علم القراءات ، المقرئ الفاضل اسماعيل بن خلف بن سعيد الانصارى من اعلام مملكة سرقة ( ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ) . كان موصوفاً بالامامة فى علم القراءات . وان له فيها تصانيف جيدة . منها كتاب "العنوان" . . فى القراءات ، كما انه اختصر كتاب " الحجة " لابي على الفارسى .<sup>(٢)</sup> وقد اشار ابن خلكان الى ان ابن بشكوال ذكره فى كتابه الصلة فأثنى عليه وعد فضائله ولكن الباحث وقف على ذكره فى الصلة ولم يجد ما أشار اليه ابن خلكان ، ولعل ذلك كان فى نسخة اخرى من الكتاب لم تصلنا اوسقطت منها فى ترجمه ذلك المقرئ . بعض المعلومات .<sup>(٣)</sup>

وكتاب اسماعيل المشار اليه " بالعنوان " عرض فيه لما اختلف فيه القراء السبعة بإيجاز وصفه للراسخين فى القراءات دون المبتدئين . فان هؤلاء قد صنف لهم كتاباً سماه " الاكتفاء " فيه ما يفهم المبتدى والمتعمق . وقصد فيه الايضاح بحيث لا يشكل على قارئه منه شئ . وجعل الاول كالعنوان له ، وقد شرحه عبد الظاهر بن نشوان الجذامى المصرى (ت ٦٤٩ / ١٢٥١ م ) .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ابن الآبار : المعجم . ص ٣١٢ .

( ٢ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٢٣٣ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٤ . ص ٤٤١ .

( ٣ ) انظر وفيات الاعيان ، نفس الجزء والصفحة . والصلة لابن بشكوال ج ١

( ٤ ) ( حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ص ١١٧٧ .

وللعلامة الحافظ يوسف بن عبد البر النمري الآنف الذكر في ميدانى  
الفقه والحديث سهم وافر فى الدراسات القرآنية فقد كان بارعا فى القراءات  
ماهرا فى علومها حتى انه صنف فيها كتاباً قيمة منها " البيان عن تلاوة  
القرآن " وكتاب " التجويد والمدخل الى العلم بالتحديد " جزءان وكتاب  
الاكتفاء فى قراءة نافع وابى عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه " جزء واحد <sup>(١)</sup>  
كما ان له كتاب " الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف " اشار فيه  
الى اختلاف العلماء فى قراءة البسطة فى الصلاة وفى كونها اية من القرآن  
فى الفاتحة . <sup>(٢)</sup>

وللعلامة المقرئ محمد بن احمد بن سعود الانصارى من مملكة دانية  
نشاط طيب فى الدراسات القرآنية وكان من كبار تلاميذ ابى عمرو الدانى  
وعنه اخذ سليمان بن نجاح قراءة نافع من طريق قالون لدى قدومه دانية  
للاخذ عن ابى عمرو سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م . <sup>(٣)</sup>

وله بعض التأليف فى القراءات ككتابه " الاختلاف بين نافع من رواية  
قالون وبين الكسائى من رواية الدورى " وكتاب " السنن والاقتصاد فى الفرق بين  
السين والصاد " وكتاب الاقتضا للفرق بين الذال والصاد والظاء . <sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) الحميدى : الجذوة ص ٣٦٧ - ٣٦٨ - الضبى : البغية ص ٤٩٠ .  
( ٢ ) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٨٢ - وقد طبع بالقاهرة سنة  
١٣٤٣ هـ ) انظر مقدمة محقق كتابه بهجة المجالس لابن عبد البر النمري .  
( ٣ ) ابن الأبار : تكملة الصلة ج ١ ص ٣٩٥ .  
( ٤ ) ابن الأبار : المصدر السابق ج ١ ص ٣٩٥ - المراكشى : الذيل  
والتكملة ، السفر الخافس ص ٦٤١ - ٦٤٣ .



ويظهر ان هذه المصنفات لم تكن ذات حجم كبير . بل كانت اشبه بالرسائل أو الكتيبات الصغيرة . وهذا ما نلمحه من خلال اسمائها وعناوينها فان الحديث عن بعض الاختلافات بين الحروف أو نطقها لا يستدعي اسهاباً طويلاً في الكتابة أو حشداً ضخماً للمعلومات .

ولابى محمد عبد الله بن سهل الانصارى المرسى ، من مملكة بنى عباد ( ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ) جهد بارز في القراءات حتى وصفه ابو على بن سكره بانه امام وقته في فنه وقال عند ابو الاصبغ بن سهل ( اشكلت على مسائل من علم القرآن . لم اجد من يشفينى فيها حتى لقيت ابا محمد بن سهل )<sup>(١)</sup> .

ومن الطريف ان نشير الى ان الاديب الشاعر على بن عبد الغنى الحصرى كان له عناية بالقراءات حتى مهر فيها ونظم فيها قصيدة طويلة عدد أبياتها مائتان وتسعة ابيات في قراءة الامام نافع.<sup>(٢)</sup>

وكان لبعض النساء مشاركة في ازدهار القراءات وقد مر بنا ذكراً لمقرئه ريحانه التي اخذت علومها بالمرية عن العلامة ابي عمرو الداني وانها قرأت عليه القراءات السبع وطالبته بالاجازه فامتنع ثم قرأت عليه خارج القراءات السبع فاجازها.<sup>(٣)</sup>

(١) الذهبى : معرفة القراء الكبار، ج ١ ، ( ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ) .

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام، ج ١٢ ، ( مخطوط ) ورقه ٧٠ .

(٣) الضبى : بغية الملتبس ص ٤١١ مابعد ها ، ص ٥٤٦ .

واخيرا فهؤلاء هم ابرز قراء عصر ملوك الطوائف . وما من شك انهم لعبوا دورا هاما في نشاط علم القراءات وازدهار دراساته . وبرز بينهم اعلام كبار ليس على مستوى الاندلس فقط بل على مستوى العالم الاسلامي ، امثال ابي عمرو الداني الذي سيبقى علامة مضيئة في تاريخ هذه الدراسات القرآنية ومن حسن الخط انه لا تزال بين ايدينا كثير من الدراسات التي صنفها هؤلاء الاعلام والتي تتم عن سعة علومهم وعظيم جهودهم في ازدهار علوم القرآن وهناك ظاهرة تلفت الانظار من خلال سير هؤلاء القراء وهوان الكثير منهم تركيز وجودهم في المناطق الشرقية للاندلس وخاصة في امارات دانية عاصمة مملكة مجاهد العامري وفيه تأكيد على دور هذا الأمير في نشاط العلوم القرآنية فمن دانية ظهر ابو عمرو الداني ، وابن عبد البر النمري ، وابو داود سليمان بن نجاح . ومحمد بن احمد الانصاري وغيرهم . وهكذا يتبين لنا مدى اسهام اولئك العلماء في حركة التأليف في العلوم القرآنية ، ودورهم العظيم في ذلك ، وختاما لا نبخل بالاشارة الى بعض ممن لم ترد اسماءهم في هذا البحث ونكتفي بالاحالة الى الكتب التي تحدثت عنهم ، وهم بلا شك اقل درجة ممن اشرنا اليهم .

- 
- ( ١ ) انظر : ابن قاضي شهبه ، طبقات النحاه واللغوين ص ٢٢٨ - ٩٢ - ابن شكوال : الصلحج ٢ ص ٨٦٠ - ابو المحاسن : اشارة التعيين ( مخطوط ) ص ١٨ - مولف مجهول : انسان العيون في مشاهير ساهس القرون ( مخطوط ) ص ١٧٤ - الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٢ ( مخطوط ) ورقة ٤٨ ب ورقة ٦٢ ب ورقة ٣٨ أ ورقة ٧٠ أ - ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ص ٧١ . ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٨٢ - ٤٩٩ .

### التفسير

والتفسير هو الشق الثاني من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم وينصب اهتمامه على توضيح معاني القرآن الكريم وتبيين اسباب نزول بعض سوره وآياته ، وشرح الاحكام المتعلقة به ، وقد سادت الاندلس مدرسة التفسير بالمأثور التي تعتمد على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين وأقوال العلماء . ( بداية الاهتمام بهذا العلم في الاندلس ) وتعتبر جهود بقى بن مخلد ( ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ) في تفسير القرآن الكريم فاتحه النشاط العلمى فى هذا الحقل - فقد كان بقى من البارعيين فى فهم القرآن الكريم ومعانيه واسباب نزول آياته وصنف فى ذلك تفسيره العظيم الذى قال فيه ابن حزم انه لم يؤلف فى الاسلام مثله .

وتبع بقيا عدد من العلماء الاجلاء كالعلامة محمد بن عبد الله المرى ( ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م ) والعلامة احمد بن محمد بن برد ( ت ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م ) والقاضى منذر بن سعيد البلوطى ، وقاسم بن اصيغ البيانى وغيرهم من العلماء المشاركين فى ازدهار هذا العلم .<sup>(١)</sup>

( مشاهير المفسرين وكتبهم فى عصر ملوك الطوائف ) وفى عصر ملوك الطوائف ظهر عدد من العلماء الماهرين فى التفسير ، ويكاد جميع من ذكرناهم فى باب القراءات ان يكون لهم مشاركة فى تفسير القرآن ودراسة احكامه وما يتعلق به . فمكى بن ابى طالب القيسي الف فى

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس

( رسالة ماجستير تحت الطبع . ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ) .

التفسير كتابه المشهور " الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى القرآن الكريم  
وتفسيره وانواع علومه " ويقع فى سبعين جزءاً و " المأثور عن مالك فى أحكام  
القرآن وتفسيره . و " الايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه " وغير ذلك <sup>(١)</sup> .

ويشيد ابن حزم الظاهري بتفسير مكى فيقول ( اما القرآن فمن أجل  
ما صنف فى تفسيره كتاب " الهداية الى بلوغ النهاية " فى نحو عشرة أسفار  
صنفه الامام العالم الزاهد ابو محمد مكى بن ابى طالب القرطبي <sup>(٢)</sup> .

ولمكى ايضا من التصانيف كتاب " مشكل غريب القرآن و " مشكل المعانى  
والتفسير والايضاح . لناسخ القرآن ومنسوخه " فى ثلاثة اجزاء و " اختصار  
أحكام القرآن <sup>(٣)</sup> .

وارتحل الى الاندلس احمد بن عمار المهدوي المغربي سنة ٤٣٠ هـ /  
١٠٢٨ م وكان من عبد البارعين فى علوم القرآن ما هراً فى تفسير الكتاب العزيز  
وصنف فى ذلك كتاب " التفصيل " ولما ظهر تفسيره للناس ، قيل لحاكم المدينة  
التي نزل بها ان الكتاب ليس له ، فأراد امتحانه واختبار قدراته العلمية ففى  
التفسير فامره بتأليف كتاب آخر فى تفسير القرآن فصنف كتابه " التحصيل " -

( ١ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ - ابن الجزرى : غاية النهاية ،

ج ٤٢ ، ص ٣١٠ . الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .

( ٢ ) المقرئ : النفح ج ٣ ، ص ١٧٩ ( نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس

وانظر ما يتضمن هذا المعنى فى ابن قنفذة الوفيات ص ٢٤٢ وما بعد ها

حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

( ٣ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ .

كالمختصر لكتابه الاول ، و اشار الققطى الى الكتابين فقال ( والكتابان مشهوران  
فى الآفاق سائران على أيدي الرفاق )<sup>(١)</sup> .

وما ذكره الققطى - وهو من علماء مصر - فى تفريظه للكتابين المذكورين  
فيه دلالة على نبوغه لاندلسيين فى بلوغهم درجة سامية فى العلم والمعرفة  
حتى شهد لهم شاهد من غيرهم بالتفوق والرقى .

وللعلامة المفسر عبد الله بن فرج اليحصبى المعروف بابن العسال من  
اعلام مملكة طليطلة ( ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ) اهتمامات واسعة بعلوم الدين  
وخاصة التفسير الذى برع فيه .

وكان له مجلس حافل يقرأ عليه فيه التفسير فيأخذ فى توضيح معانى  
القرآن وشرح احكامه وتبيين ما أشكل فيه . ويدل على اقواله من حفظه  
بأحاديث كثيرة<sup>(٢)</sup> .

وتعود براعة هذا المفسر وقدرته على تفسير القرآن بصورة واضحة وجليته  
الى ما كان يتمتع به من ملكات حافظه لاحاديث المصطفى عليه السلام . وتفوقه  
فى اللغة والنحو وكل هذه العلوم من أهم ما يجب ان يتقنه المتصدى لتفسير  
القرآن الكريم . اذ ان المفسر يحتاج الى المهارة فى اللغة والنحو . فان  
كثيرا من المسائل المتعلقة بآيات القرآن لا يمكن شرحها وتوضيحها الا بمعرفة  
اسرار اللغة العربية ولا عجب فهى لغة القرآن الكريم ولسانه المتحدث .

---

( ١ ) انباه الرواه ج ١ ص ٩١ - ٩٢ .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلحج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - ابن الخطيب ، الاحاطة

ج ٣ ص ٤٦٣ .

وكان العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي من اعلام مملكة بنى عباد

( ٤٣٣ هـ / ٥٢٠ هـ / ١٠٤١ م - ١١٢٦ م ) .

حافظا للقرآن الكريم ، عارفا بتفسيره وغريبه ومعانيه . الى جانب تضلعه  
فى الحديث وعلومه . وكان على علو سنة وكبره . متحمسا للعلم ساعيا فى  
نشره بين طلبة العلم ( يجلس لهم يومه كله وبين العشائين )<sup>(١)</sup> .

وهناك اعلام آخرون نُسب اليهم تصانيف فى تفسير القرآن العزيز، منهم  
عبد السلام بن عبد الرحمن بن ابي الرجال اللخمي من مملكة إشبيلية (٥٣٦ هـ  
١١٤١ م) وقد وصف بالعلم الواسع فى تفسير القرآن الكريم وبراعته فى علم  
الكلام والتصوف . ولهذا فقد صنف " تفسيرا للقرآن " ، ولم يسلم من بعض  
الا تنقادات بل عاب عليه بعض العلماء ، بمعاناه فى علم الحرف حتى ضمنه تفسيره  
للقرآن الكريم .<sup>(٢)</sup>

كما ان ابا الحسن على بن عبد الله بن موهب الجذامى من علماء مملكة

المرية ( ٤٤١ هـ - ٥٣٢ هـ / ١٠٤٩ م - ١١٣٧ م ) .

كان ماهرا فى علوم الدين متمتعا بذكاء وفهم واسعين . وقد ألف تفسيراً  
للقرآن الكريم . وصف بالجودة والاتقان وذكره ياقوت الحموى ووصفه بأنه  
كتاب نفيس قيم .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

( ٢ ) السيوطى : طبقات المفسرين ص ٦٨ - الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٣٠٠ .  
التبكي نيل الابتهاج ص ١٦٢ وأشار الى ان كتابه فى التفسير

لم يكمل - مخلوف : شجرة النور الزكية ج ١ ص ١٣٣ .  
( ٣ ) السيوطى : طبقات المفسرين ص ٨٠ - الداودى : طبقات المفسرين

ج ٦ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

ومن الطريف ان البعض من هؤلاء العلماء كانوا موسوعيين ، فلا تعجب اذا وجدنا احدهم بارعا في العلوم التطبيقية وله مشاركة جيدة في التفسير او الحديث ومن هؤلاء العلامة علي بن سليمان الزهراوي من أعلام مملكة غرناطة ( ت ٤٣١ هـ / ١٠٢٩ م ) فقد كان عالما كبيرا في الرياضيات والفلك عارفا بعلوم الدين ومن بينها التفسير الذي صنف فيه كتابا قيما ، وكان اماما وخطيبا لجامع مدينة غرناطة <sup>(١)</sup> .

وفي أواخر عصر ملوك الطوائف لمع نجم العلامة الكبير محمد بن عبد الله بن العربي الاشبيلي وقد سبقت الاشارة الى جهوده في الفقه والحديث ، وكان له ايضا مشاركة جيدة في التفسير ، فقد صنف كتاب " انوار الفجر في تفسير القرآن " وقضى في تأليفه عشرين سنة وبلغت اوراقه ثمانون الف ورقة <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) ابن بشكوال : الصلحاج ٤٢ ص ١٣٤ - المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ج ٩ ص ٢١٨ - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٢١١ الداودي : طبقات المفسرين ، ج ١ ص ٤٠٤ .

( ٢ ) الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ص ١٦٥ ، ويذكر ابن فرحون نقلا عن سليمان بن عبد الرحمن البراعوطي عن يوسف الحزاء / المغربي انه رأى تفسير ابن العربي كاملا في خزانه الملك ابي عثمان فارس في مدينة مراکش ، وانه عد مجلداته فكانت ثمانين مجلدا . ( الداودي : طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٦٥ ) .

وختاما فان هذا العلم لقي من عناية الاندلسيين واهتمامهم شيئا كثيرا ، ولنا ان نتصور مقدار ما صنّفوه في هذا العلم من مؤلفات ضخمة <sup>(١)</sup> لو تغاضت عنها طوارق الزمان وحوادث الدهر فلم تبدد ها وتضيعها ضمن ما ضاع وتبدد من التراث والفكر الاسلامي . ولكن ما بقي بين ايدينا منها فيه دلالة واضحة على رقيهم ورسوخ معارفهم في ذلك العلم ، ولا نرى ابن حزم مبالغا حينما اشاد بتفسير بقي بن مخلد وقطع انه لا نظير له في الاسلام ولا تفسير ابن جريرا لطبري مع ان تفسير بقي كان في القرن الثالث الهجري فما بالنابت تفسير اعلام كبار كمكي، والمهدوي، وابن العسال، وابن موهب، وابن العربي وغيرهم من اقطاب التفسير الذين مهدوا لظهور تفسير العلامة الشهير عبد الحق بن غالب ابن عطية ( ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ) الذي استند في تأليفه لتفسيره " الوجيز في التفسير " على جهود كثير من اعلام عصر الخلافة وملكوك الطوائف فقد بنى تفسيره على تلخيص من سبقه من المفسرين في بلده وتحري اقرب التفاسير الى الصواب وايسرها لاذهان الناس فصنف كتابه الذي تداوله الناس في المغرب والاندلس ، وسار على نهجه القرطبي احمد بن مسعود ( ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ) في تفسيره الذائع الصيغت الذي انتشر انتشارا واسعا بين اهل المشرق <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) . لدينا تراجم قصيرة لبعض العلماء نسبت اليهم في تفسير القرآن الكريم . انظر مثلا : ابن بشكوال الصلة ج ٢ ص ٤٢٦ : —  
الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٣٥٠ — الداودي : طبقات المفسرين ج ٢ ص ٤٦ — البغدادى : هدية العارفين ج ١ ص ٧٦ .  
( ٢ ) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٠ خوليان زبيرا : التربية الاسلاميصة ٦٧ ليفي بروفنسال حضارة العرب في الاندلس ص ٥٥ - ٥٦ .



( ٣٢٩ )

( علم الكلام )

---

التعريف بعلم الكلام - موقف فقهاء الأندلس من علم الكلام  
أبرز علماء الكلام في عصر الطوائف .

---

## (التعريف بعلم الكلام )

قبل ان نختتم حديثنا عن العلوم الدينية جدير بنا ان نتطرق الى الحديث عن علم اختلف فيه العلماء بين مؤيدين ومعارضين . وهذا العلم هو علم الكلام كما اصطلح على تسميته آنذاك وهو علم يقوم على الدفاع عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية . والرد على الخارجين على معتقد أهل السنة والجماعة بدلائل واثبات عقلية<sup>(١)</sup>.

(موقف فقهاء الأندلس من علم الكلام)  
ولكن نظرا لاعتماد هؤلاء على العقل والمنطق في دفاعهم عن العقائد فقد كان للفقهاء معهم مواقف متشددة بل وصارمة في كثير من الاحيان فالفقهاء يرون في هذا العلم بدعة من البدع يجب محاربتها ومطاردة اتباعها ، وكان للأندلسيين مواقف حاسمة في التنكيل بأتباع علم الكلام والتضييق عليهم ومحاولة أزهاق روح أي حركة من شأنها ان ترسخ جذور هذا العلم في وطنهم أو تبسط نشاطه بين الناس .

يقول ابن عبد البر النمري حافظ الأندلس الكبير ( لجمع أهل الفقه والاثار في جميع الامصار ان أهل الكلام أهل بدع وزيع ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء )<sup>(٢)</sup>.

واذا كنا على يقين من سيادة المذهب المالكي في الأندلس ، وضعف الاشتغال بالمذاهب الاخرى وندرة اصحابها . الى ما كان يتصف به المالكيون

( ١ ) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٨ .

( ٢ ) الضبي : بغية الملتزم ص ١٥٧ .

من قوة ونفوذ في ارساء قواعد مذهبهم والتضييق على الاشتغال بالمذاهب  
الآخري تبين لنا مدى ماسيواجه به كل خارج على منهج اهل السنة وطريقة  
السلف . وقد اشار المقدسي الى موقفهم من علم الكلام وبغضهم لاتباعه وانهم  
ان صادقوا شخصا يشتغل بالاعتزال او يعتنق بعض افكاره فقد يكون نصيبه  
القتل على ايديهم (١) .

ومن أراء فقهاء المالكية ان المشتغلين بعلم الكلام . اهل أهواء  
وبدع لا تقبل شهادتهم في الاسلام . ويفجرون ويؤدون على بدعهم فان  
تمادوا عليها استتيبوا (٢) .

وبناء عليه فان ما تمتعت به الاندلس من صفاء في الجو الفكري بمنجاتها  
من اصحاب الجدل وارباب النحل والفرق المختلفة . جعل من الصعب  
توفر المناخ الملائم لظهور المشتغلين بعلم الكلام . وعلى الرغم من ذلك  
فقد كان هناك فئة محدودة تؤمن بمذهب الاعتزال وتصنف فيه الكتب (٣) .

( ١ ) احسن التقاسيم ص ٢٣٦ .

( ٢ ) الضبي : بغية الملتصص ص ١٥٧ - ١٥٨ . وللتوسع في معرفة تاريخ علم  
الكلام وعوامل نشأته ومواقف العلماء منه انظر : ابن خلدون : المقدمة  
ص ٤٥٨ وما بعد ها - وابن حزم : الفصل ٦ ج ٢ ص ١١١ وما بعد ها  
السيوطي : صون المنطق والكلام ص ١٣٦ وما بعد ها - عمر فروخ - تاريخ  
الفكر العربي ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ  
الاسلام ج ٤ ص ٤٥٧ وما بعد ها .

( ٣ ) المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧ ( نقلا عن رسالة ابن حزم

في فضل الاندلس ) .

ومن المشتغلين بعلم الكلام قبيل عصر ملوك الطوائف يحيى بن السمينه  
 (ت ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م) الذى رحل الى المشرق فلقى هناك علماء الكلام . ثم  
 عاد الى وطنه لينت علومه فى الاعتزال وغيره .  
 ومن ابرز علماء الكلام محمد بن عبد الله بن مسره (ت ٣١٩ هـ / ٨٣١ م) .  
 كانت له طريقة فى التصرف ممزوجة بتعاليم فلسفية وكلامية . وكان له اتباعه  
 الذين نهجوا نهجه وساروا على افكاره .  
 ويبدو انه كان للرحلات العلمية للاندلسيين الى المشرق اثر فى انتقال  
 عدد من الافكار الكلامية والاراء الجدليه والاعتزاليه . فابن السمينه المذكور  
 سابقا تاجر ايمان وجدوه بالمشرق با اهل الكلام . كما ان محمد بن وهب القبرى  
 (ت تقريباً ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) رحل الى المشرق فالتقى بعدد من  
 علماء الكلام ( فتأثر بعلومهم ومعارفهم ثم عاد الى الاندلس فتكلم بشئ منها  
 مما اسخط عليه الفقهاء والعامة<sup>(١)</sup> )  
 (ابرز علماء الكلام فى عصر الطوائف)  
 وفى عصر ملوك الطوائف نجد ابن حزم (ت ٥٠٥ هـ / ١٠٦٣ م) قد ألف  
 كتابه الشهير " الفصل " فى المل والنحل " فتناقش اهل المذاهب والنحل  
 والديانات المختلفة . ومن هؤلاء اهل الكلام كالمعتزلة والاشعرية والمرجئة  
 ولم يقلد طائفة معينة بل كان يسلك منها خاصا به يقوده اليه اجتهاده  
 ومن خالفه رد عليه بحزم وصراحه . حتى الاشعرى الذى كاد ان يكون

---

(١) سبق للباحث ان فصل الحديث عن الدراسات الكلامية فى عصر الامارة  
 الخلافة فى البحث الذى قدمه لنيل درجة الماجستير بعنوان " الحياة"  
 العلميه فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس " انظر ص ٢٠٩ وما بعدها .

مقدسا في المشرق والمغرب هاجمه بضراوة وطعن في معارفه وآرائه كما هاجم المتصوفين والمنجمين واهل الاهواء والبدع<sup>(١)</sup>.

وفي عصر ملوك الطوائف برز بعض علماء الكلام . فذكر منهم العلامة محمد بن خلف بن موسى الانصارى الاوسى الالبيرى الاصل من اعلام مملكة غرناطة ( ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ - ١١٤٢ م ) يقول عنه المراكشي ( كان متكلماً واقفاً على مذاهب المتكلمين متحققا برأي أبي الحسن الاشعري . وذاكرا لكتب الاصول والاعتقادات )<sup>(٢)</sup>.

ولابن خلف من الكتب في هذا العلم " النكت والامالي في الرد على الغزالي " . " ورد الاصول الى معرفة الله وبنوة الرسول " و " رسالة الانتصار على مذاهب الاثمة الاخيار " ورسالة البيان عن حقيقة الايمان " والرد على أبى الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في مقدماته<sup>(٣)</sup>.

ووقوف ابن خلف على مذهب الاشعري وتضلعه في معرفته عائد الى اتصاله بعلماء المشرق وتصنيفه لكتابه " النكت والامالي في الرد على الغزالي " فيه ما يثبت ان الاندلسيين لم يقفوا موقفاً سلبياً من دراسات المشرق وانتاجهم العلمى ، بل كان لهم اى للاندرلسيين موقفاً ايجابياً اتجاهاً فقد سعوا لتنقيح تلك الدراسات ونقدها وتصحيح ما تتضمنه من أخطاء أو آراء لا تتفق مع افكارهم وثقافتهم .

( ١ ) انظر : ابن حزم : الفصل فى المل والنحل ، ج ٢ ص ١١١ ومابعدها

واحمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ص ٥٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ص ٤٧٠ .

( ٢ ) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص ١٩٣ ومابعدها .

( ٣ ) المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

ولعل من عوامل ظهور علم الكلام فى الاندلس اضافة الى ما سبقت الاشارة اليه هو دخول بعض التجار والعلماء المشاركة الاندلس حاملين معهم ألوانا من المعارف والمذاهب المختلفة فهذا ابو الحسن نافع بن العباس الجوهري دخل الاندلس ( ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م ) ، وله رواية عالية عن علماء مصر والعراق . وكان يتمتع بمعرفة واسعة بعلم الكلام ، ومعرفة واسعة بمسائله فى العقائد وغيرها ، وقد قاده ذلك الى تصنيف كتاب " الاستبصار " فى خمسة اجزاء (١) .

وورد فى اواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى الى الاندلس عالم مشرقى من علماء الكلام فنزل بمرسية واخذ فى اثاره كثير من المسائل حول خلق القرآن . والنزول الى سماء الدنيا ، وامثال ذلك من قضايا الاعتزال ، فلم يجد امامه من يفند اقواله ويرد شبهاته فانطلق رجل من اهل مرسية الى طليطلة لمقابلة عالمها الكبير عبد الرحمن بن احمد بن المشاط فعرض عليه تلك المسائل . حيث رد على كل منها جوابا كان صحيحا ووضع لتلك الردود وعنواناً هو " كشف جمل من التعطيل بحجج من الاثر والنظر والتنزيل (٢) .

وهناك من العلماء من اتخذ له سبيلا غير سبيل أهل بلده ، مما دفع هؤلاء الى اتخاذ تدابير مضادة فالعلامة عبد الوهاب . بن منذر القرطبي

( ١ ) ابن بشكوال : الصلح ٢ ص ٦٤٠ .

( ٢ ) ابن الأبار : المعجم ص ٢٨٩ .

من اعلام امارة بنى جهور ( ت ٤٣٦ هـ / ) وصف بالتقوى والنسك وكان اماما  
بمسجد بدر بقرطبة . الا انه قد نظر فى شئ من علم الكلام فاتهم بالاعتزال  
ونسبه الى مذهب ابن مسرة الجبلى . مما اسخط عليه الفقهاء فكادوا له  
وضيقوا عليه مما اضطره الى الانقباض عن الناس وملازمته لمنزلة <sup>(١)</sup> .

وهناك علماء آخرون عرفوا بالاشتغال بعلم الكلام - ولكن المصادر لم  
تمدنا بمعلومات وفيرة عنهم وعن افكارهم وانتاجهم العلمى . فمن هؤلاء يحيى  
بن عبد الله بن كيس ( ت / ٤٣٦ هـ - ١٠٤٤ م ) من اعلام امارة بين جنهور  
وكان عالما بالحديث عارفا بعلم الكلام بصيرا بالجدل حتى قال فيه ابـ  
حيان ( مانعلم فى الاندلس فى وقته ابصر منه بالكلام والجدل ونحو ذلك ) <sup>(٢)</sup> .

وجدير بالذكر ان بعض علماء الكلام قد التزموا السير على منهج السلف  
فى الدفاع عن العقائد الايمانية و اضافوا الى ذلك اعتمادهم على بعض الادلة  
العقلية التى لا تصطدم بتعاليم الشرع وقواعده ، وهذا ما نلمسه فى سير بعض  
علماء الكلام فى الاندلس فهذا العلامة احمد بن محمد الجذامى المرسى من  
اعلام مملكة عباد . كان كثير التجول والترحال فى طلب العلم ونشره  
( وكان شيخ المتكلمين على مذهب اهل الحق فى وقته ) <sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٣٨٠ . وانظر عن مذهب ابن مسرة

سعد البشرى الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ص ٢١١

وما بعد ها (رسالة ماجستير لم تطبع .)

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٦٧ - الضبي : بغية الملتبس ص ٥٠٤  
الا انه يسمى اباه و جده عبد الملك بن قيس .

( ٣ ) ابن الأبار : تكملة الصلة : ج ١ ص ٣٨ - ٣٩ - ابن الأبار : المعجم

وله رسائل في علم الكلام ، واملئ رسالته في مسألة تكليف مالا يطابق  
كما ان له اشعارا تدور حول معارفه في علم الكلام . وكان موصوفا بالعلم  
والفضل<sup>(١)</sup> .

وللعلامة المقرئ المفسر مكي بن ابي طالب نشاط في ميدان الدراسات  
الكلامية فقد صنف كتابا في اختلاف العلماء في النفس والروح<sup>(٢)</sup> . وهذه المسألة  
اثارها كثير من العلماء ، واختلفوا حول طبيعة النفس والروح . فمنهم من اعترف  
بتقصيره عن معرفة كنه الروح واحال معرفة ذلك لعلم الله - ومنهم من  
لج في الجدل حتى تاه في مسالك الحيرة . وهو مادفع العلامة مكي الى طرق  
باب المشاركة في هذا الميدان فصنف كتابه الآنف الذكر . ولا ريب انه اعتمد  
في تأليفه على الأدلة النقلية التي تيسر له حفظها وفهمها باطلاعه الواسع  
على القرآن الكريم وتفسيره فهو عالم بالقرآن بارع في علومه قبل ان يكون متكلم .  
واخيرا فان علم الكلام لم يجد له نشاطا واسعا في الاندلس . ولم يلق  
من التشجيع وكثرة الانصار ما لقيه في المشرق الذي كثرت فيه الملل والنحل  
والفرق . وما من شك ان المذهب المالكي وهو صاحب السيادة المذهبية  
لعب دورا كبيرا في فرض نفوذه ومحاربة أي مذهب او فكر ديني آخر في  
الاندلس<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن الأبار : تكملة الصلح ١ ص ٣٩ .

( ٢ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٧٦ .

( ٣ ) انظر في تراجم بعض علماء الكلام ممن لم يردوا في البحث . ابن

بشكوال، الصلح ٢ ص ٥٣٢ ابن الأبار: تكملة الصلح ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨

ابن عطية : فهرسة ابن عطية ٦ ص ١٠٣ .



( ٣٣٧ )

## الفصل الثانى

الحياة الادبية واللغوية

الشعر - النثر - علوم اللغة والنحو

( ٣٣٨ )

### الشعر مهممممممممم

اثر الطبيعة على الشعر الاندلسى

مكانة الشعر الاندلسى

مواقف بعض الشعراء من اوضاع عصرهم .

الشعر والشعراء فى بلاطات ملوك الطوائف .

الموشحات والازجال عابرز ناظميها آنذاك .

ليس هناك شيء ارق واعذب اتصالا بالاندلس في تاريخها الفكرى من الشعر، فقد حظى باهتمام الناس على مختلف طبقاتهم، وكان الشعر هو النغمة المشتركة بين افراد المجتمع حتى ان مدينة شلب عرف اهلها بصراحة انسابهم وفصاحتهم، وقروضهم للشعر، وندر من لا ينظمه بينهم، ولو ان شخصا مر بحراث خلف فدائه وسأله قرض شيء من الشعر لفعل ذلك فى (١) اى معنى يقترح عليه .

وبناء عليه فقد نزل الشعر لدبيهم منزلة عظيمة، وكان الشعراء يلقون من الملوك والامراء كل تشجيع وتكريم، وكان ملوك الطوائف حريصين على ان يضم بلاط كل منهم فحول الشعراء وكبارهم احتفاء بهم واعجابا بما ينظمون (٢) من روائع الشعر واجمله .

#### اثر الطبيعة على الشعر الاندلسى

وكان للطبيعة الاندلسية اثر عميق فى تألق الحركة الشعرية وظهور عدد من الشعراء المبدعين فى تصوير الطبيعة بجمالها وفتنتها وكانت الاندلس تزدهى بطبيعتها الساحرة من انهار واشجار وظلال وارفة

- 
- (١) القزوينى : آثار البلاد (ص ٥٤١) ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، (ص ٣٥٧-٣٥٨) ، الحميرى : الروض المعطار (ص ١٠٦) ، ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا (ص ١٣٨) ، زيغريه هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب (ص ٥٠٧) ، ليفى بروفنسال ، حضارة العرب فى الاندلس (ص ٥٧-٥٨) ، مدينة شلب بالجنوب الغربى للاندلس وبينها وبين قرطبة تسعة ايام للراكب . ابن سعيد : المغرب، ج ١ ، (ص ٣٨١) ، نقلا عن الرازى . وانظر ايضا : الحميرى : العروض المعطار (ص ٣٤٢) . وياقوت : معجم البلدان ج ٣ ، ص ٣٥٧ .
- (٢) المقرئ : النفح ، ج ١ (ص ٢٢٢) ، احمد امين : ظهر الاسلام ج ٣ (ص ١٩) .

ومروج خضراء تسرح فيها العيون ويضطرب لها الوجدان ، وهو مارق احاسيس  
اهلها ومشاعرهم ، وكما قال ابن خفاجة :

يا اهل اندلس لله دركم ماء وظل وانهار واشجار  
ماجنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هناك اختار  
لا تتقوا بعدها ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار<sup>(١)</sup>

بل اننا نجدهم ينساقون الى وصف كثير من مظاهر حياتهم العملية  
ذات الارتباط بطبيعة بلادهم فمثلاً كانت النواير - جمع ناعورة - وهي  
الآلة التي يستعين بها الفلاحون في سحب المياه من النهر الى الاراضي  
الزراعية ، هذه الآلة نالت اعجاب كثير من الشعراء فوصفوها ودبجوا فيها  
اشعاراً رائعة .<sup>(٢)</sup>

وممن وصف ذلك الشاعر على بن سعيد الخير الذي وصف دولاب مرسية  
المشهور ، فقال :

لله دولاب يفيض سلسل في دوحة قد اينعت افناناً<sup>(٣)</sup>

وولع الاندلسيون بوصف الازهار والرياح ، حتى الف اديبهم ابو الوليد  
اسماعيل بن محمد الحميري القرطبي ( ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ) كتابه " البديع  
في فصل الربيع " والفه حماسة لاهل بلده بحفظ اشعارهم وجمعها ، وغيره لما

( ١ ) انظر ديوان ابن خفاجة باشراف البستاني ، طبعة دار صادر ، بيروت  
وكذلك ما جمع تحت اشراف مصطفى سلامة البخاري سنة ١٢٨١ هـ الطبعة  
الخامسة بجمعية المعارف المصرية ( ص ٧٢ ) ، ط / منشأة المعارف  
( ص ٣١٤ ) .

( ٢ ) Jan Read : The Moors in Spain and Portugal, P.82.

( ٣ ) انظر غلاف الوجه والظهر لكتاب ابن سيده ، تأليف داريو كابرانيلاس ،  
ترجمة حسن الوراكي . ولم اعثر لهذا الشخص على ترجمة لحياته .

عكفوا عليه من حفظ لاشعار اهل المشرق ونبذ اشعارهم البديعة ، والفصل الاول يتناول فيه موضوع وصف الربيع عامة ، والثاني وصف لعدة ازهار والمفاضلة بينها ، والثالث مخصص للقطع التي تختص كل منها في وصف نوع واحد من النوار كالآس والياسمين والنيلوفر .<sup>(١)</sup>

### مكانة الشعر الاندلسي

اما عن الشعر الاندلسي فقد قيل فيه الكثير ، ونكتفى برأى المستشرق الالماني فون شاك الذى قال : ( ان اشعار الاندلسيين تمتاز بصفة عامة بجزالة الالفاظ ، وجمال رنينها ، وابداع الاخيلة ، وبعد مداها ، وبدلا من ان يجعلوا الالفاظ مركب للافكار ، وبدلا من ان يدعوا القلوب تعبر عن احساسها في فيض طبيعي نجدهم يغدقون علينا طوفانا من الالفاظ الرنيئة والاخيلة البراقة ، وكأنما لم يقنعوا بتحريك عواطفنا وطلبوا اعشاء ابصارنا وان تقديرنا لاشعارهم يزداد بقدر ما يقل تكلفهم في الغوص وراء المعانى البعيدة ، وبقدر ما يطامنون من طموحهم الى الاتيان لما لم يسبقوا اليه لانهم في هذه الحالة يعبرون عن مشاعر صادقة في عبارات غير متكلفة )<sup>(٢)</sup>.

- 
- ( ١ ) احسان عباس : الادب الاندلسي في عصر الطوائف ( ص ١٩٤ ) ، صلاح خالص ، اشبيلية في القرن الخامس الهجرى ( ص ١٦٦ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ٢٨٣ ) ، وانظر ترجمة المؤلف في الصفدى : الوافى ، ج ٩ ( ص ٢٠٩ ) ، كتاب البديع : نشره المستشرق هنرى بيريز في الرباط ، ١٩٤٠ م ، وانظر في تأثير الطبيعة الاندلسية في الشعر ، سعد شلى : البيئة الاندلسية ( ص ٦٧ ) وما بعدها وجودة الركابى : في الادب الاندلسي ( ص ١٣ ) .
- ( ٢ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ٤٦ - ٤٧ ) .

وعن تقليد شعراء الاندلس للمشرق نرى ان بعض الكتاب قد بالغ في الصاق تلك الظاهرة بشعراء الاندلس حتى نفى عنهم سمة الابداع والاصالة (١) في اشعارهم .

والحق ان الدارس للشعر الاندلسي يرى ان ظاهرة التقليد تعود الى الشكل والموضوع، دون المضمون ، فمن جهة الشكل المتمثل في تقاليد القصيدة العربية القديمة لا يستغرب من الاندلسيين التزامهم به ، وهو اتجاه عام لدى شعراء العربية في جميع العصور وحيثما كانوا ، فهو جزء من تراثهم العربي وركن من اركان شخصيتهم العربية الاصيلية ، والامر كذلك بالنسبة لفنون الشعر فهي هي في المغرب والمشرق ، والعبرة الحقيقية بمسدى الاجادة او عدمها في تلك الفنون ، واما عن مضمون الشعر الاندلسي فينصب مثلا على تجارب الشعراء الذاتية وما تختزنه اذهانهم من معان ، وافكار عن بيئتهم الطبيعية الاجتماعية ، فهو مضمون يغلب عليه سمة الابداع والتجديد . (٢)

مواقف بعض الشعراء من اوضاع عصرهم  
ويحق لنا ان نتساءل بعد ذلك هل لعب الشعراء دورا في تشكيل الاحداث السياسية والعسكرية ، فنقول مع مزيد الاسف ان الجمع بين ارضاء الحاكم وتنبيهه الى اصلاح الامر في دولته داخليا وخارجيا آنذاك اشبه بالمستحيل ، ولكن رغم ذلك نجد لمحات وضاعة واشارات قليلة تنم عن مشاركة عدد من الشعراء في اصلاح الاجتماعى والسياسى والعسكرى في ذلك العصر المضطرب ، ومن اوضح الامثلة على ذلك الدور البارز الذى لعبه الشاعر ابواسحاق ابراهيم بن مسعود التجيبى (٣) (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) ، عندما توجه بقصيدته الذائعة الصيت الى بربر صنهاجة يحرضهم على اقضاء يوسف بن صمويل الوزير اليهودى لباديس بن حبوس ، يقول في مطلع قصيدته :

( ١ ) انظر مثلا : شوقي ضيف : الفن ومذاهبه ( ص ٤١٢ ) .

( ٢ ) عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس ( ص ١٦٤ - ١٦٥ ) .

( ٣ ) الالبيرى : نسبة الى البيرة مدينة قديمة ترجع فى تاريخها الى العصر

الرومانى وتقع على نهر شنيل ، استقر فيها عرب الشام ( احمد عطية الله

القاموس الاسلامى ج ١ ص ١٦١ )

|                       |                           |
|-----------------------|---------------------------|
| الا قل لصنهاجة اجمعين | بدور الندى واسد العرين    |
| لقد زل سيدكم زللة     | تقر بها اعين الشامتين     |
| تخير كاتبه كافرا      | ولو شاء كان من المسلمين   |
| فعز اليهود به وانتخوا | وتاهوا وكانوا من الارذلين |

وفعلت هذه القصيدة فعل السحر في صنهاجة واهالي غرناطة فثاروا على اليهود وقتلوا يوسف بن صمويل ، ونكلوا باليهود وقضوا على قياداتهم المختلفة في الدولة وضعف شأنهم بعد ذلك<sup>(١)</sup> .

واذا كان الشاعر ابو اسحاق الالبيري قد حقق نجاحا عمليا بشعره فان الاديب الشاعر ابا حفص عمر بن الحسن الهوزني استشهد في سبيل الحق لانه نطق في شعره بما يراه حقا وهو ما لم يستسيغه المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ، وكان ابو حفص قد رحل الى المشرق ثم عاد الى الاندلس فنزل مرسية وبلغ سمعه ما لم يبشر ووقعها في يد النورمانديين ( ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) فارسل رقعة الى المعتضد يقول في افتتاحيتها :

|                           |                                       |
|---------------------------|---------------------------------------|
| اعباد جل الرزء والقوم هجع | على حالة من مثلها يتوقع               |
| فلق كتابي من فراغك ساعة   | وان طال فالموصوف للطول موضع           |
| اذا لم ابث الداء رب دوائه | اصغت واهل لللام المضيع <sup>(٢)</sup> |

- ( ١ ) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ( ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٦٩ - ٨٦ ) ، غرسية غومس : مع شعراء الاندلس ( ص ١٢٥ - ١٢٦ ) ، كامل كيلاني : ملوك الطوائف ( ص ١٦٤ - ١٧٩ ) ، آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١٠٨ ) ، سعد شلي : البيئة الاندلسية واثرها في الشعر ( ص ٢٧٠ ) وما بعدها .
- ( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٨١ - ٨٢ ) ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ( ص ٢٣٩ ) ، سعد شلي : البيئة الاندلسية ( ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ) ، ميخائيل أماري : المكتبة العربية الصقلية ( ص ٦٥٤ - ٦٥٥ ) .

وضمن رسالته تلك شيئا من نشره واشعارا اخرى ، وعند ما وصلت الى المعتضد ارسل خطابا يدعوه الى بلده اشبيلية فعاد اليها ســـــــنة ( ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ) وفي ليلة من الليالى وكان ابو حفص فى سجن المعتضد ( باشر قتله بيده ، فلم ينل عباد بعده سولا ، ولا متع بدنياه الا قليلا ، والى الله الاياب ، وعليه الحساب )<sup>(١)</sup> .

ومن طائفة الشعراء الساعين فى اصلاح ونقد الفساد بجميع الوانه فى ذلك العصر خلف بن فرج الالبيرى الذى كان يمثل بشعره الرفض العميق لكل ماحوله من مظاهر الحياة السياسية . وقد آلمه ماشاع فى الناس من ذل وهوان ، وما آثره الملوك من الخلود للترف واللهو فى الوقت الذى تتقلص فيه بلاد الاسلام امام الزحف النصرانى الذى استغل تنازع ملوك الطوائف وانقسامهم فقال يصف حالهم :

|                    |                                 |
|--------------------|---------------------------------|
| ناد الملوك وقل لهم | ما ذا الذى احدثتم               |
| اسلمتم الاسلام فى  | اسر العدا وقعدتم                |
| وجب القيام عليكم   | اذ بالنصارى قمتم                |
| لاتنكروا شق العصا  | فعصا النبى شققتم <sup>(٢)</sup> |

ويذكر السلفى بسماعه عن ابى الحسن على بن محمد بن معدان الصدفى عن ابى الحسن على بن مروان المنكبى قال ، كان لباديس بن حبوس وزير يهودى فمات واستوزر بعده نصرانيا ، فقال ابو القاسم خلف بن فرج " السميسر " ثلاثة ابيات وكتب منها نسخا كثيرة وفرقها فى شوارع البلد والطرقات وانطلق من ساعته الى المرية ملتجئا للمعتصم بن صمادح ، فذاعت تلك الابيات فى غرناطة

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٨٣ ) .  
 ( ٢ ) الطاهر احمد : مرجع سابق ( ص ٧٤ ) ، وأنظر بعض اشعاره فى الاصفهاني ، خريدة القصر قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ١٦٧ - ١٦٩ ) .



ومالبت حتى ذاعت في اقطار الاندلس ولما علم بها باديس ارسل في اثر  
السميسر بعض الفرسان ، ولكنهم لم يتمكنوا من اللحاق به والابيات هي :

|                   |                                |
|-------------------|--------------------------------|
| كل يوم الى وراء   | بدل الـ . . . . با . . . .     |
| فزمانا تهودا      | وزمانا تنصرا                   |
| وسيصبوا الى المجو | س ان الشيخ عمرا <sup>(١)</sup> |

---

( ١ ) معجم السفر، اخبار وتراجم اندلسية ( ص ٨٣ - ٨٤ ) ، وانظر كذلك  
سعد شلبي : البيئة الاندلسية ( ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ) ، والشر الثاني  
من البيت الاول يتضمن الفاظا بذيئة رأينا حذفها مراعاة للنزاهة .

الشعر والشعراء فى بلاطات ملوك الطوائف  
 ~~~~~

(بنو عباد فى اشبيلية وقرطبة)
 ~~~~~

وكان لملوك الطوائف اثر فى ازدهار الشعر وزرع بذور المنافسة بين الشعراء للوصول الى الافضل فيما ينظمونه من الشعر، ولهذا نجد ان بنى عباد فى اشبيلية قد انشأوا ديوانا للشعراء ينزلونهم فيه مراتب متفاوتة حسب براعة كل منهم وجودة انتاجه، وكان للشعراء فى بلاط بنى عباد يوما فى الاسبوع هو الاثنين يدخلون فيه على ملك اشبيلية فينشدونه اشعارهم فاذا اراد الشاعر القاء قصيدته صعد على كرسى موضوع لهذا الغرض فيلقى من عليه اشعاره، وقد روى ان الشاعر ابن جاح وفد على بلاط المعتضد عباد فدخل الدار المخصصة للشعراء فسأله اذا كان شاعرا فاجاب بنعم فطلبوا منه انشاد بعض شعره فقال :

انى قصدت اليك يا عبادى      قصد القليق بالجرى للوادرى

فضحكوا منه وازدروه، فنصحهم احدهم بتركه فلعله يصبح واحدا منهم، فلم يبالوا بنصيحته واخذوا فى التندر بابن جاح، وفى ذلك اليوم المخصوص لدخول الشعراء على المعتضد وهو يوم الاثنين، دخل الجميع بلاط الملك وكان من بينهم ابن جاح فصعب عليهم ذلك واقترحوا تقديمه عليهم حتى يناله الطرد والإقصاء فيصفوا الجولهم، فطلبوا من المعتضد تقديم ابن جاح عليهم فصعد على الكرسى والقى قصيدته الرائعة الجميلة التى اخلف بها ظن خصومه من الشعراء، ومطلعها يقول :

قطعت يا يوم النوى اكبادى      وحرمت عن عيني لذيد رقادى

حتى قال :

يا ايها الملك المؤمل والذي      قد ماسما شرفا على الانداد  
ان القريض لكاسد فى ارضنا      وله هنا سوق بغير كساد  
فجلبت من شعري اليك قوافيا      يغنى الزمان وذكرها متمادي  
من شاعر لم يضطلع ادبا ولا      خطت يدها صحيفة بمداد

فقال له المعتضد : انت ابن جاح ؟ قال : نعم ، فقال اجلس فقد  
وليتك رئاسة الشعراء وقرب منزله ، ولم يأذن لغيره من الشعراء فى الكلام  
فى ذلك اليوم .<sup>(١)</sup>

ومن الغريب انه نال هذه المنزلة العظيمة رغم انه كان اميا لا يقرأ<sup>(٢)</sup>  
ولا يكتب كما يفهم من البيت الاخير ، وهو ما اشار اليه ايضا ابن سعيد .

وممن كان فى ديوان الشعراء لدى بنى عباد الشاعر ابو الحسن سلام  
ابن عبد الله الباهلى (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) وكان ابو الحسن قد دخل على  
المعتمد وعمره دون العشرين فالقى قصيدة جيدة فى مدحه فاجزل صلته  
وقربه والحقه بديوان الشعراء<sup>(٣)</sup> .

والوزير الشاعر الكبير ابو بكر بن عمار كان خامل الذكر فى موطنه  
بشلب ، حتى اذا وفد على المعتضد امتدحه بقصيدته الرائعة التى يقول  
مطلعها :

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى      والنجم قد صرف العنان عن السرى  
فاستحسنها وامر ان يكتب ابن عمار فى ديوان الشعراء<sup>(٤)</sup> .

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ (ص ٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٢) رايات المبرزين (ص ٦٠) .

(٣) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٤٨ - ٤٩) .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، ١ (ص ١٣) .

وجدير بالذكر ان دولة بنى عباد فى اشبيلية وقرطبة لعبت دورا عظيما فى ازدهار الحركة الادبية ، وبزت بقية دول ملوك الطوائف فى هذا الدور ولاغرو فى ذلك فان ملوك هذه الدولة جميعهم كانوا ادباء شعراء يشار اليهم بالبنان ، فمؤسس هذه الدولة القاضى محمد بن اسماعيل ( ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ) كان ( له فى العلم والادب باع ، ولذوى المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء فى صنعة الشعر وحوك البلاغة بسطا لهم واقامة لهممهم ، ولما كان فى طبعه بعد ذلك ايضا )<sup>(١)</sup> .

كما ان ابنه المعتضد عباد كان ممن اجاد قول الشعر ونظم روائعه فاجتمع من اشعاره قدرا كبيرا جمعه ابن اخيه فى ديوان<sup>(٢)</sup> .

واتى بعد المعتضد ابنه المعتمد ، وكان اشهر بنى عباد سياسة وادبا وشعرا ، وقد الف ابن بسام عن شعره كتاب " الاعتماد على ماصح من شعر المعتمد بن عباد"<sup>(٣)</sup> .

والمعتمد بن عباد من الملوك الشعراء ، ورغم انشغاله بمهامه السياسية والعسكرية الا انه كان ذا باع طويل فى قرض الشعر فقد كان شديد الاهتمام بالادب عظيم العناية به ، بارعا فى نظم الشعر ، وقاده ذلك الى تقريب الادباء والشعراء ، وبذل الصلات الجزيلة لهم ، فاجتمع فى بلاطه من الادباء والشعراء ما لم يجتمع لدى غيره من ملوك عصره<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، ج ١ ( ص ١٣ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٢٩ ) ، كامل كيلانى ملوك الطوائف ( ص ٩٦ ) .  
 ( ٣ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٨١ ) .  
 ( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤١ - ٤٢ ) ، الاصفهانى خريدة القصر ، قسم المغرب ، ج ٢ ( ص ٢ ) ، المراكشى : المعجب ( ص ١٤٩ ) ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ١٢ ( مخطوط ) ورقية ٧ ب ، ول ديورات : قصة الحضارة ، ج ١٣ ( ص ٢٩١ ) .

واشعار المعتمد تنقسم حسب حالته السياسية وما آل اليه امره الى قسمين : قسم قاله ابان عزه وسلطانه ، وقسم آخر عندما زال ملكه وتلاشى سلطانه اسير القيود والاحزان ، ففي محنته قال اعذب القوائد واصدقها عاطفة وابعثها على الحزن الدفين والمرارة العميقة .<sup>(٢)</sup>

وقد جاءت اشطاره في رثاء ماضيه المجيد وسلطانه الغابر وبكاء يومه البائس كثيرة وفريدة ، ولم يحدث قبله ان تفجرت ينابيع الشعر في اعماق ملك فصور لنا نكبته ومأساته بفيض عارم من الحزن والاثارة والحرقة كما فعل المعتمد ، وعلى الرغم من نهايته الكئيبة الا ان اشعاره تلك تشع بكبرياء وأنفة .<sup>(٣)</sup>

ومن شعره في اسره :

|                               |                                        |
|-------------------------------|----------------------------------------|
| غريب بارض المغربين اسير       | سيبكي عليه منبر وسريـر                 |
| وتندب به البيض الصوارم والقنا | وينهل دمع بينهن غزير                   |
| اذا قيل في اغمات قد مات جوده  | فما يرتجى للجود بعد نشور               |
| مضى زمن والملك مستأنس به      | واصبح عنه اليوم وهو نفور               |
| برأى من الدهر المضلل فاسد     | متى صلحت للمصالحين دهور                |
| اذل بنى ماء السماء زمانهم     | وذل بنى ماء السماء كثير <sup>(٤)</sup> |

- ( ١ ) انظر نماذج من هذا الشعر ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ( ص ٤٣ - ٥٢ ) ، وانظر ديوان شعره الذي جمعه د . رضا الحبيب السويسي : الدار التونسية للنشر ١٩٧٥ م .
- ( ٢ ) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١٠١ ) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ) ، جودة الركابي : فـى الادب الاندلسي ( ص ٩٢ - ٩٣ ) .
- ( ٣ ) الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٦٤ ) ، وانظر نماذج من اشعاره هذه في ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٦٢ - ٨٠ ) ، وانظر ديوانه الذي جمعه رضا الحبيب ( ص ١٤٧ - ١٤٩ ) .
- ( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٧٥ . وانظر الصيرفي المختار من شعر شعراء الاندلس ، ص ٣٩ وما بعدها .
- ابن الوردي : تنمة المختصر في اخبار البشر ج ٢ ، ص ١٦ .

وفى بلاط بنى عباد عاش عدد من كبار شعراء ذلك العصر، ويأتى فى مقدمتهم الشاعر ابو الوليد احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون القرطبي ( ٣٩٤ - ٤٦٣ هـ / ١٠٠٣ - ١٠٧٠ م ) ويعود فى نسبه الى قبيلة مخزوم القرشية، نشأ فى قرطبة وطلب الادب وبرع فيه، وذاع صيته بالمهارة فى نظم الشعر، ولحقته به تهمة<sup>(١)</sup> لدى عبدالله بن احمد بن المكوى ادت به الى السجن فتشفع بابى الوليد ابن جهور فى حياة ابيه ابى الحزم بن جهور وتمكن ابن زيدون من الخروج من السجن، وفى حكومة ابى الوليد ابن جهور برزت مكانة ابن زيدون وعلت منزلته لدى ابى الوليد، بيد ان الحال لم يدم على هذه العلاقة الطيبة فتوترت العلاقة بينهما، غير ان ابا الوليد بن جهور عفا عنه واعاده الى مكانته ثم اتخذه سفيرا الى عدد من ملوك الطوائف وكان ابن زيدون اديبا فصيحاً بليغاً فطمع كل ملك فى اجتذابه الى بلاطه غير انه فضل الاقامة فى بلاد المعتضد فسار الى اشبيلية سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، حيث اعلى المعتضد مكانته وقرب مجلسه وادناه<sup>(٢)</sup>.

وظل ابن زيدون فى بلاط المعتضد مرعى الجانب كريم المنزلة متقلداً للوزارة لدى المعتضد حتى توفي الاخير وتولى بعده ابنه المعتمد الذى زاد فى اكرام ابن زيدون رغم مساعى حساده وخصومه فى اسقاطه عن مكانته وابعاده عن بلاط بنى عباد حتى اشار بعضهم على المعتمد ان يرسل

( ١ ) انظر تفصيل سيرته وحياته وقصة تلك الحادثة التى دخل بسببها السجن، شوقى ضيف : نوابغ الفكر العربى ( ابن زيدون ) ( ص ١٥ ) . ( ٢٩ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ ( ص ٣٣٦ ) وما بعدها، ابن خلكان وفيات الاعيان، ج ١ ( ص ١٤٠ )، ابن نباتة : سرح العيون ( ص ٢ )، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٥ ( ص ٨٨ )، جودة الركابى فى الادب الاندلسى ( ص ٦٣ ) وما بعدها، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ( ص ١٧٣ - ١٧٤ ) .

ابن زيدون لتهدئة الثائرة التي قام بها العامة ضد اليهود في اشبيلية  
فسار ابن زيدون على رأس الحملة على مضض وقد اثقلته الامراض واوهنت جلده  
الاسقام ليلفظ انفاسه الاخيرة في رجب ( ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م )<sup>(١)</sup> .

ولعل من عوامل شهرة ابن زيدون ارتباط حياته بحبه المشهور لولادة  
بنت المستكفي ، والتي قال فيها قصائده الجميلة واعذب اشعاره وارقهـا  
ولادة هذه بنت الخليفة الاموي محمد بن عبدالرحمن المستكفي  
( ت ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م ) ، الذي وصف بالخمول والتهتك<sup>(٢)</sup> .

وقد جانب الفتح بن خاقان الصواب عندما ذكر انها ابنة الخليفة  
المهدي محمد بن هشام الذي قتل سنة ( ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م ) على يد  
بعض الصقالبة<sup>(٣)</sup> .

وكانت ولادة ماهرة في الادب بارعة في الشعر ، حتى كان كثير من  
الادباء والشعراء يغشى مجلسها بقرطبة يتبادلون فيه نظم الوان من  
الشعر والنثر وقد عرفت رغم مكانتها الادبية بقلّة تصاونها وعفافها<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكر كثير من المؤرخين الذين تناولوا سيرة ولادة سيرتها  
الشخصية وذكروا انها بعد مقتل ابيها انتقلت في حياتها الاجتماعية الى  
طور آخر من الابتذال وقلة التحفظ<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) شوقي ضيف : ابن زيدون ( ص ٢٨ - ٢٩ ) ، جودت الركابي : في  
الادب الاندلسي ( ص ١٨٥ ) ، وما بعدها ، احمد الهاشمي : جواهر  
الادب ، ج ٢ ( ص ١٧٠ ) .

( ٢ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ٢٦ - ٢٧ ) ، الضبي : بغية الملتبس  
( ص ٣٣ ) . - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٣٩٢ .

( ٣ ) قلائد العقيان ( ص ٧٥ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٢٩ ) .

( ٥ ) انظر ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة ، ابن بشكوال  
الصلة ، ج ٢ ( ص ٦٩٦ ) ، ابن دحية : المطرب من اشعار اهل  
المغرب ( ص ٧ - ٨ ) ، الضبي : بغية الملتبس ( ص ٥٤٧ ) ، ابن  
نباة : سرح العيون ( ص ٦ ) .

ولم يشذ عن وصفها بتلك الحال الا المقرئ الذى وصفها بطهارة  
الاثواب ونقاء السيرة ، ثم يقول : ( على انها اوجدت للقول فيها السبيل  
بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . . )<sup>(١)</sup> .

وقال فى نص آخر بعد ان امتدحها بعلو القدر فى الادب والشعر  
( وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف )<sup>(٢)</sup> .

وكان ابن زيدون من اولئك الادباء الذين حضروا مجالسها الادبية  
وكان آنذاك فى ميعة الشباب ورونقه فارتبط معها بالحب الذى شابتـه  
الوان الوصال والفراق ودبح فى كلتا الحالتين قلائد بديعة من شعره ومنها  
قصيدته المشهورة الذائعة الصيت ومطلعها :

بنتم وبنا فما ابلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا<sup>(٣)</sup>

وحدث ان حضر ابن زيدون مجلسها وفيه جاريتها عتبه ، وكانت تغنى  
فطلب منها اعادة صوتغنته فغضبت ولادة وثار غيرتها ظنا منها انه مال  
لجاريتها فقالت تخاطبه من جملة ابيات :

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا لم تهو جاريتى ولم تتخير<sup>(٤)</sup>

وزاد العلاقة توتراب بينهما عندما انتقد ابن زيدون شعرها فيـه  
اذ تقول فى بيت لها :

سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا بكل سكوبهاطل الوبل مغدق

( ١ ) نفح الطيب ، ج ٤ ( ص ٢٠٥ ) .

( ٢ ) نفس المصدر والجزء ( ص ٢٠٥ ) .

( ٣ ) انظر هذه القصيدة وغيرها من اشعاره فى ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ،  
ج ١ ( ص ٣٦٠ ) وما بعدها ، وقد ذاعت قصيدته الانفة الذكر ونالت  
اهتمام الادباء من اندلسيين ومشارقة ، انظر صلاح خالص : مرجع سبق  
ذكره ( ص ١٧٣ ) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ١٥٧ ) ،  
وما بعدها .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ( ص ٤٣١ ) ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ،  
( ص ٢٠٥ ) ، شوقي ضيف : مرجع سابق ( ص ٢١ ) .



فان النقاد عابوا على ذى الرمة قوله :

الا ياسلمى يادارمى على البلى  
فان ذلك مايشبه الدعاء على المحبوب من الدعاء له <sup>(١)</sup> .

ويبدو ان ابن زيدون نظم كبريائها بنقده فازورت عنه وصرفت قلبها الى  
غيره وحاول ابن زيدون بشتى الوسائل ان يستميلها ويستعطفها وان تعود الى  
ايام الصفاء والوداد لكنها مضت فى اعراضها عنه بعد ان ارتبطت بمحب آخر  
هو الوزير ابو عامر بن عبدوس <sup>(٢)</sup> .

ولابن زيدون ديوان كبير نشره الاستاذان كامل كيلانى وعبد الرحمن  
خليفة ومن يطالعه يتضح له ان الغزل والنسيب هو الطابع الغالب على شعره  
واما قصائد المدح فهى تأتى فى نظمها بعد ذلك ، لان علاقاته العاطفية  
كانت فى شبابه ، ولكنه بعد خلاصه من السجن فى الدولة الجهورية اتجه  
الى المعتضد فى اشبيلية مادحا له مفتتحا بذلك طورا ولونا جديدا فى شعره <sup>(٣)</sup> .

وفيما يتعلق بشاعريته ، فقد وصفه المؤرخون والادباء باوصاف شتى  
تم عن علو مكانته وبراعته فى النظم ، فابن نباتة يشير الى انه كان يدعى بحترى  
المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه <sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٠٧ ) .  
( ٢ ) المقرئ : نفس المصدر والجزء والصفحة ، وبسبب هذه العلاقة كتب ابن  
زيدون رسالته الهزلية سخر فيها على لسان ولادة من ابن عبدوس  
سخرية لا ذاعة ، وقد توسل ابن زيدون ان ترسلها لابن عبدوس الا انها  
امتنعت وهجت ابن زيدون ، انظر المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٠٥ -  
٢٠٦ ) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢١٥ - ٢١٨ ) .  
( ٣ ) انظر شوقي ضيف : ابن زيدون ( ص ٣٠ ) وما بعدها .  
( ٤ ) سرح العيون ( ص ٣ ) .

(١) ووصفه ابن تغرى بردى بانه حامل لواء الشعراء فى عصره .

والحق ان شعره ينم عن سعة اطلاعه على اعمال من سبقه من الشعراء المشاركة والاندلسيين وانه افاد من كل ذلك مع احتفاظه بشخصيته المميزة فى شعره وعنايته بابرار ذاته فى اعماله الشعرية<sup>(٢)</sup> .

ولعل من اهم سماته الفنية فى شعره براعته فى الصياغة الشعرية وثرأ مفرداته وحسن اختياره للفاظه مع التزامه بابرار ذاته سواء فى المدح او الغزل ، مع اصطباغها بالشكل الذى تفرضه الظروف والاحوال<sup>(٣)</sup> .

وضم بلاط بنى عباد من الشعراء البارزين عبد الجبار بن محمد بن حمدى بن حمديس الازدى الصقلى ( ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ) وكان قد لجأ الى الاندلس سنة ( ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ) بعد ان حلت النكبة بوطنه صقلية الذى وقع تحت الاحتلال النورماندى فلأذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح من ابرز شعراء بلاطه ، ولما زال ملك المعتمد ظل ابن حمديس وفيا لصاحبه فلحق به الى منفاه زائرا ومواسيا له ، ثم ادت به الظروف بعد وفاة المعتمد الى الانتقال الى الهدية فيمورقه حيث مات بها بعد ان عمر طويل<sup>(٤)</sup> واصيب بالعمى .

- 
- ( ١ ) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ( ص ٨٨ ) ، وانظر ايضا الاصفهاني : فريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ٤٨ - ٧١ ) .
- ( ٢ ) احمد امين : مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ( ص ١٥٨ - ١٥٩ ) .
- ( ٣ ) صلاح خلص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ( ص ١٨٣ - ١٨٤ ) .
- ( ٤ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ( ص ٢١٢ ) وما بعدها ، ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١٢ ( ص ٢٠٦ ) ، جودت الركابى : فى الادب الاندلسى ( ص ١٠٠ - ١٠١ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ٩٧ - ٩٨ ) ، عزيز احمد : تاريخ صقلية الاسلاميه ( ص ٩١ ) ، ميخائيل امارى : المكتبة الصقلية ( ص ٦١٣ ، ٦٥٣ - ٦٥٤ ) .

وذكره ابن دحية فقال : ( شاعر جيد السبك ، مليح الاستعارة ، حسن  
الاخذ ، لطيف التناول ، رقيق حواشى المعانى ، عذب اللفظ )<sup>(١)</sup> .

وفى شبابه تكونت النواة الاولى لشاعريته ، فهو شعر الفارس المحارب  
الذى تلون شعره بلون الجلال والطعان ، وهو ذاك المحب الذى يمتلك  
قلبا ارق من النسيم ، يقول من ضمن قصيدة له نظمها فى شبابه :

لى قلب من جامد الصخر اقسى      وهو من رقة النسيم ارق<sup>(٢)</sup>

وجدير بالذكر انه كان لنشأته بجزيرة صقلية - التى كانت تتمتع بجمال  
أخاذ فى طبيعتها ، اثر فى شحذ ملكته الشعرية فى الوصف وبراعته فى  
تصوير ما يراه من مفاتن الطبيعة فى شعره ، غير ان الفترة العصبية التى  
مر بها الشاعر فى اواخر الحكم الاسلامى لتلك الجزيرة جعله يشد رحاله  
ويفادر مرابع صباه فى حرقة والم<sup>(٣)</sup> .

وقام احسان عباس بنشر ديوانه ١٩٦٠ م ، لكن على الرغم من ذلك  
فان الذخيرة تضمنت اشعارا ليست فى الديوان ، وقد تكون مجموعة من  
القصائد التى كانت له فى الاندلس والتى نقلها عنه ابن بسام الذى لقيه  
وسمع عددا من قصائده ضمنها كتابه الذخيرة<sup>(٤)</sup> .

= والمهدية مدينة ساحلية شمال تونس بناها عبيد الله المهدي وسماها  
بالمهدية على اسمه فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، انظر الحميرى : الروض  
( ص ٥٦١ ) . وميورقة جزيرة فى شرق الاندلس فتحها المسلمون سنة  
٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، انظر الحميرى : المصدر السابق ( ص ٥٦٧ ) .

- ( ١ ) المطرب من اشعار اهل المغرب ( ص ٥٤ ) .
- ( ٢ ) احسان عباس : العرب فى صقلية ( ص ٢٤٠ - ٢٤١ ) ، وانظر فيه  
بالتفصيل مدى تأثره بمحنة وطنه الذى صاغ فيها اصدق اشعاره ولعمقها عاطفة
- ( ٣ ) جودت الركابى : فى الادب الاندلسى ( ص ١٠٠ -  
١٠١ ) ، وانظر احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ١٨٣ ) .
- ( ٤ ) انظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٣٢٠ ) ، ج رقم ( ١ ) .

وقد اثنى ابن بسام على ابن حمديس ووصفه بالمهارة والبراعة فـلى الوصول الى المعانى البديعة وانه يعبر عنها بالالفاظ الرفيعة ، مع مقدرة واسعة على التشبيه والغوص فى درر المعانى <sup>(١)</sup> .

وفى بلاط بنى عباد لمع نجم الشاعر الماهر عبد الجليل بن وهبـون المرسى الذى شد رحاله الى اشبيلية حيث اخذ الوانا من الادب علىـى يد الاستاذ الجليل الاعلم الشنتمرى ( ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ) وكان عبـد الجليل على علاقة طيبة بابن عمار وزير المعتمد فقربه الى مجلس المعتمد حيث امتدحه باشعاره التى استحسناها المعتمد واعجب بمهارة عبد الجليل فرفع مكانته بين شعراء بلاطه <sup>(٢)</sup> .

ومن اجمل قصائد عبد الجليل التى انشدها بين يدي المعتمد القصيدة التى مطلعها :

|                         |                                      |
|-------------------------|--------------------------------------|
| محل البس الدنيا جمالا   | وان فضح المقاصر والخلالا             |
| بناه كما بنى العليا بان | يشيد مآثرا ويبيد مالا <sup>(٣)</sup> |

ولابن وهبون قصائد كثيرة فى مدح المعتمد ووزيره النابه ابن عمار بالاضافة الى اشعاره الاخرى فى عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية ونظرا لغزارة مانظم فقد صنف الاديب المؤرخ ابن بسام كتابا جمع فيه

( ١ ) الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ٣٢٠ ) ، وانظر مايتضمن هذا المعنى الاصفهاني ، خريدة القصر ، قسم المغرب ، ج ٢ ( ص ١٩٤ - ٢٠٧ ) ، وكذلك ميخائيل امارى : المكتبة العربية الصقلية ( ص ٦١٢ ) نقلا عن اخبار الملوك ونزهة المالك والملوك فى طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية للملك المنصور صاحب حماه .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ ) ، والشنتمرى نسبة الى شنتمرية الغرب الى الجنوب الغربى لاندلس .

الحميرى : الروض ( ص ٣٤٧ ) .

( ٣ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٥٠٨ ) .

(١) اشعار عبد الجليل بن وهبون سماه ( الاكليل المشتعل على شعر عبد الجليل )

وكانت نهاية ابن وهبون مؤلمة حيث كان مسافرا من لورقه الى مرسية في اواخر الدولة العبادية واقترب زوالها على يد المرابطين ، وكان بصحبته احد اصدقائه ، فلم يلبثا يسيرا حتى ظهر لهما كمين من جند النصارى فقتل عبد الجليل واسر صاحبه ، ومن الغريب ان عبد الجليل توقع نهايته في شعره (٢) قاله قبل حصول هذه الحادثة .

ومن مشاهير شعراء بلاط بني عباد الشاعر الاديب ابو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ( ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ) وكانت امه امرأة عاملة تباع اللبن وتأكل من كسب يدها وحرصت على تربية ابنها محمد المذكور وعبد العزيز تربية سالحة وشق محمد طريقه في ميدان الادب في حين ان اخاه عبد العزيز اتجه الى التجارة فحسنت حاله ، وكان له مع ذلك مشاركة في قرض الشعر والعناية بالادب وكان ابو بكر في اول حياته الادبية مترددا على ملوك الطوائف حتى القى عصا التسيار في بلاط المعتمد ، وظل ملازما له حتى بعد زوال ملكه وسلطانه (٣) .

واثنى الادباء والمؤرخون على ابن اللبانة ، فوصف بانه شاعر بارع التصرف ماهر غير متكلف قوى البناء والسبك بديع الالفاظ والمعاني .

( ١ ) انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤٧٧ ) ، وانظر اشعاره في هذه الصفحة وما بعدها وكذلك في القلائد ( ص ٢٥٣ - ٢٥٦ ) ، الاصفهاني خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ٩٥ - ١٠٣ ) ، المراكشي المعجب ( ص ١٥٢ - ١٥٤ ) .

( ٢ ) الضبي : بغية الملتص ( ص ٣٨٨ ) ، وانظر قصة مقتله وما نظمه من الشعر قبل تلك الحادثة نفس الصفحة ، وانظر ايضا انخل بالانشاء تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١١٦ ) . ومرسيه ولورقه الى الجنوب الغربي ¼ للاندلس انظر الخريطة رقم ٢ .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ج ٢ ( ص ٦٦٦ - ٦٦٧ ) ، وانظر الضبي البغية ( ص ١٠٩ - ١١٠ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ج ٢ ( ص ٦٦٦ ) - الكشي : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ( ص ٣٤ )

كما ان الاصفهاني اشار اليه بقوله : ( كنت اعتقد ان في طبع المغاربة  
يباسة ، يأبى لشعرهم سلاسة ، حتى أنشدت شعرا بن اللبانة ، فحصلت من  
رقتة ورونقه باللبانة ، وهو اصفى من اللين واحلى من الضرب وانقى للكرب  
واجلى للطرب )<sup>(١)</sup>!

وهذه شهادة رفيعة وصادقة من أحد ادباء المشرق لادباء الاندلس  
بانهم بلغوا شأوا كبيرة في الادب وان اشعارهم في منتهى الرقة والجمال  
وتشهد لهم بطول الباع وذروة التألق والابداع .

وشعرا بن اللبانة نبيل المأخذ ، جمع من سهولة الالفاظ ورشاقتهما  
وجودة المعاني وحسنها غير انه ضعيف المعرفة بعلمه ، لم يتعمق في فنونه  
وانما كان اعتماده على جودة طبعه وقوة قريحته وملكته .<sup>(٢)</sup>

ولما سقطت دولة بني عباد ووقع المعتمد في الاسر ، ظل ابو بكر وفيما  
مخلصا له فوفد عليه في اغمات عدة وفادات وزاره في سجنه ومدحه بقصائد  
عديدة لا يرمى من ورائها الى عطاء ، وانما كل ذلك وفاء<sup>(٣)</sup> . وقد جمع ابو بكر  
شعره هذا في كتاب سماه " السلوك في وعظ الملوك " وصنف كتابين آخرين  
احدهما في شعر بني عباد سماه " سقيط الدرر ولقيط الزهر " والاخر " مناقل  
الفتنة " .<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) فريدة النصر ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .  
( ٢ ) المراكشي : المعجب ( ص ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ ) .  
( ٣ ) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٦٦٦ - ٦٦٧ ) وانظر ايضا  
فيه ( ص ٦٦٩ - ٧٠٢ ) ، لتقف على نماذج عديدة من شعره . ابن  
خاقان : القلائد ( ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ) ، حاجي خليفة : كشف الظنون  
ج ٢ ( ص ٩٩٣ ) ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٦٩ ) وما  
بعدها .

Jan Read: The Moors in Spain and Bortugal, p.118.

Dozy: Spanish Islam, p, 731

ولعل من دلائل عناية هذه الدولة بالادب واهتمامها بالشعر انه  
 قلما تولى الوزارة فيها من لا يكون ادبيا او شاعرا بارعا، ومن اهم وزرائها  
 الادباء الشعراء ابن زيدون الآنف الذكر، ونده القوي ابو بكر بن عمار المهري  
 وابو بكر هذا كان اول امره خاملا ينسب الى مدينة شلب وبالذات الى قرية  
 تتبعها تدعى شنبوس، واخذ يطالع كتب الادب والشعر مع قوة ملكته فى  
 النظم، وما زال نجمه يعلو فى الادب شيئا فشيئا حتى برع فيه وخدمه  
 الحظ بتعرفه على الامير المعتمد بن عباد عندما توجه الاخير لغزو شلب  
 وهناك تعلق بصحبته وعلت لديه منزلته وبعد ان خضعت شلب للدولة  
 العبادية عاد مع المعتمد الى اشبيلية وهناك قويت روابط الصداقة بين  
 ابن عمار والمعتمد حتى خشى والده المعتضد ان يشغله ذلك عن مهماته  
 السياسية وعلم ابن عمار مايجول فى صدر المعتضد فارتحل الى سرقسطة  
 ولما توفى المعتضد وتولى الملك ابنه المعتمد وفد عليه ابن عمار مذكرا  
 اياه بايام الصحبة والرفقة، فآكرمه المعتمد واعلى مكانته وولاه الوزارة فى دولته<sup>(١)</sup>.

وكان المعتمد آنذاك طامعا فى السيطرة على مرسية فارسل وزيره  
 ابن عمار على رأس جيش لفتحها وتمكن ابن عمار من دخولها والاستيلاء عليها  
 ثم سولت له نفسه الانفراد بها وحكمها بنفسه، وراسله المعتمد لعل  
 يرجع وينثنى عما عزم عليه وتبادلا خلال ذلك مقطوعات من الشعر لكن الامر  
 ازداد توترا بينهما، فتهاجيا بالشعر، ونسبت الى ابن عمار ابيات مقذعة  
 فى هجاء المعتمد منها قوله :

(١) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ (ص ٣٦٨) وما بعدها، المراكشى  
 المعجب (ص ١٦٩)، الذهبي : تاريخ الاسلام (مخطوط) ج ١٢ ورقة  
 ٣ أ، الذهبي : العبر، ج ٣ (ص ٢٨٨)، كامل كيلانى : ملوك  
 الطوائف (ص ١٨٥-١٨٦)، احمد امين : ظهر الاسلام، ج ٣،  
 (ص ١٨٠-١٨١)، دائرة المعارف الاسلامية، ج ١ (ص ٢٤١-٢٤٢).

الاحى بالغرب حيا جلالا      اناخوا جمالا وحازوا جمالا  
وعرج بيومين ام القـرى      ونم فعسى ان تراها خيالا  
لتسأل عن ساكنيها الرماد      ولم تر للنار فيها اشتعالا<sup>(١)</sup>

وانتهى الحال بابن عمار الى ان قامت ضده ثورة فى مرسيه فخرج هائما  
على وجهه حتى نزل لدى بنى هود بسرقسطة ، وطمع ان يستولى على شقورة  
من صاحبها ابن مبارك ، لكن هذا تمكن من خديعته فاسره وبعث به الى  
المعتمد حيث قتله بيده سنة ( ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م )<sup>(٢)</sup> .

وقد حاول ابن عمار استدراج المعتمد للعفو عنه ، فبعث اليه بعدد  
من القصائد التى تندى اسفا وتبعث فيضا من الرأفة والشفقة ، ومن اشهرها  
مايقول مطلعها :

سجايك ان عافيت اندى واسمح      وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح

حتى ختمها بقوله :

وبين ضلوعى من هواه تميمـة      ستنتفع لو ان الحمام يجلـح  
وما من شك ان المعتمد كان سيعفو عنه ويصفح عما اقترفه لولا ما احاط  
به من خصوم ابن عمار والحاقدون عليه حتى قالوا : اى معنى اراد ، ما قال  
شيئا ولا كاد . فقال لهم المعتمد : مهما سلبه الله من المروءة والوفاء ، فلم  
يسلبه الشعر ، انما قلب بيت الهذلى فاحسن وهو قوله :

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤٠٥ ) وما بعدها ، المراكشى  
المعجب ( ص ١٨١ ) وما بعدها .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤١٥ ) ، ( ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ) ،  
ابن دحيه : المطرب ( ص ١٦٩ ) ، المراكشى : المعجب ( ص ١٨٥ -  
١٩٠ ) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٣٨٩ ) وما بعدها ، ابن  
خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ ( ص ٤٢٥ ) ، الاصفهاني : الخريدة  
قسم المغرب ، ج ٢ ( ص ١٧ ) . وانظر ايضا :

Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, p.117-118

Dozy: Spanish Islam, p. 689.



واذا المنية انشبت اظفارها  
فسكت القوم (١).

ورغم ما حصل من ابن عمار الا ان ما يهمنى هنا هو شعره ، فقد وصفه ابن البار فقال : ( كان ابن عمار شاعر الاندلس غير مدافع ولا منازع ، الا ان مساوىء افعاله ذهبت بمحاسن اقواله ، ادمن الخمر ، وهون على نفسه العذر ، فاداه ذلك الى رداه ، وكان كالذى نفخ فوه واوكتا يداه ) (٢).

وقد جانب دائرة المعارف الاسلامية الصواب عندما ذكرت انه غير معروف النسب ولم يجمع ديوانه (٣) . والحق انه يعود فى نسبه الى قبيلة مهرة اليمنى (٤) ، كما ان الاديب محمد بن يوسف التميمي جمع اشعاره ورتبها على حروف المعجم (٥) . وقام حديثا صلاح خالص من العراق بجمع ديوانه وحققه (٦) سنة ١٩٥٧ م .

وقد جانب الذهبي ومن قبله ابن خلكان الصواب عندما اشار الى ان من بين اشعاره التي هجا بها المعتمد وبنيه قوله :

- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ( ص ٤٢١ - ٤٢٢ )
- (٢) الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٣٤ ) ، وانظر ما يتضمن هذا المعنى ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٣٦٨ ) ، والاصفهانى : الخريدة قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ٧٣ ) ، وانظر نماذج متعددة من اشعاره فى الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٦٠ ) وما بعدها ، الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٣١ ) وما بعدها ، وكذلك الخريدة قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ٧٧ ) وما بعدها ، ابن سعيد : رايات المبرزين ( ص ٥٥ - ٥٦ ) ، المراكشى : المعجب ( ص ١٨٥ ) وما بعدها .
- (٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ( ص ٢٤٢ ) .
- (٤) انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ ( ص ٤٢٥ ) ، وانظر ما يؤكد ذلك فى شعره ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ق ٢ ، ( ص ٣٨١ ) .
- (٥) ابن البار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٣٤ ) ، وقد ذكر المراكشى ان ديوانه متداول بين الناس ( المعجب ص ١٦٤ ) .
- (٦) انظر صلاح خالص : اشيلية فى القرن الخامس الهجرى ( ص ١٨٩ ) .

مما يقبح عندي ذكر اندلس      سماع معتمد فيها ومعتضد  
اسماء مملكة في غير موضعها      كالهر يحكى انتفا خا صولة الاسد<sup>(١)</sup>

والحق ان هذين البيتين للاديب الشاعر الحسن بن رشيق القيروانى  
(٢)  
( ٣٩٠ هـ / ٤٥٣ هـ ) .

ومن اجمل قصائد ابن عمار قصيدته التى بعث بها من سرقسطة  
للمعتمد بعد ان خشى غضب والده المعتضد لملازمتها لبعضهما ، يقول فى  
قصيدته الجميلة :

|                           |                                          |
|---------------------------|------------------------------------------|
| على والامانيح الحمائم     | وفى والا ما بكاء الغمام                  |
| وعنى اثار الرعد صرخة طالب | لثار وهز البرق صفحة صارم                 |
| ومالبست زهر النجوم حدانها | لغيرى ولا قامت له فى ماتم                |
| وهل شقت هوج الرياح جيوبها | لغيرى او حنت حنين الروائم <sup>(٣)</sup> |

وضم بلاط بنى عباد شعراء آخرين اقل شهرة ممن ذكرنا امثال على بن  
حصن الاشبيلي الذى وصف بانه فى الصدارة من شعراء عصره ، وقد غاب ابن  
بسام على اهل عصره اغفالهم له وطمسهم لذكره ، ويذكر انه كان من الممكن  
لابن حصن ان يتصدر شعراء بلاط المعتضد ، لولا ان المقادير وضعت فى  
طريقه الشاعر المبدع ابن زيدون ، وقد كان بينهما من المنافسة والمسابقة الى  
ذروة الاجادة والتفوق ما لفت الانظار ، الا ان ابن زيدون زاد عليه بتمكنه من  
قلب المعتضد ورسوخ منزلته فى بلاطه<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر : تاريخ الاسلام ، ج ١٢ ( مخطوط ) ورقة ٣٠ ، وفيات الاعيان ، ج ٤  
( ص ٤٢٨ ) .

( ٢ ) انظر ابن سعيد : رايات المبرزين ( ص ١٣٧ ) ، عبد الرحمن الحجى  
التاريخ الاندلسى ( ص ٣٣٣ ) .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٣٧٢ ) ، المراكشى : المعجب  
( ص ١٦٥ ) .

( ٤ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٥٨ ) وما بعدها ، وانظر نماذج من شعره  
مايلى تلك الصفحة ، صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى

( ص ١٧١ - ١٧٢ ) .

و خلاصة القول ان دولة بنى عباد وعلاقتها بالحركة الادبية كانت اوثق وا قوى من غيرها من الممالك الاخرى ، وانها حازت بذلك قصب السبق والقدر المعلى فى ازدهار الادب والشعر ، ولا غرو فى ذلك فان ملوك تلك الدولة كانوا هم شعراء مجيدين ولبعضهم دواوين شعرية ، ولا يزال بين ايدينا ديوان اشهرهم واعلامهم ذكرا ، وهو المعتمد بن عباد . وكان لاهتمام هؤلاء الملوك بالادب والشعر ان ضمت بلاطاتهم كثيرا من كبار شعراء هذا العصر وفحولته <sup>(١)</sup> .

#### دولة بنى صمادح بالمريه

وفى دولة بنى صمادح بالمريه قامت نهضة ادبية وشعرية كبيرة ، وبنو صمادح يلون بنى عباد فى اهتمامهم بالادب والشعر ، فبلاطهم ضم عددا من كبار الادباء والشعراء ، ولا عجب فى ذلك فقد كان اشهر ملوك هذه الدولة - وهو المعتمد بن صمادح - شاعرا بارعا فى نظم الشعر ، وكان يتجاذبه مع شعراء بلاطه <sup>(٢)</sup> .

ويأتى فى مقدمة شعراء هذه المملكة الشاعر محمد بن احمد بن عثمان القيسى ( ٨٠ هـ / ١٠٨٢ م ) المعروف بابن الحداد الوادياشى ، سكن المريه ، وكان مع مهارته فى نظم الشعر بارعا فى العروض وصنف فيها كتابا

- 
- ( ١ ) انظر غير ما ذكرنا من شعراء بنى عباد الشاعر محمد بن عبد العزيز المعلم فى الذخيرة لابن بسام ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٢٠ ) والشاعر احمد بن الابار . نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ١٣٥ ) ، و ابا القاسم ابن مرزقان . المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٥٢ ) ، والشاعر يوسف بن عبد الصمد فى المغرب لابن سعيد ، ج ٢ ( ص ٢٠٣ ) .
- ( ٢ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ١٩٦ ) وما بعدها .

سماء "المستنبط" وعاش فترة من الزمن فى كنف المعتصم ومدحه بقصائد كثيرة ثم انصرف الى سرقسطة ( ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ) حيث نزل فى بلاط المقتدر بن هود ، ومالبت قليلا حتى عاد الى المريه حيث عاش مكرما لدى المعتصم حتى وفاته<sup>(١)</sup> .

ويذكر انخل بالنشيا ان السبب فى خروجه عن المريه رغم مكانته المرموقة فى بلاط المعتصم ولجوئه الى بلاط بنى هود ، هو ان ابن الحداد وصف المعتصم فى احدى قصائده بالبخل والتقتير ، فتغير عليه قلب المعتصم<sup>(٢)</sup> وظهر له سخطه وتبرمه فخرج ابن الحداد عن المريه .

الا ان الباحث يستبعد ذلك فان المعتصم من خلال النظر فى خلاله وفضاله التى حدثنا عنها المؤرخون ابعد ما يكون عن البخل . وهذه قصائد ابن الحداد نفسه وابى الفضل بن شرف وغيرهما من شعراء بلاط المعتصم تتحدث باسهاب ووضوح عن سخاء المعتصم وجوده وكرمه ، وبالتالى ممن غير المسلم به ان ينعى ابن الحداد بمدحه بالشح والبخل ، ونقرب ممن الاطلاع على حقيقة الامر عندما ننظر فيما قاله ابن بسام عن ابن الحداد وسبب خروجه عن المريه ، وهو انه طوب عند بنى صمادح وسعى به الى السجن والاعتقال ففر الى بنى هود<sup>(٣)</sup> . ويزيدنا ابن عبد الملك توضيحا لهذه القضية فيشير الى انه كان له اخ فقتل رجلا - واخفى نفسه - فنالت الشاعر بسبب ذلك مطالبة بدمه ففر الى سرقسطة حتى تم القبض على اخيه ثم عاد بعد ذلك الى بلاط المعتصم كما كان<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩٩ ) ، ابن عبد الملك المراكشى الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ١١ ) .
- ( ٢ ) تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١١٢ ) .
- ( ٣ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٦٩٢ ) .
- ( ٤ ) الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ١١ ) ، وانظر نماذجا من شعره فى الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٧٠٤ - ٧٢٩ ) .

واين البخل في صفات المعتصم ، وهذا ابن بسام يثني عليه فيقول  
( رجب الفناء ، جزل العطاء ، حليما عن الدماء والدهماء ، طافت به الآمال  
(١) واتسع في مدحه المقال ) .

ونال ابن الحداد بمكانته الادبية والشعرية ثناء الادباء ، ومنهم  
ادباء المشرق ، فالقفطي يذكر انه مذكور في وقته ، مشهور في عصره ومصره  
وانه ممن شرفت نفسه وعزفت عن مواطن الذلة والخنوع .  
(٢)

وقد سأل الاصفهاني عنه القاضي الفاضل - وقوله حجة - فقال كان في  
الصمادحية وهو اديب فاضل وله القصيدة تان المهموزتان ، وكل واحدة اكثر من  
مائة بيت وليس في العرب اشعر منه .  
(٣) (٤)

ولعل هذه الشهادة وما قبلها لادباء المشرق في مكانة ابن الحداد  
الشعرية تعطينا تأكيدا راسخا على ماناله الاندلسيون من مكانة سامية في  
عالم الادب والشعر ، وخاصة ان تلك الشهادات صادرة عن ادباء المشرق  
الذين لم يغفطوا حق اخوانهم الاندلسيين فحفظوا لهم جهدهم وعملهم  
الادبي الرفيع .

ومن اشعار ابن الحداد في الحكم قوله :

|                          |                                |
|--------------------------|--------------------------------|
| واصل اخاك وان اتاك بمنكر | فخلوص شيء قلما يتمكن           |
| ولكل شيء آفة موجودة      | ان السراج على سناه يدخن<br>(٥) |

- 
- ( ١ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٧٣٣ ) .  
( ٢ ) المحمدون من الشعراء ( ص ٩٩ ) .  
( ٣ ) انظر ابيات احديهما في الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٧٠٩ - ٧١١ ) .  
( ٤ ) الخريدة ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٧١ ) .  
( ٥ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٧٢٩ ) ، ابن البار : تكلمة الصلة  
ج ١ ( ص ٣٩٩ ) ، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر السادس ،  
( ص ١٠ ) .

وظهر في بلاط المعتصم شاعر مبدع آخر هو الاسعد بن بليط —  
(ت في حدود ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) ، وكان موطنه الاصلى قرطبة ، وتردد فترة  
من الزمن على ملوك الطوائف شاعرا وناثرا<sup>(١)</sup> . واستقر به المقام اخيرا فى  
بلاط المعتصم حيث قال فى مدحه عددا كبيرا من القصائد الرائعة ، وكان  
موصوفا بأنه شاعر الاندلس واديبها ، وانه كان ذا ادب واسع ، ومعرفة عميقة  
بالغوص على المعانى الابكار واستخراج جواهرها<sup>(٢)</sup> .

كما نال الشاعر ابوالفضل جعفر بن محمد بن شرف البرجس —  
(٤٤٤ - ٥٣٤ هـ / ١٠٥٢ - ١١٣٩ م) مكانة مرموقة فى بلاط المعتصم ، وكان  
والده قد دخل الاندلس سنة (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) فى عصر ملوك الطوائف  
وابو الفضل لا يزال صغيرا فاستقر به والده بالمريه وهناك نشأ وتعلم ، وفى  
بلاط المريه لمع نجمه واشتهر بقرض الشعر والابداع فيه ، الا انه بعد ذلك  
انصرف عن الشعر وهجره واتجه الى الطب ودراسته حتى نبغ فيه وعد من  
حذاقه<sup>(٣)</sup> .

وكان اول اتصال لابي الفضل بالمعتصم انه دخل عليه فى زى بدوى  
ساذج حتى اذا تهيأ لانشاد شعره امام المعتصم قال قصيده الجميلة  
ومطلعها :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| مطل الليل بوعد الفلق     | وتشكى النجم طول الارق   |
| ضربت ريح الصبا مسك الدجى | فاستفاد الروض طيب العبق |

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٧٩١) ، ابن خاقان : المطمح  
(ص ٣٢١ - ٣٢٢) .

(٢) الاصفهاني : الخريدة ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ (ص ٢٦٢ - ٢٦٣)  
وانظر اشعاره (ص ٢٦٣) الى (ص ٢٧٠) وفى الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ،  
(ص ٧٩١ - ٨٠١) .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٨٦٧) ، وانظر عن اشعاره  
(ص ٨٦٩) وما بعدها ، وانظر كذلك ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ،  
(ص ١٣٠ - ١٣١) ، الاصفهاني : خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب  
ج ٢ (ص ١٧١ - ١٨١) .

فلما سمعها المعتصم طرب لها ونالت استحسانه فحسده بعض الحاضرين وكان من بينهم الاديب اللغوى ابن اخت غانم محمد بن معمر الملقى ، فقال له : من اى البوادرى انت ؟ قال : انا من الشرف فى الدرجة العالية ، وان كانت البادية على بادية ، ولا انكر حالى ، ولا اعرف بخالى ، فذاب ابن اخت غانم خجلا ، وسخر منه كل من حضر .<sup>(١)</sup>

وهناك شعراء عاشوا فى هذا البلاط الرفيع ، نذكر منهم فى ايجاز خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر ، وقد سبق ذكره وانه فر بعد ان هجا باديس صاحب غرناطة ولجأ الى المعتصم ، ولكننا لانجد له تقريبا اشعارا فى مدحه .

#### دولة بنى الاقطس فى بطليوس

وحفل بلاط بنى الاقطس بعدد من الشعراء يأتى فى مقدمتهم الشاعر الكبير عبد المجيد بن عيدون الفهرى كان اديبا لغويا مؤرخا شاعرا فذا سمته به آدابه وعلومه الواسعة فى مدارج الشهرة حتى نال الكتابة والوزارة لدى المتوكل الاقطس ، وقد اوتى من قوة الحفظ والادراك ما يبعث على العجب حتى قال فيه الوزير ابو مروان عبد الملك بن زهر : ( اديب<sup>(٢)</sup>

( ١ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ٣٩٣ - ٣٩٥ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١١٠ - ١١١ ) ، وانظر فيما يلى ذلك قصته مع المعتصم الدالة على تكريم الاخير للادباء ، ومن جهة اخرى تدل على ما كان يسود حياة اولئك الملوك والامراء من بذخ وسيطرة على الثروات فى ذلك المجتمع .

( ٢ ) عن قصته مع الوزير ابى مروان عبد الملك الدالة على سعة حفظه واحاطته بكتب الادب انظر المراكشى : المعجب ( ص ١٣١ ) وما بعدها .

الانلس وامامها وسيدها في علم الآداب، ابو محمد عبد المجيد بن عبدون  
ايسر محفوظاته كتاب الاغانى وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته (١) .

وعند ما سقطت عروش ملوك الطوائف وزال سلطان بنى الافطس فجع ابن  
عبدون بمصائبهم وبكى مأساتهم، ورثاهم بقصيدته الرائعة الشهيرة التي  
سارت بها الركبان وتناقلتها الالسن (٢) .

ويقول في مطلع هذه القصيدة :

الدهر يفجع بعد العين والاثـر      فما البكاء على الاشباح والصور

وقد شرح قصيدة ابن عبدون الاديب الشاعر عبد الله بن بدر  
الحضرمي الشلى ( من اهل القرن السابع الهجرى / الرابع عشر الميلادى )  
في كتاب سماه "كمامة الزهر وصدقة الدر" (٣) .

كما درس المستشرق الهولندى دوزى هذا الشرح ونشره فى ليدن سنة  
١٨٤٦م، وطبعت هذه القصيدة بشرحها فى مصر على طريقة تجارية سنة  
١٣٤٠هـ / ١٩٢١م (٤) .

وبرز فى بلاط بنى الافطس من الشعراء الاديب ابو عبد الله محمد بن  
البين، احد الشعراء المعدودين وكان فى شعره على نهج محمد بن هانىء  
الاندلسى الذى اثره عدد كبير من شعراء الاندلس، ولا بن البين

( ١ ) المراكشى : المعجب ( ص ١٣٥ ) .

( ٢ ) المراكشى : نفس المصدر ( ص ١١٢ ) ، ابن خاقان : المظمح  
( ص ١٥١ ) وما بعدها .

( ٣ ) الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ٢٤٧ ) ، وانظر نماذجا من  
اشعاره فى الاصفهاني : خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ،  
( ص ١٠٣ - ١٠٦ ) .

( ٤ ) الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٧٦ ) ، آنخل بالنشيا : المرجع  
السابق ( ص ١١٩ - ١٢٠ ) .



قصائد مختلفة في مدح ملوك بني الافطس ووزرائهم .<sup>(١)</sup>

وعد من شعراء المتوكل بن الافطس الشاعر محمد بن عبد الله الشنتريني<sup>(٢)</sup> وله فيه قصائد بديعة منها قوله في المتوكل عمر وهو ممطيا صهوة جواده :

وكانما عمر على صهواته      قمر تشير به الرياح الاربعة<sup>(٣)</sup>

وذكر الحجارى في المسهب ان الشاعر عبد الله بن البنت الترجلى كان من جملة شعراء المظفر ملك بطليوس، وان له قصيدة في تهنئة المظفر بعد انتصاره في احد معاركه :

فتح تبسمت المنى عن ثغره      والد هر يبصروا ضحا عن بشره  
لما دجا ليل القتام بد الننا      منه كما انسلخ الدجى عن فجره<sup>(٤)</sup>

#### دولة بنى حمود فى مالقة

وفى دولة بنى حمود بمالقة لمع نجم الشاعر عبد الرحمن بن مقاننا الاشبوني<sup>(٥)</sup> . وشعره جيد جزل ينم عن قدرته الفائقة وتمكنه من طـرق الشعر وفنونه، وكان اجود شعره ما قاله فى شبابه، ثم تراجع عن الشعر عندما بلغ الاكتهال، وله قصائد عديدة اشهرها قصيدته التى مدح فيها ابـن حمود واولها :

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ٢ ( ص ٧٩٩ ) .  
( ٢ ) نسبة الى شنترين وهى مدينة بغرب الاندلس . وهى الان فى البرتغال  
انظر الحميرى : الروض ( ص ٣٤٧ ) .  
( ٣ ) ابن سعيد : المغرب، ج ١ ( ص ٤١٨ ) . وحاشية رقم ( ١ )  
( ٤ ) ابن سعيد : المغرب، ج ١ ( ص ٣٧٧ ) نقلا عن الحجارى فى المسهب .  
( ٥ ) نسبة الى اشبونة وهى مدينة فى غرب الاندلس وتدعى الان لشبونة وهى عاصمة البرتغال الحالية . انظر الحميرى : الروض ( ص ٦١ ) .

البرق لائح من اندريين  
لعبت اسيفه عاريفة  
ذرفت عيناك بالماء المعين  
كمخاريق بايدي لاعبين  
ولصوت الرعد زجر وحنين  
ولقلى زفرات وانسين<sup>(١)</sup>

وقصد بلاط بنى حمود بمالقة الشاعر النابه والطبيب والفيلسوف الاعمى  
المعروف بابن الحناط محمد بن سليمان الرعيني ، ت قريبا من ( ٤٣٠ هـ /  
١٠٣٨ م ) وكان يتولى تأديب ابناء ابي الحزم بن جهور بقرطبة ، ثم  
حدث ما عكر صفو العلاقة بينهما فاتجه الى مالقه حيث مدح المعلى بالله  
يحيى بن على بن حمود ، وكلفه بتذليل بيتى تميم بن المعز فى اخيه  
نزار صاحب مصر عندما ودعه وهما :

اقيم وترحل اذا لا يكون  
فانى واياك مثل اليديين  
لئن صح هذا ستمى عيون  
ولكن لك الفضل انت اليمين  
فقال ابن الحناط :

سأسلوب يحيى وايامه  
امام تجمع فى راحتيه  
فغذر السلوبه مستبين  
لاهل المحبة دنيا ودين  
جناب خصيب وروض انيق  
لئن كان من قبله جده  
وظل ظليل وماء معين<sup>(٢)</sup>  
علينا الوصى فهذا الامين

وابن الحناط من اعلام هذا العصر والمتبحرين فى اكثر من علم وفن  
ولاغرو فى ذلك فقد كانت هذه السمة يتسم بها عدد كبير من العلماء

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٧٨٦ - ٧٩٤ ) وانظر شيئا  
من شعره مابعد ( ص ٧٨٦ ) وانظر ايضا الحميدى : الجذوة ( ص ٢٧٩ )  
والضبي : البغية ( ص ٣٧١ ) الا انه جانب الصواب فى ذكر اسم  
ابيه فقال "عبدالرحمن بن معانة" .  
( ٢ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ٢٢١ ) ومابعد ها  
وانظر الاصفهاني : تخريدة القصر ، ج ٢ ( ص ٢٢٣ - ٢٢٤ )

والادباء ، وكانت بينه وبين ادباء وشعراء عصره مناقضات ومعارضات ادبية ومساجلات شعرية تتم عن القدر الكبير الذى تبوأه ابن الحناط وتدل على رسوخ قدمه فى الادب والشعر .<sup>(١)</sup>

وفيما يتصل بالحركة الشعرية فى غرناطة التى كان يحكمها اسرة بربرية فانها عانت ابان القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى من الجذب الفكرى او الادبى على اقل تقدير ، ولم يحدث ابدا ان ايا من شعراء العصر من خارج غرناطة شد رحاله الى بلاط باديس بن حبوس اميرها ، ولم يتواجد بها من الشعراء سوى عدد قليل لا يذكره من بينهم المنفلت عبد العزيز ابن خيره الذى اوقف شعره على مدح الوزير اليهودى صمويل وابنه يوسف من بعده ، وقد غالى المنفلت فى امداحه لذلك اليهودى حتى كاد ان يخرج عن الاسلام وهو ما قتل من شأنه لدى المؤرخين واضعف مكانته رغم جودة شعره .<sup>(٢)</sup>

والشاعر ذو الالهية فى غرناطة كان شاعر المعارضة والزهد والاصلاح السياسى ، وهو الشاعر ابو اسحاق الالبيرى - الآنف الذكر الذى تعرضنا اليه اثناء الحديث عن مواقف بعض الشعراء من احداث العصر السياسى وتعود شهرته الى قصيدته الرائعة التى حث فيها الناس على الثورة على اليهود اصحاب الامتيازات فى دولة باديس بن حبوس ، وله اشعار اخرى فى الزهد والحكم والمواظ على كاد ان يكون شاعرا زهديا خالصا فى عصر عرف الترف والمجون .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) الحميدى : جذوة ( ص ٥٧ - ٥٨ ) ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول ، ج ١ ( ص ٣٨٣ ) ، الضبى : البغية ( ص ٧٧ ) .  
 ( ٢ ) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٧٥٤ - ٧٥٦ ) وما بعدها وفيها نماذج من شعره الذى شطح فيه عن التزامه بالدين الاسلامى وانظر ايضا الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٧٣ ) وما بعدها  
 ( ٣ ) غرسية غومس : مع شعراء الاندلس والمتنبى ( ص ٩٩ - ١٠٠ ) .

### دولة بنى ذى النون ~~~~~

وفيما يتعلق بالدول الأخرى لملوك الطوائف أمثال دولة بنى ذى النون بطليطلة وبنى هود بسرقسطة فإنه قل فيها الاهتمام الأدبي عن سلف ذكرهم من ملوك الطوائف وخاصة بنى عباد وبنى صمادح ولكنها اشتهرت باهتمامات علمية أخرى كالعناية بالعلوم التطبيقية والفلسفية ، وخاصة دولة بنى هود الذين نجد من بين ملوكها علماء قديرين فى الرياضيات والفلسفة .

أما دولة بنى ذى النون فإنه عرف عن مؤسس دولتهم اسماعيل بن المضراس قلة عنايته بالأدب والشعر وانعدام تشجيعه لأهلها وذلك أنه ( لم يرغب فى صنيعه ولا سارع إلى حسنه ، ولا جاد بمعروف ، فما عملت إليه مطيه ، ولا حملت أحدا نحوه ناقة ، ولا عرج عليه أديب ولا شاعر ، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر )<sup>(١)</sup> .

أما ابنه المأمون يحيى فيختلف اختلافا كبيرا عن أبيه ، فقد كان مكرما للعلماء مقربا للأدباء والشعراء ، فاجتمع فى بلاطه من الكتاب والوزراء ما لم يجتمع لدى غيره من ملوك الطوائف . على حد تعبير ابن سعيد .<sup>(٢)</sup>

ونحن فى شك من إطلاق هذا الوصف القاطع على اهتمامات المأمون الأدبية - وإن كنا لانغمطه حقه فى تكريم أهل العلم واتساع النشاط الأدبى فى بلاطه - فإن بلاطه لم يحو من أهل الأدب أكثر مما حواه بلاط المعتمد بن عباد الذى كان أعظم الملوك نشاطا فى تشجيع الحركة الأدبية والشعرية بلامنازع ، يدلنا على ذلك ما اشتمل عليه بلاطه من فحول الأدباء والشعراء .

وفى بلاط المأمون برز الشاعر أبو بكر محمد بن إرفع رأس ، وكان بيته فى طليطلة بيت أدب وعلم ، وقد انزله المأمون منزلة راقية فى بلاطه ، ومن مئائحه فى المأمون قوله :

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٤٣ ) .

( ٢ ) المغنم - ج ٢ ( ص ١٢ ) .

دعوا الملوك وابناء الملوك فمن  
يا واحدا ما على عليه مختلف  
ومذ طلعت لنا شمسا فما نظرت  
اضحى على البحر لم يشق الى نهر  
مذ جاد كفك لم نحتج الى المطر  
عيني الى كوكب يهدى ولا قمر

وله الى جانب ذلك موشحات مشهورة ذاع صيتها حتى في بلاد المغرب، ومنها ما نظمه في مدح المأمون ايضا <sup>(١)</sup>.

واشتهر من شعراء ذلك البلاط ابو اسحاق ابراهيم بن وزمر الحجاوى  
 وكان مكيئا فى الادب والتاريخ ، واشتغل بخدمة المأمون فى بعض شئون  
 دولته .<sup>(٢)</sup>

دولة بني هود في سرقسطة

وشهد بلاط بنى هود فى سرقسطة مشاركة ادبية لابأس بها ، فممن شعراء بلاطهم يحيى الجزار ، وكان فى اول امره يبيع اللحم فى دكان له بسرقسطة ، ولكن ميله للادب وتعلقه به وما أُوتى من ملكة ادبية مكنه من نظم الشعر حتى اجاده ودفعه ذلك الى الوصول الى بلاط بنى هود فمدحهم بقصائد عديدة ، ثم مالبت ان ترك التعلق بهم وعاد الى القصابة فعاب عليه ذلك ابن هود ، وامر وزيره ابن حسداى ان يوبخه على ذلك ، فبعث اليه ببيت من الشعر يقول :

تركت الشعر من ضعف الاصابة وعدت الى الدناءة والقصابة

فاجابه الجزار بقصيدة منها قوله :

تعيب على مألوف القصابة  
ومن لم يدرك قدر الشيء عابه (٣)

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ١٨) .  
 (٢) ابن سعيد : نفس المصدر والجزء (ص ٣٣) .  
 (٣) ابن بسلام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ (ص ٩٠٥) ، ابن سعيد : المغرب  
 ج ٢ (ص ٤٤٤) ، صفوان بن ادريس ، زاد المسافر (ص ١٤) .

وكان الاديب الشاعر على بن خير التطيلي<sup>(١)</sup> (ت ٥٢٥ هـ / ١١٢٦ م) من احفظ اهل عصر الطوائف بالآداب والانساب والاخبار، وكان شاعرا مجيدا رحل من بلده الى بلاط سرقسطة فقبول بحفاوة وتكريم وترقى درجة عالية بين شعراء ذلك البلاط<sup>(٢)</sup>.

وذاع اسم الاديب الشاعر ابراهيم بن معلى الطرسوني<sup>(٣)</sup>، وقصد بلاط بني هود ومدح الملك المقتدر بن هود، ووصف بالبراعة فى نظم الشعر، وقـرض القصائد الطويلة التى تنم عن تمكن وطول نفس، ومن اشعاره فى الرثاء :

|                          |                                      |
|--------------------------|--------------------------------------|
| رزؤ بك من العلاء ومصاب   | شقت عليه جيوبها الاحباب              |
| وطفت الشمس العزاء فخاننى | نفس يذوب ومد مع ينساب                |
| وتلجلج الناعى به فسألتـه | عود الحديث لعله يرتاب <sup>(٤)</sup> |

وجدى بالذكر انه عاش فى هذا العصر عدد من الشعراء النابهين لم ترتبط حياتهم ببلاطات ملوك الطوائف ولعل اشهرهم شاعر الطبيعة المبدع ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله المشهور بابن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ م) وكانت نشأته بمدينة شقر فى الجانب الشرقى للاندلس، وعرف بعزة نفسه وعلو همته وترفعه عن استرفاد ملوك عصره، فلم يعرف عنه انه طرق بابملك من الملوك لنيل صلاته، فعاش كريم النفس ابيهـا على الرغم من انه سلك مسالك اللهو فى شبابه، ولكنه عندما آذن الشباب

- 
- (١) التطيلي نسبة الى مدينة ثطيلة من مدن الثغر على بعد ٧٨ كلم الى الشمال الغربى لسرقسطة. انظر الحميرى : الروض (ص ١٣٣)، ج ٥ .
- (٢) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٥٠ - ٤٥١) .
- (٣) الطرسوني نسبة الى طرسونة احدى مدن الثغر الى الشمال من طليطلة الحميرى : الروض (ص ٣٨٩) .
- (٤) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ (ص ٤٥٧)، وانظر ابن بسام : الذخيرة ٣، ج ٢ (ص ٨٤٠) .

بالرحيل ثاب الى رشده وعرف حق ربه عليه .<sup>(١)</sup>

اما شعره فكان فى الطبقة العالية فنال ثناء المؤرخين والادباء  
ووصف بانه شاعر الاندلس بلا منازع وانه لا يعرف له نظير فى علو مكانته وقدراته  
الواسعة فى الشعر وخاصة الوصف .<sup>(٢)</sup>

وقال فيه ابن بسام : ( ان مدح فلا الاعشى للمحلق ، ولا حسان لاهل  
جلق ، وان تصرف فى فنون الاوصاف ، فهو فيها كفارس حصاف ) .<sup>(٣)</sup>

وتعود غزارة اوصافه للطبيعة وبراعته فى ذلك الى البيئة التى نشأ بها  
فمدينته شقر كانت تمتاز بطبيعتها الجميلة الساحرة ، وقد عضده شبابها  
فى الاستمتاع بها ونيل السرور والحبور بين رياحنها وحدائقها ، وكان دقيق  
النظر فى الطبيعة متأملا لالوانها شارد اللب فى محاسنها وباهى جمالها  
مما اوحى اليه بدقة التعبير وروعة الوصف ، وهو فى شعره عن الطبيعة  
يجسد عنصر الجدة والحداثة ويعكس بيئته وما حفلت به من مفاتن الطبيعة .<sup>(٤)</sup>

وسعى ابن خفاجة الى تشخيص الطبيعة فوقف عند المنظر الطبيعى  
ليصفه كله "جزءا جزءا" ليحيطه بريشته الشعرية ، ولم يكتف بذلك بل وثق  
الرابطه العاطفية بينه وبين الطبيعة فربطها بكل موضوع يطرقة وجعلها

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٥٤١ - ٥٤٢ ) ، ابن خاقان  
القلايد ( ص ٢٤١ ) ، الضى : البغية ( ص ٢١٦ - ٢١٧ ) ، ابن الابار  
تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ١٤٣ - ١٤٤ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان  
ج ١ ( ص ٥٦ ) .

( ٢ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ( ص ٩٩ ) ، ابن الابار : تكلمة الصلة  
ج ١ ( ص ١٤٣ - ١٤٤ ) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٣٦٧ ) ،  
الاصفهانى : الخريدة ، قسم شعراء المغرب ، ج ٢ ( ص ١٤٧ ) وما بعدها .

( ٣ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٥٤١ - ٥٤٢ ) .

( ٤ ) جودت الركابى : فى الادب الاندلسى ( ص ١٠٥ - ١٠٦ ) .

المرتکز الذی یعول علیه نظمه عامة فربطها بالثناء والغناء والزهد فامدها  
على ذلك بالمعانی الحزينة الباکية وبادلها الحديث فی صمتها وحركتها<sup>(١)</sup> .

ویدرس شعره الان المستشرق الفرنسى هنرى بيريس الاستاذ فى  
جامعة الجزائر<sup>(٧)</sup> .

ویذكر ابن بشکوال ان له دیوانا متداولاً بین الناس<sup>(٣)</sup> . وفى عصرنا  
هذا جمع شعره تحت دیوان ابن خفاجة ، وطبعته دار صادر بیروت ، ومامن  
شك ان هذا الديوان ینقصه عدد من القصائد التى نظمها ابن خفاجة .

ومن هذه الفئة من الشعراء التى لم ترتبط باى من بلاطات ملوک  
الطوائف ، الشاعر ادريس بن الیمان بن سالم العبدري من اهل یابسة<sup>(٤)</sup>  
وصفبراعته فى الآداب وانه من فحول الشعراء ، وكان یطوف على ملوک  
الطوائف فیمدحهم امثال بنى حمود ، ومجاهد العامرى وغيرهم ، ولم یکن  
عند الاندلسیین بعد الشاعر ابن دراج القسطلی من یجرى عندهم مجراه<sup>(٥)</sup> .

وكان لهذا الشاعر طريقة فريدة ومتميزة فى القاء قصائده بین ایدی  
ملوک عصره ، فكان لا یمدح ملکا من الملوک او امیرا من الامراء الا بعد ان  
یقبض ثمناً لقصيدته مائة دینار ، وقد سأله المعتضد ( ان یمدحه بقصيدة  
یعارض بها قصیدته السینیة التى مدح بها آل حمود ، فقال له : اشارتسى

( ١ ) احسان عباس : الادب الاندلسی فى عصر الطوائف ( ص ٢٠٤ ) وانظر  
محمد رجب ، الادب الاندلسی بین التأثير والتأثیر ( ص ٧٥ ) وما بعدها .

( ٢ ) الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٠٢ ) .

( ٣ ) الصلة ، ج ١ ( ص ٩٩ ) .

( ٤ ) یابسة جزیرة من جزر البلیار تجاه الساحل الشرقی للاندلس . ابن بسام  
الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٣٣٦ ) .

( ٥ ) الحمیدی : الجذوة ( ص ١٧٠ ) ، الضبی : البغیة ( ص ٢٣٦ - ٢٣٧ )

ابن الابار : تکملة الصلة ، ج ١ ( ص ١٩٥ ) .



مفهومة ، وبنات صدرى كريمة ، فمن اراد ان ينكح بكرها فقد عرف مهرها<sup>(١)</sup> .

ولا ريب ان هذا المسلك من الشاعر مسلك مشين يتنافى مع صدق الشعور وصفاء الطبع ونقاء الوجدان فيأتى الشعر ابعد ما يكون عن الحقيقة لان دافعه كان المكسب والريح لا الاعجاب والاكبار بالممدوح .

ومن بين شعراء هذا العصر الفقيه المؤرخ الاديب على بن سعيد بن حزم ( ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) قال الحميدى : ( كان له فى الاداب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه وشعره كثير ، وقد جمعنا على حروف المعجم )<sup>(٢)</sup> .

وتقع معظم اشعاره فى كتابه الادبى الاجتماعى النفسى " طوق الحمامة " وشعره فيه ينم عن تمكن فى الشعر ومهارة فى نظمه ، ولما كان الكتاب يتحدث عن الحب فقد امدنا ابن حزم بنماذج عديدة من اشعاره فى الغزل والنسيب ، لكنه كان يلتزم بالعفة والنزاهة فى شعره .

ومن مآثر ابن حزم الشعرية قصيدته التى رد فيها على ما ادعاه نقفور فوقاس امبراطور الروم ( ٣٥٢ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٣ - ٩٦٩ م ) ، وكان شديد الحقد والكراهية للمسلمين فاشار على احد ادباء بلاطه وكان مسلما مرتددا ان ينظم قصيدة فى الحط من الاسلام وهجاء الخليفة العباسى ويعث بها الى الخليفة العباسى المطيع لله ( ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤ م )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ) ، وانظر نماذج من شعره فيما يلى ذلك وانظر ما يتضمن هذا المعنى ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٤٠٠ ) وكذلك :

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain p,89.

( ٢ ) الجذوة ( ص ٣٠٩ - ٣١٠ ) .  
( ٣ ) انظر تلك القصيدة فى السيكى : طبقات الشافعية ، ج ٣ ( ص ٢١٤ - ٢١٥ ) ، وكذلك عمر فروخ : ابن حزم الكبير ( ص ٨٥ - ٨٦ ) .

ومن شعراء هذا العصر احمد بن عبد الله القيسى التطيلي الاعمى حيا ( ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ) كان بارعا فى قول الشعر حتى عد من نوابغ الشعراء والادباء . وانه له فهم لا يجارى وذهن لا يبارى ، الا انه لم يطل به العمر فافتقده الادب ، وخلف بعده فراغا لم يسده غيره .<sup>(١)</sup>

ونظيره الاعمى ابو بكر محمد المخزومى ( حيا . ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ) الذى قيل فى وصفه بانه بشار الاندلس ، انطباعا ولسنا واذاة ، وانه احيا سيرة الحطيئة بالاندلس ، وتجول فى الاندلس واستقر لفترة من الزمن بغرناطة حيثالتقى بشاعرتها نزهون ، ودارت بين الاثنين مهاجاة ونقائض ساقطة .<sup>(٢)</sup>

واكثر ما برع فيه المخزومى شعر الهجاء حتى وصفه ابن ادريس بقوله ( ذو هجاء قبيح وذكر لحرمت الاعراض مستبيح )<sup>(٣)</sup> . ثم اورد له اشعارا فى الهجاء ضرب عن ذكرها لقذارتها وطعننها فى اخلاق الناس واعراضهم .

---

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ٢ ( ص ٧٢٨ ) ، وانظر شعره ( ص ٧٣٢ )  
( ٧٥٣ ) ، وابن خاقان : القلائد ( ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ) ، الضبى : بغية  
الملتص ( ص ١٨٧ - ١٨٨ ) وانظر ايضا :

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, p. 88  
( ٢ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٢٢٨ ) ، وانظر عبد الوهاب بن منصور  
اعلام المغرب العربى ، ج ١ ( ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ) .  
( ٣ ) زاد المسافر ( ص ١١٧ ) .

### الموشحات والزجل ~~~~~

الموشحات جمع موشح يعنى " المُعَلَّم " بلون او خط يخالف سائر الوانه الاخرى ، او الثوب حينما تكون فيه توشية او زخرفة فان الاندلسيين قد تصوروا ان هذا اللون من الشعر كركعة الثوب فيه خطوط ( اغصان ) تنتظمه افقيا او عاموديا . والاصل فيه وحدات كبيرة هى الاشطار ، وجزئت اجزاء صغيرة فاصبحت اشطارا اصغر من اشطار القصيدة ، فهى تتوالد وتتابع تتابع —————  
النقش او الترقيم .<sup>(١)</sup>

وينسب اختراع هذا اللون من الشعر الى الاديب محمد بن محمود القبرى الضرير ( القرنين الثالث والرابع الهجريين ) ( وكان يضعها على اشطار الاشعار ، غير ان اكثرها على الاعاريز غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامى او العجمى ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولاغصان )<sup>(٢)</sup> .

ويقال ان الاديب ابن عبد ربه صاحب العقد كان اول من سبق الى اختراع هذا اللون الشعرى ثم اتى الشاعر يوسف بن هارون الرباذى حيا ( ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ) ، فاكثر فيها التضمين فى المركز ، فيضمن كل موقف يقف عليه فى المركز خاصة ، واستمر هذا الحال حتى اتى الشاعر عبادة ابن ماء السماء ( حيا ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م ) فحدث التفسير بان اعتمد مواضع الوقف فى الاغصان فيضمنها فحدث فى ذلك تطورا شدا الانظار والاسماع .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، عصر الطوائف والمرابطين ( ص ٢٢٠ - ٢٢١ ) ، جودة الركابى : فى الادب الاندلسى ( ص ٢٩٣ ) .  
( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ) .  
( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ) ، ابن خلدون المقدمة ( ص ٥٨٣ - ٥٨٤ ) ، وانظر للتوضيح اكثر احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ١٩١ ) ومابعدها ، الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٢٠٩ ) ، جودة الركابى : فى الادب الاندلسى =

وابن بسام يعطى الفضل او ينسبه فى تطوير الموشح لعبادة بن ماء السماء ، لكن الحجارى ينسبه الى شاعر المعتصم بن صمادح عبادة القزاز ومع اشارة ابن بسام الى عبادة بن ماء السماء الا انه لم يغط حق القزاز فقد اثنى عليه ووصفه بانه من اعلام من ارتقى بهذا الفن الى درجة سامية وان له فضلا كبيرا فى تطويره واخراجه فى حلية جميلة ، وان موشحاته تنم عن تميزه وتفوقه .<sup>(١)</sup>

ويفترض احسان عباس فى سبب نشوء الموشح انه يخدم هدفين ، الغناء والكسب ، ويذكر رأى ابن بسام الذى نسب اختراع الموشح لمحمد بن محمود القبرى من شعراء القرن الثالث والرابع الهجريين ، ورأى الحجارى الذى نسب ذلك الى شاعر آخر من نفس الفترة يدعى المقدم بن معافى القبرى وعنه اخذها ابن عبد ربه صاحب العقد ، ثم يمضى احسان عباس فيرجح ان مهد بن محمود هو مخترع الموشح ويعلل ذلك بما فرضته حالته البائسة من حاجة للتكسب ، فهو ضرير قوال يسعى بانشاد موشحاته لكسب رزقه .

ولكن الباحث له ملاحظة على هذا الرأى ، فان حالة محمد بن محمود القبرى فى كونه اعمى وسعيه للحصول على رزقه لا يعنى بالتأكيد انه ابتدع الموشحات وسخرها لكسب رزقه ، ولا نستبعد انه كان يحظى بمنزلة كريمة

- 
- = (ص ٢٨٧) وما بعدها ، احمد هيك : الادب الاندلسى (ص ٢١٧ - ٢١٨) ، عباس الجراوى : اثر الاندلس على اوربا ، مقال بمجلة الفكر ج ١٢ ، ١٩٨١ م (ص ٣٠) .
- (١) الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٨٠١ - ٨٠٢) ، ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) نقلا عن الحجارى .
- (٢) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) وانظر عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ١١) ، فوزى سعيد : ابن زهر وشاح الاندلس (ص ٤٥) .

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, p. 86

- رامون منندث : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام ، (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ح ١ ، ١٩٥٣

لدى امراء واعيان ذلك العصر، وبالتالى فان وضعه الاجتماعى يتنافى مع حالته البائسة وانشاده للشعر للتكسب به ، كما لايعنى كونه ضريـرا ان منزلته الاجتماعية تتحدد فى صورة البائس الفقير الذى يتلمس السبل لنيل رزقه وخاصة اذا علمنا ان هناك ادباء وعلماء كبار كانوا اكفاء - جمع كفيف - ولم يقف عما هم عن نيل المطالب والمعالي ، ويميل الباحث اخيرا الى ان مخترع الموشح هو مقدم بن معافى ، لان الحجازي اشار الى ذلك اولا ، كما ان ابن بسام ذكر ذلك ثانيا عندما نسب اختراعها الى ابن عبد ربه فى قول آخر وهذا حسب قول الحجارى اخذها عن مقدم بن معافى اذ كان الاثنان صديقين فى بلاط الامير عبد الله بن محمد .

ومهما يكن فان ذينك الشاعرين - كما يبدو - لم يحققا فى هذا الميدان من نظم الموشحات مايكفل لعمالهما الخلود والانتشار، فقد ضاع ماينسب اليهما ليظهر بعدهما بفترة من الزمن الشاعر المبدع عبادة بن ماء السماء فياخذ بيد هذا الفن الشعرى ويدخل عليه ضروبا من التحسينات والاضافات ماكفل له التطور والرقى وشاركه فى ذلك الشاعر المجيد عبادة القزاز .

ويشير خوليان ريبيرا الى ان المسلمين فى الاندلس كانوا يتكلمون اللغة العربية الفصحى ويستعملونها كلغة رسمية فى الدولة وشئون الحكم ومؤسساته ومجالس العلم وندوات الدرس . ولكنهم فى شئونهم اليومية واحاديثهم مع بعضهم البعض كانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة ويؤكد رأيه هذا بان عدد العرب الخلس الذين دخلوا الجزيرة كانوا قليلا جدا حتى انه لايعتبر الاندلسيين المسلمين ساميين او مشاركة ابتداء من جيلهم الثالث او الرابع بعد الفتح ، وهو ما ادى الى هذا الازدواج فى اللغة وبالتالى الى نشوء طراز شعرى مختلط تمتزج فيه مؤثرات غربية وشرقية

وكان فى بداية امره لا يلقى غير الاستخفاف والازدراء من الادباء والعلماء لعدم فصاحته فظل سائداً داخل البيوت والاسواق ثم مالبت ان تطور وعنى به حتى اصبح على صورتين احدهما الموشحة والثانية الزجل<sup>(١)</sup>.

ونحن لانوافق خوليان ريبيرا على السّقط بان الاندلسيين جميعهم كانوا يتخاطبون باللهجة اللاتينية فى شئونهم واحاديثهم اليومية مع اقتناعنا بتأثرهم باللهجة اللاتينية ولكن اثرها لم يكن بالصورة التى صورها ريبيرا ، كما ان قوله ان الاندلسيين المسلمين لا يعتبرون ساميين او مشاركة منذ جيلهم الثالث او الرابع فيه مغالاة واضحة .

اما الزجل فانه غير الموشح ، فعندما انتشرت الموشحات وشاع نظمها بين اهل الاندلس واقبل عليها جماهير الناس لحلاوتها ورقة معانيها وما تقوم عليه من التفرّيع والاغصان استحدث الناس فناً آخر سموه الزجل نظموه على منوال الموشح بلهجاتهم الشعبية والفاظهم العامة واخرجوا فيه غرائب من نظمهم على حسب لغتهم المستعجمة<sup>(٢)</sup>.

وادلى عباس الجراوى برأيه فى نشأة الزجل ، ف اشار الى ما يناقض قول ابن خلدون من ان الفرق واضح بين ان ينشأ فن ما وبين ان يقبل عليه الجمهور وهو ما حدث للزجل ، وانه قد ظهر مع الموشحات وربما قبلها ولكنه آنذاك لم يتهياً له من الظروف ان يبرز على الساحة الادبية حتى مهدت له الموشحات الطريق للظهور<sup>(٣)</sup>.

( ١ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ١٤٢ - ١٤٣ ) ، وانظر عباس الجراوى : اثر الاندلس فى اوربا فى مجال النغم والايقاع ، مقال بمجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ، ابريل ، مايو ، يونيو ١٩٨١ م ، ( ص ٣٧ ) .

( ٢ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٤٤١ ) ( طبعة المطبعة البهية ) وهو مما ليس فى طبعة المكتبة التجارية . وانظر حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ .

( ٣ ) اثر الاندلس فى اوربا مقال بمجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ،

والزجل في بدايته اغنية شعبية ، ولا يعرف مخترعه ، لان الاغنية الشعبية تظل في العادة جهد جنود مجهولين ، ومضى وقت طويل حتى انتقل هذا اللون من الشعبية الخالصة الى الفرد الرجال الذي منحه قوة شخصيته ومهارته الفنية ، وقد تأخر ظهور الزجل بعد الموشحات حتى ظهرت طبقة الزجالين التي خلفها ابن قزمان ، ومن اولئك يخلف بن راشد وكان لابن قزمان مأخذ كثيرة عليهم منها حرصهم على الاعراب في الزجل مع ان المطلوب فيه عدم الجزالة <sup>(١)</sup> .

وتركيب الزجل كتركيب الموشح ، ففيه المطلع والدور والاقفال والخرجة والاغصان والاسماط ، وبينهما اختلاف يسير <sup>(٢)</sup> .

والزجل والموشحة من طراز شعري واحد ، ولكن الزجل يطلق على السوقي والعامي فقد كان يتغنى به في الطرقات ، اما الموشحات فلا تكون الا في العربي الفصيح <sup>(٣)</sup> .

ويذكر احمد امين ملاحظاته حول التوشيح والزجل فيقول : انهما يسمعان احسن مما يقرآن لانهما في كثير من الاحيان يعوض فيهما نقص الوزن بمد حرف او تقصيره او غنته فهذه كلها تعوض في زيادة حرف او نقصان حرف ، كما ان الموشحات والازجال تخضع لخصائص كل بلدة من حيث اللغة الدارجة او اللهجة . واخيرا فان نظرة الادباء الارستقراطيين باحتقار الى الموشحات والازجال لانها شعبية نظرة خاطئة . مع ان فيهما من البلاغة والاستعارات والمجازات ما لا يقل عما في اللغة الفصحى ، وليس كلها مجونا

( ١ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ( ص ٢٥٧ ) وما بعدها ، وانظر سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي ( ص ٢١٥ ) وما بعدها .

( ٢ ) سامي العاني : المرجع السابق ( ص ٢٢ ) ، وانظر فيها الاختلافات بين الموشح والزجل .

( ٣ ) آنخل بالنثيا : مرجع سبق ذكره ( ص ١٤٣ ) ، عباس الجراوى : اثر الاندلس في اوربا ، مقال سبق ذكره ( ص ٣٧ ) ، وانظر ايضا عبد الرحمن بدوى : دور العرب في تكوين الفكر الاوروبى ( ص ١٢ - ١٣ ) .

وهزلا ، بل ان فى بعضها ما يدعوللاصلاح والنزاهة<sup>(١)</sup> .

ويأتى فى مقدمة وشاحى عصر ملوك الطوائف الشاعر محمد بن عبادة القزاز، وكان معدودا فى شعراء بلاط المعتصم بن صمادح ، وذاعت شهرته فى نظم الموشحات والتفنن فى تطويرها وتحسينها فكان له قصب السبق فى رقى هذا اللون الشعرى ، وقدمه المؤرخون على سائر وشاحى عصر ملوك الطوائف ومن اشهر موشحاته التى ذاعت بين الناس قوله :

|                  |                               |
|------------------|-------------------------------|
| بدر ثم شمس ضحا   | غصن نقا مسك شمس               |
| ما اتم ما او ضحا | ما اورقا ما انمس              |
| لا جرم من لمحا   | قد عشقا قد حرم <sup>(٢)</sup> |

ولمع فى عمل الموشحات الشاعر الاعمى ابو العباس التطيلي (ت ٥٢٥هـ/ وكان من ابرع اهل زمانه فى نظم الموشحات البديعة ، وحدث ان اجتمع مع طائفة من الوشاحين منهم ابو بكر بن بقى وابو بكر بن الابيض وقد عمل كل منهم موشحة فطلبوا من ابى العباس ان ينشد موشحته اولا ثم ينشدون موشحاتهم بعده فانشد موشحته الجميلة :

|                |             |
|----------------|-------------|
| ضاحك عن جمان   | سافر عن بدر |
| ضاق عنه الزمان | وحواه صدرى  |

فلما سمعها بقية الوشاحين رأوا انها اجمل مما لديهم فآثروا الصمت

(١) ظهر الاسلام، ج ٣ (ص ١٩٦) وما بعدها .  
 (٢) ابن سعيد : المقتطف (ص ٢٥٥) ، ابن خلدون : المقدمة (ص ٥٨٤) وانظر محمد زكريا عنانى : ديوان الموشحات الاندلسية (ص ١٩) ، شوقي ضيف : الفن ومذاهبه (ص ٤٥٢) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين (ص ٢٣٢-٢٣٣) .



(١)  
والاعتراف بتفوق ابي العباس .

وكان تلميذه وصديقه ابو القاسم الحضرمي - الذي كان يأخذ بيده في مقاصده وحاجاته حتى لقب " بعضى الاعمى " - شاعرا بديعا وشاحا رائعا وكان يمزج كثيرا من موشحاته بجون واستهتار رغم ما امتازت به من عذوبة ورقة وجمال .<sup>(٢)</sup>

واشتهر من الوشاحين شاعر المأمون ملك طليطلة محمد بن ارفع رأس وذاعت شهرته في صنع الموشحات والبراعة في نظمها فتناقلها الناس عنه وسارت بها الركبان ورددها المتشدون في الحفلات والافراح .<sup>(٣)</sup>

وكان ابن اللبانة الداني شاعر المعتمد بن عباد الآنف الذكر ينظم الموشحات البديعة ، وكان يجيد ذلك واحتفظ له ابن سعيد ببعض موشحاته واوردها في كتابه المغرب .<sup>(٤)</sup>

وكان لنزهون بنت القلاعي ( ت . ٥٤٠ هـ / ) براعة في نظم الموشحات الى ما امتازت به من ملكة ادبية ومهارة في الشعر حتى عدت من غرر مفاخر غرناطة ادبا وعلماء وفكاهة .<sup>(٥)</sup>

اما الزجل فان اشهرناظميه من الشعراء الشاعر الاديب ابو بكر محمد

( ١ ) ابن سعيد : المقتطف ( ص ٢٥٦ ) ، ابن خلدون : المقدمة ( ص ٥٨٤ ) ،  
آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١٥٧ ) .

Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain p.88.

وانظر مزيدا من موشحاته في محمد زكريا عناني : ديوان الموشحات  
الاندلسية ( ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ ) . وابن الخطيب : جيش التوشيح، ص ١٦

( ٢ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١٥٧ ) .

( ٣ ) ابن سعيد : المغرب، ج ٢ ( ص ١٨ ) ، المقتطف ( ص ٢٥٦ ) .

( ٤ ) المغرب، ج ٢ ( ص ٤١٤ ) وما بعدها . ابن الخطيب : جيش التوشيح، ص ٥٩

( ٥ ) ابن الخطيب : الاحاطة، ج ٣ ( ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ) ، وانظر زكريا عناني

ديوان الموشحات الاندلسية ( ص ٢٧ - ٢٨ ) .

ابن عيسى بن عبد الملك بن قزمان ( ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ / ١٠٨٧ - ١١٦٠ م ) ،  
وهو لم يعيش في عصر ملوك الطوائف الذي زال وعمره لم يتجاوز ثمان سنين  
ولكن هذا لا يعنى انه لم يظهر قبله عدد من الزجالين البارعين ، فقد كانت  
الازجال قد عرفت وقيلت قبله ، ولكنها لم تنتشر بصورة كبيرة ( ولم تظهر حلاها  
ولا انسكبت معانيها ، ولا اشتهرت رشاقتها الا في زمانه )<sup>(١)</sup> .

وما يهمننا هنا هو ذكر زجالى عصر ملوك الطوائف الذين ظهوروا قبل  
ابن قزمان امثال الاخطل بن نماره ويخلف بن راشد ، وهذا الاخير وجد له<sup>(٢)</sup>  
المستشرق اشتيرن زجلا وقام بنشره فى مجلة الاندلس ، ويورد الاستاذ احسان  
عباس قصة تدل على ان الزجل عرف بعيد منتصف القرن الخامس الهجرى  
وربما من منشديه ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بابن الزرقال<sup>(٣)</sup> .

ويخلف بن راشد كان امام الزجل قبل ابن قزمان ، وكان ينظم الزجل  
القوى ، ولما برز ابن قزمان على الساحة العشرية نظم السهل الرقيق العذب  
من الازجال فمال اليه الناس وذاعت بينهم ازجاله<sup>(٤)</sup> .

اما الاخطل بن نماره ، فقد اثنى عليه ابن قزمان وامتدحه ووصفه بانه  
لم ير اساس واخصب ريعا واحق بالرياسة والامامة من الاديب الاخطل بن  
نماره فان منهجه وطريقته فى الزجل اعذب الطرق واجملها<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن سعيد : المقتطف ( ص ٢٦٣ ) ، وانظر فى ترجمة ابن قزمان ايضا  
ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ١٠٠ ) ، احسان عباس : تاريخ الادب  
الاندلسى ( ص ٢٥٤ ) ، عبدالعزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس  
( ص ٣٩٨ ) .

( ٢ ) لم نعثر على معلومات وافية عنهم فى كتب التراجم ولا على سنى وفاتهم  
ولكن مجيئهم قبل ابن قزمان فيه اشارة الى انهما ظهرا فى عصر ملوك  
الطوائف الذى نضجت فيه تلك الابداعات الشعرية كالموشحات والزجل  
وكنا قبل هذا العصر لا يذكران .

( ٣ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف والمرابطيين  
( ص ٢٣١ - ٢٣٢ ) ، وانظر عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى  
الاندلس ( ص ٣٩٦ ) .

( ٤ ) سامى العاني : دراسات فى الادب الاندلسى ( ص ٢٢٩ ) .

( ٥ ) سامى العاني : دراسات فى الادب الاندلسى ( ص ٢٣٠ ) .

وعلى الرغم من هذا الثناء الجم على الاخطل ، الا ان ابن قزمان لم ينس ان يشير الى سقطاته فقد انتقده واخذ عليه التزامه بالاعراب فى الزجل و اشار الى ان ذلك يعد لحنا فى هذه الحالة . وضرب لذلك مثلا بقول<sup>(١)</sup> الاخطل " كسر الله رجل كل ثقل " فقد اساء فاعرب فى هذا المقطع من الزجل .

وجدير بالذكر ان شوقى ضيف قد جانب الصواب عندما استخف بفن الموشحات والازجال كفن ابتكره الاندلسيون ، وانها لم تحدثا ثورة على الاوضاع القديمة فى الصياغة الفنية للشعر الفصحى ، وان ذلك يرجع الى ان الاندلسيين لم يعرفوا التفكير العميق الدقيق فاستمروا على طريقته فى المحاكاة والتقليد ، وانما هم ينقلون ويلفون لاعتخاب بل كما يقع لهم ، ثم عاد الى النغمة التى عض عليها بالنواجذ وهى استمدادهم دلالاتها<sup>(٢)</sup> وصياغاتها الفنية من معين المشرق ومذاهبه الفنية .

والحق ان شوقى ضيف قد تعسف فى هذا الرأى وغطى الاندلسيين ، حقهم فى الاعتزاز بما قدموه من جديد وما ابتدعوه من فن متميز جميل يعود اليهم حق ابتكاره واختراعه على وجه القطع ، فليس الاندلسيون كما وصفهم ملفقين وناقلين والا لرأينا من نقلوا عنهم قد سبقوهم الى الشهرة والذيع فى نظم الموشحات والازجال الجميلة البديعة . وفى هذا الامر يقول عباس الجراوى ( ولكن الا يحق لنا ان نتساءل مفترضين جدا ان الاساس الموسيقى الذى اقام عليه الاندلسيون موشحاتهم وفد عليهم من المشرق ومن العراق خاصة ، لماذا لم يسبق العراقيون الى نظم الموشحات ؟ بل لماذا لم يسبق المشارقة عموما اليه ؟ ولماذا جاءت موشحاتهم بعد ذلك متكلفه

( ١ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ١٦٢ ) .

( ٢ ) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ( ص ٤٥٥ ) .

لا شك ان فى الاجابة على هذه التساؤلات يكمن فضل سبق الاندلسيين (١) .

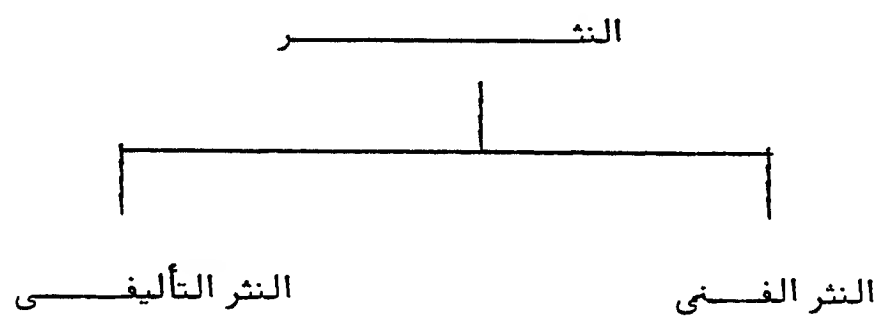
ولماذا نذهب بعيدا وهذا ابن سناء الملك ابرع من صنع الموشحات من المشاركة ومؤلف كتاب " الطراز " الذى ضمنه قصائده من الموشحات يقول فى مقدمة كتابه ( وكيفما كان فموشحاتى لتلك الموشحات ( الاندلسية ) كظلمها وخيالها ، واشهد انها ناقصة عن قد كمالها ، واعذر اخاك فانه لم يولد بالاندلس ، ولا نشأ بالمغرب ، ولا سكن باشبيلية ، ولا رسى على مرسية (٢) .

وليت شوقى ضيف اطلع على قول ابن سناء الملك لعرف ان الحق البلج .  
واخيرا فهذا حال الشعر ودرجات الشعراء من اهل هذا العصر فيه ومبلغ ما وصلوا اليه من ابداع وتألق ، وما من شك انه كان لملوك عصر الطوائف دور كبير فى نهضة الشعر وتشجيع الشعراء على العطاء الادبى ، حتى حفل هذا العصر بلا مبالغة باعظم شعراء الاندلس على مر عصورها ، وليس فى هذا تجنى على الحقيقة ، ففيه عاش ابن زيدون الذى سار ذكره شرقا وغربا واشعاره لاتزال على السن الناس ، وكذلك ابن عمار ، وابن حمديس ، وابن اللبانة ، وابن الحداد الوادياشى ، وابن عبدون ، وابن خفاجة ، وهذا الاخير يعد من اعظم شعراء العرب وامهرهم فى الوصف . واكثر هؤلاء لاتزال دواوينهم تحتل مكانتها الرفيعة فى المكتبة الشعرية العربية وفى الشعر قدم الاندلسيون الجديد واحداثوا ثورة على الاوضاع القديمة للشعر فابتكروا الموشحات والازجال وخلدوا فيها قصائد رائعة جميلة تشهد لهم بالذوق الادبى الرفيع ، وسبقهم الى تحرير القصيدة الشعرية من قيودها فى لون محبب للاسماع والقلوب ، فاحتفل بها الناس واخذوا فى نظمها فشاعت وزاعت حتى سعى المشاركة الى تقليد هم والعمل على منوالهم مع اقرارهم بقصورهم عن ادراك ما بلغه الاندلسيون فى ذلك وهو ما شهد به ابن سناء الملك الآنف الذكر .

( ١ ) اثر الاندلس فى اوروبا : مقال بمجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ،

١٩٨١ م ( ص ٣٥ ) .

( ٢ ) دار الطراز ، تحقيق جودت الركابى .



## النشر الفنى

تعريفه - نظام الكتابة فى عصر الطوائف - تأثير اساليب الكتابة المشرقية فى النشر

الاندلسى - ابرز كتاب الاندلس فى عصر الطوائف .  
\*\*\*\*\*

تعريفه :

يقصد بالنشر الفنى اسلوب الرسائل الديوانية ، والاخوانيات والوصايا  
(١) والمناظرات وغير ذلك من مواضع النشر الفنى .

ولقد شهد هذا النوع من النشر ازدهارا ونشاطا كبيرين فى  
عصر ملوك الطوائف الذين كانوا يحرصون اشد الحرص على ان تضم بلاطاتهم  
وحكوماتهم ابرع الكتاب وامهرهم لان هؤلاء يمثلون لسان الدولة ويصوغون  
قراراتها واوامرها وماتحتاج اليه من خطابات ورسائل .

ولسمو منصب الكتابة لدى اهل الاندلس كان الكاتب يحظى بالتشريف  
والتوقير فى المخاطبات .  
(٢) " نظام الكتابة فى عصر الطوائف "

ويبدو ان ملوك الطوائف ساروا على نظام الكتابة الذى كان سائدا فى  
عصر الخلافة ، والذى يقوم على تعيين اكثر من كاتب ، كل كاتب منهم يختص  
بميدان من ميادين الخدمات السياسية او العسكرية او الاجتماعية ، فكان  
لاهل الخدمة كاتب ، وللثغور كاتب ، وللعهود والتوقيعات كاتب ، ولمطالب  
الناس وحوائجهم كاتب ، وكان كل منهم فى مرتبة وزير فى الدولة .  
(٣)

ويضاف الى هؤلاء الكتاب كاتب الزمام وهو المسئول عن الخراج  
الذى يجب ان يكون من المسلمين لاحتياج اعيان الناس ووجوههم اليه .  
(٤)

( ١ ) مصطفى الشكعة : الادب الاندلسى ( ص ٢١ ) ، وانظر فى تفصيل

ذلك عبد العزيز عتيق ، الادب العربى فى الاندلس ( ص ٤٣١ ) .

( ٢ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ( ص ٢١١ ) .

( ٣ ) عن نظام الكتابة فى عصر الامارة انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق

محمود مكي ( ص ٣٤ - ٣٥ ) .

( ٤ ) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٢٠ ) .

( ٥ ) المقرئ : مصدر سبق ذكره ، ج ١ ( ص ٢١٧ ) .

" تأثير اساليب الكتابة المشرقية في النثر الاندلسي "

ويبدو ان كتاب الاندلس في هذا العصر قد تأثروا باسلوب الجاحظ عمرو بن بحر عبر كتبه التي درسوها ووقفوا على اسلوبه في كتابتها ، وكان الذى نقلها الى الاندلس فرج بن سلام القرطبي الذى التقى بالجاحظ (١) فافاد من علمه ونقل مصنفاته فكان اول من ادخلها الاندلس .

وممن نهج طريقة الجاحظ والتزم باسلوبه الشاعر الاديب ابن زيدون (٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) رسالته الهزلية التى يسخر فيها من ابن عبدوس منافسه فى حب ولادة ففها ما يشابه رسالة التريب والتدوير للجاحظ التى كتبها فى احد كتاب عصره وهو احمد بن عبد الوهاب . (٢)

ويلاحظ ان ابن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) فى كتابه المقتبس ، والفتح بن حقان (ت ٥٣٢هـ / ١١٤٠م) فى كتابيه قلائد العقيان ومطمح الانفس ، وابن بسام (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) فى كتابه الذخيرة يلاحظ مدى اهتمامهم وخاصة الاخيرين بالتزام السجع الذى قل ان يشذ فى تصانيفهم السالفة الذكر واساليبهم فى هذا اللون قوية الشبه باسلوب ابن العميد فى كتاباته . (٣)

ومع ان الاندلسيين التزموا النهج المشرقى فى الحفاظ على السجع الا انهم كانوا امهر واحذق من المشاركة فى حسن استخدام هذا الاسلوب البديعى والتصرف فيه ، وتمكنوا بذوقهم وحسهم الادبى ان يطوعوا اسلوبهم ذلك لاغراضهم وان يعبروا به عن ادق المعانى دون ان تدفعهم السجعة الى تشويه المعنى او اضطراب فى التعبير . (٤)

- 
- (١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى (ص ١٦٤) .  
 (٢) عبدالعزيز عتيق : مرجع سبق ذكره (ص ٤٣٥) ، الرسالة الهزلية شرحها جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) وسمى شرحه شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، وطبعت الطبعة الاولى فى مصر سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م بمطبعة البابى الحلبي .  
 (٣) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ (ص ٢٠٦ - ٢٠٧) ، عبدالعزيز عتيق الادب العربى فى الاندلس (ص ٤٣٥) .  
 (٤) عبدالعزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس (ص ٤٣٢) .

وان الدارس المتعمق فى الادب الاندلسى المتفحص لنثره الفنى  
سيلس ان الاندلسيين قدموا الوانا بديعة من انتاجهم النثرى الذى  
بدوره يدل دلالة واضحة على مدى ماتمتعوا به من ذوق ادبى رفيع وحس  
مرهف، وتضلع عميق فى اللغة ووقوف على اسرارها الحيوية الفنية .

ولعل من اجمل وانضر ماسطر فى هذا الميدان تلك العبارات  
البديعة الجامعة على طريقة الحكم والامثال ، مثل وصف ابن برد للقلـم  
والمداد والكتاب كقوله " ما عجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلفظ نورا - على  
غيث القلم يتفتح زهر الكلم . . . " . وكقول ابى الفضل بن شرف " التعليم  
فلاحة الازهار وليست كل ارض منبثة ، الفاضل فى الزمن السوء كالمصباح فى  
البراح ، قد كان يضىء لو تركته الرياح <sup>(١)</sup> .

وفى اواخر القرن الرابع الهجرى وصلت مقامات بديع الزمان الهمدانى  
ورسائله الى الاندلس حيث لقيت عناية الاندلسيين واهتمامهم فدرسوها  
وافادوا منها ، وظهر اثر ذلك فى اساليبهم النثرية ، وبان اسلوب الهمدانى  
فى نثرهم الوصفى ، وكذلك كان الامر بالنسبة لدخول مقامات الحريـرى  
بالاندلس فقد درسوها وشرحوها ، ولكنهم فى نفس الوقت عارضوها <sup>(٢)</sup> .

وحظيت المقامة الادبية فى الاندلس بمنزلة عظيمة وذاع اهتمام  
الاندلسيين بها فنشط الكثير منهم للاشتغال بهذا اللون من النثر الفنى  
البديع ، ومن صنف فى ذلك ابن شرف القيروانى الاندلسى <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٩٥ ) ، ق ٣ ، ج ٦ ،  
( ص ٨٨١ ) ، ابن خاقان : المطمح ( ص ٢٠٧ ) .

( ٢ ) عبد العزيز عتيق : مرجع سابق ( ص ٤٣٦ ) ، احسان عباس : مرجع  
سبق ذكره ( ص ٣٠٣ ) وما بعدها ، احمد امين : ظهر الاسلام  
ج ٣ ( ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ) .

( ٣ ) عن ترجمته انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٦٩ ) وما  
بعدها وقد سبقت الاشارة اليه فى حديثنا عن الشعر .



وجد ير بالذكر انه كان لستلتمذ بعض الادباء الاندلسيين على يد  
الحريري اثر في تعميق الروابط بين الاندلسيين ومقاماته ، فمن اخذ عنه  
المقامات احمد بن خلف الشاطبي ( ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ) ومنهم الحسن بن  
علي البطليوسي سمعها منه ببشان ببغداد ، ولابي القاسم بن جهور يـد  
بيضاء في نشر مقامات الحريري في الاندلس ، وعنه اخذها كثير من التلاميذ<sup>(١)</sup> .

ومن عارض الحريري وبديع الزمان في مقاماتهما غير ابن شرف الانف  
الذكر كل من ابي حفص عمر بن الشهيد<sup>(٢)</sup> ، وابي محمد بن مالك القرطبي<sup>(٣)</sup> ، وعبد  
الرحمن بن فتوح وغيرهم<sup>(٤)</sup> ، وكل هؤلاء من ادباء عصر الطوائف .

وليس مقامنا في هذا البحث مقام الاديب المستقصى لفنون النثر  
وخطئه والوانه ، فان الباحث لو عمد الى ذلك مع افتراض تمكنه فـي  
الادب وتضلعه في فنونه لخرج عن منهجه كمؤرخ ، ولكن نحيل القارئ الى  
عدد من المراجع التي توسعت في الحديث عن ذلك<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف ( ص ٣٠٣ -

٣٠٤ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٦٧٤ ) .

( ٣ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٧٤١ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٧٨٦ ) .

( ٥ ) انظروا ولا من المصادر : ابن بسام : الذخيرة ، ابن خاقان : المطمح

وقلائد العقيان ، ابن حيان فيما بقي من كتابه المقتبس كنماذج للنثر

الفني من خلال النظر الى اساليب كتاباتهم . وانظر من المراجع

عبد العزيز عتيق : الادب العربي في الاندلس ( ص ٤٣٧ ) ، احسان

عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين ( ص ٢٨٠ )

محمد رضوان الدايب : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ( ص ٤١٣ )

سامي العاني : دراسات في الادب الاندلسي ( ص ٢٤١ ) .

" ابرز كتاب الاندلس فى عصر الطوائف "

وكان ملوك الطوائف كعادتهم فى التنافس فى اجتذاب نوابغ العلماء والادباء يسارعون الى استدعاء مهرة الكتاب وبارعيهم من ذوى الادب الرفيع والاسلوب البديع والثقافة اللغوية الواسعة ، وقد لمع فى هذا العصر عدد من الكتاب وازدانت بهم بلاطات اولئك الملوك الذين حرصوا على كل ما من شأنه ان يُعلى شأنهم وسلطانهم فى ذلك العصر وان يبدوكل منهم كحام وراع للعلم والعلماء .

ففى بلاط بنى عباد باشبيلية عاش الاديب الكاتب عبدالله بن عبد البر النمري ( ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١ م ) وكان قد ( تهادته الآفاق ، وامتدت اليه الاعناق ، ففاز به قدح عباد بعد طول خصام ، والتفاف زحام )<sup>(١)</sup> .

ولكن الحسد داء لا يبرح مثل تلك المواضع فقد سعى ابو الوليد بن زيدون وبذل جهده فى سبيل التخلص من النمري الذى رأى فيه علما ممن اعلام اهل الادب فخشى نفوذه ومستقبله فى بلاط المعتضد ، حتى كره عبدالله ابن عبد البر المقام وازمع على الرحيل ، فاخذ يجوب الافاق ونزل عند عدد من ملوك الطوائف يكتب عنهم . وله فى ذلك ما يشهد له بطول الباع والتمكن التام فى انشاء الرسائل السلطانية وغيرها<sup>(٢)</sup> .

وفى ذلك البلاط عاش الوزير ابو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم وقد نشأ نشأة علمية فعكف على دراسة الادب وقراءة فنونه مع البراعة فى الانشاء وكتابة الرسائل . ولعله فى شبابه قد شعر بالمرارة من تعثر حظه فى الوصول الى مطامحه ، وهو ما اشار اليه فى مقامة كتبها اثناء بداية صعوده فى سلم

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ١٢٥ ) .

( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ص ١٢٦ ، وانظر ما يلى هذه الصفحة بعض رسائله الفنية .

الشهرة، ولكن الحظ ابتسم له فقد بلغت المعتضد اخبار مهاراته الادبية وقد راته الانشائية فالحقه ببلاطه كاحد الوزراء الكتاب<sup>(١)</sup>.

وكان ابو الوليد بن زيدون ( ت ٤٦٣ هـ / ) الشاعر المشهور كاتباً بارعاً وناثراً ماهراً، ونال مكانة رفيعة في بلاط المعتضد وخاصة بعد وفاة الاديب الكاتب ابن برد، وقد حظى ابن زيدون باعجاب ورضى المعتضد بعد ان اثبت قدرات واسعة ليس في الادب فقط وانما في المهام الحكومية التي اسندت اليه، فلم يكن شاعراً او كاتباً فقط بل كان شخصية لامعة في الحكومة الاشيلية ونال لقب ذى الوزارتين<sup>(٢)</sup>.

ويشير ابن بسام الى براعته الادبية وعلو كعبه في الشعر والنثر بقوله ( وقد اخرجت من اشعاره التي هي حجول وغرر، ونوادير اخباره التي هي مآثر واثر، ورسائله التي اخرجت السنة الحفل واستوفت امد المنطق الجزل مايسر الآداب ويصورها، ويستخف الالباب ويستطيرها )<sup>(٣)</sup>.

ومن اهم ما خلفه لنا ابن زيدون من انتاجه النثرى الفنى رسالته الهزلية التي ضمنها سخريته بابن عبدوس، وكان الاخير قد استغل الخصام والهجران بين ابن زيدون وولادة فحاول التقرب اليها فارسل اليها رسالة يشير فيها الى منزلته العالية وجاهه الواسع مما اغاظ ابن زيدون فبعث اليها

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢، ج ١ ( ص ١١٢ ) وما بعدها، وانظر صلاح خالص : اشيلية في القرن الخامس الهجرى ( ص ١٦٩ - ١٧٠ ) .

( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة، ق ١، ج ١ ( ص ٣٣٨ - ٣٣٩ )، جودت الركابى فى الادب الاندلسى ( ص ١٨٥ )، صلاح خالص : المرجع السابق ( ص ١٨١ - ١٨٢ ) .

( ٣ ) الذخيرة، ق ١، ج ١ ( ص ٣٣٩ ) .

برسالة كتبها على لسانها وفيها يتهم ويسخر من ابن عبدوس ويستخف به باوصاف شتى وجعلها جوابا له على رسالته وطلب من ولادة ان تبعثها اليه (١) وقد ذاع امر هذه الرسالة وانتشرت بين الناس .

وقد شرح هذه الرسالة ابن نباتة المصري ، كما شرحها ايضا خليل بن ابيك الصفدى ، واسماها غايية المتون فى شرح رسالة ابن زيدون (٢) .

ولابن زيدون ايضا رسالة اخرى اسماها الرسالة الجديدة ، وقد خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله ، وفيها يستشفع بابن جهور ويستعطفه فى اخراجه من السجن وضمنها ثناء ومدح لابن جهور ، ويشير فيها الى دور خصومه واعدائه فى الايقاع به . (٣)

ومن الدلائل الواضحة الجلية على تمكنه من البلاغة ، واحاطته بالوان الفصاحة وسعة معارفه فى اللغة ما روى انه كان يتقبل العزاء فى وفاة بعض اهله والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فكان يجيب كل منهم بما لا يجيب به الآخر ، والى هذا الامر اشار الصفدى بقوله ( انه اقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه ان يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده ، ولكنه ،

صوب العقول اذا انبرى \* سحائب منه اعقبت بسحائب (٤)

- 
- ( ١ ) ابن نباتة : سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ( ص ٧ ) .  
 ( ٢ ) حقق هذا الشرح محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨٩ هـ .  
 ( ٣ ) ابن نباتة : سرح العيون ( ص ٢٩٥ ) وما بعدها ، وقد قام بتحقيقها وشرحها محمد سيد كيلانى ، وطبعت بمطبعة البابى الحلبي بمصر ١٩٥٦ م .  
 ( ٤ ) الصفدى : اعيان العصر واعوان النصر ( مخطوط ) ( ص ٦ - ٧ ) .

ومن كتاب الدولة العبادية الاديب محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة ، وكان ممن يشار اليهم بالبنان ادبا وفهما ، وهو مادعا الوزير ابن زيدون الى تقريبه وتعريف حاله للمعتضد الذى رفع مكانته واعلى شأنه بين ادباء بلاطه ، ولما تولى المعتمد منحه الوزارة ولقبه بذى الوزارتين ، وكان كثير الاعتماد عليه فى السفارة بينه وبين ملوك الطوائف <sup>(١)</sup> . وقد اثنى عليه القفطى وامتدح شعره ونثره وما اوتى من نظم رائعته وفضل فائق <sup>(٢)</sup> .

كما ان الوزير الفقيه محمد بن عبد الله بن الجد ، نال مكانة عالية فى الدولة العبادية وتقلد لدى المعتمد بن عباد وزارة ابنه يزيد ، ولم يزل مكرما على المنزلة فى بلاط المعتمد حتى دفعت الظروف السياسية الى الخروج عن اشبيلية ليحل بلبله <sup>(٣)</sup> ، فيتولى بها خطة الشورى مع اهتمامه بالادب ومراسلة العلماء والاصحاب برسائل ادبية رائعة تدل على رسوخ قدمه فى البلاغة <sup>(٤)</sup> .

وفى بلاط بنى الافطس ببطليوس برز الاديب الكاتب عبد الله بن خطاب بن يوسف الماردى ويقال المرادى . وكان عالما واسع المعرفة بالادب ماهرا فى اللغة وعلومها فقعد لتعليمها ، ثم رغب فى الكتابة لدى

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ) ، وانظر من نثره ( ص ٢٤١ ) وما بعدها ، ( ص ٢٧٢ ) وما بعدها ، الكتبي عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ٤٨ ) .
- ( ٢ ) المحمدون من الشعراء ( ص ٣٥٨ ) .
- ( ٣ ) لبلة مدينة قديمة بينها وبين اشبيلية اربعين ميلا الى الغرب منها . الحميرى : الروض المعطار ( ص ١٦٨ ) .
- ( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ) ، وانظر كذلك قلائد العقيان ( ص ١١٣ ) وما بعدها ، وانظر الوانا من نثره فى الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٨٦ ) وما بعدها .

المظفر بن محمد بن عبد الله بن الافطس وظل لديه مدة من الزمن ، ثم  
 قصد اشبيلية فكتب للمعتضد ثم لابنه المعتمد وتوفي في حياته .<sup>(١)</sup>

ومن اشهر كتاب بنى الافطس الاديب الشاعر عبد المجيد بن عبدون  
 وكان كاتباً للمتوكل بن المظفر الذى حباه بكرمه وانعامه فعاش كريم المنزلة  
 على المحل فى دولته ، وكان ماهراً فى نظم الشعر والنثر .<sup>(٢)</sup>

ومن اشهر كتاب هذه الدولة بنو القبطورنة وهم ثلاثة اخوة كتب منهم  
 لـدى المتوكل بن الافطس اثنان هما : محمد وعبد العزيز ابنا سعيـد  
 البطليوسى .<sup>(٣)</sup>

وحفل بلاط بنى ذى النون بعدد من الكتاب المشهورين يأتى فى  
 مقدمتهم ابو المطرف عبد الرحمن بن احمد بن صبغون ( ت ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م )  
 الذى استوزره المأمون يحيى بن ذى النون ووصفه ابن حيان فقال : ( كان  
 ابو المطرف عفيفاً دمثاً ، طاهر الاثواب ، حلو الشمائل ، مطلق البشر متحققاً  
 بصناعة الكتابة ، بذ اهل وقته فى البيان والبلاغة ) .<sup>(٤)</sup>

وبلغ الاديب راشد بن سليمان بن موسى اللخمى الطليطلى مكانة  
 سامية فى بلاط المأمون فاتخذته كاتباً فى بلاطه ، واشتهر اللخمى بالبلاغة  
 والتفوق فى الكتابة والمهارة فى فنون النثر .<sup>(٥)</sup>

- 
- ( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٨٠٢ - ٨٠٣ ) .  
 ( ٢ ) المراكشى : المعجب ، ص ١٣٠ .  
 ( ٣ ) ابن سعيد : رايات المبرزين ( ص ٥٩ ) ، وانظر ابن الخطيب : الاحاطة  
 ج ١ ( ص ٥٢٠ - ٥٢١ ) .  
 ( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٤٠٩ - ٤١٠ ) ، وانظر نماذج من  
 نشره ( ص ٤١ ) وما بعدها .  
 ( ٥ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٢٤ ) .

وكان الاديب ابو عبد الله محمد بن شرف القيرواني احد اعلام الادب في هذا العصر وتردد على ملوك الطوائف حقبة من الزمن حتى استقر به المقام في كنف المأمون ، فكان احد شعراء بلاطه وكتاب دولته ، وله في الادب تصانيف منها اعلام الكلام وابتكار الافكار<sup>(١)</sup> . وله ايضا مؤلفات اخرى وقد تكون على شكل رسائل ادبية منها " رسالة ساجور الكلب ، ونجح الطلب ، وقطع الانفاس<sup>(٢)</sup> .

ويرد ذكر الاديب عبد الملك بن غصن الحجارى ( ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ) بين ادباء بلاط المأمون في طليطله ، ويبدو انه كان احد اعلام الادب المشار اليهم بالبنان في فنون النثر والشعر حتى وصف بانه ( ان نظم فبنيــــــــــــــــان مرصوص ، وان نثر فلآلىء وفصوص )<sup>(٣)</sup> .

ويذكر ابن بسام ان المأمون نكبه ، واودعه السجن فصنف الحجارى رسالته المسماه " رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون " وضمنها قصائد طويلة يمتدح فيها المأمون ويستعطفه ، كما صنف رسالة اخرى سماها " العشر كلمات " اودعها الف بيت من الشعر يقول في مطلعها :

وألف بيت من القريض اذا مات جميع الانام لم تمت<sup>(٤)</sup>

ويبدو ان المأمون اطلق سراحه بعد ذلك فاتجه الى بلنسية ولم تطل اقامته بها فلحق بقرطبة حيث استقر بها حيناً من الدهر لينصرف الى غرناطة

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٦٩ - ١٧٠ ) ، وانظر ——— نماذج من نثره وكتابات ( ص ١٧١ ) وما بعدها .  
 ( ٢ ) نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ١٧١ ) ، ج رقم ٣ .  
 ( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٣٣٢ ) .  
 ( ٤ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٣٣٣ ) ، وانظر المراكشى الذيل والتكملة السفر الخامس ، ق ١ ( ص ٣١ ) .

حيث عاجلته المنية بها<sup>(١)</sup> .

وهناك ادباء كثيرون كتبوا لبنى ذى النون لا يتسع المجال لذكرهم جميعا ، نخص بالذكر منهم غير ما ذكرنا الاديب الكاتب جعفر بن يوسف بن الباجي ( ت ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م )<sup>(٢)</sup> والاديب عبدالله بن سفيان بن سعيد<sup>(٣)</sup> التجيبي ( ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ) .

ولاريب ان المأمون كان كريما مع اهل الادب محتفيا بهم حتى اجتمع لديه من هؤلاء عدد كبير ولو ان الباحث استقصاهم جميعا لاخل بالبحث واطال الحديث عن هذا الجانب على حساب الجوانب الادبية الاخرى ، ولكن بما اوردناه فيه كفاية لمعرفة مدى مالهبه هذا الملك من دور كبير في نشاط الحركة الادبية ، وحسبنا ان نعلم ان كثرة هؤلاء الكتاب في بلاطه انما تدل على سعة مهام دولته وعظم شأنها .

ولم يعدم بلاط بنى هود من مهرة الكتاب ، فقد ظهر فيه عدد منهم يأتي في مقدمتهم الاديب الكاتب ابو عمر بن القلاس ، الذي عد من عليوة كتاب هذه الدولة ، فقد كان له من النشر البديع ما ينم عن ادب غزير وتمكن عميق من اللغة .<sup>(٤)</sup>

كما اشتهر من كتاب بنى هود العلامة الاديب ابو عمر يوسف بن جعفر

- 
- ( ١ ) المراكشي : الذيل والتكملة . السفر الخامس ( ص ٣١ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ١٨٦ - ١٨٧ ) .  
 ( ٣ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٨١٣ - ٨١٤ ) .  
 ( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٤١٨ - ٤١٩ ) ، وانظر الوانا من نشره ( ص ٤١٩ ) وما بعدها .



الباجي وقد نال بعلمه وادبه ورسوخ قدمه في البلاغة والبيان مكانا جليلا في  
بلاط المقتدر بسرقسطة<sup>(١)</sup>.

وحل الاديب اللغوي الكبير ابو محمد عبدالله بن السيد (ت ٥٢١هـ/  
١١٢٧م) على بلاط المستعين احمد بن هود بعد طول ترحال ( فلم  
يخف على المستعين اختلاله ، ولم تخف لديه خلالة فذكره معلما به ومعرفا  
واحضره منوها له ومشرفا<sup>(٢)</sup> ) .

ويبدو ان ابن السيد لقي في بلاط المستعين كل تكريم وتوقير فعاش  
هنالك ما قدر له كعلم من اعلام سرقسطة .

وفي بلاط مجاهد العامري نبغ الاديب احمد بن رشيق (ت بعد  
٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وكان قد بسق في صناعة النشر وكتابة الرسائل وذاع صيته  
بالبلاغة والبيان البديع فنال منزلة عظيمة في دولة مجاهد حتى ولاه عددا من  
المناصب الهامة فحمدت سيرته ، وكان مغرما بالادب حتى صنف فيه رسائل  
نثرية تدل على مدى ما كان يتمتع به من علم واسع بالادب واللغة<sup>(٣)</sup> .

ولعل من اشهر كتاب هذا العصر الاديب الكبير اللامع احمد بن  
محمد بن احمد بن برد الذي كان حيا سنة ( ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ) ، وكان  
منسوبا الى بيت ادب وعلم ، وله رسائل تدل على تضلعه في الادب وتمكنه من

---

(١) ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ٤٠٥) ، وانظر ابن بسام : الذخيرة  
ق ٢، ج ١ (ص ١٨٦) وما بعدها ، الاصفهاني : خريدة القصر  
قسم شعراء المغرب، ج ٢ (ص ٣٣٧) وما بعدها .  
(٢) المقرئ : ازهار الرياض، ج ٣ (ص ١٢١) .  
(٣) الحميدى : الجذوة (ص ١٢٢-١٢٣) ، الضبي : بغية الملتبس  
(ص ١٧٨) .

الانشاء وكل الوان النثر الفنى ، ويأتى فى مقدمتها " رسالة فى السيف والقلم والمفاخرة بينهما<sup>(١)</sup> . وهو اول من سبق الى القول فى ذلك فى الاندلس<sup>(٢)</sup> . وقد ذكره ابن سعيد واثنى عليه ، وأشار الى انه رحل من قرطبة الى المريه وان المعتصم استوزره ثم رحل الى مجاهد صاحب دانية<sup>(٣)</sup> .

وكتب للمعتصم بن صمادح بالمريه ابن برد الآنف الذكر ، وكان وزيراً بدولته قبل ان يرحل الى دانية كما اشرنا الى ذلك ، وكان ابن برد قد نال منزلة كريمة فى بلاط المعتصم وصنف له كتاباً اسماء " سر الادب وسبك الذهب " ضمنه انتاجه النثري من الرسائل السلطانية والاخوانية ، و اضاف الى ذلك بعض الاشعار لغيره<sup>(٤)</sup> .

وفى بلاط المعتصم عاش الاديب ابو الاصبع بن ارقم ( احدى كتّاب الجزيرة المهرة والنقدة الشعرة ، ممن نهض فى الصناعة بالباع الاسد ، واخذ فيها بالساعد الاشد<sup>(٥)</sup> ) .

وكان المعتصم يعتمد عليه فى كثير من مهامه ويركن اليه فى سفاراته بين ملوك عصره ، وحدث ان بعثه الى المعتمد ملك اشبيلية فلفت نظره حسن ادبه وسعة علمه وبلاغته فحسن اليه الوفود عليه والنزول فى بلاطه ، ولكن ابن ارقم اعتذر عن ذلك بالوفاء لصاحبه المعتصم<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) انظر هذه الرسالة فى ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٥٢٣ ) وما بعدها .

( ٢ ) الحميدى : الجذوة ( ص ١١٥ - ١١٦ ) .

( ٣ ) المغرب ، ج ١ ( ص ٩١ ) .

( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٩١ ) .

( ٥ ) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٣٦٠ ) ، وانظر الوانا من نشره ( ص ٣٦١ ) وما بعدها .

( ٦ ) المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ) .

وفى بلاط الفتيين مظفر ومبارك فى بلنسيه برز الكاتب الوزير ابو عامر بن التاكرنى ، وكان قبل ذلك فى الدولة العامرية ، فلما سقطت نزح الى بلنسيه وظل فى خدمة مظفر ومبارك حتى زال ملكهما ، ثم دخل فى خدمة المنصور ابن عبد العزيز بن عبدالرحمن العامرى ، وابدى فى صناعة الكتابة براعة فائقة وشهد له بذلك كثير من الادباء ، وكانت بينه وبين احمد بن عباس الانصارى كاتب زهير الفتى امير المريه مكاتبات تدل على عمق الفهم بالادب والتمكن من فنونه .<sup>(١)</sup>

واشتهر الشاعر محمد بن سليمان بن الحناط الكفيف ( ت ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ) بالمهارة فى النثر والكتابة الفنية ، وكانت بينه وبين الاديب الكبير احد بن عبد الملك بن شهيد مناقضات ومعارضات ادبية اكدت رسوخ ابن الحناط وتألقه فى ميدان النثر الفنى وعلو كعبه فيه . وقد انتهى به التسيار فى بلاط الامير محمد بن القاسم الحمودى بالجزيرة الخضراء فكان احد كتاب بلاطه بل اشهرهم صيتا وارفعتهم مقاما .<sup>(٢)</sup>

وصديقه المذكور ابن شهيد عاش شطرا من حياته فى عصر الخلافة وتوفى فى اوائل عصر الطوائف ( ت ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م ) ولذا يجدر بنا ان نشير اليه كاحد الادباء اللامعين الذين اشتهروا بادبهم الواسع وخاصة مايتصل بالنثر الفنى والبيان البديع . قال عنه ابن حيان ( كان يبلغ المعنى ولايطيل سفر الكلام .<sup>(٣)</sup> وقد اشاد به ابن حزم واثنى عليه وعده من بلغاء

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ( ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ) ، وانظر نماذج من نثره ( ص ٢٢٧ ) ومابعدها .

( ٢ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ٥٧ - ٥٨ ) ، ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، ج ١ ( ص ٤٣٧ ) ومابعدها ، وانظر نماذج من نثره ( ص ٤٣٨ ) ومابعدها .

( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٩٢ ) فيما نقله عن ابن حيان .

الاندلس فقال ( ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعبها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل ) .<sup>(١)</sup>

ومن الطريف ان ابن شهيد على رسوخ قدمه في الادب ومهارته في الكتابة لم يقتن خزانة كتب ولم يعرف انه خلف بعد موته كتابا كان يستعين به في حياته الادبية بل كان كل ما كتب من قريحته وماتسعه به ملكته الادبية .<sup>(٢)</sup>

وفي مملكة غرناطة ذاع صيت الوزير اليهودى صمويل بن هاليفى والمعروف في المصادر العربية باسماعيل ، وكان في صغره قد درس الادب واللغة العربية واللاتينية والعبرية ومهر في صناعة النشر ، وحاز اعجاب ابن العريف وزير حبوس بن ماكسن ملك غرناطة ، ومالبت ان اوصله لبلاط الملك فغدا احد اعلامه الادباء ، ثم اخذ يرتقى شيئا فشيئا حتى نال الوزارة واصبح له نفوذ كبير في بلاط الملك ، ونال من الجاه والشهرة ما لم ينله غيره من اليهود .<sup>(٣)</sup>

ولم يكن النبوغ في الكتابة او المهارة في الوان النشر الفنى مقتصر على من ذكرنا من الكتاب الذين ارتبطت حياتهم ببلاطات ملوك الطوائف ، بل

- 
- ( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ١٧٨ ) ، الحميدى : الجذوة ، ( ص ١٣٣ - ١٣٤ )<sup>٤</sup> ،  
وعما يتضمنه هذا المعنى انظر الصفدى : الوافى بالوفيات ، ج ٧ ، ( ص ١٤٤ ) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ١٤٤ ) ، احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى  
( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٩٢ ) .  
( ٣ ) الطاهر احمد : دراسات اندلسية ( ص ٦٣ - ٦٤ ) ، وما بعدهما وانظر ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ١١٤ - ١١٥ ) .

كان هناك كتاب مجيد ومن لم تمكنهم الظروف المختلفة بالارتقاء الى منصب الكتابة في اى من دول ملوك الطوائف، فمن هؤلاء الاديب العلامة محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خلصه الغساني (٤٦٥ - ٥٤٠ هـ / ١٠٧٢ - ١١٤٥ م) وكان متضلعا في عدد من العلوم، ولكنه اشتهر ببراعته فى الادب وطوق قدره فى النثر والشعر ومهارته فى النثر الفنى الا انه مع ذلك لم ينل حظا من ملوك عصره، وهى عادة الايام مع افاضل الزمان<sup>(١)</sup>.

وكان لابن خلصه (بيان لا يتعاطاه ناظم ولا ناثر، واحسان لا يبلغ مداه اول ولا آخر)<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر انه كان لما يدور بين عدد من ادباء ذلك العصر من مراسلات ادبية وما يسمى بالاخوانيات الى جانب مناقضاتهم الادبية اثر فى انماء وتطور حركة النثر الفنية، فقد كان بين الاديب محمد بن عبد الرحمن بن خلصه اللخمى البلسنى (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) والاديب اللغوى الشهير ابن السيد البطليوسى مراسلات ومناقضات مختلفة حول كثير من المواضيع الادبية وكان من اثر ذلك ظهور عدد من الرسائل الادبية القيمة التى استحسناها الادباء وتناقلوها باعجاب<sup>(٣)</sup>.

وجدير بالذكر ايضا ان النزعة الشعبية فى عصر ملوك الطوائف قد وجدت لها ارضا خصبة، فترعرعت ونمت واطلت برأسها البشع فى الرسائل الادبية التى صنعها الاديب الشعوبى ابو عامر احمد بن غرسيه واذم فيها العرب وافتخر بابناء جلده من العجم، وبعث بها الى صديقه ابي جعفر

(١) ابن البار: المعجم (ص ١٤٩) وما بعدها، ابن بشكوال: الصلوة

ج ٢ (ص ٥٨٨) وما بعدها، وانظر الوائى من نثره فى القلائد لابن خاقان (ص ١٨٢) وما بعدها.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ج ٢ (ص ٧٨٦) وما بعدها.

(٣) المراكشى: الذيل والتكملة، السفر السادس، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

احمد بن محمد الجزار الذى لازم بلاط المعتصم بن صمادح ملك المريسة  
مستنكرا عليه ذلك مستهجنا اشعاره فى مدح المعتصم ، ورغبة فى القدوم على  
مولاه مجاهد العامرى ملك الجزر ودانية . وقد وصفه الحجارى بانه - اى ابن  
غرسيه - وان كان اعجمى المنبت الا ان رسالته تتم عن تضلعه فى اللغفة  
العربية وتصرفه البارع فى فنونها ، وذكر انه من ابناء نصارى البشكنس ، وانه  
سعى طفلا فتلقى التربية الاسلامية وتعلم الادب فى بلاط مجاهد<sup>(١)</sup> .

ولهذه الرسالة تأثير كبير فى تنشيط هذا اللون من الادب واثراء  
ميدان النثر الفنى بروافد من الانتاج الادبى المتمثل فى ردود الادباء  
على تلك الرسالة ، وقد تضمنت كثير من الردود على الوان بديعة من فنون  
البلاغة وضروب البيان . وقد رد عليها ابن الجزار الآنف الذكر حتى أفضى  
الامر الى العداء بين الصديقين ، كما رد عليها عدد من الادباء المعاصرين  
لابن غرسيه . ولقيت ايضا رسالته ردودا بعد عصره ايضا ، ويهمنى هنا  
المعاصرين له ، فمنهم عدا ابن الجزار الاديب احمد بن الدودين البلسنى  
وقد احتفظ لنا ابن بسام برسالة ابن غرسيه ورد البلسنى عليها ، وكذلك  
رد ابى الطيب القروى ( ت ٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ) ورد اديب يدعى ابن عباس<sup>(٢)</sup> .

ونذكر مقتطفات من رسالة ابن غرسيه الشعبى فيقول ( سلام عليك  
ذا الروي المروي ، الموقوف قريضه على حللة بجانة أرش اليمن ، بزهد من الثمن

---

( ١ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ) .  
( ٢ ) انظر رسالة ابن غرسيه فى الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧٠٣ - ٧٠٤ -  
٧٠٥ ) ، وانظر رسالة احمد بن الدودين فى الرد عليها فى نفس  
المصدر والقسم والجزء ( ص ٧١٥ ) وما بعدها ، وكذلك رسالة ابى  
الطيب ( ص ٧٢٢ ) وابن عباس ( ص ٧٤٦ ) .

كأن مافى الارض انسان الا من غسان . او من آل ذى حسان . . . (١) . ويصف قومه معرضا بالعرب ( مجد نجد ، بهم لارعاة شويهاة ولا بهم . شغلوا بالمادى والمران ، عن رعى البعران ، وبجلب المعز ، عن حلب المعز ، جبابرة قياصرة (٢) ويمضى فى تحقير العرب والخط من شأنهم مع الاشادة بالعم والفخر بهم فيقول ( اما علمتم ان المملكة النوشروانية والدولة الازدشيرية بقروا اجوافكم وخلعوا اكتافكم ؟ ثم عطفوا ورأفوا وملكوكم الحيرة ، بعد عظيم الحيرة (٣) . ويشيد ببراعة قومه فى علوم الاوائل واحاطتهم بالمعارف المختلفة . ويختم رسالته بالاعتراف بمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التعريض مرة اخرى بان فى الرغام يوجد التبر والمسك بعض دم الغزال .

ومن رسالة البلنسى على ابن غرسيه قوله ( اخساً ايها الجهول المارق والمرذول المنافق ، اين امك ، شكلتك امك ، او ما علمت انك انما سحبت من عقالك لعقالك ، وقد تناول قدمك لسفك دمك . . . فاقسم ببارى النسم وناشر الامم من رفات الرمم ، لاصيرن عليك ايها السخيف المضعوف ، على نذالتك وفسالتك عرض البساط اضيق من سم الخياط ولاخلطن قصبك بعصبك ولاجمعن بين سحرك ونحرك ) (٤) .

( واما ما تعقته وعوت من صواحب الرايات ، فهن وابيك بعض بنات ربة الاياة ، امائنا المسببات الممتهنات ، ملكتنا هن ظبا البيض الهندية ، وشبا السمر الردينية ، فما عجنا بهن عما عود تموهن من البغاء للاسترضاء ، فكثير معشر العربان من ولد سارتكم الإموان والعبدان ، وفيك وابيك من ذلك

( ١ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧٠٥ ) .

( ٢ ) نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٧٠٦ ) .

( ٣ ) نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٧١١ ) .

( ٤ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧١٥ ) .

اصح دليل واوضح برهان ، فهلا يافتى ثقفت ودون هذا الفصل وقفت؟<sup>(١)</sup> .

وفى مقطع آخر يقول ( واما فخرک بعلمهم الشرائع ، فمن ابدع البدائع استنتت الفصل حتى القرعى ، وجهلهم بذلك اوضح من ان يشرح ، واين من ان يبين . . ولم يزالوا يتعاورون اصلهم الانجيل بالزيادة والنقصان الـ<sup>(٢)</sup>ى ان اصاروه فى حيز الهنيان ، وحسبك بهم جهلا انهم يعتقدون الها نبيهم ) .

كما نسب لابن ابى الخصال رد على ابن غرسية فى رسالة سماها<sup>(٣)</sup> ( خطف البارق وقذف المارق فى الرد على ابن غرسية الفاسق ) .

ويتبين لنا ان القيمة الحقيقية فى رسالة ابن غرسية فى منتج عنها من اثرء ادبى رفيع ، ومادت اليه تلك الرسالة من انتفاضة شديدة لتحطيم كل مزاعم وادعاءات ابن غرسية ، كما ان فى تلك الردود الادبية عليها ماينم عن الشعور القوى بالاصالة العربية والحمية للعرق العربى امام تيار الشعوبية الذى تمثل باجلى صورته فى موقف ابن غرسية وآرائه الساقطة .

كما اشتهرت المراسلات الادبية التى كانت بين الاديب الشاعر ابن الحناط الاعمى وصديقه ابن شهيد ، وكذلك ماكان بين الاديب ابى عامر التاكرنى واحمد بن عباس وزير زهير صاحب المريه ، واخيرا بين الاديب ابى القاسم بن الجد وعدد من اصحابه والذى آثر الاستمرار فى علاقاته الادبية معهم وخاصة بعد اعتزاله بلبله كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وهـ<sup>ـ</sup> المراسلات الادبية يغلب عليها الطابع الاخوانى او مايسمى "بالاخوانيات" .

( ١ ) نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٧١٦ - ٧١٧ ) .

( ٢ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧١٩ - ٧٢٠ ) .

( ٣ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، عصر الطوائف ( ص ١٧٢ ) .



ومن ادباء ذلك العصر وكتابهم الاديب عبد الملك بن سراج بن عبد الله ( ٤٠٠ - ٤٨٠ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٨٧ م ) وكان من البارعين في الادب والمهريين في اللغة وعلومها وتجلت قدراته الادبية في نشره البديع، وصفه ابن خاقان فقال ( احد اعيان البيان وخاتم اعلام الكلام ، ومعين الانتخاب والانتداب على طموس رسم اللغات والآداب فانه اودى فطويت المعارف وتقلص ظلها الوارف لانه كان لجة بحر وكان بالاندلس كعمرو بن بحر )<sup>(١)</sup>.

وقبل ان نختم حديثنا عن هذا الجانب من النشر، نود ان نشير الى ان عصر ملوك الطوائف شهد اعدادا كبيرة من الكتاب او ممن اشتهروا باجادة النشر الفنى ، لكن الباحث اثر اصطفاء اشهر كتاب هذا العصر وابرزهم نشاطا واذيعهم صيتا<sup>(٢)</sup>.

هذا ولم يعدم ذلك العصر من بروز بعض النساء في الادب والكتابة فمنهن العبادية جارية المعتضد وقد اهداها اليه مجاهد العامري من دانية وعرفت بالادب والظرف والمهارة في الكتابة مع العناية باللغة<sup>(٣)</sup>.

كما ان فاطمة بنت زكريا الشيلادي ( ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م ) وصفت بانها كاتبة جزلة جيدة الخط حسنة القول والبيان فيما تكتبه ، وقد عمرت مايقارب مائة سنة<sup>(٤)</sup>.

- 
- ( ١ ) قلائد العقيان ( ص ١٩٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر تراجم بعض الادباء الناثريين ممن لم يرد ذكرهم في البحث ففى الذخيرة لابن بسام ، ق ١ ج ٢ ( ص ٦٧٠ - ٦٧١ ) ، ق ٢ ج ٢ ، ( ص ٥٥٦ ) ، ق ٣ ج ١ ( ص ٤٠ - ٤١ ، ٤٤٨ - ٤٤٩ ) ، وفى الذيل والتكملة للمراكشى ، السفر السادس ( ص ٣١٧ - ٣١٨ ) ، وفى المغرب لابن سعيد ، ج ٢ ( ص ٣٨١ ) ، وفى الجذوة للحميدى ( ص ٣٢٧ ) .  
 ( ٣ ) المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ٢٨٣ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٦٩٤ ) .

## النشر التأليفى

\*\*\*\*\*

تعريفه -، مكانة الادب فى الاندلس - مشاهير ادباء الاندلس ومصنفاتهم  
الادبية .

\*\*\*\*\*

## تعريفه :

نعنى بالتأليف الادبى هنا تأليف كتب ادب بالمفهوم السائد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين / العاشر والحادى عشر الميلاديين للفظ ادب، والذي كان يقصد به الثقافة العربية الخالصة الرامية الى التأديب والتهذيب<sup>(١)</sup>، ككتاب العقد لابن عبد ربه، والامالى لابی على القالى والكامل للمبرد، ومن قبلها كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة، ومن بعدها جميعا المستطرف للابشيهى، ونهاية الرب للنويرى .

ويشير آنخل بالنشيا الى ان لفظ ادب عند العرب يطلق على المعارف التى تستهدف رفع مستوى الثقافة الذهنية وتهذيب سلوك الفرد، وتتضمن هذه المعارف اللغة وآدابها والتاريخ والاخبار، وما يتعلق بذلك من مسائل العلم والادب المستطرفة، ثم تطور مفهوم الادب مع مضى الزمن فصار يطلق على الكتب التى تجمع مسائل مختلفة فى فروع الادب، وتشتمل على اشياء من الفنون والنوادر والطرف والحكايات الادبية<sup>(٢)</sup>.

مكانة الادب فى الاندلس

وقد حظى الادب فى عصر ملوك الطوائف باهتمام شديد، فان هذا العصر بما يتسم به من سمات المنافسة الحضارية والتسابق نحو اجتذاب اعلام الادب ومشاهيره دفع الكثير من الادباء الى البحث والتحصيل والانتاج الادبى الواسع، فاخرجوا لنا مصنفات قيمة مازال بعضها بين ايدينا، واما الكثير منها فقد طوته يد الزمان .

(١) احمد هيكى : الادب الاندلسى (ص ٢٥٩ - ٢٦٠)، آنخل بالنشيا

تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٦٩) .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٦٩) .

ولاعجب في هذا الاهتمام العظيم بالادب والعناية به لدى الاندلسيين فانه انبل علم عندهم وبه يتقرب الى مجالس ملوكهم واعيانهم ، ومن لم يكن له مشاركة في ادب او شعر فقد كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه .<sup>(١)</sup>

واذا طالعنا كتب التراجم والطبقات الاندلسية وقفنا على مدى ما كان للادب من منزلة رفيعة في حياة المجتمع الاندلسي ، وان الادب كاد ان يغلب على جميع علماء الاندلس وان يصبح صفة ملازمة لاكثرهم سواء من كان فيهم فقيها او مؤرخا او طبيا او فيلسوفا ، وهو امر يجلى لنا الصورة الواضحة لما كان عليه الاندلسيون من حب للادب وشغف به وبفنونته المختلفة .

على ان المرء يتساءل ماذا كان يريد نعاة التقليد ان يقوم بـ الاندلسيون من تجديد ؟ اكانوا يريدون انتاجا ادبيا خالصا لا يتفق مع الادب المشرقي في شيء ؟ لاشك ان طبائع الاشياء تنكر وتستهن ذلك ، فان كل جديد يحمل في ذاته خطوط القديم ويحتذبه ، والابداع الادبي لن يكون انقطاعا عن الواقع والحقيقة الملموسة والا استهجنه واستنكره الادباء ولن يجد متنفسا في الحياة فيموت .<sup>(٢)</sup>

" مشاهير ادباء الاندلس ومصنفاتهم الادبية " وفي عصر ملوك الطوائف نشطت الحركة الادبية ووجد فيه ادباء بارزون فقد ظهر في هذا العصر مئات الادباء الذين اثروا الحركة الادبية بانتاجهم الادبي الرائع ، وسوف نتطرق الى اعظمهم مساهمة في تطورها ويأتي في مقدمة هؤلاء الادباء الاديب الكبير احمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) الذي ترك لنا عدة كتب ادبية قيمة منها " كشف

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ (ص ٢٢٢) .

(٢) محمد رجب البيومي : الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير (ص ١٤) -

الدك وايضاح الشك" ، و" حانوت عطار" و"التوابع والزوابع"<sup>(١)</sup> .

وتعود شهرة هذا الاديب البارع الى كتابه الاخير ، ويقصد بالتوابع الجن التي تتبع الانسان وتصحبه ، والزوابع العواصف ، والزوبعة رئيس الجن وقد سمى ابن شهيد كتابه بهذا الاسم لاستناده في توضيح وشرح آرائه في الكتاب والادباء والشعراء وسيرهم على السنة الجن ، وقد سار على هذا المنوال ابو العلاء المعري في كتابه الشهير رسالة الغفران<sup>(٢)</sup> .

وابن شهيد يوجه خطابه في رسالته تلك الى شخص دعاه ابا بكر يحيى ابن حزم ، وهو من ادباء عصره ، وهو غير ابن حزم الفقيه الظاهري<sup>(٣)</sup> .

وابن شهيد يستهل رسالته تلك بوصف نشأته العلمية ومدى ما بلغه من درجة سامية في العلم والادب ، فيعجب ابو بكر لهيمته وسعة علمه ويحلف ان تابعه تنجده وزبعة تمده لان ما يملكه من ادب لا يكون الا لغير الانس ويقر له ابو بكر بتفوقه ونبوغه . وهنا يوضح ابن شهيد انه كان له صديق فمات واراد ان يقول في رثائه شعرا ، ولكن ارتج عليه فلم يستطع فاذا بجنى يدعى زهير بن نمير يتصور له على هيئة فارس ويقدم نفسه كصديق تابع لـه يعينه على الشعر متى رغب في ذلك ، ثم اختفى . وكلما ارتج عليه انجده ذلك الجنى " التابع" ثم انتقل الى موضوع الرسالة الحقيقي وانه تذاكر اخبار الشعراء واصحابهم من التوابع حتى اشتاق الى لقاء بعضهم . فابدى تابعه استعداداه بعد ان يأذن له شيخ الجن - في تحقيق رغبة ابن شهيد

( ١ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ١٣٣ ) ، الضى : بغية الملتبس

( ص ١٩١ - ١٩٢ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ( ص ١١٦ -

١١٧ ) ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ١٧ ( ص ٥٠١ ) .

( ٢ ) احمد امين : ظهرا لاسلام ، ج ٣ ( ص ٢١٠ ) ، احمد هيكى : الادب

الاندلسى من الفتح الى سقوط غرناطة ( ص ٣٨١ ) .

( ٣ ) الحميدى : الجذوة ( ص ٣٧٤ ) .

فطارا في الفضاء حتى اتوا ارض الجن ، وطاف به تابعه على توابع الشعراء  
الاقدمين كامرئ القيس وطرفة بن العبد من الجاهليين ، وابى تمام والمتنبي  
من الاسلاميين ، وفي كل لقاء مع احدهم يصور مقابلته معه ، ويصف كل منهم  
بعلامح الشاعر التي كانت في حياته ويسمع من تابعه وينشده ابن شهيد حتى  
ينال اعجابه واستحسانه ويقرله بالفضل والابداع .<sup>(١)</sup>

ويتبين لنا من خلال هذا النهج الخيالي الذي سار عليه ابن شهيد  
مدى ما كان عليه من قدرات بارعة في التصرف بغنون الكلام وما احرزه من بلاغة  
فائقة الى ما يملكه من خيال خصب مجنح وهو ما اسعفه في اخراج صورة ادبية  
رائعة اشتملت على العديد من نظراته الادبية النقدية . وبرز الصراع بين  
الموهبة وسعة الاطلاع ، وقد شحن رسالته بروائع نظمه ونثره معارضا بها  
غيره ، وصاغ ذلك في صورة فكاھية طريفة .<sup>(٢)</sup>

ورسالة التوابع لم تصلنا كاملة ، وكل ما بين ايدينا انما هي نقول عن  
كتاب الذخيرة لابن بسام ، جمعها بطرس البستاني ونشرها مستقطة وصححها  
وحققها وشرحها وقدم لها دراسة تاريخية وادبية ، وقسم تلك النصوص الى  
مدخل واربعة فصول ، فالاول توابع الشعراء ، والثاني توابع الكتاب ، والثالث  
نقاد الجن ، والرابع حيوان الجن .<sup>(٣)</sup>

ويأتى ابن حزم وهو صديق لابن شهيد في مقدمة الادباء الذين

( ١ ) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع ( ص ٧١ - ٧٢ ) جمعها وشرحها  
بطرس البستاني عن الذخيرة لابن بسام . وانظر سامي العانسي  
المرجع السابق ( ص ٣٣٤ ) ، احمد هيكل : المرجع السابق ( ص ٣٨٢ )  
٠ ( ٣٨٣ )

( ٢ ) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ( ص ٣٤٠ ) .

( ٣ ) نشر هذا الكتاب بدار صادر بيروت سنة ١٩٨٠ م ، وانظر فيه مزيدا  
من المعلومات الهامة عن ابن شهيد وعن رسالته المذكورة .

اثروا الحركة الادبية بتأليفهم النفيسة ، فقد صنف فى ذلك كتابه  
الرائع " طوق الحمامة فى الالفه والالاف " اى الحب والمحبين .<sup>(١)</sup>

والملاحظ فى مادة هذا الكتاب ان قيمته لا ترتكز حول فلسفة الحب  
وتحليل ظواهره واستجلاء دقائقه بل فيما اورده المؤلف من روايات ووقائع  
تصور مظاهر الحياة داخل قصور الخلفاء والامراء واساليب السلوك السائدة  
هنالك بالاضافة الى اشتغال الكتاب على صور من تجارب المؤلف الشخصية  
واعترافاته الذاتية مما يلقي الضوء الكافى لاستجلاء معالم شخصيته .<sup>(٢)</sup>

وجدير بالذكر ان اهمية الكتاب تعظم اذا علمنا ان الذى الفه فقيهه  
من فقهاء الاندلس الكبار عرف بالحزم فى دفاعه عن الدين والغيرة الشديدة  
على تعاليمه فصرف حياته فى الاشتغال بعلومه ، فتخصيصه وقتا للحديث عن  
هذا الموضوع العاطفى الاجتماعى فيه ما يسترعى النظر ويثير التساؤل . وقد  
كان ابن حزم يحس وهو يؤلف كتابه هذا ما سوف يجرع عليه من نقد بعض الاشخاص  
لمخالفته ما كان عليه من التزام وتحفظ ، ولكنه صرح بانه لا يميل الى المراءاة  
وان غايته كانت رسم صورة واقعية لحياته وحياة الناس العاطفية فى بيئته .<sup>(٣)</sup>

ويذكر ابن حزم فى مقدمة كتابه ان تأليفه لهذا الكتاب كان استجابة  
لرغبة احد اصحابه المخلصين من مدينة المريه ، فقد طلب منه - وهو فى  
شاطبه - تصنيف رسالة فى صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه ، وان

( ١ ) طبع هذا الكتاب بمطبعة الاستقامة بالقاهرة ، بتحقيق حسن كامل

صيرفى . تقديم ابراهيم الابيارى .

( ٢ ) احمد هيكل : مرجع سبق ذكره ( ص ٣٤٢ ) ، غرسيه غوس : الشعر

الاندلسى ( ص ٤١ ) ، احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢١٢ )  
وما بعدها .

Jan Read: The Moors in Spain and  
portugal, p. 100.

( ٣ ) احسان عباس : مرجع سبق ذكره ( ص ٣٤١ ) ، وانظر عبد الرحمن الحجى

اندلسيات ( ص ١٠٨ ) .

صنف هذا الكتاب من قبيل اعطاء النفس حقها من الراحة والانشراف تبعاً للاثر القائل " اريحوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ الحديد <sup>(١)</sup> .

ومن اجل ما يتحفظنا به ابن حزم تلك الوقائع التي عايشها وشاهدها وما نقله عن الثقات من اصحابه ، وفي ذلك يقول : ( والذي كلفتني - يخاطب صديقه - لا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وادركته عنايتي ، وحدثني به الثقات من اهل زمانى ، فاغتفر لى الكناية عن الاسماء فهى اما عورة لانستجيز كشفها واما نحافظ فى ذلك صديقا ودودا او رجلا جليلا <sup>(٢)</sup> ) .

وقسم ابن حزم كتابه على ثلاثين بابا ، منها فى اصول الحب عشرة ، وفى اعراض الحب وصفاته المحموده والمذمومة اثنا عشر بابا . ومنها فى الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب ، ومنها بابان ختم بهما الرسالة ، وهما فى الكلام فى قبح المعصية ، وباب فى فضل التعفف <sup>(٣)</sup> .

والبابان الاخيران يدلان دلالة جلية على ما اتصف به ذلك العالم الجليل من نزاهة وعفة . فتأليف مثل ذلك الكتاب قد يسوق المرء الى الزلل وسقط الكلام . ولكن ابن حزم اكد قوة التزامه بطهارة نفسه ونقاء سريرته عندما ختم حديثه عن هذا الموضوع بقوله : ( وآخر كلامنا الحز على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن <sup>(٤)</sup> ) .

ومن نفائس التأليف الادبية فى هذا العصر ما قام بتأليفه العلامة الكبير ابو عمر ابن عبد البر النمري ( ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ) ، حيث صنف كتابه الشهير " بهجة المجالس وانش المجالس وشحد الذاهن والهاجس " ، والكتاب

( ١ ) طوق الحمامة ( ص ٧ ) .

( ٢ ) نفس المصدر والصفحة .

( ٣ ) طوق الحمامة ( ص ٣ - ٤ ) .

( ٤ ) نفس المصدر ( ص ٤ ) .

لحسن الحظ سلم من الضياع وطبع في ثلاثة اجزاء . ويشتمل كتاب " بهجة المجالس " على ما يقارب ١٢ بابا في الاخلاق والآداب والسلوك والصفات الانسانية وما يتصل بالعبادات والتقاليد في حياة الانسان الى جانب ابواب كثيرة في تهذيب النفس وتطهيرها بارتياح الفضائل واجتناب الرذائل .

ومادة الكتاب اقتبسها ابن عبد البر عن كثير من المصادر منها ما هو معروف لدينا ككتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ، وكتب الجاحظ كالبيان والحيوان ، وكتب ابي حيان التوحيد في الصداقة والصديق . واعتمد ايضا على بعض دواوين الشعراء ومنهم عدد من الاندلسيين كالغزال والرمادي وابن عبد ربه .<sup>(١)</sup>

وابن عبد البر تبذ وشخصيته واضحة في كتابه من خلال حرصه الشديد على العبارات المهذبة والابتعاد عن الالفاظ البذيئة . واهتمامه باستقصاء المعنى وحشد الكثير من الشواهد النثرية والشعرية . كما انه تميز بنقده لبعض الاخبار التي وردت في بعض الكتب الادبية المشرقية كنقده للجاحظ عند حديثه عن الغيلان وان منها ما يتزوج من البشر، وقال انها من دعايات الجاحظ ومجونه .<sup>(٢)</sup>

وابن عبد البر عندما الف كتابه المذكور كان يرمى الى تحقيق كثير من الاهداف والغايات الاخلاقية والادبية ( ليكون لمن حفظه ووعاه واتقنه واحصاه زينا في مجالسه ، وانسا لمجالسه ، وشحذا لذهنه وهاجسه ، فلا يمر به معنى في الاغلب مما يذاكر به ، الا اورد فيه بيتا نادرا ، او مثلا سائرا او حكاية مستطرفة او حكمة مستحسنة يحسن موقع ذلك في الاسماع ، ويخف على

( ١ ) ابن عبد البر : بهجة المجالس ، مقدمة المحقق محمد مرسى الخولى ( ص ٢٩ ) .

( ٢ ) ابن عبد البر : نفس المصدر ( ص ٢٩ - ٣٠ - ٣١ ) . انظر الى ما يؤكد صحة كونه في لشبونة سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، الذخيرة ، ق ٣ ، ح ٢ ، ص



النفس والطباع، ويكون لقارئه انسا في الخلاء، كما هوزين له في المـ  
 وصاحباً في الاغتراب، كما هو حلى بين الاصحاب<sup>(١)</sup>.

وابن عبد البر يفتح الباب من ابواب كتابه بحديث او باحاديث لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وشيء من اقوال الصحابة الاطهار والتابعين  
 الكرام، ثم يسرد اقوال الحكماء وماورد في ذلك الموضوع من اشعار ونثر  
 ويلاحظ ايضا التزامه بذكر الصفة ونقيضها في كثير من ابواب كتابه كأن  
 يتحدث عن الغنى والفقر، والرجاء والخوف، والمرض والطب، والشجاعة  
 والجبن، والعقل والحمق . . . الخ

وفي هذا العصر قدم الشاعر ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)  
 الى الاندلس فقد نزل هو وصديقه ابن رشيق في صقلية حيث طاب للاخير  
 المقام، واما هو فقد شد رحاله الى الاندلس وتردد على ملوك الطوائف  
 الذين لم يأل اى منهم في اجتذابه لبلاطه، غير انه لم يستقر الا في بلاط  
 المأمون بطليطلة<sup>(٢)</sup>.

والذى يهمننا من سيرته العلمية تصنيفه لكتابه "ابكار الافكار"، وهو  
 الكتاب الذى جرى على ستن من قبله من مشاهير الادباء كابن عبد ربه وابن  
 عبد البر. يقول في مقدمة كتابه المذكور: (فصنت الكتاب الملقب بـ "ابكار  
 الافكار" يشتمل على مائة نوع من مواعظ وامثال وحكايات قصار وطوال، ممـ  
 عزوتها الى من لم يحكها، واضفت نسجها الى من لم يحكها . . . )<sup>(٣)</sup>.

وكان ابن شرف يرمى من وراء كتابه الى توضيح ما هو عليه من علم  
 وابداع فكري لايجارى، اذ انه كتب مادته العلمية من بنات فكره لم يروها من

(١) بهجة المجالس، ج ١ (ص ٣٦).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، ج ١ (ص ١٦٩-١٧٠)، وانظر الطاهر

احمد: دراسات اندلسية (ص ٢٤٨).

(٣) ابن بسام: نفس المصدر والقسم والجزء (ص ١٧٩).

احد ولم يحدث بها عن اديب او عالم .

وقد اهدى ابن شرف كتابه المذكور الى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية  
فطالعه واعجب به وبعث لمؤلفه خطابا يثنى فيه عليه ومعه صلة مجزية .<sup>(١)</sup>

ولابى عبيد البكرى ( ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ) مشاركة جيدة فى هذا  
الميدان ، فقد صنف من الكتب " التنبيه على اوهام ابى على فى اماليه " ، وكتاب  
" سمط اللآلى فى شرح امالى ابى على القالى " . والكتابان مطبوعان  
والاول طبع مذيلا على امالى ابى على ، اما الثانى فقد نشره عبد العزيز  
الميمنى الراجكوتى ، وصححه وعلق عليه ، وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .<sup>(٢)</sup>

وفى اواخر عصر ملوك الطوائف ظهر الاديب اللامع ابو الحسن على بن  
بسام الشنترينى ( ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ) نسبة الى مدينة شنترين ر فـى  
البرتغال حاليا ) . وقد غادر مدينته شنترين على اثر تغلب الروم عليها  
( ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ) وتوجه الى اشبيلية حيث ظل بها بعض الوقت ، ويبدو انه  
نزل لدى حاكمها المرابطى ولعله سير بن ابى بكر الذى اهدى اليه ابـن  
بسام كتابه الذخيرة وذيل باسمه .<sup>(٣)</sup>

ويذكر بروكلمان ان ابن بسام كان فى اشبونه ( لشبونة ) سنة ٤٧٧ هـ /  
١٠٨٤ م وانه ذهب الى قرطبة سنة ٤٩٤ هـ / ١٠٠١ م . غير ان الشك<sup>(٤)</sup>  
يتسرب الى صحة تاريخ دخوله قرطبة لان ابن بسام اشار كما سيأتى الى انه

- 
- ( ١ ) ابن بسام : مصدر سابق ، ق ٤ ، ج ١ ( ص ١٨٠ ) .  
( ٢ ) انظر مقدمة الاستاذ مصطفى السقا محقق كتاب معجم ما استعجم لابى  
عبيد البكرى .  
( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٩ - ٢٠ - ٢١ ) ، وانظر  
( ص ٢٠ ) ج رقم ٥  
( ٤ ) تاريخ الادب العربى ، ج ٦ ( ص ١٠٨ ) .

دخل قرطبة قبل ذلك بسنة .

ويشير ابن بسام في ترجمته للاديب الشاعر محمد بن اسحاق اللخمي المشهور بابن الملح بانه عاش حتى سنة . ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ) ، وهو وقت تحريره لكتابه الذخيرة<sup>(١)</sup> . ولكنه اشار الى انه ابتداء بتصنيفه سنة ( ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ) وكان ذلك بمدينة قرطبة<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من ان ابن بسام الف كتابه المذكور في عصر المرابطيين الا اننا نستشف من خلال تتبعنا لسيرته ان نشأته العلمية وتحصيله للعلم والادب كان في عصر ملوك الطوائف . فقد ادرك اواخر هذا العصر وهو لا يزال في ربيع عمره . كما ان علمه الذي بثه في كتابه الذخيرة مستمد من نشاطه الادبي في عصر ملوك الطوائف ويؤكد ما اشتمل عليه كتابه من تراجم لعلماء واعيان ذلك العصر الذين ارفق بذكرهم كثيرا من انتاجهم الادبي شعرا ونثرا ، وكتابه بذلك يعد موسوعة ادبية حفظت لنا الكثير عن الادب الاندلسي وصانته من الضياع والاندثار الذي لحق بالكثير من التراث الفكري الاندلسي .

وكان تصنيف ابن بسام للذخيرة غيرة وحمية لادب قومه من الاندلسيين ( غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره اهلة ، وتصبح بحاره ثماداً مضمحلة مع كثرة ادبائه ، ووفور علمائه )<sup>(٣)</sup> .

وقد قسم كتابه الى اربعة اقسام :

الاول : لاهل قرطبة ومايتبعها من بلاد وسط الاندلس .

الثاني : لاهل الجانب الغربي من الاندلس ومنه اشبيلية ومايتبعها

من البلدان الساحلية .

( ١ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٤٥٢ ) .

( ٢ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٦٥٤ ) .

( ٣ ) الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٢ ) .

الثالث : لاهل الجانب الشرقى من الاندلس .  
 الرابع : لمن طرأ على الاندلس من الادباء والكتاب<sup>(١)</sup> .

وقد استهل ابن بسام كتابه المذكور بذكر الكتاب ، غير انه صدر حديثه عن قرطبة بذكر من كان بها من الخلفاء والامراء منذ بداية القرن الخامس الهجرى وما يتعلق بسيرهم ثم تطرق لسير كتاب قرطبة ووزرائها ، واعيان الادب والشعر بها وهكذا فى كل قسم<sup>(٢)</sup> .

وقد وازن الحجارى بين اسلوب ابن بسام فى الذخيرة والفتح بين خاقان فى القلائد ، فاشار الى ان ابن بسام اكثر تقييدا وعلماء مفيدا . والفتح اقدر على البلاغة وحديثه اكثر تعلقا بالانفس<sup>(٣)</sup> .

ولا بن بسام كتب اخرى غير الذخيرة ، ولكنها مع الاسف ضاعت مع ماضع من التراث الاندلسى ، فمنها " كتاب الاعتماد على ماصح من اشعار المعتمد بن عباد " و " سلك الجواهر فى ترسيل ابن طاهر " و " الاكلیل المشتغل على شعر عبد الجليل " و " الاختيار من اشعار ذى الوزارتين ابى بكر بن عمار<sup>(٤)</sup> " .

كما اسهم فى الحركة الادبية فى هذا العصر الاديب محمد بن مسعود بن ابى الخصال من اهل شقوره<sup>(٥)</sup> ( ٤٦٥ - ٥٤٠ هـ / ١٠٧٢ - ١١٤٥ م )

- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٢٢ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ ) .
- ( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٣٢ ) .
- ( ٣ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ) ، وانظر ايضا آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ) ، وكذلك رضوان الداية : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس ( ص ٣٧٢ ) وما بعدها .
- ( ٤ ) رضوان الداية : النقد الادبى فى الاندلس ( ص ٣٧٢ ) ، بالنشيا : مرجع سبق ذكره ( ص ٢٨٨ ) وما بعدها .
- ( ٥ ) شقورة : مدينة من اعمال جيان الى الجنوب الشرقى للاندلس . الحميرى : الروض المعطار ( ص ٣٤٨ ) .

وقد وصف بالتفنن فى العلوم والاستبحار فى الآداب واللغة ، ضليعا فيها  
مما كان له اكبر الاثر فى تأليفه ككتاب بليغ ، هذا الى براعته فى كثير من علوم  
الدين والاخبار والتواريخ<sup>(١)</sup> .

ومن اشهر تأليف ابن ابى الخصال كتابه الادبى " سراج الادب " وقد  
صنفه على منهج كتاب " النوادر " لابى على القالى ، و " زهر الآداب " للحصرى  
و " اللآلى " لابى عبيد البكرى ، والكتاب مفقود مع الاسف<sup>(٢)</sup> ، وصنف غير ذلك من  
الكتب " ظل الغمامة وطوق اليمامة " وقصيدة فى نسب الرسول تسمى " معراج  
المناقب " . ويقع نظمه ونثره فى خمس مجلدات<sup>(٣)</sup> .

وصنف الاديب الشاعر ابو المطرف عبدالرحمن بن فتوح كتابا اسماه  
" الاغراب فى رقائق الآداب " وقد اهداه للمأمون بن ذى النون ، كما  
صنف كتابا آخر بعنوان " بستان الملوك " اهداه ايضا الى ابن جهور ايام  
امارته بقرطبة<sup>(٤)</sup> .

ولعل من حق المرء ان يتساءل عن السبب وراء اشتهار بعض الادباء  
وخمول البعض الآخر ، بالرغم من ان هذه الطائفة الاخيرة لاتقل براعة وفهما  
وعلماء عن ذوى الشهرة من الطائفة الاولى . والحق ان هذا يرجع فى كثير  
من الاحيان الى العلاقة القائمة بين الحكام والادباء . فان الاديب ، اذا  
ارتبطت حياته ببلاط خليفة او ملك او امير فان هذا يكون مدعاة لشهرته  
وذىاع صيته بين اهل عصره ، ومن ثم فان المؤرخين واصحاب التراجم - ومن

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ( ص ٥٨٨ - ٥٨٩ ) ، وانظر ابن بسام  
الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧٨٦ - ٧٨٧ ) ، المراكشى : المعجب ( ص ٢٥٦ ) .  
( ٢ ) المقرئ : النفع ، ج ٣ ، ( ص ١٨٤ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر  
الاندلسى ( ص ١٧٧ ) .  
( ٣ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٧٨٦ ) ، ج رقم ٢ .  
( ٤ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٧٧٠ - ٧٧١ ) .

هؤلاء طائفة كبيرة عاشت فى كنف الطبقة الحاكمة - لا يستطيعون اغفال ذكر ذلك الاديب او العالم الذى قضى كثيرا من عمره فى بلاط الحاكم ومجلسه وما صاحبه آنذاك من مجد ادبى ومنزلة رفيعة ، وبناء على ذلك فان كتب التاريخ والتراجم اغفلت ذكر الكثير من العلماء الاجلاء او بخلت علينا بالمعلومات الواقية عن العديد منهم ولم يتمكن الا عدد قليل من الادباء فى فرض مكانتهم الادبية على الجميع بما اوتوا من معرفة واسعة وفهم ثاقب دون ارتباط حياتهم بملوك وامراء عصرهم .

وكان للنساء دور كبير فى نهضة الادب ، وقد احتفظ لنا التاريخ باسماء العديد منهن شاركن فى النشاط الادبى ، ولعل هذه النهضة الادبية النسائية تعود الى عاملين :

( ١ ) مالبعضهن من جمال وفتنة اثار قرائح الشعراء والادباء لوصفهن وذكر محاسنهن .

( ٢ ) انه كان منهن الادبيات اللاتى شاركن فى ازدهار الادب بمـا انتجن فيه .<sup>(١)</sup>

ومن يمثلن العامل الاول : ولادة بنت المستكفى ، والعبادية جارية المعتضد ، واعتماد الرميكية ، ومن يمثلن العامل الثانى : ولادة ايضا ونزهون بنت القلاعى الغرناطية وام الكرام بنت المعتصم ملك المرية ، والغسانية البجائية .<sup>(٢)</sup>

وبهذا نختتم حديثنا عن الادب فى عصر ملوك الطوائف ، ونرجو ان نكون قد رسمنا صورة واضحة لما كان عليه الادب آنذاك ، وقد حرصنا على

( ١ ) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ) .

( ٢ ) سبقت الاشارة الى جميعهن فى الشعر .

ان نبرز جوانب الازدهار في ميدان التأليف الادبي ، وان نقدم نماذج حيوية لذلك النشاط ، وما من شك ان ما قدمه الاندلسيون من ثمرات جهودهم الادبية كان نفيسا وقيما ، ولا نقول ذلك اعتباطا بل انه حقيقة واضحة لا تقبل الشك تتمثل في مؤلفات كثيرة كالتوايح والزوايح ، وطوق الحمامة ، والذخيرة وبهجة المجالس واللالى ، وغير ذلك من التأليفات الادبية الرائقة التي لا تزال تحتل مكانة عظيمة في المكتبة الادبية العربية ، وتدل دلالة واضحة على ما بلغه الاندلسيون من سعة العلم ودقة الفهم والنبوغ العظيم .<sup>(١)</sup>

---

( ١ ) هناك بعض الادباء لم يرد ذكرهم في البحث فرأينا ان نشير الى بعضهم والى المصادر التي ترجمت لهم ، كالاديب ابو الصلت امية بن عبد العزيز المتوفى سنة ( ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ) ( انظر : ابن سعيـد : المغرب ، ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ) ، والاديب محمد بن عبد الملك اللخمى المتوفى سنة ( ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م ) ( انظر ابن البار : المعجم ص ١٣٧ وما بعدها ) ، واحمد بن عبد الولى البلبسى المتوفى سنة ( ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ) ( انظر المراكشى : الذيل والتكملة ، ج ١ ص ٢٧٣ ) والاديب عبد الوهاب بن حزم المتوفى سنة ( ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م ) ( انظر ابن خاقان : المطمح ص ٢٠٢ ) ، والاديب زياد بن عبد العزيز الجذامى ( انظر ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ ) .

## اللغة والنحو

- اهتمام الاندلسيين باللغة والنحو - بداية اشتغالهم بالنحو واتصالهم بالمشاركة - اللغويون والنحاة ومهمة التأديب والتربية - مشاهير علماء اللغة والنحو في عصر ملوك الطوائف واسهاماتهم العلمية .



حقق الاندلسيون فى ميدان الدراسات اللغوية والنحوية انجازات هامة ، فقد توفروا على دراستها والبحث فى علومها ولقاء العارفين بها من علماء المشرق وتعمقت معارفهم بها حتى تناولوا دراسات من سبقهم بالتصحيح بل والاضافة . واطهروا فى ذلك مايدل على نبوغهم وعمق فهمهم واتساع مداركهم .

هذا وقد حرص الاندلسيون فى مخاطباتهم ومجالسهم العلمية على استقامة الفاظهم وصحة كلامهم وخلوه من اللحن ، وكان الذى يلحن فى درس او قراءة ينظر اليه نظرة ازدراء واستهجان . بل ان العالم منهم فى اى علم كان ، اذا لم يكن عارفا بالنحو وفنونه لا يكون جدير بالاحترام والتميز .<sup>(١)</sup>

وسعى الاندلسيون الى ترسيخ المعرفة اللغوية فى اذهان اطفالهم فكانوا يروونهم الفصحى من المنثور والمنظوم ليغرسوا فى انفسهم الملكات الادبية جارين فى ذلك على النهج العربى القديم فى العناية باللغة وحفظها .<sup>(٢)</sup>

كما يشير ابن خلدون الى عناية الاندلسيين بتعليم ولدانهم القرآن مع التركيز على اللغة والشعر واجادة الخط ، فلا يدرك احدهم الشبـاب حتى يكون مجيدا للعربية ماهرا فيها ، وهو ما ادى الى تقوية ملكاتهم الابنية .<sup>(٣)</sup>

وللقاضى ابن العربى رأى فى تعليم الاطفال ، وذلك بتقديم علوم العربية والشعر على سائر العلوم ثم الحساب ثم القرآن ، وقد اثنى على هذا المنهج العلامة ابن خلدون لكنه استصعب تطبيقه .<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ( ص ٢٢١ ) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية ( ص ٧٥ ) .  
 ( ٢ ) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ( ص ٧٣ ) .  
 ( ٣ ) مقدمة ابن خلدون ( ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ) .  
 ( ٤ ) نفس المصدر ( ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ) .

### "اهتمام الاندلسيين باللغة والنحو"

وكان لاهتمام الاندلسيين باللغة والنحو وتلقيها لاطفالهم اكبر الاثر فى ظهور الكثير من الدراسات اللغوية والنحوية الجادة فى الاندلس افضل مما يكون فى اى قطر اسلامى آخر، وهذا بلا شك عائد الى ما ذكرناه من تمكن الاطفال من تلك العلوم فى سن مبكرة، وهو الشيء الذى افتقدته كثير من الاقطار الاسلامية<sup>(١)</sup>.

وليس ادل على عظمة اللغة العربية وآدابها وازدهارها فى المجتمع الاندلسى انها قد شقت طريقها ليس فقط الى قلوب العرب والمسلمين بل وجدت لها ترحيبا وعناية لدى الاسبان المسيحيين وذلك منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ثم زادت عنايتهم بها بعد ذلك حتى ظهر فيهم ادباء وشعراء، قال الفار والقرطبى فى القرن الثالث الهجرى من كلمة طويلة (ان جميع الشباب المسيحيين الذين يعتبرون لموهبتهم لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها، انهم يقرأون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير)<sup>(٢)</sup>.

### "بداية اشتغالهم بالنحو واتصالهم بالمشاركة"

وجدى بالذکر ان الاندلسيين كانوا فى بداية اشتغالهم بالنحو يعتمدون على قراءة كتب الادب والنصوص الادبية دون استعمال كتب النحو والتصانيف المخصصة فيه . ثم مالبثوا ان توسعوا فى دراسة النحو فاخذوا فى دراسة كتبه والعكوف على قرائتها، واول ماشاع بينهم من كتب النحو كتاب

(١) ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس (ص ٧٥) .

(٢) انظر كلمة الفارو القرطبى عن اهتمام قومه باللغة العربية وآدابها فى حضارة العرب فى الاندلس لليفى بروفنسال (ص ٧٥) وانظر كذلك ما يتضمن هذا المعنى . محمد رجب البيومى : الادب الاندلسى بين التأثير والتأثير (ص ١٣-١٤) ، زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب (ص ٥٢٩) ، نقولا زيادة : لمحات من تاريخ العرب (ص ١٦٢-١٦٨) .

الكسائي (ت ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م) وسيبويه (ت ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م) . ثم اتجه البعض الى التصنيف في النحو، فالف جودى بن عثمان (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) كتابا اسماه "منبه الحجاره" وكان ينسب لجودى انه اول من ادخل كتاب الكسائي الى الاندلس .<sup>(١)</sup>

وكان جودى هذا قد رحل الى المشرق فالتقى بعلمائه وادبائه واخذ عنهم المعارف اللغوية والنحوية ، ومن اشهر العلماء الذين اخذ عنهم الرياشى والفراء والكسائي .<sup>(٢)</sup>

هذا وقد ثال كتاب سيبويه منزلة رفيعة بين الاندلسيين ، فكان الكثير منهم يحفظونه عن ظهر قلب مثل حمد بن اسماعيل المعروف بـحمدون (ت بعد ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) ، والاقشتين محمد بن موسى (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) .<sup>(٣)</sup>

وفي القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى اتسع نشاط الاندلسيين فى ميدان اللغة والنحو وعظمت الفائدة من وراء رحلاتهم العلمية للمشـرق فظهر آنذاك علماء قد يرون اضافوا لمسيرة النشاط اللغوى والنحوى مزيدا من البحث والدراسة والشرح والايضاح . فقد عكف العلامة مفرج بن مالك على

( ١ ) أنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٨٥ ) ، وانظر الزبيدى طبقات اللغويين والنحويين (ص ٢٥٦) ، والكسائي : هو على بن حمزة ابن عبد الله الكوفى اخذ النحو عن جماعة من اهل العلم ثم قدم بغداد فعينه الرشيد مؤدبا لابنيه الامين والمأمون . مات بالـرى وخلف كتبا فى النحو والقراءات . ابن النديم : الفهرست (ص ٩٧ - ٩٨) . سيبويه : هو عمرو بن عثمان مولى بنى الحارث اخذ النحو عن الخليل حتى برع فيه فألف فيه كتابا ذاع بين الناس . ابن النديم : الفهرست (ص ٧٦ - ٧٧) .

( ٢ ) الزبيدى : طبقات اللغويين والنحويين (ص ٢٥٦) ، لطفى عبد البديع الاسلام فى اسبانيا (ص ٧٣) .

الرياشى : محمد بن سليمان من كبار اللغويين والنحويين كثر الرواية عن الاصمعى (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) . ابن النديم : الفهرست (ص ٨٦) . الفراء : يحيى بن زياد ، له كتاب معانى القرآن وكتب فى النحو (ت ٢٥٧ هـ / ٨٣٣ م) ، ابن النديم : الفهرست (ص ٩٩ - ١٠٠) .

( ٣ ) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا (ص ٧٣) ، وانظر الزبيدى المصدر السابق (ص ٢٠٠ ، ٢٨١) .

دراسة كتاب الكسائي دراسة دقيقة ليضع له شرحا مفيدا  
فى توضيح مسائله وشرح قواعده ، كما ان معاصره ابا بكر بن خابط النحوى  
الف كتابا فى النحولقى من العلماء الرضى والقبول .<sup>(١)</sup>

وعندما رحل النحوى الاندلسى محمد بن يحيى الرباحى ( ت ٣٥٨ هـ  
٩٦٨ م ) الى المشرق اطلع على اساليب المشاركة ومناهجهم فى تدريس النحو  
فحفظ ذلك واتقنه . ولما عاد الى الاندلس انجفل اليه الناس ليأخذوا عنه  
العلم ، وكان له اكبر الاثر فى تعريف قومه على طرائق التعليم والتأديب  
المشرقية ، واطلاهم على اهمية العناية بالنحو ومسائله .<sup>(٢)</sup>

وفى هذا اشارة الى التطور التعليمى للاندلس فى مناهج التعليم  
والتأديب بالاضافة الى ارساء قواعد النحو الشامل بمسائله ودقائقه لايصال  
ذلك الى اذهان التلاميذ الذين كانوا قبل ذلك يفتقرون الى المنهج  
التعليمى لعلم النحو . والذى سبقهم اليه اخوانهم المشاركة .

" اللغويون والنحاة ومهمة التأديب والتربية "  
وجدى بالذكر ان هناك طائفة من علماء اللغة والنحو لعبت دورا فى  
تربية وتأديب ابناء الحلفاء والامراء واعيان الاندلس . وذلك لحرص اولئك  
الاعيان على تنشئة اولادهم تنشئة سليمة سلوكا وقولا . اذ ان الفصاحة  
والبلاغة والخطابة من الصفات التى يحرص عليها الحكام فى تنشئة انجالهم  
الذين سيكون لهم دور كبير فى مستقبل ايامهم .

وعلى سبيل المثال فقد عين المعتمد بن عباد لتأديب ابنه محمد ويزيد  
الاديب اللغوى محمد بن اغلب المرسى ( ت ٥١١ هـ / ١١١٧ م ) ، وكان بارعا فى  
اللغة والادب .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) شوقى ضيف : المدارس النحوية ( ص ٢٨٩ ) .  
( ٢ ) الزبيدى : مصدر سابق ( ص ٣١٠ - ٣١١ ) .  
( ٣ ) ابن البار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٤١٢ - ٤١٣ ) ، ابن القاضى  
جذوة الاقتباس ، ق ١ ، ( ص ٢٥٤ ) .

كما ان المظفر محمد بن عبد الله بن الا فطس استأدب لبنيه الا ديب  
ابا عبد الله بن يونس وكان المظفر يحضره و ابا الحزم بن عليم للمذاكـرة  
والمناظرة فى فروع المعرفة المختلفة<sup>(١)</sup>.

وكان لابي على القالى الذى وفد فى عصر الخلافة على الاندلس اثر  
كبير فى ازدهار الدراسات اللغوية والنحوية ، وكان يلقي دروسه فى النحو  
على مذهب البصريين وتبعه على ذلك تلميذه ابن الا فليلى الذى كان يقرئ<sup>(٢)</sup>  
فى كتاب سيبويه ويدرسه لتلاميذه بجامع قرطبة .  
" مشاهير اللغويين والنحاة فى عصر الطوائف واسهاماتهم العلمية"  
وجدير بالذكر ان نشير الى ان لدينا طائفة من اللغويين والنحويين  
عاصروا فترتى الخلافة وملوك الطوائف . وهناك طائفة اخرى نشأت فى عصر  
ملوك الطوائف وامتد بها العمر على عصر المرابطين ، ورأينا فى البدايـة  
ان نشير الى الطائفة الاولى ثم نعقبها بالطائفة الثانية . فمن اكبر اللغويين  
والنحاة المخضرمين العلامة ابراهيم بن محمد بن زكريا الا فليلى ( فى ملكتي  
بنى حمود ثم بنى جهور ) ( ٣٥٢ - ٤٤١ هـ / ٩٦٣ - ١٠٤٩ م ) عرف بتوسعه  
فى معرفة الكثير من العلوم والاداب وخاصة اللغة والنحو والشعر والنقد  
ومن انتاجه العلمى شرحه لمعانى شعر المتنبي ، وقد اثنى ابن حزم على<sup>(٣)</sup>  
هذا الكتاب ووصفه بالجودة والقيمة الادبية الرفيعة .

ووصفه ابن حيان بانه بذ اهل عصره فى علم اللسان العربى ، ومعرفة  
غريب اللغة فى الفاظ الاشعار الجاهلية والاسلامية ، ( وكان غيوراً على ما يحمل

- 
- ( ١ ) ابن البار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٣٩٣ ) .  
( ٢ ) شوقى ضيف : المدارس النحوية ( ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ) ، وعن مدى اسهام  
القالى فى نهضة الدراسات اللغوية والنحوية انظر ابن خير : فهرست  
مارواه عن شيوخه ( ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ) .  
( ٣ ) الحميدى : الجذوة ( ص ١٥١ - ١٥٢ ) ، الضبى : البغية ( ص ٢١٣ ) ،  
القفطى : انباء الرواه ، ج ١ ( ص ١٨٣ ) وما بعدها ، الصفدى : الوافى  
ج ٦ ( ص ١١٥ ) ، الا فليلى نسبة الى اقليل قرية بالشام كان اصله منها  
انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ( ص ٥١ ) .

من ذلك الفن ، كثير الحسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلد ه  
او نشب فيه ، يجادل عليه ، ولا يصرف صارف عنه <sup>(١)</sup> .

كما ان ابن شهيد قدح في سيرة الافليلى وتندر به فوصفه بانــــه  
اشد الناس حرصا على ان لا يكون ببلده ماهر سواه ، وان الرأى عند ابــــن  
شهيد ان يحل الافليلى بارض جليقيه حتى لا يسمع بها حس خطيب او نظم  
شاعر فينعم هنا لك وحيدا <sup>(٢)</sup> فريدا .

ونحن اذ نقف على هذه الصفات التي خلعتها عليه كل من ابن حيان  
وابن شهيد يدعونا الحق للتحري عن مبلغ صدقها ومدى صحتها اذ تطرق  
الشك اليها في صحة ذلك بعد ان تصفحنا سيرته لدى الحميدى في كتابه  
جذوة المقتبس ، كما ان ابن حزم عندما تطرق لكتاب شرح معاني ديــــوان  
المتنبى اثنى عليه <sup>(٣)</sup> ولم يذكر شيئا مما اورده ابن حيان وابن شهيد ، هذا وقد  
وصفه ابن بشكوال بما ينافى تلك الصفات السيئة ، فقال : ( كان صادق اللهجة  
حسن الغيب ، صافى الضمير ، حسن المحاضرة ، مكرما لجليسه ) <sup>(٤)</sup> .

ونضيف الى ما تقدم ماعرف عن ابن حيان من حدة اللسان وسرعة  
للتجريح عند تناوله لسير بعض العلماء والنبلاء وما عرف عن ابن شهيد من  
اسلوب تهكمى لاذع لابناء عصره فضلا عما اتصف به من مجون واستهتار <sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٢٨١ - ٢٨٢ ) .  
( ٢ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٢٤١ ) نقلا عن رسالة التوابع  
والزوابع ، وانظر ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٧٢ - ٧٣ ) .  
( ٣ ) انظر الجذوة ( ص ١٥١ - ١٥٢ ) .  
( ٤ ) المقرئ : النفع ، ج ٣ ( ص ١٧٣ ) نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس .  
( ٥ ) الصلة ، ج ١ ( ص ٩٣ ) .  
( ٦ ) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ١٩٣ ) .

ومن علماء اللغة والنحو الذين برزوا في هذا العصر ابو مروان عبيد الملك بن سراج القرطبي من مملكة بنى عباد ( ٤٠٠ - ٤٨٩ هـ / ١٠٠٩ - ١٠٩٥ م ) وصف بالحفظ للغة وعلومها ، وانه امام فيها غير مدافع ، وقد روى عن ابيه والقاضى يونس بن عبد الله ، وعن الافليلي وغيرهم ، وكان لعلمه الواسع وفهمه الدقيق بعلوم اللسان يعد قبلة طلاب العلم الذين رحلوا اليه من كل صقع ، وكان مدار البحث في مسائل اللغة والاداب عليه ، الى جانب ما اتصف به من جلاله ووقار بين اهل العلم ، حتى روى انه لمهابة مجلسه العلمي لا يجسر احد على الكلام فيه لغير العلم .<sup>(١)</sup>

وكان لابي مروان عناية بالغة بكتب من سبقه من النحاة واللغويين ككتاب البارع لابي علي القالي ، وشرح غريب الحديث للخطابي ، وقاسم بن ثابت السرقسطي ، والنبات لابي حنيفة<sup>(٣)</sup> ، والامثال للاصبهاني<sup>(٤)</sup> ، وكانت تلك الكتب وغيرها ( قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام مختلفة النظام ، وقد سد التصحيف طرقها ، وعور التبديل نسقها ففتح مستغلقها ونظم مفترقها ، وعانى خللها وازاح عللها ، وقيد مهملها ، وابرز محاسنها

- 
- ( ١ ) ابن بشكوال : الصلاة ، ج ٢ ( ص ٣٦٣ ) وما بعدها ، ابن فرحون : الديباج ، طبع المكتبة العلمية ( ص ١٥٧ ) .
- ( ٢ ) الخطابي حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطابي ( ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م ) فقيه محدث ، ألف تصانيف عديدة في الحديث ومن اشهرها " غريب الحديث " و " بيان اعجاز القرآن " . الزركلي : الاعلام ، ج ٢ ( ص ٢٧٣ ) .
- ( ٣ ) ابو حنيفة : احمد بن داود ( ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ) ، كان بارعا في علوم مختلفة منها النحو واللغة والرياضيات وصنف كتبا كثيرة منها " الشعر والشعراء " و " الانواء " و " النبات " . الانباري : نزهة الالباء ( ص ٢٤٠ ) .
- ( ٤ ) الاصبهاني : الحسن بن عبد الله ، كان من ائمة اللغة والنحو وكان بينه وبين ابي حنيفة الدينوري مناقضات ومناظرات وله ردود على كثير من العلماء كابي حنيفة وابي عبيد وابن قتيبة . ياقوت : معجم الادباء ، ج ٨ ( ص ١٣٩ ) .

واثار كمائنها ، واعتقها من هجنة التعطيل ، فرغب في استعمالها<sup>(١)</sup> .

ورغم بلوغه الثمانين سنة الا انه وصف بحسن البنية ، فكان متمتعاً بجميع حواسه متوقد الذهن سريع الخاطر والبديهة ، يقرأ الخط الدقيق ويثابر على المطالعة ويسمع من طلبة العلم قراءاتهم عليه شارحاً لما يعترضهم من الغموض واللبس في الالفاظ والمعاني ، وكانت وفاته خسارة عظيمة على اللغة والنحو والادب فرثاه تلاميذه واصحابه بمرث كثيرة<sup>(٢)</sup> .

وفي مملكة بنى عباد تألق العلامة اللغوي النحوي الشهير ابو الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالاعلم ( ٤١٠ - ٤٧٦ هـ / ١٠١٩ - ١٠٨٣ م ) كان عالماً باللغة ، متضلعا في علومها وهو من شنتمرية الغرب ، وقد رحل الى قرطبة سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ) فاستوطنها حيث عكف على طلب العلم ولقاء العلماء فاخذ عنهم علوم اللغة والادب والنحو ومن بين اولئك العلماء الافليلى الانف الذكر ، ومسلم بن احمد ، وقد وصف الاعلم بالعلم الواسع باللغة العربية وآدابها ، وانه كان من كبار الحفاظ لاشعار العرب والعارفين بمعانيها ، وقد اخذ عنه الكثير من العلماء وطلبة العلم ، وكان مقصدهم في التزود بالعلم والمعرفة<sup>(٣)</sup> .

واذا تتبع القارئ اسماء الكتب التي تلقاها او رواها ابو الحجاج وقف

- 
- ( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٨١١ - ٨١٢ ) .  
 ( ٢ ) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء ( ص ٨١٢ ) ، وانظر تلك المراثي بعد الصفحة المشار اليها .  
 ( ٣ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٥٩ ) . شنتمرية الغرب ، مدينة بغرب الاندلس وهي موجودة حالياً جنوب البرتغال . انظر الحميري : السروض المعطار ( ص ٣٤٧ ) .  
 ( ٤ ) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ( ص ٦٨١ ) ، القفطي : انباه الرواة ، ج ٢ ، ( ص ٢٠٧ ) وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧ ( ص ٨١ - ٨٢ ) ، الصفدي : نكت الهميان ( ص ٣١٣ ) ( ذكر ان مولده سنة ٤١٦ هـ والصحيح ما اشرنا اليه ) .



على تعدد اهتماماته العلمية بين النحو واللغة والادب، ولكنه رغم ذلك فقد كان يعرف بالنحوى لرسوخه فى هذا العلم وبراعته فيه .<sup>(١)</sup>

ولابى الحجاج مصنفات نفيسة فى اللغة والنحو، وفى اللغة السوف كتابه " شرح اشعار الحماسة " وصنف كتابا آخر فى شرح الاشعار الستة الجاهلية، وفى الكتابين من المعرفة اللغوية ما ينم عن تضلعه فى اللغة ومهارته فى معرفة معانيها وحل مشكلها .<sup>(٢)</sup>

وفى النحو صنف " النكت على كتاب سيبويه " و "المختصر فى النحو" و "عيون الزهد فى شرح ابيات كتاب سيبويه" وله رسائل فى بعض المسائل اللغوية كالمسألة الرشيدية، والفرق بين المسهب والمسهب، والمسألة الزنبورية وغير ذلك .<sup>(٣)</sup>

وجد يد بالذكر ان هناك عالم لغوى آخر شرح الاشعار الستة الجاهلية هو العلامة الوزير ابو بكر عاصم بن ايوب البطليوسى (ت ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) ، ووصف هذا الشرح بالقيمة العلمية الكبيرة .<sup>(٤)</sup>

ويذكر ابن خلكان ان لابي الحجاج شرحا على كتاب " الجمل للزجاجى " وشرحا لابيائه فى كتاب مفرد .<sup>(٥)</sup>

وفى مملكة بنى عباد ايضا برز العلامة الكبير ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، وكان عالما بالجغرافيا واللغة والانساب والتاريخ ، وصفه ابن بسام فقال ( الوزير الفقيه ابو عبيد البكرى

- 
- (١) محمد رضوان : تاريخ النقد الادبى فى الاندلس (ص ١١٩) .
  - (٢) ابن خير : مصدر سابق (ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .
  - (٣) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣١٤ - ٣١٥) وانظر البغدادى : هدية العارفين، ج ٢ (ص ٥٥١) .
  - (٤) محمد رضوان : مرجع سبق ذكره (ص ١٣٥ - ١٣٦) (والكتاب مازال مخطوطا ومنه نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة) .
  - (٥) وفيات الاعيان، ج ٧ (ص ٨١ - ٨٢) .

وكان بافقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان وابعدهم  
فى العلوم طلقا ، وانصعهم فى المنثور والمنظوم افقا ، كأن العرب استخلفته  
على لسانها <sup>(١)</sup> .

وكانت مكانة البكرى العلمية والادبية قد دفعت ملوك الطوائف الى  
التسارع فى اجتذابه اليهم . فقصدا ولا المرية حيث حل ضيفا مكرما على  
المعتمدين وظل لديه بعض الوقت ثم شد رحاله الى بلاط المعتمد بن عباد  
حيث نال لديه مكانا عليا حتى نهاية الدولة العبادية <sup>(٢)</sup> .

وفىما يتعلق بثقافته اللغوية والادبية ، فقد كان لقعود ابى على القالى  
الى الاندلس ومارافق دخوله من انتشار الكتب المشرقية فى اللغة والادب  
بين الاندلسيين اثره الاكبر فى ازدهار مثل تلك الدراسات واقبال العديد  
من العلماء على دراستها وتصفح مصادرها ، ومن بين هؤلاء ابو عبيد البكرى  
الذى عكف على قراءة كثير من الكتب اللغوية والمصنفات الادبية المشرقية  
من مخطوطات مقروءة على مؤلفيها مضبوطة ام الضبط ومصححة بسماع ابى على  
او بروايته عن علماء العراق امثال ابى عبيد او <sup>(٣)</sup> ثم تصفح مؤلفات القالى  
فقرأ بتمعن وتدبر ثم نقدها نقد العارف بدقائق اللغة واسرارها .

ولا بى عبيد تصانيف لغوية تدل على علو كعبه فى اللغة منها " صلة

( ١ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٣٢ ) .

( ٢ ) عبد الله يوسف غنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ( ص ٢٢ - ٢٣ ) .

( ٣ ) ابو عبيد البكرى : معجم ما استعجم من مقدمة المحقق مصطفى السقا .

وابو عبيد : هو القاسم بن سلام من كبار علماء الحديث واللغة وله من  
الكتب غريب الحديث ( ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م ) . الانبارى : نزهة الالباء

( ص ١٣٦ ) .

هو ابراهيم بن محمد الازدى كان عالما بالحديث واللغة

صنف غريب القرآن و " التاريخ " ( ت ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م ) . الانبارى : نزهة

الالباء ( ص ٣٦٠ ) .

المفصول في شرح ابيات الغريب المصنف لابي عبيد " وكتاب " فصل المقال  
في شرح كتاب الامثال لابي عبيد<sup>(١)</sup> . وله ايضا كتاب التنبيه على اوهام ابى  
على القالى في اماليه . وكتاب اللآلى في شرح الامالى لابي على القالى<sup>(٢)</sup>  
ولابي عبيد كتب اخرى لم تطبع او فقدت " كاشتقاق الاسماء " و"شفاء عليل  
العربية" ، " الاحصاء لطبقات الشعراء " وغير ذلك .<sup>(٣)</sup>

ويكى الاندلس فخرا ان تزهو بامثال العلامة اللغوى النحوى الشهير  
على بن اسماعيل بن سيده الاعمى من مملكة دانية (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) كان  
عالما باللغة ، متضلعا في علومها حتى وصف بانه لا نظير له اعتناء باللغة  
ولا امهرمنه في معرفة اسرارها ، وان مؤلفاته فيها تعد اعظم ما انجز في ذلك .<sup>(٤)</sup>

وقد اكتسب ابن سيده بسيرته العلمية الفذة ثناء العلماء حتى وصفوه  
بشيخ اللغويين والنحاه وانه اعلم اهل الاندلس بالنحو واللغة والاشعار  
واحفظهم لذلك فكان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوية والنحوية عن ظهر  
قلب .<sup>(٥)</sup>

ولم يكن صيته العلمى مقتصرا على وطنه الاندلس بل تعداه الى

( ١ ) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ( ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ) ، والكتاب  
الثانى مطبوع طبع بالخرطوم سنة ١٩٥٨ م ، بتحقيق عبد المجيد  
عابدين واحسان عباس .

( ٢ ) ابن خير : مصدر سابق ( ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ) ، وهذان الكتابان  
مطبوعان ، الاول سنة ١٩٢٦ م والثانى طبع سنة ١٩٣٦ م بتحقيق  
عبد العزيز الميمنى .

( ٣ ) انظر عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ( ص ٢٤ ) .

( ٤ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٢٥٩ ) .

( ٥ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١٠٣ ) ، الحميدى : الجذوة ( ص ٣١١ -

٣١٢ ) ، ابن خاقان : المطمح ( ص ٢٩١ - ٢٩٢ ) ، ابن بشكوال :

الصلة ، ج ٢ ( ص ٤١٧ - ٤١٨ ) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ٢ ( ص ٢٢٥ )

الصفدى : نكت الهميان ( ص ٢٠٥ ) ، الذهبى : العبر ، ج ٣ ( ص ٢٤٣ )

المقرى : النفع ، ج ٣ ( ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ) ، ابو المحاسن : اشارة

التعيين ( مخطوط ) ( ص ١٥ ) .

المشرق . فقد روى السلفى بقوله ( سمعت ابا عبد الله محمد بن الحسن ابن ابي زرارہ اللغوى يقول " كان بالمشرق لغوى وبالمغرب لغوى فى عصر واحد . ولم يكن لهما ثالث وهما ضريان ، فالمشرقى ابو العلاء التنوخى المعرى ، والمغربى ابن سيده الاندلسى ، وابن سيده اعلم من المعرى )<sup>(١)</sup> .

وكان ابن سيده قد حل ضيفا على الملك مجاهد العامرى بدانية وكان هنا مولعا بالدراسات اللغوية ، محبا للعلم والعلماء وخاصة الماهرين منهم فى اللغة والنحو والقراءات ، فوجد ابن سيده لديه كل تكريم واجلال وكلفه مجاهد بتأليف معجم كامل فى اللغة ، فصنف ابن سيده كتابه الشهير "المخصص" وذكر فى مقدمته ان مجاهدا العامرى ازمع على تأليف معجم فى اللغة بنفسه ( الا انه عاقه عن التصنيف فيها ما نيط به من علائق السياسة واعباء الرياسة وشغله عن ذلك ما حى به من ارادته الممالك وتأمينه المسالك . . فالتمس من يؤهل لذلك لباب عبيده ، وصياح عديده فوجد منهم فضلا اخياراً ، ونبلاء اخياراً ، لكن رأى اطولهم يدا وابعدهم فى مضممار العتاق مدى ، فامرنى بالتجرد لهذه الارادة . . . . . والفت كتابى الملخص الذى سميته المخصص . . . . . ثم امرنى بالتأليف على حروف المعجم فصنفت كتابى الموسوم بالمحكم )<sup>(٢)</sup> .

وفى النص اشارة واضحة على ما اسداه هذا الملك من ايااد بيضاء الى المعرفة والتصنيف العلمى ، كما ان فيه اشارة الى تضلعه هو فى العلم ورغبته فى البداية ان يصنف بنفسه معجما لغويا .

وقد استمر ابن سيده مرعى الجانب ، مكرم القدر فى بلاط مجاهد ثم

( ١ ) معجم السفر ( اخبار وتراجم اندلسية ) ( ص ٧٠ ) .

( ٢ ) انظر ابن سيده : المحكم ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط /

الاولى ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، ج ١ ( ص ٦ ) .

حدث ما اقلقه في عهد اقبال الدولة ابن مجاهد بسبب ما حاكه منافسوه  
من دسائس فاضطر الى مفارقة دانية<sup>(١)</sup> .

وكتاب المحكم يعد من احسن المعاجم اللغوية التي سار مؤلفها على  
نهج الخليل بن احمد الفراهيدي من حيث ترتيب الابواب داخل كل كتاب  
من كتبه ومن حيث توزيع المواد اللغوية في ابواب الكتب، وكذلك من حيث  
ايجازه اثناء العرض، ولما تضمنه من تخريج وتعليق وتعليل حول المسائل  
الصرفية والنحوية، بالاضافة الى اشتماله على صيغ ومصطلحات وشروح<sup>(٢)</sup> .

وقد نال هذا الكتاب استحسان العلماء، بل وصفه البعض بأنه ليس  
في كتب اللغة احسن ولا انفع منه<sup>(٣)</sup> .

وفيما يتعلق بكتابه المخصص فقد بين في مقدمته هدفه من تصنيفه  
وتأليفه بأنه رمى من تأليفه الى ان يصنفه مبوباً ليكون اسهل منالا للراغبين في  
انتقاء اوفى الصفات واقرب الاسماء التي تؤدي المعنى التام (فانه اذا كانت  
للمسمى اسماء كثيرة، وللموصوف اوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها  
ماشاء واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع او قافية . . . )<sup>(٤)</sup> .

والحق ان من يطلع على هذا الكتاب فانه سيلمس ما كان عليه ذلك  
العلامة من علم واسع ومعرفة عميقة وشاملة لم تتأتى لغيره، والكتاب فـى

---

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣١١ - ٣١٢) ، ابن خاقان : المظمح  
(ص ٢٩١ - ٢٩٢) ، داريو كابانيلاس : ابن سيده المرسى (ص ٥٧ -  
٥٨) .

(٢) داريو كابانيلاس : ابن سيده المرسى (ص ١٠٥) وانظر (ص ١٠٨) .  
(٣) السلفى : معجم السفر (اخبار وتراجم اندلسية) (ص ٧) ، القفطى  
انباه الرواة، ج ٢ (ص ٢٢٥) ، القلقشندى : صبح الاعشى، ج ١ ،  
(ص ٤٦٨) .

(٤) انظر المخصص، ج ١ (ص ١٠) .

مضمونه لغوى مرتب حسب المعانى وكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادی ومعنوی يذكره مفردا ، ويضع له بابا خاصا به ثم يذكر جميع ماورد فيه عن العرب من الفاظ وجمل<sup>(١)</sup> .

ولابن سيده مصنفات اخرى منها " شرح ابیات الجمل للزجاجی " وكتاب " الانيق فى شرح الحماسة " ، و " شرح مشكل شعر المتنبي " .<sup>(٢)</sup>

وفى مطلک مجاهد ايضا لمع اسم العلامة تمام بن غالب التيانى (ت ٣٦٤هـ / ١٠٤٤م) كان من البارعين فى علوم اللغة ، مع المعرفة التامة بعلومها ومايتصل بها ، وكان قد انتقل من قرطبة الى مرسية حيث انصرف الى التدريس وبث علومه ثم عكف على التأليف فصنف كتابا فى اللغة ، ولما سمع به مجاهد حاكم دانية اعجب بالكتاب فبعث الى تمام بالف دينار وكسوة مقابل ان يذكر فى مقدمته انه صنفه باسمه ، ولكن العلامة اللغوى ابت عليه نفسه وحبه للعلم واخلاصه فى نشره لوجه الله ان يدبج كتابه باسم ملك ، وقال كتاب صنفته لله ولطلبة العلم لا اصرفه الى اسم ملك ، وحلف ان لايفعل ذلك ، ورد الالف دينار والكسوة ، فعظم فى عين مجاهد والناس ، واثنى عليه العلماء ووصفوه بالنزاهة والقدر العلمى الكبير .<sup>(٤)</sup>

(١) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٤٦٤) ، حسن ابراهيم تاريخ الاسلام ، ج ٤ (ص ٤٧٧) .

(٢) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣٥٦) ، البغدادى : هدية العارفين ، ج ٥ (ص ٦٩١) .

(٣) ابن فرحون : الديباج ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت (ص ٢٠٥) ، وقد حقق هذا الكتاب رضوان الدايه وصدر عن دار المأمون للتراث بدمشق .

(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ (ص ١٦٦) ، القفطى : انباه الرواة ، ج ١ ، (ص ٢٥٩-٢٦٠) ، الحميرى : الروض المعطار (ص ١٨٢) ، المقبرى النفع ، ج ٣ (ص ١٧٢) ، ابو المحاسن : اشارة التعيين (مخطوط) (ص ٩٠) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١٨٩) ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ (ص ٤٥٩) .

وكتاب ابى تمام اسمه " تلقيح العين فى اللغة " وقد حظى باستحسان واعجاب العلماء ووصفوه بانه من الكتب القيمة العظيمة الفائدة <sup>(١)</sup> .

وفى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى شهدت الاندلس بروز عدد من اللغويين والنحاة اسهموا بدرجة كبيرة وموافقة فى دفع عجلة الدراسات اللغوية والنحوية بما اسدوه من جهود نلمسها فى ابحاثهم ودراساتهم القيمة التى لا يزال بعضها بين ايدينا .

فيأتى فى مقدمة علماء اللغة والنحو آنذاك العلامة ( ابن الطراوة ) سليمان بن محمد بن عبد الله السبى الملقى من مملكة غرناطة ( ٤٤٠ - ٥٢٨ هـ / ١٠٤٨ - ١١٣٣ م ) اخذ علومه فى اللغة والادب عن معاصريه امثال ابى بكر المرشانى الذى قرأ عليه كتاب سيبويه باشبيليه ( ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ) وسمع على ابى الحجاج الاعلم ولزمه واستفاد من علومه ثم شد رحاله الى قرطبة فسمع بها كتاب سيبويه على العلامة ابى مروان بن سراج <sup>(٢)</sup> .

وكان لبراعة ابن الطراوة فى النحو ورسوخ قدمه فى علومه اثر فى استقلاله بكثير من الاراء النحوية التى خالف فيها عددا من النحاة مما اكسبه نقمة البعض منهم وفى مقدمتهم ابو الحسن بن خروف الذى انتقده ( واتبع شرحه كتاب سيبويه التعقب عليه فى مقدماته على كتاب سيبويه وتنبيهاته على <sup>(٣)</sup> ايضاح الفارسى ) .

( ١ ) انظر المقرئ : النفح ، ج ٣ ( ص ١٧٢ ) ، نقلا عن رسالة ابن حزم فى فضل الاندلس ، ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه ( ص ٣٦٠ - ٣٦١ )

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ( ص ٣٠٠ ) .  
( ٢ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ٧٩ - ٨٠ ) ، الكتشى : فوات الوفيات ، ج ٢ ( ص ٧٩ ) ، وانظر ابن البار : المقتضب من تحفة القادم ( ص ٦٤ ) .

( ٣ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ٧٩ - ٨٠ ) .

وكان في دراسته لكتب من سبقه من النحويين دقيق النظر واسمع المداركه واثق النفس مستقل الشخصية ، فتعرض لنقد اعمال من سبقه من النحاة في كتابه " المقدمات " الذي الفه لحل كثير من مشكلات الكتاب فضعف سيبويه في النحو ، كما انه انتقد عددا من مسائل كتاب الزجاجي " الجمل " وصنف رسالة نقدية عن الايضاح لابي على الفارسي . .<sup>(١)</sup>

وفيما يتصل بآثاره العلمية فقد الف عددا من الكتب منها " الافصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح "<sup>(٢)</sup> وكتاب " رد الشار الى عقال الناشد " وفيه ردود نحوية على النحوى المشرقى الزجاجي . كما صنف عددا من الرسائل النحوية كرسالة " منع استثناء الكثير من القليل " ورسالة فيما جرى بينه وبين ابي الحسن بن الباذش " ومقالة في الاسم والمسمى ، و " المقدمات الى علم الكتاب وشرح المشكلات على توالى الابواب "<sup>(٣)</sup> .

ويشير المراكشي الى ان له كتابا اسماء " الترشيح "<sup>(٤)</sup> .

وقد نال ابن الطراوة ذكرا طيبا وثناء جما من كثير من العلماء فوصفه عدد منهم بانه من ائمة الادب والنحو والراسخين فيهما مع البراعة في معرفة كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ( ص ٣٩٨ ) ، وانظر عياد الشيبتي ابن الطراوة النحوى ( ص ٧٨ ) . الزجاجي : هو عبد الرحمن بن اسحاق كان من كبار النحاة ومن اشهر كتبه " الجمل " و " الايضاح " ( ت . ٣٤٤ هـ / ٩٥١ م ) . الانبارى : نزهة الالباء ( ص ٣٠٦ ) . الفارسي : سبق التعريف به .

( ٢ ) من هذا الكتاب نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال رقم ( ١٨٣٠ ) .

( ٣ ) عياد الشيبتي : ابن الطراوة النحوى ( ص ٨٢ ) وما بعدها .

( ٤ ) الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ٨٠ ) .

( ٥ ) انظر عياد : الغنية ( ص ٢٢٣ ) ، الضبي : بغية الملتبس ( ص ٣٠٤ ) ،

القفطى : انباء الرواة ، ج ٤ ( ص ١٠٧ - ١٠٨ ) ، ابن سعيد : المغرب

ج ٢ ( ص ٢٠٨ ) .



وقال فيه ابو بكر بن سمجون - من النحاة المعاصرين لابن الطراوه -  
( مايجوز على الصراط اعرف منه بالنحو ) .

وفى مملكة غرناطة ظهر العلامة اللغوى النحوى ابو الحسن على بن  
احمد بن خلف المعروف بابن الباذش ( ٤٤٤ - ٥٢٨ هـ / ١٠٥٢ - ١١٣٣ م )  
واصله من مدينة جيان وكان والده قد انتقل عنها الى غرناطة فسكنها ، فولد  
ونشأ بها ابو الحسن وتلقى بها علومه ثم رحل الى غيرها من مدن الاندلس  
لللقاء العلماء ، وكان معروفاً بهمته ونشاطه وسعة ادراكه لمسائل النحو ، وعد  
من حفاظ كتاب سيبويه العارفين بمسائله الماهرين فى دقائقه<sup>(١)</sup> .

وكان لسعة علمه باللغة وبراعته فى النحو ، واثق النفس ، قوى الهممة  
فقد روى احد اصحابه وهو القاضى جابر بن يحيى قال : ( سمعت ابا الحسن  
ابن الباذش يقول نحاة الاندلس ثلاثة ، ابو عبدالله بن ابي العافية  
وابو مروان بن سراج او ابنه ابو الحسين ، وكان يسكت عن الثالث فيرونها  
يريد نفسه )<sup>(٢)</sup> .

ولم تخف منزلة ابي الحسن على ابنه ابي جعفر الذى كان عظيم الثناء  
والاشادة بوالده ، فقد اشار فى كتابه الاقناع الى منزلة والده العلمية وعظم  
مكانته وماناله على يديه من علم ومعرفة وانه يرى من الواجب ان ينشر ما اخذه  
عنه ويثبت مارواه عنه من المعارف القيمة<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن عطية : الفهرس ( ص ٧٦ ) ، عياض : الغنية ( ص ١٧٤ - ١٧٥ ) ،  
الضبي : البغية ( ص ٤١٩ ) ، ابن الابار : المعجم ( ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ) .

( ٢ ) ابن الابار : المعجم ( ص ٢٨٧ ) .

( ٣ ) انظر الاقناع ، ج ١ ( ص ٥٠ - ٥١ ) .

وفيما يتصل بانتاج ابي الحسن العلمى فقد صنف كتابا فى شرح كتاب  
سيبويه ، وشرح المقتضب ، وشرح اصول ابن السراج ، وشرح الايضاح ، وشرح  
الجل ، وشرح الكافى للنحاس .<sup>(١)</sup>

ولاريب ان فى شروحه الواسعة تلك لعدد من كتب اللغة والنحو  
مايدل دلالة قاطعة على سعة علمه وشمول ثقافته اللغوية والنحوية . فان  
الشرح والتوضيح يستدعى التبحر فى معرفة معانى الالفاظ والوقوف على  
مسائل اللغة والنحو ومعرفة دقائقها واسرارها وفهمها فهما عميقا .

ويحق لهذا العصر ان يزهو بامثال العلامة اللغوى النحوى الفيلسوف  
ابى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ( ٤٤٤ - ٥٢١ هـ / ١٠٥٢  
م ) ، واصله من مدينة شلب ، ولكنه ولد ونشأ ببطليوس وتلقى فيها  
علومه ومعارفه ، وكان ملازما لحلقات الدرس ولقاء العلماء فى مدينته حتى  
لمع نجمه ، وكان متعدد الاهتمامات العلمية فكان بارعا فى اللغة والنحو  
والادب وعلوم الدين والكلام عارفا بالمنطق والفلسفة .<sup>(٢)</sup>

وكان لمكانته العلمية وغازة علمه اثر فى تهافت ملوك الطوائف فى  
اجتذابه اليهم فسار الى بلاط ابن رزين فى السهله ( ٤٣٦ - ٤٩٦ هـ / ١٠٤٤  
م ) ، وعاش مكرما لديه حتى وقع ماعكر صفو العلاقة بينهما فغادر حاضرتة

---

( ١ ) النحاس هو : ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل الصفار المعروف  
بالنحاس ( ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ) كان معدودا فى علماء النحو واخذ  
علومه عن كبار النحاة كالاخفش ونفطويه والزجاج ، وصنف عددا من  
الكتب منها " اعراب القرآن " و " شرح السبع الطوال " وفى النحو كتابه  
المذكور اعلاه . انظر الانبارى : نزهة الالباء ( ص ٣٩١ ) .  
( ٢ ) عياض : الغنية ( ص ١٥٨ - ١٥٩ ) ، القفطى : انباء الرواة ، ج ٢ ،  
( ص ١٤١ ) وما بعدها ، وانظر محمد رضوان : تاريخ النقد الادبى  
فى الاندلس ( ص ١٢٩ ) .

ويمم صوب بنى هود فى سرقسطة حيث حل ضيفا على المستعين بن هـود  
فاكرم مثواه واعلى مكانه فعاش هنالك فى خير حال ، ثم مالبت ان خرج عن  
سرقسطة فاتجه الى طليطلة ، ويذكر المقرئ ان ابن السيد مدح اميرا من  
امراء بنى ذى النون وهو الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله ، ومن الغريب ان  
دعاه بالملك فى قصيدته التى مدحه بها<sup>(١)</sup> ، ولا بن السيد قصيدة فى مدح آخر  
ملوك بنى ذى النون القادر يحيى مما يدل على انه اقام فترة من الزمن فى  
بلاط بنى ذى النون<sup>(٢)</sup> .

وبعد ان طوف ابن السيد ببلاطات هؤلاء الملوك آثر الاستقرار  
فاستوطن مدينة بلنسية حيث انصرف للعلم وبث معارفه فى اللغة والنحو وبها  
كانت وفاته ، ووصف ابن السيد بالتبحر فى علوم اللسان ، وكثرة ما يقصد مجلسه  
العلمى من الطلبة ، مع اتصافه بحسن التعليم واجادة التلقين<sup>(٣)</sup> .

ولا بن السيد مصنفات كثيرة فى اللغة ، منها كتاب " المثلث " فى  
مجلدين وهوينم عن سعة علمه باللغة وكتاب " الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب"  
لابن قتيبة الدينورى ( ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ) ، وشرح سقط الزند لابي العلاء  
المعرى ، وفاق فيه شرح ابي العلاء نفسه صاحب الديوان ، وله كتاب فى  
الحروف الخمسة وهى السين والصاد والضاد والطاء والذال ، وكتاب " الحل

( ١ ) انظر ازهار الرياض، ج ٣ ( ص ١١٧ - ١٢١ - ١٢٣ ) ، محمد رضوان  
النقد الادبى فى الاندلس ( ص ١٨٠ - ١٨١ ) .

( ٢ ) المقرئ : ازهار الرياض، ج ٣ ( ص ١٣٥ ) وما بعدها .

( ٣ ) ابن بشكوال : الصلة، ج ١ ( ص ٢٩٢ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان  
ج ٣ ( ص ٩٦ - ٩٧ ) ، ابن فرحون : الديباج ، ط / المكتبة العلمية  
( ص ١٤٠ - ١٤١ ) ، الكتبى : عيون التواريخ ، ج ٢ ( ص ١٩١ ) .

السيوطى : بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

فى شرح ابيات الجمل" واصلاح الخلل الواقع فى الجمل . . . وغير ذلك <sup>(١)</sup> .

ولابن السيد كتب اخرى مثل مسائل منثورة فى النحو، وشرح الكامل للمبرد ، وشرح فصيح ثعلب، وشرح الجمل فى النحو للجرجاني (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) ، وشرح ديوان المتنبي ، والانتصار لمن عدل عن الاستبصار، وهذا الاخير ضمنه ردوده على ابن العربى الذى نقد شرح ابن السيد لديوان ابي العلاء المعرى ، فيبدأ بذكر المسألة التى اعترض عليها ابن العربى <sup>(٢)</sup> ثم يعقبها بالرد عليه مظهرا اخطائه وهفواته .

وقد اجمعت كتب التاريخ التى تناولت سيرة ابن السيد على انه امام كبير فى اللغة والنحو بل شيخ النحاة، وكان البطليوسى يستند الى النحو كقاعدة فى شروحه اللغوية ، فلم يترك اى مسألة صغيرة او كبيرة الا عالجها حسب تضلعه فى النحو وتبحره فى مسائله ، فهو يبدى رأى البصريين والكوفيين ، ثم ينهى حديثه بقوله والمختار هو كذا . واذا طالع القارىء دراساته وشروحه فيلص عظم ما كان يتمتع به من علم واسع يتمثل فى ذلك التيار الزاخر من الاقوال والآراء النحوية التى يدعمها بالشواهد القرآنية <sup>(٣)</sup> والا حادith الكريمة واشعار العرب .

- 
- ( ١ ) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ( ص ٩٦ - ٩٧ ) ، وانظر الحنبلى شذرات الذهب ، ج ٤ ( ص ٦٥ ) ، و "كتاب المثلث" منه نسخة بمعهد المخطوطات وقد طبع، و "الاقتضاب" مطبوع بين ايدى الناس، و "شرح السقط" مطبوع ، و "الحروف الخمسة" مخطوط بمعهد المخطوطات العربية و "الحلل" منه نسخة بمكتبة بغداد ، و "اصلاح الخلل" منه نسخة فى دار الكتب المصرية ، انظر عن ذلك مقدمة التحقيق على كتاب ابن السيد ( التنبيه ) ( ص ٢٨ ) وما بعدها .
- ( ٢ ) ابن السيد : التنبيه ، مقدمة المحقق ( ص ٢٩ - ٣١ - ٣٢ ) وانظر البغدادى : هدية العارفين ، ج ٥ ( ص ٤٥٤ ) .
- ( ٣ ) ابن السيد : التنبيه ، مقدمة المحقق ( ص ٢٨ ) ، وانظر ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١٢ ( ص ١٩٨ ) .

ولهذا فقد نال ثناء العلماء حتى وصفه ابن بسام فقال ( امام الاوان وحامل لواء الاحسان وهو بالاندلس كالجاحظ بل ارفع درجة )<sup>(١)</sup>.

ووصف باوصاف رفيعة شتى فهو امام اللغويين والنحاة واحد السابقين المبرزين وعد من مفاخر الاندلس واعلامها العظام<sup>(٢)</sup>.

وهناك اعلام آخرون فى اللغة سنشير بايجاز الى بعضهم منهم — العلامة محمد بن عبدالرحمن بن خلصه اللخمى من اعلام بلنسية ( ت ٥٢١ هـ ١١٢٢ م ) وكان من البارعين فى علوم اللسان ، وله ردود علمية على ابْن السيد وصفت بالجودة والاتقان<sup>(٣)</sup>.

ومن بين ردوده على ابن السيد مازعه من ان شرح ادب الكتاب ليس لابن السيد وانما مصنفه ابن بلال المرسى ، وان ابن السيد اغار على تأليفه فانتحله<sup>(٤)</sup>.

ولكننا نستبعد ذلك فابن السيد بعلمه الواسع وثقافته اللغوية العميقة اغنى ما يكون عن ان ينتحل جهد غيره من العلماء .

وهناك عالم آخر يتشابه فى اسمه مع العلامة ابن خلصه وهو محمد بن خلصه الشذونى المكنى بابى عبد الله البصير ( من اعلام مملكة دانية ) وصفه الحميدى فقال : ( كان من النحويين المتصدرين والاساتيد المشهورين —

( ١ ) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ٢ ( ص ٨٩٠ ) .

( ٢ ) انظر الضى : البغية ( ص ٣٣٧ ) ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ( ص ٣٨٥ ) .

( ٣ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٤٢٦ ) ، المقتضب ( ص ٥٤ - ٥٥ ) ابن قاضى شهبه ، طبقات النحويين واللغويين ( ص ١٥٦ - ١٥٧ ) .

( ٤ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٢٠ ) ، المراكشى الذيل والتكملة ج ١ ( ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ) ، وانظر فيها ترجمة ابن بلال المرسى . وانظر

ايضا ، السيوطى : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٣٦١

والشعراء المجودين ، رأيت في دانية بعد الاربعين <sup>(١)</sup> .

وكان لبعض النساء دور في هذا النشاط اللغوي والنحوي ، فهذه  
الادبية العروضية ( ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن  
غلبون الكاتب ( من امارة بلنسية ) اخذت علومها عن مولاها الذي كان معدودا  
في علماء اللغة ، وما زالت عاكفة على طلب العلم والقراءة حتى فاقته وبرعت في  
العروض ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر لابى على القالى <sup>(٢)</sup> .

وكانت الى جانب حفظها للكتابين المشار اليهما عارفة بمعانى  
نصوصها وشرح الفاظها ، فكانت تعقد مجلسا للتدريس ، ومن اخذ عنها  
العلامة المقرئ الكبير سليمان بن نجاح ، وكانت وفاتها بدانية <sup>(٣)</sup> .

واخيرا هؤلاء مشاهير اعلام اللغة والنحو في عصر ملوك الطوائف  
ولا نغفل لمن لم نذكر هنا فقد تكون كتب التراجم والتاريخ اغفلت البعض  
او انها شحت بمزيد من المعلومات عن البعض الآخر ، وعلى اى حال فاننا  
نحيل القارىء الى بعض من ذكر لهم مشاركة في اللغة والنحو <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) جذوة المقتبس ( ص ٥٤ ) ، والشذونى نسبة الى كورة شذونة فى  
جنوب الاندلس وقد نزلها جند فلسطين . الحميرى : الروض المعطار

( ص ٣٣٩ ) .

( ٢ ) المقرئ : النفح ، ج ٤ ( ص ١٧١ ) .

( ٣ ) المقرئ : نفس المصدر والجزء والصفحة .

( ٤ ) انظر مثلا : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ( ص ٥٣٥ ) ، الحميدى

الجذوة ( ص ٢٨٤ ) ، ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٢٩٦ ، ١٩٢ )

عياض : الغنية ( ص ٥٩ ) ، الانبارى : نزهة الالباء ( ص ٢٥٤ ) ،

القفطى : انباء الرواة ، ج ٢ ( ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ) ، ( ص ٣٥٢ ) المراكشى

الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ٣٩ ) ، السفر الخامس ، القسم الاول ،

( ص ٥٣ ) .

وزبدة القول انه يتضح لنا فى هذه الدراسة مدى مالقيته علوم اللسان من ازدهار وتطور، فان هذا العصر قد حفل باعلام كبار قدموا له هذه الدراسات جهودا موفقة وحميدة، ولعل ما تركوه لنا من نفائس التصانيف وروائع التأليف فيه ما يشهد بعظمتهم وعظمة عصرهم الحافل بالعلم الناهض بالمعرفة .

( الفصل الثالث )

( ( العلوم الانسانية ) )

---

\* التاريخ ..

\* الجغرافيا والرحلات الجغرافية ..

\* الفلسفه .

---



## التاريخ

- \* مكانة علم التاريخ عند الاندلسيين .
- \* عناية الاندلسيين بتصنيف كتب التراجم والطبقات .
- \* ابرز مؤرخي عصر الطوائف وكتبهم .

### مكانة علم التاريخ عند الاندلسيين

يعتبر علم التاريخ من بين العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الاندلسيين ، ويمكن ان نرجع اهم العوامل المؤثرة فى نشاط الدراسات التاريخية الى ما كان يعتمل فى نفوس بعض مؤرخى الاندلس من حماس شديد وغيره على تاريخ وطنهم وسير اعلامه ورجاله ، هذا الى جانب اهتمام الحكام او بعضهم على الاصح بالدراسات التاريخية والتراجم ، مما دفع عددا من المؤرخين نحو تصنيف وتأليف ما ينشده اولئك الحكام من امراء وخلفاء وملوك ولاغرو فى ذلك فان بين ايدينا الآن مما تبقى من التراث التاريخى الاندلسى ما ثبت ذلك .

وجدير بالذكر ان المسلمين فى صدر الاسلام وما بعده بقليل كانوا اكثر عناية وحرصا على معرفة الصحيح وغير الصحيح من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعمدوا الى تمحيص سير الرواة ومعرفة حالهم جرحا او تعديلا وهو ما قادهم الى دراسة التاريخ والاعتماد عليه فى تحقيق غاياتهم السامية ، ولهذا قال سفيان الثورى " لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ " (١) .

كما ان اهتمام اولئك العلماء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره وغزواته وقدم وفود العرب عليه الى غير ذلك من جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام قادهم الى تسجيل الاحداث التاريخية شيئا فشيئا وشجعهم على ذلك ايضا ما قام من فتوحات اسلامية واسعة فاتجهوا اكثر الى التاريخ حتى احتل هذا العلم مكانته الكبرى بين العلوم الاسلامية .

( ١ ) ابن الصلاح : علوم الحديث ( ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ) .

وتبدو لنا بداية التاريخ الاندلسي غامضة تقريبا ، ويمكن ان تكون مقترنة ببداية الدولة الاموية والتي سعى امراؤها لحفظ مآثرهم وتخليد سيرهم في ميدان الحرب والسياسة ، ولهذا نجد ان الاخباريين او المؤرخين الاول كانوا من موالى الامويين الذين سجلوا تواريخ ملوكهم ووقائعهم .<sup>(١)</sup>

#### عناية الاندلسيين بتصنيف كتب التراجم والطبقات

ويلاحظ دارس الحركة التاريخية عظم اهتمام الاندلسيين بتصنيف معاجم الاعلام وفهارس الكتب واتساع نشاط هذا اللون من الدراسات التاريخية والحضارية ، وما من شك ان هذا يعود الى المستوى الرفيع الذى بلغه الاندلسيون فى العلوم والمعارف الانسانية ، ومن امثلة تلك المعاجم ما ذكره العلامة ابن بشكوال فى مقدمة كتابه الشهير الصلة من الكتب التى اعتمد عليها فى تصنيف كتابه المذكور فاشار الى كتاب طبقات القراء لابي عمرو الدانسى وجنوة المقتبس للحميدى ، والمؤتلف فى فقهاء قرطبة لابي عمر بن عفيف ، وكتابه الآخر الاحتفال فى تاريخ اعلام الرجال ، وتاريخ فقهاء طليطلة لابي جعفر بن مطاهر ، وفهرست شيوخ ابي عمر بن مهدي المقرئ وغير ذلك .<sup>(٢)</sup>

ولفت نظر الدارس للتاريخ الاندلسى مدى اهتمام الاندلسيين بتراجم اعلام واعيان وطنهم . ولكن من الحق ان نشير الى ان اول الدراسات التاريخية تقريبا كان يتناول تاريخا عاما وهو ما الفه العلامة المحدث المؤرخ عبد الملك بن حبيب فقد صنف كتابا تناول فيه تاريخ العالم من ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها ثم تاريخ آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء

( ١ ) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ( ص ٦٦ ) .

( ٢ ) الصلة ، ج ١ ( ص ٢ - ٣ - ٤ ) .

والرسل حتى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ثم الخلفاء حتى اذا بلغ فتح الاندلس افاض في ذكر الفتح وماغنمه المسلمون من الكنوز والغنائم والذخائر الثمينة وحشد الى جانب ذلك اساطير مختلفة عن الجن والطلاسم وقد اكمل هذا الكتاب بعد وفاة مصنفه تلميذه ابن ابي الرقاع<sup>(١)</sup>.

ورغم ظهور كثير من التأليف التاريخية الاندلسية الا ان التراجم وكتب الطبقات غلبت على ماعداها من الدراسات التاريخية ، وتفنن الاندلسيون في هذا اللون فكان البعض يصنف في سير علماء الاندلس كالذى قام به العلامة محمد بن حارث الخشني ( ت ٣٧١ هـ / ٩٨١ م ) فقد صنف كتابه " تاريخ علماء الاندلس " والكتاب مخطوط يضم ١٨٢ ورقة مكتوبة بخط اندلسي عتيق<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكتاب يعد من اوائل كتب التراجم الاندلسية ، وقد اعتمد عليه ابن الفرضي في تأليفه لكتابه " تاريخ علماء الاندلس " وأشار اليه كاحد المصادر التي اقتبس عنها كثيرا من المعلومات<sup>(٣)</sup>.

واتجه كثير من مؤرخي الاندلس الى تأليف كتب تراجم اكثر تخصيصا فالخشني المذكور صنف كتابا في قضاة قرطبة ، كما صنف العلامة عثمان بن ربيعة الاندلسي القرطبي ( ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ) كتابا في " طبقات شعراء الاندلس " ، ومثله ايضا صنف العلامة محمد بن هشام بن عبد العزيز المرواني

( ١ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ١٩٥ ) ، احمد امين :  
ظهر الاسلام ، ج ٣ ( ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ) ، وقد ذكر احمد امين ان من  
الكتاب نسخة مخطوط بمكتبة اكسفورد بانجلترا وان ليس له قيمة علمية  
كبيرة .

( ٢ ) المخطوط موجود بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ( ٦٩١٦ ) .

( ٣ ) انظر مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ( ص ٦٦٩ ) .

( ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ) كتابا في " اخبار شعراء الاندلس " . بل وجدنا بعض المؤرخين يصنفون تراجم حسب فنون العلم مثل ما ألفه ابن جلجل ( حيا ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ) ، عن " طبقات الاطباء " ومحمد بن موسى ( ت ٣٠٧ هـ ) عن " طبقات الكتاب " ومحمد بن الحسن الزبيدي ( ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ) عن " طبقات النحويين " . وذهب البعض الى التصنيف في تراجم علماء ناحية من النواحي كتأليف اقدمهم عن " اخبار شعراء البيرة " او في ترجمة شخص ما كالذي ألفه حسين بن عاصم عن سيرة المنصور ونشاطه العسكري والسياسي وسماه " المآثر العامرية " ، ومثل ذلك ما ألفه احمد بن محمد الرازي في " سيرة عمر بن حفصون الناصر بربه وحروبه ووقائع " (١) .

وقد امتد هذا اللون من الدراسات التاريخية الى عصر ملوك الطوائف فقد صنف المؤرخ صالح بن سيد كتابا سماه " وسطى السلوك " ذكر فيه بناء المعتمد لحصن الزاهر ، وقد ضاع هذا الكتاب . (٢)

وهذا العلامة المؤرخ ابراهيم بن وز مور الحجاري الذي عاش في اواخر القرن الخامس الهجري الف كتابا سماه " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار " وقد صنفه بناء على طلب المأمون ملك طليطلة . (٣)

( ١ ) عند الدراسات التاريخية في الاندلس في عصر الخلافة انظر بالتفصيل رسالتنا لدرجة الماجستير عن الحياة العلمية في الاندلس في عصر الخلافة ( ص ٢٨ ) وما بعدها .

( ٢ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ٢ ( ص ٧٦٢ ) ، المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ( ص ١٣٢ - ١٣٣ ) .

( ٣ ) أنخل بالنشيا : مرجع سابق ( ص ٣٠٤ ) .

وللمؤرخ ابي عبد الله محمد بن الخلف بن اسماعيل المعروف بابن علقمة ( ٤٢٨ - ٥٠٩ هـ / ١٠٣٦ - ١١١٦ م ) كتابا في تاريخ الاحداث التي وقعت بمدينة بلنسية على يد النصارى سماه " البيان الواضح في الملـم الفائح <sup>(١)</sup> .

وشهد هذا العصر بداية نشوء المذكرات الشخصية ، وهو ما صنفه الامير عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس في كتابه " التبيان عن الحادثة الكائنة على غرناطة " سجل فيها بيده تاريخ اجداده من الاسرة الزيرية وكثيرا من الاحداث السياسية والعسكرية المعاصرة لفترة حكمه على غرناطة وسوف نتحدث عن قيمة هذه المذكرات بعد ذلك .

كما ارخ المؤرخ محمد بن يوسف الشلي ( عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين ) لسير و حياة بنى عباد ملوك اشبيلية والف في ذلك مصنفا اثني عليه ابن الابار واشاد بما ضمه من معلومات تاريخية قيمة <sup>(٢)</sup> .

ويذكر البغدادي ان المؤرخ الاديب الشاعر محمد بن عيسى اللخمي المعروف بابن اللبانة صنف تاريخا لبنى عباد اسماه " الاعتماد في اخبار بنى عباد <sup>(٣)</sup> ، ولكن الكتب المعاصرة لحياة ابن اللبانة او التي الفت بعد وفاته بقليل لاتشير الى هذا الكتاب . فابن بسام في ترجمته للمعتمد بن عباد ذكر ان ابن اللبانة صنف في تاريخ بنى عباد كتابا سماه " نظم السلوك في وعظ الملوك <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٤١١ - ٤١٢ ) ، المراكشي ! الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ١٨٤ ) ، الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ٦٩ ) .

( ٢ ) الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٣٦ ) .

( ٣ ) هدية العارفين ، ج ٢ ( ص ٨٣ ) ، وذكر ذلك ايضا في ايضاح المكنون ج ٣ ( ص ٩٨ ) .

( ٤ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٦٢ ) .

وهذا الكتاب اشار اليه ايضا ابن الابار وذكر ايضا من تأليف ابن اللبانة كتابين هما " مناقب الفتنة " و "سقيط الدرر ولقيط الزهر" وانه سمع منه بعضها في المرية في محرم سنة ( ٤٨٦ هـ / )<sup>(١)</sup> ، وبناءً عليه فاننا نشك في نسبة كتاب " الاعتماد في اخبار بني عباد " الى ابن اللبانة كما زعم البغدادي .

ولابن القاسم الشلبي الآنف الذكر كتابا في حياة الشاعر الوزير ابن عمار وزير المعتمد بن عباد<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يلحظ المتتبع لمثل هذه الدراسات التاريخية سعة النشاط التأليفى وامتداده الى فروع مختلفة وجوانب متعددة تتعلق بتاريخ هذا القطر واعلامه وشخصياته اللامعة في السياسة والعلم . ولكننا نرى من الضروري الاشارة الى ابرز مؤرخى هذا العصر الراقى بالعلم والعلماء .

---

( ١ ) تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٤١٠ - ٤١١ ) .  
 ( ٢ ) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ( ص ١٧٣ ) .

أبرز مؤرخى عصر الطوائف وكتبهم  
 ~~~~~

الواقع ان عصر ملوك الطوائف اشتمل على اعداد كبيرة جدا من المؤرخين الذين اثروا هذا الجانب من العلم بالكثير من دراساتهم القيمة التى تتم عما بلغوه من مكانة علمية راقية ، ووعى عميق بالتاريخ وقيمه بين العلوم الاخرى .

ففى هذا العصر اظهر العلامة الكبير والمؤرخ القدير على بن احمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ /) فى ميدان البحث التاريخى مقدرة كبيرة ورؤية عميقة ، فقد كان له نظرات فلسفية فى تحديد الغايات من وراء دراسة التاريخ كالتزهيد فى الدنيا واتباع القدوة الحسنة ، والعبرة بالفناء وتمييز الصواب من الخطأ فى الاخبار ، وامتناع النفس باطلاعها على اخبار الامم الماضية ، وللتاريخ عنده اهمية بالغة فى بناء شخصية الانسان من الناحية الاخلاقية والنفسية (١) .

وشخصية ابن حزم التاريخية تستند الى روافد ثقافية متنوعة ، فقد كان واسع الاطلاع على المصنفات التاريخية السابقة ومناهج اصحابها ، كما انه درس التوراة والانجيل واطلع على تاريخ هورشيوش ، هذا بالاضافة الى دراساته المتعددة لتواريخ عصره ولقاءه العلماء والشيخوخ . وماجنه من تجارب ومشاهدات شخصية ابان حياته فى الدولة الاموية وبعد توليه الوزارة ثم بعد زوال سلطان بنى امية وانتقاله فى بلدان الاندلس المختلفة كل هذا اكسبه حصيلة علمية معتمعة هو بالذكاء الحاد والبصيرة النافذة وتولد عن ذلك خاصيتان هما اهم ما يحتاج اليها المؤرخ وهى القدرة على التصور الصحيح ، والنقد الدقيق (٢) .

(١) احسان عباس : رسائل ابن حزم ، ج ٢ (ص ١٠) .
 (٢) احسان عباس : رسائل ابن حزم (ص ١٠) ومابعدها ، وانظر فيها ايضا آراء قيمة حول منهج ابن حزم فى التاريخ .

ومن ابرز اسهامات ابن حزم فى التأليف التاريخى كتابه " جمهرة
انساب العرب " الذى وصف بانه اوسع كتب الانساب واشملها مع الايجاز، وكان
لثقافته الواسعة واطلاعه الشامل على كتب التاريخ ودراسته للتوراة والانجيل
كما ذكرنا آنفا اثره الواضح فى علو قيمة الكتاب ^(١).

وكان توسع ابن حزم فى فنون المعرفة، والمامه بالعديد من العلوم
المختلفة، وخاصة العلوم الدينية كالحديث والفقه والتفسير والعقائد اثر فيما
توصل اليه من نتائج علمية قيمة فى ميدان التاريخ والانساب، وكان لعكوفه
الكثير على دراسة كتب اليهود والنصارى وبحثه فى تواريخهم وسيرهم قد ولد
لديه نظرات صائبة وآراء حكيمة فى دراسته لمذاهبهم ودياناتهم التى
تناولها فى كتابه الفصل . مما آزره وشده عضده فى الدفاع عن الاسلام ضد
مزام اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم . هذا بالاضافة الى وضوح طريقته
فى ذكر انساب بنى اسرائيل وقبائلهم المختلفة كما يلاحظ فى كتابه عن
الانساب .

ويجد ربنا ان نشير الى ما اسهم به ابن حزم من دراسات قيمة عن
الاديان والمذاهب فى كتابه العظيم " الفصل فى الملل والاهواء والنحل "
وتعتبر كتاباته فى هذا المصنف تاريخ نقدى للاديان والفرق والمذاهب
على اختلافها كالسوفسطائين الملحدين مرورا بالنصارى ثم اليهود ثم الفرق
الاسلامية ومعتقداتها المختلفة، ثم جوانب من سير الانبياء عليهم السلام
ليختم حديثه عن قضايا متعددة فى الحياة والفلسفة والعلم . ويستطيع
القارئ ان يقف على عظم ما حواه ذلك الكتاب القيم من معلومات تاريخية

(١) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب .

انا القى نظرة على فهرسه .^(١)

وقام المستشرق الاسبانى (ميغيل اسين بلاسيوس) بترجمة الفصل الى الاسبانية وصدر الترجمة بمقدمة حافلة تقع فى مجلد تحدث فيها عن ابن حزم ومكانته وفضله فى تاريخ الفكر الدينى واعترف له بحيازته قصب السبق فى هذا الميدان وتميزه عن غيره من السابقين بمنهجه العلمى النقـدى الذى لم يعرفه مؤرخو الاديان فى اوروبا الا فى القرن العشرين .^(٢)

ولابن حزم آثار اخرى منها عدد من الرسائل التاريخية جمع بعضها وحققها احسان عباس فى كتاب اسماء " رسائل ابن حزم الاندلسى " وهذه المجموعة تضم الرسائل التالية :

- (١) رسالة نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ويطلق عليها " رسالة فى النوادر والغرائب " .
- (٢) رسالة فى أمهات الخلفاء .
- (٣) رسالة فى جمل فتوح الاسلام .
- (٤) رسالة فى اسماء الخلفاء .
- (٥) رسالة فى فضل الاندلس وذكر رجالها .
- (٦) رسالة فى ذكر اوقات الامراء واياهم فى الاندلس .
- (٧) فصل فى ذكر اوقات الحكام من بنى اسرائيل .
- (٨) شذرات من روايات تاريخية .

-
- (١) انظر بعض الآراء عن هذا الكتاب " الفصل " لدى : عبد الحليم عويس ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى (ص ٣٤٠ - ٣٤١) ، ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ١٣ (ص ٣٠٧ - ٣٠٨) ، أنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٢١) ، احمد هيكل الادب الاندلسى (ص ٣٦١ - ٣٦٢) .
 - (٢) عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى (ص ٣٣٤ - ٣٣٥) وانظر أنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٢١) ، وقد ترجمت هذه المقدمة الى العربية بعناية الطاهر مكي .

واهم هذه الرسائل الرسالة الاولى وتتضمن تناقضا بين اهتمام ابن حزم باللقاب وكراهيته لها ، وتشتمل الرسالة على معلومات مختلفة خارجة عن عنوان الرسالة ^(١) .

والرسالة تحوى بعض المعلومات القيمة النادرة التى تساعد الباحثين فى دراسة النواحي الاجتماعية فى الدولة الاسلامية .

والرسالة مهمة ايضا فى كونها خير معين لمن يبتغى دراسة نظام الخلافة الاسلامية والاطلاع على ما تتصف به فى مراحلها المختلفة من ايجابيات وسلبيات ^(٢) .

واضافة الى ذلك فانه لى يفهم الباحث ذلك اللون من الادب الذى ارتبط بالملوك واحداث التاريخ كان من الضرورى دراسة المصنفات التاريخية ومن بينها هذه الرسالة التى تكشف عن كثير من المعلومات القيمة النادرة ^(٣) .

ورسالته الخامسة فى " فضل الاندلس " ذات قيمة كبيرة وقد اوردها المقرئ فى كتابه نفع الطيب ، وتعد هذه الرسالة ثبوتا بما انتجه كثير من علماء الاندلس فى شتى حقول المعرفة ، ولو ان ابن حزم اغفل الكثير من العلماء المبدعين فلم يتطرق الى انتاجهم العلمى ، ولعل هذا ما حدا بابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) الى تذييلها برسالة اخرى استدرك فيها مافات

(١) احسان عباس : رسائل ابن حزم (ص ٣١ - ٣٢) ، وانظر شرحا عن تلك الرسائل فى نفس الكتاب (ص ٢٩ - ٣٨) ، وقد طبع هذا الكتاب بالمؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ط / الاولى سنة ١٩٨١ م .

(٢) عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسى (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) ، نقلا عن مقدمة محققها شوقى ضيف والمنشورة فى مجلة كلية الآداب ، المجلد ١١٣ ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥١ م .

(٣) مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (ص ٧٠١) .

ابن حزم من علماء عصره و اضاف الى ذلك ما تلى عصر ابن حزم من كبار العلماء
(١) واشهرهم .

وجدير بالذكر ان في هذه الرسالة التاريخية ما ينم عن سعة ثقافة
ابن حزم واطلاعه الواسع على تيار الحركة الفكرية في وطنه ، فهو يشير فى
اكثر من جانب فى تلك الرسالة الى انه اطلع على تأليف علماء وطنه كقولـه
- بعد ان اورد عددا من كتب التاريخ والسير (فقد رأيت من ذلك كتباً
مصنفة فى غاية الحسن) . وكقوله فيما يتصل بالشعر (ومنها كتب كثيرة جمعت
فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها " اخبار
شعراء البيرة ") وكقوله عن كتاب الطبيب الزهراوى " التصريف " (ولئن قلنا
انه لم يؤلف فى الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن
وفى الفلسفة قوله (رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون
السرقسطى (٢)) .

ولا بن حزم فى التاريخ ايضا كتاب " جوامع السيرة " فى سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويضم الكتاب كل ما يتصل بسيرته صلى الله عليه وسلم ومبعثه
ومعجزاته وحجه وعمراته وصفته واسمائه وكتابه ورسله ونسائه واولاده واخلاقه
ثم ما يتعلق بالمسلمين الاوائل من دخول الاسلام وملاقوه من تعذيب ، ثم
بيعة العقبة ، واخيرا هجرة المصطفى عليه السلام وغزواته وبعوثه فحجة الوداع
وفاته عليه الصلاة والسلام (٣) .

-
- (١) انظر : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٥٦) وما بعدها ، (ص ١٧٩) وما بعدها .
(٢) انظر المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٤ - ١٧٥) .
(٣) عبد الحليم عويس : مرجع سابق (ص ٢٢٨ - ٢٢٩) ، وانظر كذلك الكتب
نقد وعرض لـ (جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى لابن حزم) مقال بمجلة
معهد الدراسات الاسلامية بمدرسة ، ج ٤ ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م العدد
١ - ٢ (ص ١٨٨) ، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الاستاذين احسان
عباس وناصر الدين الاسد وذلك بدار المعارف بمصر ، وانظر مؤلفات =

ويمكن ان نشير الى ما حفظ لابن حزم من آراء تتعلق باوضاع عصره السياسية، فقد كان يرى ان دولة بنى امية هي انبل الدول واكثرها جهادا ضد اعداء الاسلام، وينظر الى ملوك عصره على انهم مغتصبون ومفسدون فى الارض، وقد توقع انهيار الحكم الاسلامى بانهيار دولة الخلافة الاموية فى الاندلس^(١).

وكان لهذه الجهود الكبيرة لابن حزم فى ميدان الدراسات التاريخية اثر فى انصراف بعض الباحثين الى تتبع نشاطه العلمى فى التاريخ، ومن هؤلاء الباحثين عبد الحليم عويس الذى الف كتابا بعنوان " ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى"، كما ان احسان عباس جمع بعض رسائل ابن حزم كما اسلفنا وشرحها وحققها وكشف بذلك عن وجوه الابداع فى شخصية ابن حزم التاريخية.

وفى مملكة طليطلة نبغ العلامة الكبير صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن صاعد الطليطلى (٤٢٠هـ - ٤٦٢هـ / ١٠٢٩ - ١٠٦٩م) وكان مولده بالمريّة واصله من قرطبة وعرف بمهارته الواسعة فى اكثر من علم، فاخذ علومه عن علماء

= تاريخية اخرى لابن حزم لدى عبد الحليم عويس : ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى (ص ١١٧) وما بعدها ، وأنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٢) احمد هيكل : فى الادب الاندلسى (ص ٣٦٣ - ٣٦٤) ، عبد اللطيف شرارة : ابن حزم (ص ١١٣) ، عبد الرحمن الحجى : اندلسيات (ص ١٢١ - ١٢٢) .
(١) انظر : الكتب نقد وعرض (جوامع السيرة وخص رسائل اخرى) تحقيق احسان عباس وناصر الدين الاسد (مقال بمجلة معهد الدراسات بمدريد ، ج ٤ ، العدد ١ - ٢ (ص ١٨٨) وكذلك :

عصره كابن حزم الآنف الذكر وابى الوليد الوقشى وغيرهم ، ولما كان بارعا فى علوم الدين فقد استقضاه ملك طليطلة المأمون على قضاء مدينته ومركز ملكه وقد اظهر فى عمله هذا كفاءة جيدة وقد حفظ عنه اجتهادات فقهية فى ميدان القضاء^(١) .

ولكن شهرة القاضى صاعد كانت نابعة من تصنيفه القيم فى التاريخ المسمى " طبقات الامم " ، وهذا الكتاب يعد من ذخائر الفكر التاريخى الاندلسى ، فمؤلفه صاعد استطاع ببصيرته النافذة ونظرته العميقة فى تراث الفكر العالمى ان يجمع فى كتابه ذلك على صغر حجمه الوانا من ذلك التراث مشيرا الى حياة العديد من الامم وطبائعها وسماتها وجهودها فى رقى العلوم ، فتحدث عن الفرس والكلدانيين واليونان والروم والسريـان والقبط والهنود والصينيين والعرب فى جاهليتهم ثم فى الاسلام حتى يخلص الى اهل بلده " الاندلس " فيعرض لبرزهم فى علوم الاوائل ، وما قدموه فى هذه العلوم^(٢) .

وقد اثنى جايانجوس على الجزء الذى تحدث فيه القاضى صاعد عن اليونان والرومان وماتم فى عهديهما من نشاط علمى وابرز العلماء آنذاك لكون ذلك صادر عن مؤرخ عربى منصف وفيه مايدل على ما عرفه العرب من علوم اليونان والرومان^(٣) .

-
- (١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ، شكيب ارسـلان :
الحلل السندسية ، ج ٢ (ص ١١) .
(٢) هذا الكتاب مطبوع . وقد طبع بمطبعة التقدم شارع محمد على مصر
القاهرة (بدون تاريخ) .
(٣) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٣٩ - ٢٤٠)

والقاضي صاعد من نوابغ علماء طليطلة واحد مفاخرها بل الاندلس كلها ، ويمثله في التفوق العلمي في علوم الدين وعلوم الاوائل الفيلسوف الفقيه ابن رشد (٥٢٦ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م)^(١) .

وقد جانب حاجي خليفة الصواب عندما ذكر تاريخ وفاته في سنة ٢٥ هـ^(٢) والصحيح ما اشرنا اليه آنفا ، كما ان البغدادى ذكر ذلك التاريخ المغلوط ولكنه امدنا باسماء مؤلفات اخرى لصاعد لانملك معرفة مدى صحة نسبتها اليه وذلك لانها لم ترد في اكثر المصادر الاندلسية التي اشارت لصاعد وترجمت له ، فمن تلك الكتب التي ذكرها البغدادى جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ، وصوان الحكمة في طبقات الحكماء^(٣) .

كما نسب اليه حاجي خليفة من الكتب ايضا " مقالات اهل الملل والنحل " وتاريخ الاندلس " و " تاريخ الاسلام " .^(٤)

ونبغ في مملكة دانية ثم في مملكة بطليوس العلامة الموسوعي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٣٦٢ - ٤٦٠ هـ / ٩٧٢ - ١٠٦٧ م) والذي اسهم اسهاما فعالا في ازدهار كثير من العلوم ومن بينها التاريخ والانساب والتراجم ، ومن اهم مآثره كتابه القدير المسمى " الاستيعاب في اسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص احوالهم ومنازلهم وعيون اخبارهم على حروف المعجم ويقع في اثني عشر جزءا ، وكتاب " الدرر في اختصار المغازي والسير " في ثلاثة اجزاء ، وكتاب

(١) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ (ص ١٨) .

(٢) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ١٠٨٣) .

(٣) هدية العارفين ، ج ١ (ص ٤٢١) .

(٤) كشف الظنون (ص ١٠٨٣ ، ١٠٩٦) ، ويذكر الزركلى في الاعلام ج ٣ (ص ١٨٦) ان لصاعد تاريخ منه نسخة بمكتبة بولاديين .

"اخبار ائمة الامصار" في سبعة اجزاء^(١).

ويعد كتاب "الاستيعاب" من اهم كتب التراجم التي تناولت حياة الصحابة رضى الله عنهم والتي يعتمد عليها في معرفة سيرهم واخبارهم فهو لهذا عظيم القدر غزير الفوائد فنال من العلماء كل استحسان واعجاب فوصفه ابن خير في الفهرست بانه مفيد جليل حافل طابق اسمه معناه^(٢). وقال فيه ابن حزم " ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك"^(٣).

وعلى الرغم مما تقدم فان ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ / ١٣٧١-١٤٤٨م) ، يذكر في مقدمة كتابه " الاصابة" ان ابن عبد البر سمي كتابه الاستيعاب لظنه انه استوعب الاصحاب رضى الله عنهم مع انه فاته شيء كثير^(٤).

وقد ذيل على كتاب الاستيعاب المؤرخ ابو بكر محمد بن خلف بن سليمان (ت ٥١٩هـ / ١١٢٥م) بكتاب وصف بال جودة والنفاسة ، كما صنف كتابا آخر نبه فيه على اغلاط في نفس الكتاب سماه التنبيه^(٥).

ولابن عبد البر ايضا في التاريخ كتاب "الانباه على قبائل الرواة عن

(١) الحميدى : الجذوة (ص ٣٦٨-٣٦٩) ، الضبي : البغية (ص ٤٨٩ - ٤٩٠) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٦٧٧-٦٧٨-٦٧٩) ، وانظر ابن جابر : برنامج ابن جابر الوادى آشى (ص ٢١١-٢١٥) ، وفيه ان الاستيعاب طبع بتحقيق محمد على البجاوى بمصر بدون تاريخ في اربعة اجزاء (ص ٢١٥) ، ج رقم ١ ، وكتاب الدرر طبع بمصر سنة ١٩٦٦م بتحقيق شوقي ضيف (ص ٢١١) ج رقم ١ .

(٢) فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٢١٤) .

(٣) نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٠) نقلا عن رسالة ابن حزم في فضل الاندلس .

(٤) الاصابة ، ج ١ (ص ٣) .

(٥) عياض : الغنية (ص ٨١) .

النبي صلى الله عليه وسلم بما انضاف الى ذلك من انساب العرب" ، ويعد هذا الكتاب مدخلا لكتاب الاستيعاب الآنف الذكر^(١).

وصنف ابن عبد البر ايضا كتابا صغيرا اسماه "القصد والامم في معرفة اخبار العرب والعجم"^(٢) ، وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب وقلة ما احتوى من المعلومات التاريخية الا انه حظى باهتمام كبير من قبل بعض الدارسين الغربيين ، فكرا تشكوفسكى وصف هذا الكتاب بانه رسالة صغيرة تقع في عشرين صفحة، وانها لا تتضمن شيئا عن العرب بل تدور حول اصول الشعوب الاخرى التى ورد ذكرها فى الحديث ، وان العلامة شيفير Schefer كان مصيبا فى شبه لقطعة من الرسالة مقرونة بترجمة فرنسية ، وهى القطعة التى تتضمن الإشارة الى وجود قبائل الاينو Aino فى شمال الصين ، وعلى الرغم من ان احد العلماء وهو فيران Ferrand ابدى تشككه حول تلك الإشارة الا ان ذلك لم يمنعه من الاستشهاد بما ذكره ابن عبد البر حول مسألة علاقة الصين بسكان الملايو^(٣).

ولابن عبد البر مصنفات اخرى لها صلة بالتاريخ والتراجم ككتاب "الاستغناء فى اسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى" وكتاب "الاتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعى وابى حنيفة"^(٤).

وبناء عليه يتضح لنا مدى ما تمتع به ابن عبد البر النمرى من نشاط علمى فى هذا الحقل ، وعظم مشاركته فى اثرائه بنفائس التصانيف وارتفاعها حتى قيل

-
- (١) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٢١٤ - ٢١٥) .
 - (٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٨٢) .
 - (٣) الادب الجغرافى العربى ، القسم الاول (ص ٢٧٣) .
 - (٤) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه (ص ٢١٤ ، ٢٨١) .

انه (كان مع تقدمه فى علم الاثر ، وبصره بالفقه ومعانى الحديث له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر)^(١) .

ونأتى الآن الى ذكر اعظم مؤرخ انجبته الاندلس فى تاريخها وهو المؤرخ القدير حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي ، ويكنى بابى مروان (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) " من اعلام الدولة الجهورية " وقد نشأ نشأة علمية حيث تلقى علومه فى اللغة والادب على يد ابيه عمر بن ابي الحباب النحوى صديق ابيه على القالى ، كما درس الادب ايضا على الاديب صاعد بن الحسن الربعى واخذ عنه كتاب " الفصوص " واخذ الحديث عن العلامة عمر بن حسين بن نابل وغيرهم .^(٢)

وبسقى ابو مروان فى التاريخ والادب مما هيا له مكانا عليا فى الدولة العامرية حيث انتظم فى سلك وظائفها فشغل وظيفة صاحب الشرطة او صاحب المدينة لفترة من الزمن .^(٣)

ونظرا لبراعته فى التاريخ وجودة انشائه وجمال اسلوبه فى الكتابة التاريخية فقد عين على وظيفة علمية تقوم على املاء التاريخ فى ديوان الرئيس ابيه الوليد بن جهور بمرتبة كبير .^(٤)

-
- (١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ (ص ٦٧٩) .
 (٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ١٥٣ - ١٥٤) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ (ص ٢١٨ - ٢١٩) ، محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٧٢) .
 (٣) ابن خير : فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٣٢٦) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢٠٨) ، وانظر مقدمة محمود مكى للقطعة الثانية من المقتبس (ص ٤٣ - ٤٤) .
 (٤) انظر مقدمة محمود مكى للقطعة الثانية من المقتبس (ص ٤٤ - ٤٥) .

وتتجلى لنا مكانة ابن حيان التاريخية فيما خلفه من دراسات وكتابات تاريخية نفيسة يأتي في مقدمتها كتابه "المقتبس" ويقع في عشرة اجزاء و"المتين" في تاريخ الاندلس ويقع في ستين مجلداً^(١)، وله كتب اخرى مثل "البطشمة الكبرى في تاريخ الدولة العامرية" وكتاب "انتخاب من اخبار القضاة"^(٢).

ورغم المنزلة العظيمة التي نالها ابن حيان بين مؤرخي عصره ومن اتى بعده الا انه مع بالغ الاسف لم تصلنا مصنفاته كاملة ، وكل ما وصلنا قطع متفرقة من كتابه المقتبس .

فالقطة الاولى عشر عليها ليفى بروفنسال في خزانة القرويين بفاس وتحتوى على تاريخ الاندلس من سنة ١٨٨ هـ الى ٢٣٢ هـ (٨٠٣ - ٨٤٦ م) ، وتقع في ستين لوحة لم تنشر ، ولم يعثر عليها بعد وفاة بروفنسال .

اما القطعة الثانية فهي محفوظة بخزانة جامع القرويين بفاس ، وتقع في خمستسعين لوحة وتحتوى على تاريخ الاندلس من سنة (٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م) ، اى انها متممة لما قبلها وقد قام على نشرها وتحقيقها محمود على مكي سنة ١٩٧٣ م .

والقطعة الثالثة تضم مائة وسبع لوحة وتتناول التاريخ الاندلسى من سنة (٢٧٦ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٠ - ٩١٢ م) ، وقام على نشرها الراهب الاسبانى ملتشورا انطونيا بباريس سنة ١٩٣٧ م .

والقطعة الرابعة تضم تاريخ اربعة اعوام من حكم الخليفة المستنصر من

(١) الصفدى : الوافى ، ج ١ (ص ٤٩) ، المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ٤٩) .

وانظر Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, p.100

(٢) انظر مقدمة عبد الرحمن الحجى فى تحقيقه للقطعة الرابعة من المقتبس

(ص ١٤) .

سنة (٣٦٢ - ٣٦٥ هـ / ٩٧٢ - ٩٧٥ م) وقام بنشرها وتحقيقها د . عبد الرحمن الحجى سنة ١٩٦٥ م .
(١)

واخيرا القطعة الخامسة وهى خاتمة ما عثر عليه من المقتبس وتعد هذه القطعة اهم القطع وانفسها ، وقد عثر عليها بين محتويات الخزانة الملكية بالرباط ، وتتعلق بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر فتبتدى من سنة ٣٠٠ هـ ، وتنتهى بسنة ٣٣٠ هـ (٩١٢ - ٩٤١ م) ، وقد نشرت هذه القطعة بعناية بعض الباحثين وهم تالميتا وف . كورنيطى وم . صبح بالمعهد الاسبانى العربى للثقافة بمديرىد ١٩٧٩ م .

ويستهل ابن حيان هذا الجزء من كتابه بالحديث عن الخليفة الناصر ونسائه وابنائهم ، وموقفه من مذهب ابن مسره ، وسعيه للقضاء على حركته وافكاره ولم يمنع ذلك ابن حيان من نقد الخليفة فذكر عيوبه وسقطاته .
(٢)

وابن حيان كشأن من سبقه من المؤرخين يعتمد على من قبله منهم كالمؤرخ احمد بن محمد الرازى وابنه عيسى ، كما ينقل عن ابن الفرضى فى كتابه " تاريخ علماء الاندلس " وعن يوسف بن عبد الله الوراق الذى يصفه بانـه حافظ المغرب ، ويأخذ عن اعلام المؤرخين الآخرين كابن القوطية ، ومحمد بن حارث الخشنى ، ومعاوية بن هشام ، وابن عبد البر النمرى ، والحسن بن محمد القبشى ، واسحاق بن سلمة ويزداد اعتماده اكثر على المؤرخ احمد بن محمد الرازى وابنه عيسى .

وابن حيان فى كتاباته التاريخية يبدو حريصا على استقصاء ما يمكن استقصاؤه من الوثائق التاريخية . فيورد منها ما لا نكاد نجده فى اى مصدر آخر

(١) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٧٧ - ٢٧٨) بتصرف .

(٢) انظر ابن حيان : المقتبس ، القطعة او الجزء الخامس (ص ٣٧ - ٣٩) .

من مصادر التاريخ الاندلسي ، ومثال ذلك البيان الذى اصدره الحكم بن هشام بعد ثورة الربض المشهورة سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٨ م) وكتاب الخليفة الناصر عن حركة ابن مسره ومذهبه وتعاليمه .^(١)

وفيما يتعلق بمصادره عن الدولة العامرية وكتابه "المتين" فهى تختلف تماما عن مصادره فى المقتبس، فحياته التى قضى شطرا منها فى الدولة العامرية اكسبته الكثير من الخبرات والمشاهدات الشخصية ، وعلاقاته اليومية بالدولة العامرية ورجالها بالاضافة الى اعتماده على آراء والده خلف الذى عمل كاتباً للحاجب المنصور ، واقتباسه الكثير من المعلومات من كتاب المنصور كل ذلك اكسب كتاباته التاريخية طابع الصدق والموضوعية ، وكان حريصا ايضا على لقاء من لهم علاقة بالاحداث والقضايا التى يكتب عنها فيسأل من شارك فى صنعها او شاهدها ، ونراه يعتمد على الفقيه عبيد الرحمن بن محمد القرطبي فى كتابته عن الفتنة البربرية الواقعة بين سنتي (٣٩٤ - ٣٩٩ هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٩ م) ، والتى انتهت بمقتل عبدالرحمن شنجول^(٢) كما نقل عن الكاتب احمد بن برد وعن صديقه ابن زيدون وغير ذلك من الادباء والعلماء . ونجد ابن حيان ايضا يعنى بتوثيق علاقاته مع اصدقائه فى المدن الاخرى ويرغب اليهم فى الكتابة اليه بما يحدث فى مدنها وبلدانهم من احداث ووقائع حتى اذا وصلت رسالتهم اطلع على ما بها من معلومات تاريخية يضيفها الى كتاباته وتسجيلاته التاريخية .^(٣)

(١) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٧٥) ، وانظر كذلك مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس .

(٢) انظر مايدل على ذلك ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٦-٥٧٧) .

(٣) انظر مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس (ص ٨٩) وما بعدها ، وكذلك ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٤) .

وتتجلى فى كتابات ابن حيان اهم صفات المؤرخ القدير، وهو الالتزام بالموضوعية وتحرى الحقيقة والالتزام بالصدق والصراحة فى آرائه وعدم التملق والتزلف، فهو يدلى برأيه من غير تحامل او هوى .^(١)

واذا نحن طالعنا كتب مؤرخى العصور الوسطى سواء كانت اسلامية او غيرها نجد اكثرها كتبت فى ظل الرغبة او الرهبة، فلم تنجو من احط آفة على التاريخ وهى الكذب والتزوير فاكثر مؤرخى الاندلس قبل ابن حيان كابن عبد ربه وآل الرازى وابن القوطية وعريب بن سعد كانوا يعيشون تحت مظلة الدولة الاموية، وكانت كتاباتهم تسيرها اهواء الخلفاء والامراء فتسجل الاحداث والوقائع التاريخية حسب ما يروق لهم ويحذف منها ما لا يوافق سياستهم او ينسجم مع اهوائهم وميولهم . والذين خلفوا ابن حيان فى عصر المرابطين كالصيرفى وفى عهد الموحدىين كالبيذق والقطان كانوا هم ايضا واقعين تحت تأثير علاقتهم بملوكهم فخلعوا عليهم كثيرا من الصفات تنافى حقيقة الامر ويكذبها الواقع، اما ابن حيان فهو وحده تقريبا الذى استطاع ان يحطم قيود الرهبة ويخلص من التهافت على اعتاب الملوك والحكام، فكان تاريخه ذخيرة قيمة نفيسة قوامها الصدق والنزاهة .^(٢)

ولا يعنى هذا ان ابن حيان لم يتصل باحد من ملوك عصره، بل رأيناه كما سبق القول يعمل فى الدولة العامرية، ثم فى الدولة الجهورية، واخيرا

(١) ابن بشكوال : الصلة (ص ٢١١)، ابن سعيد : المغرب، ج ١ (ص ١١٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج ٢ (ص ٢١٨-٢١٩)، احمد امين ظهر الاسلام، ج ٣ (ص ٢٧٦-٢٧٧)، البستاني : دائرة المعارف ج ٧ (ص ٣٠٣)، أنخل بالنشيا : مرجع سابق (ص ٢١٠-٢١١)، مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (ص ٧٠١) وما بعدها .

(٢) مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس لابن حيان .

نجده يهدى كتابه "المتين" الى المأمون بنى ذى النون ملك طليطلة فيقول فى مقدمة كتابه بعد ان ذكر مسلكه فى تأليفه وماينصب عليه من أحداث (وكنتم اعتقدتلاستثثار به لنفسى ، وخبأه لولدى ، والضن بفوائده الجمة على من تنكب احمادى به الى ذمى ومنقصتى ، طويت على ذلك كشحا واوجبه عزما ، الى ان رأيت زفافه الى ذى خطبة سنه اتنتى على بعد الدار ، اكرم خاطب واسنى ذى همه الامير المؤمل الامارة المأمون ذى المجديين الكريم الطرفين ، يحيى بن ذى النون)^(١) .

واسلوب ابن حيان فى التاريخ اسلوب رفيع بليغ فقد كان فى كتاباته التاريخية ثاقب النظر عميق الفكر يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من قضايا ويسعى الى الكشف عن اسباب الوقائع ويناقش كل ذلك فى علم وفهم وذكاء هذا مع التزامه باسلوب قوى صاف غير ركيك ولا ضعيف .^(٢)

ومما يميز كتاباته التاريخية حرصه الشديد على الدقة والضبط فقد فاق بهما كل مؤرخ قبله ، فهو يغربل ما بين يديه من معلومات تاريخية بميزان نقدى علمى سابق لعصره حتى كأنه من نتاج هذا العصر ، كما انه كان معنيا باستقصاء اخبار الوقائع والاحداث وما يتعلق بها من اقوال وآراء فلا يكاد يغرب عنه شىء مهما صغر ودق مع المعرفة التامة بقيمة هذه الاشياء الصغيرة التى كثيرا ما تكمل الصورة الكبرى للاحداث والشخصيات ، فقيمتها لا تقل عن تسجيل عظام الاحداث ، والخيط الدقيق او لشعرة الفاصلة بين الامرين شىء لا يفتن اليه الا من اوتى الحاسة التاريخية التى ينسدر

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٨) .

(٢) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢١١) ، احمد هيكل : الادب الاندلسى (ص ٣٦٦) ، عبدالرحمن الحجى : اندلسيات (ص ١٠٢) .

وجودها الا مع القليل^(١) .

ومنهج ابن حيان فى الكتابة التاريخية مزيج بين طريقة الفصول
ومنهج الحوليات فيما يخص الغزوات والاحداث العسكرية ، ويتخلل تلك
المعلومات ترجمته للكثير من الشخصيات البارزة فى ذلك العصر .^(٢)

واخيرا فان ابن حيان بمنهجه العلمى المتميز وطريقته الفريدة فى
عرض التاريخ الى جانب ما تمتع به من صفات المؤرخ القدير قد فرض مكانته
العلمية ومنزلته السامية فى علم التاريخ على جميع المهتمين بالدراسات
التاريخية وخاصة الاندلسية منها ، حتى عد اعظم مؤرخ انجبته الاندلس فى
تاريخها والغرب كله الاسلامى والمسيحى منه على السواء طوال العصور
الوسطى^(٣) ، بل لانغالى فى انه يقف موقف الند مع فحول مؤرخى المشرق امثال
ابى الحسن على المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، والمؤرخ العظيم ابن
الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، فابن حيان جمع فى اسلوبه القوى فـن
البلاغة التى اتسم بها المسعودى ، وبين روح التحقيق التى تميز بها ابن
الاثير .^(٤)

ومن مملكة بنى عباد باشبيلية ظهر المؤرخ محمد بن عيسى المعروف
بابن مزين (ت بعد ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م) ، ويبدو انه كان من كبار المسهمين
فى نشاط الدراسات التاريخية ، فقد صنف كتابا فى تاريخ الاندلس فتواتر

-
- (١) مقدمة محمود مكى على الجزء الثانى من المقتبس لابن حيان (ص ١٠٦)
(١٠٧) ، وانظر كذلك لطفى عبدالبديع ، الاسلام فى اسبانيا (ص ٢٨١) .
(٢) محمد عنان : مرجع سابق (ص ٢٨١) .
(٣) مقدمة محمود مكى (ص ٧) .
(٤) محمد عنان : تراجم اسلامية (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(١) الاشارة اليه ممن جاء بعده من المؤرخين الذين اعتمدوه كمصدر نفيس .

ويشير آنخل بالنثيا الى ان من بين اهم ما اشار اليه من معلومات تاريخية قيمة ، حديثه عن "الرايات" التي دخلت الاندلس مع الجيش الاسلامي الفاتح ، والقبائل العربية التي كانت تنضوى تحت تلك الرايات ، كما انه افرد في كتابه فصلا هاما عن الملكية العقارية في الاندلس بعد الفتح .^(٢)

لكن الباحث في شك من مدى صحة نسبة هذه المعلومات الى ابن مزين ، فالحق ابن خبر الرايات منسوب الى المؤرخ محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) ، يدل على هذا ما ذكره محمد بن عبد الوهاب الغساني سفير الملك اسماعيل ملك المغرب الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا فقد اورد في كتابه "رحلة الوزير في افتكاك الاسير" اشارة عظيمة الفائدة عن كتاب الرايات لمؤلفه محمد بن موسى الرازي فيقول " قال محمد بن مزين وجدت في خزانة باشبيلية سنة ٤٧١هـ ايام الرازي بن المعتمد سفرا صغيرا من تأليف محمد بن موسى الرازي سماه بكتاب الرايات ذكر فيه دخول الامير موسى بن نصير ، وكم راية دخلت الاندلس معه من قریش والعرب فعدّها نيفا وعشرين راية^(٣)

(١) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٢١٢) ، وقد جانب الصواب في ذكر تاريخ وفاته عندما نص على انها كانت سنة ٤٧٠هـ ، والصحيح ما اوردناه اعلاه اذ ان النص الذي سيورده سفير مولاي اسماعيل الآتي ذكره يفيد انه كان في الحياة سنة ٤٧١هـ .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي (ص ٢١٢) .

(٣) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ج ٧ - ٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠م) (ص ٢٣٥) ، نقلا عن رحلة الوزير لمحمد بن عبد الوهاب ، بتحقيق الفريد البستاني (منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو) تطوان ١٩٣٩م . وانظر بقية النص عن الرايات في نفس الصفحة المذكورة ، وانظر ايضا لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا (ص ٦٨) .

وبناء عليه نجد ان دور ابن مزين هنا كان دور الراوى الذى روى قصة عشوره على الكتاب وليس هو الذى الفه او تنسب اليه معلوماته ، وبهذا يزول الالتباس الذى وقع فيه بالنشيا ، وهذا الالتباس غالبا مانجده فى سير بعض العلماء الذى يلف الغموض حياتهم او يقل مانجده عنهم من معلومات تكشف عن سيرهم وحياتهم وتصانيفهم .

وقد قام رنيهارت دوزى بنشر قطعة هامة من تاريخه عن افتتاح الاندلس وما اتبعه العرب الاول من نظم فى توزيع اراضيها ، وقد اثنى على أسلوبه فوصفه بالبساطة والوضوح والعمق^(١) .

وجدير بالذكر ان نشير الى ماصنفه ملك بطليوس المظفر بن الافطس (ت ٤٤٥ هـ / ١٠٦٣ م) ، فى هذا الميدان وهو كتابه الكبير المسمى " المظفرى " على غرار المتين لابن حيان ، وقد ضمن كتابه المذكور - كما يقول بعض المؤرخين - كثيرا من الآداب والاخبار والانساب^(٢) .

هذا وقد امدنا المؤرخون واصحاب التراجم باسماء الكثير من المؤرخين ولكن قلة المادة العلمية عنهم وعن سيرهم وآثارهم قليلة جدا وفرضت علينا التعرض لهم بايجاز فمن بينهم العلامة احمد بن سعيد بن ابى الفياض الاستجى من اعلام مملكة المرية (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) ، وكان من شيوخه العلامة المقري احمد بن محمد الطلمنكى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) وقد صنف ابو الفياض كتابا فى التاريخ والجغرافيا اسماه " العبر " ونشر ميخائيل الغزيرى جزءا منه ظنا منه انها للرازى^(٣) .

(١) ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ (ص ١٧) ج رقم ١ .

(٢) المقري : النفع ، ج ٣ (ص ١٨١) .

(٣) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٢١٢) ، وانظر البغدادى

هدية العارفين ، ج ١ (ص ٧٨) .

والحق انه ليس لدينا من كتابه المذكور سوى ما اشرنا اليه وعدد من الاوراق التي اندرجت خطأ في نهاية مخطوطه " الحلة السراء " ، وتبدأ بالتفاصيل الاخيرة لحملة طارق على الاندلس ، وفي نهاية الصفحة الاولى من هذه الاوراق نجد عبارة " تم الجزء الاول " مكتوبة بخط يختلف عن خط المخطوطة ، ثم يلي ذلك عنوان كبير هو " ذكر استفتاح طارق لجزيرة الاندلس " وهو خطأ والصحيح من السياق هو ان يكون العنوان : " ذكر استفتاح موسى لجزيرة الاندلس " (١) .

ومن مؤرخي مملكة بني عباد باشبيلية العلامة الاديب الشاعر احمد بن محمد بن احمد بن زيدون المخزومي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ، قالى جانب مكانته الادبية والشعرية فقد كان بارعا ايضا فى ميدان التاريخ والانساب وكان لعمره المديد واطلاعه الواسع على تاريخ بنى امية فى الاندلس اثر فى اندفاعه لتسجيل اخبارهم وسير ملوكهم واعيانهم فاملى على اخيه المسمى زيدون كتابا فى امراء بنى امية وبني هاشم وسلك فيه مسلك المسعودى فى كتابه " التعيين فى خلفاء المشرق " وسمى مصنفه " التبيين فى خلفاء بنى امية بالاندلس " (٢) .

وفى هذا العصر لمع نجم الاديب المؤرخ ابو طالب عبد الجبار من اعلام مملكة بني عباد باشبيلية وقرطبة (٤٥٠ هـ - ٥١٦ هـ / ١٠٥٨ - ١١٢٢ م) ويذكر احسان عباس ان المصادر التاريخية لم تذكر نسبه وان المفـ

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ، مقال سبق ذكره (ص ٣٠١) .
 (٢) المراكشى : الذيل والتكملة ، ج ١ (ص ٣٦٨ - ٣٦٩) ، المقبرى : النفح ، ج ٣ (ص ١٨٢) ، البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ (ص ٧٩) .

والمسالك يعتمدان على الذخيرة في ايراد ترجمته ، وان العماد فـى الخريده يعتمد فى ذكر سيرته على تاريخ الاندلسيين بمصر فتعرف السى كنيته ، ثم وجد فى مجموع ابن الصيرفى المصرى ان كنيته ابو الوليد ^(١) .

والحق ان الباحث يود ان يشير الى ان احسان عباس قد استعجل فى اصدار حكمه على شح المصادر التاريخية فى ذكر نسب ابى طالب ، فابن بشكوال اورد اسمه بالكامل وذكر نسبه ايضا وموطنه فقال (عبد الجبار بن عبد الله بن احمد بن اصيغ بن عبد الله بن احمد القرشى المروانى من اهل قرطبة ويكنى بابى طالب) ^(٢) . وذكر ان له كتابا فى التاريخ اسمه " عيون الامامة ونواظر السياسة " وان له معرفة واسعة بالادب والتاريخ ، كما اشار السى مولده ووفاته وهما ما ذكرناه سابقا ^(٣) .

وبناء عليه فان ظلال الغموض التى تصورها احسان عباس حول سيرة ابى طالب ، ونسبه وتاريخ مولده ووفاته ، ليس لها مبرر ولا تستند الى الحقيقة بعد نفينا ذلك .

ولا بى طالب ارجوزة فى التاريخ ضمنها الكثير من المعلومات الهامة عن احداث التاريخ وقد استهلها بذكر آلاء الله ونعمه على الانسان ، ثم بديع صنعه فى الملكوت ، وبعد ذلك وصف بدء الخليقة واولية الخلق وسرد اسماء الانبياء المذكورين فى القرآن الكريم ثم بدأ فى ذكر خلفاء بنى امية فى المشرق ثم بنى العباس حتى خلافة القائم بامر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ /

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٩١٦) ح رقم ١ .

(٢) الصلة ، ج ٢ (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) .

(٣) نفس المصدر والجزء (ص ٣٨) ، وانظر ايضا : البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ (ص ٣٩٩) وكذلك ايضاح المكنون ، ج ٤ (ص ١٣٣) .

١٠٣٠ - ١٠٧٤ م) ، واخيرا ذكر دولة بنى امية فى الاندلس ونهاية حكمهم
ثم ملوك الطوائف ونهاية سلطانهم وختم ارجوزته بدولة المرابطين حتى
عصر على بن يوسف بن تاشفين .^(١)

ولابأس ان نشير الى بعض ابيات الارجوزة حول عصر الطوائف فى
الاندلس فقال :

ثم تمادت هذه الطوائف	تخلفهم من آلهم خوالف
دانت بدين الجور والعدول	اذ سلبت عقائل العقول
فاهملوا البلاد والعباد	وعطلوا الشغور والجناد
واشتغلت اذهانهم با	وبالاغاني وسماع الزمر
وزادهم فى الجهل والخذلان	ان ظاهروا عصابة الصلبان
لما طوت صدورهم من غل	ولا اختبار البعض حال الكل
فخسفت (. . .) بالارض ^(٢)	وضيقوا من طولها والعرض
فاستولت الروم على البلاد	واستعبدوا حرائر العباد ^(٣)

ولعل اهمية هذه الارجوزة تعود الى الجزء الخاص منها بالاندلس
وخاصة مايتعلق بملوك الطوائف وماكانوا عليه من سلوك وصفات اوردها فى
ارجوزته وصور حالهم آنذاك - وهو الذى عاصرهم - اتم تصوير على الحقيقة
وهو مايفسر لنا تعاظم الخطر النصرانى وضعف اولئك الحكام من المسلمين
ازاء ذلك الخطر الدايم ، ويمكن لدارس تلك الارجوزة الحصول منها على

(١) انظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٩٢٠ - ٩٤٤) وانظر

ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج ١ (ص ٤٩٩) .

(٢) الفراغ بين الحاصرتين ساقط فى الاصل .

(٣) ابن بسام : نفس المصدر والقسم والجزء (ص ٩٤٣) .

بعض المعلومات الهامة عن تاريخ الاندلس واطلاعه العميق على التاريخ وحقائقه ، وحق لابن بسام ان يقول (وله ارجوزة فى التاريخ اغرب فيها ، واعرب عن لطف محله من الفهم ، ورسوم قدمه فى مطالعة انواع العلم ، وقد اثبتناها على طولها ، لاشتمال فصولها على علم جليل ، وباع فى الخبر طويل)^(١) .

ولابن بسام المذكور المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (منشأه بمملكة بطليوس)^(٢) يد بيضاء على هذا العلم ، فقد صنف كتابه الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة وقد سبقت الاشارة الى هذا العالم وكتابه فى ميدان الادب ، الا ان كتابه هذا حفظ لنا الكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن ملوك وامراء ووزراء ، واعيان وعلماء وادباء وشعر الاندلس فى المئة الخامسة للهجرة وقد اعتمد فى هذا الجانب التاريخى على مؤرخ هذا العصر ابن حيان ، فهو يقول (وسينخرط فى سلك ما اوشح به هذا التصنيف ، من تلخيص التعريف باخبار ملوك الاندلس ، وسرد قصصهم الماثورة ، ووقائعهم المبيرة المشهورة لابن حيان ، فصول من غرائب وجل وتفاصيل من عجائبه لاني اذا وجدت من كلامه فصلا قد احكمه ، او خبرا قد سرده ونظمه ، عولت على ما وصف ووليت به خطة ماسطر وصنف)^(٣) .

-
- (١) الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٩١٦) .
 (٢) كانت ولادته ونشأته العلمية بمدينة شنترين القريبة من بطليوس عاصمة بنى الافطس . انظر الحميرى : الروض المعطار (ص ٣٤٦) .
 (٣) الذخيرة ، القسم الاول ، ج ١ (ص ٣٤ - ٣٥) ، وانظر فيما يتضمن هذا المعنى مصطفى الشكعة : مناهج التأليف (ص ٦٣٤) .

وتتضح أهمية ما نقله ابن بسام من النصوص التاريخية لابن حيان
اذا ما علمنا ان تأليف الاخير قد فقدت ولم يسلم من الضياع الا شيء يسير
بالنسبة لما فقد منها ، فابن بسام بذلك له فضل كبير لا ينكر على التاريخ
الاندلسي ، رغم موقفه النقدي لابن حيان من انه كان شديد الوطأة في نقد
كثير من الاعلام وتجريحهم وذكر مثالبهم .^(١)

ولكن الباحث له ملاحظة على هذا النقد من ابن بسام لابن حيان
فمع التزامنا بتقدير الناس ومراعاة مشاعرهم الا ان المؤرخ الصادق يجب عليه
ان لا يحابي احدا او يتملق ذى سلطان بل عليه ان يحرص على قول الحق
وذكر الحقيقة من غير هوى او تحامل ، وما من شك ان هذه الصفة الهامة من
الصفات التي رفعت شأن ابن حيان وجعلته في الصدارة من مؤرخي الاندلس
والغرب في العصور الوسطى ونظيراً لكبار مؤرخي المشرق من غير شك . ولكم
عانى تاريخنا من كثير من المؤرخين الذين افتقدوا تلك الصفة فغيروا الحقائق
وقلبوا وجوهها وطمسوا الكثير من الاحداث واختلقوا بدلا منها احداثا
اخرى فغدا كثير من تاريخنا يدعو للشك فيما ورد فيه من كتابات ومعلومات
وبحاجة اشد لغربلته واعادة كتابته بعد المراجعة الدقيقة وتحري صحة
ما يشتمل عليه من احداث ووقائع .

هذا ولا بد لابن بسام فضل آخر في تأليفه لكتابه الذخيرة ، فقد ضم كثيرا
من تراجم ملوك وعلماء وادباء الاندلس في القرن الخامس الهجري / الحادي
عشر الميلادي ، ولهذا فهو من انفس الكتب التي لا يستغنى عنها اي باحث في
تاريخ الاندلس وآدابه .

وقد تفوق ابن بسام على معاصره الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مؤلف

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ (ص ٥٧٤) .

القلائد والمطمح ، فابن بسام فى الذخيرة يفوقه بمراحل ، فهو شديد العناية بفحص الروايات والاخبار ومعرفة صحيحها من سقيمها ، كما انه يلتزم فى معظم ما عرضه من تراجم جانب الصدق والتحلّى بالموضوعية وهو امر يفتقده ابن خاقان الذى ارتبط مدحه او ذمه بعلاقته الشخصية بصاحب الترجمة ومعدى ما كان قد اسدى اليه من مصلحة او نفعه بصلة . فهو مثلاً عند ترجمته لابی بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه فى كتابه القلائد حط من شأنه والصق به كثيراً من النقائص بل طعن فى دينه . ثم نراه يترجم له بعد ذلك فى المطمح فخلع عليه من المحاسن والمناقب ما رفعه بها مكاناً علياً ، وهو بهذا قد نهج مسلكاً ينافى النزاهة والصدق والموضوعية فتراجمه فى كلا كتابيه معرضة للشك وعدم التسليم بها تقريباً .

وذاع صيت آخر ملك من ملوك غرناطة المسمى بعبد الله بن بلقين وكان قد تولى العرش بعد وفاة جده باديس بن حبوس (٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م) وظل ملكاً على غرناطة فترة من الزمن اتسمت بالاضطرابات والصراعات مع جيرانه حتى اسقط المرابطون عرشه سنة (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) وارسلوه الى اغمات فكتب بها مذكراته التى تحدث فيها عن نشأة دولة بنى زيرى فى غرناطة ، وتحدث عن عهد باديس بن حبوس والاحداث التى وقعت فى عصره وصراعه مع جيرانه على المناطق المجاورة ، ويتحدث ايضا عن امارته لغرناطة وعلاقاته مع جيرانه كصاحب المرية والفونس السادس والمعتمد ، هذا الى جانب توضيحه للاحداث الداخلية فى غرناطة ، ثم تحدث عن نجدة المرابطين لاهل الاندلس وموقعة الزلاقة ، وتوجس عبد الله خيفة من المرابطين بعد حصار حصن لبيط ثم تسليمه مدينة غرناطة للمرابطين وحديثه عن ذلك ، واخيراً يتحدث عن اسقاط المرابطين لعروش ملوك الطوائف . ويختتم كتابه بتأملات ونظرات فى العلوم والآداب . والكتاب يمتاز بقيمته التاريخية عن عصر الطوائف كما انه يوضح لنا

صورا شتى عن الحياة الاجتماعية السائدة فى ذلك العصر .^(١)

ويلحق بمؤرخى هذا العصر العلامة ابو محمد عبد الله بن على الرشاطى^(٢) (٤٦٥ - ٥٤٢ هـ / ١٠٧٢ - ١١٤٧ م) من اهل اوريو^(٣)له ، وحل بمملكة المعتصم بن صمادح بالمرية فى بداية حياته ، وكان متضلعا فى التاريخ والانساب عارفا باللغة والادب ، وتعود شهرته الى كتابه القسيم المسمى " اقتباس الانوار والتماس الازهار فى انساب الصحابة ورواة الآثار^(٤) " .

وكان للقاضى المفسر عبد الحق بن عطية (٤٨١ - ٥٤٢ هـ / ١٠٨٨ - ١١٤٧ م) ، انتقادات على كتاب الرشاطى ، لكن الاخير رد عليه فى كتاب اسماء " اظهر فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد " ، وفيه اظهر بطلان آراء وافكار عبد الحق وفساد ما استدل به من شواهد ، وقد اتسم رده على عبد الحق بالتعسف والشدة^(٥) .

ولمع من المؤرخين فى اواخر هذا العصر العلامة عبد الله بن ابراهيم الحجارى الصنهاجى . وكان والده ابراهيم من علماء بلاط المأمون فى طليطلة

(١) انظر الامير عبد الله : التبيان (ص ١٦ ، ٣٠ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٤٧) .

(٢) الرشاطى : نسبة الى ما ذكر عن احد اجداده وكانت بجسمه شامة كبيرة ، وكانت له خادمة اعجمية تحتضنه فى صغره ، فاذا لاعتبه قالت له رشطاله ، وكثر ذلك منها ف قيل له الرشاطى . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ١٠٦ - ١٠٧) .

(٣) اوريو له ، مدينة بشرق الاندلس بينها وبين مرسية اثنا عشر ميلا الى الشمال الشرقى . الحميرى : الروض (ص ٦٧) .

(٤) الضبى : بغية الملتص (ص ٣٤٩) ، ابن البار : المعجم (ص ٢٢٧ - ٢٢٨) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ١٠٦ - ١٠٧) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ (ص ٢٢٣) ، الا ان ابن البار وابن

خلكان ذكرا ان مولده كان سنة (٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) .

(٥) انظر ابن البار : المعجم (ص ٢٢٨) .

وله صنف كتابه " مغناطيس الافكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والاخبار^(١) .

وبناءً عليه فان ابنه عبد الله قد قضى شطرا من عمره في مملكة طليطلة وكان لمكارم ابيه العلمية اثرها الكبير على حياته العلمية ، ويبدو انه نهج نهجه في الاهتمام بالتاريخ والتراجم .

وكان النصارى عند تغلبهم على مدينة الفرج بقيادة الفونسو السادس ملك قشتاله وليون سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) ، قد اجبروا الكثير من علمائها على الهجرة عنها وكان من بين هؤلاء مؤرخنا عبد الله بن ابراهيم الحجارى الذى خرج عن مدينته وهو فى طور الشباب حيث قصد مدينة شلب ، لكنه مالبث ان غادرها الى غرناطة ، ومنها الى قلعة بنى سعيد المعروفة بقلعة يحصب حيث نزل لدى صاحبها عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد الذى يرجع فى نسبه الى الصحابى الجليل عمار بن ياسر ، فاکرم نزل الحجارى وقربه اليه ، فاقام الحجارى لديه ما يقارب السنة الف فيها كتابه " المسهب فى غرائب المغرب^(٢) ، ثم فارق مكانه الى روطه ليحل ضيفا على اميرها عماد الدولة عبد الملك بن احمد بن هود الملقب بالمستعين الذى اشتبك فى احدى معاركه مع البشكنس فهزم جيشه وكان معه مؤرخنا المذكور فوقع فى الاسر واخذ فى اسره يستعطف ابن هود فى تدبير فديته لينطلق من اسره ، غير انه

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٢) ، الحجارى نسبة الى وادى الحجارة وهى مدينة تعرف بمدينة الفرج من املاك مملكة بنى ذى النون وهى تقع الى الشمال الشرقى لقرطبة ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا . الحميرى : الروض (ص ٦٠٦) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ج ٢ (ص ٣٥) ، ابن الخطيب : الاحاطة ج ٣ (ص ٤٣٣) ، حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير ، ج ٧ - ٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ (ص ٣٤٦ - ٣٤٧) .

لم يجد لديه اذنا صافية فخاطب عبد الملك بن سعيد فى ذلك فارسل بفديته
مما كان له ابلغ الاثر عليه فعاد الى قلعة بنى سعيد مادحا لهم شاكرًا
احسانهم وحسن صنيعهم به .^(١)

ويذكر بونس بويجسان مولد الحجارى كان سنة (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) ،
ووفاته سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ، ولا شك انه جانب الصواب فى ذكر ذلك ، فاذا
سلمنا بانه غادر مدينة الفرج بعد استيلاء الفونسو عليها سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥)
فان من الطبيعى ان يكون على قيد الحياة بل وفى سن من يهاجر ويرتحل
ونفترض على ذلك ان عمره كان فى حدود العشرين سنة ، فهو على هذا الافتراض
من مواليد ٤٦٧ هـ .^(٢) ووفاته ايضا لاتصمد للنقد ، على الرغم من ان حسين
مؤسرى امكانية وقوعها ولكنها ليست مؤكدة ، كما يذكر محمد عنان ان وفاته
كانت سنة ٥٢٠ هـ / ١١٥٥ م .^(٣)

ويشير على بن سعيد فى كتابه المغرب الذى بناه على تأليف الحجارى
ان هذا كان من اهل العلم الواسع وانه ممن بسق فى صناعة النظم والنشر
وان تصنيفه " المسهب " هو اصل كتاب المغرب ، فهو اول من فتح باب التصنيف
فى ذلك .^(٤)

ويتضح من الطريقة والمنهج الذى سار عليه المؤلف ومن اتى بعده من
بنى سعيد المكملين لتأليف ذلك الكتاب ، انه يحتوى معلومات جغرافية
وتاريخية وادبية عن كل كورة من كور الاندلس ، ويمكن ان نرجع مصادره الى ثلاثة

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٣ - ٤٣٤) .

(٢) حسين مؤنس : المقال السابق (ص ٣٤٩) .

(٣) انظر الاحاطة ، ج ٣ (ص ٤٣٥) ح رقم ٥ .

(٤) المغرب ، ج ٢ (ص ٣٥) .

انواع هي : المشاهدة ، والرواية الشفوية والمصنفات التي استمد منها مؤلفوه والوسيلة الاولى وهي المشاهدة والمعaine وسيلة صادقة لجمع المعلومات الجغرافية عن الكور المختلفة وخصائصها المعدنية والنباتية ، والحجاري هو فاتح هذا الباب والفضل للمتقدم ، اما الرواية الشفوية فتتم بلقاء العلماء والادباء والاخذ عنهم مشافهة . واما مصادر الكتاب فهي كتب السابقين ككتابات احمد الرازي ، وتاريخ ابن حيان والحميدى ، والمغرب لابن اليسع ، والبديع لحبيب ، والحدائق للجيانى وغير ذلك^(١) .

واخيرا فان ميدان التاريخ شهد تطورا وازدهارا ملحوظين فى هذه الفترة ، فبرز فى هذا العلم عدد وافر من العلماء واثروا ميدانه بالكثير من الدراسات التاريخية القيمة الدالة على عظم مكانتهم وتألقهم العلمى .

وجدير بالذكر ان كتب التاريخ والتراجم تشير فى الكثير من المواضع الى اعداد كبيرة ممن كانت له مشاركة فى التاريخ واسهام فى نمائه . ولكن من ذكرناهم يعدون ابرز مؤرخى تلك الفترة واشهرهم على الساحة العلمية فى علم التاريخ ، ولكن من حق غيرهم ممن شارك فى ذلك النشاط ولم يرد ذكرهم آنفا ان نشير اليهم اشارات سريعة فمن هؤلاء ابن العربى الذى الف كتابه " العواصم من القواصم " وفيه دافع بشدة عن مالحق بسير بعض الصحابة من تزيف وتشويه للحقائق امثال على بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وغيرهم^(٢) .

وينسب لابن العربى ايضا كتاب آخر اسمه " اعيان الاعيان "^(٣) .

-
- (١) انظر مقدمة شوقى ضيف على المغرب ، ج ١ (ص ١٣ - ١٤ - ١٥) .
 (٢) هذا الكتاب مطبوع وحققه محب الدين بن الخطيب .
 (٣) البغدادى : ايضاح المكنون ، ج ٣ (ص ١٠٥) .

وللعامة المؤرخ احمد بن عبدالرحمن بن مظاهر الانصارى الطليطلى
(ت ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م) (من اعلام مملكة بنى ذى النون) مشاركة جيدة فى
التاريخ بتصنيفه كتابه " تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها " وقد اعتمد عليه ابن
بشكوال كأحد مصادر كتابه " الصلة " وفى ذلك دلالة على القيمة الكبيرة لكتاب
ابن مظاهر .^(١)

كما الف المقرئ ابو عمرو عثمان بن سعيد الدانى كتابا فى تاريخ
طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخلفين الى
عصر مؤلفه وجامعه على حروف المعجم .^(٢)

وفى ذلك اشارة الى النشاط الواسع الذى تمثل فى تأليف كتب المعاجم
والطبقات الى جانب ما ذكرناه سابقا فى مقدمة الحديث عن التاريخ وبروز كثير
من الدراسات التاريخية المتخصصة فى فئات اهل العلم والمعرفة .

كما ينسب لابن حمديس الصقلى شاعر المعتمد بن عباد (ت ٥٢٧ هـ /
١١٣٢ م) كتاب فى " تاريخ الجزيرة الخضراء " .^(٣)

ومن الكتب النفيسة فى تاريخ الاندلس كتاب محمد بن علقمة (ت ٥٠٩ هـ /
١٠٣٦ م) " البيان الواضح فى الملم الفادح " ، وقد سبقت الاشارة اليه فى
مقدمة الحديث عن التاريخ كمثال على الكتب المتخصصة فى تواريخ الاقاليم
المحددة . وفى هذا الكتاب وصف لسقوط مدينة بلنسية فى يد النصارى
بزعامة السيد القمبيطور (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) وما حل بها من البلاء والوبال
وما من شك ان ما حواه ذلك الكتاب من معلومات تاريخية تعد من اصدق الكتابات

-
- (١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٧٠) .
(٢) ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه (ص ٧٢) .
(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ١ (ص ٢٩٠) .

لان صاحبها كان شاهد عيان لما دار فى مدينته من احداث ووقائع . وقد تضمن ذلك الكتاب المراثية الشهيرة التى نظمها الاديب الفيلسوف ابو الوليد هشام بن احمد الكنانى الوقشى - نسبة الى وقشة من اعمال طليطلة - وفى تلك المراثية بكى بلنسيه وماحل بها ، ومن الاسف ان اصل هذه المراثية قد فقد ولم يبق منها الا صور مكتوبة بحروف لاتينية فيما وجد من نسـخ (١) " تاريخ اسبانيا العام" الذى سعى لتصنيفه الفونسو العاشر .

(١) آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ١١٦ - ١١٧) ، حسين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، ج ٣ ، ١٩٥٠ م ، العدد الاول (ص ٦٥) .

“ الجغرافيا والرحلات الجغرافيه ”

(١) الجغرافيا عند المسلمين - استفادة جغرافيي الأندلس من دراسات
الاغريق واللاتين في الوصف الجغرافي للأندلس - اتجاهات
التأليف الجغرافي عند العرب ، بوجه عام . - ازدهار هذا
العلم قبيل عصر الطوائف - مشاهير الجغرافيين في عصر الطوائف
واسهاماتهم العلمية في الجغرافيا .

(٢) الرحلات الجغرافيه ، ولع الأندلسيين بالرحلات ، الإشارة
الى بعض الرحلات قبيل عصر الطوائف - ابرز الرحالة في عصر
الطوائف .

=====

” الجغرافيا عند المسلمين ”

لم يكن لدى العرب حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى كلمة ” جغرافيه ” للدلالة على هذا العلم الذى يدرس الأرض والذى كانوا يدرسونه فعلا . فهذه الكلمة التى أخذت عن اليونانية كحال الكلمة المستعمله فى الفرنسية والانكليزية ظلت تعتبر فى الشرق حتى العصر الحديث كلمة علمية لانجد لها فى العربية مقابلا كما اشار الى ذلك حاجى خليفة اثناء حديثه عن هذا العلم ^(١) . كما انها لم تكن تمثل فكرة علماء العرب عن هذا العلم . بل تمثل فكرة الجغرافيين اليونانيين وبالأخص فكرة بطليموس عنه . وقد اعتبر العرب هذه الكلمة اجنبية فلم يضيفوا لها أل التعريف وفى حالات نادرة استخدموها كعنوان لبعض مؤلفاتهم كالذى سلكه العلامة محمد الزهرى الاندلس . وكان ذلك ابتداء من القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى وقصد بها خارطة البلدان والطرق . كما نجد ان اخوان الصفا أول من استخدموها للدلالة على علم خاص . . ونلاحظ ان الاصطلاحات التى استخدمها العرب للدلالة على العلوم الجغرافية هى علم الاطوال والعروض . وعلم تقويم البلدان . وعلم المسالك والممالك وعلم عجائب ^(٢) البلدان .

وجدير بالذكر ان الجغرافيين العرب كانوا أول من حطم القيود التى

(١) كشف الظنون ، ج ١ ص ٥٩٠ .

(٢) عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب، ص ٢٩-٣٠ .

فرضتها الكنيسة فى أوروبا على الدراسات الجغرافية فقد كانت الكنيسة تعدها ضربا من السحر والشعوذة والدجل . وانها لاتفيد الانسانية . فحسبى العرب الى بعث النظريات الاغريقية فد رسوها وصححوها بعضها . كما افادوا من الثقافات الاخرى للامم الاخرى كالمصريين والهنود والفرس .^(١)

" استفادة جغرافيين الاندلس من الدراسات الاغريقية واللاتينية "

وفيما يتصل بالاندلسيين لا نشعر فى انتاجهم الجغرافى ذلك التأثير العميق بالنظريات الشرقية واليونانية الذى نجده غالبا على كثير من المؤلفات الجغرافية فى المشرق . غير ان الاندلسيين افادوا من الاغريق واللاتين فى الوصف العالم للجزيرة الاسبانية . وتحديد المواقع وتقدير المسافات ولكنهم لم يلتزموا بما اوردوه عن التقسيم الجامد الى اقاليم ذات خصائص فلكية او ارتباط ببروج الفلك . وغاية ما نلاحظه تاثرهم بالتقسيم البطليموسى . وهو تحديد موقع الاندلس فى الاقاليم الرابع والخامس والسادس لتحديد موقعه بالنسبة للاقطار الأخرى .^(٢)

والعرب يحكم فتوحاتهم الاسلامية ولعوامل اخرى تتعلق بالتجارة وطلب العلم والحج اتجهوا للعناية بعلم الجغرافيا واتصلوا بالعالم الخارجى واثبتوا من خلال ذلك انهم مهرة حاذقون فى معرفة البلدان ومسيرة الحضارات المختلفة وهضمها والتعامل معها بما ينم عن ذكائهم وحسن درايتهم بما

(١) عبد الرحمن حميده : المرجع السابق، ص ٢٨ .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة

معهد الدراسات الاسلامية بميدريد ٤ ج ٧ - ٨ ص ٢١٠ - ٢١١ .

يلاقونه ويواجهونه من احوال وظروف مختلفة^(١).
 "اتجاهات التأليف الجغرافي العربي"
 وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما بعده يلاحظ اربعة

اتجاهات في التأليف الجغرافي العربي وهي :

(١) العناية باقطار العالم الاسلامي وهذا ما يبدو من كتابات البلخي

والاصطخري والمقدسي .

(٢) التخصص في قطر واحد كالهمداني في " جزيرة العرب " والبيروني في

الهند .

(٣) وضع المعاجم الجغرافية وهذا شيء بدأ في القرن الخامس الهجري ،

فالبكري صنف في ذلك .

(٤) وضع الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري

الرابع عشر الميلادي كنهاية الارب للنويري والمسالك للعمري وهي

(٢)

كتب اعتنت بما يسمى بالجغرافيا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ومن الواضح ان الجغرافيا آنذاك قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتاريخ وهو

ما نلاحظه لدى المؤرخين الجغرافيين في المشرق والمغرب على حد سواء

كالعلامة المسعودي (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) واليعقوبي (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

في المشرق ، وكذلك لدى احمد بن الرازي (٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م) والعذري في

المغرب لانهم يرون انهم اثناء الكتابة التاريخية مضطرين الى وصف مسرح

الاحداث واماكن وقوعها .

(١) قد رى طوقان : العلوم عند العرب ص ٧١ يوضع شرطه هكذا - بين كل كتاب وكتاب آخر نقولا
 زيادة والرحلات ص ١٢ وانظر الى العوامل التي دفعت العرب للاهتمام

بالجغرافيا غير ما ذكر لدى عبد الرحمن حميده . اعلام الجغرافيين العرب ،
 ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص ١٢-١٣ .

ومن المؤسف ان الذى وصل اليه من الانتاج العلمى الاندلسى في ميدان الجغرافيا يعد ضئيلا فمثلا لا نملك باستثناء الادريس كتابا واحدا كاملا ألفه اندلسى في جغرافية الاندلس فمن بين اشهر جغرافيتها العلامة احمد بن يوسف العذري (٣٩٣-٤٧٨ هـ / ١٠٠٢-١٠٨٥ م) لا نجد له من مؤلفاته القيمة الا قطعا اعداها للنشر عبد العزيز الالهوانى . . ولا نملك الا اورقا ضئيلا للبكري في جغرافية بلده الاندلس ، ومثلها ابو بكر عبد الله بن الحكم المعروف بالنظام (عاش في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) .^(١)

تأثير كتاب هرشيش على الدراسات الجغرافية والتاريخية

فى الاندلس

وكان لكتاب هرشيش^(٢) فى التاريخ تأثير لا بأس به على الكتابة التاريخية والجغرافية للاندلسيين واهم ما نقلوه عنه فى ميدان الجغرافيا وصفه لاسبانيا

(١) حسين مؤنس : المقال السابق ، ص ٢١٩-٢٢٠ .

(٢) هو المؤرخ الاسبانى بول اوروسيوس Paulus Orosius اصله من اقليم براكارا Bracara فى مقاطعة جليقيه فى الشمال الغربى من اسبانيا ومولده كان بين سنتي ٣٧٥ م - ٣٨٠ م ، وكان قسيساً وحدث ان ان سقطت روما ٤١٠ م تحت هجمات القوط . واتفق فى ذلك الوقت وما قبله بقليل ابتداء من قسطنطين الاول (٣٢٤-٣٣٧ م) اعتناق المسيحية فى الدولة الرومانية مما جعل الوثنيين يشيرون الى ان سبب انهيار عاصمة الدولة الرومانية هو اعتناقها المسيحية ، فرد عليهم القديس اوغسطين بكتاب مدينة الله ثم رأى ان عمله ناقصا فطلب من اوروسيوس وكان هذا قد وُجد عليه فى تونس حيث كان بها مركز اسقفية اوغسطين - تاليف كتاب عن احوال الامم وتاريخ الانسانية منذ البداية حتى سنة ٤١٦ م . يبين فيه ما اصاب الانسانية من كوارث ومصائب على مدى تاريخها ويبرهن فيه للوثنيين ان ما اصاب روما ليس من عمل المسيحية بل هو امر طبيعى يمر بالانسانية فقام اوروسيوس بانجاز تلك المهمة ونشر كتابه فى التاريخ ٤١٧ م - ٤١٨ م (انظر اوروسيوس : تاريخ العالم الترجمة العربية القديمة وكذلك مقدمة محققه عبد الرحمن بدوى) .

حيث قال (البلد الذى يدعى الاندلس جميعه محدد عليه الا قليلا بالبحر المحيط والبحر المتوسط وهو بلد مكن ذو ثلاثة اركان : فركنه الواحد يقابل الشرق فيما بلد اقطانية وبين البحر المتوسط مقابل جزيرة ميورقة ومنورقه وهنالك يجاور بحر بونه وركنه الثاني فيما بين الغرب والجوفن ناحية برغنسه فى جيلقية حيث الجبل العالى الذى فيه المغارة مقابل بلد برطانية وركنه الثالث بناحية جبل قادس^(١) .

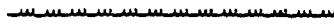
وكانت مقدمة هرودوت الجغرافية على تاريخه والتي ابتداها بتقسيم الارض الى اسيا وأوروبا وافريقيا وما بها من البلدان وحدودها وما يتخللها من البحار أو الانهار ثم الحديث عن الجزر فى البحر المتوسط ثم وصف كبار البلدان وما بها من الجبال والكور ولا نهار فى المشرق والمغرب . هذه المقدمة الجغرافية التاريخية أصبحت منهجا علميا سار عليها مؤرخوا الاندلس فى تصديرهم لكتبهم التاريخية بمقدمة جغرافية وجدير بالذكر ان جغرافيين الاندلس لم يقفوا مكتوفي الايدي امام النصوص التى نقلوها عن هرودوت بل انهم اضافوا اليها الكثير مما اكتسبوه من معلومات وخبرات توفرت لديهم عن طريق الخير والتجربة العملية عن رحلات ومشاهدات للظواهر والمعالم الجغرافية^(٢) .

هذا وقد ذكرنا فيما مضى انه لم يصلنا من الانتاج العلمى الجغرافى للاندلسيين الا شىء ضئيل وهو امر يجبرنا على التريث والتمهل فى اصدار احكامنا وآرائنا تجاه هذا اللون من النشاط لعملى ومدى ما اسهم به

(١) تاريخ العالم ، الترجمة العربية القديمة ، ص ٦٧ . وانظر فيها وما بعد تقسيمه للاندلس وذكره لجزرها .

(٢) حسين مؤنس . الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال سابق ٢١٨)

الاندلسيون في تطور الفكر الجغرافي الاسلامي . فان ضياع او اختفاء الكثير من الوان الانتاج الجغرافي للمؤرخ الجغرافي احمد بن محمد الرازي (٢٧٤ هـ - ٣٤٤ هـ / ٨٨٢ - ٩٥٥ م) ومن بعده محمد بن يوسف الوراق ، و احمد بن يوسف العذري ، و محمد بن ابي بكر الزهري (حيا في القرن السادس الهجري) لا يسمح لنا بوضع التصور الصحيح لما كانت عليه حال الدراسات الجغرافية آنذاك وكل ما يمكننا عمله محاولة رسم اقرب التصورات عن ذلك النشاط بتلمس بقية آثارهم المبعثرة في بطون لكتب ، او على شكل قطع واجزاء صغيرة سلمت من الضياع . .



"ازدهار الدراسات الجغرافية في الاندلس قبيل عصر الطوائف"

وجدير بالذكر ان نشير بايجاز الى النشاط العلمى فى هذا الحقل قبيل عصر الطوائف حتى تتضح لنا بدايات الاشتغال بهذا العلم . ففى عصر الخلافة نبغ العلامة احمد بن محمد الرازى (٢٧٤-٣٤٤ / ٨٨٧-٩٥٥ م) - الذى اسهم بجهد قوى فى رقى الدراسات الجغرافية فصنف فيها كتابا عن مسالك الاندلس ومراسيها وأمها ت مدنها والأجنال العربية الستة التى نزلها العرب بعد الفتح ، وكان دقيقا فى اوصافه الجغرافية فذكر ضواحي كل بلد منها وما يميز به عن البلدان الاخرى . وضمن ذلك معلومات نادرة قيمة . والرازى تناول الجغرافيا على انها علم متمم للتاريخ وماتبقى من نصوص عن معارفه الجغرافية التى بين ايدينا هى فى الغالب مقدمة لكتاب فى التاريخ اسمه " أخبار ملوك الاندلس " وذلك ان النصوص الجغرافية الباقية والمترجمة الى البرتغالية والاسبانية تستطرد الى الحديث عن ملوك الاندلس ومن قطنها من الامم قبل الاسلام . ومن المفيد ان نذكر انه لو أردنا ان نكتب وصفا جغرافيا جامعا للاندلس لما اضعنا شيئا الى ما ذكره الرازى وقد بلغ من اهمية معلوماته الجغرافية ان اعتمد عليها الاسبان حتى القرن السابع الهجرى القرن الثالث عشر الميلادى فى حل الكثير من مشكلات التنظيم الادارى التى اعترضتهم فيما استولوا عليه من بلاد المسلمين اثناء حركة الاجتياح الصليبي لاسبانيا الاسلامية . وكان العلامة محمد بن يوسف الوراق لا يقل عن الرازى اهتماما بالجغرافيا والممالك والممالك ، فقد صنف للخليفة الحكم كتاب مسالك افريقيا وممالكها

ومصنفات أخرى عن بعض المدن الافريقية كوهرا ن وتنسني وغيرهما^(١) .
وهذان العالمان يعتبران في مقدمة من طرق باب الدارسات الجغرافية
في ذلك العصر .

"ابرز جغرافي عصر الطوائف واسهاماتهم العلمية"

وشهد عصر ملوك الطوائف بروز عدد من الجغرافيين الذين لا تزال اعمالهم
خالدة في ذاكرة الفكر الجغرافي . فمن مملكة المرية لمع نجم العلامة احمد
بن عمر بن انس العذري (٣٩٣-٤٧٨ م / ١٠٠٢-١٠٨٥ م) وصف بالتمكن
التام في عدد من علوم الدين ، وانه رحل مع ابيه الى المشرق في طلب العلم
ثم عاد الى الاندلس لينشر علومه فاخذ عنه كبار العلماء أمثال ابن حزم الظاهري
وابن عبد البر النمري^(٢) .

وقد ابدى العذري مقدرة واسعة وعميقة في دراسة الجغرافيا ومعرفة
علومها . فكتب فيها ابحاثا ودراسات موفقه . ولكن الامر الذي يثير الدهشة
ان المؤرخين الذي ترجموا له كالحميدى والضبي وابن بشكوال لم يتطرقوا
الى علمه بالجغرافيا ونشاط المتعلق بها بل اكتفوا بالاشارة الى معرفته
بالحديث وعلومه . ذكر الاول منهم ان العذري كتب في المشرق قطعة كبيرة
من دراساته ومن بينها كتابات تاريخيه^(٣) . وهو امر يدعو الى التفكير فيما

(١) سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس
ص ٣١٣ وما بعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .

(٢) الحميدى : جذوة، ص ١٣٦-١٣٧ - الضبي: بغية الملتصص، ص ١٩٥ -

١٩٦ - ابن بشكوال الصلة، ج ١ ص ٦٦-٦٧ .

(٣) الحميدى : جذوة، ص ١٣٦-١٣٧ .

إذا كان هنالك اعلام اخرون برزوا فى علوم اخرى غير علوم الدين لم يتطرق
 اصحاب التراجم اليهم والاشارة الى معارفهم فى غير تلك العلوم . ولعل السبب
 فى ذلك يعود الى ان الكثير من مؤلفي كتب التراجم هم انفسهم من علماء
 الحديث والفقه فكان اهتمامهم منصبا بالتالي على اصحاب الحديث والفقه
 وعلوم الدين اكثر من غيرهم ، واذا اتسع اهتمامهم كتبوا عن اهل اللغة والادب
 واما ما عدا ذلك فان الاشارات الى غيرهم قليلة جدا وخصوصا ما يتعلق بالعلوم
 البحتة والانسانية ، ولولا انه حفظت لنا بعض الاثار العلمية لعدد من العلماء
 لطوهم النسيان .

وقد ذكر ابن حزم عددا من علماء المسالك والممالك الجغرافيين فى
 رسالته التى كتبها فى فضل الاندلس ولكنه لم يذكر العذري او يشر اليه والى
 دراساته الجغرافية^(١) .

ولكن كيف عرفنا ان للعذري باع طويل فى علم الجغرافيا ؟ . لقد
 عرفنا ذلك عن طريق من أثنى بعده من المشتغلين بالجغرافيا الذين ذكروه
 فى كتبهم فالبكري اشار اليه والى كتابه " نظام المرجان فى المسالك والممالك
 وكذلك ذكره العلامة الجغرافي المشرقي زكريا بن محمد القزويني (٦٠٠ هـ
 ٦٨٢ هـ / ١٢٠٣-١٠٨٣ م) صاحب كتاب " اثار البلاد واخبار العباد .
 ونقل عنه الكثير من النصوص الجغرافية المتعلقة بالاندلس وغيرها من البلدان^(٢) .

(١) انظر رسالة ابن حزم المذكور فى كتاب المقرئ : نفح الطيبج ٣ ص

١٦٣-١٦٤ .

(٢) انظر مثلا ص ٥٠٣ - ص ٥١٢ - ٥٤٢ - ٥٤٥ .

هذا ومما يُسر له انه بقيت لنا قطعة من كتاب العذري قام على تحقيقها عبد العزيز الالهواني وعنوانها . «نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك» .^(١) ويذكر ضياء الدين الريس الى ان الالهواني قد اشار في مقدمة دراسته تلك الى ان الجزء المتبقي يمثل عشر الكتاب لان العذري جعله كتابا كبيرا في المسالك والممالك ولكنه في الجزء المنشور لا يسير على طريقة المسالكين بل يلاحظ مزجه بين الجغرافيا والتاريخ وان المادة التاريخية تتخلل كل جزء من اجزاء الكتاب .^(٢)

ويبدو لنا من دراسة ما حفظه القزويني من كتابات العذري ما كان يتمتع به الأخير من معارف واسعة ونظرة دقيقة وبراعة فذة في الوصف الجغرافي فهو اذا وصف كورة من الكور تجلى فيه اتقانه وشموله وصدق اقواله . واذا تحدث عن مدينة صورها تصويراً جلياً واضحاً وضمن حديثه عنها اشارات هامة عن احوال اهلها الاقتصادية والاجتماعية .^(٣)

والعذري في كتابه نظام المرحان يسلك منهجا جغرافيا اختص به دون غيره من الجغرافيين فهو يقوم على مايلي :-

(١) قسم العذري كتابه الى ما يشبه الفصول . كل فصل يدور حول كورة من كور الاندلس .

(١) هذا الاسم والاسم الذي قبله لكتاب واحد وليس لكتابين .

(٢) انظر الكتب نقد وعرض (احمد بن محمد بن انس العذري ، نصوص عن

الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) تحقيق عبد العزيز الالهواني مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد (١٩٦٥) - مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمرسيد ج ١٣ ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م) ص ٢١١ .

(٣) ضياء الدين الريس : نفس المقال ص ٢١١ .

(٢) يستفتح كلامه بـمكان الكورة من قسمة قسطنطين الكنسية التي اتفقت عليها المجامع النصرانية بعد اعتراف قسطنطين بالمسيحية والهدف منها تقسيم البلاد التي فيها المسيحيون الى مناطق اسقفية وقد حافظ عليه العرب في الاندلس تقريبا .

(٣) يعقب ذلك بذكر الطريق من قاعدة الكورة السابقة الى قاعدة الكورة التي يتحدث عنها ويصفه على اساس المحلات والاميال او الفراسخ، والمحلة في عرفه الموضع الذي يستطيع المسافر ان يرتاح فيه ويتزود فيه لسفره .
(٤) ثم يتحدث بعد ذلك عن المدن التابعة للكورة واحدة بعد واحدة بمقدرة فائقة واطلاع عميق بكل ما يتصل بها .

(٥) يعتني بذكر الطرق ومسافاتها والمحلات التي تمر بها ، والى اي النواحي يوصل كل منها وأي باب من ابواب المدن يفضي اليها .

(١)

(٦) حريص على ذكر اقاليم كل كورة واجزائها .

هذا وقد اطلع الباحث على قطعة من كتاب ترصيع الاخبار تمثل السفر السابع من الكتاب من المؤسف ان هذه القطعة قد تعرضت لعوامل التآكل والرطوبة مما اثر على وضوح كثير من ورقاتها وشكل صعوبة في قراءة نصوصها وسنختار بعض النصوص عن هذه القطعة كتدليل على طريقة العذرى في كتابات الجغرافية . يقول عن الجزيرى الخضراء (ومدينة سبته قريته جدا) اي من

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس مقال سابق

ص ٢٨٠ - ٢٨٤ بتصرف . وقسمة قسطنطين تقوم على تقسيم اسبانيا الى ست ولايات هي باطقة ولشدا نية وجليقية والولاية الطركونية والولاية القرطاجنية ثم اضيفت اليها من مرطائيه الطنجية والجزائر الشرقية (انظر تفصيل ذلك حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٣٨٥ وما بعدها)

الجزيرة الخضراء - يرى الناس سورها ودررها (كلمة غير واضحة) وبيـاض
ثياب القصارين بها و تتحرك السفينة من مرسى الجزيرة عند بزوغ الشمس
فلا ترتفع قدر رمحين الا وقد رست بمدينة سبتة والجزيرة شرق شذونه وقبله
من قرطبة (١) .

ولاريب ان هذه المعلومات المؤكدة بالتجربة المشاهدة فيها ماينم
عن صدق هذا العالم وما اشتملت عليه كتاباته الجغرافية من مادة علمية هامة
من جهة وممتعة و طريفة من جهة اخرى .

ويقول عن مدينة سرقسطة قال احمد بن عمر تفسير سرقسطة باللسان
اللاتيني جاجراغشت . مشتق من اسم قيصراوغسطس هو الذى بناها
وجعل لها اربعة ابواب باب اذا طلعت الشمس اول الطالع فى الصيف
قابلت عند بزوغها ذلك الباب فاذا غربت قابلت الباب الذى يليه من الغرب
واذا طلعت فى آخر المطالع فى الشتاء قابلت الباب الذى يليه وهو باب
القبلة فاذا غربت قابلت الذى يليه (٢) .

والعذري يمدنا بمعلومات غزيرة عن الزراعة وطرق السقيا المتبعة
كحديثه عن النواير التى تسقى المزارع فى مرسيه وغيرها من المدن التابعة
لكورة تدوير ، وهو فى ذلك يعين المسافات والابعاد بين المدن (٣) .

والعذري بهذا المنهج العلمى المتميز قد قام بدوره العلمى على الوجه
الاكمل ، فقد اضاف طرفا من المعلومات القيمة عن الجغرافية السياسية

(١) ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك

الى جميع الممالك (مخطوط) السفر السابع ورقة ٢ ب .

(٢) ترصيع الاخبار (مخطوط) السفر السابع ورقة ١ أ .

(٣) نفس المخطوط ورقة ١ أ .

والاقتصادية للبلاد على ضوء قسمة قسطنطين فقفز بمفهوم الجغرافيا الى
العصر الحديث .^(١)

ومن مملكة المرية ايضا برز العلامة ابو بكر احمد بن سعيد بن ابي الفياض
(٣٧٥هـ - ٤٥٨هـ / ٩٨٥م - ١٠٦٥م) . ولد في استجه وعاش في المريه
وتلقى العلم على عدد من العلماء امثال ابن عبد البر النمري ، وابي عمر
الطلمنكي المقرئ . ويبدو انه كان واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافيا
وألف في التاريخ كتابا سماه " العبر " نشر ميخائيل الغزيري قطعة منه على انها
للرازي . كما انه صنف كتابا آخر عن " الطرق والانهار " ولكن كلا الكتابين ضاعا
ضمن ما ضاع من تراث الاندلس .^(٢)

واشار حسين مؤنس في مناقشته لما عثر عليه من ورقات مندرجه في نهاية
كتاب الحلة السراء - الى ان الجزء الاول من كتاب العبر يدور حول جغرافية
الاندلس، ويشير الى ما قاله المراكشي في الفيل الجغرافي الذي الحقه
بكتابة المعجب وهو قوله (. . . هذا مع ان هذا الباب خارج عن مقصود
هذا التصنيف ودخل في باب المسالك والممالك ، وقد وضع الناس فيه كتباً
كثيرة ككتاب ابي عبيد البكري الاندلسي ، وكتاب ابن فياض الاندلسي ايضا،
وكتاب ابن خرداذبة الفارسي، وكتاب الفارغاني وغيرها من الكتب المفردة

(١) حسين مؤنس : مقال سابق، ص ٢٩٠ .

(٢) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٢١٢، وانظر ابن الأبار :

الحلة السراء ج ٢، ص ١٠٠. وانظر فيها ج ١ رقم ١ .

لهذا الشأن المستوعبة له . . . (١)

ثم يقول حسين مؤنس (ولم تذكر مراجعنا ابن ابي الفياض كـتـب كتابا مفردا في المسالك والممالك اى الجغرافية . فلم يبق الا القول بان المقدمة الجغرافية لتاريخه كانت طويلة مستوعبة جعلت عبد الواحد المراكشى يـسـدـرج ابن ابي الفياض ضمن اصحاب كتب المسالك والممالك (٢) وما من شك ان حسين مؤنس قد استعجل فى اصدار حكمه على مقدار مساهم به ابن ابي الفياض فى ميدان الجغرافيا واستدل بما لا يكفى على اثبات ان مالابن ابي الفياض من انتاج علمى كان محصورا فى مقدمته لكتابه العبر مع ان المراكشى اشار اشارة واضحة الى ان تلك الكتب ومن بينها كتاب ابن ابي الفياض (من الكتب المفردة لهذا الشأن المستوعبة له) . وهو امر يدل دلالة واضحة على ان ابن ابي الفياض صنف كتابا خاصا بالجغرافيا او المسالك والممالك غير كتابه العبر فى التاريخ الذى اشار اليه المراكشى صراحه عند ما قال " حكى ابن ابي فياض فى تاريخه فى اخبار قرطبة قال . . . (٣) . ثم ان انخل بالنشيا يذكر انـه صنف كتابا غير العبر عن " الطرق والانهار " . وهو دليل يؤكد ما نذهب اليه من ان ابن ابي الفياض قد اسهم فى نشاط الدراسات الجغرافية بكتاب مستقل كما ان ابن ابي زرع الفاسي يذكر فى كتابه الانيس المطرب فى احداث ٣٨١ هـ

(١) المعجب ، ص ٤٩٠ .

(٢) الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس مقال سابق ص ٣٠٢ .

(٣) المعجب ، ص ٥٢٠ .

ظهور نجم فى السماء وكان فى رأى العين كالصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق وتطايير منه شرر عظيم ففزع الناس الى الدعاء وان الشمس كسفت فى اواخر هذا الشهر ونسب هذا الخبر الى ابن الفياض فى كتاب القبس^(١) وقيل ذلك اشار الى قول له من غير تعيين اسم الكتاب^(٢) والاستاذ حسين مؤنس ذكر هاتين الاشارتين ولكنه لم يشر الى ان اسم الكتاب الذى ورد هو "القبس" وليس العبر كما قال^(٣) ومن الجائز ان يكون الكتاب المسمى "بالقبس" هو كتابه الاخر فى الجغرافيا وابن الشباط اعتمد على كتاب ابن الفياض العبر- ويسميه العبرة - فى الجزء الخاص بالاندلس من كتابه صلة السمط^(٤) .

وهكذا يتبين لنا ان ابن ابى الفياض لم تكن جهوده الجغرافية مقتصورة على مقدمته على كتابه العبر وانما له انتاج متخصص فى هذا العلم ويؤكد ذلك ما اورده الباحث من اشارات هامة حول ذلك .

ومن مملكة بنى عباد فى اشبيلية وقرطبة ذاع صيت العلامة ابو بكر عبد الله بن عبد الحكم بن النظام ولا نعرف بالدقة تاريخ مولده ووفاته ، ولكن ابن الأبار اشار اليه وقال عنه (كان ادبيا اخباريا تاريخيا يحكى عنه ابن حيان فى كتابه^(٥) .

(١) انظر الانيس المطرب ص ١١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٤ .

(٣) انظر الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس ، مقال بمجلة معهد الدراسات

الاسلامية بمدريد ، ج ٧-٨ ، ص ٣٠٢ .

(٤) احمد مختار العبادى : نص جديد لابن الشباط فى وصف الاندلس ص ١٣٢

١٣٣-١٣٤ وغيرها .

(٥) تكملة الصلة ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

وتعود شهرة ابن النظام الى النص الجغرافى الذى اوردہ المقرئ فى كتابه^(١) والذى يدل دلالة واضحة على ملكة علمية راسخه ونظر دقيق فى الجغرافيا المناخية لاندلس وعلى الرغم من نقله واقتباسه عن الرازى الا انه اثبت بوضوحه ودقته وضافاته العلمية ما كان يتمتع به من علم واسع وعميق بالجغرافيا . والمقرئ عند ما اورد هذا النص لابن النظام كان قد اورد قبل ذلك نصا جغرافيا للرازى حول مناخ الاندلس وامطارها واثّر ذلك فى مجارى الماء فيها^(٢) وفكرة النصين تقوم على انقسام شبه الجزيرة الاسبانية من حيث الامطار والرياح واتجاه مجارى الانهار الى قسمين : غربى وشرقى . ويفصل بينهما منطقة وسطى تختلف الجغرافيون فى تحديد ها^(٣) .

ونص ابن النظام عن مناخ الاندلس يكاد يكون احسن ما لدينا عن مناخ الاندلس وامطارها واثّر ذلك فى مجارى الماء فيها . ولعل اعتماد ابن حيان على نص ابن النظام رغم اقتباساته الكثيرة عن الرازى فيه ما يؤكد مكانة ابن النظام العلمية وتالقة فى هذا العلم .^(٤)

ويلاحظ فى هذا التقسيم لاندلس من حيث المناخ تأثر جغرافيين الاندلس بتقسيم هروشيث (اورسيوس) فى كتابه تاريخ العالم . حيث ذكر ابن الاندلس اندلسان ثم اخذ فى تعريف حد وكل منهما وجهاته .^(٥)

(١) انظر هذا النص كاملا فى نفح الطيب، ج ١، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) انظر النفح، ج ١، ص ١٣١ .

(٣) حسين مؤنس : مقال سبق ذكره ص ٢٩٩ ، وانظر بالتفصيل عن المنطقة المشار اليها فى نفس الصفحة وما بعدها .

(٤) حسين مؤنس : مقال سابق ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٥) انظر اورسيوس : تاريخ العالم ، ص ٦٧ .

ويتجلى في وصف ابن النظام الوضوح الذي يزيه سلفه الرازي في تقسيم
الاندلس الى منطقتين مختلفتين من حيث هبوب الرياح وسقوط الامطار
وجريان الانهار ، وكل هذا في ذقة واتقان عميقين في تحديد اتجاهات
الودية والانهار وسلاسل الجبال ، ويتم فهمنا لهذا النص اذا تصورنا
الهيئة المثلثة لشبه الجزيرة الاسبانية^(١) .

وهكذا يتضح لنا مدى ماضع من تراثنا الجغرافي ، فمثل هذا العالم
القدير لا نعرف من حياته شيئا يذكر تقريبا ، ومثل ذلك جهود العلميه ومصنفاته
في الجغرافيا اللهم الا ما اشرنا اليه حول النص السابق . مع انه يأتي في مقدمة
جغرافيين الاندلس الذين اضافوا شيئا جديدا للجغرافيا . وكان من الممكن
فيما سلمت كتاباته الجغرافية من الضياع ان يمدنا بمعلوماته قيمة وافكار
مبدعة عن الجغرافيا وعلومها ويحتل بذلك مكانة رفيعة ليس في الاندلس فقط
وانما في العالم الاسلامي . وفي دولة بنى جهور ثم في مملكة المرية واعيرا في
مملكة اشبيلية لمع نجم العلامة الكبير ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري
اصله من شلطيـش ، وقد اختلف العلماء قديمهم وحديثهم في تاريخ مولده
وذكر البعض ان مولده كان سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) كالمؤرخ الاسباني آنخل
بالنثيا^(٢) والاستاذ جا ينجوس وغيرها^(٣) .

(١) انظر المقرئ : النفح ج ١ ص ٢٣٢ - ١٣٣ وحسين مؤنس : الجغرافية
والجغرافيون في الاندلس (مقال بمجله معهد الدراسات الاسلاميه في

مدريد ، ج ٧ - ٨ - ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٠٩ . وشلطيـش ، جزيرة في الجنوب الغربي

للاندلس (الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤) .

(٣) انظر حسين مؤنس - المقال السابق ص ٣١٠ .

وهو امر لم تثبت صحته حيث ان ابن حيان اشار اليه والى ابيه عند دخولها قرطبة سنة (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) ووصف ابا عبيده فقال (فتى بذ الاقران جمالا وبهاء وأدبا^(١)) وهو امر لا يعقل ان يتصف به صبي عمره احدى عشر عاما. وابن حيان حريص اشد الحرص على اظهار الحقيقة واختيار الكلمات الصادقة المعبرة عن حقيقة الحال ، فالفتى عند العرب هو الكامل الجزل من الرجال^(٢) . وبناء على هذا فان عمر ابي عبيده آنذاك بين العشرين والثلاثين^(٣) .

واما عن وفاته فقد اشار كل من ابن بشكوال و ابن الأبار الى انها كانت (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)^(٤) ولكن الضبي يذكر انها كانت (٤٩٦ / ١١٠٢ م)^(٥) وهذا بخلاف ما قال حسين مؤنس من ان تاريخ وفاته متفق عليه والحقيقة انها ليس كذلك . والتاريخ الذى اشار اليه الضبي هو الاقرب للحقيقة لان ابن خاقان (٤٨٠ هـ / ٥٢٨ - ١٠٨٧ - ١١٣٣ م) يقول (رايته وانا غلام ما اقم هلالى ولا نبغ فى كثرى ولا زلالى فى مجلس ابن منظور فى هيئة كانما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة كانما يروق العين ايامها ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم)^(٦) . اى ان عمره كان ثمانين سنة وهو عمر ابن محلم الشيبانى الذى قال :

-
- (١) الذخيرة، ق ٢، ج ١، ص ٢٣٤ .
 (٢) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٢٠ .
 (٣) عبد الله غنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى، ص ١٩ ، وانظر حسين مؤنس فى مقال السابق ص ٣١٠ .
 (٤) انظر الصلة، ج ١، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - الحلة السيراء ج ٢، ص ١٨٦ .
 (٥) بغية الملتص ص ٣٤٦ .

(٦) انظر قلائد العقيان، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان

فلو افترضنا ان عمر ابن خاقان عند ما رأى ابا عبيد البكرى كان عشر سنوات فان تاريخ ذلك اللقاء كان (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) وعليه فان ما ذكره الضبي اقرب للصواب .^(١)

وكان والد ابي عبيد اميرا على شلطيش واوئبه - وتقعان فى الركــن الجنوبي الغربى للاندلس - فقاتله المعتضد وطمع فى املاكه فزحف عليه واستولى على اوئبه اوولبه ثم حاصره فى جزيرة شلطيش حتى استسلم فغادرها الى قرطبة باهله وابنه ابي عبيد الذى ذاع صيته انذاك بحسن ادبه وكمال معرفته^(٢)

وكان ابو عبيد البكرى قد نشأ نشأة علمية، ولما استوطن والده قرطبة وجه همته للقاء من بها من العلماء والادباء مثل المؤرخ القدير ابن حيان وابي بكر المصفي، كما اجاز له العلامة الحافظ ابن عبد البر النمري .^(٣)

ويهمنا فى هذا الصدد من حياته ونشاط العلمى ما يتصل بميدان الجغرافيا . فقد جمع الى تضلعه فى اللغة والادب براعة تامة فى الجغرافيا ونظر صائب ودقيق فى مسائلها وفروعها المختلفة فمما الفه فيها من الكتب كتابيه الشهيرين " الممالك والمسالك"^(٤) و " معجم ما استعجم"^(٥) .

(١) انظر عبد الله يوسف الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ص ١٩

(٢) ابن بسام : الذخيرة ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٨٧ .

(٤) الموجود من هذا الكتاب بعض اقسامه ومنها جزء خاص بالمغرب وقد طبعت

(٥) هذا الكتاب مطبوع فى جزئين قام على تحقيقه مصطفى السقا طبع ١٩٤٥ م

ومن قبله نشره ١٨٧٦ Wustensfeld انظر معجم ما استعجم ج ١ ، مقدمة المحقق .

وكان ابو عبيد قد انتقل من قرطبة الى المريه حيث حل ضيفا مكرما لدى الملك محمد بن معن، والتقى هناك بعدد من العلماء في مقدمتهم احمد بن انس العذري الذي استفاد منه فيما يتصل بالجغرافيا لكن طموحه دفعه الى الرحيل الى بلاط المعتمد بن عباد الذي جعل بعدد وفير من اهل العلم والادب . حيث انزله المعتمد منزلة سامية ^(١) .

وفيما يتصل بجهوده العلمية فان كتابه الممالك والمسالك . . يعد من اكبر و اوسع المؤلفات المصنفة في هذا الميدان وينقسم الكتاب الى سفين، الاول يحتوى على المواضيع الآتية :

(١) مقدمة تاريخه ، تناول فيها عمر الارض وما اورده الفقهاء والعلماء

في ذلك وتواريخ الانبياء عليهم السلام وغير ذلك .

(٢) القول في الارضين والانهار والبحار .

(٣) ذكر الممالك المختلفة كالهند والصين والسند والفرس واليونان والروم

والصقالبة وملوك اليمن .

(٤) الجزيرة العربية وحدودها ومعادنها ومنتوجاتها وتحدث عن اليمن

وعمان والبحرين واليمامة ومكة والمدينة .

(١) انظر ابن بشكوال : الصلة، ج ١، ص ٢٨٧ وابن بسام الفخيرة، ج ٢، ج ١،

ص ٢٣٥ آنخل بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٩٠ -٣٠ عبد الرحمن

حميده : اعلام الجغرافيين العرب، ص ٢٨٩ حسين مؤنس : مقال سبق

ذكره، ص ٢١٤ - عبد الله الغنيم : مصادر البكري ومنهجه الجغرافسي،

ص ٢٢ .

- ٥ (المشهور من اخبار الشرق ومدنه فتحدث عن العراق ومدنه المشهورة
وفارس وخواصها وبابل وبلاد مارواء النهر .
- ٦ (تحدث فيه عن بلاد الشام واقسامها وفلسطين ثم ختم ذلك بالكلام عن
بيت المقدس .
- ٧ (تحدث في هذا الموضع عن بلاد الروم واخبارهم وكذلك عن جزر البحر
المتوسط كقبرص وكريت وصقلية . كما تكلم عن المناطق الواقعة على شمال
البحر المتوسط فاشار الى الانقلاش . وانهم جنس من الاتراك يجاورون
الصقالية . وتحدث عن شبه جزيرة ايطاليا وعاصمتها روما .

السفر الثاني تناول فيه عددا من المواضيع هي :

- ١ (ذكر جملة القول في الامصار ومساحات الممالك وتطرق الى فضائل البلدان
واقسام ايران شهر .
- ٢ (ذكر مصر وفضائلها . وخصائصها . نهر النيل . تاريخ ملوكها
كورها وما فيها من المدن المشهورة والمسافات بينها .
- ٣ (بلاد افريقية والمغرب ، وهو الجزء الكامل الذي نشر .
- ٤ (بلاد الاندلس . وهذا الجزء ليس كاملا في كثير من نسخ المخطوط^(١) .

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافي ص ٥٥-٥٦-٥٧ .

واكبر القطع التي لدينا من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة نور عثمانية تحت رقم ٤٠٣٤ وتقع في ٢٤٦ ورقة ، ومنها نسخة مصورة بدار الكتب ، ومعلوماتها في اكثرها حول مواضيع لا تمت بصلة للجغرافيا كحديثه عن القول في خلق الجنين ، وذرية نوح عليه السلام ، وقصص الانبياء ، ولكنها رغم ذلك تشتمل على مواضيع هامة كحديثه عن جزيرة العرب وبعض اخبارها ، ومعبودات العرب ، وبيوت النيران وفي ايراده لهذه الاخبار يقتبس البكري بعض الاحيان عن صديقه الجغرافي العذري ، وعن غيره من الجغرافيين والخباريين .^(١)

وفيما يتصل بالجزء المتعلق بشمال افريقيا فقد حققه ونشره البارون دي سلان سنة ١٨٥٧ م بمدينة الجزائر ثم اعيد طبع هذا الجزء سنة ١٩١١ م . وترجم الى الفرنسية وطبع ١٩١٣ م^(٢) .

وقد وصف فيه البكري الشمال الافريقي من برقة حتى المغرب الاقصى وموريتانيا ، وتحدث فيه ايضا عن السودان الغربي فاشار الى غانا ووصف ملكها وسيرته وعادات شعبه وتحدث عن نهر النيجر والمدن الواقعة عليه وما يتصل بذكر اهالي تلك البلاد وبعض عاداتهم المرتبطة بتأثير البيئة واحوالها^(٣) .

- (١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس . مقال بمجله معهد الدراسات الاسلاميه بمطريد ج ٧ - ٨ . ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .
- (٢) انظر آنخل بالنيثا ، مرجع سابق ص ٣١ ، وكذلك ابن سعيد : الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، ص ٤٤ ج ٢ . والبكري : معجم ما استعجم ج ١ مقدمة المحقق مصطفى السقا .
- (٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٧٤ ، وما بعدها تحت عنوان (غانه وسير اهلها) وانظر ايضا كرواتشكوفسكي : الادب الجغرافي العربي ، ج ١ ص ٢٧٥ .

هذا وقد نشرت قطعة من ذلك الكتاب تتعلق بجغرافية بلاد الروس والصقالبه مع ترجمة روسية بتحقيق كونيك والبارون " فون روزن " تحت عنوان اخبار البكري عن الروس والصقالبه فى بطرسبرج ١٨٧٧ م، معتمدين على المخطوطة المحفوظة فى مكتبة نور عثمانية بالاستان التى عثر عليها شيفر Schefer (١) سنة ١٨٧٥ م .

وجد يرربالذكر ان عبد الرحمن الحجى قد قام بنشر قطعة من الكتاب تتصل بجغرافية الاندلس واوروبا سنة ١٩٦٨ م . قام بجمع نصوصها المتعلقة بالاندلس وجزر البحر المتوسط وايطاليا ومايقع من المناطق شمال البحر المتوسط . وفى هذا الجزء يعتمد البكرى كثيرا على اقوال الرحالة الجغرافى اليهودى ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى الذى رحل الى بلاد الجرمان فى عصر الحكم المستنصر فيقتبس منه اقوال عن جنس الصقالبه ووصف بلادهم وملوكهم، وفى موضع آخر يتحدث عن البلغار وكيف انه قابل وفد هم بمدينة مجد برغ حين وفدوا على الملك هوته فوصف ملابسهم وزينهم . وجلالة قدرهم وعظم ملكهم وما عليه ملكهم من هيبة وجلال، وينقل عن الطرطوشى وصف بلادهم واحوالهم المختلفة. (٢)

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى، ص ٥٧ .

(٢) انظر البكرى : المسالك والممالك (جغرافية الاندلس واوروبا)

ويلاحظ في مقدمة كتاب المسالك والممالك أن للبكري نظرات جغرافية ذكية ولمحات علمية ثاقبة تنم عما كان عليه من قدرات علمية راسخة وملكة جغرافية متأصلة ، فهو يشير بقوله (واقيانس البحر المحيط لا يدري ما وراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا ، والشمس اذا غابت في اقصى الصين طلعت في (الجزائر الخالدات) . وهي الفكرة التي أدخلت كولمبوس التاريخ وحفظت اسمه كمكتشف لا مريكا^(١) .

والبكري يلخص اقوال المؤرخين والجغرافيين عن محيط الارض قائلاً (فهي ككرة الارض المحيطة بالبر والبحر . فقطرها على هذا $\frac{1}{6}$ ٦٤٢٤ ميلا بتقريب) وهو تقرير واضح لكروية الأرض^(٢) .

وكتاب البكري الاخر في الجغرافيا وهو " معجم ما استعجم " معجم لغوي جغرافي يصف جزيرة العرب ويسهب في وصف معالمها وشاهداتها وآثارها ومناهلها ومواردها وتتبع الهجرات القبلية ونزوحها بين انحاء الجزيرة العربية ، وما من شك انه اثر نفيس قيم فهو يضم ما خلفه العرب ابان نضجهم العقلي والعلمي فلا نكاد نجد له نظيراً بين معاجم البلدان في غزارة المادة ، . . . وكثرة التفاصيل وسلامة المنهج وجمال الاسلوب ودقة الوصف^(٣) .

(١) حسين مؤنس : مقال سابق ، ص ٣٢٩ .

(٢) حسين مؤنس : مقال سابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) البكري : معجم ما استعجم ، مقدمة المحقق ، وانظر حسين مؤنس

المقال السابق ص ٣٢٤ .

وكتاب " معجم ما استعجم " لاغنى عنه لكل من يهتم بتاريخ الجزيرة العربية وتاريخ سكانها واطواعهم الاجتماعية قديما ، فهو من اعظم مصادر تاريخ العرب وجغرافية موطنهم الاصلى ، وما يحويه من معالم جغرافية مختلفة وما حفلت به هذه المنطقة من وقائع واحداث سجلها الشعر العربي القديم وحفظها وحفظ اسماها اماكنها^(١) .

يقول ابو عبيد البكري فى مقدمة كتابه (هذا كتاب ذكرت فيه ان شاء الله جملة ما ورد فى الحديث والاخبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومنسوبة على حروف المعجم مقيدة فانى لمارأيت ذلك قد استعجم على الناس اردت ان افصح عنه بان اذكر كل موضع مبين البناء ، معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف)^(٢) .

والكتاب مرتب على حروف الهجاء فيبدأ بالهمزة والالف ثم بالهمزة والباء ثم بالهمزة والتاء وهكذا الى نهاية الحروف " والكتاب يضم ٧٨٤ بابا وهو ناتج ضرب ٢٨ حرفا فى مثلها . وهو فى ذلك يبين المشكل بالمعجم والمهمل ويذكر بنائه وضبطه واشتقاقه ناسبا كل قول الى قائله من اللغويين والاخباريين^(٣) .

(١) انظر : Scott: History of the Morrish Empire in Europe Vol III P. 460.

(٢) معجم ما استعجم ج ١ ، ص ١ .

(٣) انظر معجم ما استعجم ج ١ ، ص ٤ .

واذا تذكرنا ان البكري كان عالماً ماهراً فى اللغة والادب لوقفنا على سهولة مهمته العظيمة فى معرفته ضبط الكثير من اسماء الاماكن والمواقع وتمييز بعضها عن بعض مما اعطى كتابه منزلة راقية قل ان يكون لها نظير ولا غرابة فى ذلك فقد كان ملوك عصره يتهادون كتبه لنقاستها وقيمتها العلمية الكبيرة^(١).

واخيرا فان البكرى يعد فى طليعة جغرافيين الاندلس واكثرهم حظا فى بقاء بعض مصنفاته الجغرافية الى كشفت لنا عما كان عليه من دراية ومعرفة بالجغرافيا باوسع ميادينها وكان المؤرخ الهولندى رينها ت دوزى شديد الاعجاب بالبكرى وجهوده العلمية الجغرافية حتى عدّه اكبر جغرافيين انجبتهم الاندلس^(٢).

أتى بعد البكري العلامة عبد الله بن ابراهيم الحجاري من مملكة طليطلة وقد سبقت الاشارة اليه والى كتابه المسهب لى الحديث عن التاريخ . وقد ضمن الحجاري كتابه المذكور كثيرا من المعلومات الجغرافية عن الكور المختلفة وخصائصها النباتية والمعدنية . وكان كثير من معلوماته التى سجلها فى كتابه يعتمد فيها على مشاهداته ومعايناته^(٣).

(١) انظر ابن بشكوال : الصلة ج ١، ص ٢٨٧ - ابن خاقان : قلائد العقيان ،

ص ٦١٨ .

(٢) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٣٠٩ .

(٣) المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ص ١٨٢ .

وكفى بالحجاري عالما انه حدد معالمها يسمى بالجغرافيا الادبيّة
او الفكرية وسار بها شوطا بعيدا نحو الجغرافيا بعد ان كان ابن بسام في
كتابه الذخيرة يعدّها مجرد تقسيم للتسهيل والتيسير .
ولو تيسر لنا وجود السفر الاول من وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس
لفتح علينا آفاقا واسعة في دراسة شخصية الحجاري الجغرافية وما اسهم به
في ذلك ، وعلى اى حال فهو في تاريخ الجغرافية يحتل مكانه رفيعة^(١) .
وجدير بالذكر ان هناك عددا من العلماء لم يتخصصوا في علم الجغرافيا
ولكن حفظت لهم بعض الآراء والأفكار في ميدان الدراسات الجغرافية ، نذكر
منهم ابن حزم الظاهري الذي اشار الى كروية الارض وانه ليس هناك من ائمة
المسلمين المستحقين لامامه العلم من ينكر تكوين الارض . بل ان البراهين
النقلية والعقلية تؤيد ذلك ، ويورد في سبيل تأكيد ذلك عددا من تلك
البراهين^(٢) .

كما ان ابن حزم خالف الاقوال الواردة في ان النيل وجيحون وسيحون
والفرات تنبع من الجنبه وتهكم على قائلها ، ثموضح منابعها الحقيقية كما
هي في كتب الجغرافيا^(٣) .

(١) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مقال بمجلة معهد

الدراسات الاسلامية بمدير ج ٧-٨ ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٢) الفصل في الملل والنحل ، ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١١٨ - ١١٩ .

كما ان ابن سيدة ضمن كتابه " المخصص " الكثير من المعارف الجغرافية المتعلقة بالارض واصافها وما يتصل بذلك من خصب ووجدب ورمال وانخفاض وارتفاع واستواء وصحة وحرث ونبات وكذلك ما يتعلق بالشجر واصافها والنبات والثمار وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة القوية بعلم الجغرافيا^(١).

ولا ريب ان ذلك ينم عما كان عليه ابن سيدة من علم واسع واطلاع شامل ليس في اللغة فقط وانما بمظاهر الحياة وما تحويه البيئة . فنجد من بين معلوماته تلك شيئا كثيرا يتعلق بالنبات والشجريات ، وتعد هذه المعلومات اكثر ارتباطا بما يدرسه الجغرافيون المعاصرون في ميدان الجغرافيا الاقليمية والنباتية .

هذا وللمؤرخ صاعد الطليطلى آراء واشارات في علم الجغرافيا ، فهو عند ما تعرض للأمم التي لم تعن بالعلوم ربط بين تخلفهم وتبلد هم ومواقعهم الجغرافية وما يتعرضوا له من اجواء مناخية معينة فهو يقول عنهم (أشبه بالبهائم منهم بالناس لان من كان منهم موغلا في بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة التي هي نهاية - المعمور في الشمال ، فافراط بعد الشمس عن مسامته رؤوسهم يرد هوائهم ، وكثف جوهم فصارت لذلك أمزجتهم بارده واخلاطهم فجھ فعظمت ابد انهم وابيضت الوانهم وانسدلت شعورهم فعدوا بهذه دقة الافهام وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل والبلادة ، وفشافيهم العي والغباوة كالصقاليه والبلغر من اتصل بهم)^(٢).

(١) عمر كحاله : العلوم البحتة ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) طبقات الامم ، ص ٩ .

كما يذكر صاعد في موضع آخر الى ان من كان موطنه قريب من خط
معدل النهار وخلفه الى نهاية العمران في الجنوب ، فان تعرضهم للشمس
سخن اجوائهم فكانت امزجتهم حارة واخلاطهم محرقة فهم سود الالوان
مغلغلي الشعور . فقصرت احلامهم وضعفت بصائرهم . فانتشر فيهم
الجهل والحق كساكني اقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج (١) .

ومع تقديرنا لاهمية ما ذكره صاعد الا انه يبدو ان تلك العلاقة بين الموقع
الجغرافي والاجواء المناخية وبين سعة الفهم وضحاياه كما وصف امر بالغ
فيه وحمله اكبر من حقيقته العلمية .

هذا وقد ضمن المؤرخ الكبير ابن حيان كتابه المقتبس معلومات جغرافية
متنوعة وهامة ويغلب على الظن انه نقل الجزء الجغرافي الذي استهل به
احمد بن محمد الرازي تاريخه ، فان المقري يورد في النفح نقلا عن المقتبس
لابن حيان فقرة خاصة باشبان والام التي حكمت الاندلس قبل المسلمين
وهي جزء من المقدمة الجغرافية للرازي ، وقد سار على هذا النهج فسي
بقية كتابه فيورد في ثناياه فقرات جغرافية على سبيل التوضيح ، فمن ذلك
ما نقله المقري عنه حول حديثه عن جسر قرطبه ووصفه لمدينة الزهراء (٢) .

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) انظر المقري : النفح ج ١ ، ص ٣٧ ، وحسين مؤنس : الجغرافية
والجغرافيون في الاندلس ، مقال سابق ص ٢٩٧ - وكذلك احمد امين :
ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ و ص ٢٩٧ . واشبان المذكور ، كما يذكر
المقري نقلا عن ابن النظام هو ملك عجم رومة الذين نزلوا الاندلس . وهو
اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية ويقال ان اسمه اصبهان
فجر فيه العجم الى اشبان ونسب اليه بناء مدينة اشبيلية وكان اشبانية اسما
حاصرا لاشبيلية التي كان نازلا بها اشبان ثم عم الاسم الاندلس كلها وعظم
سلطان اشبان المذكور حتى غزا ايليا ، واياد الكثير من اليهود (انظر
المقري : النفح ج ١ ، ص ١٣٣ وما بعدها ، وكذلك ما نقله عن ابن حيان ص

وختاماً فاننا نؤكد ان هنالك عدداً من الاعلام الذين عدوا من المهتمين
 بالدراسات الجغرافية ، ولكن مع الاسف لم يصلنا من انتاجهم العلمى مايكفى
 لالقاء الضوء على حياتهم العلمية وما أسدوه من جهد علمى . ومن الحقائق
 المؤلمة التى لايجعلها اي دارس للاندلس وتراثه ان هذا القطر قد تعرض
 لنكبات مريعة ادت الى فقدته الكثير من تراثه الحضارى وخاصة الكتب التى فقد
 الكثير منها . ولهذا لانعجب اذا لم يصلنا الا شئ قليل من التراث الجغرافى
 لاولئك الاعلام الذين ذكرناهم وحاولنا بالترجمة لهم وبالتعريف باهم مؤلفاتهم
 ان نرسم قدر الجهد صورة قريبة لما كانت عليه حال الدراسات الجغرافية
 في عصر ملوك الطوائف .

” الرحلات الجغرافية ”

” ولع الاندلسيين بالرحلات الجغرافية ” :

نرى لزاما علينا ونحن نتحدث عن الجغرافيا ونشاطها في الاندلس ان نلم بميدان الرحلات الجغرافية . وخصوصا ان الاندلسيين عرفوا بشغفهم الشديد بالتنقل والاسفار وحبهم العميق للترحال في سبيل العلم والتجارة او السياحة .

ويذكر أنخل بالنتيا ان الحج كان السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الاندلسيين ومن ثم اولعوا بالرحلات ، وكانت النتيجة الطيبة لذلك ان ظهر من بينهم ألف في وصف رحلاته واسفاره بين البلدان (١) .

و مع تقدير الباحث لوجهة نظره الا اننا لا نقتنع بان الحج كان هو السبب الرئيسي في تألقهم في هذا الميدان من النشاط العلمي . فان كثيرا من الرحالة لاندلسيين لم يكن الحج وحده يحدوهم لارتياح الاصقاع وقطع المفاوز والمجاهل في نواحي الاقطار المختلفة، فالحج ركن من اركان الدين يؤديه المسلم ثم يعود الى بلده او يعرج على بعض مدن المشرق للقاء العلماء . اما من ينوي الرحلة بمعناها الجغرافي الواسع فلا يكون في حاجة للوصول الى غايته عن طريق الحج ، ولا يعنى هذا ان بعض الرحالة الجغرافيين ادوا خلال رحلاتهم للمشرق مناسك الحج . ولكن لم تكن هذه المناسك السبب المباشر في القيام برحلاتهم الجغرافية الواسعة .

(١) تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٠٩ - وانظر فيما يتصل بدوافع الرحلات الجغرافية عند المسلمين، انور الرفاعي : الانسان العربي والحضارة، ص ٤٤٦ .

” الاشارة الى بعض الرحلات الجغرافية قبيل ”

عصر الطوائف

XX

وجد ير بالذكر ان الرحلات الجغرافية والاستكشافية قد بدأت قبل هذا العصر الذى نحن بصدد دراسة ، ففي القرن الثالث الهجرى تقريبا التاسع الميلادى اقتحم مجموعة من الفتيان وعلى راسهم فتى يدعى الخشخاش المحيط الاطلسى بعد ان تجهزوا تجهيزا تاما لهذه الرحلة البحرية وشقوا طريقهم فى المحيط الاطلسى (بحر الظلمات) وغابوا مدة طويلة ثم عادوا وهم يحملون غنائم كثيرة غنموها من مناطق مجهولة ولم يسعفنا التاريخ بمعرفتها .

وتلى هذه الخطوة الجرئية ما قام به الفتيان المغررين الذين انطلقوا فى رحلة بحرية استكشافية من مدينة لشبونة وكان عددهم ثمانية رجال فاخترقوا المحيط الاطلسى وظلوا مبحرين فيه ٣٥ يوما تقريبا .^(١)

كما نشير الى الرحلات الهامة التى قام بها التاجر اليهودى الاندلسى ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى الذى كان يمتشق المتاجرة بالرقى الاوربى و جلبه الى الاندلس . فقام برحلات الى المانيا وبلاد الصقالية وشمالى اوروبـا وقد احتفظ لنا البكري بجزء من اوصافه عن رحلاته الى تلك المناطق ، وخصوصا ما يتعلق ببلاد البلغار وعاداتهم .^(٢)

-
- (١) انظر بالتفصيل عن هاتين الرحلتين سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، ص ٣٢٨ وما بعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .
- (٢) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

وهكذا نلمس مدى ما كان للرحلات الجغرافية من مكانة عظيمة في الفكر الجغرافي الاندلسي وهو نشاط اتسع وتعاظم حتى بلغ ذروته في القرن السادس الهجري (عصر ابن جبير والادريسي وابو حامد الغرناطي) .

"" ابرز الرحلات في عصر الطوائف ""

وفي عصر ملوك الطوائف بالرغم من ازدهاره الباهر في العلوم والمعارف الا ان مصادرنا لا تمدنا الا بلمحات خاطفة عن الرحلات الجغرافية ، ولا تسعفنا الا باشارات ضئيلة عن الرحالة الاندلسيين في هذا العصر . فيأتي في مقدمة هؤلاء العلامة محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلي ، كان بارعا في علم الفلاحة ، فقام برحلاته واسفار متعددة بين اقطار مختلفة زار فيها المغرب ومصر وصقلية . وكان عظيم الاهتمام خلال رحلاته تلك بدراسة النباتات والاعشاب ووصف خصائصها ووجوه منافعها وجمع منها شيئا كثيرا زرع في بستان انشأه في اشبيلية، ويعد وأنه كان في خدمة المعتمد بن عباد ومن اجله انشأ ذلك البستان وكان يسمى بستان السلطان^(١) وسوف نتطرق فيما بعد للحديث عن ابن بصال في علم الفلاحة .

وكان العلامة ابو الصلت امية بن عبد العزيز الداني (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) قد رحل عن الاندلس الى مصر فاقام بها مدة من الزمن ثم عزم على الرجوع

(١) انظر . سيد حسين: العلوم في الاسلام، ص ١٩٣ - الكتب نقد وعرض (ابن

بصال كتاب الفلاحة) مقال بمجله معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد

ج ٥ ص ٢٨٠ .

الى وطنه ولكن ادرسته الوفاة بالمهدية^(١).

والذى يهمننا فى سيرة ابي الصلت هنا ما ألفه عن رحلته لمصر والتقى ضمنها ما رآه بمصر من الاثار والمعالم ومن اجتمع بهم فيها من الاطباء والمنجمين والشعراء... ونقل فى رسالته تلك بعض اثارهم العلمية والادبية، وقد اطلق على هذه الرسالة اسم " الرسالة المصرية " واهدى تأليفه المذكور الى ابي طاهر يحيى بن تميم^(٢).

وهذا الكتاب يدخل فى كتب الرحلات التى حرص ابو الصلت على ان يسجل فيه كل مشاهداته وانطباعاته المختلفة عن مصر. وما من شك ان لكتابه قيمة رفيعة اذ انه احتفظ فيه بنصوص هامة عن آثار ذلك القطر ورجاله. وجدير بالذكر ان ابا الصلت وصف جغرافية مصر وتاريخها منذ الفراعنة الى الاسلام كما انه تعرض للاوضاع الاجتماعية للمصريين فتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم آنذاك كما انه اشار الى البارعين من الاطباء والى ولع المصريين باحكام النجوم وتعلقهم بذلك والكتاب يضم معارف بلدانية قيمة مما اعطاه منزلة رفيعة رغم صغر حجمه^(٣).

(١) ابن سعيد ، المغرب ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ . والمهدية مدينة بتونس وبينها وبين القيروان ستون ميلا بناها عبد الله الشيعي واليه تنسب (الحميري : الروض المعطار ص ٥٦١) .

(٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ص ٥١٤ . ويحيى بن تميم من ملوك الدولة الصنهاجية (٥٠١ - ٥٠٩ هـ) بشمال افريقيا، وكانت المهدية قاعدة ملكه بعد ان خرب العرب القيروان (سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامي ص ٥٨٦) .

وجدير بالذكر ان هنالك من العلماء من ذكر لهم نشاط في ميدان الرحلات الجغرافية والتنقل بين الاقطار المختلفة . ولكن ليس لدينا معلومات مفصلة عن رحلاتهم المشار اليها وملاقوه من احداث ومواقف ، وما وصفوه من وقائع وآثار ومعالم. فهذا العلامة عبد القوى بن محمد العبدري (كان حيا ٤٩٩ هـ ١١٠٥ م) اخذ علومه عن عدد من علماء الاندلس كابى عمر الطلمنكى وله رحلة الى المشرق ويقول عنه تلميذه ابو الحسن بن احمد بن حنين " سافرت معه فى مركب واحد من مصر الى الهند . . (١)

كما عرف عن العلامة ابو بكر محمد بن اغلب (٥١١ هـ / ١١١٧ م) انه (كان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر فى بلد . ولا يستظهر على حرمانه بجلد ، فقد فته النوى وطردته عن كل قوى ، ثم استقر آخر عمره بأغمار وبها مات) (٢) .

ولا يهمل بذكر محمد بن العربى (٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨ م) كتاب اسماء ترتيب الرحلة " ، ولكن المقري نقل عن كتابه قانون التاويل وصفا ممتعا لغرق السفينة التى كان مبحرا فيها من افريقية وفى هذا النص يقول ابن العربى (وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزولة . ويغرقنا

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

فى هوله ، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم ونحن من السفب على عطب ، ومن العرى فى اقبح زي ، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الاحجار منيقتها (اي جلدها) ودست الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمتها أزراً واشتملناها لفعاء تمجنا الابصار، وتخذلنا الانصار ، فغطف اميرهم علينا ، فأوينا اليه فأوانا واطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا . (١)

ويشير ابن العربى الى ملاقاه من المواقف والاحداث خلال وجوده فى المشرق فهو يذكر انه حل ضيفا على احد اكابر مدينة دمشق فلاحظ فى منزلة نهيرا يجري الى موضع جلوسهم ثم يعود من جهه اخرى الى مصدره ، فلم يفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام فى النهر المقبل اليهم فأخذها الخدم وبسطوها امام الضيوف ، فلما فرغوا من الطعام ألقى الخدم تلك الاوانى فى النهر العائد فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يصل الخدم الى موضعهن فى تلك الجهة . (٢)

وما من شك ان فى هذا اشارة واضحة الى الاوضاع الاجتماعية السائدة انذاك فى الشام .

(١) ازهار الرياض ، ج ٣ ، ص ٨٩ . وانظر النص ايضا فى نفح الطيب ، ج ٢ ،

ص ٣١ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٣٣ .

ويورد ابن العربي ايضا مشاهداته لبعض المعالم والآثار كحديثه عن
الصخرة التي انزل الله عليها المائدة ، ووصف ما بها من الآثار المنحوتة وانه
كان يخلو فيها للدراسة وذكر انه افاض الحديث عنها في كتابه " ترتيب الرحلة ^(١)
وابن العربي يمدنا بمعلومات طريقة عن مجالسه العلمية التي حضرها
في المشرق وما كان يجري له بها من مواقف مع العلماء كالعلامة على بن عقیل
امام الحنابلة في بغداد ، وابن الكازروني في المقدس ، بل انه ذكر اجتماعه
بعدد من كبار السحرة بارض بابل فاخبروه ان من كتب آخر آية من كل سورة
وعلقها لم يضره سحرهم . ^(٢)

وبهذا يتبين لنا ان ابن العربي كان له عناية بتسجيل رحلاته بين
الاقطار الاسلامية وعناية بذكر ما واجهه من احداث ومواقف ومشاهد من معالم
واثار . :

ولاريب انه لو سلم كتابه الذي الفه عن رحلته وحفظ من الضياع لكشف
لنا عن الكثير من المعلومات القيمة والطريقة التي تنم عما لاقاه وواجهه من
معاناة من جهه ، وما خلقت به حياته العلمية من مواقف جديدة بالتسجيل والتنويه ،
ولكن فيما حفظه لنا المقرئ عنه من نصوص مايلقى شيئا من الضوء على هذا الجانب

(١) المقرئ : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٧ .

(٢) انظر نفس المصدر والجزء ص ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ .

العلمى الهام .

ومن المظنون ان كتاب ابن العربى المذكور هو أحد الاصول التى اهتمت
بها ابن جبير فى رحلاته المشهورة^(١) .

واخيرا فقد ولد فى أواخر هذا العصر رحالة اندلسي كبير احتل مكانة
مرموقة بين رحالي الاندلس وهو العلامة الرحالة ابو حامد محمد بن عبد الرحيم
المازنى القيسي الغرناطى (٤٧٣ هـ - ٥٦٥ هـ / ١٠٨٠ - ١١٧٠ م)^(٢) الذى
لم يدرك فى عصر ملوك الطوائف سوى خمسة عشر عاما . ولذلك فان المقام لا
يسمح بادراجه بين علماء عصر الطوائف وذكر رحلاته الجغرافية .

وختاما فان هذا الميدان من النشاط العلمى لم يكن خلوا من المهتمين
والمعتنين بأمره ، فقد ظهر عدد من هؤلاء ، ولكن كما سبقت الاشارة كانت
مصادرنا عن هذا اللون من الدراسات الجغرافية شحيحة بعض الشيء وخصوصا
فى هذا العصر الزاهر بالمعرفة . وكل ما نرجوه ان نكون قد وفقنا الى تلمس
بعض الحقيقة ورسم صورته واضحة بعض الشيء عن الرحلات الجغرافية
فى عصر ملوك الطوائف .

(١) بول غليونجى وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية ص ١٣٢ .
(٢) انظر : المقرئ : النفح ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، وكرا تشكوفسكى الادب الجغرافى
العربى ج ١ ، ص ٢٩٥ - انخل بالتشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٣١٢ .

” الفلسفة ”

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

اتصال العرب المسلمين بعد الفتوحات بالأمم الأخرى وأثر ذلك في انتقال علوم
الأوائل ومن بينها الفلسفة اليهم - موقف علماء الإسلام من الفلسفة في المشرق
والإندلس - بداية دخول الفلسفة إلى الإندلس وكيفية ذلك - السبب في ندرة
المشتغلين بالفلسفة - وضع الفلسفة في عصر الطوائف - أبرز فلاسفة هذا
العصر وكتبهم .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

" اتصال العرب المسلمين بالامم الاخرى واثـر ذلك فى انتقال علومهم الاوائل
ومن بينهما الفلسفة اليهم

XX

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى " فيلاسوفيا " اى محبة الحكمه ،
فالفيلسوف هو محب الحكمه (١) .

وكان العرب قبل الاسلام لا يعرفون تماما هذا العلم ولم يكن لهم
به اتصال الا عندما انتشر الاسلام فى اقطار مختلفة واخذ المسلمون فى محاولة
التعرف على آثار الشعوب الأخرى العلمية . فكان نشاط الترجمة والتعريب
خير وسيلة ليطلعوا على نتاج الفكر العالمى ، فظهر عدد من العلماء
المشتغلين بعلوم الاوائل وكان من بينها الفلسفة ، وشيئا فشيئا حتى نبغ بعض
العلماء فيها وحق ان يطلق عليهم فلاسفة .

" مواقف علماء الاسلام من الفلسفة فى المشرق والاندلس "

XX

ولكن الاستغراق فى دراسة الفكر اليوناني والاهتمام به قاد البعض من
العلماء الى محاولة اقحام الفلسفة اليونانية فى الفكر الاسلامى مما أحدث
بلبلة بل تصادمًا بين ما يعتنقه الاسلاميون وما اتنادى به الفلسفة ومن أجل
هذا كان بعض العلماء المحافظين ينصحون اهل العلم بتجنب الاتصال

(١) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٧٩ .

او الجلوس مع المشتغلين بعلوم الاوائل ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ففى حين كان هؤلاء يخفون تعلقهم واشتغالهم بالدراسات الفلسفية باظهار اشتغالهم بالطب والرياضيات .^(١)

كما ان المنطق اليونانى قوبل بحرب لاهوادة فيها من قبل اهل السنة لان مناهج البرهان الارسطاطاليسيه كانت تمثل خطرا وفكرا مسموما على صحة الايمان ، ولهذا فقد قيل لديهم ان " من تمنطق تزندق " .^(٢)

وكان حال الاندلس كحال بقية الاقطار الاسلامية من حيث الشعور الدينى تجاه الفلسفة وما مورس ضدها وضد اتباعها من الانكار والتشنيع ولكن متى ظهرت الفلسفة فى الاندلس ؟ .

يجيب على هذا التساؤل الهام أحد مؤرخي عصر ملوك الطوائف وهو العلامة القاضي صاعد الطليطلى فيذكر ان اسبانيا كانت خالية الوفاض من الاشتغال بالفلسفة قبل الاسلام فلم يعرف عن احد من اهلها انه درس الفلسفة ونبغ فيها واستمر الحال على هذا الوضع حتى دخلها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م . فأرسوا قواعد الحكم ، ولما استتب الامر لبنائية انصرف الناس فى عهدهم نحو تحصيل المعارف ودراسة العلوم ومن بينها علوم الاوائل .

(١) توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١١٧ . وانظر

آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) توفيق الطويل : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - سعد شلبي - البيئة -

الاندلسية واثرهما فى الشعر .

” بداية دخول الفلسفة الى الأندلس وكيفية ذلك ”

ويلاحظ ان الفلسفة دخلت هذا القطر بقناع سائر وبرفقة العلوم التطبيقية كالطب والفلك والرياضيات ، اودخلت متخفية في ثنايا علم الكلام وفكر اتباع الباطنية الغيبين كانوا يتظاهرون بالنسك والتصوف .

هذا بالاضافة الى ما عرف عن اهتمام الامير عبد الرحمن الاوسط بعلوم الاوائل ومن بينها الفلسفة وحرصه الشديد على جمع تصانيفها من خارج الاندلس وبالاخص مايتعلق منها بالفلسفة فنسب اليه انه اول من ادخل الفلسفة الى ^(١) الأندلس .

ويحدثنا ابن طفيل عن تاريخ الفلسفة في وطنه فيشير الى بداية اهتمام علماء بالعلوم المختلفة وكيف افضى بهم الحال الى النظر في علوم الاوائل وخاصة العلوم الرياضية ثم اتت طائفة اهتمت بالمنطق والنظر فيه ودراسته ولكنهم لم يبلغوا درجة الكمال في ذلك لتأتى طائفة ثالثة احذق ممن سبق نظرا واقرب الى الصواب وفي مقدمتهم الفيلسوف ابو بكر بن الصائغ .
(٢)

(١) انظر سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ص ٣٣٥ وما بعدها (رسالة ماجستير لم تنشر) .

(٢) حي بن يقظان، ص ١١١، وانظر كذلك محمد الجابري: نحن والتراث

ص ٢٥١ - أحمد الأهواني : الفلسفة في الاندلس الدور الاول ، (مقال
بمجله كلية الاداب جامعة القاهرة ج ١٥ ، الجزء الاول ، سنة ١٩٥٣ م ص ١٠١

"" السبب في ندرة المشتغلين بالفلسفة ""

وقد يتساءل المرء عن العامل او العوامل التي اضعفت الاشتغال بالفلسفة قرونا عديدة حتى ظهر نجومها البارزون امثال ابن حزم وابن باجه وابن السيد وابن رشد وابن طفيل وغيرهم .

والحق ان ذلك عائد الى امور منها انشغال الاندلسيين آنذاك - اى قبيل القرن الرابع الهجرى تقريبا - بالدراسات الشرعية واللغوية والادبية - اذا كانت هذه العلوم جل ما استحوذ على عناية واهتمام الاندلسيين - فصرفهم عن الاشتغال بغيرها من العلوم . ونضيف الى ذلك ما ذكرناه آنفا من موقف الفقهاء والعامة من الفلسفة والمنطق ، فقد كانت هاتين الفئتين من الشعب تنظران الى الفلسفة نظرة كراهية ومقت شديدين . ولهذا أصبحت الفلسفة (علم معقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره) فلذلك تخفي تصانيفه (١) .

بل ان أي شخص يقرأ الفلسفة او يأخذ عنها شيئا ولو يسيرا تطلق عليه العامه زنديق ويسلك بنفسه طريقا الى الهلاك ، وتنتهى به الحال الى مالا يحمد عقباه . (٢)

(١) المقرئ : النفع ، ج ٣ ، ص ١٨٦ . (نقل عن ابن سعيد في تذييله على رسالة ابن حزم في فضل الاندلس) وانظر ما يتضمن هذا المعنى .

S.M. Imamuddin: Muslim Spain. p. 152.

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢١ - خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ص ٨٧ - احمد امين ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ . ويكفي ان نشير مثالا على ما ذكرناه ما حل بالفيلسوف ابن مسره (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) من محاربة واضحة له ولمذاهبه ولا اتباعه ، وقد افرد لنا ابن حيان جانبا من تاريخه لحركة ابن مسره والقضاء على مذهبه ومطاردة اتباعه واحراق كتبه (انظر المقتبس الجزء الخامس ص ٢٠ وما بعده) ، وانظر ايضا ابن الفرغاني تاريخ علماء الاندلس ، ج ٢ ، ص ٣٩ وصاعد طبقات الامم ص ٢٨) .

ولهذا قال ابن طفيل ان الفلسفة (اعدم من الكبريت الاحمر ولا سيما
 فى هذا الصقع الذى نحن فيه لانه من الغرابة فى حد لا يظفر باليسير منه
 الا الفرد بعد الفرد ، ومن ظفر بشئ منه لم يكلم الناس به الا رمزا فان
 (١)
 الملة الحنيفية والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه . وحذرت عنه)
 كما ان المنصور من ابي عامر عند ما سيطر على زمام الامور بعد وفاة الخليفة
 الحكم المستنصر اراد ان يظهر للفقهاء والعامه حميته للدين فامر باحراق
 (٢)
 وتمزيق كتب الفلسفة والمنطق وطارد المشتغلين بهما .
 ولهذا يلاحظ ما لحق بالفلسفة من ضعف من جراء ملاحقة الفلاسفة فآثر
 الكثير منهم السكون والاختفاء وأكثر البعض الآخر الخروج من الاندلس
 (٣)
 فى حين تستتر البعض بالاشتغال بالطب والرياضيات .

" وضع الفلسفة فى عصر الطوائف "

ولكن الحال مالبث ان تغير فى عصر الملوك الطوائف بل انه ما كادت
 الفتنة تطل برأسها حتى بيعت خزائن كتب بني اميه بارخص الاثمان ، فانتشرت
 تلك الكتب فى انحاء البلاد ووجد من بينها كتب كثيرة فى علوم الاوائف
 لم تنلها ايدى الاعداء والتدمير فى عصر المنصور العامرى وكان لانشغال
 الخلفاء فى هذه الفترة العصبية اى بعد الفتنة بالقضايا السياسية قد وفر
 فرصة عظيمة للمهتمين بالفلسفة والمنطق فانصرفوا لدراستهما وظهر ما لديهم
 من النشاط وازداد هذا النشاط أكثر عند ما ظهر ملوك الطوائف الذين اباخوا

(١) حي بن يقطان ، ص ١١١ .

(٢) انظر صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨-٩٨ - ابن عذارى : البيان المغرب ،
 ص ٢٩٣ .

(٣) صاعد : طبقات الامم ، ص ٨٨-٨٩ .

الاشتغال بالفلسفة، وأعرضوا عن التضيق على اتباعها^(١).

وإزد هرتحال الدراسات الفلسفية في هذا العصر حتى وجد بين ملوك الطوائف أنفسهم ملوك عنوا بالفلسفة وشغفوا بها كملوك بني هود في سرقسطة والمأمون بن ذي النون في طليطلة .

وكان لقرب تلك المملكتين من الوجود النصراني في الشمال . وما عفا عن المسلمين من وتسامح قد فرض لونا من الانفتاح والمرونة امام مثل تلك الدراسات فعرف عن بني هود ترحيبهم بالفلسفة واتباعها فلجأ الى مملكتهم كثير من الفلاسفة مثل عمر بن أحمد الكرما ني ، وثابت بن محمد الجرجاني . وسليمان بن يهود وابو بكر الصائغ وغيرهم . كما حوى بلاط المأمون ومملكته العديد منهم ، مثل ابي الوليد القشبي ، وصاعد الطليطلي ، وابن البغونش . وكل هؤلاء سيأتى ذكرهم .

"أبرز فلاسفة هذا العصر ونتاجهم الفلسفي"

وفي هذا العصر برز اسم العلامة على بن أحمد بن حزم الظاهري كأحد اعلام الفلسفة في الاندلس ، وكان قد درس الفلسفة على يد استاذة محمد بن الحسن المذحجي ، وقد اثنى عليه ووصف رسائله الفلسفية بالقيمة العلمية الكبيرة وعظم الفائدة ، وانها متداولة بين الناس.^(٢)

(١) صاعد : المصذر السابق ٨٩-٩٠ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب، ج ٣، ص ١٧٥ نقلا من رسالة ابن حزم في فضل

الاندلس - الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٤٦-١١٤٧ .

والفلسفة عند ابن حزم كما يقول هو (انما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلمها ليس هو شيئاً غير اصلاح النفس بان تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لا غير هو غرض الشريعة) (١) . .

ويلاحظ في هذا التعريف ان ابن حزم وهو الذي ينهج المذهب الظاهري القائم على استقراء ظاهر النص ، لم يقصد ان يضع فلسفة عقلية او ينشئ فلسفة عامة لان مثل ذلك يصطدم بمذهبه الظاهري ، ولذلك اكتفى بتعريف الجانب العملي من الفلسفة لا النظري والعقلي (٢) .

وابن حزم اكثر مرونة واوسع افقاً في تقسيمه لاهل وطنه من حيث نظرتهم لعلوم الاوائل ومن بينها الفلسفة ، فقسمهم الى اربعة طوائف :
الطائفة الاولى : حكمت على تلك العلوم بانها تتضمن الكفر والالحاد دون ان يدرسوها او يطالعوها .

الطائفة الثانية : عدت تلك العلوم هذرا ومضيعة للوقت فهم يحتاجون الى من يفهمهم أنهم على خطأ في تفكيرهم ذلك .

الطائفة الثالثة : قرأت ود رست تلك العلوم بعقول منحرفة وأهواء ضاله فلا بد من ارشادهم الى الحق .

الطائفة الرابعة : نظرت اليها بأذهان صافية وافكار نقية سليمة فاستنارت

(١) الفصل في الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٢) انظر تفصيل الحديث عن هذا الجانب في الخوارزمي : مفتاح العلوم ، ص ٧٩ وما بعدها .

بتلك الكتب وافاد وا منها^(١) ولعل شهرة ابن حزم في الفلسفة تعود الى انه ابتكر نظاما فلسفيا بنظريته الفذة عن المعرفة التي ضاهى بها افكار فلاسفه العصر الحديث واتى باعظم مما عرفوه عن المعرفة الانسانية ، وكان له فضل السبق في وضعها في ذلك الاطار الرائع .^(٢)

والعلم والمعرفة عند ابن حزم اسمان لمعنى واحد . وهو اعتقاد الشئ على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشك عنه ومصادرها عند اربعة :

(١) النصوص من القرآن والاحاديث النبوية .

(٢) ما اوجبه اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات ، وما اصطلح

عليه العرب من الفهم عند سماع هذه الكلمات .

(٣) الاكتساب ونقل التواتر .

(٤) الحسن السليم ، وبديهة العقل .^(٣)

(١) احسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسي في عصر الطوائف المرابطين ، ص ٦٤ - وانظر بتفصيل اكثر ، عبد المجيد التركي : موقف ابن حزم الاصولي من منطق ارسطو (مقال من كتاب اعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٥ ، ص ٢٨٥ وما بعد ها) .

(٢) انظر عمر فروخ : ابن حزم الكبير ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) انظر حديث ابن حزم عن هذه النظرية في الفصل ٥ . ص ١٠٨ - ١٠٩ وما بعد ها وللتوضيح والشرح ، انظر عمر فروخ : ابن حزم الكبير ، ص ٦٦ وما بعد ها وكتابه الآخر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٥٩٦ - ٥٩٧ - وكذلك عند اللطيف شراره ، ابن حزم رائد الفكر العلمي ، ص ٨٠ وما بعد ها - عمر فروخ ايضا عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ١٤٦ .

وابن حزم بجهد العلمى الفلسفى ومساهمته الكبيرة فى بناء تلك النظرية الانسانية قد حل أعصى مشكلة فى تاريخ هذه النظرية ، وهى المشكلة التى تشدق مؤرخو الفلسفة الأوروبية بانهم قد انتهوا الى حلها وكشف غموضها بواسطة فيلسوفهم الالمانى كانط Kant (١٨٠٤) الذى وقف متحيراً امام هذا السؤال " كيف تكون الاحكام المبنية على الاختيار الحسى ممكنة البديهة ؟ ومن ثم توصل الى ان المعرفة التى نعتقد اننا قد عرفناها بواسطة بديهة العقل راجعه الى الحواس فى زمن متقدم وسابق ثم اطلق على ذلك ولم يعلم ان المفكر العظيم ابن حزم الذى عاش قبله بسبعة قرون قد سبقه الى حل تلك المسألة حلاً لا يقصر عما توصل اليه اللهم الا فى بسط القول وشكل المنطق اللذين تميز بها العالم الالمانى مع احتفاظ ابن حزم بقصب السبق فى هذا الكشف العلمى (١).

وفىما يتعلق بنشاطه الفلسفى فى المنطق فانه حاول تلخيص كتاب ايساغوجى المدخل الى علم المنطق " لفرفوريوس الصورى فصنف كتابه " التقریب لحد المنطق " بالاضافة الى انه حاول ان يعرض كتابا من تاليف ارسطو فى المنطق وحرص على تبديل اسماء فصول المنطق فقال فى هذا الصدد (علم ان القضيتين المذكورتين المقدمة الاولى والمقدمة الثانية) اذا اجتمعنا

(١) عمر فروخ : ابن حزم الكبير، ص ١٧٧ - قد رى طوقان العلوم عند العرب،

ص ١٨٢ - ١٨٣. وكتابه الآخر العلوم عند العرب ص ١٨٣ .

(٥٣٦)

سمتهما الاوائل القرينة واعلم ان باجتماعها كما ذكرنا - يحدث عنهما ابدأ قضية
ثالثة صادقة ابدأ لازمة ضرورية لا مجيد عنها وتسمى هذه القضية (الثالثة)
الحادثه عن اجتماع القضيتين (الاولى والثانية) نتيجة والاول يسمى
القضيتين والنتيجة معاً في اللغة اليونانية - السلجموس وتسمى كلها في العربية
الجامعة (١) .

ومثال ما تقدم :

المقدمة الاولى : كل انسان حي .

المقدمة الثانية : كل حي جوهر .

فاذا اجتماعتا المقدمتان سميتا بالقرينة . ولا بد ان يحدث عن اجتماعهما
قضية ثالثة صادقة ابدأ ، وهي ان كل انسان جوهر = وهي النتيجة (٢) .

ويحدثنا صاعد عن منهج ابن حزم في تاليفه لهذا الكتاب فيقول (بسط
فيه القول على تبين طرق المعارف واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية وخالف
أرسطاطاليس ، واضع هذا العلم في بعض اصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتضاه
في كتبه فكتابه من اجل هذا كثير الغلط بين السقط (٣) .

ولكن صديق ابن حزم ، الحميدى أشار الى كتابه المذكور وذكر انه نهج
فيه طريقة فريدة في بيانه وازالة الغموض والشبهات عنه (٤) .

-
- (١) عمر فروخ : ابن حزم الكبير ، ص ١٧٩ - ١٨٠ (نقلا عن ابن حزم
في كتابه التقريب ص ١٠٦) وانظر لايضاح ذلك عبد المجيد التركى :
موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو ، مقال في كتاب اعمال ندوة الفكر
العربى والثقافة اليونانية منشورات كلية الآداب بالرباط ص ٢٨٩ وما
بعدها . وكتابا لتقريب لابن حزم طبع بتحقيق احسان عباس ونشره
سنة ١٩٥٩) بيروت .
(٢) انظر عبد المجيد التركى : موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو ،
ندوة اعمال الفكر العربى والثقافة اليونانية ص ٢٩٠ .
(٣) طبقات الامم ص ١٠١ .
(٤) جذوة المقتبس ، ص ٣٠٩ .

ويبدو ان صاعد اقرب الى قول الحق في كتاب ابن حزم ، وذلك ان صاعدا له معرفة بكتب الاوائل ومعرفة المشتغلين بها والمطلعين على علومها ، فقد كان شديد الشغف بعلوم الاوائل راغبا في دراسة الفلسفة ، والحميدي ابعد عن ذلك ، فهو فقيه محدث وليس له صلة بالفلسفة والمنطق ، ويبدو انه قال ما قال مجاملة ومودة لصديقه ابن حزم الظاهري (١) .

وابن حزم عند ما صنف كتابه " تقريب حد المنطق " لم يسع الى ابراز المنطق كعلم مستقل ولا حاول ان يقيد حدوده على انها قواعد جازمة . بل قصد ان يجمع اشياء من حدوده وفصوله والفاظه وتراكيبه وقضاياها كي يستند اليها في نصرته مذهب الظاهري واعتمد في تحقيق غايته على الكتب المنقولة عن اليونان ، وكانت مليئة بالاغلاط والتحريفات لسوء ترجمتها للعربية وبواسطة السريانية فلم يسلم كلامه عن المنطق من تلك الأخطاء بالاضافة الى محاولته التنصل عن كل ما يناقض مذهب الظاهري فلم يقبل القياس المنطقي (٢) .

ولدينا كتاب لابن حزم يسمى " الاخلاق والسير في مداودة النفوس ويحوى ما يشبه المذكرات اليومية حول ملاحظاته المنتزعة من تجاربه ومشاهداته الشخصية وقد صاغها في تركيز ودقة فجاءت كأنها مبادئ عامة او حكم بالغة (٣) .

-
- (١) انظر كتاب طبقات الامم لصاعد وتعليقه على سير فلاسفة الامم المختلفة ومن بينهم فلاسفة الاسلام لتقف على سعة علمه في ذلك - وانظر ترجمة الحميدي في الضبي بغية الملتبس ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- (٢) عمر فوخ : ابن حزم الكبير ص ١٨١ - ١٨٢ - وانظر ابن سعيد المغرب ، ج ١١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . وكذلك عبد اللطيف شراره : ابن حزم ص ٧٩ .
- (٣) احمد هيكل : الادب الاندلسي ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - وانظر عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمي ص ٧٧ .

ومن اقواله تلك (استبقاك من عاتبك، وزهد فيك من استهان بسيئاتك .
العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير)^(١) .

(اصول الفضائل كلها اربعة، منها تركب كل فضيلة . وهي العدل والفهم
والنجدة والجود)^(٢) .

وكان ابن حزم شديد التأثر بما وقع له مع خصومة وكابده تدابيرهم ووقوفهم
في وجهه فهو يقول (من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد اذا سمع انسانا
يغرب في علم ما : هذا شيء بارد ، لم يتقدم اليه ولا قاله مثله احد ، فان سمع
من يبين ما قد قاله غيره قال : هذا بارد ، وقد قيل قبله ، وهذه طائفة
سوء " قد نصبت انفسها للقيود على طريق العلم يصدون الناس عنها اكثر نظراؤهم
من الجهال)^(٣) .

وحق على كل من يطالع كتاب ابن حزم " الفصل " ان يشهد له بالنبوغ
والابداع الفكري الفلسفي الذي بدا فيه من اقدر فلاسفة الاسلام اللامعين
والذي استغل فيه تضلعه في الفلسفة الى جانب ثقافته الاسلامية في الدفاع
عن الاسلام ضد اهل الملل والنحل الاخرى .

وفي عصر الطوائف نبغ العلامة ابو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي
(٤٤٤ هـ - ٥٢١ هـ / ١٠٥٢ م / ١١٢٧ م) وقد اشرنا اليه عند الحديث
عن اللغة وعلومها وانه تنقل بين اماره بنى رزين ثم سرقسطه فطليطلة ليستقر
آخر عمره ببينسية حيث انصرف كلية للتدريس ونشر معارفه بين طلبة العلم .

(١) الاخلاق والسير، ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٦٠ .

(٣) نفس المصدر، ص ٧٠ .

ولابن السيد مساهمة جيدة في الدراسات الفلسفية فصنف كتابا في الفلسفة
اسماه كتاب " الحقائق ^(١) يقع في نحو ستين صفحة من القطع الصغير . استعرض
فيه عددا من وجوه الفلسفة القديمة كالفيض والنفس وقواها . وعددا من وجوه
الفلسفة الاسلامية فيما يتعلق بصفات الله والخلود وغير ذلك . ^(٢)

وهذا الكتاب نشره اسين بلاثيوس مع ترجمة اسبانية في سنة ١٩٤٠ م
ويذكر ان اهمية الكتاب تكمن في عرضه صورة صادقة لحال الدراسات الفلسفية
في الاندلس في عصر ملوك الطوائف . وهو العصر الذي ألف فيه المؤلف
كتابه المذكور وانه سعى من خلال دراسته الفلسفية الى التوفيق بين الشريعة
الاسلامية والفكر اليوناني . ^(٣)

وابن السيد خصص كتابه " الحقائق " للاجابة على سبع مسائل : اولها
ان ترتيب الموجودات عن السبب الاول يمثل دائرة وهمية . وان الشخص
تبلغ ذاته بعد وفاته الى حيث يبلغ علمه في حياته ويمثل علمه دائرة وهمية

(١) اسم الكتاب بالكامل " الحقائق " في المطالب العالية الفلسفية العويصة انظر
احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف والمرايطين ص ٦٥ ، محمد
رضوان الداية : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ص ٢٠١ .

(٢) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ص ٦٠٥ ، وانظر ايضا
Titus Burckhard Moorish Culture In Spain, P. 134.

(٣) أنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٣٣٤ - ٣٣٥ - احسان عباس
تاريخ الادب الاندلسي في عصر الطوائف ص ٦٥ - ٦٦ . ويشير محمد
رضوان في كتابه تاريخ النقد الادبي في الاندلس ص ٢٠١ ، ح ٢ رقم ٢
ان الكتاب نشره عزت العطار ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م بعناية السيد زاهد
الكوثري وقدم له بمقدمة قصيرة .

وان صفات الله لا يصح ان يوصف بها الا عن طريق السلب ، وقولهم لا يعرف الله الا نفسه . والبرهان على خلود النفس الناطقة بعد الموت ، وزاد الى النفوس الثلاث المعروفة وهى النباتية والغضبية والناطقة ثلاث نفوس هي الفلسفية والنبوية والكلية غير قاصدان هذه الثلاثة انواع فى القسمة الاصلية للنفوس ولكنه مزج صفات بعض النفوس الناطقة وميز بعض اقسامها وهو فى ذلك يعتمد على الفلاسفة الاغريق كزيتون وارسطو وافلاطون .^(١)

ويلاحظ ان ابن السيد سعى فى كتابه الى حيل كثير من التساؤلات والقضايا الفلسفية التى طالما استقطبت اذهان الناس وترددت على اسماعهم ، وشغلت الفكر الاسلامى بعد ان استمدت اصولها من الفلسفة الاغريقية دون ان يصطدم بالدين او يخرج على تعاليمه .^(٢)

ولابن السيد آراء ونظرات فلسفية عميقة فى كتبه الاخرى فهو فى كتابه التنبيه على الاسباب التى اوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم " يقدم لنا فكرة جديدة تتضمن ان الاختلاف بين الناس فى الآراء والمعتقدات أمر طبيعى ودليل على البعث وان هناك حياة غير هذه الحياة ، فهو يقول (اذا كان وجود الخلاف يقتضى وجود الاختلاف لانه ضرب ونوع من المضاف . . . وكان لا بد من حقيقة . وان لم نقل ذلك صرنا الى مذهب السقراطية فى نفي الحقائق فقد صار الخلاف الموجود فى العالم - كما ترى - أوضح الدلائل على كون البعث الذى ينكره المنكرون وينازع فيه الملحدون)^(٣)

(١) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلس فى عصر الطوائف والمرابطين ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) من مقدمة محقق كتاب التنبيه على الاسباب التى اوجبت الاختلاف بين

المسلمين لابن السيد .

(٣) التنبيه ص ١١ .

وكان لابن السبيد معرفة بالمنطق وبراعة في فهم الفاظة ومصطلحاته ولكنه كان شديد الحرص في مناظراته على عدم إقحامه في مناقشاه وجدله مع العلماء . . . وقد عاب على أحد مناظريه في النعوا اعتماداً على المنطق وأساليبه فذكر أن كل علم يجب أن يستند فقط إلى قوانينه المتعارف عليها وليس على قوانين وأساليب أخرى (١).

وشهد هذا العصر تياراً علمياً زائراً بين الشرق والاندلس فكان من نتيجة الرحلات العلمية إلى المشرق دخول بعض الكتب الفلسفية إلى اندلس فيذكرها صاعد في كتابه طبقات الأمم أن العلامة الطبيب الفيلسوف أبو الحكم عمرو بن أحمد الكرمانى أول من أهدى رسائل أخوان الصفا إلى الاندلس (٢). وفي قول صاعد إشارة هامة تنقضى كلام كثير من المؤرخين الذين أشاروا إلى أن المسلمة المجرى طى دراسات حول رسائل أخوان الصفا ، وأنه أسهم في كتابة بعض فصولها (٣).

ومن مملكة طليطلة ظهر الفيلسوف القدير سعيد بن محمد بن البغونش (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) . وكان ماهراً في الفلسفة تجلّى ذلك فيما حفظ له من أقوال وآراء حكيمة تنم عن جودة قريحته ورسوخ قدمه في هذا العلم. وقد وصفه صديقه صاعد فقال (لقيت منه رجلاً قلاً جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذاك كتب جليلاً في أنواع الفلسفة وضروب الحكمه وتبينت منه أنه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثير منه ثم أعرض

(١) السيوطى : صون المنطق والكلام، ص ٢٠٠ .

(٢) ص ٩٧ .

(٣) انظر مثلاً : البغدادى : هدية العارفين، ج ٥، ص ٥٠٠ وعبد الحليم منتصر تاريخ

العلم، ص ١٨١ - وبول غليونجى وآخرون : موسوعة العلوم الإسلامية ص ١٦٠ - انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى، ص ١١٠ .

عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها ^(١) . .

ومع الاسف فليس لدينا من كتبه او دراساته الفلسفية ما يعيننا على دراسة فلسفته او معرفة مذهبه وافكاره الفلسفية ، فقد ضاعت مصنفاته ضمن ماضع من تراث الاندلس .

وكان على شاكلته فى حسن السيرة والمذهب الفيلسوف ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي (ت ٤٤٩ هـ - ١٠٥٧ م) الذى وصف بالمعرفة الواسعة بالفلسفة الى جانب شهرته فى معرفة علوم اخرى كالطب والرياضيات والفلك وكان يسير على نهج الفلاسفة فى سلوكهم ونظرتهم العميقة فى التفكير والتأمل متسما بدمائه الخلق ونزاهة النفس ^(٢) .

وجدير بالذكر ان الجانب الفلسفى الذى كان يجد قبولا واستحسانا بين الاندلسيين هو الجانب المتعلق بما يسمى اليوم بعلم الاخلاق والعلاقات الانسانية . . يدل على ذلك ما أورده ابن حزم عن شيخه المذكور آنفا فيقول (سمعته يقول لي ولغيري : ان من العجب من يبقى فى العالم دون - تعاون على مصلحة اما يرى الحراث يحرق له والبناء يبني له ، والخزاز يخزله وسائر الناس كل يتولى فيه شغلا له فيه مصلحة وبه اليه ضرورة . اما يستحي ان يبقى عيالا على كل من فى العالم ؟ الا يعين هو أيضا بشئ من المصلحة . قال ابو محمد : ولعمري ان كلامه هذا لصحيح وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : وتعاونوا على البر والتقوى ^(٣)) .

(١) طبقات الامم ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) صاعد : طبقات الامم ص ٩٥ - القفطي : تاريخ الحكماء ص ٢٤٣ - ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ص ٤٨٥ .

(٣) آيه رقم (٢) سورة . المائدة .

فكل ما المخلوق فيه مصلحه فى دينه اوفىما لاغنى عنه فى دنيا فهو بر وتقوى (١).

وهذا الحديث الذى أورده الفيلسوف ابن حزم عن شيخه الحكيم يعطينا تصورا واضحا للمفاهيم الصائبة والتفكير الخلاق فى الاسلوب الجيد الذى طرحه احد فلاسفة ذلك العصر الذى همه ان يشارك بعلمه وفلسفته فى ميدان اصلاح الاجتماعى والسلوك الاخلاقى . ويقدم خلال ذلك من البراهين مايقنع كل عاقل لبيب يسعى للمشاركة والتعاون فى بناء المجتمع واصلاحه والقضاء على الظواهر الاجتماعية الفاسدة كالبطالة التى اهتمت ذلك الفيلسوف ودفعته لرسم سياسة مدنية هادفة .

وهناك ظاهرة تستلفت النظر فى السلوك الاجتماعى لفلاسفة ذلك العصر ومنهم المذحجى شيخ ابن حزم وابن البغوش . وابن خلدون وهى مدى اتصاف اولئك الفلاسفة بجميل الاخلاق وحسن السيرة والمسلك وكمال العقل . وهى الصفات التى خلعتها عليهم من أخ لهم وترجم لحياتهم وما من شك ان ذلك يعود الى ما كتسبه اولئك الفلاسفة من علم وآداب وفلسفة اخلاقية سامية انعكست على سلوكهم الاجتماعى فتميزوا بذلك عن الكثير من الناس .

وجدير بالذكر ان نشير الى ان اهل الذمة لعبوا دورا فى نشاط الفلسفة ، فظهر منهم عدد من الفلاسفة منهم اسحاق بن قسطار (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦) وكان فى خدمة مجاهد العامرى ، وابنه اقبال الدولة ، وعرف عنه تضلعة فى الطب

والمنطق والفلسفة واشتى عليه صاعد ووصفه بكمال المروءة ورجاحة العقل وصدق القول^(١).

وتعتبر مملكة بني هود مركزا كبيرا لظهور عدد من فلاسفة اليهود كالطبيب الفيلسوف منجم بن الفوال وكان ماهرا في المنطق والفلسفة وصنف في المنطق كتابا سماه "كنز المقل" رتبته على المسالة والجواب وضمنه معارف غزيره في قوانين المنطق واصول الطبيعة^(٢).

ونبع من فلاسفة اليهود سليمان بن يحيى المعروف بابن جبول السريسي (تقريبا من ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) ويطلق عليه النصارى اسم افيسبرون Avicebron وكان قد درس مؤلفات العرب الفلسفية وافاد من دراساتهم المختلفة في ذلك وتعود شهرته الى براعته في الفلسفة وتوفرة على دراستها فصنف فيها كتاب "ينبوع الحياة" باللغة العربية وكان متأثرا في تأليفه بآراء وافكار الفيلسوف ابن مسرة (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م) القائمة على فلسفة انبأذ قليس ومذهب الافلاطونية الحديثه . وقد حظى الكتاب بشهرة واسعة بين المسيحيين عن طريق ترجمته اللاتينية التي قام بها د ومنجو مجند القفكان له تاثيره الكبير عند مفكري المدرسة الاوغسطينية وغيرهم^(٣).

(١) طبقات الامم، ص ١١٧.

(٢) نفس المصدر، ص ١١٦-١١٧- ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء، ص ٤٩٨.

(٣) آنخل بالنشيا : مرجع سابق، ص ٤٩٣ - ليفي بروفنسال : حضارة العرب

في الاندلس، ص ٩٥ - ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء الثاني،

المجلد الرابع، ص ١١٤-١١٥ - عمر كحاله : العلوم البحتة، ص ٤٧.

(٥٤٥)

ولا بن جبرول كتب اخرى كاصلاح الاخلاق ، ومختار الآلي وهو مجموعة
حكم لعدد د من فلاسفة اليونان .^(١)

وفي بلاط بنى هود نبغ الفيلسوف المنطقي ابو الفضل حسد اى بن يوسف
بنى حسد اى السرقسطى (كان حيا ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وكان واسع الاطلاع على عدد
من العلوم والمعارف منها الرياضيات والفلك والشعر والبلاغة والموسيقى (واتقن
عمل المنطق وتمرس فى البحث والنظر ثم ترقى الى علم الطبيعة فبدأ منه
بسماع كتاب " الكيان " لا رسطا طاليس حتى احكمه ثم شرع فى كتاب السماء والعالم)^(٢)
ولا بن النغراله هموثيل بن هاليقي وزير حبوس بن ماكسن ملك غرناطة، معرفة
بالدراسات الفلسفية فقد احكم معرفة اللسان العربى، ومهر فى آدابهم درس
الفلسفة على ايدى عدد د من الفلاسفة فى غرناطة ومنهم يحيى بن داود .^(٣)

وقبل ان نختتم حديثنا عن هذا العلم ورجاله يجد ربنا الاشارة الى بعض
الشخصيات التى وصفت باتصالها بالفلسفة، وعرف عنها الاشتغال بها، ولكن لم
تصلنا مصنفاتهم او تتوفر لدينا مادة علمية غنية عنهم تدفعنا الى الاسهاب فى
ترجمتهم ومن ثم نكتفى بالاشارة اليهم فمنهم العلامة مالك بن وهيب وقد
ذكره المراكشي فقال (ولمالك بن وهيب هذا تحقيق بكثير من اجزاء الفلسفة
رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس فى الاحكام ، وكتاب المجسطي فى علم
الهيئة . وعليه حواشي بتقييده ايام قراءاته اياه على رجل من اهل قرطبة اسمه

(١) أنخل بالنشيا : مرجع سابق، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

(٢) صاعد : طبقات الامم، ص ١١٧-١١٨ .

(٣) الطاهر احمد : دراسات اندلسية، ص ٦٣ .

(١)
احمد الذهبي

وكان ابن وهيب بارعا في الفلسفة غير انه حيكت ضده المؤامرات واتهم في دينه لعكوفه على دراسة الفلسفة مما دفعه الى التستر على نفسه والاشتغال بعلوم الشريعة .^(٢)

ووصف محمد بن ابراهيم الشعباني (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) بانه فيلسوف زمانه وقد تولى قضاء جيان .^(٣)

ولابى الحسن بن سيده اللغوى المشهور اسهام في نشاط المنطق فصنف فيه كتابا ذهب فيه مذهب متى بن يونس .^(٤)

وصنف ابو الصلت أمية بن عبد العزيز الدائى (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) في المنطق كتابا سماه " تقويم الذهن " قام بنشره جنالت بالنشيا مع ترجمة اسبانية ١٩١٥ م فى مدريد والكتاب يوجز آراء ارسطو في المنطق . .

ولعل الفضل يعود الى عصر ملوك الطوائف فى انجاب فيلسوف من اشهر فلاسفة الاندلس . وهو الوزير الفيلسوف ابو بكر محمد بن يحيى بن باجه -

التجيبى السرقسطى ولكنه قضى معظم حياته فى عصر المرابطين حيث توفي مسموماً بفاس (٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) وهو ما زال فى ريعان شبابه .^(٥)

وأخيراً ، فهؤلاء هم اشهر فلاسفة عصر ملوك الطوائف . وما من شك اعظمهم عطاءً فى هذه الحقبة هو الفيلسوف الاسلامي القدير ابن حزم

(١) المعجب ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) ابن ابي اصيبه : عيون الأنباء ، ص ٥١٥ .

(٣) الضبي : بغية الملتبس ، ص ٥٦ .

(٤) صاعد : طبقات الامم ، ص ١٠٣ .

(٥) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

الظاهري والذي خلف لنا بعضاً من آثاره التي انارت لنا طريق التعرف على افكاره وارهائه الفلسفية ولا ننسى ايضاً ابن السيد البليوسي الاديب اللغوي والفيلسوف اللامع الذي تبيتاً منزلته في الفلسفة من خلال كتابه " الحقائق " ولا ريب ان هذا النشاط اثر اربع الثمرات وخاصة في العصر الذي تلا عصر الطوائف عصر ابن باجه وابن رشد وابن طفيل وغيرهم .

وختاماً فان العلوم الانسانية لقيت من الاندلسيين خلال هذا العصر عناية خاصة واهتمام عميق - فتألق كثير من المؤرخين في علم التاريخ واسعدوا لهذا العلم اياه بـ"بيضاء" ، ولا نرغمي القول جزافاً ففي عصر ملوك الطوائف برز أعظم مؤرخ انجبته الاندلس وهو ابن حيان القرطبي صاحب المقتبس كما لمع نجم العلامة ابن حزم الذي أثبت ان له قدرات واسعة في ميدان التاريخ . وفي الجغرافيا برز عدد من العلماء ياتي في مقدّمهم العلامة الكبير ابو عبيد البكري الذي يقف في الصف الاول بين جغرافيي العالم الاسلامي ومهدت كتاباته لكثير من الانجازات والاكتشافات الجغرافية الحديثة .

وفي الفلسفة اثبت الاندلسيون ان لهم عطاءً سخياً في هذا العلم رغم ما لحيط به من قيود ومحاذير فظهر ابن حزم كفيلسوف لا يستهان به وحفظت له مآثر جيدة في هذا العلم اشرنا اليها بالتفصيل سابقاً ، كما برز عدد من الفلاسفة في هذا العصر منهم الكرمانلي الذي نسب اليه ادخال رسائل اخوان الصفا ومثل هذا النشاط في ميدان الفلسفة مهد لظهور كبار فلاسفة الأندلس كابن باجه الذي ولد في عصر الطوائف وابن رشد وابن طفيل وسواهم .

(الفصل الرابع)

(العلوم التطبيقية)

- * الطب والصيد ..
 - * الرياضيات والفلك ..
 - * الكيمياء ..
 - * العلوم الطبيعية ..
 - * الميكانيكا ..
 - * الفلاح ..
-

الطبيب والصيدلانية

- * مكانة الطب لدى الاندلسيين وبداية اشتغالهم به
- * اعتماد الاندلسيين على الدراسات الطبية السابقة لهم
- * نهضة الدراسات الطبية والصيدلية فى عصر الخلافة
- * مشاهير اطباء عصر الطوائف واسهاماتهم الطبية

مكانة الطب لدى الاندلسيين وبداية اشتغالهم به
 ~~~~~

اسدى الاندلسيون للانسانية فى علم الطب كثيرا من الجهود الموفقة  
 والانجازات العلمية القيمة التى دفعت الطب نحو الامام ، ولاشك ان هذا  
 العلم يأتى عند الاندلسيين فى مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام  
 والعناية ، ووفرة الانتاج العلمى .

وكان لعلم الطب منزلته السامية فى المجتمع الاندلسى فنجد صدى  
 ذلك فى شعر السميسر خلف بن فرج الذى قال :

|                     |                                 |
|---------------------|---------------------------------|
| كل علم ما خلا الشرع | وعلم الطب باطل                  |
| غير ان الاول الطب   | على رأى الاوائل                 |
| هل تمام الشرع الا   | ان يكون الجسم عامل              |
| فاذا كان عليلا      | بطلت تلك العوامل <sup>(١)</sup> |

بداية اشتغالهم بالطب .

وبداية اتصال الاندلسيين بالطب تتمثل فى قراءة الكنانيش المؤلفه  
 فى فروع الطب ، ولم يكن هناك اهتمام بدراسة اصول كتب الطب ككتـاب  
 ابقراط وجالينوس ، وكان الدافع لتلك الطائفة من الاطباء الغير راسخين فى  
 هذا العلم خدمة الملوك والاعيان ونيل المراتب باسرع طريق دون التثبت  
 والتمكن فى هذا العلم ومعرفة اصوله بعمق ودراية .

ويبدو ان جل اهتمام تلك الطائفة كان معرفة منافع الاغذية ومضارها  
 ومايحقق للطبقة الحاكمة من تمتع بالصحة ومايوفر لهم القدرة على التمتع  
 بحياتهم ، ولهذا نرى ان الوسط الذى ترعرع فيه الطب كان قصور الحكام  
 والامراء آنذاك .

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ( ص ٨٩٢ ) .

واكثر ما كان يستند اليه الاطباء آنذاك فى دراسة مسائل الطب  
وبعض فروع على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له "الابريشم" اى الجامع .

### اعتماد الاندلسيين على الدراسات الطبية السابقة لهم

وكان علم الطب من بين العلوم التى اعتمدت فى تطورها وازدهارها  
على التيار العلمى بين الاندلس والمشرق ، فقد وفد بعض الاطباء المشارقة  
الى الاندلس فى عصر الامارة الاموية مثل الطبيب يونس بن احمد الحراني  
الذى دخل الاندلس ايام الامير محمد بن عبدالرحمن الاوسط ( ت ٢٧٣ هـ /  
٨٨٦ م ) ، وكان عارفا بالكثير من مسائل الطب واقفا على عدد من التجارب  
الطبية .

ويلاحظ المتتبع لتاريخ الدراسات الطبية ان اطباء تلك الفترة كان  
معظمهم من النصارى واهل الذمة ، وانهم بلغوا منزلة سامية لدى الحكام  
والامراء ، وما من شك ان ذلك فيه دلالة واضحة على التسامح الاسلامى  
وماجبل عليه المسلمون من انصاف لاهل الذمة .

### نهضة الدراسات الطبية والصيدلية فى عصر الخلافة

ومنذ بداية عصر الخلافة اتخذت مسيرة الدراسات الطبية ابعادا  
جديدة ، ففي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر دخلت الكتب الطبية من  
المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان فى صدر دولته  
من الاطباء المشهورين .

ومن بين كتب الطب التى دخلت الاندلس كتاب " زاد المسافر " لمؤلفه الطبيب القدير ابو جعفر بن الجزار القيروانى ، وقد ادخله الاندلس الطبيب عمر بن بريق .

وجدى بالذکر ان كتاب النباتات الطبية لديسقوريدس، يعد — (١)  
بين الكتب الهامة التى استفاد منها اطباء وصيادلة الاندلس، وقد ترجم فى المشرق فى العصر العباسى على يد اصطف بن بسيل ، ولكنه لم يكمل ترجمة كثير من الاسماء فى ذلك الكتاب . وحدث ان بعث الامبراطور البيزنطى ارمانوس سنة ( ٣٣٧هـ / ٩٤٨م ) الى الخليفة الناصر بكتاب ديسقوريدس المذكور وكتاب هروشيخ فى التاريخ ، فترجم الكتاب الاول راهب يدعى نقولا سنة ( ٣٤٠هـ / ٩٥١م ) بمساعدة بعض الاطباء كحسداى بن شبروط، ومحمد الشجار وعالم آخر يعرف بالبساسى وابو عثمان الجزار، ومحمد بن سعيد وعبدالرحمن بن اسحق بن هيثم ، وابو عبد الله الصقلی .

وقد امتدح الطبيب ابن جليل هذه الترجمة ووصفها بالاتقان والصحة والاجادة ، ولكن ذلك لم يمنعه من دراسة ذلك الكتاب دراسة عميقة الامر الذى جعله يتبين ان ديسقوريدس قد اغفل الكثير من الادوية ، فصنف مقالة اشار فى مقدمتها بقوله ( ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره اما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا واما لان ذلك كان غير مستعمل فى دهره وابناء جنسه ) .

وكتاب ديسقوريدس فى النباتات الطبية تعد ترجمته واطلاع الاندلسيين عليه تحولا كبيرا فى ازدهار الدراسات الصيدلانية ، وهو العلم الذى لا ينفك بحال من الاحوال عن الطب وممن يعانون هذا العلم ويشغلون به

---

( ١ ) طبيب ونباتى من اهل مدينة عين زربة بالشام ، عاش بعد عصر ابقراط وكان بارعا فى معرفة النباتات والاعشاب واعتمد عليه جالينوس فى دراساته الطبية . القفطى : اخبار العلماء ( ص ١٢٦ ) .



لان الطبيب يفترض فيه آنذاك معرفة ضروب النباتات والحشائش والاعشاب الطبية وخواصها ليصف بذلك العلاج لمرضاه ، ولهذا نجد الكثير من اطباء ذلك الوقت بل اكثرهم قد برعوا فى كلا العلمين ، ومن ثم فنحن لانستطيع ان نفصل بينهما اثناء حديثنا عن الطب والصيدلة .

وبهذا يتبين لنا مدى مالقيه كتاب ديسقوريدس من اهتمام وعناية الاندلسيين ، وانه لعب دورا كبيرا فى توسيع دائرة النشاط والبحث العلمى عن النباتات الطبية ومايتعلق بها من تركيب الادوية ، وان الاندلسيين فى تلك الفترة قد بلغوا مرحلة جيدة من النضج العلمى ، فهم لم يسلموا بما فى كتاب ديسقوريدس ، بل درسوه بعناية وفهم ودراية ، ونظروا فيه نظر الفاحص الممحص ، وقد سبقت الاشارة الى ما قام به ابن جلجل فى هذا الصدد .

وشهد عصر الخلافة ظهور عدد من الاطباء الماهرين يأتى فى مقدمتهم الطبيب والجراح اللامع خلف بن عباس الزهراوى الذى ينسب اليه وضع اسس الجراحة الطبية الحديثة ، كما برز من الاطباء آنذاك عريب بن سعد القرطبي الذى صنف كتابا فى طب الاطفال ، واشتهر ايضا الطبيب سليمان ابن جلجل بدراساته العظيمة فى الطب والصيدلة <sup>(١)</sup> .

#### مشاهير اطباء عصر الطوائف واسهاماتهم الطبية

وفى عصر ملوك الطوائف ازدادت العناية بدراسة الطب والصيدلة وحقق الاندلسيون آنذاك نتائج علمية رائعة بما الفوه من روائع التأليف فى الطب والصيدلة التى ضمنوها جهودهم واعمالهم ، والتى لا يزال بعضها بين

---

( ١ ) عن الطب وتطوره فى عصر الخلافة ، وعن اولئك الاطباء المذكورين اعلاه انظر : سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ٣٥١ ) ومابعدها ، ( ص ٣٥٨ ) ومابعدها . رسالة ماجستير لم تُنشر .

ايدينا تشهد لهم بما نقول .

فمن مملكة بنى هود بسرقسطة نبغ الطبيب ابو الحكم عمر بن عبد الرحمن ابن على الكرمانى ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ) ، وكان هذا العلامة موسوعيا — اذا صح التعبير — فهو طبيب وفيلسوف ورياضى ومهندس ، ولكنه اشتهر اكثر بمعرفته الواسعة بالهندسة والطب خاصة ، فقد ابدى مهارة فائقة فى ميدان الجراحة الطبية <sup>(١)</sup> .

وكان ابو الحكم قد افاد فى حياته العلمية من علماء وطنه فى قرطبة وغيرها ثم شد رحاله ميمما نحو المشرق لينهل مزيدا من العلم والمعرفة فقصده حران من بلاد الجزيرة ، حيث توفر بها على دراسة الطب والهندسة حتى تطلع فيهما ، ثم صرف وجهه الى قرطبة فاستقر بمدينة سرقسطة عاصمة بنى هود ، ومنها بث علومه ومعارفه على تلاميذه ومن قصده من العلماء <sup>(٢)</sup> .

وجدير بالذكر ان ابا الحكم الكرمانى عاش مايقارب تسعين سنة قضاها فى خدمة العلم ونشر معارفه فى الجراحة الطبية ، وما من شك ان هذا العمر المديد الذى بلغه ابو الحكم كان له اكبر الاثر فى انتشار علومه بدرجة واسعة كما يوضح لنا مقدار ماخرج على يديه من العلماء فى الطب والجراحة الطبية فقد كان طبيبا مجربا عمليا لا يتطرق الشك الى سيرته العلمية وما اسداه من جهود سواء كانت انتاجا علميا مؤلفا او ما خلفه بعد موته من تلاميذ نجباء .

وفى مملكة سرقسطة ايضا اشتهر الطبيب اليهودى يونس بن اسحق ابن بكلاش الذى عده ابن ابى اصيبعة من كبار اطباء الاندلس . وكان ماهرا

( ١ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٤ - ٩٥ ) ، القفطى : اخبار العلماء ( ص ١٦٢ )

ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٥٨٤ - ٤٨٥ ) ، بول غليونجى

وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية ( ص ١٥٢ ) .

( ٢ ) صاعد : مصدر سابق ( ص ٩٤ - ٩٥ ) .

فى معرفة الادوية وتركيبها ، ونظرا لعلومه الواسع فى الطب والصيدلة فقد قربه بنو هوناليهم وانزلوه منزلة سامية فى بلاطهم فخدمهم بعلومه ، والف لاحدهم وهو المستعين كتاب " المجدولة " على هيئة جداول فى الادوية المفردة <sup>(١)</sup> .

وللكتاب اسم آخر وهو " المستعيني " نسبة للمستعين احمد بن المؤتمن ويتضمن الكتاب بحثا نظريا فى العقاقير ، مع مقابلات اسماء النباتات بالعربية والفارسية واليونانية والسريانية واللاتينية <sup>(٢)</sup> .

ونبغ فى هذه المملكة من الاطباء اليهود غير ابن بكلا رش الطبيب منجم بن الفوال ، الذى كان موصوفا بالبراعة فى الطب <sup>(٣)</sup> .

وكان صديقه مروان بن جناح السرقسطى ماهرا فى علوم مختلفة ومن بينها الصيدلة ، فألف كتابا فى الادوية المفردة وتحديد المقادير المستعملة فى ذلك من الاوزان والمكاييل <sup>(٤)</sup> .

ومن مملكة طليطلة برز الطبيب ابو العرب يوسف بن محمد ( ٣٠٤ هـ / ١١٣٨ م ) وقد عرف بتفوقه الكبير فى الطب ومهارته فى معرفة اصوله حتى عد من الراسخين فى علمه ، وشهد له علماء عصره بالتفوق ، واقرؤا له بالمعرفة الواسعة ، ومن هؤلاء الطبيب عبدالرحمن بن وافد ، والطبيب سعيد بن البغونش <sup>(٥)</sup> .

ويذكر صاعد نقلا عن معاصرى ابي العرب ، ان ابا العرب احتل مكانته العالية فى ميدان الطب وذاع صيته بشكل واسع بعد وفاة الطبيب محمد بن

( ١ ) ابن ابي ابيعيه : عيون الانباء ( ص ٥٠١ ) .

( ٢ ) سيد حسين نصر : العلوم فى الاسلام ( ص ١٦٢ ) ، عبدالرحمن بدوى نصوص ودراسات فى الفلسفة والعلوم عند العرب ( ص ٢٤ ) .

( ٣ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١١٦ ) .

( ٤ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١١٧ ) .

( ٥ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١٠٩ ) .

عبدون الجبلى الذى كان من مشاهير اطباء عصر الخلافة<sup>(١)</sup> .

والدارس يقف متحيرا امام هذا القول . فان الزهراوى الجراح العظيم الذى نعتبه من اكبر اطباء الاسلام واولهم فى الجراحة الطبية لم يعط من الثناء كما اعطى ابو العرب ومن قبله ابن عبدون الجبلى ، واذا صح كلام صاعد الذى نقله عن معاصرى ابن عبدون الجبلى فان المؤرخ يقف مذهولا مما اصاب تراث المسلمين فى الاندلس من ضياع وما الم بانتاجهم من فنــــاء وزوال ، فلم يبق لدينا الا اوصاف اولئك الاطباء وبعض الكلمات التى تتضمن الثناء عليهم ، واما كتبهم ودراستهم فمن المؤسف انها ضاعت وفقدت .

ومما يؤسف له ان ابا العرب قد ابتلى فى آخر عمره بحب الشراب وادمن ذلك حتى اضاع به وقته وقطع به ليله ونهاره فحرم كثير من التلاميذ والعلماء الافادة من علمه وتجاربه . وكان قد امتد به العمر حتى التسعين سنة<sup>(٢)</sup> .

ومن مملكة طليطلة ظهر الطبيب ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلى (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢ م ) ، وكان قد تلقى علومه ببلده ثم اتجه الى قرطبة حيث اخذ عن اطبائها وعلمائها كثيرا من المعارف المختلفة فاخذ الرياضيات والهندسة عن العلامة مسلمة بن احمد ، والطب عن محمد بن عبدون الجبلى وسليمان بن جلجل ، وبعد ان اتم علمه عاد الى طليطلة حيث حظى بمنزلة كريمة لدى ملكها الظافر اسماعيل بن ذى النون . وذكر

( ١ ) طبقات الامم ( ص ١٠٩ ) .

ومحمد بن عبدون من اطباء عصر الخلافة ، رحل الى المشرق سنة ٣٤٧هـ فدخل البصرة ومصر ودبر مارستانها واخذ كثيرا من العلم عن علماء المشرق ثم عاد الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ فالتحق بخدمة الحكم المستنصر ثم ابنه هشام المؤيد . انظر صاعد : المصدر السابق

( ص ١٠٧ ) .

( ٢ ) صاعد : مصدر سابق ( ص ١٠٩ ) .

صاعد انه التقى به فى صدر دولة المأمون ، وانه قد انصرف عن تلك العلوم واتجه الى النسك وقراءة القرآن ولكنه تشاغل مع ذلك بقراءة كتب جالينوس ودراستها حتى نال من ذلك علما واسعا ، الا انه لم يكن له مهارة فى علاج المرضى و فهم ثاقب فى فحصهم .<sup>(١)</sup>

ومن مملكة طليطلة ايضا نبغ الطبيب محمد التيمى الطليطلى ويبدو ان هذا الطبيب كان من كبار اطباء الاندلس والعارفين بهذا العلم والمهريين فى ممارسة الجراحة الطبية ، فان الكتاب الذى صنّفه والذى لا يزال باقيا بين ايدينا فى صورة "مخطوط بمكتبة الاسكوريال" يؤكد مكانة التيمى ويضعه فى الصف الاول من اطباء عصر ملوك الطوائف ، فهو فى كتابه قد شرح الكثير من الامراض وشخصها ووصف اعراضها ، وكان منهجه فى تأليف كتابه ينم عن رسوخه فى الطب ومعرفته العميقة به ، كما ان فى الكتاب ما يشير الى براعته فى اساليب التعليم الطبى عن طريق الممارسة العملية واجراء العمليات الجراحية كتطبيق للدراسات النظرية .<sup>(٢)</sup>

ومن هذه المملكة ايضا ظهر اربع اطباء هذه الفترة واعظمهم تمكنا فى الصيدلة ، وهو الطبيب والصيدلى المشهور الوزير ابن المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمى الطليطلى ( ٣٩٨ - ٤٦٠ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٦٧ م ) ، وكانت نشأته نشأة علمية ناجحة ، فقد اتجه منذ بداية حياته العلمية الى دراسة علوم الاوائل وخاصة الطب والصيدلة ، فعكف على دراسة كتب جالينوس حتى وعاهها ، ثم عكف على دراسة كتب أرسطاطاليس وغيره من فلاسفة اليونان ، وكان نبوغه منصبا على معرفة الادوية وخصائصها ، فمهر فى

( ١ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١٠٩ - ١١٠ ) ، وانظر ابن ابى اصيعة - مصدر سابق ( ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ) .

( ٢ ) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ( ص ٤٧٦ ) .

هذا العلم حتى بزغيره من العلماء وفاقهم .<sup>(١)</sup>

وبلغ من اهتمام ابن وافد وحرصه على الدراسة العميقة الجادة  
لأنواع النباتات والأعشاب الطبية أن استأذن ملك طليطلة المأمون في إنشاء  
حديقة نباتية تشتمل على أنواع مختلفة من النباتات وذلك لكي يتسنى لـه  
دراساتها عن كثب وليسهل عليه إجراء التجارب الصيدلانية على أنواعها  
ومعرفة خصائصها ومعطياتها الطبية والعلاجية .<sup>(٢)</sup>

ويذكر المقرئ أن ابن وافد آية الله تعالى في معرفة الطب والعلم  
بالأدوية وخصائص النباتات .<sup>(٣)</sup>

وبلغ من منزلة ابن وافد العلمية ونبوغه أن اعترف له علماء عصره بالامامة  
في ذلك وصحة النظر وجودة القريحة ونفاضة الانتاج في ميداني الطب  
والصيدلة .<sup>(٤)</sup>

وابن وافد عرف لدى الأوربيين بابن ويفيث Eben Cuefith  
وكان لشهرته العلمية ومكانته الاجتماعية قد تولى الوزارة في دولة المأمون  
ملك طليطلة ، ولم تكن شهرته وقفا على معرفته الواسعة بالطب عامة بل كان

- 
- ( ١ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١١٠ - ١١١ ) ، القفطي : اخبار العلماء  
( ص ١٥٢ ) ، ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ( ص ٤٩٦ ) ، المقرئ  
نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٣٧٧ ) ، وانظر عمر فروخ : عبقرية العرب  
( ص ١٢٥ ) ، عمر كحالة : العلوم البحتة ( ص ٣١٢ ) ، علي  
الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ( ص ١٧٨ ) .  
( ٢ ) حكمت الاوسى : كتاب الوساد لابن وافد الطليطلي ( مقال بمجلة  
المؤرخ العربي ، العدد الثالث عشر ص ١٧٥ ) ، وانظر بنعبدالله  
الفكر العلمي في المغرب الاقصى ( مقال بمجلة الدارة ص ١٦٤ - ١٦٥ )  
( ٣ ) نفح الطيب ، ج ٣ ( ص ٣٧٧ ) .  
( ٤ ) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ( ص ٦٧١ ) .

بارعا ايضا فى طب العيون او مايسمى بالكحالة عند العرب، وفى هذا الحقل صنف كتابه " تدقيق النظر"<sup>(١)</sup>.

وكان لابن وافد طرائق ومناهج ابتدعها فى العلاج الطبى وشفاء المرضى، فقد كان معتنيا بالعلاج عن طريق التغذية. كثير التركيز على هذا الجانب ويقدمه على جانب المعالجة الدوائية، فان اضطر الى العلاج بالادوية قصد الى المفرد منها دون المركب الذى يحوى فى تركيبه عدة نباتات او وصفات مختلفة، فان رأى ان لامناس من التركيب عمد الى اخفـه وایسرہ ترکیباً<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر ان منهج ابن وافد فى معالجة الامراض بالتغذية قد ثبت اهميته وقيمته الرفيعة فى هذا العصر، وهو منهج نادى به الاطباء المعاصرون وعلماء الصحة واتجهوا الى تأليف الكثير من الكتب والمقالات حوله ولعل كتاب الدكتور جايلورد هوزر ( الغذاء يصنع المعجزات ) من اشهر الكتب التى سلكت هذا النهج العلاجى لكثير من الامراض وفى سبيل المحافظة على صحة الانسان . وبهذا يتضح لنا اسبقية ذلك العالم الكبير الى طرق هذا الجانب الهام من طرق العلاج<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نكتشف كل يوم الجديد مما اضافہ اجدادنا الى التراث العلمى الانسانى، ومنه الطب . كما ان ابن وافد سبق العديد من الاطباء

( ١ ) فرات فائق : الكحالة عند العرب ( ص ٢٩ - ٣٠ ) ، انخل بالنشيا : مرجع سابق ( ص ٤٦٧ ) .

( ٢ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١١٠ - ١١١ ) ، القفطى : اخبار العلماء ( ص ٢٢٦ ) ، ابن ابى اصيبعة : مصدر سابق ( ص ٤٩٦ ) ، باقر امين الورد : معجم علماء العرب، ج ١ ( ص ٧٣ - ٧٤ ) .

( ٣ ) كتاب " الغذاء يصنع المعجزات" لجايلورد هوزر، ترجمة احمد قدامة دار النفائس، ط/ السابعة ١٤٠٣ هـ .

المعاصرين الى تأكيده الاعتماد على الاقل من الادوية في معالجة المرض، وكان ضد الوصفات الطبية الكثيرة المعقدة التي لايجنى المريض منها سوى المعاناة والآثار الجانبية السيئة. ولهذا قال صاعد : ( ولابن وافد نواذر محفوظـة وغرائب مشهورة في الابرء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بايسر علاج واقربه )<sup>(١)</sup>.

ولا بن وافد كتب متعددة في الطب والصيدلة ، منها كتاب " الادوية المفردة " وكتاب " تدقيق النظر في علل حاسة البصر " وكتاب " الوساد " في الطب ، وكتاب " مجربات في الطب " وكتاب " المغيث "<sup>(٢)</sup>.

ومما ينسب اليه من الكتب غير ما ذكرنا كتاب " المجموع في الفلاحة " وكتاب آخر لا نعرف عنه سوى عنوانه باللاتينية هو De balneis Sermo

وفيما يتصل بكتابه عن الأدوية المفردة فقد قال عنه صديق ابن وافد المؤرخ صاعد بن أحمد الطليطلي ( اخبرني عنه انه عانى جمعه ، وحاول ترتيبه ، وتصحيح ماضنه من اسماء الادوية وصفاتها واودعه اياه مع تفصيل قواها وتحديد درجاتها من عشرين سنة حتى كمل موافقا لغرضه مطابقا لبغيته )<sup>(٤)</sup>.

ويكفي الدارس لمعرفة اهمية ما تضمنه ذلك الكتاب من علوم ومعارف طبية

( ١ ) طبقات الامم ( ص ١١٠ - ١١١ ) .

( ٢ ) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٤٩٦ ) حكمت نجيب د راسات في تاريخ العلوم

( ص ٣٤٢ ) ، على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ( ص ١٨١ ) .

( ٣ ) حكمت الاوسى : مقال سابق ( ص ١٧٦ ) ، وانظر في نفس الصفحة ج رقم

١١ .

( ٤ ) طبقات الامم ( ص ١١٠ - ١١١ ) ، وانظر ما يتضمن هذا المعنى :

Scott : History of The Moorish Empire In Europe, Vol III.

p. 512.



وصيدلية تلك المدة الزمنية التي قضاها ابن وافد في تأليف كتابه وهي عشرين سنة ، وما من شك ان كتابه تضمن الكثير من تجاربه والعديد من خبراته ومشاهداته في ميدان العلاج الطبي وانواع الادوية المفردة .

وجدير بالذكر ان كتاب ابن وافد في الادوية المفردة لقي قبولا عظيما من الاطباء آنذاك ومن اتى بعدهم ايضا ، وقد اعتمد عليه الاوربيون في معرفة الكثير من علوم الصيدلة وانواع الادوية فترجم الى اللاتينية والعبرية والقطانية<sup>(١)</sup> .

وبعد هذا فلا عجب ان يوصف ابن وافد بانه مؤسس علم الصيدلة الحديث<sup>(٢)</sup> .

وفيما يتعلق بكتابه " الوساد " فقد اطلع الباحث على مخطوطة هذا الكتاب بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ( ٨٣٣ ) في مجموع يضم المخطوط المذكور ضمن مخطوطات اخرى . ويبدأ المخطوط بعرض للادهان والاشربة المفيدة في تجميل وعلاج الاسنان ، ويصف عند حديثه عن الشعر دواء لتسويده وغيره لتقويته وعلاج ما يتساقط منه<sup>(٣)</sup> ، ثم يتعرض للدماغ والادوية المقوية له<sup>(٤)</sup> والشافية لاجاعه . ومما يلاحظ في عرضه للادوية انه لا يكتفى بوصفة واحدة لوجع ما في اكثر الاحيان بل ان تمكنه في صناعة الطب ومعرفته الواسعة

---

( ١ ) حكمت الاوسى : الوساد لابن وافد ، مقال بمجلة المؤرخ العربي العدد الثالث عشر ( ص ١٧٦ ) ، على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ( ص ١٧٩ ، ١٨٠ ) .

( ٢ ) باقرا مين الورد : معجم علماء العرب ، ج ١ ( ص ٧٣ ) .

( ٣ ) ابن وافد : الوساد ( مخطوط ) ورقة ٢ ب .

( ٤ ) ابن وافد : نفس المصدر ورقة ٤ ب .

بالادوية وخصائصها العلاجية دفعه الى عرض اكثر من علاج ووصفة طبية لحالة من الحالات المرضية . وقد يكون لهذه الطريقة مغزى اجتماعي وهو ان اوضاع الناس الاجتماعية والاقتصادية في عهده تمنع الكثير من شراء بعض الوصفات الطبية الغالية والاقبال على تلك الوصفات الطبية السهلة التركيب الرخيصة الثمن التي تسمح لذوى العوز والفاقة من الحصول عليها باقل كلفة وايسر ثمن .

وابن وافد يصف ادوية وعلاجات موسمية يصلح البعض منها فى الصيف فى حين ان البعض الآخر لا يفيد الا شتاء مثل قوله ( بخور نافع باذن الله يستعمل فى الصيف ) ، وكقوله فى موضع آخر ( دواء لتقوية عصب الدماغ وشرط استعماله فى الشتاء )<sup>(١)</sup> .

ويتطرق ابن وافد فى كتابه الوساد الى العين وما يعترىها من الضعف وما يلحقها من الاصاب والوجاع . ويصف لكل حالة مرضية دواء او كحلا وجدير بالذكر ان كتاباته الطبية والعلاجية عن العين تنم عن مهارته فى هذا الفرع الطبى وهو طب العيون او ما يعرف عند العرب بـ " الكحالـة " ومما يلاحظ عند وصفه لعلاج امراض العين كثرة اعتماده على ماء الورد كوصفة طبية ، فهو يقول مثلا ( صفه لمن يجد وجعا فى عينيه وصدغيه ، يقصـد الشريانات ثم يكمد موضع الوجع بشيء من ماء الورد ) وفى موضع آخر ( ثم يقطر فى العين ماء ورد بارد ان شاء الله )<sup>(٢)</sup> .

ويستمر ابن وافد فى عرض اوجاع العين وآلامها مع وصفه لضروب الادوية والعلاجات والضمادات النافعة فى اسلوب علمى رصين يعتمد على السـوان مختلفة من النباتات والاعشاب والازهار مع مراعاة التناسب الكمي فى تركيبها

( ١ ) ابن وافد : الوساد ، ورقة ٧ أ .

( ٢ ) ابن وافد : الوساد ( مخطوطة ) ورقة ١٥ أ .

وكثيرا ما يختتم حديثه عن وصفة ما بقوله ( نافع ان شاء الله تعالى ، اوباذن الله تعالى ) .

ويأخذ ابن وافد فى عرض طرائق العلاج لكل من علل واوجاع الاذن والفم واللثة والاسنان والحلق عامة ثم القلب ، ثم يعرض لبعض الامراض النفسية والعصبية كالوحشه والاكتئاب والهم والغزع والقلق<sup>(١)</sup> .

وابن وافد فى كتابه يتطرق الى معالجة امراض واوجاع المعدة والكبد والطحال والاحشاء والاجهزة الباطنية بشكل عام ، ثم يصف بعد ذلك طرق معالجة الكلى والحثانة وكيفية علاج سلس البول وتفتيت الحصى ويقول عن ذلك ( صفة دواء للحصاه ، تأخذ من زهر الزيتون مثقال ، ومن زهر الشبث مثل ذلك ويعجن بالسمن ويشرب ان شاء الله تعالى ) . ثم ينتقل بعده الى علاج مايعتور المقعدة من اوجاع كاللبواسير فيصف لها ضروب العلاج حسب كل حالة مرضية . ثم يلى ذلك حديثه عن الامراض التناسلية لدى الرجل والمرأة ، ويتكلم عن الامراض الجلدية فى صورة تتم عن براعته وسعة افقه فى الجمع بين الحديث عن الامراض التناسلية والجلدية كأساس لاقتراب هذين الفرعين من الطب فى تخصص واحد كما هو حاصل فى عصرنا الحاضر ، ويختتم ابن وافد كتابه بالحديث عن كيفية عمل الاشربة والمربيات من السفرجل والتفاح والجوز وأنواع اللبوب والبزور<sup>(٢)</sup> .

وبهذا الموضوع يختتم ابن وافد كتابه الوساد الذى يقع فى ٨٢ ورقة ولا نعلم على وجه القطع هل كل ما اطلعنا عليه هو كتاب الوساد كاملا ام ان هناك نسخا اخرى تحوى مواضعا لم تتوفر فى النسخة الموجودة فى الاسكوريال

( ١ ) ابن وافد : الوساد ( مخطوط ) ورقة ٣٥ ب .

( ٢ ) انظر الوساد ( مخطوط ) ورقة ٨١ أ .

وعلى اية حال فان ما اشرنا اليه من ذلك الكتاب القيم ما يدل على مكانة ابن وافد الطبية وسعة علمه فى الصيدلة والدراية بالادوية وخصائصها ، وبناءً عليه فان ابن وافد يعتبر بحق المع اسم ظهر فى علوم الطب والصيدلة فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . وهو امر اكده كثير من العلماء والاطباء سواء فى عصره او ماتلاه او فى عصرنا الحاضر ، ولعل ما حداهم الى ذلك ما خلفه من انتاج طبى وصيدلى قيم لا زال بعضه شاهداً على ما قيل عنه من ثناء واطراء كبيرين .

ومن اشهر تلاميذ ابن وافد على بن عبد الرحمن الخزرجى الطليطلى ( ت ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م ) وقد استقر به المقام بعد خروجه من طليطلة فى مدينة قرطبة ، وكان ماهراً فى الطب واساليب المعالجة ، وله تجارب وخبرات نافعة اكتسبها عن استاذة ابن وافد ذاع بها صيته فى الطب .<sup>(١)</sup>

ومن مملكة دانية ظهر الطبيب الفيلسوف الفلكى ابو الصلت امية بن عبد العزيز الدانى ( ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ) وكان من اهل التفنن والاحاطة بعدد من العلوم التطبيقية وعلى رأسها الطب والصيدلة حتى انه ( بلغ فى صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره من الاطباء )<sup>(٢)</sup> .

ويذكر ابن ابى اصييعه ان ابا الصلت رحل عن وطنه الاندلس ودخل مصر فى حدود سنة ( ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ) ، ولكن ابن البار يشير الى انه خرج من بلده وعمره عشرون سنة وقصد مصر حيث اقام بها عشرين سنة يطلب العلم فنبتغى فى الطب وغيره من العلوم وسجن اثناء ذلك ثم عاد الى المغرب فنزل المهدية على رأس الخمسمائة و اقام بها فى كنف امراءها الصنهاجيين<sup>(٣)</sup> .  
تميم بن المعز وولده عشرين سنة .<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول ( ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ) .  
 ( ٢ ) ابن ابى اصييعه : مصدر سابق ( ص ٥٠٢ ) .  
 ( ٣ ) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ( ص ٥٠٢ ) .  
 ( ٤ ) تكملة الصلة ، ج ١ ( ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ) ، وكذلك المقتضب من تحفة القادم ( ص ٥٦ ) .

ونحن نميل الى قول ابن الابار لانه استقى معلوماته عن بعض العلماء القاطنين بالمدينة التي توفي بها وممن كانوا على مقربة من عصر ابي الصلت وما جرى له من احداث .

وهناك رأى آخر يورده ابن سعيد ، وهو ان ابا الصلت خرج من اشبيلية واتجه الى المهدية حيث نزل في بلاط ملوكها الصنهاجيين ، ثم توجه رسولا الى الفاطميين بمصر فسجن في القاهرة وكان في السجن خزائن كتب فعكف على مطالعتها فاورثته علما واسعا في الطب والفلك والموسيقى وغيرها <sup>(١)</sup> .

ونحن نستبعد ان يسجن هذه الفترة الطويلة ، ولربما كان ابن سعيد يقصد بالسجن هنا اى الإقامة الجبرية في مكان محدد او منطقة معينة خصوصا ان ابن سعيد يورد خبرا نقله عن غيره ، فهو يقول ( يقال ان عمره - اى اميه - كان ستين سنة ، عشرون في اشبيلية ، وعشرون في المهدية وعشرون في مصر محبوسا في خزانة كتب ) <sup>(٢)</sup> . وان مجرد اعتماد ابن سعيد على لفظ " يقال " من شأنه ان يزعزع الثقة بصحة الخبر ، كما ان تقسيم عمر ابي الصلت بين هذه الاقطار بالتساوى يجعلنا اكثر تريثا في صحة سجنه هذه المدة الطويلة ، كما ان ابن ابي اصيبه لم يشر الى هذه المدة ولم يحدد ها ويشير ياقوت لابي الصلت ويورد سببا لسجنه وهو ان الافضل وزير الخليفة الفاطمي تغير عليه بسبب وشاية بعض تلامذته ممن سعى في تقبيح سيرته وان ابا الصلت لما علم بالواشى دعا عليه وان الله سبحانه قد استجاب دعوته فلقى مانكبه وغير حاله . والى هذه الحادثة يشير ابو الصلت بقوله :

قد كان لى سبب قد كنت احسب ان  
احظى به فاذا دأى من السبب  
فما مقلم اظفارى سوى قلمي  
ولا كئائب اعدائى سوى كئيبى <sup>(٣)</sup>

( ١ ) المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ( ص ٢٦٢ ) .

( ٢ ) المغرب ، ج ١ ( ص ٢٦٢ ) .

( ٣ ) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ( ص ٦٧ - ٦٨ ) .

ولا بى الصلت آراء صائبة واقوال حكيمة فى الطب، ويبدو انه عانى اثناء دراسته للطب بمصر من بعض مدعى الطب او ممن اشتغلوا بالخلاف والجدل دون العمل . وقد كان ابو الصلت شديد العناية فى دراسته للطب بقراءة كتب جالينوس وابقراط، عظيم الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة، ساعيا فى فهم دقائق الطب وشرح مسائله المختلفة، وكان يرى ان الطبيب محتاج الى العلوم الطبيعية والقوانين القياسية فى فهمه لعلم الطب وتوضيح مشكله<sup>(١)</sup>.

ويذكر ابو الصلت فى رسالته المسماه " الرسالة المصرية " بعض الملاحظات الطبية، فيشير الى اتباع القائمين على احدى البيمارستات بمصر العلاج النفسى فى معالجة مرضاهم من ذوى الحالات العصبية والنفسية وكيف ان المعالج كان يسرد على مرضاه الحكايات والروايات المسلية والمضحكة وكيف انه - اى المعالج - كان يظهر متقنعا بوجه مضحك ويقوم باداء بعض الحركات البهلوانية المضحكة فيشيع جوا من المرح والسعادة فى نفوس المرضى وهكذا الى جانب وسائل العلاج الاخرى حتى يبرأ المريض ويشفى من عنته ويعلق ابو الصلت على هذه الظاهرة مبديا رأيه فى ذلك بما ينم عن تمكنه الواسع فى الطب ومعرفته باسباب العلل واساليب العلاج والشفاء فيقول :

( فليت اطباء عصرنا هذا باسرههم قدروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضرة فيه ولا غائلة له . بل امره على المريض هين ، ونفعه ظاهر بين ، كيف لا وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوى القوة الطبيعية ، ويقوى البدن على دفع الاخلات الردية المؤذية والفضول )<sup>(٢)</sup>.

- 
- ( ١ ) كمال السامرائى : مختصر تاريخ الطب العربى (ص ٦٥٢) ، نقلا عن الرسالة المصرية ، تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٥١ م .  
 ( ٢ ) كمال السامرائى : مختصر تاريخ الطب العربى (ص ٦٥٣) نقلا عن الرسالة المصرية .

وغادر أبو الصلت مصر عازماً على العودة إلى وطنه الأندلس، فمُرر بالمهدية حيث نزل بها، على أن يغادرها إلى وطنه، لكن الوفاة أدركته هناك سنة (١) ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م تقريباً (٢).

وخلف أبو الصلت أمة كتبها في الطب منها "الانتصار لحنين بن اسحق على ابن رضوان لنفيه ماورد في كتاب المسائل لحنين" وكتاب "الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء الأولية" و "الرسالة المصرية" (٣).

ويشير ابن الأبار إلى أن لأبي الصلت تواليف قيمة مفيدة في الطب وأن هذا هو الغالب عليه (٤).

ومن مملكة دانية أيضاً، ظهرت أسرة ابن زهر وهي الأسرة التي ذاع صيت ابنائها في الطب والفلسفة. وقد لقيت هذه الأسرة الجليّة ثناء العلماء والمؤرخين ليس في الأندلس فحسب بل في المشرق أيضاً حتى قال عنها أحد مؤرخي المشرق: (أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم) (٥).

واسرة بنو زهر انجبت عدداً من مشاهير الأطباء خلال ستة أجيال متتابعة، وقد استوطنت اشبيلية مقر ملك بني عباد وكان هذا الانتقال من دانية إلى اشبيلية على يد الشيخ الطبيب أبو العلاء زهر كما سيأتي ذكره.

- 
- (١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء (ص ٥٠٤-٥٠٥).
  - (٢) ابن الأبار: تكملة الصلة، ج ١ (ص ٢٠٤).
  - (٣) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق (ص ٥١٤-٥١٥)، ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤ (ص ٦٤)، عمر كحالة: العلوم العملية (ص ٥٢).
  - (٤) المقتضب من تحفة القادِم (ص ٥٧).
  - (٥) مؤلف مجهول: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوط ١٨١).

و اول طبيب فى هذه الاسرة هو ابو مروان عبد الملك بن محمد ، وكعادة علماء الاندلس فى السعى لنيل العلوم والاستزادة من المعارف فقد شذر حاله الى المشرق فدخل القيروان ثم مصر وغيرها من اقطار المشرق ثم عاد بعد ذلك الى وطنه ومسقط رأسه دانية . وطار ذكره فى الطب ورسوخه فيه .<sup>(١)</sup>

وجدير بالذكر ان نشير الى ان ابامروان تولى رئاسة الطب فى بغداد ثم بمصر ثم بالقيروان وهو ما اشار اليه المقرئ<sup>(٢)</sup> . واذا صح هذا فان فيه دلالة واضحة وعميقة على مدى ما بلغه الاندلسيون من تفوق واحرزوه من سبق فى هذا العلم الهام .

وكان ابو مروان بسعة علمه ومهارته فى الطب قد بلغت اخباره مسامع الامير مجاهد العامرى ملك دانية ، فسر بقدم ابى مروان واعجب بمكانته العلمية فاستدعاه الى بلاطه وبالف فى الاحتفاء به واكرامه واحله فى بلاطه مكانا عليا .<sup>(٣)</sup>

وعلى الرغم من شهرة ابى مروان فى الطب وذيوع اسمه بين اهل عصره الا انه لم يسلم من الزلل والوقوع فى الخطل فى بعض آرائه الطبية ، حيث اشار الى ان ورود الحمام واستخدامه يؤدى الى غفن الاجسام وافساد تركيب الامزجة ، وقد رد عليه مؤرخ تلك الفترة صاعد الطليطلى . ووصف رأى ابى مروان

( ١ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ١١١ ) ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ( ص ٢١٩ ) ، ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٥١٧ ) ، المراكشى الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ ( ص ٣٧ ) ، المقرئ : النفح ، ج ٢ ، ( ص ٢٤٤ ) ، فوزى سعد : ابن زهر ( الحفيد ) ( ص ١٠ ) .

Anwar, Ch: Muslim Spain. Its History and Culture, P. 356.

محمد الصادق ، تطور الفكر العلمى ( ص ٢٠ ) .

( ٢ ) نفح الطيب ، ج ٢ ( ص ٢٤٤ ) .

( ٣ ) ابن ابى اصيبعة : مصدر سابق ( ص ٥١٧ ) ، لطفى عبدالبيديع : الاسلام فى اسبانيا ( ص ٥٩ - ٦٠ ) ، فوزى سعد : ابن زهر ( الحفيد ) ( ص ١٠ ) .



بانه رأى خاطيء لا يقره عليه اهل المعرفة فى الطب وصحة الانسان وان استعمال الحمام رياضة ذات فائدة بالغة لجسم الانسان وعامل هام فى فتح مسام الجلد وبث الحيوية والنشاط للانسان هذا الى اهمية ذلك فى نظافة الانسان ونزاهته.<sup>(١)</sup>

وقبل وفاة ابى مروان كان ابنه النابه ابو العلاء زهر يصعد مدارج الشهرة فى الطب، وكان قد تلقى علومه على يد والده وبعض مشاهير الاطباء آنذاك، وكان موصوفا بالذكاء وسعة الافق والمعرفة الواسعة بالطب . ولعل من دلائل نبوغه ونفاذ بصيرته فى معالجة المرضى انه كان يكتفى لمعرفة حال المريض بفحص بوله او جس نبضه .<sup>(٢)</sup>

ذكره ابن بسام فقال ( نشأ بشرق الاندلس والآفاق يتتهدى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعهم وغرائبهم ، ومال الى علم الابدان ، فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ) .<sup>(٣)</sup>

ونظرا لشهرة ابى العلاء وذياع صيته فى انحاء الاندلس فقد سعى المعتمد بن عباد الى استمالته ابان دخول يوسف بن تاشفين الاندلس لنصرة ملوك الطوائف، وكان ابو العلاء قد انضم الى المجاهدين لقتال الفونسوس السادس، وهناك تعرف عليه المعتمد واستدعاه للعمل فى بلاطه فى اشبيلية ووافق ابو العلاء واقام فترة من الزمن ثم استأذن المعتمد فى العودة الى مسقط رأسه " دانية " فأذن له ولم يعد الى اشبيلية الا بعد زوال سلطان

( ١ ) طبقات الامم ( ص ١١١ ) وانظر فيما يتعلق بهذا الجانب :

Anwar, Ch: Muslim Spain , P. 356.

( ٢ ) ابن ابى اصيبمه : عيون الانباء ( ص ٥١٧ ) ، وانظر ايضا احمد الاخوانى الفلسفة فى الاندلس ، مقال بمجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ج ١٥ ، الجزء الاول ( ص ٩٥ ) .

( ٣ ) الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٢٠ ) .

المعتمد قد دخل في طاعة المرابطين وعمل في خدمتهم<sup>(١)</sup> .

وبلغ من براعة ابي العلاء ونبوغه في الطب ، ومدى ما قدمه هو وابناؤه من بعده من خدمات طبية جليلة ان اهل المغرب يفاخرون به وباهل بيته وان ابا العلاء المذكور قد انسى ما قبله من الاطباء والحكماء احاطة بالطب وحذقا به<sup>(٢)</sup> .

وكانت الاندلس آنذاك تموج بالعلماء الغادين والرائحين من والى الشرق ، وكانوا في عودتهم الى وطنهم يصطحبون معهم ارقى التصانيف واجود التأليف العلمية ، وحدث ان دخل احد العلماء التجار الاندلس وبرفقته نسخة من كتاب القانون في الطب لابن سينا ، وكان التاجر المذكور قد حرص على ان تكون هذه النسخة جميلة وفاخرة ليتحف بها ابا العلاء زهر ولما قدمها له اخذ في تقليب الكتاب وتصفحه ثم اظهر امتعاضه منه واحتقاره لما فيه ولم يدخله خزنة كتبه ، بل انه لم يكتف بذلك فاخذ يقطع منه اوراقا صغيرة يكتب فيها وصفاته الطبية للمرضى<sup>(٣)</sup> .

والحق ان ابا العلاء قد تحامل كثيرا على ابن سينا وعلى كتابه وبالغ في تنقيصه واهماله . وليس في هذا - في رأى الباحث - ما يوافق اخلاق العلماء الافاضل ويتفق مع ما يجب ان يلتزم به اهل العلم من صدق وموضوعية ونقد بناء . وكان الاولى بابي العلاء عندما لاحظ ما لاحظ من اقوال وآراء ابن سينا في الطب ان ينهج مناهج المنصفين في الاشارة الى الخطأ والصواب ونقد محتويات ذلك الكتاب نقدا علميا صحيحا . وليتسه

( ١ ) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ( ص ٢٢٠ ) ، وانظر محمد الصادق

تطور الفكر العلمي عند المسلمين ( ص ٢٠٠ ) .

( ٢ ) ابن الأبار : تكملة الصلح ، ج ١ ، ص ٣٣٤

( ٣ ) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ص ٥١٨

فعل ذلك كما فعله مع كتاب ابن سينا الآخر الذى صنّفه عن الادوية المفردة<sup>(١)</sup> وعندئذ يكون موقف ابي العلاء موقفا سليما لا غبار عليه فالعلم ان يفيد الانسان ويستفيد وان تكون الحقيقة غايته فى كل حال .

ولهذا لا يستغرب الدارس لما قاله الكتّيب عن سلوك ابي العلاء وموقفه من كتاب ابن سينا بانه ( افراط فى التعصب والحسد )<sup>(٢)</sup> .

وخلف ابو العلاء آثارا وتصانيفا فى الطب منها كتاب " الخواص " وكتاب فى " الادوية المفردة " وكتاب " حل شكوك الرازى على كتاب جالينوس مجربات " ، " مقالة فى الرد على ابن سينا فى مواضع من كتاب الادوية المفردة " الفها لابنه ابي مروان ، وكتاب " النكت الطبية " الفه لابنه ابي مروان ايضا ، و " مقالة فى بسطه لرسالة يعقوب بن اسحق الكندى فى تركيب الادوية " ، وله غير ذلك تجارب وملاحظات ووصفات طبية امر بجمعها بعد موته على بن يوسف ابن تاشفين ، فجمعت بمراكش وسائر بلاد المغرب والاندلس وانتسخت فى جمادى الآخرة سنة ( ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م ) ، وله كتاب " الايضاح بشواهـد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق فى كتاب المدخل الى الطب<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ابن ابي اصيبعة : نفس المصدر ( ص ٥١٩ ) .

( ٢ ) عيون التواريخ ، ج ١٢ ( ص ٢٣٥ ) .

( ٣ ) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٥١٩ ) ، وانظر الصفدى : الوافى بالوفيات ج ١٤ ( ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ) ، الكتّيب : عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ( ص ٢٣٥ ) ، البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ( ص ٣٧٥ ) ، عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ( ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ) .

وينسب لابي العلاء زهر تأليف كتاب اسمه "التذكرة" ، وقد قام بدراسته المستشرق الفرنسي جورج كولان ، ونشر دراسته هذه في مجلة كليون<sup>(١)</sup> الآداب ، جامعة الجزائر ، العدد ١٤ .

وجدير بالذكر ان اعدادا من الاطباء قد ظهرت في هذا العصر الا ان من ذكرناهم آنفا هم اشرهم وابرزهم ، وعلى الرغم من المصاادر المعاصرة لا تبسط الحديث عن هؤلاء الا اننا نستطيع ان نستخرج منها مايشير اليهم وان كانت اشارات عابرة وموجزة فمن هؤلاء محمد بن خلف الانصارى الالبيرى ( ت ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ) ، وكان معدودا في كبار العلماء المشتغلين بعلم الكلام مع براعة في الطب اكتسبها من مطالعته الواسعة في ذلك العلم ، فنبتغ كثيرا في طب العيون "الكحالة" والف في ذلك كتابا<sup>(٢)</sup> قيما .

ولابى جعفر اهد بن خميس الطليطلى نشاط في دراسة علوم الطب فقرأ كتب جالينوس واطلع على اسرارها ومعلوماتها فوعاها واخذ في ممارسة مهنة الطب ومعالجة المرضى<sup>(٣)</sup> .

وعرف عن الاديب الشاعر محمد بن سليمان الرعيني الأعمى تضلعه في الفلسفة والطب . وقد ولد اعشى النظر ضعيفه ، ولكنه تميز بتوقد الذهن

( ١ ) انظر عبدالرحمن بدوى : دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب ( ص ٣٤ ) .

( ٢ ) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ( ص ١٩٤ - ١٩٥ ) ، الداودى : طبقات المفسرين ، ج ٢ ( ص ١٤٢ ) .

( ٣ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٩٩ ) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانبياء ( ص ٤٩٧ ) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، ج ١ ( ص ١١٤ - ١١٥ ) .

وصفاء العقل وحدة الذكاء والفطنة وكان ابنه يصف له ابوالمرضى الذين يقصدونه للعلاج فيستدل بعلمه الواسع في الطب على عين الحقيقة وكنهه الحالة المرضية التي يعانيتها المريض فيصف له العلاج المناسب . وكان عدد من الملوك والامراء يستدعونه لمعالجتهم مما يعرض لهم من العلل<sup>(١)</sup> .

ولابن الخياط يحيى بن احمد (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م) وهو من تلاميذ مسلمة المجريطي ، معرفة واسعة بعلوم الاوائل وتفوق في الطب ومعالجة المرضى<sup>(٢)</sup> .

وهناك ايضا ابو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر ، وكان معتنيا بكتب جالينوس ودراستها دراسة عميقة مكنته من ممارسة هذا العلم على درجة عالية تتم عن جودة قريحته وصفاء ذهنه<sup>(٣)</sup> .

وكان لعلى بن سليمان الزهراوى (ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩ م) اهتمام بالطب وشغف بدراسة كتبه الى جانب عنايته بالهندسة والرياضيات<sup>(٤)</sup> .

وصنف الزهراوى في الطب كتاب "الزهراوى في الطب"<sup>(٥)</sup> ، ويذكر البغدادى ان له كتاب "الامثلة والتجارب والاخبار والنكت والخواص الطبية" "مقالة في ان قبول الجسم الجزأ لا يقف ولا ينتهى"<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ (ص ٤٣٨) ، وانظر : المراكشى الذيل والتكملة ، السفر السادس (ص ٢٢١ - ٢٢٢) ، عمر كحالة العلوم العقلية في العصور الاسلامية (ص ٤٦) .

(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٢) ، ابن ابى اصيعة : مصدر سابق (ص ٤٩٧ - ٤٩٨) ، احمد عيسى : معجم الاطباء (ص ٥٠٨) ، عمر كحالة : العلوم العقلية (ص ٤٧) .

(٣) صاعد : مصدر سابق (ص ١١٢) ، ابن ابى اصيعة : عيون الانباء (ص ٤٩٧) .

(٤) ابن ابى اصيعة : المصدر السابق (ص ٤٨٤) ، وانظر الضبي البغية (ص ٤٢٣) ، احمد عيسى : معجم الاطباء (ص ٣٠٦) .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ٢ (ص ١١٧) .

(٦) هدية العارفين ، ج ١ (ص ٦٨٦) .

ولابى عبدالله محمد بن عبدالله التجانى المعروف بابن النبـاش  
 معرفة جيدة بالطب، ومهارة فى علاج المرضى، وكان يقوم بمهنته فى مدينة  
 مرسية<sup>(١)</sup>.

وللجغرافى الشهير ابى عبيد البكرى معرفة جيدة بعلم الصيدلة  
 ومايتعلق بالادوية المفردة واللوان النباتات والاعشاب ومنافعها واسماءها  
 وصنف فى ذلك كتاب " اعيان النبات والشجريات الاندلسية"<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر ان نشير قبل الختام الى دور اهل الذمة او بعض من  
 اسهم منهم فى نشاط ميدانى الطب والصيدلة، فمنهم مروان بن جناح  
 السرقسطى الذى برز فى علم الادوية وقد سبقت الاشارة اليه لدى الحديث  
 عن اطباء مملكة سرقسطة، ومنجم بن الفوال الطبيب من اهل سرقسطة ايضا  
 ومن اليهود ايضا الطبيب اسحق بن قسطار (ت ٤٤٨هـ/ ١١٥٦م) وكان  
 بارعا فى الطب وخدم به مجاهد العامرى وابنه اقبال الدولة<sup>(٣)</sup>.

وهناك عدد آخر من هؤلاء العلماء الذين اكتفت المصادر بالاشارة الى  
 اشتغالهم بالطب والصيدلة ونحن بدورنا نكتفى - فى هذا المجال - بأن  
 نحيل القارئ الى تلك المصادر التى اشارت اليهم<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٢) .  
 (٢) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٥٠٠) .  
 (٣) صاعد : طبقات الامم (ص ١١٧) .  
 (٤) انظر : ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٤٨٤ - ٤٩٦ - ٤٩٧ -  
 ٤٩٩) ، احمد عيسى : معجم الاطباء (ص ٥٣ ، ٨٢ ، ٢١١ ، ٥١٢) ،  
 المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم الاول (ص ٢٣٩) ،  
 ابن الابار : المعجم (ص ٢٩٠ - ٢٩١) ، تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٤١٧)  
 القاضى عياض : الغنية (ص ١٠١) ، ابن خاقان : القلائد (ص ٢٦٣)  
 ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ (ص ٣٢٦) ، ابن بسام : الذخيرة  
 ق ٣ ، ج ٢ (ص ٦٥٢) ، الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ (ص ٢٨٧)  
 ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ١٢٩) ، الداودى : طبقات المفسرين  
 ج ١ (ص ٢٩٠) .

الرياضيات والفلك

- \* خلوا إسبانيا قبل المسلمين من الاشتغال بهذه العلوم .
- \* قوة الصلة بين الرياضيات والفلك .
- \* حال الدراسات الرياضية والفلكية قبيل عصر الطوائف .
- \* ازدهار الرياضيات والفلك في عصر الطوائف وأسباب ذلك .
- \* أبرز علماء الرياضيات والفلك في ممالك الطوائف وإنتاجهم العلمى .

خلو اسبانيا قبل المسلمين من الاشتغال  
بـهـذه العـلـوم

إذا نظرنا الى التاريخ الفكرى لاسبانيا قبل الاسلام لوقفنا على حقيقة واضحة وهامة وهى ان اهلها لم يعنوا بعلوم الاوائل عناية كبيرة ومن تلك العلوم الرياضيات والفلك ، فلم يظهر بين الاسبان آنذاك علماء بارزون ولهم تجد تلك العلوم تربة خصبة فى اسبانيا . وفى هذا الصدد يقول صاعد ( وتمادت على ذلك ايضا لايعنى اهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الطك لبنى امية بعد عهد اهلها بالفتنة فتحرك ذوو الهم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق ) .<sup>(١)</sup>

وبناء عليه فان قيام الدولة الاموية ، وما ادى اليه من استقرار فى جميع نواحي الحياة وما ترتب على ذلك من رخاء وامن وسلام صرفت كثير من الناس الى تحصيل العلوم والآداب ، فاتجه بعضهم الى دراسة علوم الاوائل واخذوا فى النظر ودراسة ما كتبه السابقون فيها من اليونان ثم اهل المشرق .

## قوة الصلة بين الرياضيات والفلك

ويلاحظ الدارس لتراجم علماء تلك الفترة أنهم قد جمعوا في تعليمهم ودراساتهم بين علوم مختلفة ، فنجد أحدهم بارعا في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم ، ومن الحق أن نشير إلى الارتباط الوثيق بين الدراسات الرياضية والفلكية ، وهو أمر راجع بلا شك إلى حاجة الفلكي إلى الحساب والهندسة لمعرفة مواضع الكواكب ، ولناخذ الزيج مثلا فإنه

( ١ ) طبقات الامم ( ص ٨٣ - ٨٤ ) .



وسيلة هامة من الوسائل التي يعتمد عليها الفلكي في ابحاثه الفلكية وقد عرفه ابن خلدون بانه صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئته في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها<sup>(١)</sup>.

وبهذا نلمس ان كلا من العلمين يعتمد احدهما على الآخر وان كان الفلك اكثر اعتمادا في تصورنا على الرياضيات، ومن النادر جدا ان تجد في تراجم علماء الاندلس من يكون فلكيا فقط او رياضيا فقط .

ويمكن ان يتساءل المرء عن تأخر الاشتغال بهذه العلوم ، وعدم ازدهارها الا في القرن الرابع الهجري وما بعده ، وقد سبق ان اشرت الى ذلك عند الحديث عن الفلسفة ونشاطها في الاندلس، وان الاندلسيين كانوا اول عهدهم اكثر التصاقا بعلوم الدين واللغة مع كراهيتهم للعلوم القديمة نظرا لما رسمه الفقهاء حولها من الوان التكفير والالحاد والزندقة ، وهو ما أخر او حصر موجة الاشتغال بها في فئة محدودة ذات تأثير محدود ، ويمكن ان نذكر منهم العلامة عباس بن فرناس الذي ترك بصمات واضحة من نشاطه العلمي في هذه العلوم ، فاخترع صناعة الكريستال " البلور " كما صنع في منزله هيئة السماء يخيل للناظر فيها النجوم والرعود ، وهو صاحب محاولة الطيران<sup>(٢)</sup>.

والرياضي الفلكي ابو عبيدة مسلم بن احمد بن ابي عبيدة ، عرف بعنايته الشديدة بعلم الفلك ورصد حركات الكواكب وتأثيرها على الارض وما ينتج عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

( ١ ) المقدمة ( ص ٤٨٨ - ٤٨٩ ) ، وانظر التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ ( ص ٧٠ ) .

( ٢ ) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ( ص ٥٦ - ٥٧ ) .  
Anear, Ch: Muslim Spain, p. 163.

( ٣ ) صاعد : طبقات الامم ( ص ٨٦ - ٨٧ ) ، قدرى طوفان : تراث العرب العلمي ( ص ٢٦٣ ) ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ( ص ٩٠ ) .

وجدير بالذكر ان محمد عيسى قد جانب الصواب عندما اشار الى ان الحساب والهندسة والفلك لم تواجه اية مشاكل في دراستها او تدريسها وذلك لارتباطها بالعلوم الدينية وتطبيق الشريعة<sup>(١)</sup>.

فان صح هذا الامر على الحساب والهندسة فان لا يصح على الفلك اللهم الا بقدر ما يعرف به اتجاه القبلة وماعدا ذلك فان الفلك لاقى مالا قتته الفلسفة والتنجيم من المنع والتحريم ، وفي الوقت الذي كان فيه الناس — يتجاوزون عن صناعات الاحجية والطلاسم والعرافين ومستخرجي القال ، كان الفلك محرما رغم انه اقرب للعقل<sup>(٢)</sup>.

وكما ان محمد عيسى جانبه الصواب في اشارته الى اباحة وتيسر الاشتغال بالفلك وطومه ، فان آنخل بالنشيا بالغ في تهويله لموقف المجتمع الاندلسي من الرياضيات وان الفقهاء كانوا يتشددون في الاشتغال بها ولم يكونوا يبيحون الا الحساب المتعلق بالميراث<sup>(٣)</sup>. وهذا امر مناف للحقيقة فالرياضيات لم تلق من التحريم والمنع ما لقيته الفلسفة والفلك مثلا ، فنحن نعلم ان الرياضيات علم يكاد ابعد ما يكون عن مواطن الانحراف العقائدي ونزعات الزندقة والالحاد ، فالرياضيات تتضمن الحساب والجبر والهندسة فالاولان احتاج اليهما الناس لمعرفة مسائل الفرائض والضرائب وموارد الدولة ونفقاتها وما يتصل بالارقام عامة ، واما الهندسة فقد احتاجوا لها في ميادين البناء والعمارة وشق القنوات وتخطيط المدن وغير ذلك .

- 
- ( ١ ) تاريخ التعليم في الاندلس ( ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ) .  
 ( ٢ ) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الاندلس ( ص ٨٩ ) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ٤٤٧ ) .  
 ( ٣ ) تاريخ الفكر الاندلسي ( ص ٤٤٧ ) .

### حال الدراسات الرياضية والفلكية قبيل عصر الطوائف متمم

ويمكن ان نجمل سير حركة الدراسات الرياضية والفلكية فيما قبل عصر ملوك الطوائف بالاشارة اولا الى الدور الذى لعبه الامير عبد الرحمن الاوسط ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م ) ، فى تنشيط مثل هـذـه الدراسات وارساله عدد من الرسل الى المشرق ليجمعوا له تصانيف الفكر اليونانى والهندي والفارسي .

وفى عهد آبنه محمد ( ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م ) ، ظهرت بوادر الاشتغال با لفك والرياضيات بين عدد من العلماء و( تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرن ظهورا غير شائع الى قريب وسط المائة الرابعة ) .

ومن اولئك الافراد ما اشرت اليهم آنفا كعباس بن فرناس ، ومسلم بن احمد ، كما يلحق بهما المنجم الفلكى المنسوب للجزيرة الخضراء ويدعى الضبي ، وقد وصف انه فى الفلك كبطليموس<sup>(١)</sup> .

وتنامى الاهتمام بهذه الدراسات فى عصر الخلافة وكثر المشتغلون بها وخصوصا فى عصرالخليفة العالم الكبير الحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م ) ، الذى كان عهده صفحة مشرقة حضارة وعلماء ومعرفـة وشهدت الاندلس فى عصره ازدهارا كبيرا فى علوم الاوائل واستجلب من العراق ومصر وغيرهما اهم الكتب الاساسية فى ذلك ، قديمها وحديثها

---

( ١ ) سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ( ص ٥٦ ) ومابعدها .

فنبغ آنذاك فلكيون تخصصوا فى مراقبة حركات النجوم واستخدام آلات الرصد وصححوا كثيرا من اخطاء من سبقهم .

وذاع فى هذا العصر صيت العلامة مسلمة بن احمد المجريطى الذى يمثل بجداره مدرسة علمية زاهرة فى علوم الرياضيات والفلك وغيرها من العلوم القديمة وتخرج على يده مسلمة اعداد كبيرة من علماء الفلك والرياضيات امتد تأثيرهم الى عصر ملوك الطوائف .

وكان للتطور الحضارى اثر فى اتساع آفاق الفكر العلمى وانكماش وضعف عوامل الازدراء والكراهية لتلك العلوم فلم يعد كثير من الناس ينظر — روعون للمشتغلين بها نظرة احتقار وامتهان بل تغير الحال واصبحت الرياضيات والفلك تحظى باحترام وتقدير الكثير حتى وجدنا بعض علماء الرياضيات والفلك يتولون مناصب القضاء كالعلامة محمد بن احمد بن الليث ( ت ٤٠٥ هـ / ١١١٤ م ) .

كما ان العلامة احمد بن محمد بن خير الانصارى كان متقدما فى الرياضيات بارعا فيها ، وكان يدرسها فى جامع قرطبة فى عصر الحكم<sup>(١)</sup> .

وهذه الظاهرة لا تصطدم بما قام به الحاجب المنصور بن ابي عامر فى اواخر عصر الخلافة من احراق وتدمير وقضاء على كتب الاوائل والحد من نشاط الدراسات الفلكية والفلسفية ، فان تلك الحادثة لم تكن سوى حركة مسرحية عابرة - اذا صح التعبير - لاظهار تعظيمه للدين وكراهيته لما سواه وتطمينا للفقهاء المتشددىن والعامه .

---

( ١ ) سبق للباحث ان درس هذا الموضوع فى رسالته التى نال بها درجة الماجستير بعنوان ( الحياة العلمية فى عصر الخلافة الاموية فى الاندلس ) ( ص ٣٨٩ ) وما بعدها .

ازدهار الرياضيات والفلك  
في عصر الطوائف واسباب ذلك  
متمم

وكان للفتنة التي لحقت بقرطبة عاصمة الخلافة الاموية اثر بالغ فى بيع ما كان بقصور خلفاء وامراء بنى امية من كنوز العلم وذخائر المعرفة الانسانية وذلك بابخس الاثمان واتفها فانتشرت تلك المصنفات فى كل مدن الاندلس، ووجد بينها كثير من كتب الاوائل، وظهر العديد ممن كان لديه اهتمام بعلوم الاوائل مالمديه من دراسات وابحات، وتمكنوا من اعلان اشتغالهم بتلك العلوم ودراستها امام الملأ بعد ان كانوا يخفون ذلك. فكان عصر ملوك الطوائف افضل العصور فى اباحة دراسة تلك العلوم القديمة وابعد مايكون عن التزمت والجمود الفكرى وضيق الافق<sup>(١)</sup>.

ويمكن ان نشير الى ان من دلائل الازدهار العلمى فى هـذـه العلوم فى عصر الطوائف تفوق عدد من ملوك وامراء هذا العصر فى الرياضيات والفلك والفلسفة ومنهم المقتدر بالله بن هود (٤٣٨ - ٤٧٣ هـ / ١٠٤٧ - ١٠٨١ م)، وابنه يوسف المؤتمن (٤٧٣ - ٤٧٧ هـ / ١٠٨١ - ١٠٨٥ م)، وقد سبقت الاشارة الى جهودهم العلمية فى سياق الحديث عن عوامل رقى الحياة العلمية فى الاندلس فى هذا العصر.

وكان للفتنة تأثير آخر فى تشكيل جغرافية الفكر العلمى فى الاندلس فقد كانت قرطبة قبل الفتنة تكتظ بافواج العلماء وتمتلىء بهم ساحاتها وشوارعها ولكنها اصبحت بعد الفتنة فى صورة اخرى، فقد غادرها اكثر العلماء والادباء الى عواصم ممالك الطوائف. وغدت مدن كاشبيلية وطليطلة وسرقسطة

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٨٩ - ٩٠).

اكثر اهتماما بالعلوم والمعارف من قرطبة التي كانت تمسك بزمام التيار العلمى والفكرى قبل عصر الطوائف . وهكذا توزعت اقطار الاندلس مشاعل المعرفة فانارتها واضاءت بالعلم اقاليمها المختلفة .

ابرز علماء الرياضيات والفلك  
فى عصر الطوائف ونتاجهم العلمى  
~~~~~

ومن اشهر علماء الرياضيات والفلك الذين غادروا قرطبة على اثر الفتنة العلامة ابن السمح . اصبح ابن محمد المهرى القرطبي (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) وكان عارفا بالرياضيات ماهرا فى الفلك الى جانب معرفته بالطب^(١) .

وقد تلقى ابن السمح علومه ومعارفه على يد استاذه الكبير مسلمة المجريطى فلازم مجالسه العلمية واخذ عنه كثيرا من العلوم التى برع فيها واخرج فى البعض منها مصنفات قيمة . وظل ابن السمح بعد ذلك يؤدى واجبه فى نشر العلم وبثه مع ملازمته لاستاذه مسلمة حتى حلت الفتنة بقرطبة وانتشرت الفوضى السياسية فيها فرأى من الامان ان يغادر تلك المدينة متحسرا على فراق اخوانه وتلاميذه واتجه جنوبا الى غرناطة حيث حل ضيفا عزيزا فى بلاط اميرها حبوس بن ماكسن الصنهاجى^(٢) ، وهو على هذا من اعلام مملكة غرناطة .

وخلف ابن السمح عددا من التأليف فى الرياضيات والفلك . ففى

-
- (١) صاعد : المصدر السابق (ص ٩٣) ، ابن الابار : التكملة ، ج ١ (ص ٢٠٧)
ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٤٨٣ - ٣٨٤) ، ابن الخطيب
الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) ، المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ٣٧٥) .
(٢) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٠٧) ، وانظر ابن قنفذ : الوفيات
(ص ٢٣٤) .

الرياضيات الف كتاب " المدخل الى الهندسة فى تفسير كتاب اقليدس^(١) " وكتاب " ثمار العدد " المعروف بالمعاملات^(٢) . و " طبيعة العدد " وصنف كتابا قيما فى الهندسة تقصى فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحنى وفى ميدان الفلك صنف كتابين فى آلة الاسطرلاب ، احدهما فى التعريف بكيفية صنعها على مقالاتين . اما الآخر فمؤلف فى كيفية العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها ، وهو مقسم على مائة وثلاثين بابا . كما انه صنف زججا وذلك على طريقة الهند المعروفة بالسند هند^(٣) ، وهو كتاب كبير يقع فى جزئين احدهما فى الجداول ، والاخر فى رسائل الجداول^(٤) .

وفى ذلك العصر تمكن الفلكيون المسلمون من صناعة اعداد ميكانيكية من الاسطرلاب تحدد مواقع الكواكب والنجوم بمساعدة آلات متشابهة مسننة وتوصل البيرونى الفلكى المشرقى الى صنع جهاز من هذا النوع لياتى بعده ابن السمع فيطوره ويدخل عليه تعديلات حسنة "بصفائح الكواكب السبعة"^(٥) .

-
- (١) هو اقليدس الصورى : له تأليف فى الرياضيات كالمدخل الى علم الهندسة ، والمعروضات والمناظر . صاعد : طبقات الامم (ص ٣٦) .
- (٢) المعاملات هى (تصريف الحساب فى معاملات المدن فى البياعات والمساحات والزكوات) . ابن خلدون : المقدمة (ص ٤٨٤) .
- (٣) فى عصر الخليفة العباسى المنصور قدم عليه رجل من الهند عالم بالحساب والفلك وكان بحوزته كتاب السند هند فى حركات النجوم ومايتصل بها من مسائل ، ويحوى اثنا عشر بابا ، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب وألف عليه العلامة محمد بن ابراهيم الفزارى كتابا سماه " بالسند هند الكبير " ثم اختصره الخوارزمى و اضاف اليه الكثير من المسائل . صاعد : طبقات الامم (ص ٦٧) ، وانظر عبد الله مبشر : علم الفلك والنجوم عند اهل الهند والسند (مقال بالمجلة العربية السنة الرابعة ، العدد ١١ ص ٥٨) .
- (٤) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣) ، ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٤٨٣) ، (٤٨٤) ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) ، المقرئ : النفح ج ٣ (ص ٣٧٢) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢١٥) ، كحالة : العلوم البحتة (ص ١٨٨) .
- (٥) سيد حسين : الطوم فى الاسلام (ص ١٠٤) .

وقد تضافر العلماء على الثناء على ابن السمع وامتداح قدراته وذكائه
ومن اولئك العلماء ابن حزم الذى امتدح نشاط ابن السمع فى الفلك وان زيج
وزيج استاذة مسلم لم يؤلف مثلها ^(١) .

كما ان القلقشندي ذكر كتابه فى الحساب او العدد على انه من
الكتب المبسطة فى الحساب المفتوح وسماه " الكامل " ^(٢) .

وينسب لابن السمع من الكتب كتاب " رماية الغرض وحماية الجوهر عن
العرض " و" الكافي فى حساب الهواء " ^(٣) .

وكان ابن الخطيب شديد الاعجاب بابن السمع فاشنى عليه وعلى علمه
وما صنفه من الكتب ووصفها بالحسن والجودة ، وانها عظيمة القيمة جملة
الفائدة ، وان ابن السمع يعد لدى الاندلسيين من مفاخرهم العظيمة
فى ميدان العلم والمعرفة ^(٤) .

وممن اخرجته الفتنة عن قرطبة من العلماء العالم الكبير احمد بن
عبد الله بن عمر القرطبي المعروف بابن الصفار (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) ،
الذى كان من اشهر علماء الفلك والرياضيات فى ذلك العصر وكان من تلاميذ
مسلمة بن احمد المجريطي ، واسهم ابن الصفار مساهمة فعالة فى نهوض
الدراسات الفلكية والرياضيات . وكان له مجلس علمي مشهور فى جامع قرطبة
يبحث فيه معارفه وعلومه ويلقنها لتلاميذه ^(٥) .

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ (ص ١٧٦) (نقلا عن رسالة ابن حزم
فى فضل الاندلس) .

(٢) صبح الاعشى ، ج ١ (ص ٤٧٨) ، وانظر البغدادي : هدية
العارفين ، ج ١ (ص ٤٢٤) .

(٣) البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ (ص ٢٢٤) .

(٤) الاحاطة ، ج ١ (ص ٤٢٨) .

(٥) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣ - ٩٤) ، ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ (ص ٤٢)
ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق (ص ٤٨٤) .

وكان ابن الصفار بعد خروجه عن قرطبة قد اتجه الى مدينة دانيية عاصمة مجاهد العامري ولم يتوان هناك ابن الصفار عن اداء رسالته العلمية فظل مخلصا في نشر العلم والعكوف على التصنيف والتأليف^(١).

وابن الصفار الف في الفلك زيجا مختصرا على مذهب السند هند وكتابا في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ^(٢). وهذا الكتاب الاخير سلم من الضياع ولا يزال بين ايدينا . وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة لما تضمنه من معلومات هامة حول كيفية العمل بالاسطرلاب وخاصة ان هذه المعلومات صادرة عن عالم بارع مجرب قضى عمره في دراسة الفلك واستيعاب فنونه .

وجدير بالذكر ان مياس بياكروزا قام على نشر هذا المخطوط في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير^(٣) ، وذكر ان الكتاب ترجمه الى اللاتينية بلاتو شيرتينوس في الثلث الاول من القرن الثاني عشر الميلادي ، وان للكتاب ترجمة اخرى الى اللغة العبرية^(٤).

ويشير عبد الرحمن بدوي الى ان معظم هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب استاذة مسلمة بن احمد المجريطي . وان مياس بياكروزا قد درس الكتاب في

-
- (١) صاعد : المصدر السابق (ص ٩٤) .
 (٢) صاعد : مصدر سابق (ص ٩٤) ، ابن ابي اصيبعة : مصدر سابق (ص ٤٨٤) ، المقرئ : النفخ ، ج ٣ (ص ٣٧٥) .
 (٣) نشر هذا المخطوط تحت مقالة عنوانها (ابن الصفار ، العمل بالاسطرلاب ، العدد الثالث ، ج ١ ص ٤٧ - ٧٦) .
 (٤) مياس بياكروزا : المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب في اسبانيا العربية مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير ، العدد الثالث ج ١ (ص ١٩٣) .

بحث باللغة القطالونية عنوانه " بحث فى تاريخ الآراء الفيزيائية والرياضة
فى قطلونيا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، برشلونة ١٩٣٦ م^(١) .

وقد اطلع الباحث على مخطوطة الكتاب وقام بمقارنتها بما نشره
مياسيا كروزا فلاحظ اختلافا كبيرا بين ما هو فى المخطوط وما نشر ، ففى
المخطوط كثير من المواضع لم ترد فى النسخة المنشورة . و المخطوط يقع فى
(١٨) لوحة ، وبعد البسطة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
ذكر نسبة الرسالة الى ابن الصفار . ثم يبدأ الحديث عن الاسطرلاب وآلاته
ومهمة كل منها ، ويظهر من اسلوب المؤلف ان الكتاب المذكور موجه
للدارسين والمشتغلين من التلاميذ بعلوم الفلك . فقد صاغ معارفه تلك فى
اسلوب تعليمى وتوجيهى ، فهو يصدر كل باب من رسالته بقوله
" اذا اردت - مثلا - كذا وكذا فافعل كذا . . . وهو بهذا يرسم المنهج
العلمى الصحيح لدارس الفلك ، وكيف يتبعون اقوم السبل فى تعلمهم
وتتجلى فى المخطوط ايضا البراعة الفائقة والتركيز الهام على التطبيق
العطلى الذى كان يجريه ابن الصفار ليقف من خلال ذلك على اصدق النتائج
واوثق المشاهدات .

وابن الصفار يبين لنا فى رسالته الطريقة المثلى لمعرفة الاوقات
وتحديد موضع الشمس من فلك البروج ومعرفة اوقات النهار ، وما يمر من
ساعات ، وتعين وقت الظهر والعصر ، بل انه يعين جزئيات ساعة واحدة من
الليل والنهار ، ثم يتابع دراسته العملية فى توضيح ارتفاع الشمس وكيف يتم
ضبط ذلك ، والطريق الى معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل ارتفاع نصف
نهارها ، ويستمر فى توضيح الكثير من المعلومات المتعلقة بدرجات

(١) دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب (ص ٤٥) .

طلوع الشمس والتعريف بالكواكب الموضوعة فى الشبكة الى معرفة وقت طلوع اول درجة من البروج . ومع اى درجة يتوسط السماء اى كوكب ، لينتقل الى موضع تعيين القبلة فى الليل والنهار ، ويمضى فى تعيين الطول وكيفية اخذه ويوضح معنى الطول بقوله : (واعلم ان الطول هو ما بين نصف نهار بلدك ونصف نهار بلد آخر من دائرة معدل النهار)^(١) .

وينبه المؤلف الى كيفية معرفة وضع الظل من قبل ارتفاع الشمس ومعرفة ارتفاعها من قبل الظل ، ويسير ابن الصفار على هذا النهج حتى يصل الى توضيح طريقة معرفة موضع القمر من البروج ، ومواضع الكواكب السيارة فيها وفى باب آخر معرفة سعة المشارق ، ثم يتطرق الى باب آخر لمعرفة دخول السنين العجمية وشهورها فيقول (اذا اردت فى اى يوم يدخل فيه يناير من اى عام اردت من اعوام تاريخ الهجرة فاعرف تلك السنة الداخلة كم هى من تاريخ مولد المسيح عليه السلام)^(٢) .

وفى آخر المخطوط صورة فلكية دائرية موضحة عليها مواضع الشهور والفصول^(٣) .

ولابن الصفار اخ يدعى محمد برع فى صناعة الاسطرلاب واتقانه ووصف بانه لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنعا لها منه^(٤) .

وابن الصفار انجب تلاميذاً كثيرين اخذوا عنه علومه واخلصوا فى نشرها منهم ابن برغوت محمد بن عمر ، وعيسى بن احمد الواسطى ، ومختار بن

-
- (١) ابن الصفار : العمل بالاسطرلاب (مخطوط) ورقة ٧ ب .
 (٢) ابن الصفار : نفس المخطوط ، ورقة ١٧ أ .
 (٣) هذه خلاصة موجزة واستعراض سريع لمحتويات المخطوط .
 (٤) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٣ - ٩٤) ، ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء (ص ٤٨٤) .

(١) عبد الرحمن بن شهر، ومحمد بن العطار وغيرهم .

وفي هذا العصر ظهر المع فلكيى الاندلس . من مملكة بنى ذى النون بطليطة . وهو العلامة الشهير ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى التجيبي النقاش الطليطلى المعروف بابن الزرقال ، ومع ان المؤرخ صاعد الطليطلى وافانا بتراجم كثيرة لعلماء الرياضيات والفلك الا انه - وبالرغم من مجاورته لابن الزرقال في بلاط المأمون - لم يمدنا بمعلومات وافية عن حياة ابن الزرقال وكل ما ذكره عنه انه ابصر اهل زمانه بالفلك وفهم علومه وابتكاره لعدد من آلات الرصد ، وتابعه ابن الابرار في هذا الوصف . وذكر انه لم يظهر لـ^(٢) نظير في الفلك منذ الفتح الاسلامى الى عصره - اى عصر ابن الابرار -^(٣) .

وكان ابو اسحاق يمارس تجاربه العلمية فى مرصده بطليطة ايام المأمون بن ذى النون وحفيده القادر ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة قرطبة حيث اكرم المعتمد بن عباد وفادته وشجعه على الدراسة والبحث والتجربة العلمية وظل بقرطبة حتى ادركته المنية .^(٤)

ونظرا لمنزلة ابى اسحاق وما قدمه من جهود موفقة فى الفلك وما اخترعه من آلات واجهزة فلكية فقد ذاع صيته ليس فى وطنه الاندلس فحسب بل وحتى فى المشرق واشتهر اكثر باختراعه الصفيحة الفلكية المشهورة التى تضمنت خلاصة نشاطه العلمى فى الفلك ، ولما دخلت هذه الصفيحة ارض المشرق

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٥ - ٩٦) .

(٢) طبقات الامم (ص ١٠٠) .

(٣) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٨ - ١٣٩) .

(٤) ابن الابرار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٨ - ١٣٩) ، وانظر :

احتار علماءه وفلكيوه في فهمها ولم يتم لهم ذلك الا بعد زمن (١).

ويشير حاجي خليفة الى آله لابن الزرقالي وانها هي المعروفة بالصفحة
وانها على مائة باب الفها للمعتمد بن عباد (٢). ويذكر في موضع آخر انها آله
بديعة الشكل استنبطها ابن الزرقال من علم الحركات الفلكية ، ورغم انها
مختصرة الا انها بديعة جدا والف حولها كثير من العلماء عددا من الرسائل
والشرح (٣).

وابو اسحاق سبق غيره من الفلكيين الى القول بدوران الكواكب في
مدارات بيضاوية اهليلجية كما ينسب اليه انه اول من اثبت ان حركة ميل
اوج الشمس هي ١٢٠٤ ر. ثانية بالنسبة للنجوم الثابت ويقدر الرقم الحقيقي
ب ١١٠٨ ر. ثانية (٤).

واهدى ابو اسحاق عددا من مؤلفاته الى الملك المعتمد بن عباد
ومنها كتابه " العمل بالصفحة الزيجية " وفي مقدمته يقول : (. . . وانى
ايد الله المعتمد على الله المؤيد بفضل الله ، لما رأيت الناس يتوسلون اليه
بانواع من التوسل ويتوصلون الى خدمته بضروب من التوصل . . . لم اراتحاف

-
- (١) القفطي : اخبار العلماء (ص ٤٢) .
والصفحة عبارة عن اسطرلاب مثل فيه الاسقاطان للدوائر على خط
الاستواء على فلك البروج على مستو بعينه . سيد حسين : العلوم
في الاسلام (ص ١٠٤) .
(٢) كشف الظنون ، ج ١ (ص ٨٧٠) .
(٣) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ٩٥٥) .
(٤) باقر امين الورد : معجم علماء العرب ، ج ١ (ص ١٥١) ، ———
غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص ١٠١) ، سيد حسين
العلوم في الاسلام (ص ٩٩) ، عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي
(ص ٥٨٩ - ٥٩٠) .

حضرته الجليلة الا بما يطابق مذهبه الشريف . . فصنعت له آلة شريفة يتوصل بها الى تقويم الكواكب السبعة ويعلم بها علة مايعرض لها من الاستقامة والرجوع^(١)

والى جانب كتابى ابن الزرقال " الصفيحة " و " العمل بالصفحة الزيجية " فقد صنف كتابا اخرى مثل " الجداول الزرقالية " المسماه بـ " جداول طليطلة . باللغة اللاتينية التى قام بها جيرارد الكريمنى وكتاب " التدبير " وكتاب " المدخل الى علم النجوم " ، ويذكر بالنشيا ان له كتاباً باسم " طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وافلاكها^(٢) " .

وقد نالت الدراسات والابحاث التى توصل اليها ابن الزرقال اهتمام العلماء وعنايتهم قديما وحديثا ، فمن الاوائل ابن الحماد الاندلسى الذى درس ارصاد ابي اسحاق ثم عمل من خلالها ثلاثة ازياح سمي احدها الكور على الدور والآخر الامد على الابد ، واختصرهما فى ثالث وسمياه^(٣) المقتبس .

ويشير ابن البار الى عالم اسمه احمد بن يوسف التنوخى الاشبيلسى ويعرف بابن الكماد بانه عمل ازياجا على ارصاد ابن الزرقال ، ومن تلك^(٤) الازياح القيس والمستنيط .

-
- (١) سيمون الحايك : عروق الذهب فى مناجم الروم والعرب (ص ٢٢٩) عن مخطوط لابن الزرقال فى المتحف البريطانى تحت رقم (٤٢٦) . وقد قام على تحقيقه مياس بياكروزا وترجمه الى الاسبانية ونشره فى كتابه " دراسات حول الزرقالى (باللغة الاسبانية) " مدريد غرناطة ١٩٤٣ - ١٩٥٠ م . (ص ٧٥) ومابعدها . وانظر نصوصا من كتابات ابن الزرقال فى سيمون الحايك : عروق الذهب (ص ٢٢٦) ومابعدها .
- (٢) بول غليونجى وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية (ص ١٠١) ، آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥١) .

Anwar, Ch: Muslim Spain, P. 350.

- (٣) تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٥٢) .
 (٤) القفطى : اخبار العلماء (ص ٤٢) .
 (٥) تكملة الصلة ، ج ١ (ص ٢٩) .

فهل هذا العلامة هو ابن الحماد الآنف الذكر خصوصا ان احمد بن يوسف يعرف بابن الكماد . فقد يكون محرفا عن ابن الحماد . كما ان اسم احد ازياحه " القبس " قريب شكلا لاسم احدا زياح ابن الحماد وهو المقتبس .

ومن الغريب بعد ذلك ان يأتى احد الكتاب الغربيين وهو مونجمرى وات ليقول : (قد شهد النصف الاول من القرن الحادى عشر عالمين رياضيين فلكيين بارزين هما ابن السمع وابن الصفار ، وعالما فلكيا هو ابن ابي رجال ثم لم يظهر بعد ذلك علماء بارزون حتى منتصف القرن الثانى عشر او اخره)^(١) .

ولم تكن جهود ابن الزرقال العلمية مقتصرة على الفلك بل كان له اسهام فى الرياضيات ، فكان له تأثير واضح فى حساب المثلثات وخاصة المثلث الكروى ، بل ان جيب الزاوية واستعماله كان معروفا فى كتابات ابن الزرقال وهو ما اكده علماء الرياضيات^(٢) .

وبناء عليه فان ابا اسحاق ابن الزرقال بما اسهم به من دراسات فلكية واجتافى الرياضيات قد اضاف الكثير من المساهمات القيمة والتطور العلمى الجاد لهذه الميادين الهامة من ميادين المعرفة . وما كان له ان يفعل ذلك لولا انه اتجه نحو التجربة والملاحظة مع ماتمتع به من مواهب علمية وقدرات واسعة ، وسوف نتحدث عن تأثير دراساته فى الفلك والرياضيات فى اوروبا فى الفصل الاخير من هذا البحث .

ومن مملكة طليطلة ايضا برز اسم القاضى السمؤرخ صاعد بن احمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ، كأحد المساهمين فى رقى الدراسات الرياضية

(١) فضل الاسلام على الحضارة الغربية (ص ٥٢) .
(٢) على الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى (ص ٢١) .

والفلكية ، وكان لعنايته بعلوم الاوائل وشغفه بقراءة كتبهم ان قاده ذلك الى تصنيف كتاب سماه " طبقات الامم " يضم ابرز علماء الامم الذين اسهموا فى تقدم تلك العلوم ، وقد حفظ لنا القاضى صاعد معلومات قيمة هامة عن تاريخ العلوم البحتة ومدى ما اسهم به كبار علماء الامم المختلفة فى الفلك والفلسفة والرياضيات والطب ، وما من شك ان ما حواه ذلك الكتاب من مادة علمية تدل على سعة اطلاع القاضى صاعد وعمق فهمه لمسائل الفلك وعلومه .

وتتلمذ صاعد على علماء بلده ومنهم العلامة احمد بن خميس الطليطلى (١) (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) والعلامة الكبير سعيد بن محمد بن البغوشى (٢) وابراهيم بن لب التجيبى (٣) .

وللقاضى صاعد مشاركة فعالة فى ازدهار الدراسات الفلكية بما كان يقدمه من دراسات وايضاحات حول آثار من سبقه من الفلكيين ، فقد صنف كتابا اسماه " اصلاح حركات الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين " (٤) .

وفى هذا الكتاب ردود وانتقادات علمية صائبة وهامة حاول فيها تصحيح اخطاء الفلكيين وتقويم اعمالهم ، فمن ذلك تصحيحه لبعض الهفوات التى وقع فيها العلامة مسلمة المجريطى عندما تناول زيح محمد بن موسى الخوارزمى بالدراسة وبدل تاريخه الفارسى الى العربى ، ووضع اوساط الكواكب فيه لاول تاريخ الهجرة ، وزاد فيه جداول وصفت بالجودة ، الا انه رغم ذلك لم يسلم من الزلل ، فوقع فى الاخطاء التى وقع فيها الخوارزمى فقام صاعد بمهمة الاشارة الى تلك الاخطاء والتنبيه على وجودها وتصحيحها (٥) .

-
- (١) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٩) .
 - (٢) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الرابع (ص ٤٣ - ٤٤) .
 - (٣) طبقات الامم (ص ٩٩) .
 - (٤) نفس المصدر (ص ٩٢) .
 - (٥) انظر طبقات الامم (ص ٩٢) .

كما أن صاعد رأى رسالة علمية حول مذهب السند هند بعث بها العلامة عبد الله بن أحمد السرقسطي (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) الى صديقه ابى مسلم بن خلدون يذكر له فيها فساد ذلك المذهب فى حركات الكواكب ويحتج بأشياء مختلفة ، الا ان صاعدا رد عليه وفند كثيرا من آرائه وبــــمين مواضع الخطأ والصواب فى تلك الرسالة ^(١) .

وكان القاضى صاعد يحتفظ بعلاقات وصلات عديدة مع علماء عصره وكان بينه وبينهم رسائل وردود وايضا حات علمية . فمن هذه الرسائل تلك التى بعث بها اليه صديقه ابو مروان عبد الله بن خلف والتى نالت اعجاب صاعد وثناؤه وقد امتدح صاعد صديقه ابن خلف بقوله (لا اعلم احدا فى الاندلس فى وقتنا هذا ولا قبله وقف من اسرار هذه الصناعة وغرائبها على ما وقف عليه) ^(٢) .

وجدير بالذكر انه لم يكن ليتم للمأمون ملك طليطلة بناء عدد من قصوره البديعة وخاصة ذلك القصر الفخم الذى تأتى فى بنائه وانفق عليه اموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسبق الماء على رأس القبة على تدبير الحكماء والمهندسين ، فكان الماء ينزل من اعلى القبة حوالىها محيطا بها فكانت القبة فى غلالة من ماء ينسكب لا يفتقر والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شىء ^(٣) . نقول انه لم يكن ليتم له ذلك لولا وجود مهرة المهندسين وكبارهم فى دولته ، فان مثل تلك الاشياء والمباني لا تقوم الا على علوم الهندسة وهى فرع من الرياضيات .

والى مملكة طليطلة لجأ العلامة ابو بكر يحيى بن احمد المعروف بابن الخياط (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) ، وكان احد تلاميذ مسلمة المجريطى ، وعنه

(١) طبقات الامم (ص ٩٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ١١٣) .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ (ص ٥٢٨) .

أخذ علومه في الحساب والهندسة والفلك والتنجيم ، وخدم بعلمه في بلاط الخليفة سليمان بن الحكم وغيره من الخلفاء ، ولما زالت الخلافة اتجه إلى طليطلة حيث أكرمه المأمون ورفع منزلته في بلاطه^(١).

ومن مملكة طليطلة لمع اسم العلامة أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) ، وكان قد رحل إلى قرطبة فأخذ عن علماءها أمثال مسلمة المجريطي الذي درس على يديه الرياضيات ودرس على غيره الطب ثم عاد إلى طليطلة حيث استقدمه أميرها الظافر إسماعيل بن ذي النون ، وسمت حاله في بلاطه ، وكانت بينه وبين القاضي صاعد صداقة ومودة . وكان الأخير قد التقى به في عهد المأمون وقد نبذ سائر العلوم وأقبل على النسك والعبادة . وقد أثنى عليه صاعد ثناءً جماً ووصفه بالتفوق في الهندسة والتعمق في علومها^(٢).

وفي مملكة طليطلة أيضاً برز العلامة إبراهيم بن لب بن إدريس التجيبي (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) ، وهو أصلاً من قلعة أيوب ثم استوطن طليطلة ويعرف بين أهل عصره بالقويدس . وقد نشأ نشأة علمية فأخذ علومه في الرياضيات عن علماء بلده ثم درس الفلك حتى إذا تضلع في هذه العلوم اتخذ له مجلساً علمياً لنشر علومه وبث معارفه^(٣).

ولعل من دلائل فهم القويدس وتمكنه في الرياضيات والفلك أن قصده الكثير من العلماء لاكتساب مزيد من علمه وخبراته ، ومن هؤلاء العلماء القاضي صاعد الذي أشار إلى أنه أخذ عنه كثيراً من علمه في الفلك^(٤).

كما أن القويدس أظهر مقدرة واسعة في استيعاب فهم كتب السابقين

(١) صاعد : طبقات الامم ، (ص ١١٢ - ١١٣) - ابن أبي أصيبعة مصد رسابق ٤٩٧/٤٩٨

(٢) طبقات الامم (ص ١٠٩ - ١١٠) ، ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء

(ص ٤٩٥ - ٤٩٦) ، المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الرابع

(ص ٤٣ - ٤٤) .

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٩) .

(٤) طبقات الامم ، (ص ٩٩) .

فى الرياضيات مثل كتاب اقليدس المدخل الى علم الهندسة ، فقد عكف على دراسته حتى احاطه فهما ، ثم انتقل الى غيره من الكتب الاخرى فى الهندسة حتى شد انظار الجميع اليه فقصدوه للاخذ عنه .^(١)

وفى مملكة طليطلة نبغ العلامة ابو الوليد هشام بن احمد الكنانى المعروف بابن الوشى الطليطلى وكان من المتفنيين فى عدد من العلوم ومن بينها الهندسة ، وقد التقى به صاعد فى طلبه من ثغور طليطلة سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م .^(٢)

وكان تفنن ابي الوليد فى سائر العلوم وكثير من المعارف مدعاة الى اعجاب العلماء وثنائهم عليه حتى قيل فيه :

وكان من العلوم بحيث يقضى له فى كل فن بالجميع

بيد ان تعلقه بالهندسة وولعه بمسائلها قد اثر على شعره وادبـه حتى ظهر فى شعره مثل قوله :

قد بينت فيه الطبيعة انها عنيتمبسمه فخطت فوقه
بدقيق اعمال المهندس ماهرة^(٣) بالمسك خطأ من محيط الدائرة

واذا تطرقنا الى مملكة سرقسطة ودورها فى نهضة علوم الرياضيات والفلك لوقفنا على ماثير اعجابنا فان ملوك هذه المملكة كانوا انفسهم علماء بارزين فى الرياضيات والفلك ، فالمقتدر كان عالما كبيرا فى الرياضيات والفلك

(١) ابن الابار : تكملة الصلة ، ج ١ (ص ١٣٦) .

(٢) طبقات الامم (ص ٩٨ - ٩٩) .

(٣) المقرئ : النفع ، ج ٣ (ص ٣٧٦) .

والفلسفة وصنف فيها بعض الكتب^(١) .

وكان ابنه المؤتمن ابرع منه في الرياضيات ، وفيها صنف كتاب الاستكمال
والمناظر^(٢) .

وقد سبقت الاشارة الى الحديث عنهما في الفصل الثانى عند القسم
الاول عند الحديث عن تعدد المراكز الحضارية .

ومنها نبغ العلامة عبدالله بن احمد السرقسطى (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)
وكان عالما متمكنا في الرياضيات والفلك ، واتخذ له مجلسا علميا لذلك ، وكان
مشهودا له بالتفوق في الهندسة^(٣) .

وكان وزير بنى هود بسر قسطة ابو الفضل حسداى بن يوسف بارعا
في علوم كثيرة ومنها الرياضيات والفلك ، وقد امتدحه صاعد واثنى عليه وكانت
بينهما صداقة وصحبة^(٤) .

ومن مملكة سرقسطة ظهر العلامة عمرو بن عبد الرحمن الكرمانسى
(ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) ، وكانت له معرفة واسعة في الرياضيات ، وذكره
صاعد فقال : (اخبرنى تلميذه الحسين بن احمد بن الحسين بن حسى
المهندس المنجم انه مالى احد ايجاربه فى علم الهندسة ولا يشق غباره فى
فك غامضها وتبين مشكلها واستيفاء اجزائها)^(٥) .

(١) انظر المقرئ : النفح ، ج ٣ (ص ١٩٣) ، محمد عنان : دول الطوائف
(ص ٢٨٣) .

(٢) المقرئ : نفس المصدر ، ج ١ (ص ٤٤١) ، بالنشيا : تاريخ الفکر
الاندلسى (ص ٤٥٤) ، عمر كحالة : العلوم البحتة (ص ٤٨) .

(٣) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٧) .

(٤) طبقات الامم (ص ١١٧ - ١١٨) .

(٥) طبقات الامم (ص ٩٤) .

وقد سبقت الاشارة في ميدان الطب الى ان الكرمانى قد ارتحل الى المشرق وقصد حران من بلاد الجزيرة حيث لقي عددا من العلماء فى الرياضيات والطب وعندهم اخذ علمه فى الهندسة والطب ثم عاد الى الاندلس وينسب اليه انه اول من ادخل رسائل اخوان الصفا .

(١) وقد عاب عليه ابن ابي اصيبعة عدم معرفته بالتنجيم والفلسفة والحق ان التنجيم الذى عيب بعدم معرفته ، علم اقرب مايكون الى الشعوذة والدجل والطلاسم ، فهو ليس بذاك العلم المفيد القائم على اساس وقواعد من الحقائق العلمية كالفلك مثلا ، بل هو علم واهى غامض يتوصل به الى قلوب السلاطين فى معرفة ماقد يعرض لهم من ظواهر الفشل والنجاح فى حياتهم .

واما علم الفلسفة فان عدم براعته فيها لا يقلل من مكانته العلمية ولا يقدح فى فضله وعلو منزلته بعد ان شهد له احد تلاميذه بانه ليس له نظير فى الهندسة ، وكفى بذلك فخرا له .

ومن مملكة بنى عباد ظهر العلامة ابو الحسن على بن سليمان الزهراوى القرطبى وكان ماهرا فى الرياضيات . وصنف كتابا فى المعاملات على طريقة البرهان وسمى كتابه ذلك " الاركان " (٢) .

والزهراوى من تلاميذ العلامة مسلمة المجريطى ، وعنه اخذ علومه فى الرياضيات حتى تفوق فيها ، ويذكر المراكشى الانصارى ان كتابه " الاركان " مستعمل بين اهل عصره وانه ذو قيمة علمية كبيرة . (٣)

وما من شك ان فى ذلك دلالة على اهمية الكتاب وقيمة ما حواه من علم

(١) عيون الانباء (ص ٤٨٤) .

(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٤) ، ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء

(ص ٤٨٤) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ ،

(ص ٢١٨) .

(٣) الذيل والتكملة : السفر الخامس ، ق ١ (ص ١١٨) .

ومعرفة فى الرياضيات ، فان الزهراوى عاش فى القرن الخامس الهجرى والمراكشى الانصارى فى القرن السابع وجزءا من الثامن الهجرى (ت ٧٠٣هـ / ٣٠٣م) . اى بعد اكثر من قرنين من عصر الزهراوى ، ومازال كتابه متداول بين اهل العلم ويتدارسه تلاميذه .

ومن مملكة بنى عباد ايضا ظهر العالم ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمى (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) ، كان من اعيان مدينة اشبيلية وذاع صيته فى الفلسفة والبراعة فى الرياضيات والفلك^(١) .

ومن المؤسف ان المصادر والمراجع لم تمدنا بمعلومات اخرى عن ابى مسلم ابن خلدون وعن مؤلفاته . وقد وقع بعض الباحثين امثال قدرى طوقان وعبد الحليم منتصر فى زلل واضح عندما اشارا الى ان ابا مسلم الف الكتاب الشهير " مقدمة ابن خلدون " ، وفات عليهما ان صاحبنا ابا مسلم بن خلدون كان من اهل القرن الرابع والخامس الهجريين ، فى حين ان ابن خلدون صاحب المقدمة وهو عبد الرحمن بن محمد الحضرمى (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٢م) ولعل الذى اوقعهما فى هذا اللبس هو توافق اسم الاب لكل من العالمين المذكورين فظنا ان ابن خلدون الرياضى الفلكى هو ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف صاحب المقدمة .

ومن اعلام مملكة بنى عباد ابو الاصغ عيسى بن احمد ، وكان بارعا فى الحساب والهندسة وكان له مجلس علمى فى قرطبة يبيت فيه علومه تلك . وقد عرف الى جانب ذلك بعلمه فى الفلك^(٢) .

(١) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٥) ، ابن ابى اصيبيه : عيون الانبياء (ص ٤٨٥) ، المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ٢ ، (ص ٤٣٩) ، المقرئ : النفح ، ج ٣ (ص ٣٧٦) .
(٢) صاعد : طبقات الامم (ص ٩٥ - ٩٦) .

ومن قرطبة برز العلامة مختار بن عبد الرحمن بن شهر الرعيـنى
(٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) ، واشتهر بتفوقه فى الهندسة والفلك الى جانب
تضلعه فى علوم الدين والادب والتاريخ ، وكان قد تولى قضاء المريه فى
دولة زهير العامرى . ثم انتقل الى قرطبة وتولى بها القضاء وظل على
هذا الوضع حتى وفاته ^(١) .

ومن مملكة المريه ظهر العلامة الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن
الجلاب ، احد البارعين فى الرياضيات والفلك والمشار اليهم بالبنان
وقد استوطن المريه عاصمة المعتصم بن صمادح ^(٢) .

ومن مملكة دانية ظهر العلامة اميه بن عبد العزيز المذكور فى الطب
وكان له مشاركة جيدة فى الرياضيات والفلك (وكان اوحدا فى العلم
الرياضى ، متقنا لعلم الموسيقى وعمله) ^(٣) .

وقد اطنب كثير من المؤرخين فى وصفه بالعلم الواسع والتفنن فى علوم
مختلفة كالطب والرياضيات والفلك والموسيقى والتاريخ والادب ^(٤) .

ومن كتبه فى الرياضيات والفلك كتاب فى الهندسة ، ورسالة فى
العمل بالاسطرلاب ^(٥) .

(١) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٦) .

(٢) صاعد : نفس المصدر (ص ٩٨) .

(٣) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء (ص ٥٠١) .

(٤) انظر ابن ابى اصيبعة : نفس المصدر والصفحة . القفطى : اخبار
العلماء (ص ٥٧ - ٥٨) ، الكتبى : عيون التواريخ ، ج ١٢ (ص ٤٥٢)
السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ (ص ٥٦٥) ، المقرئ : النفح ، ج ٢ ،

(ص ١٠٥ - ١٠٦) .

(٥) ابن ابى اصيبعة : المصدر السابق (ص ٥١٥) .

ويشير حاجي خليفة الى ان له كتابا اسمه الوجيز في الهندسة ، وانه
الفه للملك الافضل ، فعرضه على منجمه ، فقال هذا كتاب لا ينتفع به المبتدى
ويستغنى عنه المنتهى .^(١)

ومن اعلام مملكة دانية ابن الصغار احمد بن عبدالله ، وقد سبقـت
الاشارة اليه ضمن من اخرجته الفتنة عن قرطبة ، وكان من بينهم ابن الصغار
الذى قصد دانية فآكرمه حاكمها مجاهد العامري واعلى مكانته .

ولا يفوتنا ان نشير الى انه كان لابن حزم الفقيه الظاهري المشهور
معرفة بالرياضيات، فهو يقول متأثرا بالفيثاغوريين (ان الواحد ليس عددا لان
العدد هو ما وجد عدد آخر مساو له ، وليس للواحد عدد يساويه لانك
اذا قسمته لم يكن واحدا (اى لم يبق وحدة) بل هو كسير (جزء من وحدة)^(٢) .

وينهج ابن حزم نهج الفيثاغوريين اتباع فيثاغورس الرياضى اليونانى
(ت ٣٠٥ ق م) فيقول فى الهندسة (الخط هو متناهى كل مسطح
وانقطاعه . . . ومنتهى كل جانب من جوانبه (جوانب السطح) خط ونهايته
(نهاية الخط) هى النقطة ولا يقع على النقطة عدد ولا مساحة ولا ذرع لانها
ليست شيئا اصلا ، وانما هى (اى اللفظ نقطة) اسم عبر به عن الانقطاع والتناهى
وعدم تمادى الجرم فقط ، فالخط المذكور له ايضا مساحة وهى مذكورة
(مقيسة) معدودة^(٣) .

-
- (١) كشف الظنون ، ج ٢ (ص ٢٠٠٤) .
(٢) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢٠٣ - ٢٠٤) (نقلا عن التقريب لحد
المنطق ص ٥٢) .
(٣) عمر فروخ : نفس المرجع والصفحات (نقلا عن التقريب لحد المنطق
ص ٤٧) .

وما من شك ان ابن حزم كانت له آراء صائبة في الرياضيات ، وهذا عائد الى اطلاعه الواسع وثقافته الشاملة ليس فقط على الوان الفكر الاسلامي وانما على ما كتبه علماء الامم الاخرى كاليونان وغيرهم ، ولم تكن اهتمامات ابن حزم قاصرة على الرياضيات بل نجد له معرفة بالفلك ، وعلاقة القمر بالمد والجزر وتأثير الشمس في عكس الحرارة وتصفيد الرطوبات (التبخر)^(١) .

ويشير عمر فروخ الى ان ابن حزم عرف من حقائق علم الفلك اختلاف سرعة الكواكب في دورانها ، فهو يقول ان زحل يدور مرة واحدة في كل ثلاثين سنة ، ويقصد حول الارض والصحيح اليوم ان زحل يدور حول الشمس مرة كل تسع وعشرين سنة^(٢) .

وكان ابن حزم يظن ان الشهب نار تتكوكب ، " تصبح كواكب " وانها تشتعل ثم تنطفئ ، فهل ادرك ابن حزم ان النجوم تتلاشى اذا توقفت صدور النور منها وان هذا النور (الطاقة الحرارية) يعود بعد ذلك فيكون نجما جديدا . وجدير بالذكر ان علم الفلك الحديث يقول ان المادة تتحول طاقة (اي قوة من الاشعاع والحرارة) وان الطاقة تعود فتصبح مادة (اي نجوما جديدة)^(٣) .

واخيرا فان ابن حزم قد احتفظ لنا بعدد لا بأس به عن افكاره حول الرياضيات والفلك ، وما من شك انه قد حالفه الصواب في الكثير منها . وهو امر يدلنا بلاريب على عظم شخصيته العلمية واطلاعه الواسع على ضروب المعرفة المختلفة ليس في ميدان الدين بل في المعرفة عامة ، فلم يكن نبوغه مقتصر على ذلك فسوف نراه ايضا يدلي بآرائه في مجال العلوم الطبيعية

(١) ابن حزم : الفصل ، ج ٥ (ص ٣٦ - ٣٧ - ٣٨) .

(٢) ابن حزم الكبير (ص ٢٠٨) .

(٣) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢٠٨) .

كالفيزياء .

واخيرا فقد حاول الباحث ان يرسم صورة واضحة لما كانت عليه حال الدراسات الرياضية والفلكية في الاندلس في عصر ملوك الطوائف، الذى تميز بظهور عدد من العلماء البارعين امثال العلامة ابن الزرقاء الذى عـدّه البعض اعلم العرب فى الفلك . كما اننا نلاحظ بعد هذا الاستعراض مـدى ما اسهمت به مملكتنا طليطلة وسرقسطة من جهد عظيم فى ازدهار تلك العلوم والرقى بها ، فقد حفلت المملكتان باشهر علماء الرياضيات والفلك وكان لهما القدح المعلى فى ذلك ، وما من شك ان هذا عائد الى ما اتصف به عاهـلا المملكتين هما المقتدر بن هود ، والمأمون بن ذى النون من شغف بدراسة تلك العلوم ، فغدا بلاطهما وبلاط خلفائهما منتدى لمشاهير الرياضيين والفلكيين ولايعنى هذا ان بقيت الممالك الاخرى قد بخلت باخراج العلماء فى هذه الميادين بل اسهمت فى ذلك ، كما يتضح لنا من خلال هـذا العرض للعلماء الذين نبغوا فى هذه الممالك فى الرياضيات والفلك .

(٦٠٣)

الكيمياء :

(جهود المسلمين فى تطور علم الكيمياء - دور الاندلسيين فى تقدم علم الكيمياء - حال الدراسات الكيميائية فى عصر ملوك الطوائف وابرز علمائها ونتاجهم العلمى)

العلوم الطبيعية :

(الفيزياء - الميتورولجيا - الجيولوجيا)

علم الحيل (الميكانيكا) :

(دور الاندلسيين فى ازدهار علم الميكانيكا - ابرز علماء الميكانيكا فى عصر ملوك الطوائف)

الفلاحة :

(ازدهار الفلاحة فى الاندلس وتصدرها بقية الاقطار الاسلامية ابرز علماء الفلاحة فى عصر ملوك الطوائف ونتاجهم العلمى)

جدير بنا ان نشير قبل الخوض فى الحديث عن هذه العلوم ان نتاج الفكر الاندلسى قد حلت به الكثير من ضروب النكبات والابادة المقصودة مما جعل الصورة العلمية غير واضحة تماما لمن يريد دراسة الجوانب العلمية من الحضارة الاسلامية وبخاصة مايتصل منها بالعلوم البحتة مثل الكيمياء والفيزياء والميكانيكا او ما يطلق عليه علم الحيل قد بلغ فيه المشاركة درجة رفيعة . ومن المحتمل ان الاندلسيين لم يشذوا عن المشاركة فى ذلك المجال غير ان ما اشرنا اليه من ضياع كتبهم وابادة تراثهم الفكرى لم يمكن الباحثين من رسم صورة جلية عن نشاطهم فى هذه الميادين العلمية ، ورغم هذا فسنسعى جاهدين لتلمس ما من شأنه ان يعين على كشف شىء من الحقيقة عن حال هذه العلوم فى الاندلس فى عصر ملوك الطوائف .

الكيمياء

اشار بعض العلماء الى هذه التسمية بانها مشتقة من كى يكى اذا ستر واخفى ويقال : كى الشهادة يكىها اذا كتمها ، والمشتغلون بهذا العلم يسمونه الحكمة والبعض يسميه الصنعة .^(١)

وهناك من قال انها مشتقة من كلمتى Kmt Chem وتعنى التربة السوداء لدى قدماء المصريين باعتبار ان الكيمياء فن مصرى .^(٢)

-
- (١) الخوارزمى : مفاتيح العلوم (ص ١٩٣) .
 (٢) وانظر آراء اخرى فى سبب هذه التسمية . حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢٣٩) ، وانظر تعريف ابن خلدون المقدمة (ص ٥٠٤) . والتهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، ج ١ ، (ص ٦٢) .

جهود المسلمين فى تطور علم الكيمياء

ومن حق المسلمين ان ينسبوا هذا العلم بقواعده الصحيحة السليمة اليهم ، وكان المسلمون عبر اتصالهم بالامم والشعوب الاخرى كاليونان والسريان والهنود والمصريين القدماء واطلاعهم على نتاج علومهم ونشاطهم فى ترجمة ذلك . قد اصبحوا الورثة الحقيقيين للتراث الانسانى . وكان لمدرسة الاسكندرية اثرها الكبير فى نقل هذا العلم الى المسلمين ، فقد ضمت هذه المدرسة الكثير من الدراسات الكيماوية ونىغ فيها عدد من اعلام الكيمياء قبل الاسلام .^(١)

ولكن المسلمين لم يقفوا موقف الناقل فقط بل اضافوا الكثير من ابتكاراتهم وصححوا الكثير من اخطاء من سبقهم فى هذا العلم ، فهم الذين اخترعوا ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) ، وماء الذهب (حامض النيتروهيديروكلوريك)^(٢) .

وبلغ من اسهام المسلمين فى تطور هذا العلم وما اضافوا اليه من اكتشافات واختراعات غزيرة ان اعتبر الغربيون هذا العلم علما عربيا .^(٣)

(١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٧٤) ، من اعلام هذه المدرسة بولس ، ديموقريطس ، وزوسيموس ، وابولونيوس . وانظر ايضا حكمت نجيب المرجع السابق (ص ٢٤١) .

(٢) محمد عفيفى : تطور الفكر العلمى عند المسلمين (ص ١٥٩) .

(٣) قدرى طوقان : العلوم عند العرب (ص ٣٠) ، حكمت نجيب : مرجع سابق (ص ٢٤٢) ، على الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى (ص ٣٤) .

دور الاندلسيين فى تقدم علم الكيمياء
 ~~~~~

ولم يكن الاندلسيون محجوبين عن هذا النشاط العلمى ، فقد اسهموا بقدر جيد فى تقدم هذا العلم . وكان اول من طرقة منهم العلامة عباس بن فرناس الذى برع فى علوم مختلفة من بينها الكيمياء ، والذى تمكن من اختراع طريقة علمية لصنع الزجاج ( البلور ) من الرمال والحجارة ، وكانت لجهوده فى ذلك اثر كبير فى تطور صناعة الزجاج ، وكان لانهماكه فى دراساته وتجاربه العلمية وابتداعه كثيرا من الابتكارات العلمية التى لم يتسع لها افق التفكير آنذاك كان له اثر فى تألب الفقهاء ضده فاتهموه بالزندقة ، ولكنه نجا من تأمرهم المشين <sup>(١)</sup> .

ويبدو لنا ان الكيمياء لقيت مآلقتها بعض العلوم القديمة من اضطهاد وتنكيل لا تباعها ، وهذا مايفسر لنا تعمد هؤلاء التستر والغموض على اعمالهم وممارستهم لتجاربههم . ويمكن ان نضيف من الاسباب التى اضفت الغموض على تاريخ الكيمياء وسير اصحابها واعمالهم هو حرصهم الشديد كمنهج اخذوا به على انفسهم فى كتمان امرهم والعمل على اخفاء ما يصلون اليه من نتائج علمية كمسيلة آمنة لهم من عيون العامة والفقهاء الذين ازدروهم ووصموهم بالزندقة والالحاد . كما انه من المحتمل ان يكونوا بمنهجهم ذلك يستهدفون العلو بمكانتهم العلمية والحفاظ على اسرار صناعتهم التى تكبدوا المشقة والنصب فى سبيل معرفتها ، فلا تصل الى من لا يستحق معرفتها ولم يبذل فى نيلها كبير عناء . فمسلمة المجريطى يقول ( ان الكلام فى ذلك تبين وكشف

( ١ ) محمد عنان : تراجم اسلامية ( ص ٢٦٧ - ٢٦٩ ) ،

لاسرار<sup>(١)</sup> هذه الصناعة فكان الذى يأخذ بادننى كتابهم فيقرأه فيجد العلم واضحا بينا فلا يكون لذلك فضل لعالم على جاهل<sup>(٢)</sup> فقطعوا القول صيانة<sup>(٣)</sup> فهم وصيانة عن العامة .

ولهذا وصف ابن خلدون كلام الكيميائيين بانه الغاز يستحيل فهمها على من لم يدرس الكيمياء دراسة جادة ويتمرس بمصطلحات اولئك العلماء . كما اشار الى ان الكيمياء من جنس آثار النفوس الروحانية وتأثير فى عالم الطبيعة اما عن طريق الكرامة اذا كان القائم بها صالحا او عن طريق السحر ان كان القائم بها شريرا .

والحق ان علم الكيمياء لا يتعلق بشيء مما اورده ابن خلدون ولعلسه كان تحت تأثير ماعلق بالكيمياء فى بعض جوانبها من دعاوى الشعـوذة والدجل وخرافة تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة . فعلم الكيمياء حقيقة علم له قواعد وقوانين علمية مقننة وتقوم على معرفة خواص السوائل وتحليلها وتأثير بعضها فى بعضها المزج والفصل بين عناصر المعادن ومايصاحب ذلك من تبخير وتسامى ، وهى امور تجرى على الملاحظة بالتجربة العلمية والمشاهدة بعيدا عن الصورة القديمة او المزيفة التى خلعتها بعض الادعاء على هذا العلم ، وماوسموه به من صور بعيدة عن العلم والمعرفة الصحيحة .

وفى عصر الخلافة ظهر العلامة محمد بن الحارث بن اسد الخشنى ( ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م ) وقد نسب اليه ممارسة هذا العلم ، ووصف بانه ( يعمل بالادهان ويتصرف فى ضروب من الاعمال اللطيفة ) .

( ١ ) فى الاصل وكشف الاسرار . والصحيح ماورد فى المتن لملائمته لسياق المعنى .

( ٢ ) فى الاصل فضل العالم على جاهل . والصحيح ماورد فى المتن لملائمته لسياق المعنى .

( ٣ ) رتبة الحكيم . مخطوط ، ورقة ١٢ أ .

ومن المؤسف انه لم تصلنا معلومات مفصلة عما كان يجريه الخشني من التجارب العلمية على الرغم من ان تلك الاشارة تفيد انه كان لديه مختبر او مايشبهه ، ولكن ابن الغزي الذي اورد الخبر لم يكن ليهتم بهذا الجانب من المعرفة خصوصا وهو العالم المحدث الفقيه الذي حرص على ان يشتمل كتابه على تراجم اهل الفقه والحديث وعلوم اللغة اما ماعداها فلم يعرها اهتمامه وعنايته .

#### حال الدراسات الكيميائية في عصر ملوك الطوائف وابرز علمائها وانتاجهم العلمي

وفي عصر الخلافة ظهر العلامة الكبير مسلمة بن احمد المجريطي<sup>(١)</sup>، وكان بجهوده العلمية وماظهر على يديه من علماء يمثل مدرسة علمية بارزة فـ في الرياضيات والفلك والكيمياء ، فمن تلاميذه ابن السمع و صديقه ابو بكر بن بشرون وابن السمع المذكور ( ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م ) ، وقد سبقت الاشارة الى ترجمته كأحد علماء الرياضيات والفلك ، ولكن يبدو انه كانت له مساهمة في دراسة الكيمياء وهو من العلماء المخضرمين الذين عاصروا فترتي الخلافة والطوائف اما ابن بشرون فهو من تلاميذ المجريطي ، لكن المصادر لم تمدنا باسمه كاملا عدا مقدمة ابن خلدون ، وبما انه من تلاميذ مسلمة بن احمد المجريطي فمن الطبيعي ان يلحق بعصر الطوائف ، وقد امدنا ابن خلدون برسالة علمية لابن بشرون بعث بها لابن السمع . وفي هذه الرسالة يلصق الدارس ما كان

( ١ ) سبق للباحث ان تحدث عن الكيمياء وابرز المشتغلين بها في عصر الخلافة في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير بعنوان ( الحياة العلمية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس ) ( ص . ٤١ ) وما بعدها .



يسير عليه علماء الكيمياء آنذاك من نهج علمي متميز يصطبغ بالوان من الرمز والتلميح وعدم التوضيح . فلايكاد القارىء لكتاباتهم ان يقف على شىء مفهوم ورغم ذلك ففي تلك الرسالة مايدل على معارفهم الكيميائية واطلاعهم على كثير من قواعد وقوانين هذا العلم . فيقول ابن بشرون فى مقطع من رسالته ( هذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخلق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والا ماكن من فمنا اشتهاها من ذكرها ولكن ابين لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فتبدأ بمعرفته ، فقد قالوا ينبغى لطلاب هذا العلم ان يعلموا اولاً ثلاث خصال اولها هل تكون . والثانية من اى تكون . والثالثة من اى كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم واما البحث عن وجوده والاستدلال عن كونها فقد كفيناكم بما بعثنا به اليك من الاكسير<sup>(١)</sup> .

ويمضى ابن بشرون فى تفصيل الكلام عن الكيمياء ، ويتطرق الى الاحجار وينصح بان يعرف الكيماوى اوفق الاحجار المنفصلة التى يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله ومايدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتشيف والتقليب<sup>(٢)</sup> .

وما من شك ان فى ذلك دلالة على مدى ما احرزه ابن بشرون من علم واسع فى حقل التجارب الكيميائية ، وانه لم يكن ليذكر مثل تلك العمليات والتجارب الكيميائية الا بعد ان تمرس بالتجربة العلمية والمعاينة والملاحظة وهو بهذا قد اثبت اهمية ان يكون العالم مجربا وان يعتمد على المنهج

( ١ ) مقدمة ابن خلدون ( ص ٥٠٥ ) .

( ٢ ) المقدمة ( ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ) .

التجريبى للوصول الى الاحكام والنتائج العلمية الصائبة .

ويتحدث ابن بشرون فى جانب آخر عن عملية عرض المعادن وعناصرها على النار فيقول ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح ويضرب مثلا بان الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزئبق . ويفصل كيفية ذلك بان الاجساد قد كانت ارواحا فى بدنها فلما اصابتها الحرارة حولتها اجسادا لزجة غليظة فلم تستطع النار اكلها لذلك ، فاذا اوقدت النار تحتها اكثر حولتها ارواحا كما كانت اول خلقها<sup>(١)</sup> .

وابن بشرون هنا ربما يقصد بالارواح هنا الغازات التى تتولد عند عمليات التذويب والحل لكثير من المعادن ، واما الاجساد فهى المواد الصلبة الجامدة .

وابن بشرون فى بعض جوانب هذه الرسالة العلمية تطرق الى حقيقة علمية هامة وهى قوله ( والحر هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شىء ابد<sup>(٢)</sup> ) .

وهذه الحقيقة العلمية الهامة قال بها علماء هذا العصر و اشاروا الى ان هذا الكون موجود منذ خمسة بلايين بليون سنة ، ولكنه لن يكون موجودا بعد مليون سنة اخرى واستدلوا على ذلك بقانون "الطاقة المتاحة" الذى يقول ان الحرارة تنتقل دائما من وجود حرارى الى وجود حرارى اقل او عدم حرارى والعكس ليس صحيحا ، فالكون وجد نتيجة انفجار حرارى فوق العادة وهو يفقد قوته بالتدريج . وسيأتى وقت تتساوى فيه حرارة جميع الكائنات وسيترتب على ذلك ان تنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وبذلك تتوقف

( ١ ) المقدمة ( ص ٥٠٧ ) .

( ٢ ) المقدمة ( ص ٥٠٨ ) .

## الحياة<sup>(١)</sup>.

وهكذا نلمس ان بين انتاج اولئك العلماء كثيرا من النظريات الفذة والوانا من الابداع والاكتشاف العلمى الذى سبقوا به عصرهم وماتوصل اليه علماء هذا العصر الحديث فى بعض النظريات المتعلقة بهذا العلم .

وابن بشرون يصف لنا تجربة علمية كيميائية ولكنه يصور عناصر المادة المطلوب اجراء التجربة عليها " بالحجر الكريم" الذى اختلف فيه الحكماء فمنهم من عده فى الحيوان ، وآخرون عده فى النبات ، وآخرون فى المعادن وطائفة اخيرة قالت انه فى الجمع ، ويخلص ابن بشرون الى رأى خاص وهو ان العمل يكون فى كل شىء بالقوة والفعل<sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ فى التجربة العلمية التى وصفها ابن بشرون كثير من النظرات والاشارات العلمية الصائبة رغم غموض بعض الالفاظ وغرابة البعض الآخر من المصطلحات التى يذكرها فى التجربة المذكورة . ومهما يكن فان فى تلك التجربة ماينم عن معرفة عميقة بعناصر الاشياء وخواصها واثار النار فى تحويل المعادن ومزج او فصل عناصرها ومايتصل بذلك من نتائج علمية<sup>(٣)</sup> .

ويستشف الدارس لرسالة ابن بشرون انه كان يملك معملا او مختبرا كيمائيا يمارس فيه تجاربه العلمية وابحاثه فى هذا العلم . وكان ابشرون بشرون شديد الحرص على ملازمة استاذة مسلمة المجريطى وكثيرا ماكان يلجأ اليه فى توضيح بعض المسائل الكيميائية ومنها المسألة التى اطلق عليها الكيميائيون مصطلحهم الغامض (مركب الحيوان) وسمته بيضه<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) انظر عن قانون الطاقة المتاحة : احمد زين : اين الله ؟ ( ص ٧٥ - ٧٦ ) .  
 ( ٢ ) المقدمة ( ص ٥٠٩ ) .  
 ( ٣ ) انظر تلك التجربة الكيمائية فى المقدمة ( ص ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ ) .  
 ( ٤ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٥١١ ) .

ولابى بكر بن بشرون كتاب فى الكيمياء اسمه ( سر الكيمياء )<sup>(١)</sup> ، ومن  
المؤسف انه لم يصلنا هذا الكتاب الذى ان عثر عليه وسمحت الظروف بالكشف  
عنه فانه سيضىء الكثير من الزوايا المظلمة التى تلف تاريخ الكيمياء وحالها  
فى الاندلس .

وهناك علماء آخرون نسب اليهم الاشتغال بالكيمياء ، منهم العلامة  
ابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبى ( ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) ،  
وكان بارعا فى علوم مختلفة ولكن شهرته تعود الى مهارته فى الكيمياء ، فقد  
كان شديد العناية بها حتى قال عنه صاعد ( كان كلفا بصناعة الكيمياء  
مجتهداً فى طلبها )<sup>(٢)</sup> .

والوصف الذى قاله صاعد يحمل معان كثيرة ، فان كلف ابن الذهبى  
بالكيمياء يدل على شدة ارتباطه بهذا العلم وعكوفه على دراسته وممارسة  
التجارب الكيميائية بشغف ، وهذا لا يتم له الا بتوفر معمل يجرى فيه دراساته  
واختباراته عمليا وعن طريق التجربة .

ولابن الذهبى من الدراسات مقالة فى ان الماء لا يغذو<sup>(٣)</sup> .

ولم يكن ابن الذهبى باول من اسرته الكيمياء ، فقد كان العلامة  
عبد الرحيم بن عبد الرزاق عظيم الاهتمام بدراسة علوم الاوائل وخاصة الكيمياء  
حتى وصف ب ( اشتعاله بحبها اشتعال النار فى الحلفاء )<sup>(٤)</sup> . ويبدو انه

( ١ ) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ( ص ٩٨٥ ) .

( ٢ ) طبقات الامم ( ص ١١١ ) .

( ٣ ) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء ( ص ٤٩٧ ) .

( ٤ ) الاصفهاني : خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ، ج ٣ ( ص ٤٢٧ ) .

كان مولعا باجراء التجارب الكيماوية ورصده لنتائجها ، ولم يكن ملـوـلا  
او بالذى يضمحل امله فى الوصول الى مزيد من النتائج والمعارف فى هذا  
العلم ، فتعرض خلال حياته العلمية لكثير من الابخرة والغازات التى اصابته  
فى اعز ما يملكه وهما عيناه فاضعت بصره ، ويبدو انه كان يستهدف مـنـ  
وراء اشتغاله بالكيمياء واصرارها على تجاربه الوصول الى ما كان يزعمه عدد من  
الكيميائيين من تحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسة ، ولكن رغم  
جهده العلمى المتواصل لم يحظ بهذه النتيجة التى سعى اليها الكثير من  
علماء الكيمياء على مر العصور .<sup>(١)</sup>

ومن مملكة طليطلة نقف عند العلامة غانم بن الاسقطير الطلمنكى  
الذى وصف بان له تجارب ودراسات فى الكيمياء ، وكان يمارس عمله فى هذا  
الحقل العلمى فى سبيل تحقيق غاياته وما كان ينشد من عز وثراء . ويبدو انه  
فتن كثيرا من الناس باساليبه وطرقه الكيميائية . ومن المؤسف ان براعته  
فى الكيمياء لم تصنه عن الوقوع فى الغدر والمكر والاحتيال على المأمون ملك  
طليطلة الذى اكرمه ورفع مكانته بين علماء بلاطه . فقد كان ابن الاسقطير  
يطمح فى جاه اكبر مما هو فيه ويتطلع الى ثراء اوسع فهرب من طليطلة  
وكتب ابياتا على حائط منزله منها قوله :

نعم اننى بالكيمياء لعالم .....  
واخلص اموالا واضحك خاليا  
على ملك لم ينتفع بالتجارب<sup>(٢)</sup>

( ١ ) الاصفهاني : نفس المصدر والقسم والجزء والصفحة .  
( ٢ ) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ( ص ٤٢ ) . ( صرفنا النظر عن ايراد  
الشطر الثانى من البيت الاول لمسأسه بالاخلاق ) .

وعجز البيت الاخير يدل على انه كان يجرى عددا من التجارب الكيماوية ويُطلع المأمون عليها . ولكن الاخير لم يكن كما يبدو يعرها اهتماما كبيرا وبالتالى كانت صلاته وعطاياه لابن الاسقطير اقل مما كان يتطلع عليه مما احنقه ونفعا الى الهرب وكتابة شعره المذكور .

وجدير بالذكر ان من عوامل الاهتمام والعناية بالكيماء ارتباطها الشديد بالصيدلة وتحضير الادوية وتركيبها ، وينطوى تحت ذلك من العمليات الكيماوية التقطير والتبخير وحل واستخلاص السوائل من النباتات والاعشاب والمزج بينها ، ولهذا نرى الصيادلة وعلماء الادوية على علاقة وطيدة بالكيماء فابن وافد الطبيب الآنف الذكر لا شك انه كان على علم بالكيماء وطرقها العملية والا فكيف اشتهر امره بتحضير الادوية وتركيبها ومعرفة عناصرها وخواصها ، وكذلك العلامة الطبيب الصيدلى زهر بن عبد الملك ، ومثلهم ابو الصلت امية بن عبد العزيز ، وغيرهم .

ولم يكن الامر مقصورا على الاستعانة بالكيماء فى ميدان الصيدلة ولكن ايضا فى صناعة العطور ودبغ الجلود وصنع الاقمشة<sup>(١)</sup> .

ورغم التكم على الاشتغال بهذا العلم الا ان ذلك لم يمنع من انتشار بعض معارفه بين الناس حتى قال ابن ساره - من شعراء عصر الطوائف - فى وصف النار :

|                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| كالدرارى فى دجى الظلماء | لابنة الزند فى الكوانين جمر |
| الديها صناعة الكيماء    | خبرونى عنها ولا تكذبونى     |
| رصعتها بالفضة البيضاء   | سبكت فحمها صفائح تبر        |

( ١ ) عمر كحالة : العلوم البحتة ( ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ) .

( ٦١٥ )

وقال ابن حمد يس :

على الصب اضحى وهو من حجرا قسى  
سقى حديدا زاد به يبسا<sup>(١)</sup>

فتاة اذا استعطفت باللين قلبها  
ولاشك ان الماء رطب وكما

---

( ١ ) سعد شلى : البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر ( ص ٣٦٤ ) .

## العلوم الطبيعية

### الفيزياء :

عرف ابن خلدون هذا العلم بأنه ( علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة او السكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرد والصواعق وغير ذلك )<sup>(١)</sup>.

ومن الحق ان نشير انه كان لليونانيين وبعض الشعوب القديمة عناية بعلم الطبيعة وانهم اسهموا في النهوض والرقى بدراستها المختلفة ولكن المسلمين لم يقتصروا على جانب النقل والاقتباس بل انطلقوا يدرسون ما نزلوه دراسة عميقة جادة وادى اجتهادهم الى تصحيح ما وقع فيه الغير من اخطاء و اضافوا لهذه العلوم اضافات كبيرة جدا ، ويشير ويدمان الى ان العرب قد اسدوا للعلم انجازات وابتكارات لا تقل بحال عن ما قدمه امثال اسحق نيوتن ، وفراداي ، ورنجتون<sup>(٢)</sup>.

ولاريب ان لاندلسيين نصيب في هذه المشاركة العلمية الواسعة فان الحركة العلمية في الاندلس كانت شاملة كافة العلوم ومنها علوم الطبيعة المحصورة فيما يأتى : علوم الارض ، علوم الميثورلوجيا ، المد والجزر ، الجاذبية الارضية ، الثقل النوعي ، الصوت ، الضوء والبصريات ، المغناطيس والبوصلة

- 
- ( ١ ) ابن خلدون : المقدمة ( ص ٤٩٢ ) ، وانظر ما يتضمن هذا المعنى التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج ١ ( ص ٦٠ ) ، على الدفاع الموجز في التراث العلمى العربى الاسلامى ( ص ٤٧ ) .
- ( ٢ ) محمد عفيفى : تطور الفكر العلمى عند المسلمين ( ص ١٢٨ ) ، نقلا عن قدرى طوقان فى كتابه العلوم عند العرب ( ص ٣٥ ) .



علم الحركة ( الديناميكا )<sup>(١)</sup> .

ابن حزم الاندلسي ومساهماته العلمية  
~~~~~

ففى الفيزياء وخاصة مايتعلق منها بالبصريات - كان لابن حزم آراء وافكار جيدة ، فهو حينما تحدث عن تقصير الحواس (اى خداع الحواس) وتصحيح ذلك بالعقل ذكر ان البصر يكون بالشعاع - اى بخروج نور من العينين يحيط بالجسم المبصر - وهى ملاحظة خاطئة ، لكنه رغم ذلك يدلى ببعض الايضاحات العلمية الصائبة التى تؤكد ان البصر يكون بالورود^(٢) - اى بانعكاس شبح عن الجسم المبصر الى العين ، وهو يقول ان الاجسام اذا كانت فى الظلام^(٣) تعذر رؤيتها .

ويقول ابن حزم فى هذا الصدد : (نحن انما نرى الالوان ، فاذا عدم اللون لم نر شيئا كالهواء ، وهو غير مرئى لانه لالون له)^(٤) .

وفىما يتعلق بالحركة (الديناميكا) فان الحركة لديه انواع ، منها ما هو مكانى ومنها ما هو زمانى . ففى الاولى يتحدث عن حركة الاجرام السماوية وهو يشير الى ذلك بقوله (وكذلك العين لا تستبين حركة الشمس اصلا ، حتى اذا بقيت (اى استمرت الشمس فى حركتها غير الملموحة بالعين) مدة لاحت للعين حركتها يقينا وذلك بان تراها فى كبد السماء بعد ان كنت قد رأيتها

-
- (١) حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٩٣) .
(٢) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢١٠) .
(٣) انظر ابن حزم الفصل ، ج ٥ (ص ١٣٨ - ١٣٩) .
(٤) الفصل ، ج ٥ (ص ١٣٧) ، عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢١) نقلا عن كتاب ابن حزم التقريب لحد المنطق (ص ٢٦ - ٦٤) .

في افق المشرق .^(١)

واما الحركة الزمانية فمما يدل عليها ملاحظة نمو الاشياء بالتدرج نموا بطيئا جدا فيذكر ان نمو الاجسام من حيوان ونبات لا يتبين نموه رغم وجوده بين ايدي الناس وامام اعينهم حتى اذا مضى زمن لوحظ النماء ظاهرا وعلم نسبه زيادة النماء اكثر مما كان ، فالعقل يشهد ان لكل ساعة زمنية نصيبا من نمو الاجسام كالشجر لم يتبين من قبل بالبصر .^(٢)

وفي الصوتيات له آراء صائبة ، فيقول (والبيان - اى الفهم والادراك ، والكلام والمعرفة - يكون بالايقاع اى اتفاق الاصوات - وبانتقاله الى الاذن عبر الهواء) ويشير الى ان الصوت يقطع الاماكن فى ازمة مختلفة ومتفاوتة حسب البعد والقرب وقوة الفرع وضعفه ويضرب مثلا بالرجود الواقعة مع البروق ، فالبرق يرى اولا حين وقوعه فى الجو بلامهلة ، ثم يقيم حينئذ ثم يسمع الرعد .^(٣)

ويشير عمر فروخ الى ان ابن حزم هنا لا يذكر ان النور فى حاجة الى زمن لقطع المسافات .^(٤)

وفي علم الحياة كانت لابن حزم آراء صائبة فهو يتكلم مثلا على التوالد من ابوين متطورين مشاهدين كالشجر والطيور ، وعلى التوالد - اى الاعتقاد بان كائنات حية توجد من غير نسل من مثلها ، ويقسم الاحياء الى ثلاثة اقسام :

(١) عمر فروخ : المرجع السابق (ص ٢١١) (نقلا عن ابن حزم ولم يذكر الكتاب الذى نقل عنه وربما يكون كتاب التقريب) .

(٢) عمر فروخ : المرجع السابق (ص ٢١١ - ٢١٢) (نقلا عن ابن حزم ولم يذكر الكتاب) .

(٣) عمر فروخ : ابن حزم الكبير (ص ٢١٢) نقلا عن التقريب لحد المنطق (ص ٥) .

(٤) عمر فروخ : نفس المرجع (ص ٢١٢) ج رقم ٣ .

(١) متوالدا - بعضه من بعض - غير متولد - من تلقاء نفسه ، كالبشر والوحوش والطيور .

(٢) متولِّدا .

(٣) متولِّدا او متوالداً معا .

ومثال الاخير بنات وردان فهى تتوالد وقد شوهدت تتسافد كالجعلان فانها تتولد وشوهدت تتسافد ايضا .

واما المتولد الذى لا يتوالد مثل الصغار - اى دود البطن - وشحمة الارض - اى الكماء^(١) .

ويشير ابن حزم الى ان كل ذى عظم وفقرات لا يوجد الا عن طريق التناكح ويذكر انه (ليست القدرة فى الخلق فى خلق ما خلقه الله سبحانه حيوانا - ذا اربع او ذاريش من بيضة او منى باعظم من القدرة من خلقها من - تراب دون توسط بيضة ولا منى^(٢)))

الميتورولوجيا :

وفى علم الميتورولوجيا فان لابی عبيد البكرى الجغرافى المشهور بعض النظرات الصائبة كحديثه عن علة المد والجزر وانها بسبب جاذبية القمر^(٣) .

(١) الفصل فى الملل والنحل ، ج ٥ (ص ١٤) ، وانظر فيما بعدها كثيرا من الايضاحات والشرح والامثلة عن هذا الجانب من علم الحياة او الاحياء وانظر كذلك عمر فروخ : المرجع السابق (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

(٢) الفصل ، ج ٥ (ص ١٤٢) .

(٣) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية ، ج ٧ - ٨ (ص ٣٣٠) .

الجيولوجيا :

ويذكر حكمت نجيب ان ممن بحث في علم الجيولوجيا طائفة بارزة ممن
علماء الاسلام، و ذكر من بينهم ثلاثة من الاندلس : ابو عبيد البكرى
(ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، ابو حامد الغرناطى (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) ، الشريف
الانريسي (٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)^(١) .

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (ص ٣٠٢) .

علم الحيل (الميكانيكا)

اطلق العرب لفظ علم الحيل على الآلات المستخدمة في تيسير اعمال الانسان المتعلقة بشئون حياته كرفع الاثقال وجلب المياه من الآبار ومعرفـة الاوقات وغير ذلك ، واطلق التهانوى على هذا العلم لفظ (علم الآلات الروحانية)^(١) .

وافاد العرب بتجارب السابقين في هذا العلم ، ولكنهم احرزوا من النتائج والانجازات العظيمة فيه ما اثار دهشة الغرب ودفع الكثير من علمائه الى الاعتراف بفضل العرب على هذا العلم .

ومن الكتب التي درسها العرب عن سبقهم ما نسب الى ارشميدس كتاب ساعات الماء التي ترمى بالبنادق ، وكذلك مصنف ايرن في حمل الاثقال ، وبحث مورطس حول الدواليب وغيرها^(٢) .

ومن اوائل علماء المسلمين في هذا العلم ثابت بن قرة (القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى) الذى صنف كتاب "القرسطون" وتبعه ابنـاء موسى بن شاكر ، ومنذ تلك الفترة والاشتغال بهذا العلم يزداد شيئا فشيئا حتى كل هذه الجهود ابن الرزاز الجزرى بمعارفه القيمة التي ضمنها كتابه المسمى " كتاب فى معرفة الحيل الهندسية"^(٣) .

-
- (١) كشف اصطلاحات الفنون ، ج ١ (ص ٦٦) .
 (٢) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٢٨) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب (ص ٢٨٣) .
 (٣) سيد حسين : المرجع السابق (ص ١٢٨) ، وانظر محمد عفيفى : تطور الفكر العلمى (ص ١٣٥) ومابعدها ، حكمت نجيب : المرجع السابق (ص ٢٨٤) .

دور الاندلسيين في ازدهار علم الميكانيكا

وفي الاندلس لم يقف العلماء موقف المقتبس فقط بل ظهر بينهم من وصف بالمهارة والتفوق في علم الحيل . فقد اسهم الاندلسيون في تقديم الهيدروليك ، وكان لهم فضل الاستاذ المعلم لاوروبا التي افادت من علومهم ومعارفهم في رسم الخطوط الاساسية لعلم الهيدروليك وميكانيك الموائع ابان النهضة العلمية الحديثة^(١) .

ونحن حينما نتحدث عن جهود علماء الاندلس في ازدهار علم الحيل (الميكانيكا) لانملك وللأسف مصنفات علمية خاصة بهم حول هذا العلم ، انما نستند في تبیین ملامح النشاط العلمی فی هذا الميدان الى ما حفظتـه كتب التاريخ والتراجم من اشارات ولمحات علمية حول ذلك .

ويعتبر العلامة عباس بن فرناس اول من طرق هذا الميدان ففى الاندلس ، فقد كان موصوفاً بتمكنه فى الرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيك وفى هذا العلم الاخير استطاع ان يصنع آلة لمعرفة الوقت اسمها المنقانة فاحكم صنعها ونقش عليها ابياتا شعرية منها :

الا اننى للدين خير اداة اذا غاب عنكم وقت كل صلاة^(٢)

(١) جميل الملاثة : عناية العرب بالهيدروليك فى العصور الاسلامیة (مقال بمجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الحادى والثلاثون

صفر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) ، وانظر بول غليونجى وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامیة (ص ١٤٢) .

ابرز علماء الميكانيكا فى عصر ملوك الطوائف
 ~~~~~

وفى عصر ملوك الطوائف ومن مملكة طليطلة ظهر العلامة الكبير ابن الزرقال وهو المتقدم الذكر فى الفلك والرياضيات - وكان له مساهمة واضحة فى ازدهار علم الحيل وقد اثار اعجاب اهل عصره ومن بعده بما كان يخترعه من آلات واجهزة فلكية ، ولم تكن معارفه الميكانيكية وقفا على ميدان الفلك بل امتدت الى صناعة ساعات دقاقة اعجب بها الناس فى مدينة طليطلة ايما<sup>(١)</sup> اعجاب.

ويذكر سكوت Scott ان الاندلسيين وفى مقدمتهم ابن الزرقال صنعوا ساعات تتحرك بواسطة الماء والرمل والكرات الحديدية .<sup>(٢)</sup>

ويتضح لنا بهذا ان الاندلسيين عرفوا صناعة الساعات الزمنية بدءا من جهود عباس بن فرناس الآنف الذكر ومرورا بالعلامة ابن الزرقال الذى تفنن فى هذا الميدان حتى اثار نبوغه وعبقريته العلمية دهشة الناس واجبر علماء الغرب على الاعتراف بفضلهم فى هذا العلم .

ومما توصل اليه ابن الزرقال من روائع الابداع الهندسى والميكانيكى صناعته لحوضى نافورتين فى بيت مجوف داخل نهر طليطلة ، وكان الحوضان يمثلان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه ( وذلك ان اول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا اصبح كان فيهما ربع سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف

( ١ ) غوستاف لوبون : حضارة العرب ( ص ٤٦٢ ) .

History of the Moorish Empire in Europe, Vol.III,  
 P. 435.

سبع حتى يكمل من الشهر سبعة ايام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم واللييلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان ليلة خمسة عشر واخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم ولييلة نصف سبع حتى يتم القمر واحدا وعشرين يوما فينقص منهما نصفهما ولا يزال كذلك ينقص في كل يوم ولييلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شئ من الماء<sup>(١)</sup> .

واستمر اداء الحوضين على هذا الوضع العجيب حتى سقطت طليطلة في ايدي النصارى ، فاراد الفونسوان يطلع على سر حركتهما ، فامر ان يقطع احد الحوضين لينظر كيف يدخلهما الماء وينصرف فقلعه فتعطلت حركتهما وذلك سنة ( ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ) ، وقيل ان سبب تعطلهما هو رغبة المنجم اليهودي حنين بن ربوة الذي كان بصحبة الفونسوان يعمل على ابتكار ما هو احسن من ذلك بان يمتلئ الحوضان بالنهار ويحسران الماء في الليل فطلب من الملك ازالتهما عن موضعيهما فلما قلعا لم يتمكن من الوفاء بمما وعد بل انه لم يستطع اعادتهما الى حالتها الاولى ، كما نسب الى هذا اليهودي في رواية اخرى انه سرق احد الحوضين ليوقف على سر الصنعة فبطل عمله واستمر الآخر على حاله<sup>(٢)</sup> .

ويعلق الطاهر احمد على هذا الخبر بانه وبالرغم من ان بعض

( ١ ) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ( ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ) ، وانظر هذا النص في مؤلف مجهول : كتاب في ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها ومن وليها من الامراء والحكام من الامويين الى بنى اشقيلول ( مخطوط ) ( ص ٣٨ - ٣٩ ) .

( ٢ ) النفح ، ج ١ ( ص ٢٠٧ ) ، فون شاك : الفن العربي في اسبانيا وصقلية ( ص ٨٣ - ٨٤ ) .



التفاصيل تفوح منها رائحة الاسطورة ، ولكن هذه القضية فى غاية الاهمية لدارسى علمى الهندسة والرياضيات عند المسلمين الاوائل بعامة والاندلسيين (١) بخاصة .

وللاندلسيين تجارب واعمال مختلفة فى ميدان علم الحيل ، ومنها مايتعلق باستخراج مياه الآبار بآلات ميكانيكية ، فمن نسب اليه عمل ذلك عالم يدعى ابن مدرك ، ويبدو ان الآلة التى صنعها لاستخراج ماء البئر قد ادهشت بعض ادباء عصره ، بل ان احدهم كذب ما سمعه عن تلك الآلة فقال بيتين من الشعر عبر فيهما عن شكه وموقفه من ذلك العالم فقال :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| قل لابن مدرك الذى لم يدرك | اخراج ماء البئر دون محرك    |
| طرق الحماقة جملة سلوكه    | وطريق حمقك قبل لما يسلك (٢) |

والحق ان هذا الشاعر هو الاحق لانه لم يتمتع بفكر نير وافسق واسع ولم يكن لديه ادنى معرفة بعلم الحيل ، ولنفترض انه لم يكن يتمتع بـاي قدر من المعرفة حول ذلك العلم اليس الاجدر ان يتثبت من الامر قبل ان يطلق للسانه العنان فى هجاء مثل ذلك العلامة الذى ولا شك انه لم يتوصل الى ما توصل اليه الا بعد جهد ومشقة كبيرين ، ولكن الجاهل بالشىء عدوله كما يقال .

ويورد العلامة العذرى - الذى سبق الحديث عنه فى الجغرافيا - قصة رجل فى مدينة بجانة تنسك فى آخر عمره وتبتل ، فلما توفى وجدت لـه ثلاث غرائب ، احدها عصا كان اذا كثرت عنده البراغيث يلقيها فى وسط بيته فتجتمع اليها ثم يخرجها من البيت فيلقيها فتنتثر عنه ، والاخرى رحا

( ١ ) انظر فون شاك : المرجع السابق ( ص ٨٤ ) ، ج رقم ١ .

( ٢ ) الحميدى : جذوة المقتبس ( ص ٣٩٧ ) ، الضبى : البغية ( ص ٥٢٣ ) .

كانت عند رجلى سريريه يركضها برجله فتطحن مدة من الزمن فاذا استقرت  
اعاد الركض عليها حتى يكمل قوته من الطحن ، وكان عنده كانون يطبخ قدره  
(١)  
وخبزه بنار واحدة فى زمن واحد .

فالغربية الاولى لا تمت بصلة لما نحن بصدده ، ولكن الغربيةين  
الاخرين وهى تلك الرحى التى تدور بواسطة الدفع ثم تستمر تلقائيا فى  
الطحن حتى تدفع مرة اخرى بالرجل قد يكون السرف فيها عائد الى  
نوع من انواع الميكانيكا او ما يقارب لها ، والافكيف تستمر عملية الطحن من  
ذاتها فترة من الزمن حتى يعود صاحبها الى دفعها مرة اخرى ، ومثل  
ذلك يمكن القول فى ذلك الجهاز الذى ابتكره فى عملية الطبخ حيث كان  
باستطاعته ان ينضج طعامه وخبزه بنار واحدة فى وقت واحد ، ولا يستبعد ان  
يكون ذلك الرجل لديه معرفة جيدة بضروب من المعرفة الميكانيكية استغلها  
فى تدبير شئونه المنزلية توفيراً لوقته وتفرغاً للعبادة والتبتل .

ويمدنا العذرى باشارات هامة عن بعض الاعمال الفنية التى عرفها  
الاندلسيون فى ميدان الزراعة كاعتمادهم على النواعير التى تسقى البساتين  
والجنات ، فهو يقول مثلاً ( وعلى نهر تدوير النواعير التى تسقى جناتها  
وابتداء الساقية المستخرجة من قنطرة اشكاجة وتبلغ هذه الساقية فى املاك  
اهل مدينة مرسية الى قرية طوس وهى من مدن اوربوله . . . ) (٧)

وقد نالت هذه النواعير ودواليب الماء اعجاب الاندلسيين فوصفها  
كثير من شعرائهم وخلدوا ذكرها فى كتب الادب . (٣)

- 
- ( ١ ) ترصيع الاخبار ( مخطوط ) السفر السابع ، ورقة ٣٤ أ .  
( ٢ ) ترصيع الاخبار ( مخطوط ) السفر السابع ، ورقة ١ أ .  
( ٣ ) انظر فى ذلك :

ومن مملكة دانية ظهر العلامة المتغن ابو الصلت امية بن عبد العزيز وقد سبقت الاشارة اليه لدى الحديث عن الفلك والرياضيات، وكان لـه بالاضافة الى ذلك معرفة واسعة بالميكانيكا، وهو ما نلمسه واضحا ابان زيارته لمصر، فقد اورد ابن ابى اصيبعة نقلا عن الشيخ سديد الدين المنطقي ان ابا الصلت امية كان سبب سجنه في الاسكندرية، ان مركبا كان قد وصل اليها وهو مملوء بالنحاس ونظرا لحمولته الثقيلة فقد غرق المركب وغاص في البحر فاحترق اصحابه في كيفية نشله من البحر، وكان ابو الصلت على علم بامصر المركب، ففكر حسب معرفته بعلم الحيل في طريقة لنشله حتى اذا اهتدى الى ذلك اخبر والى الاسكندرية فسر بفكرته واحضر له ما طلبه من الآلات والادوات والحيال وغرمه عليها مبلغا كبيرا من المال اذا تلفت، وانصرف ابو الصلت الى تجهيز تلك الآلات بطريقة ميكانيكية لجذب المركب الغارق ووضع تلك الآلات في مركب مواز للمركب المذكور ثم وصل بتلك الآلات حبال مبرومة من الحرير وربط الاطراف الاخرى للحبال بالمركب الغارق ثم اوكل الى جماعة من العمال القيام بتشغيل تلك الآلات فقاموا بما امرهم بـه واخذت الحبال تنطوى على عجلات بين ايديهم حتى ظهر لهم المركب قريبا من وجه الماء، وعند ذلك انقطعت الحبال فغاص المركب مرة اخرى الى قاع البحر .<sup>(١)</sup>

ويعلق ابن ابى اصيبعة على هذه الحادثة بقوله ( لقد تطفـف ابو الصلت جدا فيما صنعه وفي التحيل الى رفع المركب، الا ان القدر لم يساعده وحنق عليه الملك لما غرق من الآلات وكونها مرت ضائعة وامر بحبسـه وان يستوجب ذلك، وبقي في الاعتقال مدة الى ان شفع فيه بعض الاعيان واطلق )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) عيون الانباء ( ص ٥٠١ - ٥٠٢ ) .

( ٢ ) المصدر السابق ( ص ٥٠٢ ) .

وعبارة ابن ابي اصيبعة تدل دلالة واضحة على ما كان لدى المسلمين من نزعة قوية نحو الابتكار والابداع وشغفهم بمثل تلك الاعمال التي يصفون العمل فيها باللطافة وحسن التصرف ودقة الصنعة ، ومثل هذه الاوصاف سوف نلمحها في ترجمة العلامة عبد الرحمن بن عساكر .

ونحن نلمح في عمل ابي الصلت ما كان عليه علم الحيل من تقدم ورقى خاصة في استعمال البكرات المتعددة وفي جر الاثقال ، كما ان فيه ما ينم عن براعة ابي الصلت في الجانبين النظرى والتطبيقي لعلم الميكانيكا<sup>(١)</sup> .

ويلاحظ ان السبب في فشل هذه العملية الميكانيكية هو ان ابا الصلت غاب عنه قانون ارخميدس الذى يقول " ان كل جسم مغمور فى سائل يفقد من وزنه بقدر وزن حجمه من ذلك السائل " فالمركب عندما ارتفع فوق وجـه الماء اصبح وزنه اكبر مما كان عليه وهو غارق<sup>(٢)</sup> . وهذا عائد الى ان الماء يسלט قوة دافعة للاعلى على كل جسم مغمور فيه<sup>(٣)</sup> .

وتحدث عمر فروخ عن هذه القضية وادلى برأيه فى وضع بعض التصورات العملية التى كان فى الامكان عن طريقها تحقيق النجاح فى انقاذ المركب ، فمن ذلك زيادة عدد الحبال حتى تقوى الحبال كلها على رفع المركب بالصورة المطلوبة ، او لو بدأوا بتفريغ النحاس من المركب لما وصل الى سطح الماء<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى ( ص ٥٩١ ) .  
 ( ٢ ) حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ( ص ٢٩٠-٢٩١ ) .  
 ( ٣ ) حكمت نجيب : نفس المرجع ( ص ٢٩١ ) ( نقلا عن عباس محمد الحسون وآخرون ، الفيزياء ص ٦٤ ) .  
 ( ٤ ) تاريخ الفكر العربى ( ص ٥٩١ ) .

والحق ان ابا الصلت رغم فشله فى تحقيق خطته الا انه اثبت بلا شك ان  
لديه معرفة بعلم الحيل . ونحن اذ نذكر مسببات فشله فانما هذا عائد الى  
ان العلم فى عصرنا هذا قد بلغ مبلغا عظيما من التطور والازدهار . ويكفى  
ابا الصلت محاولته الجريئة فى ذلك العصر الذى كان يعد فيه مثل ذلك  
النشاط صفحة مضيئة فى طريق الرقى باحوال الانسان وحاجاته الملحة .

## الفلاحة

ممنمممممممممممممممممممممم

عرف ابن خلدون هذا العلم بأنه ( النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه بالسقى والعلاج وتعهدده بمثل ذلك )<sup>(١)</sup>.

وقد حظيت الزراعة في الاسلام بعناية كبيرة ، فإشار إليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى : ( افرايتم ما تحرثون ، انتم تزرعونه ام نحن الزارعون ) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ( من حديث ( من غرس غرساً فهو له صدقة )<sup>(٢)</sup> وفي حديث آخر ( ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منه انسان او بهيمة الا كان له صدقة )<sup>(٣)</sup> .

وبناء عليه فقد لقيت الفلاحة اهتماماً واسعاً من المسلمين ، ومن غير شك انهم استفادوا ممن كان قبلهم من الامم واقتبسوا العديد من الخبرات عنهم ، ثم انطلقوا الى العمل على تحسين طرق الزراعة والسقى والسقيا وابتدعوا الكثير من المناهج والاساليب الراقية في هذا الميدان الحيوى فادخلوا ضروباً من الطرق الهندسية فى الري وابتكروا اساليب متطورة فى معالجة الآفات الحشرية ومكافحتها والعناية بالنبات والاشجار وصنفوا فى ذلك تصانيف علمية نفيسة .

( ١ ) مقدمة ابن خلدون ( ص ٤٩٢ ) .

( ٢ ) سورة الواقعة : آيتى ٦٣ ، ٦٤ .

( ٣ ) رواه احمد بن حنبل ، ونسك المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ص ٤٩٩ .

( ٤ ) رواه البخارى ومسلم والترمذى والدارمى وأحمد بن حنبل ( ونسك المعجم ص ٤٧٨ ) .

( ٥ ) عرف المسلمون رسالة ديمقريتوس الزراعية وافادوا ايضا من دراسات

لفندانيوس اناطوليوس وكذلك ما صنفه كسيانوس البيزنطى . انظر سيد

حسين : العلوم فى الاسلام ( ص ١٨٤ ) ، عبد الرحمن بدوى : دراسات

فى تاريخ الفلسفة والعلوم عند العرب ( ص ٣٨ ) .

ومن اوائل المصنفات الزراعية كتاب يوحنا ماسويه ، وكتاب تلميذه  
حنين بن اسحاق ، هنا الى جانب دراسات منسوبة لجابر بن حيان في هذا  
العلم .<sup>(١)</sup>

ومن اشهر كتب الفلاحة ما ترجمه العلامة ابو بكر احمد بن وحشية  
( القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ) وهو كتاب الفلاحة النبطية  
وقد ترجمه عن السريانية القديمة اولغة نبط ، ونسبه الى شخص اسمه قظامى  
الذى عاش حسب تقدير براشفولسون فى القرن السادس عشر ق . م .<sup>(٢)</sup>

ازدهار الفلاحة فى الاندلس  
وتصدرها بقية الاقطار الاسلامية  
~~~~~

هذا ويحتل الاندلسيون بلا منازع المقدمة والصدارة بين علماء الزراعة
فى العالم الاسلامى كله . فان الزراعة لم تزدهر فى بلاد الاسلام بل فى العالم
كله قد ما ازدهرت فى الاندلس ، وهذا عائد اولا الى طبيعة شبه الجزيرة
الاندلسية ، وكثرة انهارها وبقاعها الخصبة وتنوع اقاليمها وتربتها ، وثانيا
الى نبوغ اهل الاندلس فى علم الزراعة وفنونها ومهاراتهم الواسعة فى فلاحه
الارض وغرسها والعناية بها حتى تينع ثمارها على اطيب صورة .^(٣)

-
- (١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٨٣) .
(٢) عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب
(ص ٣٦) ، حكمت نجيب : دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب
(ص ٣٣٤ - ٣٣٥) ، سيد حسين : المرجع السابق (ص ١٨٤ - ١٩٣) .
(٣) عز الدين فروخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية (ص ٦٥)
على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات (ص ٣١) ،
عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ٣٩) .

وطيلة عدة قرون ابتداءً من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى يكاد يكون كل كتاب قيم فى علم الزراعة صادر عن علماء الاندلس، كما ان النشاط الزراعى فى ذلك القطر اتى بانجازات حضارية رائعة قل ان توجد فى غيره من الاقطار^(١).

واظهر الاندلسيون نبوغا عظيما فى تنظيم وسائل الرى والصرف واستجلاب المياه وتوزيعها بالطرق الفنية الرفيعة، وهو ما نلمسه حتى عصرنا هذا فيما تبقى من آثار المسلمين فى الاندلس الى يومنا هذا، ومنها ديوان المياه الباقي من ايام العرب فى بلنسية والذى اثبت بشكل قاطع مدى ما كان عليه الاندلسيون من تفوق وتطور عظيمين فى ميدان الرى والسقيا^(٢).

وما زالت اراضى الاقاليم الشرقية فى اسبانيا تتبع اساليب العرب فى الرى، وتحث كما كان الامر فى زمانهم، وما زالت العربية باقية حتى الآن فى لغة الريف الصميمة فى مفردات بعض المصطلحات الزراعية وفى مقاييس وموازين^(٣) كل حقل قروى.

ويذكر سيد حسين ان اوائل الدراسات الزراعية الاندلسية كتاب ابى الحسن القرطبى من اعلام القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى " الانواء" وهو عبارة عن تقويم زراعى، وتلاه كتاب ينسب للطبيب الشهير ابى القاسم خلف بن عباس الزهراوى ويسمى " كتاب الفلاحة"^(٤).

-
- (١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٩٣) .
 - (٢) انظر شكيب ارسلان : الحلل السندسية، ج ٣ (ص ٢١٥) .
 - (٣) ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس (ص ٨٢-٨٣) .
 - (٤) سيد حسين : مرجع سابق (ص ١٩٣) .

ولكننا فى شك من ذلك اذ ان كتاب عريب بن سعد القرطبي (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) " اوقات السنة " او التقويم يأتى فى مقدمة تلك الدراسات .^(١)

ابرز علماء الفلاحة فى عصر
ملوك الطوائف وانتاجهم العلمى
ممنوع

وفى عصر الطوائف برز عدد من علماء الفلاحة الذين اسهموا بتأليفهم العلمية فى رقى هذا العلم والنهوض بطرقه واساليبه الى درجة رفيعة .

فمن مملكة اشبيلية ظهر العلامة ابو عمرا حمد بن محمد بن الحجاج الذى صنف فى الزراعة كتابا سماه " المقنع " وقد كان هذا الكتاب مجهولا تقريبا لدى كثير من الدارسين والمهتمين بعلم الفلاحة عند الاندلسيين حتى يسر الله له من يخرج له من طى النسيان فقام على نشره مجمع اللغة العربية الاردنى بتحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية سنة (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

والكتاب يحوى معلومات قيمة وهامة عن طرق الزراعة والعناية بالاشجار وتوضيح افضل السبل فى زراعة الحبوب والثمار والازهار والرياحين الى جانب الاهتمام بالرى والارشاد الى اقوم الطرق فى ذلك . ويضم " المقنع " توجيهات كثيرة عن تربية الحيوانات والدواجن والطيور وصيانتها من الآفات والادواء وما يتبع من اساليب فى تكثيرها وتسمينها وغير ذلك .^(٢)

وابن حجاج يعتمد فى الكثير من مواضيع كتابه على من سبقه من علماء الفلاحة كاكسينوس يونيوس ، واقتيوس ، وابن معالوس ، وسوديوس ، ومن المسلمين ثابت بن قره ، وابو حنيفة الدينورى .^(٣)

(١) انظر مقدمة المحققين لكتاب المقنع لابن حجاج (ص : ث) .

(٢) انظر المقنع (ص ١١ ، ٤٢ ، ٦٧) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٢٣) .

ونظرا لقيمة الكتاب واهمية ما حواه من معارف زراعية فقد استند عليه العديد من علماء الفلاحة كابن العوام يحيى بن محمد (ت ٨٧٥هـ / ١١٩١م) الذى قال فى مقدمة كتابه عن الفلاحة (واعتمدت على ماتضمنه كتاب الشيخ الفقيه الامام ابو عمر بن حجاج ، رحمه الله ، المسمى بـ " المقنع " ، وهو الذى (١)
الفه سنة ٤٦٦هـ . . .) .

(٢) كما ان ابن البيطار اعتمد عليه فى دراسته لأنواع النباتات والاعشاب.

ومن مملكة طليطة نبغ العلامة ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلى فى علم الفلاحة ، وكان للبيئة التى نشأ بها اكبر الاثر فى تعميق معارفه الزراعية ، فطليطة اشتهرت بكثرة بساطينها ورقى الفلاحة بها حتى وصفت ثمر الجلنار بها بانها تقارب الرمان ، وان فيها من الوان الفلاحة الراقية ما تفضل به غيرها ، وان فيها صنفا من التين ، نصفه اخضر والنصف الآخر ابيض فى غاية الحلاوة . (٣)

وابن بصال يحتل مكانة عظيمة بين علماء الفلاحة المسلمين ، وكان لشغفه بذلك العلم ان رحل الى كثير من الاقطار كالمغرب ومصر وصقلية ومكة ليزيد من تحصيله العلمى ويطلع على معارف جديدة ، عن انواع النباتات والشجيرات . وكان قد آثر الإقامة باشبيلية لدى عودته الى وطنه وقد انزله المعتمد منزلا كريما فى بلاطه ، وفى اشبيلية انشأ ابن بصال بستانا كبيرا سماه بستان السلطان بتوجيه من المعتمد بن عباد ، وصنف ابن بصال كتابا فى الفلاحة سماه " ديوان الفلاحة " ، وجمع فيه علومه ومعارفه

(١) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى (ص ٤٧٥ - ٤٧٦) .

(٢) آنخل بالنشيا : نفس المرجع والصفحة .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ (ص ٨ - ٩) .

وخراته الزراعيّة .^(١)

ولا بن بصال كتاب آخر اسمه " القصد والبيان " وكلا الكتابين اعتمد فى تأليفهما ابن بصال على خبراته وتجاربه ومشاهداته بعيدا عما علق بالفلاحة من الوان السحر والتأثيرات الفلكية . وكتابه ديوان الفلاحة يقع فى ستّة عشر فصلا تناولت كافة نواحي الزراعة وما يتصل بها من رى وسقيا وانواع المياه كمياه المطر والانهار والخزانات، وتتجلى فى كتابه عنايته بخواص التربيّة ودراسته لها دراسة دقيقة وافية .^(٢)

وكتاب ابن بصال عن الفلاحة نشره وترجمه وعلق عليه مياس بيكروسا ومحمد عزيما ونشره معهد مولاى الحسن بتطوان سنة ١٩٥٥ م .^(٣)

واعتمد ابن العوام فى كتابه عن الفلاحة على كتاب ابن بصال واثنى عليه ووصفه بانه مبنى على التجربة والمشاهدة .^(٤)

ومن مملكة غرناطة ظهر العلامة محمد بن مالك المرى الطغنى (كان حيا سنة ٤٨٠ هـ) وكان الطغنى بارعا فى علوم مختلفة ، وورد غرناطة على عهد الامير عبد الله بن بلقين بن باديس . ويذكر ابن الخطيب انه تولى الوزارة واورد ذلك فى قصة وقعت له مع سماحه وزير عبد الله بن بلقين .^(٥)

(١) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٩٣) ، غير انه سماه عبد الله والصحيح ما ذكرناه اعلاه لوروده هكذا فى المصادر . وانظر الكتب نقد وعرض : ابن بصال : كتاب الفلاحة (مقال صغير بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير ، ج ٥ ص ٢٨٠) .

(٢) سيد حسين : المرجع السابق (ص ١٩٣) ، وانظر عبد الرحمن بدوى دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى (ص ٣٩) .

(٣) الكتب نقد وعرض : ابن بصال ، كتاب الفلاحة (مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير ، ج ٥ ص ٢٨٠) .

(٤) آنخل بالنثيا : المرجع السابق (ص ٤٧٦) ، عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن (ص ٣٧١) .

(٥) الا حاطة ، ج ٢ (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

وتعود شهرة الطغرى الى كتابه القيم الذى الفه فى الفلاحة واسماه
 "زهرة البستان ونزهة الازهان" وقد وصف هذا الكتاب بعظم الفائدة
 ونفيس ما حواه من معارف^(١).

ومن حسن الحظ ان هذا الكتاب قد حفظ من الضياع وعوائد الدهر
 وفى مقدمة هذا الكتاب الذى لا يزال مخطوطا يتحدث المؤلف عن فضائل
 الزراعة وما ورد فيها من فضائل فى القرآن الكريم والسنة واقوال الحكماء
 والعلماء^(٢).

ويلاحظ ان الطغرى اخذ علومه من علماء عصره كابن بطال وابى
 الحسن شهاب اللذين اشار اليهما فى كتابه اكثر من مرة^(٣).

وكان الطغرى مع سعة علمه ورسوخه فى معرفة هذا العلم شديدا
 التواضع جم الحياء، فهو يقول فى مقدمة كتابه (فى ايها المتطلع لهدى
 الكتاب اليك اتضرع فى الصفح عن الزلل والاغضاء عما فى الكتاب من خطأ
 او غلط فالانسان على كل حال محل النقصان ولا يسلم واضع كتاب من حسد
 حاسد وطاعن راصد وابن آدم معرض خطأ وزلل . . .)^(٤).

وقد تضمن كتاب الطغرى نصائحاً وتوجيهات للفلاح وذلك بالسعى
 فى تحصيل المعرفة واكتساب العلم والاستزادة من الخبرات والسؤال عما
 يجله بالاسترشاد باقوال اهل العلم والتجارب، كما ينبه الى اهمية العناية

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ (ص ٢٨٣) ، البغدادى : هدية
 العارفين ، ج ٢ (ص ٧٤) .

(٢) زهرة البستان ونزهة الازهان (مخطوط) (ص ١ - ٢) وما بعدهما .

(٣) نفس المخطوط (ص ٥٦ - ٥٧ - ١١٢) .

(٤) زهرة البستان (مخطوط) (ص ١١) .

بالارض، ومباشرة العمل فيها او بالاشراف الجيد على من يعمل بها، وان لا يعجل عمل اليوم الى غيره ولا يتكل على غيره فى تنفيذ اعماله وشئونه^(١).

والطغنى افاد من معارف علماء الفلاحة السابقين سواء كانوا يونان او فرس او عرب او عن طريق شيوخه . ونقتبس من كتاب الطغنى هذا النص الذى يكشف ويوضح اعتماده على معارف القدامى وغيرهم فيقول : (اختلف المؤلفون فى الفلاحة فى تحديد وقت الغرسة فالأغلب مجموعون على (ان افضل)^(٢) اوقات الغرسة لجميع الشجر فصل الخريف مثل ابن وحشيـه مترجم الفلاحة النبطية وقسطيس صاحب الفلاحة الرومية وقسطيـورس صاحب كتاب الخزانة ودقراطيس، واما ابن بطال فذكر ان ستة اشهر من العام وقت لغرس جميع الشجر اولها شهر اكتوبر الى شهر فبراير، واما شجر التين والعنب ليس له وقت محدود ولا زمان معين لكنه يغرس فى كل وقت وفى كل زمان)^(٣).

هذا وللطبيب الصيدلى الكبير عبدالرحمن بن وافد مساهمة جيدة فى علم الفلاحة حيث الفكتابا اسمه " المجموع فى الفلاحة "، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة فى الغرب . اما العرب فلا يعرفون عنه شيئا تقريبا^(٤).

هؤلاء هم تقريبا اشهر علماء الفلاحة والزراعة فى الاندلس، وهناك علماء آخرون كانت لهم مشاركات جانبية فى هذا العلم، منهم العلامة ابو عبد الله محمد بن معمر المعروف بابن اخت غانم، وكان عالما باللغة

(١) زهرة البستان (مخطوط) (ص ٨ - ٩) .
(٢) فى الاصل كلمة غير مفهومة ، وما اثبتناه بين القوسين يناسب سياق الكلام .

(٣) زهرة البستان (مخطوط) (ص ١١٧) .
(٤) سيد حسين : العلوم فى الاسلام (ص ١٩٣) ، وانظر حكمت الاوسى كتاب الوساد لابن واند الطليطلى ، مقال بمجلة المؤرخ العربى العدد الثالث عشر ، ١٩٨٠ م (ص ١٧٥) .

مشهورا بها وله معرفة بعلوم اخرى ، وكان مقيما بمالقه ثم خرج عنها الى المريه حيث حل ضيفا لدى اميرها المعتصم بن صمادح ، وتعود شهرته فى علم الفلاحة الى شرحه لكتاب ابى حنيفة الدينورى ، وقد قام بشرحه شرحا واسعا مفصلا حيث يقع شرحه المذكور فى ستين مجلدا^(١) .

وبين القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ظهر عالم زراعى نباتى كبير نجهل اسمه وخلف لنا معجما باسماء النبات (نشر آسين بلاثيوش مستخرجا منه على هيئة معجم عنوانه :

(Glosario de voces romances registradas por un botanico anonimo hispano - Musulman de los siglos XI Y XII)

وهذا المعجم يضم معلومات ذات قيمة عالية عن نباتات واشجار الاندلس ومعالمها الجغرافية وانماط السلوك والتقاليد الشعبية^(٢) .

ولابن سيده العالم اللغوى - الذى سبق الحديث عنه فى ميدان اللغة له مساهمة طيبة فى حقل الزراعة من خلال دراساته اللغوية، فقد بين لنا كثيرا من اسماء النباتات والاشجار وسعى الى ترتيب النباتات حسب مكان نموه وحسب طبيعة ورقه من حيث بقاءه او سقوطه ، وتحدث عن الآفات الزراعية التى تصيب النبات ضابطا لاسماء تلك الآفات ووصفا لخصائصها ، وكان جهده واضحا فى توضيح ما يلحق بالنباتات من آفات مختلفة ، وعلل حصول ذلك بقسوة المناخ من برودة او جفاف او ما يصيبها من طفيليات . وفى حديثه عن الكرم يذكر مختلف الوسائل والسبل المتبعة فى غرسه واطوار نموه ذاكرا افضل الطرق للمحافظة

(١) المقرئ : نفح الطيب، ج ٣ (ص ٣٩٧) ، وانظر ابن سعيد : المغرب،

ج ١ (ص ٤٣٣) .

(٢) أنخل بالنتيا : مرجع سابق (ص ٤٦٩) .

عليه وصيانته والعناية به مع الإشارة الى انواع الكرم ، هذا مع التزامه بانتقاء
اللفظة العلمية والفنية التي تبين كل ذلك في جلاء ووضوح تامين .^(١)

وبعد هذا الاستعراض السريع للانجازات العلمية في ميدان الزراعة
في عصر ملوك الطوائف فلن تصيبنا الدهشة ولن يستولى علينا العجب اذا ما قلنا
ان الزراعة في الاندلس قد اصابها تدهور سريع وشامل بعد خروج المسلمين
بل ان ذلك التدهور مالم يثبت ان دفع اسبانيا - التي كانت في عهد المسلمين
بستانا مشمرا جميلا - الى استيراد ما تحتاجه من المحاصيل الزراعية .

وهكذا اثبت الاندلسيون انهم اصحاب السيادة العلمية في حقل
العلوم الزراعية ، وان معارفهم وخبراتهم العلمية التي خلدوها في كتبهم
هي اثنى ما تركه المسلمون في هذا العلم بلا منازع .

(١) داريو كابانيلاس : ابن سيده المرسى (ص ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥) .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

- _____

((الأندلس أهم معابر الحضارة الاسلامية الى أوروبا))

جدير بالذكر ان اى حضارة من الحضارات الانسانية لا يمكن ان تؤثر
فى غيرها من الحضارات الاخرى الا بعد نضج ورقى كبيرين . ولا يمكن بحال
من الأحوال ان يتم هذا الا بعد زمن ليس بالقصير فى عمر الحضارات
الانسانية .

ويذكر المؤرخون ان اوربا استمدت معارفها وعلومها الراقية من الحضارة
الاسلامية وذلك من خلال ثلاثة معابر . المعبر الأول : الحروب الصليبية
التي يسرت للغزاة ان يطلعوا على ما فى الشرق العربى من حضارة زاهرة
وعلوم راقية . وقد شكك غوستان لوبون فى صحة الدور الذى قامت به
الحروب الصليبية ^(١) . والحق ان دورها كان فى هذا الميدان ضئيلا اذ ما
قورن بالدور الذى قام به المعبران الآتيان .

المعبر الثانى : جزيرة صقلية التى كان دورها كبيرا فى نقل العلوم
والمعارف الى جنوب اوربا ، وخصوصا ايطاليا وفرنسا . ولم يكن ذلك
الاشعاع الحضارى الذى انطلق من صقلية ابان الحكم الاسلامى فقط بل
استمرت هذه الجزيرة فى بث الحضارة الاسلامية فتهافت على دراستها
جيرانها من الايطاليين ونقلوها الى كافة انحاء اوربا .

المعبر الثالث : الأندلس ويعد هذا المعبر اهم المعابر التى سلكتها

الحضارة الاسلامية الى اوربا ، واشدها تأثيراً فى تغيير وجه اوربا المظلم المتخلف الى ما اصبحت عليه من رقى وتمدن . والذى يهمنى هنا هو الحديث عن هذا المعبر ومقدار ما اسهم به فى بناء الكيان الحضارى لأوربا ، وخاصة ما اسداه علماء عصر ملوك الطوائف من جهود علمية قيمة فى مختلف فروع المعرفة . ومن المعلوم ان الاندلس عاشت ازهى عصورها العلمية و الادبية فى عصر ملوك الطوائف . وما من شك ان الاندلس عاشت فى العصر السابق له اى عصر الخلافة نهضة علمية كبيرة . ويمكن القول ان جذور التآلق العلمى لعصر الطوائف كانت مستمرة من الازدهار العلمى لعصر الخلافة ، ولكن قمة التفوق والتطور كانت فى عصر ملوك الطوائف الذى شهد نشاطا علميا واسعا وانتاجا فكريا شاملا بفضل روح المنافسة بين ملوك هذا العصر وحرصهم على ان يكونوا حماة للعلم ورعاة للفكر . فقد كان هذا الهدف النبيل من أسمى ما يتطلع اليه كل منهم . فمن الفخر والسؤدد ان يتصف كل ملك وأمير آنذاك بأنه الملك العالم الاديب المحب للعلم والعلماء .

واذا القينا نظرة على الاوضاع السائدة فى اوربا ابان هذا الازدهار الحضارى فى الاندلس لدهشنا مما كانت عليه الاحوال فى اوربا من تخلف وجهل وظلام ، وفى هذا الصدد يقول غوستاف لوبون :

(لا يمكن ادراك اهمية شان العرب فى الغرب الا بتصور حال أوربـه حينما ادخلوا الحضارة اليها ، اذا رجعنا الى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد . حين كانت الحضارة الاسلامية فى اسبانيا ساطعة جدا ، رأينا ان مراكز الثقافة فى الغرب كانت ابراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون

بأنهم لا يقرأون ، وان اكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين
الجاهلين الذين يقضون اوقاتهم فى اديارهم ليكشطوا كتب الاقدمين النفيسة
بخشوع وذلك كيما يكون عندهم من الرقوق ما هو ضرورى لنسخ كتب العبادة⁽¹⁾

((اتصال الاوربيين الثقافى بالأندلس حتى نهاية عصر الطوائف))

وأفاق الأوروبيون من سباتهم على نور الحضارة الإسلامية فبهرهم شعاعها واخذوا يتلمسون طريقهم للاقتباس منها ، وكانت اسبانيا الإسلامية قد لفتت انظارهم بتلقها الباهر ، فاتجهوا نحوها ، ويمكن ان نشير الى ان ظهور التأثير الحضارى للاندلس في اوربا قد بدأ تقريبا .

من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٢). ففي هذا القرن وهو عصر الخلافة الاموية في الاندلس ارتقت الاندلس في مدارج المعرفة درجة

(١) حضارة العرب ص ٥٦٦ .

(٢) هناك تأثيرات حضارية عربية مبكرة في اوربا لاندرى على وجه القطع
اكان مصدرها اسبانيا ام غيرها من مراكز الحضارة الاسلامية آنذاك
مثال ذلك ان نسخه لاتينيه من حكم ابقراط كانت تستخدم في التدريس
بشارتر في فرنسا سنة ١٠٩١ م . فيغترض بعض المؤرخين عند تفسيرهم لوجود
مثل هذه الترجمة نفوذا علميا عربيا مبكرا بسبب واضح وهو ان مثل هذه
الترجمة كانت عن اصل عربي ، فالغرب اللاتيني كان جاهلا جهلا تاما
باى شئ عن الاصول اليونانية لمآثر اليونان القدماء .
ومن التأثيرات ايضا ماكتبه هرمان الكسيح (١٠١٣-١٠٥٤ م) في سويسرا
من تأليف في الرياضيات والتنجيم تظهر عليها التأثيرات العلمية العربية فهرمان
كان كسيحا لا يستطيع الحركة فلم يزر اسبانيا او صقلية ومن الجائز انه وصلته
بعض الترجمات المبكرة لكتب عربية وحصل على معلومات عربية من بعض العلماء
المتجولين آنذاك في اسبانيا واوربا . ويمكن انه حصل على ترجمات لاعمال
عربية كتلك التي وجدت في شارتر اولئك التي ترجمها جريوت . انظر جلال
مظر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث ، ص ١٢٩ و يضيف
الباحث انه قد يكون قد اعتمد على بعض الترجمات لبعض الكتب التي نقلها
جان غورترز اللوريني الى المانيا سنة ١٣٤٥ هـ / ١٠٥٦ م) بعد عودته من الاندلس

عالية فاجتذبت اليها الانظار وشدت اليها القلوب من اقطار اوربا كايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا ، ويذكر التاريخ ان ملك انجلترا جورج الثانى ارسل بعثه من بنات النبلاء والاشراف وفى مقدمتهن الاميرة "ديانت" ابنة أختة الى الاندلس . ووجه معهن خطابا الى الخليفة الاموى يقول فيه (اردنا لابنائنا اقتباس حضارتكم لتكون بداية حسنه فى اقتفاء اثركم لنشر نور العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل)^(١) .

واذا صح هذا الخبر فان فيه ماينم بصورة واضحة عما كانت عليه الاندلس آنذاك من رقي وحضارة زاهرة استقطبت اهتمام الاوربيين ليس ممن جاؤا الاندلس فقط بل من كان بعيدا عنها ايضا فى انجلترا . فكانت الاندلس قبلة للراغبين فى العلم من الاوربيين ومطمع همهم فى تحصيل العلم والمعرفة بعد ان كانوا غرقى فى لجج الجهل وبحر الظلمات .

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ص ٣٢٤ . بالرجوع الى ما كتب عن تاريخ بريطانيا فى العصور الوسطى لم نعثر على ملك بريطانى يسمى جورج الثانى فمنذ الحقبة التى ارتبطت فيها بريطانيا بغزو الفيكنج منذ القرن التاسع الميلادى حكم بريطانيا الملك الفريد وتتابع خلفاؤه حتى تولى الحكم على بريطانيا الملك الدانماركى كنوت (١٠١٦ - ١٠٣٥ م) وتولى بعده الملك ادورد بن ادmond (١٠٤٣ - ١١٠٦ م) تبع ذلك غزو وليم الفاتح لبريطانيا وامتد حكمه وحكم خلفاء من ص ١٠٦٦ - ١٣٠٧ لم نجد خلال قائمة الحكام الذين حكموا بريطانيا الى نهاية عهد السيطرة النورمانديه التى بداها وليم الفاتح ملكا يدعى جورج . ولعل هذه البعثة ان صحت فان الملك الذى ارسلها قد يكون من خلفاء الفريد (انظر محمد سعيد عمران : معالم تاريخ اوربا فى العصور الوسطى ص ٢٣٥ وما بعدها ص ٢٤٥ وما بعدها .

وفى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد بعث الامبراطور اوتوا لكبير وفد سياسيا على راسه جان غورتز اللورينى الى الاندلس وبالتحديد سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣م حيث قابل الخليفة عبد الرحمن الناصر . وارتبط غورتز بعلاقة وطيدة بالوزير اليهودى ابن شبروط . وكان غورتز مند هشا لما رآته عيناه من حضارة عظيمة يعيشها المسلمون فى الاندلس . ومن ذلك الرقى العظيم فى العلوم والمعارف ، فعزم على البقاء فى قرطبه ليقتبس ما يستطيع اقتباسه من علوم ومعارف مختلفة فدرس اللغة العربية حتى أجادها وقبل ان يغادر الاندلس الى وطنه (٣٤٥هـ / ٩٥٦م) حمل معه قدرا كبيرا من الكتب . ويبدو ان الكثير منها كان متعلقا بالعلوم البحتة كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك وما يدل على هذا ما لوحظ من ازدهار كبير ووضح فى تلك العلوم وخصوصا الرياضيات فى مدارس مقاطعة اللورين ثم انتقل هذا التأثير العلمى الى حوض الرين والفلاندر (١) .

وجدير بالذكر ان التأثير العلمى للعلوم العربية قد اصاب المدارس الفلمنكية فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . وان تلك المدارس اقتبست الكثير من المعارف عن العرب الاندلسيين ويمكن التدليل على ذلك بانها عندما احتل الملك الدانماركى كنوت Knut (٣٩١هـ - ٤٢٧ - ١٠٠٠م) انجلترا عزل الاساقفة الانجلو سكوت وعين محلهم اساقفة من كنائس الاراضى المنخفضة وشمالى فرنسا . وكان من بين هؤلاء خمسة اساقفة يتمتعون بقدر جيد من المعرفة بالعلوم العربية فى الرياضيات والكيمياء والفلك (٢) .

(١) ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام، ص ٢١٢ - وانظر ليفى بروفنسال

حضارة العرب فى الاندلس، ص ٧٥-٧٦ .

(٢) ماهر حماده : المرجع السابق، ص ٢١٢ .

وقبيل عصر الطوائف ايضا قام الراهب جربيرت دى اورباك الذى اصبح

Silvester II

فيما بعد البابا سلفستر الثانى

بالارتحال الى قرطبة عاصمة العلم وقبله المعرفة آنذاك ومكث جربيرت فى قرطبة ثلاث سنوات بين سنتي (٣٥٧-٣٦٠هـ / ٩٦٧-٩٧٠م) حيث عكف على دراسة عدد من العلوم وخاصة الرياضيات والفلك ، حتى اذا اكتسب معرفة واسعة فيها عاد الى وطنه لينشر ما اكتسبه .^(١)

ولما استقر جربيرت فى وطنه صنف كتابا وضع فيه كيفية استخدام الأرقام العربية الا ان الاوربيين المتخلفين آنذاك توجوا منه خيفة ولم يطمئنوا الى ثقافته الجديدة لعلمهم بانه درس فى اسبانيا الاسلامية وعلى ايدى العرب كما انه اتهم من قبل العامة بالسحر ورويت عنه احداث خارقة منها انه يغادر الدير ليلا ويطير فى الهواء حتى يصل اسبانيا فيدرس بها علوم الفلك والتنجيم ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر .^(٢)

ولاريب ان هذه الرواية التى حكيت عن الراهب جربيرت تعتبر من ضروب الاساطير والخرافات ولكنها تؤكد من جهة اخرى عمق الصلة الثقافية بين ذلك الراهب ومصادر الثقافة والعلم فى اسبانيا .

ولا ننسى ان نشير فى هذا الصدد الى ان من مصادر هذا التأثير الحضارى

(١) عبد الرحمن بدوي : دور العرب فى تكوين الفكر الاوربي، ص ٥-٦- لويس يونغ : العرب واوروبا، ص ١٢٥- انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٥٣ .
(٢) لويس يونغ : العرب واوروبا، ص ١٢٥ - وانظر عمر فروخ : عبقرية العرب ،

والعلمي للاندلس في اوربا ، ما نشأ عن قيام الدولة الاسلامية في الاندلس من نفوذ واسع في جنوب شرق فرنسا فقد تمكنت مجموعة من البحارة الاندلسيين من النزول في جنوب شرق فرنسا في منطقته بروفانس سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ، — واستطاع هؤلاء الاندلسيين من مد نفوذهم بعد وصول امدادات لهم الى المناطق المجاورة ، واخذ شأنهم يعلو وقوتهم تزداد حتى شملت سيادتهم مناطقاً في ايطاليا وسويسرا ، واطلق على دولتهم تلك دولة "القلال" وعرفت قاعدتهم في المصادر اللاتينية باسم فراكسنيوم ، وقد استمر نفوذ هذه الدولة حتى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م .^(١)

وبطبيعة الحال فقد كان لهذه الدولة نشاط حضارى وعلمى ، وكان لتوسطها بين فرنسا وايطاليا وسويسرا أثر في سهولة انتقال المعارف والافكار العلمية الى تلك الشعوب الاربعة . وهو ما أكدّه جوزيف رينو بقوله (عند ما استقر المسلمون في القرن التاسع الميلادى في بروفانس وفي دوفيني وسافواى وفى سويسرا كانوا قد قطعوا اشواطاً في العلوم وفى الفنون)^(٢) .

وشهدت الاندلس منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى افواجا من الطلبة الاربعة من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا لدراسة علوم العرب

(١) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ص ٣١٣ . وانظر بالتفصيل عن

هذه الدولة جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا

وسويسرا ، ص ١٥١ وما بعدها .

(٢) الفتوحات الاسلامية ص ٢٥١ .

ومعارفهم المختلفة، واقتباس الوان الحضارة والتمدن . وكان البعض من هؤلاء الطلبة الارببيين من ابناء الامراء والملوك والنبلاء، وكانوا يقصدون بلاطات خلفاء وامراء المسلمين ليتلقوا الوان الادب والفروسية . (١)

وكان بطرس رئيس دير كلوني قد ابدى اسفه الشديد وانزعاجه البالغ عندما زار اسبانيا فشهد جموع الطلبة الفرنسيين والالمان والانجليز يأمون مراكو العلم الاندلسية ويأخذون الكثير من علومهم وآدابهم عن علماء المسلمين فسعى الى ترجمة القرآن الى اللاتينية بغرض تعريفهم بنفلاسلام من وجهة النظر المسيحية ليصد هم عن التأثر بالفكر الاسلامي . (٢)

ومن الطريف ان نشير الى ان سانشو بن غرسية حفيد الملكة طوطة ملكة نافار عندما خلعه غوترايز وطرده من ليون التجأ مع جدته الى الخليفة الناصر

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الثاني ج ٤ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ -

زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٥٠ ، عبد الحميد السائح دور الحضارة العربية والاسلامية في التقدم الانساني (مقال بمجلة المؤرخ العربي العدد ١٩ سنة ١٩٨١ م، ص ٦٦) هـ ج ولز : معالم تاريخ الانسانية ج ٣ ، ص ٨٣٩ . بريفالت : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية ، ص ١٤٠ - ١٤٦ . جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية ص ٢٥٢ - ٣٥٣ - مرسى محمد عرب : لمحات عن التراث الطبقي العربي ص ٤٧ .

(٢) بريفالت : مرجع سابق ص ٢٠٣ جوزيف رينو ج : مرجع سابق ، ص ٢٤٦ -

عبد الغنى ابو العزم : دراسة تاريخية حول موضوع الدراسات الاسلامية في اوربا ، مقال بمجلة المؤرخ العربي سنة ١٩٨١ م، ص ٢١٧) وذكر زكريا هاشم ان اول ترجمة للقران كانت باشارة بطرس فيزابلس رئيس كنيسة كلينية وانها تمت سنة ١١٤٣ م وظلت الترجمة مختفية حتى طبعت سنة ١٥٤٣ م (انظر فضل الحضارة الاسلامية على العلم ، ص ٢٤٦ ج

يستجد به وكان سانشو يعانى من سمّة مفرطة اثقلت كاهله فلا يقوى على المشى الا مستندا الى شخصين ، فعزم على معالجة نفسه فلم يجد امامه الاطباء الا ندلس الذائعى الصيت فبعث الى الخليفة الناصر يطلب منه ان يوفد اليه طبيبا لمعالجته ولما وصلت الخليفة رسالته وافق على ان يرسل اليه طبيبه حسداى بن اسحق الطبيب اليهودى بشرط ان يسلمه بعض القلاع وان يحضر بنفسه هو وجدته الملكة الى قرطبة ، فوافق سانشو على ذلك وحضر بصحبة جدته فاکرمهما الخليفة الناصر واعان سانشو بجيش على استرداد ملكه كما اسعفه بالعلاج الشافى لحالته . (١)

ومن الحقائق المسلم بها ان كثيرا من الاوربيين كانوا يدركون بالمقارنة بينهم وبين المسلمين فى الاندلس ذلك البون الشاسع فى الحضارة والعلم فكانت الاندلس فى نظرهم منبع العلم ومركز الحضارة والتمدن . فهذه الشاعرة الالمانية هروسيثا Horswitha فى منتصف القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، بدير جاند رز هايم بسكسونيا تنظم ابياتا شعرية تقول فيها :

" قرطبة المدينة الشابة هى زينة الدنيا ، قرطبة شهيرة بجمالها فخورة بقوتها قرطبة هى التى حوت كل شىء تزهو به المدن " (٢)

وفى عصر ملوك الطوائف كان الصراع العسكرى بين المسلمين ونصارى الشمال وحلفائهم من الفرنسين والايطاليين والالمان دور مهم فى نقل الافكار والثقافة الى خارج الاندلس فان الوف الاسرى الاوربيين الذين اطلق سراحهم وخاصة ممن كان منهم اسيرا فى مراكز الحضارة كقرطبة وسرقسطة وطليطالة احتكوا بالحضارة الاندلسية اثناء اسرهم واقتبسوا من نورها ثم حملوا تلك

(١) ستانلى لينبول : العرب فى اسبانيا ص ٢٢١ ، وانظر جوزيف رينو : الفتوحات الاسلامية فى فرنسا ، ص ٢٥٢ .

(٢) زيغريد هونكه : مرجع سابق ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ - ليفي بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس ، ص ٧٦ .

المعارف الى بلادهم ومواطنهم في اوربا . (١)

ومن الاهمية ان نشير ايضا الى دور الاسرى المسلمين في نشر الثقافة الاسلامية في اوربا ومثال ذلك ما نتج عن حادثة برشتر (٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) فقد هاجم النورمان بمساعدة قوات ايطالية وفرنسية بقيادة غيوم الثامن مدينة بريشتر احدى مدن الثغر الاعلى شمال شرق سرقسطة . وكانت هذه الحملة تتسم بطابعها الصليبي فقد باركها البابا اسكندر الثاني . واستطاع النورمان من الاستيلاء على المدينة فنهبوا وسبوا الكثير من اهلها رجالا ونساء واطفالا وكانت هذه الحادثة من اعظم ما حل بالاندلس من المآسى المفجعة . (٢)

فهؤلاء الاسرى الذين ساقهم النورمانديون والايطاليون كانوا يعيشون في ظل حضارة زاهرة وكان الكثير منهم يتمتعون بقدر من العلم والمعرفة فانتقلهم الى اوربا يعد مكسبا حضاريا عظيما لها . ونحن عندما نقرأ التاريخ بوجه عام نلاحظ هذه الظاهرة في تصرفات الكثير من الملوك والزعماء المتغلبين على شعوب اعظم حضارة منهم واكثر معرفة وعلماء فيستاقون ضمن ثمار انتصاراتهم الكثير من العلماء وارباب الحرف والصناعات المختلفة ليرفعوا من شأن اوطانهم المتخلفة حضاريا .

(١) زيغريد : المرجع السابق ، ص ٥٣٢

(٢) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٩ وما بعدها - عباس

الجرأوى : اثر الاندلس على اوربا في مجال الايقاع والنغم (مقال بمجلة عالم الفكر ، ج ١٢ ، سنة ١٩٨١ م ، ص ١٥ - ١٦) - آنخل بالنشيا :

تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٧ - ٢٨ .

"مدرسة طليطلة وحركة الترجمة من العربية الى اللاتينية"

وجدير بالذكر انه منذ سقوط مدينة طليطلة فى يد الفونس السادس (٤٧٨هـ
١٠٨٥م) اخذ التاريخ العلمى للاندلس منعطفا حاسما فى تعميق جذور
الاهتمام الاوربى بحضارة الاندلس . وتقوية تيار التأثير العلمى لها فى
اوربا .

ونلاحظ ان الكثير من المسلمين الذين بقوا فى طليطلة تحت الحكم
المسيحى استمروا فى القيام برسالاتهم الحضارية والاشتغال بالعلم فلعبوا
دورا كبيرا فى تطور العلوم وتوضيح الكثير من المعارف فى البلاط المسيحى
الذى كان يضم اعدادا مختلفة من الاسبان النصارى وخلفائهم من الفرنسيين
والالمان . وخاصة اذا علمنا ان الفونس السادس استعان بالكثير من الامراء
والقواد الفرنسيين وغيرهم . وهؤلاء بالتالى كانوا ينقلون ما شاهد ونه
ويلمسونه من الوان المعرفة الاسلامية الى اوطانهم الاصلية ، وقد اشار الى
هذا الامر السنيور فرنانديث جونثالث فى مذكراته وذكر انه كان يعيش تحت
الحكم المسيحى فى طليطلة جمهرة كبيرة من العلماء والادباء والمؤرخين
المسلمين ، وكانوا يحظون بالرعاية والتقدير . (١)

والملاحظ ايضا انه عقب استرداد الفونسو السادس على طليطلة استدعى

(١) فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ - وانظر
مونتجرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٨٤ - زيغريد
هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٣٢ ، سعيد عاشور : حضارة
ونظم اوربا فى العصور الوسطى ، ص ٢٦٧ . جلال مظهر : الحضارة
الاسلامية ص ١٤٦ .

(٦٥٢)

طائفة من رجال الكنيسة الفرنسية ليتولوا مهام كنيسة طليطلة ومن هؤلاء راهب كلونى L'abaye de cluny الذى ارسل الى الملك الفونسو مجموعة من الاطر الدينية . وفى نفس الوقت تزوج الفونسو السادس الاميرة كونستانس شقيقة الامير الشاعر غيوم التاسع الذى تزوج بدوره بنت ملك اراغون راميرو الراهب . (١)

ومثل هذه العلاقات الدينية والاجتماعية تعمق الروابط بين اسبانيا وفرنسا على كافة الاصعدة ومختلف الميادين . فاذا اضفنا الى ذلك وجود ضريح القديس سانت ياقب فى الشمال الغربى لاسبانيا ، وهو الضريح المقدس لى النصرى عامة واليه يحجون على الدوام من كافة انحاء اوربا (٢) لادركنا ان اسبانيا بوضعها هذا كانت مهوى افئدة الاوربيين ومن ثم تيسر لهؤلاء اثناء تواجدهم فى اسبانيا الاطلاع على كثر على ما تمتع به الاندلس من حضارة عظيمة وتمتد ن راق وفكر مستنير .

ويشير جوزيف رينو الى مدى اهتمام الفرنسيين انذاك بالعلوم العربية فى الاندلس الى انه كان هناك طائفة منهم تمكنت من الاغتراف من ينابيع الثقافة والمعارف العربية فى الاندلس فى الوقت الذى كان فيه الناس فى فرنسا وغيرها فى ظلام دامس . كما ذكر اتجاه الشعوب الاوربية الاخرى الى اسبانيا لتلقى العلوم والآداب ونقلها الى اللغة اللاتينية . (٣)

(١) عباس الجراوى : اثر الاندلس على اوربا فى مجال النغم والايقاع (مقال

بمجلة عالم الفكر، ج ١٢، ١٩٨١) ص ١٥٠ .

(٢) زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ وانظر عن هذا القديس ابن

عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٣) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ وانظر

كريستى ارنولد : تراث الاسلام ، ص ٥٤ - ٥٥ .

ويشير المؤرخ الاوربي شالير الى عدد من البعثات الاوربية التي ارسلت الى الاندلس لتلقى العلوم والمعارف ومن بينها بعثة فرنسية برئاسة الاميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا . (١)

وكان هذا التأثير العلمى للاندلس فى اوربا يتم عن طريق ترجمة الكتب العربية الى اللغات الاوربية المختلفة ومنها بل اهمها اللاتينية آنذاك والعبرية . وكانت معظم الكتب تترجم فى طليطلة التى اصبحت مركزا علميا هاما يشع الوان المعرفة الى جميع انحاء اوربا . ولم يكن هذا الاشعاع الا نتاج قرائع علماء المسلمين فى الاندلس وغيرها . واستمرت طليطلة على دورها فى ترجمة عيون المصنفات العربية فى فروع العلم المختلفة . وفى عهد الفونسو السابع تولى اسقفية طليطلة الاسقف رايموند (٥٢٦ هـ - ٥٤٧ هـ / ١١٢٦ - ١١٥٢ م) . فلعب هذا الاسقف دورا كبيرا فى ازدهار الترجمة ونقل كثيرا من الاثار العربية الى اللاتينية ، وتولى بعنانيته طائفة من المترجمين والكتاب عرفت فى التاريخ بمدرسة المترجمين الطليطليين ، وكان كثيرا ما يحفزهم على العمل ويشجعهم على الترجمة ويبذل لهم على ذلك الصلات والعطايا الجزيلة . فتم عن طريق هؤلاء المترجمين ترجمة مقدار ضخم من التراث العلمى الاسلامى فى الفلك والطب والكيمياء والطبيعة والمنطق والرياضيات

(١) عبد الحميد السائح : دور الحضارة العربية والاسلامية فى التقدم

الانسانى ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، سنة ١٩٨١ م ، ص

(٦٥٤)

والادب وغيرها . (١)

ومن الطبيعى ان يكون من تلك الكتب والمصنفات العلمية التى اهتم بترجمتها ذلك الاسقف فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى مصنفات علمية اندلسية - اى مما الفه علماء الاندلس فى تاريخها الطويل وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف فى جميع فروع المعرفة المختلفة . ولا ننكر انه كان هناك ضمن تلك الكتب كثير من التصانيف العلمية لعلماء المشرق . وحتى فى هذه فان للاندلسيين فضل كبير فى الحفاظ على تراث المشرق ودراسته والعناية به حتى اوصلوه الى غيرهم من الامم الاخرى فى اوربا ، وحق لغوستاف لوبون ان يقول (وعرب الاندلس وحدهم هم الذين صانوا فى القرن العاشر من الميلاد . . العلوم والاداب - التى اهملت فى كل مكان حتى فى القسطنطينية ولم يكن فى العالم فى ذلك الزمن من مبلاد يمكن الدرس فيها غير الاندلس العربية وذلك خلا المشرق الاسلامى طبعاً) . (٢)

ويمكن الاشارة الى اشهر مترجمى هذا العصر وهو دوميونيك جنديسالفى وكان من كبار كنيسة طليطلة . ويوحنا بن داود اليهودى الذى تنصر وسكن طليطلة . ويظهر انه تولى اسقفية طليطلة بعد ريموند . وكان جنديسالفى ويوحنا يعملان فى اغلب الاحيان . فيقرأ يوحنا النص العربى بالاسبانية

(١) آنخل بالنشيا : مرجع سابق ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - جلال مظهر :

الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ، ص ١٤٧ .

(٢) حضارة العرب ، ص ٥٦٨ .

الدارجة ويترجمها جنديسالفي الى اللاتينية، ومن بين ما ترجموه من الكتب كتاب ينبوع الحياة للفيلسوف اليهودي ابن جبرول - من فلاسفة عصر ملوك الطوائف . (١)

وكان ما انجزه جنديسالفي ويوحنا مثار الدهشة وعاملا كبيرا في اشتهار تلك المدرسة من المترجمين فهرع الى طليطلة افواج من الاوربيين الراغبين في الاطلاع على معارف اليونان والعرب . وكان هؤلاء الاوربيين لا يعرفون اللغة العربية فكانوا يستعينون ببعض النصارى المستعربين او اليهود العارفين بالعربية من اهل طليطلة فيترجموا لهم ما يريدون من كتب في لاتينية ركيكة ثم يقومون بصياغتها في صورة واضحة . (٢)

والى جانب ما ذكرناه عن مترجمي هذه المدرسة فقد ذاع من بينهم صيت المترجم جيراد الكريمويني . وكان قد قدم طليطلة من ايطاليا (١١٥٠ هـ - ١١٥٠ م) ويعد من اوسع المترجمين نشاطا حتى نسب اليه ترجمة ما يقارب مائة كتاب ويبدو انه كان يستعين بقريق من المترجمين يعملون عنده ويعاونونه على انجاز ترجمته . وكان من بين هؤلاء مسيحي مستعرب يسمى Galippus غالب . (٣)

(١) آنخل بالنشيا : مرجع سابق ، ص ٣٦٥ وما بعد ها - مونتجمري وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٨٤ .

(٢) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٣٨٥ وما بعد ها .

(٣) مونتجمري وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٨٤ وانظر محمود الجليلي : تأثير الطب العربي في الطب الاوربي (مقال بمجلة المجمع العالمي العراقي ، ذو الحجة ١٤٠١ هـ - ج ٣٢ ، ص ١٩٧) - جليل لال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث ، ص ١٤٨ .

وظل حال الترجمة فى طليطلة على هذا الوضع حتى القرن السابع الهجرى - القرن الثالث عشر الميلادى حيث ظهر الملك الفونسو الحكيم (٦٥٠ هـ - ٦٨٣ هـ / ١٢٥٢ م - ١٢٨٤ م) الذى قام بجهود جبارة فى الترجمة والاقتباس عن العلوم والمعارف العربية الى اللغتين اللاتينية والقشتالية .

وكان يعمل لديه عدد من العلماء المسلمين والمسيحيين واليهود وقد أنشأ الفونسو الحكيم معهدا للدراسات اللاتينية العربية (٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م) فى اشبيلية ، كما اتجه اهتمام الفونسو الحكيم الى تدوين واسع للاحداث العامة تحت نظره ، وكان اعتماده فى ذلك على مصادر التاريخ العربى ووثائقه - كما ركز جهده على ترجمة المصنفات والآثار العلمية فى الفلك . (١)

ولم يكد القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ان يؤذن بالزوال حتى انتهى العصر الذهبى للترجمة من العربية الى اللاتينية . وان بقيت الترجمة حتى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى . غير ان ما ترجم حتى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى يعتبر بحق مفتاح النهضة الحضارية والازدهار العلمى والفكرى لاوربا . (٢)

وجدير بالذكر ان تشير الى ان اليهود لعبوا دورا عظيما فى نقل العلوم العربية والوان الفكر والتراث الاسلامى الى اوربا . وخاصة ذلك الدور الذى

(١) ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس ، ص ٩٦ - ٩٧ - مونجمرى

وات : فضل الاسلام ، ص ٨٦ كريستى : تراث الاسلام ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) مونجمرى وات : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

لعبه فريق منهم فى مدرسة الفنسو الحكيم فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . (١)

وكان اليهود اثناء الحكم العربى فى الاندلس يتمتعون بحرية واسعة وتسامح لا نظير له ، فعاشوا حياة آمنة تركز على دعائم من العدالة والانصاف وهو ما شجعهم على لعب دور هام فى الحضارة الاسلامية ، ومن ثم برز منهم علماء وادباء بل وزراء كبار فى بلاط الخلافة الاموية وفى قصور ملوك الطوائف ايضا وقد سبقت الاشارة الى بعضهم عند الحديث عن الفلسفة والعلوم البحتة كالطب .

ويأتى فى مقدمة مترجمى اليهود ابراهيم برحيه هانسى المعروف بـ (سافاسوردا) الذى ظهر فى بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى فى مدينة برشلونة . وكان عالما فى الرياضيات وقام بمساع كبيرة فى ترجمة العديد من المؤلفات العربية الى اللغة العبرية وبالتالى ادى ذلك الى سهولة اطلاع الكثير من الاربين عليها . (٢)

كما برز ايضا من مترجمى اليهود يهود الجزيرى بن شلومون ، وابراهيم بن صمويل اللذان نقلوا العديد من المصنفات العربية الى اللاتينية والعبرية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . (٣)

(١) ليفى بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٢) مونتجمرى وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣) عباس الجراوى : اثر الاسلام على اوربا فى مجال الايقاع والنغم ، (مقال بمجلة عالم الفكر، ج ١٢ ، ١٩٨١ م ص ١٩ .

"ملاح التأثير العلمى للاندلس فى العلوم والاداب فى اوربا"
ونأتى الان لنتبين ملاح التأثير العلمى والادبى لعصر ملوك الطوائف
فى اوربا وكيف ان علماء هذا العصر الزاهر اثروا بنتاج قرائحهم وثمرات
افكارهم فى مسيرة التطور الحضارى والرقى العلمى لاوربا . واول مايلفت
نظرنا فى هذا الميدان هو التأثير الواسع للعلوم فى النهضة الاوربية ، وهو
امر طبيعى ، فبان الاوربيين كان يهتمهم بالدرجة الاولى بعد يقطتهم من
سباتهم الطويل فى العصور الوسطى الاتجاه الحضارى المادية الملموسة ،
والتي تركز فى تحقيقتها على تلك العلوم ، ولايعنى ذلك عدم اهتمامهم بفروع
العلم الاخرى بل سنرى كيف اتسع اطار تأثيرهم بها ايضا .

الطب والصيدلة

نأتى الان الى الطب هذا العلم الذى حقق فيه المسلمون انجازات
رائعة منذ استقرارهم فى الاندلس وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، فاضافوا
الى المعرفة الانسانية معارف قيمة وجديدة دفعت علم الطب الى الامام
ويسرت له القضاء على آلام البشرية وواجاعها .

واذا اردنا ان نتلمس جذور التأثير الطبى للاندلس فى اوربا لوجدنا
مثلا ان نسخة لاتينية من حكم ابقراط كانت تدرس فى مدينة شارتر بفرنسا
(٣٨١هـ / ٩٩١م) وهذا يعنى افتراضا وجود تأثير ثقافى عربى مبكر فى
فرنسا . لان مثل هذه الترجمة كانت عن اصل عربى ، فالغرب اللاتينى كان
جاهلا جهلا تاما الاصول اليونانية لاثار اليونان العلمية . (١)

(١) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ص ١٣٩ .

كما ان من الجائز ان يكون بين الكتب التى نقلها جان غورتز اللورينسى سنة (٣٤٥هـ / ٩٥٦م) الى وطنه المانيا . كتبها طبية او نباتية فى الصيدلة وقد سبقت الاشارة فى مقدمة الفصل الى رحلة هذا الشخص الى اسبانيا . وتجدر الاشارة الى ان كتاب ابي القاسم الزهراوى الطبيب والجراح العظيم فى عصر الخلافة المسمى " التصريف لمن عجز عن التأليف " قد نال شهرة واسعة فى اوربا واخذ الاوربيون فى ترجمته الى اللاتينية والبروفنسية والعبرية . (١)

وكتاب التصريف كان يعد احدى دعائم الدراسات فى مدرسة سالرنو الطبية الشهيرة . ولاعجب فى ذلك فقد كان بما يحويه من المعارف الجراحية اساسا لعلم الجراحة الطبية الحديثة . (٢)

وكان الملوك والامراء المسيحيون فى شمال اسبانيا وفرنسا وغيرها اذا

(١) ارنولد وآخرون : تراث الاسلام ، ص ٤٧٤ . وانظر بالتفصيل عن اهمية هذا الكتاب وقيمه العلمية ، آنخل بالنشيا : مرجع سابق ، ص ٤٦٥ - زيفريد هونكه : شمس العرب ، ص ٢٨٨ .

(٢) زيفريد هونكه : شمس العرب ص ٢٨٨ - ٣٧٤ . ومدرسة سالرنو تقع جنوب ايطاليا وكان لها ارتباط وثيق بصقلية وذاعت شهرتها فى ميدان الدراسات الطبية واستمرت فى تقديم نشاطها فى هذا العلم الهام ما يقارب ثلاثة قرون (٩٠٠م - ١٢٠٠م) وينسب تأسيسها الى اربعة علماء يونانى ولاتينى ويهودى وعربى ويدعى هذا (Adala) اى عبد الله وقد تأثرت هذه المدرسة تأثيرا كبيرا بالطب العربى وكان من بين مترجميها قسطنطين الافريقى (١٠٨٧م) الذى ترجم عددا كبيرا من كتب الطب العربى اغلبها لاطباء موطنه الاصلى تونس وترجم الكتاب الملكى لعلى بن العباس (٩٩٤م) ومن نتاج هذه المدرسة الطبى الموجز السالرينى والنظام الصحى السالرينى وكانت اللغة العربية =

اصاب احدهم وعكة او الم به مرض رمى ببصره الى الاندلس وسعى الى استقدام
ذائعي الصيت من اطبائها وحكمائها لما يأنسه فيهم من اقتدار في الطب
وعلاج الامراض . (١)

وجدير بالاشارة ان نتحدث عن تلك المدرسة الطبية التي لعبت دورا هاما
في نقل الوان التراث الطبي العربي الاسلامي الى اوربا . وهذه المدرسة
هي مدرسة مونبيليه بجنوب فرنسا ، وقد ذاعت شهرتها في دراسة الطب منذ
القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وكان يعيش بهذه المدينة
التي تنتسب اليها المدرسة طوائف كبيرة من العرب واليهود بالاضافة الى
المسيحيين الذين يجيدون اللغة العربية ، وفي ظل شيء من التسامح الديني
عاشت تلك الطوائف معا في خدمة العلم وترجمة كتب الطب العربية وتدريسها
وكان لهذه المدرسة في اوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي
روابط وصلات متينة مع مراكز الطب العربية في جنوبي الاندلس وهو ما يؤكد
عظم المهمة التي تولتها هذه المدرسة في نشر المعارف الطبية العربية في
اوربا . (٢)

== احدى اللغات التي يدرس بها الطب في تلك المدرسة (انظر محمود
الجليلي : تأثير الطب العربي في الطب الاوربي (مقالة بمجلة المجمع
العلمي العراقي ، ج ٣٢ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٩٣ وما بعدها) وزيفريد هونكه :
المرجع السابق ، ص ٢٩٢ - مرسى محمد : مرجع سابق ، ص ٤٦ .
(١) بريغالت : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية ، ص ١٧٧ .
(٢) مونجمري وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ص ٩٢ .

ولعل اهم ماتميزت به هذه المدرسة الطبية الشهيرة ماضنه من مخطوطات طبية عربية كثيرة فى الوقت الذى لم يكن فى مكتبة جامعة باريس سوى تسعة كتب طبية اهمها الحاوى للطبيب المشرقى الرازى . ولما اراد الملك استعادته (٧٧٣هـ - ١٣٧١م) لينسخ منه نسخة له ولاسرتة الملكية لم يحصل عليه الا بتأمين مبلغ كبير . (١)

هذا وقد جانب محمود الجليلى الصواب عندما قال فى سياق العبارة السابقة (بينما كان فى جامعة قرطبة مايزيد على مائتين الف كتاب) وفاته ان قرطبة فى ذلك التاريخ كانت قد وقعت تحت السيطرة النصرانية منذ سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م .

ومدرسة مونبيليه هى التى امدت مدرسة بولونيا الايطالية وجامعتها بدفعات جيدة من ذخائر الطب العربى ، ومنحت جامعات بادوا وباريس واكسفورد موادها الدراسية الراقية . (٢)

ولايدخلنا الشك فى ان كثيرا من الكتب التى ضمتها مكتبة مدرسة مونبيليه من تصانيف علماء الاندلس فى الطب والصيدلة . او مما نقله الاندلسيون عن اخوانهم من المشاركة فصحوا البعض وشرحوا البعض الاخر ، وهذا ما دفع الكثير من العلماء والاطباء الاوربيين الى الاحتفاظ بصورة مشرقة للحالة التى كانت تتمتع بها الاندلس لدرجة انهم قد نسبوا كل المؤلفات العلمية والطبية منها بالذات الى الاندلسيين ، ومن ذلك مصنفات الطبيب المشرقى ابن سينا الذى لم تطأ قدماه الاندلس ابدا . (٣)

(١) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٤٣ - محمود الجليلى تأثير الطب العربى فى الطب الاوربى ، مقال بمجلة المجمع العلمى العراقى ، ذو الحجة ١٤٠١هـ ، ج ٣٢ ، ص ١٩٥ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٣٠٥ .

(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ، ص ٣٢٦ ، نقلا عن اخوان بيرنت فى كتابه :

وكان لما صنفه بعض اطباء عصر ملوك الطوائف اثر عظيم في ازدهار الدراسات الطبية في اوربا . الطبيب والصيدلى عبد الرحمن بن وافد حيا (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) والذي يعرف عند الاوربيين بابن ويفيت . Eben Guefith وبأسماء اخرى مشابهة كان من اعظم الاطباء والصيادلة الذين اثروا حقل الطب بدراساتهم العلمية القيمة فكتابة الشهير عن الادوية المفردة لقي اقبالا عظيما من اهل عصره ومن بعدهم من مسلمين واوربيين في القرن السادس والسابع الهجرى / الثانى عشر والثالث عشر الميلادى وترجم الى اللاتينية والعبرية والقطلانية وافادوا منه فى علم الصيدلة وتركيب الادوية وصناعة العقاقير . (١)

ويذكر ماكس ماير هوف ان كتابات ابن وافد عن الادوية المفردة طبعت اكثر من خمسين طبعة تحت عنوان العقاقير البسيطة ونالت شهرة واسعة بتراجمها اللاتينية المتعددة . (٢) بل ذكر ان مصنفات ابن وافد ظلت تطبع مع غيرها من مصنفات بعض الصيادلة المسلمين حتى سنة ١٨٣٠ م تقريبا . (٣) وما تجدر الاشارة اليه اما ذكرناه آنفا فى حقل الطب وازدهاره فى عصر الطوائف من ان ابن وافد كان ينهج فى علاجه لمرضاة قاعدة طبية عظيمة وهى الاعتماد الاكبر على المعالجة الغذائية اولا ، فان لم يتم الشفاء عن طريقها اعتمد على اقل قدر من الادوية ، وهذه القاعدة الطبية هى القاعدة المثلى لكبار الاطباء هذا العصر الحديث الذى نعيشه .

(١) حكمت الاوسى : الوساد لابن وافد (مقال فى تلخيص رسالة دكتوراة بمجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث عشر ، ص ١٧٦) - على الدفاع : اسهام علماء العرب والمسلمين فى علم النبات ، ص ٣٩ - ٨٠ - جلال مظهر حضارة الاسلام ، ص ٣٠٧ .

(٢) ارنولد وآخرون : تراث الاسلام ، ص ٤٧٥ .

(٣) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ، ص ٨٣ .

وهناك كتاب اخر لابن وافد اسمه "الوساد" وهو مخطوط وقد تحدثنا عن محتوياته الطبية فى الفصل الرابع. ويذكر سارتون Sarton ان هذا الكتاب ترجم الى العبرية من قبل يهوذا بن سليمان ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م، ويؤكد هذا الخبر شتاينشنايدر. (١)

والى جانب ماتقدم فقد قام جيرارد الكريمنى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى بترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية بمدينة طليطلة. (٢) وينسب لابن وافد كتاب اوكتيب عن الحمامات لا يعرف عنه الا عنوانه باللاتينية وهو (De balneis Serno). (٣)

ولابى العلا* زهر بن عبد الله (٥٢٥هـ / ١١٣٠م) مصنفات طبية قيمة ومنها كتابه المسمى "التذكرة" الذى يبدوا انه لقى اهتماما فى اوربا فى العصور الوسطى وتبين ذلك من خلال ما قام به المستشرق الفرنسى كولان من دراسته لكتاب "التذكرة". (٤)

وجدير بالذكر ان جان دوكابو ترجم التذكرة من العبرانية الى اللاتينية ثم تتابعت التراجم عام ١٢٨٠م. والمطبوعات عشر مرات بين ١٤٩٠م و ١٥٥٤م، الا

(١) حكمت الاوسى : المقال السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) سيمون الحايك : عروق الذهب فى مناجم العرب ، ص ٣٩٨ . وذكر انه حققه د . كميلو الفارسى ونقله الى الاسبانية .

(٣) حكمت الاوسى : المقال السابق ، ص ١٧٦ .

(٤) سبقت الاشارة الى هذا الكتاب عند حديثنا عن الطب ، وانظر عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب ، ص ٣٤ - عبد العزيز بن عبد الله الفكر العلمى ومنهجية البحث عند علماء المغرب مقال بمجلة الدار ، العدد الثالث ، ١٤٠٠هـ ، ص ٥٦

ان نسخة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعتها الى ١٥٣١ م . (١)
كما ان هناك رسالة فى امراض الكلى صنفها ابو العلا ولا توجد سوى
ترجمتها اللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م . (٢)

والف الطبيب اليهودى اللامع يونس بن اسحاق بن بكلاش - وهو من اطباء
بلاط بنى هود بسرقسطة - كتاب المستعيني ايضا " بالمجدولة " فى العقاقير
والادوية المفردة مع مقابلات اسماء النباتات العربية والفارسية واليونانية
والسريالية واللاتينية . (٣)

ويبدو ان هذا الكتاب ترجم الى اللاتينية واستفادت منه الدراسات
الطبية فى غرب اوربا . فهذا يفهم من الدراسة التى قام بها المستشرق رينو
ونشرها فى مجلة Hesperis . التى صدرت فى باريس سنة ١٩٣١ م بعنوان
ثلاث دراسات عن الطب فى غرب اوربا

(Trois etudes de la Medecine en Occident)

وقد اقتبس عن هذا الكتاب - اى كتاب المستعيني - عدد من الصيادلة
العرب بعد عصر ابن بكلاش ولم يشيروا الى اسم الكتاب . (٤)

كان ابو الصلت اميه الدانى (٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) من اعظم اطباء
الاندلس واوسعهم علما . وقد سبقت الاشارة الى اسهاماته العلمية فى فروع
مختلفة من العلوم ومن بينها الطب الذى الف فيه بعض الكتب القيمة والتى
نقلها الاوربيون الى لغاتهم للاستفادة منها ككتابه " الادوية المفردة " الذى
ترجمه يهوذا ابن سلمان (ناثان) الى العبرية وفيلانوف الى اللاتينية . (٥)

-
- (١) عبد العزيز عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٦
 - (٢) عبد العزيز عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٦ .
 - (٣) سيد حسين نصر : العلوم فى الاسلام ، ص ١١٢ - عبد الرحمن بدوى :
المرجع السابق ، ص ٣٤ .
 - (٤) سيمون الحايك : عروق الذهب ، ص ٤٠٣ .
 - (٥) بول غليونجي : موسوعة العلوم الاسلامية ، ص ١٢٤ .

" فى الفلك والرياضيات "

وفى علوم الفلك والرياضيات حقق الاندلسيون فتائج عظيمة وتمكنوا من الوصول الى ابداعات مختلفة واكتشافات هامة اثروا بها هذا الحقل من الدراسات واسهموا فى تطويرها على المستوى العالمى ولا نريد ان نفصل الحديث عما صنف فى هذه العلوم قبيل عصر ملوك الطوائف ويكفى ان نشير الى اهمها . فمنها تلك المصنفات الفلكية والرياضية التى صنفها العلامة مسلمة بن احمد المجريطى ككتابه عن ازياج قرطبة "و" اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني " وقد نقلها اديلارد الباى الى اللاتينية فى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . ثم فقد الاصل العربى وبقيت الترجمة اللاتينية ، كما ترجمت لـه رسالة فى الاسطرلاب " الى اللاتينية . (١)

وجدير بالذكر ان المعارف العلمية فى الرياضيات والفلك التى نقلها جبريت البابا سلفستر الثانى فيما بعد - تعتبر من اقدم المعلومات الفلكية الرياضية تأثيرا فى اوربا وقد نسب الى جبريت انه اول من تعلم الارقام العربية فى الغرب واستخدمها على الرغم من جهله بالصفير الذى لم يكن قد دخل الاندلس آنذاك وكان الاندلسيون يضعون نقطة او نقطتين او ثلاثا فوق خانات الاحاد والعشرات والمئات وهكذا حتى وفد عليهم من المشرق من عرفهم بالصفير واهميته فى الحساب . (٢)

(١) بول غليونجي وآخرون : موسوعة العلوم الاسلامية ، ص ١٦٠ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب ، ص ٨١ وما بعد ها ، وانظر بريغالت : اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

وكان فى ريبول يقطلونىة مخطوطة تعود للقرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى .
تحوى رسالتين باللاتينيه عن صنع الاسطرلاب ، ومن الموء كد ان لها اصولا
عربية . كما كان فى مدينة ليبىح حوالى عام ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م اسطرلاب .
وكتابان من الاسطرلاب يرجع تاريخهما الى عام (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) ويشتملان
على معلومات فلكية لعلماء عرب وقد نسب تصنيف الكتابين الى عالم المانى هو
هيرمانوس كونتراكتوس ويحوم الشك حول صحة تلك النسبة - ومهما يكن فان
ما تضمنه الكتابان من العارف الفلكية فيها برهان واضح على ان الاندلس
كانت المنبع الثرى الذى تدفقت منه الدراسات الفلكية والرياضية على الغرب .^(١)
وقد يكون من المدهش ان نذكر ان الاوربيين لم يعرفوا الهندسة الا عن
طريق العرب . فقد عثر احد العلماء / الانجليز حوالى سنة ١٩١٠ م على
مقالتين قد يمتين فى الهندسة بمكتبة كنيسة وستر كتب الاولى جربرت الذى اصبح
البابا سلفستر الثانى فى اواخر القرن العاشر الميلادى ، ولم يكن كتاب
" اقليدس " فى الهندسة معروفا لدى الاوربيين آنذاك ، والمقالة الثانية يعود
تاريخها الى بداية القرن الثانى عشر الميلادى وكتبها الراهب ادلرد البانسي
Adelard of Bath وكان قد اتفق العربية ودرس فى الاندلس والمقالتان

(١) مونجمرى وات : فضلا الاسلام على الحضارة الغربية ص ٨٢ .

باللغة اللاتينية ترجم عن كتاب اقليدس بالعربية ، وقد ظلت هذه الترجمة تدرس في جميع مدارس اوربا حتى سنة ١٥٨٣ م عندما كشف اصل هندسة اقليدس اليوناني (١) .

ولارب ان المرحلة التي اعقت سقوط مدينة طليطلة في يد النصارى (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) قد شهدت نشاطا مقطع النظر في الاهتمام بالدراسات الفلكية وترسيخ المعارف الصحيحة حول كروية الأرض (٢) .

واذا اتينا الى الحديث عما اسهم به علماء عصر الطوائف من جهود علمية مؤثرة في تقدم الدراسات الفلكية والرياضية في اوربا لوجدنا امامنا انجازات علمية موفقة . فالعلامة اصبح بن محمد المهري المعروف بابن السمع (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م) كانت له دراسات فلكية رفيعة نالت شهرة واسعة وعليها وعلى غيرها اعتمد الملك الفونسو العالم في تاليفة لكتابه عن الفلك وما صنف فيه من الكتب ، وقد اعترف الاسبان بذلك وفي مقدمتهم المؤرخ الاسباني أنخل بالنشيا (٣) .

(١) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى ص ٩٨ (نقلا عن مجلة المقتطف المجلد ٣٨ عدد فبراير ١٩١١) ص ٢٠٢ . وكتاب اقليدس هذا يسمى الاركان و " الاصول " وهو من ابسط الكتب المؤلفة في الهندسة ويقال ان هذا الكتاب اول ما ترجم عن كتب اليونان في عهد ابي جعفر المنصور (انظر ابن خلدون المقدمة ص ٤٨٥ - ٤٨٦) .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١٣ ، ص ٣٨٦ . عبد الغنى ابو العزم دراسة تاريخية حول موضوع مصادر الدراسات الاسلامية في اوربا . مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ١٩ ، سنة ١٩٨١ م ، ص ٢١٧ .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٤٩ .

وتمكن سيد يو بعد دراسة رسائل الملك الفونسو الفلكية : وما يمثلها من التوصل الى نتائج حاسمه فى تقدم علماء الفلك العرب - وفى مقدمتهم ابن السمع فى الدراسات الفلكية وانهم سبقوا كيبلر وكوبرنيك فى اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضى وفى نظرية دوران الارض وان أزياج الفونسو المذكور نقلها عن العرب ومنهم ابن السمع المذكور^(١).

كما ان صديق ابن السمع العلامة احمد بن عبد الله بن الصفار (٤٢٦ هـ - ١٠٣٤ م) كان ضليعا فى الفلك وقد لقى كتابه الذى الفه فى العمل بالاسطرلاب قبولا لدى الاوربيين فى العصور الوسطى ، فترجمة بلاتو ثيبر تينوس فى الثالث الاول من القرن الثانى عشر للميلاد الى اللاتينية . كما ان الكتاب ترجم الى العبرية ايضا^(٢).

- (١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٢ .
- وكيبلر Kepler (١٥٧١م - ١٦٣٠م) احد علماء الفلك الالمان وضع نظم الكواكب الحائرات . ومنها استخرج اسحق نيوتن مبدأ الجاذبية
- زيغريد هونكه شمس العرب ص ٢٠٠ .
- وكوبرنيك Copernic (١٤٧٣م - ١٥٤٣م) احد علماء الفلك من بولونيا برهن على دوران الكرة الارضية على ذاتها حول الشمس وينسب اليه انه مؤسس علم الفلك الحديث وسبقه البيرونى الى القول عن دوران الارض حول ذاتها وحول الشمس باكثر من خمسه قران (زيغريد هونكه : شمس العرب ص ١٨٩٤) .

- (٢) مياس بياكروزا : المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب فى اسبانيا العربية مجله معهد الدراسات الاسلاميه بمديره ، العدد الثالث ، ج ١ ص ١٩٣

ولكن العالم الفلكي والرياضي العظيم الذي ترك بصماته واضحة على علوم
 الفلك في اوربا هو العلامة ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى المعروف بابن
 الزرقال ، وفي الغرب " ارزخال " . arzachel . ومن المؤسف انه رغم
 شهرته العظيمة في الغرب الا اننا نفتقد مثيلا لها عند العرب ، فهو من جانب
 هؤلاء مهضوم الحق شبه مجهول فترجمته في كتب الطبقات موجزة ، وحتى معاصره
 صاعد الطليطلى في كتابه طبقات الامم لم يعطه حقه من التعريف ، ولم
 يمنحه اكثر من سطرين وقاربه في هذا الحال القفطي في كتابه اخبار العلماء^(١) .
 غير ان الاوربيين عرفوا قدر ابن الزرقال واعلوا مكانته ، فقال احدهم
 وهو سانشزبيريز انه يعتبر اعظم اهل الفلك من العرب . وهو من طبقة
 اكابر علماء هذا الفن في العصور القديمة بسبب طول ممارسته له واستقامة
 منهجه فيما يبيده من ملاحظات استخرجها من تجاربه المباشرة^(٢) .
 ووصف ابن الزرقال بانه اكبر شخصية علمية عربية تركت تأثيرا على العلوم
 الاوربية اللاتينية^(٣) .

وفيما يتعلق بارائه وافكاره ونظرياته العلمية فقد قام ب (٤٠٢) رصد

(١) انظر طبقات الامم ص ١٠٠ ، واخبار العلماء ، ص ٤٢ .

(٢) انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٥١ - وانظر ما يتضمنه
 المعنى خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية ، ص ٨٩ - ٩٠ ول ديورانت :

قصة الحضارة ، ج ١٣ ، ص ٣٠٨ .

S.M. Imamuddin : Muslim Spain, P. 160.

(٣) محمد عيس : تاريخ التعليم في الاندلس ص ٣٣٢ نقلا عن Millas,

Vallicrasa دراسات عن الزرقال ص ١ .

ليعين البعد الاقصى للشمس ، وتمكن من تعيين مقدار حركة المبادرة السنوية
لنقطتي الاعتدالين بخمسين ثانية - اى مايعادل الازياج الفلكية الحديثة
بالضبط (١) .

ويعتبر ابو اسحاق ابن الزرقال اول من قال ~~بعنوان الكواكب~~ في مدارات
بيضاوية اهليلجية . كما ينسب اليه انه اول من اثبت ان حركة ميل اوج الشمس
هى ١٢٠٤ ثانية بالنسبة للنجوم الثابتة ، ويقدر الرقم الحقيقى بـ ١١٠٨
ثانية (٢) .

وتمكن ابن الزرقال من تحويل الاسطرلاب من خاص الى عام بنقله الى
المسقط الافقى (الاستريوغرافى) ، واتاح بهذا امكانية ان تكون عين الراصد
فى نقطتي الاعتدالين (٣) .

ونظرا للمكانة العلمية الكبيرة التى كان يتمتع بها ابن الزرقال فقد نظر
العلماء الى ازياجه الفلكية بانها اصح الازياج فى زمانه واصبحت هذه الازياج
التي يطلق عليها ازياج طليطلة " تستخدم فى انحاء اوربا لقيمتها العلمية
وصحة معلوماتها الفلكية (٤) .

(١) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٦٢

Scott : History of the Moorish Empire in Europe Vol,
III p. 435.

(٢) باقرا مين : معجم العلماء العرب ج ١ ص ١٥١ بول غليونجى واخرون :

موسوعة العلوم الاسلامية ص ١٠١ سيد حسين : العلوم فى الاسلام ص ٩٩

عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٣) ارنولد واخرون : تراث الاسلام ص ٥٨٨ - ج رقم ٥٩ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ ص ٣١٨ - محمد الصادق عفيفى : تطور

الفكر العلمى عند المسلمين ص ١٢٩ .

وجدير بالذكر ان فلكيا انجليزيا يدعى ويليم اخذ زيج طليطله لابن الزرقال والذي عد له شخص مجهول بما يناسب ظروف مرسليه وطبقة معدلا على ظروف لندن . وهذا الزيج الذي عرف بعد ذلك بزيج لندن ظل محتفظا بمكانته واساسا للحسابات الفلكية هناك^(١).

وقد ترجمت مصنفات الزرقال الى لغات عديدة . فترجم له جيرار الكريموني الى اللاتينية وذكر كوبر نيكوس عام ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م اسمى الزرقال والبتاني في كتابه المشهور :

(٢) De revolutionibus Orbium Coelestium

ونالت صحيفة الزرقال اهتمام العديد من علماء الغرب ، ومنهم راجيو مونتانوس الذي نشر كتابا من فوائد تلك الالة في القرن الخامس عشر الميلادي وفي ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م كتب العالم الفلكي الالماني يعقوب تسيجلر تعليقا على جهود الزرقال الفلكية ، وفي ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م ظهرت ترجمة جديدة لاتينية تحت عنوان " في علم آلة أبي العلوم الفلكية " (arlyskh Arzachel) ليوحنا شونر بمدينة نورنبرغ بالمانيا^(٣).

-
- (١) فؤاد سزكين : محاضرات في تاريخ العلوم، ص ٨١ .
 (٢) زيغريد هونكه : مرجع سابق، ص ١٥٢ ، وانظر فؤاد سزكين: المرجع السابق ص ٨٠ وما بعد هاروم لاندو : الاسلام والعرب، ص ٢٥٣ .
 (٣) زيغريد هونكه : مرجع سابق، ص ١٥٢ .

كما ترجمت دراسات ابن الزرقال عن تلك الصفيحة الى اللاتينية بواسطة
احد اليهود من مدينة هونبيليه ونقلها الملك الفونسو الحكيم الى الاسبانية
(١)
مرتين .

وكان هذا الملك الاكف الذكر فى القرن الثالث عشر الميلادى من اعظم
المهتمين بدراسات ابن الزرقال الفلكية وترجمتها وقد افاد من هذه الدراسات
فائدة عظيمة فيما سعى اليه من تصنيف وجمع ماكتب عن الفلك ، وما قدم فيه
من دراسات عن علماء العرب . وقد ثبت ان كثيرا من الكتب التى استخدمت
فى هذا الغرض كانت نقولا عن ابن الزرقال وعلى بن خلف الطليطلى ، و مسلمة
المجريطى وغيرهم . (٢)

وعلى بن خلف المذكور لا تعلم عن حياته شيئا كثيرا سوى انه كان من علماء
الفلك فى بلاط المامون ملك طليطله . (٣) ويبدو انه كان من البارعين فى الفلك
وعلمه يدل على ذلك تلك النقول والاقتباسات التى نقلها الفونسو العالم عنه
فى مشروعه العلمى عن الفلك .

وكان لابن الزرقال معرفة جيدة بالرياضيات . واسهام رائع فى
تطورها حيث ذكر ان له معرفة واسعة بحساب المثلثات وخاصة المثلث الكروى
بل ان جيب الزاوية واستعماله كان معروفا فى كتابات ابن الزرقال وهو ما أكده
علماء الرياضيات وصنف ابن الزرقال فى الرياضيات جداولا فى حساب المثلثات
ترجمها الغرب الى اللاتينية . (٤)

(١) ارنولك وآخرون : تراث الاسلام ، ص ٥٨٨ .

(٢) انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٣) انظر بول غليونجى : موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين ، ص ٨٥ .

(٤) علي الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ، ص ٢١٠ .

” علم الميكانيكا ”

وفى ميدان الحيل او ما يسمى بعلم ” الميكانيكا ” : قدم الاندلسيون

اسهامات جيدة . فقد تلقى الاوربيون عن اهل الاندلس معارفهم عن علم الهيدروليك . وكان لهم شرف الاستاذية لاوربا فى هذا العلم . والذى ساعد الاوربيين فى بناء القواعد الاساسية لعلم الهيدروليك وميكانيكا الموائع ابان النهضة العلمية الحديثة^(١) .

ويمكن الاشارة الى ما انجزه احد علماء الاندلس فى عصر الطوائف حيث توصل لاختراع آلة لسحب الماء من الابار . . وهو مايدل على ان للاندلسيين اسهامات فعالة فى تقدم علم الميكانيكا . الى جانب ما سوف تذكره عن غيره من علماء الميكانيكا فى عصر الطوائف .

وما من شك ان معارف الاندلسيين فى الميكانيكا (علم الحيل) قد اقتبسها عنهم الغربيون اما بالاحتكاك المباشر كالتمذه او المشاهدة والمعاينة للاجهزة والآلات الميكانيكية التى توصل اليها الاندلسيون وطبقوها فى حياتهم العملية ، او بواسطة ترجمة مصنفاتهم فى هذا العلم ومن ثم التعرف على اعمالهم العلمية .

(١) جميل ملائكة : عناية العرب بالهيدروليك فى العصور الاسلامية

(مقال بمجله المجمع العلمى العراقى ، ج ٣١ . صفر سنة ١٤٠٠ هـ -

ص ٤٣) .

ومن الحق ان نقول بعد ان ثبت ذلك بالتأثير العلمى والادبى الذى تحقق بفعاليه شديدة فى تطور العلوم والمعارف فى اوربا ، ان علماء الميكانيكا (التقنيين) من الاوربيين كانوا يقبلون على تقبل الافكار الجديدة مثلهم فى ذلك . ^(١) قتل غيرهم من المهتمين بالحركة العلمية فى الاندلس .

ومن اشهر بالمنجزات العلمية التقنية فى عصر الطوائف ما اخترعه العلامة الفلكى الرياضى المشهور ابن الزرقال . فقد ابتكر بنفسه اجهزة فلكية شهيرة استخدمها فى دراساته وارصاده الفلكية . كما انه كان بارعا فى صنع الساعات الدقاقة التى اعجب بها الناس فى طليطلة ودهشوا لحركاتها الهندسية البديعة . ^(٢)

ويذكر المؤرخ سكوت Scott ان الاندلسيين ، وفى مقدمتهم ابن الزرقال صنعوا ساعات مائية تعمل بواسطة الماء والرمل والكرات الحديدية ^(٣) ولعل ما يؤكد انتقال مثل هذه المنجزات الميكانيكية الى اوربا انها صنعت فى مدينة طليطلة التى اصبحت مصدر اشعاع علمى لاوربا سواء فى عهد هـ الاسلامى لقربها من الممالك النصرانية فى الشمال او بعد سقوطها فى ايدى النصارى الاسبان الذين تم فى عهدهم تقاطر افواج الاوربيين لدراسة الحضارة الاسلامية الاندلسية والاقتباس عن علومها ومعارفها .

(١) دونالد هيل : التقنية الآلية عند العرب (مقال بمجله المجمع العلمى

العراقى صفر ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ج ٣١ ص ٢٤٩) .

(٢) غوستان لويون : حضارة العرب ص ٤٦٢ .

(٣) History of the Moorish Empire in Europe Vol, P. 435.

كما تجدر الإشارة الى ابتكار ابن الزرقال لحوضى النافورتين اللتين كانتا فى بيت مجوف داخل نهر طليطلة . وكان الحوضان يمثلان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه . وقد سبق الحديث عنهما بالتفصيل فى الفصل الرابع .

وكان الفونسو السابع قد اطلع على هذا الاختراع العجيب فدهش لرؤيته فاراد المنجم اليهودى حنين بن ربوه ان يحظى باعجاب الملك فعرض عليه ان يقلعهما ويعيدهما بطريقة اكثر براعة ومهارة بان يمتلئ الحوضان بالنهار ويحسر ان الماء ليلا فقلعهما فبطلا ولم يستطع ان يفعل شيئا مما ادعاه ، وقيل انه سرق احد الحوضين ليدرسه ويطلع على سر حركته فتسبب فى عطله .^(١)

وهكذا نرى ان الفونس السابع وحكام طليطلة من المسيحيين كانوا يسعون للتعرف دائما وابدا على المنجزات العلمية للمسلمين الذين زال سلطانهم عن تلك المدينة

ويجتهدون فى اقتباس ما توصل اليه علماء الاندلس من اختراعات وابتكارات ويعلق الطاهر احمد مكى على هذا الابتكار العجيب ويشير الى انه بالرغم من ان بعض التفاصيل فى رواية المقرئ عن الحوضين^(٢) تفوح منها رائحة

(١) المقرئ : النفح ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) انظر النفح ، ج ١ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الاسطورة ولكن هذه القضية فى غاية الاهمية لد راسين علم الهندسة والرياضيات
عند المسلمين الا وائل بعامة والاندلسيين بخاصة (١).

"" فى صناعة الورق ""

قد سبق الحديث عن هذا الجانب عند تعرضنا للمكتب والمكتبات
فى عصر الطوائف ولكن نظر لاهمية هذه الصناعة واثرها الفعال فى النهضة
العلمية الاوربية فسوف نشير اليها ولو على سبيل الاقتضاب والايجاز . فقد
كان فى شاطبه مصانع كبيرة للورق فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى
ولكن ما لبثت مدينة طليطلة ان فاقتها فى هذه الصناعة الحضارية الهامة فأصبحت
مركز صناعة الورق فى القرن التالى ولا تزال بين ايدينا وثائق تثبت هذا القول
ترجع الى ذلك القرن هذا ولم يعرف الاوربيون الورق الا فى القرن السابع
الهجرى / الثالث عشر الميلادى عندما استوردوه من الاندلس حيث بدأ يصنع
(٢)
فى فرنسا بعد ذلك .

ولاريب ان ذلك الانجاز الحضارى الذى اقتبسه الاوربيون عن الاندلس
كفعل لها سهولة انتشار الكتب وتعميم الثقافة بين شعوبهم بعد ان كان انتشار
المعرفة الانسانية قبل ذلك فى اوربا يكاد يقتصر على رجال الدين وعلى القلة
من المثقفين وهذا فى حد ذاته فضل عظيم لا يبارى للاندلس على اوربا .

(١) فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية، ص ٨٤ ج ١ .

(٢) عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوربى، ص ٣٨ ، وانظر
جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية، ص ١٨٢ - وكتابه الآخر
حضارة الاسلام واثرها فى الترقى العالمى، ص ٣٨٥ ، وكذلك سعيد عاشور
حضارة ونظم اوربا، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

ومادام حديثنا عن الورق وما نتج عنه من ثورة واسعة في عالم الفكر والثقافة فيسرنا ان نشير الى ان الاندلسيين استطاعوا ان يتوصلوا الى طريقة برائيل في تعليم العميان قبل ان يظهر برائيل بما يقارب الف سنة وقد سبقت الاشارة الى هذا الاختراع العالمى الهام عند حديثنا عن التعليم .

*** فى الزراعة ***

لسنا فى حاجة الى القول ان للاندلسيين جهودا تذكر فتشكر على حقول الزراعة الاوربية . وسوف نتلمس تلك التأثيرات العلمية فى هذا الميدان كبرهان ساطع على ما ذهبنا اليه واول ما نعرش عليه فى هذا الصدد ما ذكره جوزيف رينو من ان القمح الاسود المسمى " قمح السارازين " والذي كان فى القرن التاسع الميلادى يعد اهم المنتجات الزراعية فى فرنسا نقله العرب من المشرق وسار معهم فى فتوحاتهم حتى ادخلوه الاندلس ومن ثم الى جنوب فرنسا (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان اَساليب العرب الاندلسيين فى الري مازالت ماثلة فى الحياة الزراعية فى اسبانيا الى يومنا هذا . واستمر الاسبان فى نهج طرائق العرب الاندلسيين فى الحراثة والري وخاصة فى شرق اسبانيا وحتى المصطلحات العربية فى الزراعة مازالت مغروسة فى قلب البريف وضواحي المدن وكذلك شائعة فى مقاييس وموازين كل حقل (٢) .

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا، ص ٢٥٥ وانظر روم لاندو :

الاسلام والغرب، ص ٢٧٨ .

(٢) ليفي برونسفال : حضارة العرب، ص ٨٢-٨٣ .

ومن اهم الكتب المصنفة فى الزراعة والتي نقلها الاوربيون . كتاب الطبيب الصيدلى القدير ابن ^١وقد الطليطلى الذى صنّفه فى الفلاحه ولقى شهرة واسعة فى الغرب . فقد اعتمد عليه الونسو هيريرا سنة ١٥١٣ م ، وكان اساسا لكتابه عن " الزراعة العامة " وقد ترجمه الى اللغة القطلانية ^(١) .

ولا ننسى الاشارة الى ان الكتب الزراعية والمصنفة فى عصر ملوك الطوائف مثل كتاب "المقنع" لابن حجاج الاشبيلي ، وما كتبه ابن بصال فى الفلاحه وكذلك ما ألفه الطغنى ايضا فى الفلاحه قد نالت اهتمام الاوربيين وذلك ان مثل هذه الكتب ضمت اعظم التجارب والخبرات الزراعية لاهل الاندلس . وعلى هذه الكتب وغيرها اعتمد ابن العوام فى تاليفه لكتابه الفلاحه الذى ترجم فى القرن التاسع عشر الميلادى ^(٢) .

(١) سيد حسين ، العلوم فى الاسلام ، ص ١٩٣ .

(٢) سيد حسين : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
وقد سبقت الاشارة الى ان كتاب المقنع لابن حجاج قد نشر وحقق عند الحديث عن الزراعقواسهام اهل الاندلس فى تطويرها كما ان مياس بياكروزا عقد عليه دراسة فى مجلة الاندلس . الجزء العشرون ، ١٩٥٧ . ص ٨٧ - ١٠١
كما ان كتاب الفلاحه لابن بصال حظى بالاهتمام فحققه وترجمه وعلق عليه مياس بياكروزا ومحمد ازيما بتطوون ، سنة ١٩٥٥ م .

(٦٧٩)

ولعل من خير الشواهد على افضال الاندلسيين على اوروبا وفرنسا بالذات ، ماتزدا ان الان به منطقة الريفيرا في جنوب فرنسا من اعداد كبيرة من النخيل السامق النضر الذي خلفه العرب شاهدا على تحضرهم وتمد نهم هناك (١) .

ومن المثير حقا ان بعض المؤرخين يندبون الحظ العاشر الذي اصاب الاندلس بعد خروج العرب منها . وان تلك المناطق الخضراء النضرة في عهدهم اصبحت ماعدا بعض الاجزاء الجنوبية - اقرب الى الجذب والقحط والجفاف بعد ان كانت جنة واسعة بفضل اساليب العرب الزراعية الراقية (٢) .

واخيرا فان في تلك الاعداد الكبيرة من الالفاظ العربية المتعلقة بالزراعة وبالذات في الفواكه والورود والازهار الشائعة والمستعملة في اللغة الاسبانية والفرنسية اكبر برهان على تاثير الاندلسيين في العلوم الزراعية في اسبانيا وفرنسا ومن تلك الالفاظ ما يأتي : - البرقوق abricot

الياسمين jasmin - القطن Coton الزيتون aceituna

كما عن طريق اسبانيا انتقلت بعض اسماء الالوان الى فرنسا مثل

(٣)

ازرق azur - قرمزي Carmaisie - اصهبى alezan -

((الأدب واللغة))

الحق ان هذه المعارف اثرت في اوروبا تاثيرا واسعا . . ولوعمد الباحث على افتراض معرفته بدقائق وتفاصيل الادب واللغة العربية - الى التفصيل

-
- (١) عز الدين فراخ : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية ص ٦٦ .
 (٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص ٢٧٤ - لينبول العرب في الاندلس، ص ٢٢٦ - عز الدين فراخ : مرجع سابق، ص ١٥٤ جلال مظهر : مآثر العرب، ص ١٧٣ .
 (٣) بروفنسال : حضارة العرب، ص ٨٣٠ - وانظر عبد الرحمن بدوي مرجع سابق، ص ٤٠ - جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

فيما خلفته هذه العلوم في اوربا لخرج عما اوكل اليه ولاحتاج الى وقت ليس من السهولة واليسر بمكان ، ولكننا سوف نشير الى ذلك التأثير ونكتفى بلمحات تدل على صحته وحقيقته فالعرب قد عاشوا في الاندلس ما يربو على ثمانية قرون وكذلك ما يقارب قرنا من الزمان في جنوب فرنسا واجزاء من ايطاليا وسويسرا في دولتهم المعروفة بدولة "القلال" .

وبعد هذا افلا يكون للغتهم ولغة ديانتهم اثر واضح في تلك البقاع؟ نعم ان أقدم ظواهر تاثير اللغة العربية وآدابها في الاربين تلك الصرخة التي اطلقها الفارو القرطبي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي والتي انتقد فيها ابناء جلدته من النصارى الذين شغلوا انفسهم بتعلم اللغة العربية ، والسعى في دراسة آدابها واشعارها وجمع ما صنف فيها من الكتب في الوقت الذي تناسوا فيه الادب اللاتيني أدب اسلافهم (١) .

وفي فرنسا نجد ان من اقدم الاشخاص الذين تعلموا اللغة العربية رئيس دير سانتجال ويدعى هارتموت Hartmote فقد درسها سنة ٨٨٠م الى جانب العبرية واليونانية (٢) .

ومن عوامل نشر اللغة العربية فما اوربا تلك العلاقات التي جاءت نتيجة للصراع الحربي بين المسلمين في الاندلس والنصارى في شمالها والذين كللت

(١) انخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٨٥ وما بعدها - بريغالت :

اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية ص ١٤٤ - ١٤٥ - اسعيد عاشور : حضارة ونظم اوربا ص ٢٢٦ .

(٢) جوزيف رينو : الفتوحات لاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا ص ٢٤٦ .

تساندهم فرق من الفرنسيين والايطاليين . فكان الاسرى الذى يقعون فى ايدى المسلمين يمكنون فى الأسر أوقات متفاوتة ويتعرضون خلال اقامتهم فى الاسر لتاثيرات حضارية وثقافية ومنها بطبيعة الحال الجانب اللغوى . . كما ان طوائف الاسرى من المسلمين الذين كانوا يساقون الى الممالك النصرانية فى الشمال او فرنسا او ايطاليا يلعبون دورا هاما فى نقل ثقافتهم ولغتهم الى تلك الاصقاع وقد سبقت الاشارة الى حادثة بريشتر والى وقوع كثير من المسلمين فى الاسر بايدى النورمان والفرنسيين وغيرهم ونقلهم الى اوطانهم .

ويؤكد هذا الامر جوزيف رينو الذى ذكر انه كان يوجد بفرنسا عند دخول العرب اليها عدد كبير من الاشخاص الذين يتحدثون اللغة العربية ، وهو امر عائد الى ان المسلمين فى الاندلس كانوا يأخذون رهائناً من ابناء الاسر الكبيرة ذات النفوذ الواسع لضمان طاعتها لهم كلما اكملوا فتح مدينة من المدن ثم يرسلون هؤلاء الرهائن الى العاصمة الاندلسية حيث يظلون بها وقتا طويلا يحتم عليهم تعلم اللغة العربية (١) .

وفى سيرة السيد القمبيطور - ذلك القائد العسكرى النصرانى الذى كان يؤجر نفسه للمسلمين والنصارى فى الشمال ابان عصر الطوائف للقيام بالعمليات العسكرية والغزو لحساب الطرفين نلاحظ من ضمن صفاته اهتمامه البالغ وشغفه باللغة العربية وتعلقه ايضا بسير العرب ووقائعهم قال ابن بسام (وكان - زعموا تدربين يدين الكتب وتقرأ عليه سير العرب فاذا انتهى الى اخبار المهلب

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، ص ٢٤٦ .

استخفه الطرب بوظف يعجب منها ويتعجب (١) .

وجد ير بالذكر ان اللغة العربية اثرت تاثيرا عميقا فى اللغات اللاتينية
والف د وزي وانجلمن معجما من الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة
العربية كما ان هذا التأثير كان واضحا فى فرنسا ، وان اللهجات السائدة
لولاية او فرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية وان اسماء الاعلام
فيهما يظهر عليها سمة عربية . (٢)

و نجد ايضا ان الفرنسيين والطلين قد اقتبسوا الكثير من المفردات
العربية فى شتى نواحي الحياة وفى الشؤون الادارية والبحرية والعلمية
والاجتماعية . (٣)

ومن اهم المؤثرات الادبية للاندلس فى اوربا ما صنفه العلامة ابن حزم
الظاهرى وهو كتاب " طوق الحمامة " وهذا الكتاب الذى حلل فيه ابن حزم
الحب وفصل القول فى مسبباته وعلاماته وصفات المحبين وما يعرض لهم من الاحوال ،
وفيه سعى ودعى الى السمو بالحب وتطهيره من الارجاس واهمية الالتزام بالعفة
والنزاهة فى كافة الاحوال .

واثرت كتابات ابن حزم هذه فى شد الانظار الى هذا الفن الجديد
من الكتابة فصنف اندرية لوشابلان فى منتصف القرن السادس الهجرى / الثانى
عشر الميلادى كتابه " فن الحب العف " وفيه جوانب كثيرة تدل على مدى

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤١ .

(٣) انظر لتوضيح هذا الامر غوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٤٤١ . جلال
مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الاوربية ، ص ١٦ وما بعدها - ليفى بروفنسال :
حضارة العرب فى الاندلس ، ص ٨١ - ٨٢ .

ما اقتبسة الا وربيون عن الادب الاندلسي ومدى تأثرهم باخلاق الاندلسيين وخاصة ما يتصل منها بمعانى النيل والفروسية والشمم^(١).

هذا وقد طبع الكتاب فى اوربا بعناية الاستاد بتروفسنة ١٩١٤م. واحد ث ضجة فى الاوساط الادبية . وتناولته المجلات والصحف بالنقد والتحليل، وهذا الكتاب لم يسبق الى مثله فاوربا فى العصور الوسطى فيما يتصل بمعارفها المتعلقة بالشئون الوجدانية والعاطفية كانت نزرة ضئيلة، فكان هذا الكتاب اى طوق الحمامة شيئا مستطرقاً لديهم محببا الى نفوسهم^(٢).

وفى الشعر : أثر الاندلسيون تأثيرا عميقا على كثير من الوان الشعر الاوربى خاصة ما يتعلق منه بالطرب والغناء فالموشحات والازجال التى درسناها سابقا ضمن الشعر كان لها تأثيرها الواضح فى تكوين القوالب التى صبت فيها الطرز الشعرية التى ذاعت فى اوربا . وهو ما اكده خوليان ريبيرا وايداه بالبراهين بعد دراسته لموسيقى (الكنتيجات) Las cantigas وهى اغان اسبانية . ودواوين (القربادور) المغنيين الجوالين و (التروفير) والمينيزنجر) مغني الاغانى القصيرة كما اثبت انتقال بحور الشعر الاندلسى الى جانب الموسيقى العربية الى اوربا عن نفس الطريق الذى سلكته العلوم العربية والاسلامية الى اوربا^(٣).

(١) محمد رجب بيومى : الادب الاندلسى بين التاثر والتاثير ص ١٥٥ وانظر روم لاند و : الاسلام والعرب ص ٢٢٨ .

(٢) محمد رجب بيومى : نفس المرجع ص ١٥٦ .

(٣) آنخل بالنتيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص ٦١٣ - ٦١٤ وانظر فيما يلى ذلك التأثير الادبى الاندلسى فى فرنسا وانجلترا وايطاليا والمانيا وغيرها، وانظرا ايضا فى هذا الموضوع عباس الجراوى : اثر الاندلس على اوربا فى مجال النغم والايقاع (مقال مجلة عالم الفكر ج ٢ ، العدد الاول ١٩٨١م ص ١١ وما بعدها - انور الرفاعى : الانسان العربى والحضارتان ص ٣٨٠ - ٣٨١)

وجدير بالذكر ان خوليان ريبيرا اهتدى الى الصلة الواضحة بين شعر التريادور والموشحات فوجد هذه الصلة في الشكل الخارجى . فقد كان شعر التريادور يكتسى مظهر الموشحات والازجال فمتوسط المقطوعات لديهم سبع وهو ما نلمسه على الاغلب فى الموشحات والازجال ولكل مقطوعة مانجده فى الموشحة من الاقفال والاغصان والقوافى . وكذلك نظام الخرجة نجده فى اشعار التريادور كما هو فى الموشحة والزجل . وتمثلت هذه الصلة ايضا فى المضمون فاخيلة الشعر العربى فى الموشحات والازجال نجد صداها فى غزل التريادور فالعاذل والرقيب والواشى والحب من اول نظرة ، وحلاوة الوصل ، ومرارة الهجر وذ هول العاشق ومعاناته وسهره . وعواطف لم تكن شائعة فى غزل اللاتين وانما ظهرت بوضوح فى اشعار اولئك المغنين المتجولين . كما ان تلك الصلة نجدها فى الثابت من وقائع التاريخ للاشخاص . فجيوم التاسع دوق اkitانيا يعتبر اقدم من نعرفه من شعراء التريادور ، وكان له صلة راسخة بالادب العربى وكان قد ارتحل الى الشرق للمشاركة فى الحروب الصليبية (١١٠١ هـ - ١١٠١ م) واقام بالشام فترة واكتسب معرفة جيدة باللغة العربية وتعلم عنه قرصه للشعر بالعربية لدى مخاطبته سيدتين فى الشام ومالبث ان عاد الى وطنه ثم سافر الى اسبانيا اكثر من مرة ووقع تحت تأثير الادب والشعر الاندلسى فنظم بعد ذلك الموشحات والازجال . (١)

(١) انظر : محمد رجب بيومى : الادب الاندلسى بين التأثير والتأثير ، ص ١١٥ وما بعدها - ورامون منندث بيدال : اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام . مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرى ج ١ ، ١٩٥٣ ، ص ٦ وما بعدها .

"" فى الفلسفة ""

احرز علماء الاندلس نتائجاً هامة فى كل فروع المعرفة ومن بينها الفلسفة
ولسنا فى حاجة للتفصيل واعادة ما كتبناه سابقاً فى الفلسفة ، ولكن نحب فى
هذا الصدد ان نشير الى ما قام به ابن حزم الفيلسوف العظيم الذى يدين
له الغرب بتوصله الى الكشف عن نظرية المعرفة . والتي ادعى مؤرخو الفلسفة
الاوروبية انهم قد كشفوا غموضها بواسطة فيلسوفهم الالمانى كانط Kant
(ت ١٨٠٤ م) ولم يدربا ذهناهم ان ابن حزم قد سبقهم الى هذا الكشف
العلمى بسبعة قرون . (١)

وهذا ابن السيد البطليوسى أثر بكتابه المسمى "الحدائق" فى الفكر
الدينى الفلسفى فى اوربا . وقد سعى فيه الى حل كثير من المسائل
الفلسفية التى شغلت الفكر الاسلامى والتى استمدت جذورها من الفلسفة
اليونانية دون ان يصطدم بالفكر الاسلامى والكتاب نشره آسين يلاثيوس
وترجم الى الاسبانية سنة ١٩٤٠ م) (٢)

ولابى الصلتأمية الدانى اسهام فى الفلسفة فقد صنف فيها كتاباً
اسماه "تقويم الذهن" وهو عبارة عن رسالة فى المنطق / اختصر فيها آراء
ارسطو فى دقة وامانه ، وقام على نشره جنثالت بالنثيا وترجم الى الاسبانية
سنة ١٩١٥ م بمدريد . (٣)

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه النظرية فى علم الفلسفة ق ٢ الفصل الثالث

(٢) أنخل بالنثيا : مرجع سابق ص ٣٣٤ .

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٣٣٤ .

(٦٨٦)

وكان لليهود دور هام فى نشاط كافة العلوم . وخاصة مايتعلق بعلوم
الاول فى الفلسفة نبغ سليمان بن يحيى بن جبرول (تقريباً من ٤٥٠ هـ/
١٠٥٨ م) ويعرف لدى الاوربيين باسم افيسبرون ، وذاع صيته بكتابه " ينبوع الحياة "
الذى ترجمه افنديث ابن داود ، ودمنجوجنديسالفى من العربية الى اللاتينية
فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . وكان
لهذا الكتاب تاثير فعال فى الاوساط الدينية والفلسفية ، وحدث انشاقا بين
الكثير من المدارس الفلسفية ما بين مؤيد لافكار ابن جبرول ومحارب لها . (١)

" فى الجغرافيا "

هناك ايضا ملامح من التاثير العلمى الجغرافى للاندلسيين فى اوربا
ومن اقدم الامثلة على ذلك ان كتابات المؤرخ الجغرافى احمد بن محمد الرازى
(٢٧٤ - ٣٤٤ هـ / ٨٨٢ - ٩٥٥ م) فى وصف الاندلس . دفعت الاسبان بعد
خروج المسلمين عن الاندلس الى الاعتماد عليها حتى القرن السابع الهجرى
الثالث عشر الميلادى فى حل الكثير من مشكلات التنظيم الادارى التى اعترضتهم
بعد استيلائهم على المناطق الاسلامية . (٢)

(١) ارنولد واخرون : تراث الاسلام ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - كريستى ارنولد :

تراث الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس (مقال بمجلة

معهد الدراسات الاسلامية بمدريد) العدد الثالث ج ٧ - ٨ - ص ٢٥٥ ،

وكان الملك البرتغالى د نيس (١٢٧٩م - ١٣٥٥م) قد امر بترجمه كتابات الرازى فى وصف الاندلس الى البرتغاليه ، ثم اتى كايا نكوس عام ١٨٥٢م فترجمها الى اللغة الفشتاليه ، ثم ترجمها الى الفرنسيه . س . كولان (١) .
وفيما تقدم دلالة واضحة على عظم تلك الدراسات الجغرافية التى قدمها الرازى والتى نالت عناية الباحثين ورجال السياسة والادارة فى الحكومتين الاسبانية والبرتغالية .

واهتم الاوربيون بالدراسات الجغرافية التى كتبها ابو عبيد البكرى فالبارون دى سلان حقق ونشر من الممالك والمسالك الجزء المتعلق بشمال افريقيا سنة ١٨٥٧م بمدينة الجزائر ، ثم اعيد طبعها سنة ١٩١١م وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٩١٣م . (٢)

ويشير غوستاف لوبون الى ان الترجمة الفرنسية طبعت ببائس سنة ١٨٥٩م (٣) ونحن نشك فى هذا الاهتمام العلمى من قبل دى سلان بهذا الجزء من كتاب البكرى عن شمال افريقيا فما كان من شكفى ان ذلك كان لرغبة الاستعمار الفرنسى آنذاك فى معرفة مسالك البلاد وطرقها المختلفة .
وما يرمى اليه من الاطلاع على تضاريس البلاد ومواقعها الاستراتيجية وطالما استغلت مثل هذه الدراسات عن البلدان فى تحقيق مطامع الطامعين والراغبين فى السيطرة وابتزاز حقوق الشعوب الاخرى .

(١) ج . س . كولان : الاندلس ، الكتاب رقم ٢ من كتب دائرة المعارف -

الاسلامية . ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرين ، ص ٣١ .

(٢) آنخل بالنشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٠ .

(٣) حضارة العرب فى الاندلس ، ص ٦٣٣ .

كما نشرت القطعة المتعلقة ببلاد الروس والصقالية مع ترجمه روسية بتحقيق كورنيك والبارون فون روزن في بطرسبرج سنة ١٨٧٧م مستندين في ذلك على المخطوطة المحفوظة . بمكتبه نور عثمانية بالاستانسه والتي عثر عليها شيفرسنة (١)
٠١٨٧٥

وابوعبيد البكري توصل الى اشارات جغرافية هامة ، منها ما ذكر من ان المحيط الاطلسي لا يعلم ما وراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا وان الشمس اذا غابت في اقصى الصين طلعت في الجزائر الخالدات (جزر الكناري) وهى الفكرة التى تلقاها كولمبوس ووعاها فادخلته التاريخ وخلدت اسمه كمكتشف لامريكا ومن المثير ان يكون البكري من ابناء^(٢) عليه على مسافة قريبة من الرابطة التى لجأ كولمبوس الى ديرها مستشفع باخباره لتسيير لقاءه بفرناندو وايزابيلا وليس من المصادفة ان اشبيلية التى عكف البكري على دراسات الجغرافية فيها هى المدينة التى قضى بها كولمبوس فترة من حياته تلقى فيها كثيرا من المعارف الجغرافية عن العلماء والبحارة والملاحين واخيرا فليس من الصدفة ان يكون خروج سفنه الى العالم الجديد من ميناء سان لوكار القريب من بلد قلوبه مسقط رأس البكري^(٣) .

ويؤيد ما تذهب اليه من اعتماد كولمبوس على الدراسات الجغرافية للانديسيين ومنها بالطبع كتب ابي عبيد البكري . انه ورد فى دائرة المعارف الفرنسية ان كولمبوس اطلع على كتب كثيرة فى الجغرافيا والرحلات لعدد من

(١) عبد الله الغنيم : مصادر البكري ومنهجه الجغرافية ، ص ٥٧ .

(٢) ولبه ، مدينة بغرب الاندلس على مصب نهر اوديل وكانت تحت حكم والد ابي عبيد العزيز البكري لكن المعتضد ملك اشبيلية استطاع انتزاعها منه فى اواخر النصف الاول من القرن الخامس الهجرى (انظر محمد عتق : دول الطوائف ص ٤٣) .

(٣) حسين مؤنس : المقال السابق ، ص ٣٢٩ .

جغرافيى الاندلس والمشرق ، وذلك قبل قيامه برحلته الشهيرة واكتشافه
امريكا (١) .

ومما يثير الاعجاب بالبكرى ان معرفته بكروية الارض وقطرها البالغ ٦٤٢٤
ميلا تقريبا . . مع ما ذكره آنفا عن المحيط الاطلسى . توضح لنا ان فكرة
خروج السفن والمراكب من غربى اوربا لتصل شرق الصين كانت لدى من
البديهيات العلمية التى لا تحتاج الى مناقشة (٢) .

وايضا ابن حزم الاندلسى كان عالما ابكروية الارض شديد الايمان بذلك
وسعى فى اثبات هذه الحقيقة الجغرافية بهرايين عقلية وعقلية . وهو بذلك
ينفى عن بعض حقائق الجغرافية ما علق بها من اساطير وخوارق وخاصة لدى
الاوربيين الذين كانوا فى ذلك العصر يجهلون هذه الحقيقة ولكنهم مالبشوا
ان نقلوها عن المسلمين ضمن ما نقلوه من المعارف والثقافة المختلفة (٣) .

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : حضارة ونظم اوربا فى العصور الوسطى ،

ص ٢٩٠ .

(٢) حسين مؤنس : المقال السابق ص ٣٢٩ .

(٣) اشرنا الى معارف ابن حزم الجغرافية عند حديثنا عن الجغرافيا
وانظر كذلك الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٩٧ . ففيه اشارات
جغرافية علمية تنم عن ذكاء و ذهن خصب يتمتع به ابن حزم .

وختاماً فليس هناك صورة اوضح مما تقدم تثبت ذلك العطاء السخي
والبذل الغير محدود الذي وهبته الاندلس لاوربا فانتشلتها من قاع التخلف
وحضيض الجهل الى مدارج النهضة والرقى في شتى ميادين الحضارة والمعرفة
الانسانية هذا مع اخذنا في الاعتبار ضياع الاف الكتب الاندلسية وابادتها
من قبل الاسبان النصارى والتي كان من الممكن لو سلمت من التدمير ان تلقى
اضواء باهرة على الانجازات العلمية للاندلسيين^(١).

ونود ان نشير الى ان تلك الجهود العلمية التي اسهم بها اعلام الاندلس
في وجوه العلم المختلفة كانت تصاحبها ايضا وتقرن بها جهود اخوانهم
من علماء المشرق الذين لقيت كتبهم في الاندلس كل عناية واهتمام وممن
ثم انصهرت تلك الجهود العلمية لمسلمي المشرق والمغرب في بوتقة التأثير
العلمي للاندلس في اوربا . .

فالاندلس على أية حال لها فضل في كلا الحالين . فضل المساهمة
في بناء كيان المعرفة الانسانية بفكرها وعلمها وثقافتها الخاصة . وفضل
آخر بايصالها ثقافة المشرق وماثره العلمية الى اوربا .

ومن الطريف ان نذكر ان الكثير من مفكرى اوربا كانوا ينظرون الى
الاندلس من خلال تأثيرها العلمي والأدبي عليهم ، فكل ما كان يصلهم
من انواع العلوم والآداب الاسلامية كان ثقافة اندلسية خالصة وان الاندلس
بالنسبة لهم كانت مصدر العلم الاول بدرجة أنستهم تقريبا جهود علماء المسلمين

(١) انظر انور الرفاعي : الانسان العربي، ص ٤١٦ - وروم لاندو : الاسلام

(٦٩١)

المشاركة ومآثرهم العلمية المختلفة . وهذا ان دل فانما يدل على ذلك الدور الهام الذى لعبته الاندلس فى قيام النهضة العلمية فى اوربا . ومن ثم دخول اوربا عصر نهضتها الحديثه التى تدين بشكل كبير فى تألقها لاولئك الاعلام فى ذلك القطر الذى غير مجده منذ خمسة قرون ولكن معالمة وآثاره وما خلفه اهله من علم ومعرفة منحتم حياة أخرى ، هـى الذكرى المجيدة العابقة التى لا تزال تشد الوجدان وتبعث الآمال فى بعث الحضارة الاسلامية ان شاء الله . .

وأخيراً نختتم حديثنا بمقولة صادقة قالها ليجردى مستيم . أحد مفكري ومؤرخي أوربا قال : (وحق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم اصل ينبوع كل معرفة فى الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التى بزغت فى اوربا منذ القرن العاشر فصاعداً) .^(١)

(١) سعد شلبى : البيئة الاندلسية، ص ٥٠ - ٥١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

*** بسم الله الرحمن الرحيم ***
 ~~~~~

(( الخاتمة ))

فى ختام هذا البحث نحاول ان نلتمس آثار هذه الد راسه وماتمخضت عنه من نتائج علميه ، هي الغاية والمطلب من وراء هذا الجهد . .

والحق ان موضوعا كموضوع الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس يكشف لنا عن حقيقة هامه وهى قدرة هذه الأمه على العطاء والبذل بسخاء فى ميادين الحضاره الانسانيه المختلفه فى أحلك الظروف واشق المواقف واصعب الاحوال - ففي عصر ملوك الطوائف كان المجتمع الأندلسى يواجه حربيين فى آن واحد ، حربا من قبل النصارى فى الشمال ، وحربا فى الداخل تتمثل فى الصراع العسكرى والسياسى بين ملوك الطوائف . ولكن هؤلاء الملوك رغم ظلام واضطراب احوالهم السياسيه والعسكريه التى اتسم بها عصرهم الا انهم كانوا سباقين فى ميدان الحضاره والمعتزك العلمى . ولعل من أهم ما قدموه فى هذا المجال هو منحهم الحريه الفكرية وتحطيمهم كل قيد وغل يحد من انطلاق الفكر الانسانى والبحث عن المعرفه بشتى وجوهها والوانها ، فنهضت فى عهدهم العلوم والآداب وتسنى لكثير من العلماء طرق ابواب معينه من العلم كانت من قبل ذلك العصر اشبه ماتكون بالمحظورات . يُحجر الاشتغال بها ، أو تناولها بالدراسة والتفكير مثل الفلسفه والمنطق وعلم الكلام ومن ثم كان عصر ملوك الطوائف عصرا نيرا حرا للتفكير . .

وكان يؤجج شعله النشاط العلمى ما عرف عن أولئك الملوك من التنافس

والتسابق فى حلبة العلم وميدان المعرفة ، وحرص كل منهم على ان تشتمل مملكته على اعلام الفكر والأدب . فوجد العلماء والأدباء مجالا رحبا فى الاختيار بين بلاطات اولئك الملوك وحواضر د ولهم . مما خلق تيارا قويا من النشاط العلمى فى مختلف فروع المعرفة . وزاد هذا النشاط قوة وحيويه ماتميز به حكام كل مملكة من اهتمامات علميه وادبيه . فبنى عباد فى اشبيلية وقرطبه كانت لهم اهتماماتهم الادبيه والشعريه ، وكانوا مولعين بهذا اللون من المعرفة فأضحت مملكتهم قطب النشاط الأدبى واصبح بلاطهم ملجأ الادباء والشعراء . . . وعلى منوالهم سار بنو صمادح فى المريه اذ كانوا من رعاة الأدب والشعر ومثلهم أيضا بنو الافطس فى بطليوس الذين عرف عنهم شغفهم بالأدب حتى أن أحد ملوكهم وهو المظفر بن الافطس كان أدبيا عالما مقتدرا وصنف فى الأدب موسوعته الشهيره المسماه " المظفريه " فى ستين مجلدا . . .

فأذا نظرنا الى بنى ذى النون فى طليطله وجدنا لهم اهتمامات وميولا علميه نحو العلوم التجريبيه كالفلك والرياضيات والطب والفلاحه وايضا الفلسفه والمنطق ، مما كان له اكبر الأثر فى نشاط تلك العلوم فى د ولتهم وخاصة فى عهد الملك المأمون الذى حفل بلاطه باعداد كبيرة من الرياضيين والفلكيين والاطباء والفلاسفه وعلماء الفلاحه والميكانيكا وغيرهم . . .

ونهج نهج ملوك بنى ذى النون فى طليطله بنو هود فى سرقطه الذين عرف عنهم ولعهم الشديد بعلوم الرياضيات والفلك والفلسفه ، وكاد هذا اللون من المعارف ان يغلب عليهم فلا يتعدونه الى غيره من المعارف الأخرى ، حتى قيل ان بلاطهم ندر فيه من يقول الشعر وينظمه . بل ان بنى هود لم يكونوا يعيرون لهذا اللون من الأدب اهتماما كبيرا فقل اقبال الشعراء عليهم .

ولا نعجب اذا رأينا مدى اهتمامهم الواسع بالرياضيات والفلك فـــــــــــــــــد  
كان من ملوكهم المقتدر وابنه المؤتمن ، وكلاهما من كبار علماء الرياضيات  
والفلك وألفا فيها مصنغات قيمة نالت الاستحسان والقبول ، بل وترجم بعضها  
الى اللاتينية ..

فاذا يعمنا نحو مملكة دانية والجزائر الشرقية وصاحبها مجاهد العامرى  
هالنا اهتمامه العظيم بعلوم القرآن واللغة =ـــــــــــــــــه . مما كان له اعظم الأثر  
فى احتواء بلاطه على أساطين علماء القراءات وعلام اللغة الذين خلفوا لنا  
انتاجا علميا لا يزال بعضه ماثلا بين ايدينا . ولعلنا لا ننسى احد فحول اللغة  
العربية فى الأندلس وهو ابن سيده الأعمى الذى كان احد علماء بلاط مجاهد  
العامرى ..

وهكذا نلمس أهمية ذلك الدور الذى لعبه اولئك الملوك فى ازدهار  
العلم بمختلف جوانبه ..

واذا جئنا الى ذكر ما أنجزه علماء الأندلس فى عصر الطوائف من انجازات  
علمية ، وقفنا على حقيقة هامة وعظيمة ، وهى أن الاندلسيين أثبتوا من خلال  
نشاطهم العلمى آنذاك قدرات علمية واسعة فى طرق ابواب المعرفة المختلفه  
وأن الشخصيه العلميه الأندلسيه أثبتت ذاتها وقد رتها على بناء كيانها العلمى  
واعطائه الطابع الاندلسى المميز ..

ولعل من اعظم الانجازات التى توصل اليها الاندلسيون فى هذا العصر  
هو اختراعهم الطريقة التعليميه الفذه فى تعليم العميان ، وهى الطريقة التى  
تنسب فى عصرنا الحديث الى العالم الأوربى " براى " فقد عرف الاندلسيون تلك  
الطريقة وذلك بصنع الحروف الهجائيه من عجينه خاصه ، ومن ثم يأخذ

الطالب الكفيف فى تلمسها حتى يتيسر له قراءتها ومعرفة المقصود منها . .  
وفى عصر ملوك الطوائف برز أعلام الفكر الأندلسى فى الكثير من حقول  
العلم ، وهى حقيقة لا تقبل الشك مطلقاً . وفى العلوم الدينية برز ابن حزم  
الظاهرى ، وابن عبد البر النمرى ، وابو الوليد الباجى ، وابن العربى ، وابن  
رشد الجد ، وابو عمرو الدانى ، ومكى بن أبى طالب وغيرهم . وهؤلاء لا تزال  
كثير من آثارهم العلمية بين أيدينا تمثل أعظم شاهد وأوضح برهان على مكانة  
اولئك العلماء وقد راتهم العلمية العظيمة . .

وفى الأدب وعلوم اللغة والنحو ظهر فحول العلماء فى الشعر نبغ ابن  
زيدون ، وابن عمار ، وابن حمدىس ، وابن خفاجة . وفى الأدب ابن حزم ، وابن  
عبد البر ، وابن شهيد القرطبى ، وابن شرف وغيرهم . وفى اللغة والنحو  
يكفى ان نشير الى أعظمهم واطولهم باعاً وهو ابن سيده الأعمى صاحب المحكم  
والمخصّص ، ونظيره العلامة الكبير ابن السيد البطليوسى . .

واذا انتقلنا الى العلوم الانسانية ومنها التاريخ وقفنا اجلاً أمام أعظم  
مؤرخ انجبته الأندلس على طول تاريخها ، وهو العلامة المؤرخ القدير ابن  
حيّان القرطبى ، صاحب المقتبس والمتين فى التاريخ . وفى الجغرافيا برز أحد  
فحول علم الجغرافيا المسلمين ، وهو العلامة الكبير أبو عبيد عبد الله بن  
عبد العزيز البكرى - الذى قادت كتاباته الجغرافية كولمبوس الى اكتشاف العالم  
الجديد ، وكذلك أحمد بن أنس العذرى - الذى ترجمت بعض كتاباته الى  
البرتغاليه والاسبانيه . .

وفى الفلسفة توصل ابن حزم الى الكشف عن نظرية المعرفة وسبق العالم  
الالمانى كانط الى احراز هذا الكشف العلمى الهام . كما ان العديد من



فلاسفة هذا العصر ترجمت اعمالهم الى اللاتينية ، ومنهم ابن جبرول ،  
وابن السيد المبطليوسى ، وامية بن أبي الصلت .

وفى العلوم التجريبية ، ومنها الطب نبغ العلامة ابن وافيد الطليطلى  
الذى ترجمت كتبه الى اللاتينية والعبرية ، وعدت مصدراً من المصادر الطبيه  
والصيدليه التى اغترفت منها اوربا ثقافتها الطبيه . وهنا حقيقة هامة يجب  
أن نشير اليها وهى أنه على الرغم من ازدهار علم الطب فى عصر الطوائف  
الأن عصر الخلافة فاقه فى ذلك . ففى عصر الخلافة ظهر أعظم طبيب جراح  
فى تاريخ الاسلام ، وهو الطبيب اللامع خلف بن عباس الزهراوى . .

غير ان عصر الطوائف تميز بتألقه العظيم فى بقية العلوم والمعارف ، ومنها  
العلوم البحتة الأخرى كالفلك والرياضيات . ففى هذه العلوم ظهر العلامة الكبير  
ابن الزرقال الذى عده أحد العلماء اعظم فلكيي الاسلام . وترجمت كتبه فى الفلك  
والرياضيات الى مختلف اللغات الاوربيه ، وكان مصدراً ثراً لمعارف اوربا الفلكيه  
والرياضيه .

كما شهد هذا العصر المزدهر بالعلم والمعرفة تألق الأندلسيين فى  
علوم أخرى كعلم الحيل أو " الميكانيكا " ، فعرف الأندلسيون عدداً من الآلات  
الميكانيكيه كالآله التى تخرج المياه من الآبار . كما عرفوا صنع الساعات المائيه  
والرمليه ، وينسب صنعها الى ابن الزرقال الطليطلى ، وكان لابي الصلت اميه  
تجاربه الميكانيكيه المشهوره .

وفى علم الكيمياء احرز الأندلسيون نتائج جيدة . وكان فى مقدمه  
المشتغلين بها بعض تلاميذ مسلمة المجريطى ، كابن السمع ، وابن بشرون .  
وهذا الاخير اهدى الى النظرية العلميه التى قال بها علماء عصرنا الحاضر .

وهى نظرية " الطاقة المتاحة " ، وقد سبقت الاشارة اليها فى علم الكيمياء وفى علم الفيزياء أسهم ابن حزم بالعديد من الافكار والنظرات الفيزيائيه الصائبه التى تنم عن ذكاء خصب وقدرة على فهم نظريات هذا العلم . . . . وفى علم الفلاحة أبدى الأندلسيون قدرات كبيره فى تطوير هذا العلم والرقى بحاله ، وأثبتوا بجهودهم فى هذا العلم انهم أحق الشعوب الاسلاميه بالصدارة فى علم الفلاحة . فقد شهد عصر الطوائف انتاجا علميا وفيرا فى علم الفلاحة ، فصنف فيها كل من ابن حجاج الاشبيلي، وابن بصال الطليطلى ، والطغرى الغرناطى وغيرهم ، ومهدوا بكتابتهم لظهور أعظم علماء الفلاحة الأندلسيين وهو ابن العوام الاشبيلي الذى يدى بنصيب من شهرته لأولئك العلماء الأنفى الذكر . . .

وأخيرا فان من أوضح الدلائل وصدق الشواهد على تألق الحياه العلميه فى عصر ملوك الطوائف مدى ماكان لها من تأثير فى الحضاره الأوربيه وتقدم العلم فى اوربا ، فأن اكثر ميادين العلم والمعرفه التى طرقتها الأندلسيون خلقت تأثيرا عميقا فى الحضاره الاوربيه ، فقد اقتبست اوربا عنهم كثيرا من العلوم والمعارف والآداب ، وكان الأندلسيون بجهودهم تلك اساتذة اوربا ومعلميها . ولم يكن تأثير الأندلس العلمى آنذاك فى اوربا وقفا على العلوم البحتة التى كانت هى مفتاح اوربا نحو الوثبة الحضارية المعاصره ، بل ان الأوربيين وقعوا أيضا تحت تأثير الأندلس الأدبي والأخلاقى . فكان الكثير من السوان الأدب والشعر والغناء فى اوربا فى العصر الوسيط تستمد الكثير من اصولها وروحها من آداب الأندلس وأشعارها وموسيقاها . بل ان الأندلسيين اثروا فى جيرانهم من الفرنسيين والايطاليين فى ميدان الاخلاق والفروسيه ، فظهر

اثر ذلك في العديد من شمائل وسجايا تلك الشعوب ، وهو ما نلمسه الى الآن  
في بعض عادات وتقاليد سكان جنوب فرنسا وأسبانيا . .

وبناءً عليه فإن الأندلسيين في عصر ملوك الطوائف كانوا على قدر عظيم من الحضارة والمدنية والرقى الفكرى ، وكانوا يوضعهم ذلك يمثلون شمساً مشرقة سطعت أشعتها فأنارت للشعوب المتخلفة فى أوربا طريق الحضارة والمدنية . . . . .



قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمُرَاجِعِ

المخطوطات

- ( ١ ) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م )  
 « تاريخ الاسلام » ، ح ١٢ ، نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة  
 أم القرى . تحت رقم ٥٩٤ تاريخ عن النسخة الاصلية بمكتبة احمد  
 الثالث تحت رقم ١٢ / ٢٩١٧ .
- ( ٢ ) الشاطبي ، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي .  
 « كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان » . نسخة بالميكروفيلم بمركز البحث  
 العلمي بجامعة أم القرى عن النسخة الاصلية بالخزانة العامة بالرباط  
 تحت رقم ١٠١٣ .
- ( ٣ ) ابن الصفار ، احمد بن عبد الله بن عمر ( ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م )  
 « رسالة الاسطرلاب » مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٤٢٨٨ .
- ( ٤ ) الصفدي ، خليل بن ايبك ( ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م )  
 « اعيان العصر واعوان النصر » . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي  
 تحت رقم ١١١٧ تاريخ .
- ( ٥ ) الطغئري ، محمد بن مالك ( كان حيا سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م )  
 « زهرة البستان ونزهة الازهار » . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي  
 تحت رقم ٢ نبات عن النسخة الاصلية بالخزانة العامة بالرباط تحت  
 رقم ١٢٦٠ .
- ( ٦ ) العذري . احمد بن عمر بن أنس ( ت ٤٧٨ هـ / ١٠٠٢ م )  
 « ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمالك الى  
 جميع الممالك » السفر الرابع . نسخه بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي  
 من النسخة الاصلية بمكتبة البديري بالقدس تحت رقم ٦١٢ .

( ٧ ) ابو المحاسن ، عبد الباقي بن علي بن عبد المجيد ( ت ١١٤٣ هـ / ١٧٢١ م )

” اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ” نسخه بالميكروفيلم بمركز  
البحث العلمي عن النسخة الاصلية الموجودة بدار الكتب المصرية تحت  
رقم ١٦١٢ تاريخ

( ٨ ) المواعيني ، محمد بن ابراهيم الاشبيلي ( ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م )

” ریحان الألباب وریعان الشباب ” مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط  
تحت رقم ١٤٠٦ .

( ٩ ) المولوي ، احمد بن لطف الله ( ت ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م )

” صحائف الأخبار في وقائع الأعصار ” . مخطوط بمكتبة احمد الثالث  
باستنبول تحت رقم ٢٩٥٤ .

( ١٠ ) مؤلف مجهول .

” انسان العيون في مشاهير سادس القرون ” . نسخه بالميكروفيلم بمركز  
البحث العلمي بجامعة أم القرى ، عن النسخة المخطوطة بمكتبة جامعة  
بغداد ، الدراسات العليا تحت رقم ٢٤٨ .

( ١١ ) مؤلف مجهول .

” كتاب في ذكر بلاد الاندلس وصفاتها واصقاعها ومن وليها من الامراء  
والحكام من الامويين الى بني اشقيلولة ” . نسخه بالميكروفيلم بمركز  
البحث العلمي عن النسخة المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت  
رقم ( ٨٥ ج ) .

( ١٢ ) ابن وافد ، ابوالمطرف عبد الرحمن بن وافد الطليطلى ( كان حيا  
٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) " الوساد " فى الطب مخطوط بمكتبة الاسكوريال  
بمدريد تحت رقم ( ٨٣٣ ) .

---



ابن الأبار : ( ت ٦٥٨ هـ / ١٢٢٦ م )

- الحلة السراء ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة

والنشر القاهرة ، ط الأولى ، ١٩٦٣ م .

- التكملة لكتاب الصلة ، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعة حسين عزت

العطار الحسيني ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥ م .

- المقتضب من تحفة القادم ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الناشرون

دار الكتاب المصرى القاهرة - دار الكتاب اللبنانى بيروت ، دار الكتب

الاسلامية - دار الرفاعى الرياض ، ط الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ابن الأثير : ( ت ٥٦٣٠ )

الكامل فى التاريخ ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٦ هـ

١٩٦٦ م .

ابن ادريس :

زاد المسافر وفرة محيا الادب السافر اعداد وتعليق عبد القادر

محدد دار الرائد العربى - بيروت ١٩٨٠ م .

الاصفهانى : جريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ، تحقيق عمر

دسوقي وعلى عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر .

ابن ابى اصيبعة : ( ت ٦٦٨ هـ )

عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د . نزار رضا ، منشورات

دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن الأنباري : ( ت ٥٧٧ هـ )

نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق د . محمد ابو الفضل ابراهيم  
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة مطبعة المدني .

اورسيوس : تاريخ العالم . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط . الاولى  
١٩٨٢ م . بيروت .

ابن الباذش : ( ت ٥٤٠ هـ )

كتاب الاقناع في القراءات السبع ، حققه وقدم له عبد المجيد قطاش ، جامعة  
ام القرى مركز البحث العلمي ، ط الاولى ١٤٠٣ هـ . مطبعة ركابي  
ونصر ، دمشق .

ابن بسام : ( ت ٥٤٢ هـ )

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق أحسان عباس ، دار الثقافة  
بيروت ( ت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ) .

ابن بشكوال : ( ت ٥٤٢ هـ ) .

الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب القاهرة  
( ١٩٦٦ م ) .

البكري : ( ت ٤٨٢ هـ )

- جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك - لابي عبيد البكري  
د . عبد الرحمن الحجى ، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ط  
الاولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

- معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا ، عارضه بمخطوطات القاهرة  
عالم الكتب بيروت .

- التنبيه على أوهام أبي على القالى فى أماليه ، راجعه وصححه محمد  
عبد الجواد الاصمعى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مطبعة دار الكتب  
المصرية .

التبكتى : نيل الابتهاج - دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون طبعة  
ذيل على كتاب الديباج لابن فرحون .

ابن تغري بردى : ( ت ٨٧٤ هـ ) :  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط مصوره عن طبعة دار الكتب  
وزارة الثقافة و الارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف  
والترجمة والطباعة والنشر مطابع كوستا توماس وشركاه .

التهانوى : ( ت القرن الثانى عشر الهجرى )  
كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، ترجم النصوص  
الفارسية د . عبد المنعم محمد حسنين ، راجعه الاستاذ امين الخولى ،  
وزارة الثقافة والارشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة  
والطباعة ( ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ) .

ابن الجزري : ( ت ٨٣٣ هـ )  
- غاية النهاية فى طبقات القراء ، عني بنشره ج برجستراسر طبع لأول  
مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجى بمصر ( ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ) ط دار  
الكتب العلمية ( ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ) بيروت .

- تخيير التيسير في قراءات الائمة العشرة ، كتب هوامشه وصححه جماعة  
من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع دار الباز  
للنشر والتوزيع مكة ، ط الاولى ١٤٠٤ هـ .

ابن جابر : ( ت ٧٤٩ هـ ) - برنامج ابن جابر الوادى آشى ، تقديم وتحقيق  
محمد الحبيب الهيله . تونس . الشركة التونسية للطبع ١٤٠١ هـ .

حاجى خليفة : ( ١٠٦٧ هـ )

كشف الظنون عن سامى الكتب والفنون - تقديم حسين شهاب الدين  
النجفى ، اعادت طبعه بلال وفتى منشورات مكتبة المشنى ، بغداد .

ابن حجاج ( حيا ٤٦٤ هـ )

المقنع فى الفلاحة - تحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية توفيق عبد العزيز  
الدورى منشورات مجمع اللغة العربية الاردنى ١٤٠٢ هـ .

ابن حجر : ( ت ٨٥٢ هـ )

الأصابة فى تمييز الصحابة ، الناشر دار الكتاب العربى ، بيروت ( بدون  
طبعة .

ابن حزم : ( ت ٤٥٦ هـ )

- جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف

بمصر ط . الثالثة ١٣٩١ هـ .

- الفصل فى الملل والاهواء والنحل - دار المعرفة للطباعة والنشر

بيروت ط الثانية ( ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ) .

- طوق الحمامه في الالفه والالاف ، حققه وصوره وفهرس له ، حسن كامل  
صيرفى ، قدم له ابراهيم الابيارى ، مطبعة الاستقامه بالقاهره طبع ( ١٣٨٣ هـ  
١٩٦٤ م ) .

- الاخلاق والسير فى مداوة النفوس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط  
الاولى ١٩٧٨ م .

- رسائل ابن حزم الاندلسى ، ج ٢ تحقيق احسان عباس المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر ط . الاولى ( ١٩٨١ م ) .

الحميدى : ( ت ٤٨٨ هـ )

جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب -  
القاهرة - سنة ١٩٦٦ م .

الحميرى : ( ت ٧٢٧ هـ )

المروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مؤسسة ناصر  
للثقافة ط - الثانية ١٩٨٠ م .

ابن حيان : ( ت ٤٦٩ هـ )

المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ثالميثا فى كورنيطى . م . صبح ،  
المعهد الاسبانى العربى للثقافة - مدريد ١٩٧٩ ، كلية الآداب بالرباط .

ابن خاقان : ( ت ٥٢٩ هـ )

- مطمح الانفس ومسرح التأنسى ، دراسة وتحقيق محمد على شوابك -  
الرسالة ، بيروت ، ط . الاولى ١٤١٣ هـ .

- قلائد العقيان فى محاسن الاعيان طبعة قديمة ١٢٧٧ هـ بتصحيح  
سليمان الحريرى .

الخطيب : ( ت ٤٦٣ هـ )

- الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية بيروت ، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

- الرحلة في طلب الحديث ، حققه وعلق عليه نور الدين عشر ، يطلب

من دار الكتب العلمية بيروت ، ط الاولى ( ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م )

ابن الخطيب : ( ت ٧٧٦ هـ )

- الاحاطة في اخبار غرناطة ، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله

عنان ، الناشر مكتبه الحانجي ، القاهرة - الشركة المصرية للطباعة والنشر

القاهرة ج ١ ط الثانية ١٣٩٥ هـ - الاجزاء الثلاثة الاخرى ط . الاولى

١٣٩٣ هـ .

- اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق

لنفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف - ط . الثانية ١٩٥٦ م .

- جيش التوشيح : تحقيق وتقديم هـ لال ناجي - اعد اصلا من اصله

محمد ماضور مطبعة المنار - تونس .

ابن خير : ( ت ٥٧٥ هـ )

- فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع

المعارف ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ، ط الثانية ١٣٩٩ هـ

١٩٧٩ ن .

ابن خلدون : ( ت ٨٠٨ هـ )

المقدمة : المكتبة التجارية الكبرى بمصر روجعت هذه الطبعة وقوبلت

على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار العلم للملايين ، لبنان بيروت .

ابن خلكان : ( ت ٦٨١ هـ )

- وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان حققه . احسان عباس . دار صادر -

بيروت ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - ١٣٩٨ هـ ، ج ٥ ، ١٣٩٧ هـ ، ج ٧ - ٨ - ٩  
بدون تاريخ الطبعة .

الخوارزمي : ( ت ٣٨٧ هـ )

- مفاتيح العلوم ، تقديم واعداد . عبد اللطيف محمد العبد ، الناشر  
دار النهضة العربية ، القاهرة ، المطبعة الكمالية .

الداودي : ( ت ٩٤٥ هـ )

طبقات المفسرين . تحقيق على محمد عمر ، الناشر مكتبة وهبه - القاهرة  
الاولى ، ١٣٩ هـ .

ابن دحيه : ( ت ٦٣٣ هـ )

المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الايباري حامد عبد المجيد  
، احمد احمد بدوي . مراجعة طحسين . دار العلم للجميع ، للطباعة  
والنشر بيروت .

الذهبي : ( ت ٧٤٨ هـ )

- تذكرة الحفاظ ، صحح عن النسخة القديمة المخطوطة في مكتبة الحرم  
المكي تحت امانه وزارة المعارف الهندية ، ملتزم الطبع و النشر دار  
الفكر العربي ، ط الثالثة ١٩٥٨ م .

- سير اعلام النبلاء : حققه وخرج احاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط ،  
ومحمد نعيم العرقسوس : مؤسسة الرسالة : بيروت ، ط . الثانية ١٤٠٤ هـ .
- العبر في خبر من غير ، ج ٤ تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت -  
طبعة حكومة الكويت ٢٠١٣ م .
- معرفة القراء الكبار حققه محمد سيد جاد الحق - مطبعة ، دار التاليف  
القاهرة - ط . الاولى .

الزبيري : ( ت ٣٧٩ هـ )

- طبقات النحويين واللغويين . ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار  
المعارف .

ابن زيد : ( ت ٨٧٠ هـ )

- محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمرو الازاعي . ، تقديم وتعليق  
شكيب ارسلان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - مطبعة فؤاد ببيانه  
وشركاه ١٩٦٢ م .

السبكي : ( ت ٧٧١ هـ )

- طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق محمود محمد الطناحي عبد الفتاح محمد  
الحلو - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . ط . الاولى - ١٣٨٤ هـ .

ابن سعيد : ( ت ٦٨٥ هـ )

- رايات المبرزين وغايات المتميزين - تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي  
لجنة احياء التراث الاسلامي ، مطابع الاهرام التجارية - القاهرة ١٣٩٣ هـ



- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر - ط . الثانية ١٩٦٤ م .

- المقتطف من ازاهر الطرف ، تقديم وتحقيق ود راسة سعيد حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م .

السلفي : ( ت ٥٧٦ هـ )

اخبار وتراجم اندلسيه مستخرجه من معجم السفر للسلفي اعد هــا  
و حققها . د . احسان عباس . دار الثقافة لبنان - ط . الثانية  
١٣٩٩ هـ .

ابن سناء الملك :

دار الطراز فى عمل الموشحات ، تحقيق جودت الركابى - ط . الثانية  
دار الفكر . دمشق ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

ابن السيد : ( ت ٥٢١ هـ )

التنبيه على الاسباب التى اوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم  
ومذاهبهم واعتقاد اتهم ، تحقيق وتعليق احمد حسن كحيل وحمزة عبد الله  
دار الاعتصام ط . الاولى ١٣٩٨ هـ .

ابن سيده : ( ت ٤٥٨ هـ )

- المحكم : تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ، ط . الاولى ١٣٧٧ هـ  
١٩٥٨ م .

- المخصص ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ، ( بدون  
طبعة ) .

( ٧١٥ )

السيوطي : ( ت ٩١١ هـ )

- بغية الوعاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة عيسى البابسي

الحلبى وشركاه ، ط الاولى ١٣٨٤ هـ .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، علق عليه على سامي

النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون طبعة .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضل

ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ط . الاولى ١٩٦٨ .

ابن الشباط :

وصف الاندلس ( نص جديد من مخطوط صلة السمط وسمة المرط ) تحقيق

احمد مختار العبادي معهد الدراسات الاسلامية بمديريد ١٩٧١ م .

ابن شهيد : ( ت ٤٢٦ هـ )

رسالة التوابع والزوابع . صححها وحقق ما فيها وشرحها بطرس البستاني

دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م )

صاعد : ( ت ٤٦٣ )

طبقات الأمم ، مطبعة التقدم بشارع محمد علي . مصر ( بدون طبعة ) .

الصغدني : ( ت ٧٦٤ هـ )

- الوافي بالوفيات ، دار النشر فرانز شتايز ، بفسبادن ، مطابع صادر

بيروت ج ٨ باعتناء محمد يوسف ، ج ٩ باعتناء يوسف فان اس ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م . ج ١٤ باعتناء س ، ريدرينغ ١٤٠٢ هـ .

- نكت الهميان في نكت العميان . نسخه بمكتبه مركز البحث العلمي لا تحوى معلومات عن طباعتها ونشرها .

الصيرفى : ( ت هـ فى القرن السادس الهجرى )

المختار من شعر شعراء الاندلس ، حققه هلال ناجى ، وزارة الدولة  
المكلفة بالشؤون الثقافية ، مطبعة فضالة المحمدية المغرب

ابن طفيل : حى بن يقطان ، تقديم وتحقيق فاروق سعد . منشورات دار الافاق  
الجديدة ط الثالثة . ١٤٠٠ هـ .

ابن عباد : ( ت ٤٨٨ هـ )

ديوان المعتمد بن عباد ، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسى - الدار  
التونسية للنشر ١٩٧٥ م .

عبد الله ، " الامير " : ( ت ٤٨٣ هـ )

التبيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م .

ابن عبد البر النمري : ( ت ٤٦٣ هـ )

- بهجه المجالس وانس المجالس ، تحقيق محمد مرسى الخولى الشركة  
المتحدة . بيروت دار الكتب العلمية بيروت .  
- الانتقاء .

ابن عذاري : ( ت بعد ٧١٢ هـ )

البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س  
كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن عطية : ( ت ٥٤١ هـ )

فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد ابو الاجفان ومحمد الزاهي ، دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٠ هـ - الطبعة الاولى .

العلنيمي : ( ت ٩٢٨ هـ )

المنهج الاحمد في تراجم الامام أحمد ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، راجعه وعلق عليه عادل نويهض ، عالم الكتب ، بيروت ط الاولى ١٤٠٣ هـ .

عياض : ( ت ٥٤٤ هـ )

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق احمد بكير - منشورات دارى مكتبة الحياة بيروت ومكتبة الفكر بطرابلس ( بدون طبعة ) .

الغنية ( فهرست شيخ القاضي عياض ) دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٣٩٨ هـ .

ابن العماد : ( ت ١٠٨٩ هـ )

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عن نسخه المصنف المحفوظة بدار الكتب المصرية ، دار المسيره بيروت ط ١ الثانية ١٣٩٩ هـ .

الغزالي : ( ت ٥٠٥ هـ )

- احياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ( بدون طبعة )

ابن فرحون : ( ت ٧٩٩ هـ )

الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، تحقيق وتعليق محمد  
الاحمدى دار التراث للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبع بمطبعة النصر  
وكذلك طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ( بدون طبعة ) .

ابن الفرضي : ( ت ٤٠٣ هـ )

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل  
العرب ١٩٦٦ م القاهرة .

ابن القاضي : ( ت ١٠٢٥ هـ )

جذوة الاقتباس ، دار المنصور للطباعة والوراقه ، الرباط ١٩٧٣ م .

ابن قاضي شهبه : ( ت ٨٥١ هـ )

طبقات النحاء واللغويين ، تحقيق محسن غياض ، مطبعة النعمان النخف  
ط - ١٩٧٣ م - ١٩٧٤ م .

ابن قتيبه : ( ت ٢٧٦ هـ )

المعارف - تصحيح وتعليق ومراجعة محمد اسماعيل الصاوي ، دار احياء  
التراث العربي - بيروت - ط ، الثانية ١٣٩٠ هـ .

القزويني : ( ت ٦٨٢ هـ )

آثار البلاد واخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩ هـ

القفطي : ( ت ٦٤٦ هـ )

- اخبار العلماء باخبار الحكماء ، يطلب من مكتبة المثنى بغداد ، ليبزج

( ٧١٩ )

- المحمد ون من الشعراء حققه وقدم له حسن معمري ، مراجعة محمد الجاسر منشورات دار اليمامة بالرياض مطبعة المتنبي - بيروت ١٣٩٠ هـ .

القلقشندي : ( ت ٨٢١ هـ )

صبح الأعشى ، فى صناعة الانشاء ، نسخه مصورة عن الطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن منقذ : ( ت ٨٠٩ هـ )

الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط الثانية ١٩٧٨ م .

القيسى : ( ت ٤٣٧ هـ )

الابانسه عن معانى القراءات ، حققه وقدم له محى الدين رمضان ، دار الملون للتراث ، دمشق ، ط . الاولى ١٣٩٩ هـ .

الكتبى : ( ت ٧٦٤ هـ )

- عيون التواريخ ، تحقيق د . فيصل سامر ونيله عبد المنعم ، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ١٣٩٧ هـ .

- فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٧٤ م .

ابن كثير : ( ت ٧٧٤ هـ )

البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط . الاولى .

ابن الكردبوس :

تاريخ الاندلس ، نص جديد من كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ، تحقيق احمد مختار العبادى معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٧١ م .

المراكشى عبد الواحد : ( ت ٦٤٧ هـ )

المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد العريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

المراكشي ، محمد : ( ت ٧٠٣ هـ )

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الاول ، القسم الاول والثاني  
تحقيق محمد بن شريفه ، دار الثقافة بيروت ، بقية السفر الرابع بتحقيق  
احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، السفر الخامس القسم الاول والثاني  
تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، السفر السادس تحقيق احسان  
عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣ م .

المقدسي : ( ت ٣٨٠ هـ )

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم طبع بمدينة ليون بمطبعة بريل ١٩٠٦ م

المقرئ : ( ت ١٠٤١ هـ )

- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر

بيروت ١٣٨٨ هـ .

- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض خمسة اجزاء طبع تحت اشراف  
اللجنة المشتركة لقسم التراث الاسلامي بين حكومة المغرب ودولة الامارات  
العربية ، الجزء الرابع تحقيق سعيد احمد اعراب ومحمد بن تاويت ، الجزء  
الخامس تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد احمد اعراب والاجزاء الاربع  
الاولى طبعت ١٣٩٨ هـ - الجزء الخامس ١٤٠٠ هـ .

مؤلف مجهول :

اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة

بينهم ، طبع بمدينة مجريط ، بمطبعة دبد نير ١٨٦٧ م .

ابن نباته : ( ت ٧٦٨ هـ )

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، شركة ومطبعة مصطفى البابي

والحلبى واولاده بالقاهرة - ط . الاول ١٣٧٧ هـ .

التباهى : ( كان حيا ٧٩٣ هـ )

المرقبه العليا او " تاريخ قضاة الاندلس " المكتب التجارى للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت .

( ٧٢١ )

ابن النديم :

الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ( بدون تاريخ للطبعة )

النويري : ( ت ٧٣٢ هـ )

نصوص عن افريقية والمغرب والاندلس وصقلية واقريطش من كتاب نهاية  
الارب في فنون الادب بتحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف ، نشر ووضع  
دار النشر المغربية . افلدار البيضاء .

ابن الوردي : ( ت ٧٤٩ هـ )

تتممة المختصر في اخبار البشر ، اشراف وتحقيق احمد رفعت البدر اوى  
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع . الناشر دار المعرفة - بيروت ط  
الاولى ١٣٨٩ هـ .

ياقوت : ( ت ٦٢٦ هـ )

- معجم البلدان ، دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .  
- معجم الادباء : دار الفكر للطباعة والنشر ، ط الثالثة . ١٤٠٠ هـ  
١٩٨٠ م .

=====



"المراجع"

احسان عباس :

- تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين ، دار الثقافة

بيروت - ط - السادس ١٩٨١ م .

- العرب في صقلية . دار الثقافة ، بيروت ط - الثانية ١٩٧٥ م .

احمد أمين :

ظهر الاسلام ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية : القاهرة ، ط الثالثة ١٩٦٢ م

احمد عطية الله :

القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، صدر في محرم ١٣٨٣ هـ .

احمد مختار العبادي :

دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية

١٩٨٢ م . بدون طبعه .

احمد هيكل :

الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، دار المعارف - القاهرة

ط - السادس ١٩٧١ م .

آرنولد وآخرون :

تراث الاسلام ، عربي وعلق جواشية جرجس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت

ط - الثانية ١٩٧٢ م .

اعتماد القصيري :

فن التجليد عند المسلمين ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام

المؤسسة العامة للآثار والتراث بغداد ٨ ١٩٧٩ م .

اغناطيوس كراتشكوفسكي :

تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة

ايفوربلياييف اختارته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م - القاهرة .

آنخل بالنشيا :

تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمه حسين مؤنس ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

انور الرفاعي :

الانسان العربي والحضارة ، دار الفكر ، ( دون طبعه ) .

ا . ي . ونستك

" المعجم المفهرس لافاظ الحديث النبوي " اتبع نشره ي . ب . منسج

و . و . ب ، دى هاس ، و . ي . ب فن لون ، مع مشاركة محمد فؤاد

عبد الباقي ، مطبعة بريل فى مدينة ليدن - سنة ١٩٥٥ م .

باقر أمين الورد :

معجم العلماء العرب ، الجزء الاول ، راجعة كوركيس عواد ، مطبعة النجوم

الخضراء بغداد ١٤٠٢ هـ .

البغدادى :

هدية العارفين فى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكالة

المعارف باستنبول ١٩٥٥ م منشورات مكتبة المشنى ، بيروت .

بول غليونجى وآخرون :

موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين ، مكتبة المعارف بيروت - مطابع

روز اليوسف .

توفيق الطويل :

قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، دار النهضة العربية ، ط الثالثة ١٩٧٩ م .

جايلورد هوزر :

الغذاء يصنع المعجزات ، ترجمة احمد قدامة ، دار النفائس ، بيروت ط

التاسعة ١٤٠٣ هـ .

( ٢٢٤ )

جلال مظهر :

- حضارة الاسلام واثرها في الترقى العالمى، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة دار مصر للطباعة ( بدون طبعه ) .
- الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث ، مركز كتب الشرق الاوسط مطبعة مخيم ، القاهرة .
- مآثر العرب على الحضارة الاروبية، تقديم كمال الدين رفعت وسعد عفره مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط - الاولى ١٩٦٠ م .

ج . س . كولان :

- الاندلس ، كتب دائرة المعارف الاسلامية ، لجنة ترجمه دائرة المعارف الاسلامية ، ابراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ط - الاولى ١٩٨٠ م .

جوزيف رينو :

- الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا ، ترجمة اسماعيل العربى دار الحداث بالجزائر ، ط - الاولى ١٩٨٤ م .

حسن ابراهيم حسن :

- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ط . الاولى ١٩٦٧ م .

حسين مؤنس :

- فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط - الثانية ١٤٠٥ هـ .

حكمت نجيب :

- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى جامعة الموصل ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

حنا الفاخورى :

- تاريخ الادب العربى ، المطبعة البوليسية بيروت ، لبنان ( بدون طبعة )

خالد الصوفى :

تاريخ العرب فى اسبانيا ( جمهورية بنى جهور ) دمشق ١٩٥٩ م .  
خير الدين الزركلى :

الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط - الرابعة ١٩٧٩ م .

خوليان رييرا :

التربية الاسلامية فى اسبانيا ، ترجمه الطاهر احمد مكي ، دار المعارف  
بمصر - مطبعة القاهرة الجديدة .

داريو كابا نيلاس :

ابن سيده المرسي حياته وآثاره ، ترجمه حسن الوراكي ، الدار التونسية  
للنشر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، تونس .

روبرت بريفالت :

اثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية ، ترجمه ابو النصر الحسينى ،  
دار الكتب الحديثة ، شارع الجمهورية عابدين .

روم لاندو :

الاسلام والعرب ، ترجمه منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت  
ط - الاولى .

رينهات دوزى :

ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلانى ، مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبي  
القاهرة ، ط . الاولى ١٣٥١ هـ .

زكريا هاشم :

فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ، راجعة وقدم له واشرف على  
اخرائه محمد احمد محمد المهدى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر -  
القاهرة .

زيغريد هونكه :

شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي ،  
راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخورى ، منشورات المكتب التجارى  
بيروت ، ط الثانية ١٩٦٩ .

سامى مكى :

دراسات فى الادب الاندلسى ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره  
سنة ١٩٧٨ م .

ستانلى لين بول :

الدول الاسلامية ، باضافات وتصحيحات بارتولد و خليل ادهم ترجمه من  
التركية محمد صبحى باشراف محمد احمد دهمان ، مكتبة الدراسات الاسلامية  
دمشق ١٣٩٣ هـ .  
- قصة العرب فى اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، دار المعارف بمصر  
ط التاسعة .

سعد شلبى :

البيئة الاندلسية واثرها فى الشعر فى عصر ملوك الطوائف ، دار النهضة  
مصر للطبع والنشر ، القاهرة ( بدون طبعه ) .  
سعيد عبد الفتاح عاشور :  
حضاره ونظم اوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة  
والنشر بيروت ١٩٧٦ م .

السلامى الناصرى :

الاستقصاء لآخبار دول الغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد  
ابنى المؤلف . دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م .

سيد حسن نصر :

العلوم فى الاسلام ، ترجمه مختار الجوهري ، دار العربية للكتاب ،  
ليبيا ، تونس ١٣٩٨ هـ .  
السيد عبد العزيز سالم :

- تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة  
والنشر بيروت ١٩٨١ م .

- تاريخ مدينة المير الاسلاميه قاعده اسطول الاندلس ، دار النهضة  
العربييه ، بيروت ط الاولى ١٩٧٩ م .

شكيب ارسلان :

الحلل السندسية في الاخبار والاثار الأندلسيه ، منشورات دار مكتبة  
الحياة ، بيروت .

شوقي ضيف :

- الفن ومذاهبه : دار المعارف ، القاهرة ، ط العاشره ١٩٦٠ م .  
- المدارس النحويه : دار المعارف ، القاهرة ، ط الثالثه .  
- نوابغ الفكر العربى ، ابن زيدون ، دار المعارف القاهرة ، ط التاسعة

صلاح خالص :

اشبيليه فى القرن الخامس الهجرى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .

الظاهر أحمد :

دراسات اندلسية فى الادب والتاريخ والفلسفه ، دار المعارف ، ط ،  
الاولى ١٩٨٠ م - القاهرة .

عباس العزاوي :

تاريخ علم الفلك فى العراق ، مطبعة المجمع العلمى العراقى فى ١٣٧٨ هـ

عبد الحليم عويس :

ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، دار الاعتصام  
للطببع والنشر والتوزيع ، دار النصر للطباعة الاسلاميه .

عبد الحليم منتصر :

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف بمصر ، مطبعه  
معهد دون موسكو ، الاسكندرية ، ط الرابعه ١٩٧١ م .

عبد الرحمن بدوي :

- دراسات ونصوص فى الفلسفه والعلوم عند العرب ، المؤسسه العربيه  
للدراستات والنشر ، ط الاولى ١٩٨١ م .

- دور العرب في تكوين الفكر الاوربي، مكتبه الانجلو المصرية ، القاهرة  
ط - الثانية ١٩٦٧ م .

عبد الرحمن الحجى :

- التاريخ الأندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط فرناطه ، ساعدت  
جامعة بغداد على نشره ، دار العلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، الرياض  
- اندلسيات . دار الارشاد للطباعة والنشر . بيروت ١٣٨٨ هـ .

عبد الرحمن حميده :

أعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ .

عبد العزيز عتيق :

الادب العربى فى الاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت  
١٩٧٦ م . ح ط الثانية .

عبد الكريم التواتى :

مأساه انهيار الوجود العربى فى الاندلس ، مكتبه الرشاد ، الدار البيضاء  
ط الاولى ١٩٦٧ م .

عبد اللطيف شراره :

ابن حزم رائد الفكر العلمى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر  
والتوزيع - بيروت .

عبد الله على علام :

الدولة الموحديه بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على ، طبع ونشر دار  
المعارف بمصر ١٩٧١ م .

عبد الله يوسف غنيم :

مصادر البكرى ومنهجه الجغرافسي ، ذات السلاسل للطباعة والنشر  
والتوزيع الكويت ، مطبعه المدنى القاهرة ، ط الاولى ١٣٩٣ هـ .

عبد الفتاح ابو غده :

صفحات من صبر العلماء على شدايد العلم والتحصيل ، مكتب المطبوعات  
الاسلاميه حلب ، ط الثانية ١٣٩٤ هـ .

( ٧٢٩ )

عبد الوهاب بن منصور :

اعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٩٩ هـ

عز الدين فراخ :

فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، دار الفكر العربي للطباعة

والنشر ، دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م ( بدون طبعه ) .

عزيز احمد :

تاريخ صقلية الاسلامية ، ترجمه وتعليق امين توفيق الطيبي ، الدار العربية

للكتاب ١٣٩٩ هـ .

على الدفاع :

- الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي ، الناشر جون وايلي واولاده

نيويورك شيشترن ابريسبين ، تورنتو ١٩٧٩ م .

- اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

ط الاولى ١٤٠٥ هـ .

عمر رضا كحاله :

- مقدمات ومباحث في حضاره العرب والاسلام ، مطبعة الحجاز ، دمشق

١٣٩٤ هـ .

- العلوم البحتة في العصور الاسلامية ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٩٢ هـ

- العلوم العملية في العصور الاسلامية ، المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩٢ هـ

عمر فروخ :

- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين

بيروت ط الثالثة ١٩٨٠ .

عبقريه العرب في العلم والفلسفه ، ط الثانية ، بيروت ١٣٨٩ هـ

- العلوم عند العرب ، دار مصر للطباعة ، مطبوعات مكتبه مصر ( بدون

طبعه ) .



( ٧٣٠ )

عياد الثبتي :

ابن الطراوه النحوى ، مطبوعات نادى الطائف الادبى ، ط الاولى ١٤٠٣ م

غرسيه غومس :

مع شعراء الاندلس والمتنبى ، ترجمه حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية

ط - الثالثة ١٩٦٩ م .

غوستاف لوبون :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، طبع بمطبعه عيسى البالبللى الحلبي

وشركاه .

فرات فائق :

الكحاله عند العرب ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهوريه العراقيه ، سلسله

المكتبه الفلكلوريه ، دار الحريه للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ م .

فؤاد سزكين :

محاضرات فى تاريخ العلوم ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

فوزى سعد عيسى :

ابن زهير الحفيد وشاح الاندلس ، الناشر منشآت المعارف بالاسكندريه

جلال فخري وشركاه دار بورسعيد للطباعة ١٩٨٣ م .

فون شاك :

الفن العربى فى اسبانيا وصقليه ، ترجمه الطاهر احمد مكي ، دار المعارف

مطبعه القاهرة الجديد ١٩٨٠ م .

( ٢٣١ )

قدري طوقان :

- تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق - بيروت ، القاهرة

- العلوم عند العرب ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٦٠ م .

كارل بروكلمان :

تاريخ الادب العربى الاجزاء الثلاثة الاولى والسادس ، ترجمة عبد الحليم النجار

والرابع والخامس ترجمه السيد يعقوب ورمضان عبد التواب ، دار المعارف ج ١ ط

الرابعة ، ج ٢ ط الثالثة ، ج ٣ ط الرابعة ، ج ٤ ، ٥ ط الثانية ، ج ٦ طبعه

١٩٢٧ م .

کرد علي :

الاسلام والحضاره العربيه ، مطبعه لجنة التأليف والترجمه والنشر ، القاهرة

١٩٦٨ م .

كريستى ارنولد :

تراث الاسلام ج ٢ ، ترجمه وشرحه وعلق عليه زكى محمد حسن مطبعة

لجنة التأليف والترجمه والنشر ١٩٣٦ م .

كمال السامرائى :

مختصر تاريخ الطب العربى ، الدار الوطنيه للتوزيع والاعلان ، دار الحرمين

للطباعة بغداد ١٩٨٤ م .

ل . أ . سيدىو :

تاريخ العرب العام ، ترجمه عادل زعيتير ، عيسى البابى الحلبي وشركاه

ط الثانية ١٣٨٩ هـ .

( ٧٣٢ )

لطفى عبد البديع :

الاسلام فى اسبانيا ، مكتبه النهضة المصريه ، مطبعه لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، القاهرة ، ط الاولى ١٩٥٨ م .

لويس يونغ :

العرب واوروبا ، ترجمه ميشيل ازرق ، دار الطليعه للطباعة والنشر ، بيروت

ليفى بروفنسال :

حضارة العرب فى الاندلس ، ترجمه ذوقان قرقوط ، منشورات دار مكتبه

الحياة - بيروت ، دار مطبعه .

محمد اسماعيل :

معجم الالفاظ والاعلام القرآنيه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، دار الهنا

للطباعة .

محمد رجب بيومى :

الادب الاندلسى بين التأثير والتأثير ، اداره الثقافه والنشر لجامعه الامام

محمد بن سعود ١٤٠٠ هـ .

محمد زكريا عنانى :

ديوان الموشحات الاندلسيه ، دار المعرفه الجامعيه ، مستدرك يتضمن

نصوصا تنشر لأول مره تحقيق محمد زكريا ، دار المعرفه الجامعيه بالاسكندرية

المطبعة المصريه .

محمد سعيد عمران :

معالم اتاريخ اوروپا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربيه للطباعة

والنشر بيروت ، ١٩٨٢ م .

محمد عبد الله عنان :

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، الناشر مكتبه الخانجى

القائم قبل الكاتيب الطوائف والنشيط الثالث .

محمد الصادق عفيفي :

تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار نافع

للطباعة ١٩٧٦ م .

محمود بن عبود :

التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد حول الطوائف ، مطابع

الشيخ ، تطوان ، ١٩٨٣ م .

محمد عيسى

تاريخ التعليم في الاندلس ، دار الفكر العربي ، ط الاولى ١٩٨٢ م .

محمد ماهر حماده :

المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها مصائرهما مؤسسة بيروت ط

الثانية ١٣٩٨ هـ .

محمد محمد مخلوف :

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر

والتوزيع ( بدون طبعه ) .

موسى محمد عرب :

لمحات عن التراث الطبي العربي ، الناشر منشآت المعارف بالاسكندرية

١٩٧٥ م .

مصطفى الشكعة :

مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ط الثانية

١٩٧٤ م .

( ٧٣٤ )

مونتجمرى وات :

فضل الاسلام على الحضاره العربيه ، ترجمه حسين احمد امين ، دار الشروق

بيروت - القاهرة ط الاولى ٢٤٠٣ هـ .

ميخائيل امارى :

المكتبه العربيه الصقليه ( نصوص فى التاريخ والبلدان ) اعادت طبعه

بالاوفست ، مكتبه المثنى بغداد ، لبيك ١٨٥٧ م .

ناجى معروف :

- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى ، مطبعه الارشاد بغداد

١٣٩٣ هـ .

- المدارس الشرابيه ببغداد وواسط ومكه ، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٧ هـ

- نشأة المدارس المستقله فى الاسلام، ومطبعة الازهر ، بغداد ١٣٨٥ هـ

١٩٦٦ م ) .

- نقولا زياده :

لمحات عن تاريخ العرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٦١ م .

ول ديورانت :

قصه الحضاره ، الجزء الثانى . المجلد الرابع ترجمه محمد بدران ، اختيار

وترجمه الاداره الثقافيه بجامعة الدول العربيه ، لجنه التاليف والترجمه

والنشر ط الثانية ١٩٧٤ م القاهرة .

هـ . ج . ولز :

معالم تاريخ الانسانيه ، ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد ط الثالثه

١٩٧٢ م .

(٧٣٥)

”المراجع الاجنبيه”

- (1) Anwar.G. Chejne : Muslim Spain Its History and Culture  
The University of Minnesore Prees Minnea Polis, 1973.
- (2) Titus Burckhardt: Moorish Culture in Spain, Translated  
by Alisa Jaffa London 1972.
- (3) S.P. Scott : History of the Moorish empire.  
In europe. Vol III Ams Press New York Lippincott  
Company 1904.
- (4) S.M. Imamuddin: Muslim Spain 711 - 1492.A.D. Leiden  
E.I. Brill 1981.
- (5) Renhart Dozy. Spanish Ilsam Frank Cass: London  
Printed in Britain by Steph Austin And Sons New  
Impression 1972.
- (6) Jan Read : The Moors in Spain and Portugal Faber  
and Faber 3 Queen Squar London Printed in Britain  
by Robert Maclebose 1974.
- (7) W. Montgomery Watt : . A history of Islamic Spain  
Edinburgh At the University Press Paper back Edition  
1977.
- (8) Henri Lavoix : Catalogue des Monnaies Musulmanes:  
Espane Et Afrique, Paris, Imprimerie Nationale, 1890.

الدوريات

احمد فؤاد الأهواني :

الفلسفه فى الاندلس . الدور الاول . مجله كلية الآداب جامعة القاهرة  
ج ١٥ ، الجزء الأول ١٩٥٣ م .

جمال محرز :

التصوير فى الاندلس . المجله التاريخيه المصريه - المجلد ان ( ٩ - ١٠ )  
١٩٦٠ م - ١٩٦٢ م .

جميل ملائكه :

عنايه العرب بالهيد روليك فى العصور الاسلاميه مجله المجمع العلمى  
العراقى ج ٣١ ، الجزء الاول صفر ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

حسين مؤنس :

السيد القمبيطور - المجله التاريخيه المصريه ج ٣ - العدد الاول ١٩٥٠ م  
- الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس - مجلة معهد الدراسات الاسلاميه  
فى مدريد العدد الثالث ج ٧ - ٨ ١٩٥٥ م .

- الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس ( عصر الادريسي ) مجلة معهد  
الدراسات الاسلاميه بمدير ج ٩ - ١٠ - ١٩٦١ م - ١٩٦٢ م .

حكمت الاوسى :

كتاب الوساد لابن وافد الطليطلى . مجلة المؤرخ العربى . العدد الثالث

— د ونالد هيل : التقنية الاليه عند العرب مقال بمجله المجمع العلمى العراقى . صفر ١٤٠٠ ج ٣١  
رامون منندث :

اسبانيا حلقه اتصال بين المسيحيه والاسلام . مجلة معهد الدراسات  
الاسلاميه مدريد ج ١ ، ١٩٥٣ م .

(٧٣٧)

ضياء الدين الرئيس :

احمد بن انس - العذري ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار  
وتنوير الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك .  
تحقيق عبد العزيز الالهواني . مجله معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد

ج ١٣ ، ١٩٦٥ م - ١٩٦٦ م .

عباس الجراوى :

اثر الاندلس في اوربا مجله عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ابريل  
١٩٨١ م العدد الاول .

عبد الجليل الراشد :

التقدم الفكرى عند اهل الاندلس حتى عصر المرابطين ، مجله المؤرخ العربى  
العدد الثالث عشر ١٩٨٠ م .

عبد الحميد السائح :

دور الحضارة العربيه والاسلاميه فى التقدم الانسانى . مقال بمجله المؤرخ  
العربى العدد ١٩ سنة ١٩٨١ م .

عبد العزيز نبعبد الله :

الفكر العلمى ومنهجيته البحث عند علماء المغرب . مجله اداره . العدد  
الثالث، السنة الخامسة ربيع الثانى، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

عبد العزيز الميمنى :

المعز بن باديس والفاطميون ، مجلة الزهراء تنشرها اداره المطبعة السلفيه  
ومكتبتها ج ١ ١٣٤٣ هـ .



عبد الغني ابو العزم :

دراسه تاريخيه حول موضوع مصادر الدراسات الاسلاميه في اوربا ، مجله

المورخ العربى، العدد ١٩، سنه ١٩٨١ م .

عبد الله مبشر :

علم الفلك والنجوم عند اهل الهند والسند واستفادة العرب منه ، المجله

العربية ، السنه الرابعه ، العدد الحادى عتشر .

عبد المجيد التركى :

موقف ابن حزم الاصولى من منطق ارسطو ، اعمال ندوة الفكر العربى والثقافه

اليونانيه ، منشورات كليه الاداب بالرباط ، سلسله ندوات ومناظرات رقمه

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

محمد عبد العزيز عثمان :

المرأة العربية فى الاندلس ، مجله المؤرخ العربى - العدد الثالث عشر

تصدرها الامانه العامه لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد .

مياس بياكروزا :

- نشر مخطوطة ابن الصفار فى كيفية العمل بالاسطرلاب ، مجلة معهد

الدراسات الاسلاميه بمديرى ، العدد الثالث ج ١ ، ١٩٥٥ م .

- المؤلفات الاولى عن الاسطرلاب فى اسبانيا العربيه . مجله معهد

الدراسات الاسلاميه فى مديرى ، العدد الثالث ج ١ ، ١٩٥٥ م .

- الكتب نقد وعرض ( ابن بصال ، كتاب الفلاحه - مقال بمجله معهد الدراسات

الاسلاميه ، مديرى ، ج ٥ ) .

- الكتب نقد وعرض ( ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم جوامع السيرة  
وخمس رسائل اخرى ، ج ٢ من مجموعة تراث الاسلام ، نشر دار المعارف بتحقيق  
احسان عباس وناصر الدين الاسد ومراجعته احمد شاكر ) مجله معهد الدراسات  
الاسلامية بمديرية ج ٤ العدد ١ - ٢ . ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- دائره المعارف الاسلاميه .

\*\*\*\*\*

فَهِيَ سِرَالُ الْمَسْأَلَةِ

فہرس الرسائل

شکر و تقدیر

## نطاق البحث وتحليل المصادر

القسم الأول :

عوامل ازدهار الحياة العلمية ومظاهرها في عصر ملوك الطوائف . ٣٥ - ٢٦١

\*\*\* الفصل الأول \*\*\*

سقوط الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف . ٣٦ - ١١١

(١) الفتنه وسقوط الخلافة الأمويه .

(٢) أثر الفتنه على الحركة الفكرية .

(٣) زوال وحدة الأندلس وقيام ممالك الطوائف . ٦٥ - ١١١

واشهر ملوکها ما یلی :

العرب ( بنو عباد في اشبيلية وقرطبه - بنو هود في سرقسطه -

بنو القاسم في البونت - بنو حمود في قرطبه ومالقه

والجزيرة الخضراء ) .

البربر ( بنو مناد في غرناطة ومالقه - بنو الافطس في بطليوس -

بنورزین فی السہلہ " شنتمریۃ الشرق " - بنو ذو النون

۹۵-۸۳      فی طلیطله ( ) .

العامريون ( مجاهد العامري في دانية والجزائر الشرقية -

مظفر ومبارك في بلنسيه - خيران العامرى في المريه ) . ٩٦ - ١٠٢

موالی بنی اُمیة : ( بنو جهور فی قرطبہ ) . ۱۰۳ - ۱۰۶

**الفصل الثانى**

عوامل رقى الحياة فى الأندلس فى عصر ملوك الطوائف .

١١٢-١٨٠

عوامل رقى الحياة فى الأندلس فى عصر ملوك الطوائف .

( ١ ) التطور العلمى للأندلس فى عصر الخلافة

١١٣-١٢٩

( القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى )

١٣٠-١٨٠

( ٢ ) تعدد المراكز الحضارية فى الأندلس والمنافسة بينها .

**الفصل الثالث**

مظاهر النشاط العلمى فى عصر ملوك الطوائف .

١٨١-٢٦١

مظاهر النشاط العلمى فى عصر ملوك الطوائف .

١٨٢-٢٠٩

( ١ ) العلاقات العلمية بين المشارقة والاندلسيين .

٢١٠-٢٣٦

( ٢ ) المكتبات وجميع الكتب .

٢٣٧-٢٦١

( ٣ ) التعليم فى الأندلس .

**القسم الثانى**

العلوم والآداب فى عصر ملوك الطوائف .

٢٦٢-٦٩٩

العلوم والآداب فى عصر ملوك الطوائف .

٢٦٢-٣٣٦

**الفصل الأول** : (( العلوم الدينية ))

٢٦٤-٢٨٨

( ١ ) الفقه .

٢٨٩-٣٠٧

( ٢ ) الحديث .

٣٠٨-٣٢٨

( ٣ ) علوم القرآن ( القراءات - التفسير )

٣٣٩-٣٣٦

( ٤ ) علم الكلام .

٤٤٧ - ٣٣٧      الفصل الثاني : (( الحياة الأدبية واللغوية ))

( ١ ) الأدب :

٣٨٨ - ٣٣٨      أ - الشعر .

٤٢٣ - ٣٨٩      ب - النثر .

٤٤٧ - ٤٢٤      ( ٢ ) علوم اللغة والنحو .

٥٤٧ - ٤٤٨      الفصل الثالث : (( العلوم الانسانية ))

٤٨٦ - ٤٤٩      ( ١ ) التاريخ .

٥٢٥ - ٤٨٧      ( ٢ ) الجغرافيا .

٥٤٧ - ٥٢٦      ( ٣ ) الفلسفة .

٦٣٩ - ٥٤٨      الفصل الرابع : (( العلوم التطبيقية )) او التجريبية .

٥٧٤ - ٥٤٩      ( ١ ) الطب والصيدلة .

٦٠٢ - ٥٧٥      ( ٢ ) الرياضيات والفلك

٦١٥ - ٦٠٣      ( ٣ ) الكيمياء .

٦٢٠ - ٦١٦      ( ٤ ) الفيزياء .

٦٢٩ - ٦٢١      ( ٥ ) علم الحيل " الميكانيكا " .

٦٣٩ - ٦٣٠      ( ٦ ) علم الفلاحة .

الفصل الخامس :

٦٩١ - ٦٤٠      " اثر الازدهار العلمى فى الأندلس فى أوروبا "

الخاتمة

٦٩٩ - ٦٩٢

٧٠٠

٧٠١

٧٣٩ - ٧٠٢

٧٤٤ - ٧٤٠

خريطة لممالك الطوائف رقم ( ١ ) .

خريطة عامة للأندلس رقم ( ٢ ) .

قائمة المصادر والمراجع .

فهرس الرسائل .

\*\*\*\*\*